

بوب ماتيوز ليزروس
الدليل العملي لمناهج البحث
في العلوم الاجتماعية

ترجمة وتقديم وتعليق
محمد الجوهري



المركز القومي للترجمة

2319





هذا كتاب غير تقليدي يأخذ القارئ في رحلة - يوجه فيها هذا القارئ نفسه بنفسه - خلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية، التي تمثل الأبواب الخمسة لهذا الكتاب. إذ يستطيع كل قارئ أن يتخذ لنفسه المسار الذي يناسبه. ورغم أننا نوصي بأن تستهل عملك - فعلاً - ببداية هذا الكتاب، فإنه من المحتمل أن ينتهي بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التي ينتهي عندها الآخرون، وهو الأمر الذي يتوقف على متطلبات مشروعك البحثي.

ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافيًا في عرضه، ونافعًا لك في عملك. ونأمل أن يؤول بك الأمر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعي، وأن توفيه قدره، وأن تستمتع بممارسته.

**الدليل العملى لنهاج البحث
فى العلوم الاجتماعيه**

المركز القومي للترجمة
تأسس في أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2319
- الدليل العملي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية
- بوب ماثيوز، وليز روس
- محمد الجوهري
- الطبعة الأولى 2016

هذه ترجمة كتاب:

RESEARCH METHODS: A Practical Guide for the Social Sciences

By: Bob Mathews and Liz Ross

Copyright © Pearson Education Limited 2010

Arabic Translation © 2016, National Center for Translation

This translation of RESEARCH METHODS: A Practical Guide for the
Social Sciences 01 Edition is published by arrangement with Pearson

Education Limited
All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الدليل العملي لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية

تأليف: بوب ماتيووز
ليزروس
ترجمة وتقديم وتعليق
محمد الجوهري



2016



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ماتيوز، بوب.

الدليل العملى لمناهج البحث فى العلوم الاجتماعية / بوب ماتيوز، ليز روس،
ترجمة وتقديم وتعليق محمد الجوهري - القاهرة: المركز القومى للترجمة،
٢٠١٦.

المقاس: ١٧ x ٢٤ سم.

عدد الصفحات: ٨٧٢ صفحة.

تدمك ٩ ٧٤٦ ٩٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - العلوم - البحوث - ادلة.

أ- روس، ليز (مؤلف مشارك)

ب - الجوهري، محمد (مترجم ومقدم ومعلق)

ج - العنوان.

٥٠٧،٢٠٢٥

رقم الإيداع
٢٠١٦ / ١٥١٨٣

مطابع الأهرام للتجارية - قلوب

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية
المختلفة للقارئ العربى، وتعريفه بها. والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها
فى ثقافتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

محتويات المجلد الأول

17 مقدمة الترجمة العربية
31 تنويه هام للقارئ
33 شكر وتقدير
35 مقدمة الكتاب

الباب الأول التفكير فى البحث

45 الفصل الأول: ما هو البحث؟
46 ● ماهية البحث.
47 ● تعريفات البحث.
50 ● أسباب إجراء البحث.
51 ● الخصائص المميزة للبحث.
53 ● جودة البحث.
58 ● من هم الباحثون الاجتماعيون؟
59 ● الطريق نحو الأمام.
61 ● المراجع وقراءات للاستزادة.
63 الفصل الثانى : المعرفة، والنظريات، والنماذج، والتوجهات الفكرية.
64 ● من أين نبدأ؟
68 ● ما هى طبيعة موضوع البحث الاجتماعى .. ما هو «العالم الاجتماعى»؟ ..
70 ● بوصفنا جزءا من العالم الاجتماعى: ما الذى نعرفه عنه، وما الذى يمكننا أن نعرفه عنه؟
79 ● ما الذى يوجد فى العالم الاجتماعى مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟
83 ● ما هى الطرق المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعى ويمكن أن تساعدنا على التفكير فيما نريد دراسته، وكيفية عمل ذلك؟

92	● ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟
94	● كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعى؟
106	● ما الذى يعنيه ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟
117	● المراجع وقراءات للاستزادة.
119	الفصل الثالث : طبيعة البيانات
121	● خواص البيانات.
138	● استخدام البيانات بوصفها تصويرا للواقع الاجتماعى.
139	● هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟
141	● ما هو نوع البيانات التى ستجمعها وتعالجها؟
144	● المراجع وقراءات للاستزادة.
145	الفصل الرابع : أسئلة البحث، وفروضه، وتعريفاته الإجرائية.
146	● ما هى تساؤلات البحث؟
146	● تحديد وتصميم تساؤلات البحث.
147	● أنواع تساؤلات البحث.
153	● تطوير أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية.
163	● وضع أسئلة بحثك.
167	● المراجع وقراءات للاستزادة.
169	الفصل الخامس : البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية.
173	● القبول الأخلاقى.
175	● الموافقة عن علم.
182	● علاقات القوة.
182	● حماية المبحوث من الضرر.
187	● الجماعات الهشة (الضعيفة والمعرضة للأخطار).
188	● ملكية البيانات التى تم جمعها.
189	● السلوكيات غير القانونية
191	● الاعتبارات الأخلاقية والتنوع فى البحوث.
196	● حماية الباحث من الضرر.

- الأخلاق ومشروعك البحثي. 196
- المراجع وقرارات للاستزادة. 200

الباب الثاني الإعداد للبحث

- الفصل الأول : التخطيط لمشروع البحث. 203
- التعريف. 204
- الإجراءات العملية. 206
- أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث). 207
- المراجع وقرارات للاستزادة. 209
- الفصل الثاني : مراجعة التراث المنشور عن الموضوع. 211
- لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءاً من عملية الإعداد للبحث؟ 212
- ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟ 214
- التقييم النقدي للتراث المنشور عن الموضوع. 225
- البحث عن التراث المنشور عن الموضوع. 230
- الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمي. 237
- عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع. 242
- المراجع وقرارات للاستزادة. 245
- الفصل الثالث : تصميم البحث. 247
- أوجه التشابه والاختلاف 249
- العلاقات. 250
- كيفى أم كمى؟ 251
- مستوى الدراسة ووحدة الدراسة. 252
- اختبارات جودة البحث. 253
- تصميمات البحث. 254
- استراتيجيات البحث. 283
- أى التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟ 300
- المراجع وقرارات للاستزادة. 302

303 الفصل الرابع: اختيار طرق البحث.
304 • اختيار الطرق.
304 • قضية الكيفي في مقابل الكمي.
310 • الطرق المختلطة.
316 • اختيار الطرق.
322 • المراجع وقرارات للاستزادة.
323 الفصل الخامس: اختيار العينة.
326 • طرق اختيار العينة.
358 • اختيار طريقة المعاينة.
362 • المراجع وقرارات للاستزادة.
363 الفصل السادس: مقترح مشروع البحث.
363 • ما هو مقترح مشروع البحث وما هي وظيفته؟
364 • بنية مقترح البحث.
369 • ملخص.
371 • المراجع وقرارات للاستزادة.

الباب الثالث

جمع البيانات

375 الفصل الأول : عملية جمع البيانات.
376 • عملية جمع البيانات نشاط عملي.
377 • أ - البيانات المقننة وشبه المقننة وغير المقننة.
382 • ب- الباحث الحاضر والباحث الغائب.
385 • ج- الباحث الإيجابي والباحث السلبي.
389 • استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة في تصميم أدوات البحث.
392 • المراجع وقرارات للاستزادة.
393 الفصل الثاني: مهارات جمع البيانات.
396 • الاحتفاظ بالسجلات.
397 • ابتكار أشكال النماذج.
398 • تدوين الملاحظات.

402 ● الاتصال.
403 ● المقابلات.
406 ● التسجيل الصوتي، وعلى أشرطة الفيديو.
409 ● مهارات التأمل.
413 الفصل الثالث: الاستبيانات.
416 ● ما هو الاستبيان؟
419 ● استخدام الاستبيانات في البحث الاجتماعي.
422 ● اختيار المشاركين في مسوح الاستبيانات.
424 ● الاستبيانات والقضايا الأخلاقية.
425 ● الاعتبارات العملية.
444 ● طبيعة بيانات الاستبيانات وأسلوب تحليلها.
444 ● جودة البحث.
448 ● المراجع وقرارات للاستزادة.
449 الفصل الرابع: المقابلات شبه المقننة.
451 ● ما هي المقابلة؟
455 ● استخدام المقابلات شبه المقننة في جمع بيانات البحث الاجتماعي.
462 ● الأماكن والظروف التي يمكن استخدام المقابلات فيها.
463 ● اختيار العينة.
463 ● القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقننة.
465 ● الباحث بوصفه «الأداة الرئيسية» للبحث.
466 ● تصميم دليل المقابلة واستخدامه.
473 ● تنفيذ المقابلة شبه المقننة.
475 ● المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه).
476 ● طبيعة البيانات المجموعة وتأثيرها على التحليل.
478 ● المراجع وقرارات للاستزادة.

محتويات المجلد الثانى

479 الفصل الخامس : جماعات المناقشة (البورية).
480 • ما هى جماعة المناقشة (البورية)؟
481 • استخدام جماعات المناقشة فى البحث الاجتماعى.
491 • مواقع عقد جماعات المناقشة.
492 • حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركين فيها.
494 • جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية.
495 • الجوانب العملية.
507 • طبيعة بيانات جماعات المناقشة.
510 • المراجع وقراءات للاستزادة.
511 الفصل السادس: الملاحظة .
512 • ما الذى يجب أن تلاحظه؟
515 • أنواع الملاحظة.
519 • تأثيرات الملاحظ (تأثير هوثورن).
520 • الجوانب العملية.
523 • طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل.
525 • المراجع وقراءات للاستزادة.
527 الفصل السابع: البيانات السردية.
528 • ما هى السرديات؟
529 • كيف يختلف البحث السردى عن غيره من البحوث الكيفية؟
532 • أساليب السرد.
533 • لماذا ترغب فى استعمال السرد؟
533 • الجوانب العملية.
536 • البيانات السردية.
537 • معايير البحث السردى «الجيد».
537 • مزايا وعيوب البحث السردى.

540 النتائج غير المتوقعة.
544 ● المراجع وقرءات للاستزادة.
545 الفصل الثامن : الوثائق.
547 ● مجالات البحث الاجتماعى التى يناسبها استخدام الوثائق.
548 ● أنواع الوثائق.
551 ● استدامة الوثيقة وطول عمرها.
552 ● الوصول إلى الوثائق.
553 ● السياق.
557 ● طرق التفسير والتحليل.
559 ● المراجع وقرءات للاستزادة.
561 الفصل التاسع: المصادر الثانوية للبيانات.
562 ● طبيعة البيانات الثانوية.
566 ● الإحصائيات الرسمية.
567 ● استخدام البيانات الثانوية.
568 ● الجمع بين البيانات الأولية والثانوية.
569 ● طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل.
571 ● المراجع وقرءات للاستزادة.
573 الفصل العاشر: جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الألى.
577 ● الاتصال بواسطة الحاسب الألى.
581 ● استخدام الحاسب فى جمع البيانات.
583 ● لماذا نختار استخدام الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات؟
586 ● الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب.
591 ● المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب.
593 ● جماعات المناقشة التى تستخدم الاتصال عبر الحاسب.
596 ● الملاحظة على الإنترنت.
 ● اختيار العينات وتجميع المشاركين فى: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات
597 المناقشة الإلكترونية.

600	● القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب في البحث الاجتماعي.
607	● المراجع وقرارات للاستزادة.

الباب الرابع تحليل البيانات

611	● الفصل الأول: بدء التحليل.
612	● ملامح التحليل.
614	● فكرة موجزة عن النتائج.
616	● المراجع وقرارات للاستزادة.
617	● الفصل الثاني: معالجة البيانات.
618	● طبيعة البيانات ومعالجة البيانات.
620	● الإعداد لتحليل البيانات.
650	● المراجع وقرارات للاستزادة.
651	● الفصل الثالث: التحليل الإحصائي.
655	● تحليل البيانات الكمية.
660	● استعمال التحليل الإحصائي لتلخيص ووصف بياناتك.
675	● تطوير التحليل.
679	● استخدام التحليل الإحصائي في الإجابة على أسئلة البحث.
681	● اختبار العلاقات: اختبار كاي تربيع.
688	● اختبار العلاقات: معامل الارتباط – معامل ارتباط بيرسون.
690	● التحليل الإحصائي كعملية.
692	● عرض نتائج التحليل الإحصائي.
694	● المراجع وقرارات للاستزادة.
695	● الفصل الرابع: تحليل الموضوعات.
695	● الاشتغال بالبيانات الكيفية.
697	● ما هو تحليل الموضوعات؟

698	● عملية التحليل.
713	● عرض تحليل الموضوعات.
716	● المراجع وقرارات للاستزادة.
717	● الفصل الخامس: تحليل السرد
718	● النسخ (أى: النقل من وسيلة إلى أخرى).
719	● التحليل.
722	● المراجع وقرارات للاستزادة.
723	● الفصل السادس: تحليل الخطاب
723	● ما هو الخطاب؟
724	● الخلفية النظرية.
725	● ما هو تحليل الخطاب؟
726	● استخدامات تحليل الخطاب.
728	● المراجع وقرارات للاستزادة.
729	● الفصل السابع: تحليل المضمون
729	● ما هو تحليل المضمون؟
731	● كيف يستخدم تحليل المضمون؟
734	● المراجع وقرارات للاستزادة.
735	● الفصل الثامن: النظرية الموثقة
737	● كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟
737	● تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة.
742	● التصنيف والكتابة.
743	● الملخص.
744	● المراجع وقرارات للاستزادة.
745	● الفصل التاسع: استخدام الحواسيب في تحليل البيانات
746	● ما الذى يمكنك عمله بالحواسيب.
747	● التحليل الإحصائى.
		● تحديد المتغيرات وإدخال البيانات باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم
748	الاجتماعية (SPSS).

750	● إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال (SPSS).
752	● استخدام (SPSS) في عرض النتائج في قوالب وأشكال مختلفة.
758	● برامج التحليل الكيفي.
761	● مصادر البيانات وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
761	● التكويد وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
763	● استخدام المذكرات الموجزة في برنامج NVivo .
768	● المراجع وقراءات للاستزادة.
769	● الفصل العاشر: ثم ماذا بعد؟ استخلاص النتائج
772	● محتويات الخاتمة.

الباب الخامس

عرض البيانات والتقارير

777	● الفصل الأول: أهمية الجمهور المتلقى للبحث
780	● الجمهور والوضوح.
782	● المراجع وقراءات للاستزادة.
783	● الفصل الثاني: كتابة البحث: التقارير والرسائل العلمية
784	● لماذا نكتب؟
784	● ما الذي تفعله الكتابة؟
785	● عملية الكتابة.
785	● التخطيط والبنية.
788	● بعض «قواعد» الكتابة.
793	● حدود الكلمات.
794	● كتابة المسودة.
796	● عندما تكون الكتابة عسيرة.
798	● التقارير.
805	● الرسائل العلمية الجامعية.
812	● تحذير أخير: انتحال أعمال الآخرين وأرائهم.

815	● المراجع وقرارات للاستزادة.
817	● الفصل الثالث : عرض البيانات
818	● ما هو عرض البيانات؟
818	● لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟
819	● تجهيز البيانات للعرض.
824	● الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات.
828	● اعتبارات عامة.
829	● طرق أخرى للعرض.
830	● أشكال عرض المُلصقات (أو البوسترات).
832	● أشكال العرض الشفاهية.
838	● المراجع وقرارات للاستزادة.
839	● الفصل الرابع: النشر والبحوث المستقبلية
839	● ما هو النشر؟
840	● لماذا ننشر؟
840	● القضايا الأخلاقية.
841	● اتخاذ القرار في عملية النشر.
842	● البحوث المستقبلية.
842	● المراجع وقرارات للاستزادة.

ملحق الكتاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية

843	الواردة في الكتاب مرتبة أبجديا ومشروحة
869	● تعريف بالمؤلفين
871	● تعريف بالمترجم

تقديم الترجمة العربية

هذا الكتاب إسهام بارز فى نهضة البحث الاجتماعى العربى

محمد الجوهري

الكتابة الجادة فى علم الاجتماع باللغة العربية فى مصر تقترب الآن من تسعين عاما، أما التخصص الأكاديمى فى تدريس علم الاجتماع فقد بدأ مبكراً جداً، حيث تخرجت أول دفعة من دارسى علم الاجتماع فى كلية الآداب - جامعة القاهرة عام 1929. وقد سبق أن كتبنا - وكتب غيرنا - عن تشخيص العوامل والملابسات المسؤولة عن تخلف البناء التنظيمى لعلم الاجتماع المصرى والعربى^(*).

ولعل من أبرز العوامل التى اتفقت الكتابات السابقة على تحميلها مسؤولية هذا الوضع المتعثر للبحث السوسيولوجى النقل غير النقدي عن التراث النظرى الأجنبى. ويتساوى فى الأهمية مع هذا العامل تقصير علم الاجتماع المصرى فى دراسة واقع المجتمع المصرى. وهو تقصير ناجم عن إهمال تخصص البحث الاجتماعى وطرقه وعملياته. هذا فضلاً عن تقصير المجتمع فى توفير الاعتمادات المالية والإمكانات الضرورية لإنجاز بحوث ميدانية ومكتبية رصينة فى ميدان علم الاجتماع. ومن فضول القول أن ننبه إلى أن اضطراب حركة البحث الاجتماعى العلمى وتراكم مخرجاته كان يمكن أن يتكفل بإثراء الرؤية النظرية الوطنية الأصلية لعلم الاجتماع المصرى. كما كان سيساعد - بالتأكيد - على الحوار الخصب (النقدى الإيجابى) مع التراث النظرى السوسيولوجى فى الغرب والشرق، بما يثرى حركتى التنظير والبحث فى حقل علم الاجتماع فى بلادنا.

(*) انظر على سبيل المثال ما كتبه عزت حجازى، ومحمد سعيد فرح، وكاتب هذه السطور، وغيرهم. راجع: محمد الجوهري، قراءة نقدية فى تاريخ علم الاجتماع فى مصر، المجلة العلمية لجامعة القاهرة، العدد الأول، ١٩٨٩، ص ص ١٧-٥٦.

أزمة البحث الاجتماعى العربى فى مصر

ولو ألقينا نظرة مقربة على أزمة البحث الاجتماعى المصرى والعربى فسوف نتمكن - بلا شك - من وضع أيدينا على بعض الحقائق/ المشكلات التى تغذى هذه الأزمة وتعمل على استدامتها، والتى يمكن أن نجلها فيما يلى:

1 - كان تدريس مواد طرق البحث على امتداد التاريخ الأكاديمى لعلم الاجتماع المصرى والعربى يمثل أحجية أو لغزا تعجيزيا . والسبب بسيط وواضح كل الوضوح . فالكتابة الرصينة فى البحث الاجتماعى - فلسفة وتقنيات - تستلزم أن يتوفر لصاحبها خبرة بحثية ميدانية عريضة . ولما كان هذا الأمر عسير التحقق فى المراحل الأولى من عمر علم الاجتماع الأكاديمى ، كان طبيعيا أن تأتى غالبية الكتابات فى هذا التخصص مدرسية ونظرية وقليلة الجاذبية للطلاب . وبذلك كانت بعض الكتب الدراسية فى البحث الاجتماعى ، خاصة فى خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن العشرين عاملا أساسيا من عوامل تخلف البحث الاجتماعى العربى . وهو الأمر الذى سيزداد اتضاحا فيما بعد .

2 - لا بد أن نزيد نظرتنا تقريبا وتركيزا لى نتعرف على القائمين بتدريس هذا التخصص المهم: البحث الاجتماعى فى ذلك التاريخ الباكر . يلفت النظر للوهلة الأولى أن الخبرات البحثية للمعلم الذى يتولى تدريس تخصص البحث الاجتماعى كانت محدودة كما ومتواضعة كيف . بذلك تدعم التسطيح والشكلية فى تدريس طرق البحث الاجتماعى للطلاب المتخصصين فى علم الاجتماع . والسبب هنا واضح وبسيط: ففاقد الشيء لا يعطيه .

3 - وتزداد أزمة البحث الاجتماعى حدة بسبب عامل أكاديمى ، ليس ناجما فى نظرى عن جهل من المسؤولين بقدر ما هو راجع إلى تقصير وإهمال المسؤولين عن تخطيط التعليم الجامعى فى توفير الشروط اللازمة التى كان يتعين تضمينها للوائح الجامعية لأقسام الاجتماع .

لقد التحق كاتب هذه السطور بقسم الاجتماع فى كلية آداب القاهرة فى منتصف خمسينيات القرن الماضى ، وكانت لائحة الدراسة فى القسم وقتها تشترط أن ينجز

الطالب فى السنة الرابعة دراسة ميدانية (بشكل منفرد أو مع مجموعة صغيرة من زملائه)، تتم مناقشتها - الامتحان فيها - شفويا . وكان الطالب لا يحصل على درجة الليسانس إلا بعد النجاح فى هذه المادة ، حتى ولو نجح بتفوق فى جميع المواد الأخرى .

ولكن مع التوسع فى التعليم الجامعى ، وتقديمه مجانا لكل راغب فيه (وليس لكل قادر عليه) أصبح مثل هذا الشرط عسير التنفيذ ، وتدرجيا ، وعند أول تعديل للائحة بعد ثورة 1952 ، تم غض الطرف عنه . وبات تدريس الاجتماع يتم على صعيد نظرى مدرسى جاف لا يلامس الواقع إلا نادرا ، إذ من المؤكد أن الظروف لم تبخل -علينا ولا على تلاميذنا - ببعض المعلمين «الأساتذة» أصحاب الأفق النظرى الواسع ، والفكر النقدى ، والإحساس بالمسؤولية والدور الوطنى للعلم الاجتماعى ، وأخيرا - وليس آخرا - أصحاب خبرات ميدانية عريضة فى البحث الاجتماعى . ولكن لأن أمثال هؤلاء قلة أو استثناء ، فإنهم لا يكذبون القاعدة العامة ، بل يؤكدونها .

وبسبب تراكم الخبرات البحثية الميدانية لدى ذلك الجيل ، ورغم النقص الشديد فى التمويل آنذاك ، جرت عادة قسم الاجتماع فى آداب القاهرة على إجراء دراسة ميدانية كبرى مرة كل سنة . يشرف عليها طاقم من هيئة التدريس ويشارك فيها أعداد كبيرة نسبيا من الطلاب (الجميع كان يعمل متطوعا) . وأذكر من تلك البحوث دراسة مسحية عن بعض قرى محافظة الجيزة المحيطة فى الجامعة (أم خان ، كفر طهرمس ، زنين) (إشراف طلعت عيسى ، 1957) ، وأول دراسة أنثروبولوجية ميدانية يجريها فريق بحث كبير (25 طالبا + المشرف والمعيدين) على مجتمع قرية «غرب أسوان» النوبية (إشراف محمد الجوهري ، 1975) ، وأول دراسة سوسيولوجية مصرية عن سكان المقابر (إشراف محمود الكردى ومحمد الجوهري ، 1979) . والمقصود بجماعية هذه البحوث أن الطلاب والمعيدين كانوا شركاء للمشرف فى تصميم البحث ، وجمع البيانات ، والمراجعات الميدانية ، وتфриغ البيانات وإعدادها ، وإعداد التقرير النهائى .

إننى أؤكد أن اشتراط إعداد الدارس لهذا التخصص لبحث (أو رسالة مصغرة) يطبق فيها ما تعلمه من تقنيات البحث الاجتماعى ، وتكون فرصة نادرة لتدريب من يرغب لاحقا فى إعداد رسالة ماجستير أو دكتوراه فى تخصص علم الاجتماع . . أؤكد أن هذا الشرط هو عامل فعال فى النهوض بهذا التخصص على الصعيد الأكاديمى ،

ومنه إلى الصعيد الاجتماعى العام ، لأن خريجى أقسام الاجتماع هم الذين سيمارسون رسالة البحث العلمى الاجتماعى فى شتى مراكز البحوث الاجتماعية والإدارات الحكومية والمؤسسات الخاصة .

4 - هناك عامل تكميلى ، ولكنه جوهري ، لابد من أخذه فى الاعتبار إذا أردنا النهوض بهذا التخصص تأليفا وتدريسا وتطبيقا ، وأعنى به عنصر التمويل . ويمكننى أن أقول - من واقع خبرة عريضة بالإدارة الجامعية - إن ميزانيات الجامعات (وبالتالى كليات الآداب وأقسام الاجتماع) تكاد تخلو - بل هى تخلو فعلا أحيانا - من أى مخصصات لتمويل بحوث الطلاب الميدانية أو البحوث التى يمكن أن تجريها الأقسام أو الجامعات(*) . ومن الإنصاف القول إن بعض عمليات التطوير الحديثة للوائح الجامعية قد نصت على ضرورة تنظيم رحلات ميدانية أو برامج تدريب عملى أو معملى لطلاب بعض أقسام كليات الآداب : كالجغرافيا ، والتاريخ ، والمكتبات ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ... إلخ . ولكن هذه البرامج ما زالت تفتقر إلى التمويل المناسب ، وإلى تحديد وزنها النسبى فى إنجاح الطالب ومنحه رخصة مزاوله هذا التخصص . أين هذا الوضع - الرمزى - من وضع البحث الميدانى فى الخمسينيات وأوائل الستينيات كشرط حاكم للنجاح فى ليسانس الاجتماع ؟

5 - يمكن أن تطول قائمة العوامل المسؤولة عن البحث الاجتماعى بوصفه تخصصا علميا ومهنة يحتاج المجتمع إليها ، ولكننا نرى من اللازم الإشارة إلى ظاهرة استجدت خلال ثمانينيات القرن الماضى ، ولكنها ازدهرت وما زالت فى آخر عقود القرن العشرين وأول عقود هذا القرن ، وهى المكاتب المتخصصة (الخاصة) فى إجراء البحوث

(*) يمكن للقارئ أن يقدر ذلك إذا استعرضنا بنود ميزانية السلفة التى قدمتها الكلية للصرف على رحلة غرب أسوان ، والتى يتحتم الالتزام بها . وكانت إيرادات الرحلة فى مجموعها كالتالى :
أولا : سلفة كلية الآداب - جامعة القاهرة (300 جنيه) مقسمة على البنود التالية : الانتقال بالسكك الحديدية (85 جنيها) ، الانتقال الداخلية (90 جنيها) ، التغذية (100 جنيه) ، المبيت (25 جنيها) .
ثانيا : سلفة اتحاد طلاب الكلية (50 جنيها) دون تحديد بنود الإنفاق .
ثالثا : مساعدة صندوق خدمة الطلاب بالكلية (25 جنيها) .
رابعا : اشتراكات الطلاب والمشرفين (بواقع جنيهين للشخص الواحد ، بلغت 46 جنيها ، بسبب إعفاء طالبين من دفع الاشتراك) .

الاجتماعية. وواضح أن سنوات هذين العقدين هي التي شهدت تدفق الاستثمارات والقروض الدولية لتنفيذ بعض المشروعات الكبرى. ويعرف كل من له دراية بهذا العالم أن أى مشروع من هذا المستوى يجب أن يحصل على شهادة اجتماعية، تقيم بكل دقة الآثار الاجتماعية التي يمكن أن تترتب على تنفيذ مثل هذا المشروع، والفئات التي قد تتضرر من تلك الآثار السلبية، والإجراءات والسياسات التي يتعين اتباعها لمواجهة ذلك.

هذا الموضوع يبدو من الظاهر طبييا لا ضرر منه، بل قد يراه البعض تطورا صحيا لمسار البحث الاجتماعى ودفعة قوية لدعمه وازدهاره. ولكن المزيد من التدقيق سوف يكشف لنا بوضوح أن العكس هو الصحيح على طول الخط. فكثير من تلك المكاتب لا تضم أصلا باحثين محنكين على مستوى رفيع فى البحث الاجتماعى. بل إن غالبيتها مكاتب هندسية - أو حتى مكاتب تعمل فى أى مجال - «تستأجر» متخصصا لأداء المهمة بموجب عقد خاص محدود. هذا المكتب - بلا موارد - هو فى هذه الحالة يجرى البحث بنظام «المقاولة». وهذا «الخبير» الذى تعاقد يتحول بدوره إلى «مقاول من الباطن»، يستعين بعدد من الشباب الذين ليسوا فى الحقيقة باحثين، بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنهم مجرد جامعى بيانات. وفى هذه الحالة يكون «مقاول البحث» هو المسئول وحده عن رسم خطة البحث ووضع إطارها، وصياغة فروضها، وتحديد المفاهيم الإجرائية، وتصميم أدوات البحث... إلخ. إننا لسنا بصدد إدانة مثل هذا الأسلوب فى العمل، أو هذه النوعية من البحوث، لأنه من المؤكد أن هناك قلة من الأسماء التى يعرفها أهل المهنة ممن يمارسون بحوث تقويم المشروعات هذه بناء على خبرة، وفى ظل التزام علمى ووطنى صارم. ولكن للأسف هذه قلة استثنائية لا تنفى الحكم العام، بل هى التى تؤكدنا، وهى التى تثبت لنا أنه ليس من المستحيل إنجاز بحوث تقويم محترمة، حتى ولو كانت بنظام المقاولة ولحساب صاحب عمل ولهدف شكلى، هو فى النهاية الوفاء بشرط من شروط هيئات التمويل الدولية.

6 - كنت أؤمن دائما أن تخصص ومهنة البحث الاجتماعى لن ترتقى وتكسب دفعة حقيقية إلى الأمام إلا بجهود مؤسسات البحث الاجتماعى، كالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجناية، وأكاديمية البحث العلمى، والمجالس القومية المتخصصة وغيرها. كما تعاني كثير من تلك الجهات من قلة التمويل رغم ثرائها بالكفاءات. ومن انصراف

جهد باحثيها إلى إنجاز البحوث اللازمة للترقية، أو التدريس . . . إلخ دون التركيز بالقدر الكافي على البحوث الميدانية والتطبيقية.

7 - أشرت في كتابات سابقة إلى أهمية وخطورة مشكلات التأليف والنشر في مجال العلم الاجتماعي في التأثير على كيان ذلك العلم وعلى مساره في المستقبل. وقد خلصنا من ذلك العرض - الذي رصدنا فيه وضع هذه المشكلة منذ عشرين عاما، والذي ما زال ماثلا، بل إنه يتفاقم - خلصنا إلى أن وضع قضية النشر في نطاق علم الاجتماع المصرى يختلف عن وضع نفس القضية في حقل علم الاجتماع في البلاد الأكثر تقدما. فالمؤلف الأمريكى أو الأوروبى ينشر إنتاجه وتقارير بحوثه وتأملاته النظرية وسائر إسهاماته العلمية في صورة مقالات في الدوريات العلمية أساسا، بينما يتطلب تأليف الكتب الدراسية تمويلا وإمكانات ليست متاحة للجميع.

ولكن الفقر الشديد للساحة الثقافية المصرية في المجالات الثقافية والعلمية المتخصصة، علاوة على الإغراء المادى لنشر الكتب قد خلق عندنا صورة معاكسة لما يحدث في الخارج.

وكان من الطبيعى أن يؤدي ذلك إلى سير علم الاجتماع في حلقة مفرغة، فالتلخيص والترجمة وإخراج الكتب يدفع صاحبه بعيداً عن مشقة العمل الميدانى (وهو دارس مجتمع!!)، ثم إن نقص الخبرة الميدانية - بل وانعدامها كلية في أحيان كثيرة - يدفع صاحبه إلى الانكباب على تأليف الكتب المدرسية . . . وهذا بدوره يزيده بعدا عن البحث. وهكذا تكتمل الدائرة وتحكم حصارها حول أصحاب هذا العلم.

ولو أن هذا حدث في ميدان منعزل من ميادين المعرفة، أو في تخصص بعيد عن اهتمام الناس، أو في موضوع من الموضوعات التى أبلاها الكتاب، لجاز أن يمر دون أن يحدث أثرا، أو يخلق مشكلة. ولكن المأساة أن هذا التطور المؤلم قد حدث في حقل من أكثر حقول المعرفة الإنسانية حيوية وأشدها اتصالا بحياة الناس اليومية وألزمها لكل نظام مستتير وعصرى من نظم الحكم.

أما البحوث الميدانية فظلت أمدا طويلا على تخلفها، بل تعرضت في بعض الأحيان للمسح والتشويه، حيث اندفعت بعض رسائل الماجستير والدكتوراه إلى استخدام تقنيات

البحث الميداني دون تدقيق أو إتقان . وعجزت في أغلب الأحوال عن الربط الناجح والكفاء بين النظرية والبحث . إذ كان الباحث ينطلق إلى موضوعه دون رؤية نظرية مسبقة، ثم ينغمس خلال البحث في «مفردات» موضوعه وجزئياته، ولا يرى الغاية التي يمشى وسطها من كثرة الأشجار حوله . فيخرج في النهاية بنتائج جزئية لا تساهم في بلورة أى إطار، ولا تقدم إضافة لبناء العلم، ولا ترفع علم الاجتماع أو أهله درجة إلى أعلى .

خطوات على طريق النهوض بتخصص البحث الاجتماعي

سارت أبرز تلك الخطوات في اتجاهين:

الأول هو تصدى بعض الأساتذة لإعداد كتب دراسية في تخصص طرق البحث الاجتماعي . طبعي أنها تتفاوت من حيث درجة الجودة ومستوى الإحاطة والشمول وكثافة الشواهد الميدانية والنماذج التي تحتويها من بحوث اجتماعية أجريت بالفعل أو يمكن أن يجريها الدارس قارئ تلك الكتب . وعلى الرغم من كل هذا استطاعت تلك الأعمال أن تطور تخصص البحث الاجتماعي وتثريه وتفتح أمامه آفاقا جديدة . أذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - كتب عبد الباسط حسن ، ومحمد على محمد (رحمه الله) ، وعلى جليبي ، وغريب سيد أحمد، والسيد خيرى ، وفتحى أبو راضى، وعبد الحميد عبد اللطيف، وأحمد زايد، وكاتب هذه السطور ، وغيرهم .

وقد صدرت تلك الأعمال على امتداد نحو أربعين عاما، وما زال بعضها يطبع - بنفس نصه أو بعد تحديثه - حتى اليوم . ويمكن القول إنها جميعا تعاني - بما فيها مؤلف كاتب هذه السطور - من نواحي قصور تتنوع وتتفاوت جسامتها من عمل لآخر . وأشير في هذا الصدد إلى نموذجين اثنين من نواحي القصور هذه:

1 - أن النسبة الغالبة من بحوث العلوم الاجتماعية أصبحت تجرى اليوم اعتمادا على بيانات ثانوية . والسبب في ذلك تقدم أنشطة جمع البيانات بصفة دورية، أو بشكل إلزامي (كما في التعدادات) في دول العالم المتقدم وإتاحتها للباحثين بكل سهولة وبشكل مجاني تقريبا . فلم يعد الباحث مطالبا بأن يجمع - في كل مرة - بياناته بنفسه، نظرا

لوجود ذلك الكم الهائل الذى تتيحه الإدارات الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة. وكثير منها - كما سنطالع فى الكتاب الذى بين أيدينا - متاح على شبكة الإنترنت. وهذا النوع الجديد من البيانات الثانوية كان ثمرة من ثمار تقدم نظم الإحصاء والاهتمام المعاصر بجمع البيانات الرسمية المنتظمة، والتطور الهائل فى نظم رسم السياسات الاجتماعية، واستقرار نظم الحكم الديمقراطية التى تقوم على الشفافية، والمتابعة والتقييم المستمر، وأخيرا الانفجار المعلوماتى الذى حققته شبكة المعلومات الدولية.

2- برزت مؤخرا بعض الاتجاهات الجديدة فى البحث الاجتماعى التى تأخذ بمبدأ ديمقراطية البحث، أى ضرورة مراعاة بعد القوة بين الباحث والمبحث فى عملية البحث. فلم يعد الباحث هو الطرف الأقوى الأكثر علما وخبرة وحكمة، وليس المبحث مجرد «مصدر معلومات» ليس عليه سوى أن يدلى بما يسأل عنه من بيانات. المبحث لم يعد يسمى بهذا الاسم، وإنما أصبح يسمى «شريك البحث»، وهى ليست اعترافا لفظيا بدوره فحسب، وإنما تعنى أنه يجب أن يعرف - قبل أن يقرر المشاركة بالإدلاء بالبيانات - كل شيء عن موضوع البحث، وخطته، وعن مصير البيانات التى ستجمع منه... إلخ (*).

هذه الرؤية الجديدة لديمقراطية العملية البحثية أثمرت اهتماما معاصرا بالبحث الكيفى، فتغيرت النظرة إليه ولم يعد البحث الاجتماعى «استمارة» لجمع البيانات، وعمل عدد من الجداول، والكشف عن الرابطة بين بعض المتغيرات، وبلورة بعض النتائج. وقد يحدث كل هذا - بل هو يحدث أحيانا - دون أن يقودنا إلى فهم حقيقى لكل أبعاد الظاهرة المدروسة.

الثانى أن نهضة البحث الكيفى قد فتحت مجالات جديدة وقدمت أدوات جديدة مهمة وحاسمة للبحوث الاجتماعية، كفلت للباحثين المعاصرين فهم الدلالات الاجتماعية لتلك البحوث. ويأتى فى مقدمة تلك المجالات والأدوات بحوث الوثائق والبحوث التى تعتمد على السرد، أو دراسة المواد الشفاهية التى يدلى بها المشاركون (المبحوثون)، أو الحالات... إلخ، وجميعها تقنيات جديدة تكفل لنا الفهم المكتمل للظواهر والمشكلات المدروسة.

(*) انظر مثلا: هس - بيير وليفى، البحوث الكيفية فى العلوم الاجتماعية، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، (الكتاب الثالث من سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين).

سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين

نافذة للدارس العربى على التقدم العلمى

هذه السلسلة مشروع كبير لترجمة أمهات الكتب العلمية التأسيسية فى مجالات فروع العلوم الاجتماعية، وهو المشروع الذى يجرى تنفيذه فى رحاب المركز القومى للترجمة بالقاهرة، منذ أكثر من ثلاث سنوات. وقد انتهى العمل فعلا فى نحو عشرة كتب من هذه السلسلة، ساهم كاتب هذه السطور فى ستة منها (ثلاثة صدرت فعلا وثلاثة أخرى فى المطبعة الآن).

ويتبنى المشرفون على متابعة المشروع نظرة حداثية تؤمن بوحدة وتضافر العلوم الاجتماعية، التى كانت تتصارع حتى عهد قريب دفاعا عن الحدود الفاصلة بين بعضها البعض.

وعلى هذا الأساس تم تشكيل اللجنة الاستشارية القائمة على متابعة المشروع (برئاسة الدكتور فيصل يونس) وتضم أعضاء من تخصصات علم النفس، والتاريخ، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا. وهم لا يمثلون تخصصاتهم وحدها، ولكنهم يتبنون تلك النظرة التكاملية إلى العلوم الاجتماعية. ويؤكد ذلك ويدلل عليه اختياراتهم للأعمال التى تقرر فعلا ترجمتها فى إطار هذا المشروع.

والحقيقة أن مشروعا كهذا قد تأخر كثيرا؛ لأن الوطن كان يحتاج إليه أشد الاحتياج على الصعيدين الأكاديمي والاجتماعي السياسي العام. فالكتب المقرر ترجمتها يشترط فيها أن تخدم الباحثين فى تلك التخصصات وكذلك طلاب الدراسات العليا فيها. فهؤلاء يمارسون البحث العلمى - بحكم موقعهم - وعليهم أن يكونوا متابعين لأحدث تيارات البحث فى مجالهم، ولكن إمكانياتهم اللغوية الأجنبية قد لا تسعفهم، كما أن عملية إفاد البعثات الدراسية إلى الخارج قد تراجعت بشكل حاد، الأمر الذى يعنى أن تمثل كتب هذا المشروع نافذة لأولئك الباحثين والطلاب على اتجاهات العلم الحديث فى العالم. ولكن كل ذلك لا ينفى أو يتعارض مع أن تتوجه تلك الأعمال المترجمة - فى الوقت نفسه - للجمهور المثقف العام المتابع لتقافة العلم العولمى المعاصر.

أما عن رسالة هذا المشروع فقد عرضها فيصل يونس (المشرف على المشروع) موضحاً أنها تخدم عدداً من الأهداف:

- 1 - تقديم مجموعة من الكتب الأساسية في العلوم الاجتماعية تركز على النظريات والمناهج المعاصرة في العلوم الاجتماعية المختلفة.
- 2 - تمكين القراء من فهم هذه التوجهات النظرية والمنهجية واستيعابها، ومعرفة مصطلحاتها باللغة العربية للدارسين، الأمر الذي يساعدهم على التقدم، في مراحل لاحقة، إلى قراءة النصوص الأجنبية في التخصص مسلحين بفهم أعمق للمصطلح والنظرية والمنهج، مما ييسر عليهم استيعابها وفهمها.
- 3 - أن تتاح هذه الترجمات بأسعار في متناول شرائح الدارسين الأقل دخلاً بما يسهل عليهم الحصول على أكبر عدد منها.

هذا الكتاب

من الصعب أن أتحدث في هذا الحيز المحدود عن نقاط القوة التي يتميز بها هذا الكتاب، والتي يتفوق بها على سائر مداخل البحث الاجتماعي. ولذلك أدعو القارئ الكريم أن يبدأ التعرف على هذا الكتاب من المقدمة الممتازة لمؤلفيه العظيمين. وألفت النظر إلى عدد من الأدوات المساعدة التي استعان بها المؤلفان لتوصيل رسالتهما. فسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلي:

- أمثلة من الحياة الواقعية لمساعدة القارئ على فهم القضايا التي يجري طرحها في كل موضع.
- أمثلة من «بحوث أجريت فعلاً» (البحث الواقعي)، أي أمثلة من البحوث التي نفذها الباحثون الاجتماعيون بالفعل في تشكيلة عريضة ومتنوعة من فروع العلم الاجتماعي.
- مربعا أو «براويز» مخصصة لمزيد من التأمل في الموضوع (فكر في هذا الموضوع)، وهي أسئلة وأفكار من شأنها أن تحمل القارئ الدارس على التفكير بمزيد من العمق في هذا الموضوع.

• بحثك الذى تقوم به ، ويشمل ذلك: الأسئلة ، والأنشطة ، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثى الذى تجريه .

• ما هو ... أو ما هى ... : وهى تساؤلات تقدم تعريفات لمصطلحات البحث الاجتماعى .

دليل عملى للباحثين

يتناول هذا الكتاب موضوع إجراء البحث الاجتماعى ، وهو موضوع نشرت فيه مئات المؤلفات الجيدة . ولكن ما يتسم به هذا الكتاب من طبيعة عملية هى التى تمثل نقطة قوته الكبرى (سواء فى لغته الأصلية أو فى ترجمته العربية) . ويؤكد مؤلفاه على طابع الكتاب كدليل عملى يستهدف توجيه عمل الباحثين: «ورغم أنه موجه خصيصا لمن يقومون بالبحث الاجتماعى للمرة الأولى ، فإننا نتصور أن الباحثين الأكثر خبرة وتمرسا بالبحث قد يجدون فيه دليلا مثاليا لتنفيذ البحوث الأكثر تقدما والأعلى مستوى» .

ويطلب المؤلفان من القارئ أن ينظر إلى هذا الكتاب بوصفه مجموعة متكاملة من الأدلة التى تخدم المراحل الخمس المحددة لأى بحث ، وهى: 1- التفكير فى موضوع البحث ، 2- الإعداد لإجراء البحث ، 3- جمع البيانات ، 4- تحليل البيانات ، 5- عرض البيانات وكتابة تقرير البحث (وهذه المراحل الأساسية هى نفسها أبواب هذا الكتاب) .

البناء المحكم للموضوع والكتاب

هذا كتاب ضخم - بالنظر إلى وظيفته دليلا عمليا - ولكنه عمل متماسك شديد الإحكام . فهو يتكون من خمسة وثلاثين فصلا موزعة على خمسة أبواب . وهو أمر يبدو شديد التعقيد والتفريع ، ويوحى بالإغراق فى عرض تفاصيل ودقائق كل موضوعات طرق البحث وما قد تثيره من مشكلات أو صعوبات فى وجه الباحث .

ولكن اللافت أن البناء الموضوعى للكتاب قد جاء مذهلا ، بسبب إحكامه وترابط

فصوله . فأول فصول الكتاب يبنى على بقية الفصول والأبواب ويشير إليها وينبه إلى دورها ، بل إن كل فصل يحوى عشرات الإحالات إلى بقية فصول الكتاب . وهكذا الأمر فى كل حالة لأن المؤلفين يتبنيان «نظرة كلية» إلى مشروع البحث (راجع مثلا الفصل الأول من الباب الثانى ، وعشرات المواضيع الأخرى) .

هذا كتاب لعصر الإنترنت والحاسبات

تضطلع شبكة الإنترنت بدور حيوى فى دعم قارئ الكتاب بتوفير مادته العلمية فى موقع خاص على الشبكة ، وعدة مواقع لتلقى الأسئلة والتكليفات الدراسية ، واقتراح موضوعات للبحوث ... إلخ . كما يتلقى الموقع ردود الباحثين والطلاب على الأسئلة وكتاباتهم التى أجابوا فيها عن مختلف التكليفات («الواجبات») العلمية ... إلخ . كل ذلك يتم بشكل تفاعلى لا ينقطع على مدار الساعة ، ويخدم كل سكان العالم ممن يهتمون بالبحث الاجتماعى .

فضلا عن ذلك أفاض المؤلفان فى الحديث عن طرق جمع المعلومات من المبحوثين عبر الحاسب (بواسطة : الاستبيان ، والمقابلة ، وجماعات المناقشة ... إلخ) . والأهم من ذلك الوصف المسهب لاستخدام إمكانيات الحاسب ، والحرص على الاستفادة القصوى من تلك الإمكانيات (خاصة تلك التى تتيحها حزم البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية مثل SPSS وإن فيفو Nvivo وغيرها) .

وقد حرص المؤلفان على دعم شرحهما لأى فكرة أو قاعدة ، أو خطوة علمية بشواهد من البحوث والخبرات البحثية . هذا فضلا عن توجيه القارئ بشكل مستمر إلى مصادر المعلومات . ويبدى أن يحيل الكتاب القارئ إلى المواقع الإلكترونية التى يمكن أن تفيده على امتداد الفصول .

وإنى أرى أن مثل هذا التوجه نحو الشبكة ونحو الاستعانة بالحاسب ليس جديدا على الكتابات العربية فى علم الاجتماع فحسب ، ولكنه جديد وغير مسبوق - فى هذا القدر من التفصيل ودقة التوجيه - فى الكتابات الأجنبية نفسها . ومن فضول القول أن أشير إلى الجهد الذى بذل فى ترجمة مصطلحات هذا الميدان الجديد الذى تتغير مفاهيمه وعملياته كل صباح . وأرجو أن تكون النتيجة التى تحققت نافعة للقارئ ويسيرة عليه .

وبعد

إننى أنظر بغير قليل من الأسى إلى أطفال وشباب هذه الأيام وهم يمضون الساعات الطوال فى الإبحار - ليلاً ونهاراً - فى مواقع الإنترنت، بحثاً عن طرائف، ومشاهدة الأفلام والكليبات، وانغماساً على مدار اليوم فى "الدرشة" مع من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم... إلخ. إننا لا نطالب أحداً بالإقلاع عن ذلك، خاصة إذا كان لا يسمع ولن يفعل (فهو حرفياً: حاضر أمامك يسمع صوتك ولا يسمع كلماتك، وبالتالي فالاتصال من طرف واحد). كل ما نريده من خلال هذا الكتاب وأمثاله أن يقتنع الشاب اليوم أن هناك إلى جوار الاستخدامات الحالية للإنترنت، والتي تتمحور حول شتى أشكال التسلية والاستمتاع وقتل الوقت؛ هناك وظائف وخدمات مفيدة - وذات طابع علمى لا يخلو من المتعة - يمكن لكل دارس وباحث، أو حتى هاو، أن يفيد منها فى الارتقاء بمستواه العلمى وتنمية قدراته الفكرية.

والله الموفق

محمد الجوهري

القاهرة أول سبتمبر 2012

تنويه مهم للقارئ

يمكنك أن تزور موقع هذا الكتاب على شبكة الإنترنت www.pearsoned.co.uk/Mathews حيث تجد مادة تعليمية قيمة لمساعدة الطالب الذى يدرس هذا الكتاب، وتشمل:

- فيديو لاثنتين من جماعات المناقشة المركزة، تجسد أمامك هذه الطريقة المثيرة فى جمع المادة.
- فيديوهات لمقابلات، مع نص الحوار الذى دار فيها، وذلك لتدريك على عمليات تصنيف وتحليل البيانات المستخلصة من المقابلات.
- بعض العمليات الحسابية الروتينية التى تُعرض بصورة متحركة لكى تطلعك على بعض أساسيات عمليات جمع وتفسير البيانات.
- قوائم وتمارين من الكتاب، طبعت بصورة مستقلة، وذلك لكى تقوم باستيفائها، بحيث ينتهى بك الأمر إلى رؤية مشروعك بصورة مكتملة.
- تمارين على عمليات اتخاذ القرار بصورة تفاعلية تستهدف مساعدتك على اختيار أنسب طرق البحث لتنفيذ مشروعك.
- نماذج لبعض الاستبيانات الحقيقية (التي استخدمت فعلا فى بحوث سابقة)، وعينة من قاعدة بيانات بالنتائج بنظام Excel، بحيث تتيح لك التمرن على عملية وضع الأسئلة وعلى مهارات التحليل.
- روابط مفصلة لمواقع على الإنترنت خاصة ببعض الهيئات التى يمكن أن تقدم لك العون للتقدم فى مشروعك البحثى.
- مسردًا إلكترونيًا (قاموسًا مصغراً) لشرح بعض المصطلحات الأساسية.
- بطاقات خاطفة تحوى أسئلة لاختبار مدى فهمك للمصطلحات الأساسية.

شكر وتقدير

نتقدم بكل الشكر والتقدير للسادة الآتية أسماؤهم الذين تفضلوا بقراءة مخطوط الكتاب ولما قدموه من تعليقات متعمقة وبناءة ، وهو الأمر الذى أسهم فى تشكيل مضمون هذا الكتاب بالصورة التى خرج بها .

- Ann-Katrin Backlund, Lund University
Fred Cartmel, University of Glasgo
Pauline Dooley, University of Gloucestershire
Jonas Edlund, Umea University
Robert Evans, Cardiff University
Alice Feldman, University College Dublin
John Gelissen, University of Tilburg
Sheila Gilford, Staffordshire University
Jeni Harden, Edinburgh Napier University
Emma Head, Keele University
Adam Hedgecoe, University of Sussex
Monica Magadi, City University
Julian Matthews, University of Leicester
David Orr, University of Central Lancashire
Faiza Qureshi, Anglia Ruskin University
Emma Uprichard, University of York
Jon Warren, Durham University

مقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوع إجراء البحث الاجتماعى ، وهو أمر جذاب ومثير ويثرى المعرفة ، وينير العقل . وقد يستغرق القيام بالبحث الاجتماعى وقتا طويلا ، وقد يمثل تحديا للباحث ، كما قد يؤدى - فى بعض الأحيان - إلى الإحباط أيضا . وهو الطريقة التى بها نكتشف كيف يعمل العالم الاجتماعى .

وهناك كثرة من الكتب التى تدعى أنها تعلمك كيفية إجراء البحوث فى العلوم الاجتماعية . ويزعم هذا الكتاب أيضا أنه يسعى لتحقيق نفس الهدف ، فهو دليل عملى - بحق - لتوجيه عمل الباحثين ، ورغم أنه موجه خصيصا لمن يقومون بالبحث الاجتماعى للمرة الأولى ، فإننا نتصور أن الباحثين الأكثر خبرة وتمرسا بالبحث قد يجدون فيه دليلا مثاليا لتنفيذ البحوث الأكثر تقدما والأعلى مستوى .

ويقوم المؤلفان كلاهما بتدريس تخصص طرق البحث فى كلية العلوم الاجتماعية جامعة برمنجهام ، كما أنهما وظفا خبرتهما التى جمعاهما كمدرسين وباحثين ودارسين فى ابتكار كتاب يسير الفهم يأخذ بيدك مباشرة خلال العملية البحثية ابتداء من الأفكار الأولية التى تراودك عن البحث وانتهاء باستكمال تنفيذ المشروع ، سواء أكان هذا المشروع رسالة علمية مجازة أو كان عملا منشورا ، فى صورة كتاب أو مقال علمى أو نحو ذلك . وعلى امتداد هذا الطريق ستجد أمثلة مستمدة من عدد كبير من مختلف مجالات العلم الاجتماعى التى توضح كيفية استخدام البحث فى «العالم الواقعى» ، وتستعرض الفرص المتاحة لك لترى كيف يمكنك الانتفاع بهذه التقنيات (الأساليب الفنية) فى مشروعك البحثى .

وليس هذا الكتاب مصمما ليقرأ من الغلاف للغلاف فى جلسة واحدة . فالأحرى أن نتصوره باعتباره مجموعة متكاملة من الأدلة (جمع دليل) التى تخدم خمس مراحل محددة للبحث هى :

- التفكير فى موضوع البحث .
- الإعداد لإجراء البحث .
- جمع البيانات .

• تحليل البيانات .

• عرض البيانات وكتابة تقرير البحث .

ويضم كل باب من أبواب الكتاب عددًا من الفصول المترابطة . وعلى امتداد الكتاب كله ستجد إحالات إلى فصول أخرى في الكتاب (مثلا: الفصل 2 من الباب 1 ، والفصل 3 من الباب 2 ، والفصل 4 من الباب 3 . . . وهكذا) ، ومن شأن ذلك أن يساعدك على تحقيق أفضل استفادة ممكنة من دراستك لهذا الكتاب .

وسوف تتبين على امتداد هذا الكتاب أننا ننظر إلى البحث باعتباره عملية ، أى مهمة مستمرة (رغم أنها مؤلفة من مراحل مترابطة قليلة العدد) ومتواصلة مع بعضها . ومن شأن ذلك أن يساعد القارئ على أن يدرك - مثلا - أن من المحال الاكتفاء بجمع البيانات «فقط» . فلا بد أن يفهم الباحث أن هذه المعلومات وهذا البحث لا يوجدان فى فراغ ، بل يعتبران جزءًا من كل أكبر حجما يندرج فيه أسلوب تفكيرنا فى أنفسنا وفى عالمنا الاجتماعى ، وفى أفكارنا وآرائنا النظرية ، كما تندرج فيه القضايا العملية ذات الطبيعة الأكثر مباشرة ، مثل قضية تصميم الاستبيان أو تحليل البيانات الإحصائية . ويتم التأكيد طوال الكتاب على أهمية هذه الصلات وعلاقات الارتباط بأسلوب يساعد القارئ على أن يستوعب كلا من الدلالات الفردية لكل جزئية والطريقة التى بها تترابط هذه الجزئيات بعضها ببعض .

ويمكن القول - على وجه العموم - إن ما يتسم به هذا الكتاب من طبيعة عملية هى التى تمثل نقطة قوته الكبرى ، إذ إنه قادر على إدراك كيف تستخدم الكتب الأخرى مختلف النظريات والتقنيات (وكيف تعمل تلك النظريات والتقنيات معا) لزيادة فهمنا لطريقة عمل العالم الاجتماعى الذى نعيش فيه ، ولتغيير ذلك العالم بطبيعة الأمر ، جنبا إلى جنب التفكير فى الطريقة التى بها تستطيع القيام ببحثك الخاص بك .

وسوف يجد الطلبة الجامعيون الذين يكتبون البحث العلمى الخاص بسنة التخرج أن هذا الكتاب سوف يفيدهم فعلا . ولا تقتصر هذه الفائدة على كونه دليلا توجيهيا لطريقة إجراء البحث ، وإنما يضم - فوق هذا - ذلك الباب الخاص بعرض نتائج بحثك بعدة طرق وأساليب مفيدة ، ويدعم بشكل عام مجمل عملية كتابة تقرير الرسالة العلمية وعرض ما انتهت إليه من نتائج .

هذا الكتاب

هذا كتاب غير تقليدى إلى حد ما ، لأنه لم يكتب ، كما هو شائع فى كتابة الكتب ، إما فى صورة عدد كبير من الفصول المترابطة ترابطا ملموسا ، وإما فى صورة قائمة بالأساليب المختلفة لجمع البيانات . بل إن هذا الكتاب يأخذ القارئ فى رحلة - يوجه فيها هذا القارئ نفسه بنفسه - خلال الأبواب الخمسة للعملية البحثية . إذ يستطيع كل قارئ أن يتخذ لنفسه المسار الذى يناسبه ويختاره هو . ورغم أننا نوصى بأن تستهل عمك -فعلا- ببداية هذا الكتاب ، فإن من المحتمل أن ينتهى بك الأمر عند مرحلة مختلفة عن المراحل التى ينتهى عندها الآخرون ، وهو الأمر الذى يتوقف على متطلبات مشروعك البحثى .

الباب الأول: التفكير فى موضوع البحث

هذا الباب معنى بسلسلة من القضايا المترابطة ، التى تدور بالأساس حول طبيعة العملية البحثية ، حيث تُناقش - فى أول الأمر - طبيعة البحث مع إبراز أهمية ضمان إنجاز البحث بمستوى عال من الجودة . ويعقب هذا فصل يتناول النظريات والنماذج والتوجهات الفكرية ، ثم يربط هذه الأمور غير الملموسة بالعالم الواقعى للممارسة البحثية . بعد ذلك نحاول إمعان النظر فى الطبيعة المعقدة للبيانات جنباً إلى جنب النظر فى أساليب استخدام هذه البيانات فى إثراء فهمنا أو تصوراتنا للحياة الاجتماعية . ويدور الفصل التالى عليه - وهو فى الفصل الرابع من الباب الأول - حول البحث فى الأساليب التى بها يمكننا طرح الأسئلة ذات المغزى وصياغة التعريفات الإجرائية الواضحة التى يتعين بلورتها إذا تقرر لعملنا هذا أن يكون موضع اعتداد الآخرين وأن يكون مفهوما لهم . ويقوم الفصل الأخير من هذا الباب بتأمل القضايا الأخلاقية والثقافية الواردة فى البحث ، وفحص الأساليب التى يتعين اتباعها فى معالجة هذه القضايا لضمان الالتزام بالإجراءات السليمة فى معاملة المشاركين فى البحث (أى المبحوثين) بالتوفير والاحترام ، ولضمان عدم تعريض الأفراد ذوى الظروف الحساسة أو الخاصة لأى خطر ، ولضمان ألا يلحقنا - كباحثين - أو يلحق الآخرين أى أذى .

الباب الثانى : الإعداد لإجراء البحث

هذا الباب يصحب القارئ خلال أولى مراحل «الشغل» فى البحث، حيث يبدأ بمعالجة كيف تخطط مشروعك وينتقل إلى عملية استعراض التراث العلمى المنشور حول موضوع البحث، وهو جزء من أهم أجزاء عملية إجراء أى بحث. ويناقد هذا الفصل عملية ابتكار نوع من المراجعة النقدية للتراث العلمى حول الموضوع، محاولاً أن يغطى كل القضايا الخاصة بكيفية العثور على المعلومات، وكيف تقيّمها، وكيف نضمّن تقرير البحث فصلاً مفيداً لاستعراض التراث العلمى المنشور حول الموضوع. وتقوم بقية فصول هذا الباب بإلقاء الضوء على مختلف تصميمات البحث، حيث تبحث هذه الفصول كيف يمكنك توظيف هذه التصميمات لصالح بحثك، كما تقوم بتقليب أوجه النظر فى موضوع كيفية اختيار طرق البحث التى تتلاءم مع مشروعك البحثى. كما أنه من الطبيعى أن تتناول هذه الفصول المعركة الفكرية المتواصلة بين «المناهج الكيفية فى مواجهة المناهج الكمية»، وكذلك مناهج البحث المختلفة التى تجمع بين الكيفى والكمى. وينتهى هذا الباب من الكتاب بفصول تتناول موضوع اختيار العينة، وهو الأمر الذى تكون الإحاطة به ذات أهمية خاصة إذا كنت تريد أن تستخرج بعض التصميمات من بحثك، كما تتناول هذه الفصول موضوع كيف تكتب خطة البحث.

الباب الثالث: جمع البيانات

يتحدث الباب الثالث عن عمليات جمع البيانات ويناقد مسألة المهارات المطلوبة لهذا الجزء ذى الطابع العملى الشديد من أجزاء العملية البحثية. ثم ينتقل بعد ذلك إلى بحث أهم أساليب جمع البيانات، والتى تضم استخدام الاستبيانات، وجماعات المناقشة المركزة، والمقابلات، والملاحظة، والوثائق، والصور القلمية الموجزة vignettes، والبيانات الثانوية، وجمع البيانات السردية. ويحتوى كل فصل من فصول هذا الباب على تفصيلات عن العمليات المذكورة فيه، وعلى نماذج من البحوث الواقعية، وعلى مزايا ومثالب (عيوب) كل أداة من هذه الأدوات. وقد عرضنا كل فصل من هذه الفصول على نحو يسمح لكل قارئ أن يختار الأسلوب الأكثر ملاءمة لبحثه. وتتضمن

هذه الفصول تمرينات تفاعلية وتمرينات تأملية مجتمعة معا بجانب أمثلة متعددة مستمدة من الحياة الواقعية لمساعدتك على فهم هذه القضايا المعقدة وعلى تحديد الاختيارات المناسبة لعملك . ينتهى هذا الباب بفصل عن جمع البيانات إلكترونيا (أى: عبر استعمال الكمبيوتر) وهو مجال يتنامى بوتيرة متسارعة .

الباب الرابع: تحليل البيانات

نعتقد أن هذا الباب الرابع من الكتاب هو أشد أجزاء الكتاب تعقيداً . ولا يقتصر هدف هذا الباب على وصف الإجراءات الضرورية لتحليل البيانات ، بل يشتمل كذلك على ضمان أن يكون لهذا التحليل هدف معين يسعى إليه . وهكذا ينتهى الباب بفصل (الفصل العاشر من الباب الرابع) يتناول موضوع استخلاص النتائج ويكفل ألا يتساءل الناس قائلين «وماذا بعد؟» عندما يطلعون على نتائج أحد المشروعات البحثية .

ومع ذلك فإن مستهل هذا الباب يتطرق إلى الحديث عن الأسباب الداعية للتحليل (إذ يبدو أن كثيراً من الباحثين يتصورون أنه يكفي جمع البيانات وعرضها . ولكن الأمر ليس كذلك أبداً) . كما يستعرض الأسس التى تقوم عليها هذه العملية . وينتقل هذا الباب ليتناول فى فصل مستقل كيفية التعامل مع البيانات التى نجمها ، وهو الفصل الذى يولى اهتماما خاصا للفروق والاختلافات بين البيانات المقننة والبيانات غير المقننة ، كما يتناول كيفية التصرف فى بياناتك . وينتقل بعد ذلك - من خلال مجموعة من الفصول - إلى تناول الأساليب والإجراءات المختلفة للتحليل . والمجالات الرئيسية التى عرضنا لها هى: مجال التحليل الإحصائى (الفصل الثالث) ومجال تحليل الفكرة المحورية لموضوع البحث (فى الفصل الرابع) ، حيث إن هذين النوعين من التحليل هما أكثر الأساليب شيوعاً لدى الباحثين . وثمة فصول أخرى تتناول أساليب التحليل الأخرى التى تشمل - من بين ما تشمل - أسلوب التحليل السردى ، وتحليل الخطاب ، وتحليل المضمون ، والنظرية الموثقة . ويضطلع فصل مستقل بمهمة تأمل موضوع استخدام الكمبيوتر فى كل من التحليل الكمي والتحليل الكيفي .

الباب الخامس: عرض البيانات وكتابة تقرير البحث

يتحدث هذا الباب الأخير من الكتاب عما يتعين أن يحدث بعد أن يتم استكمال البحث نفسه، أعنى بذلك ما يتعين عمله بالنتائج، بدءًا بمناقشة أهمية الجمهور الموجه إليه البحث، وهى خطوة أولى وحاسمة فى كيفية عرض بياناتك داخل أطر مختلفة وبيئات مختلفة، وكيفية تقديمها لأفراد مختلفين.

يتناول الفصل الثانى من هذا الباب موضوع الكتابة والبحث. وهو يولى اهتماما خاصا بالتقنيات العملية ويقدم نصائح وتوجيهات فيما يتصل بكتابة تقارير البحوث والرسائل العلمية الجامعية. كما يعالج أسباب قيامنا بهذه المهام والأنشطة المختلفة، وكيفية تنظيمك وتخطيطك لهذا النوع من العمل. ويمكن للأمتلة والدروس المستمدة من هذا الفصل أن تطبق بطريقة مفيدة على معظم ما يقوم به الدارسون من كتابة التقارير والحكم على قيمتها العلمية والعملية.

ويعنى الفصل الثالث من هذا الباب بالنظر فى التقنيات الخاصة بعرض البيانات مع تأكيد خاص على الممارسات التى تشهد حاليا مزيدا من الرواج والانتشار، والتى تضم: أشكال العرض الشفاهى، وأشكال العرض باستعمال المصقات. ويتناول الفصل الأخير من هذا الباب موضوع نشر بحثك بين جمهور أوسع نطاقا، كما يلفت النظر إلى أن المشروع البحثى لا يمكن فى الواقع أن يكون كاملا ونهائيا أبدا، إذ يوجد على الدوام مجال لإجراء مزيد من البحوث فى المستقبل.

وسوف تجد على امتداد هذا الكتاب ما يلى:

- أمثلة من الحياة الواقعية لمساعدتك على فهم القضايا التى يجرى طرحها فى كل موضع.
- أمثلة من "بحوث أجريت فعلا" (البحث الواقعى)، أى أمثلة من البحوث التى نفذها الباحثون الاجتماعيون بالفعل فى تشكيلة عريضة متنوعة من فروع العلم الاجتماعى.
- مربعات أو "براويز" مخصصة لمزيد من التأمل فى الموضوع (فكر فى هذا

الموضوع)، وهى أسئلة وأفكار من شأنها أن تحملك على التفكير بمزيد من العمق فى هذا الموضوع .

• بحثك الذى تقوم به ، ويشمل ذلك: الأسئلة، والأنشطة، وقوائم المراجعة والفحص المقدمة لك للانتفاع بها فى مساعدتك فى التفكير على امتداد خطوات المشروع البحثى الذى تجربيه .

• ما هو... أو ما هى... : وهى تساؤلات تقدم تعريفات لمصطلحات البحث الاجتماعى .

إننا واثقون من أنك ستجد هذا الكتاب سهل التناول وافيا فى عرضه ، ونافعاً لك فى عملك . ونأمل أن يؤول بك الأمر إلى أن تفهم حقيقة البحث الاجتماعى ، وتوفيه حق قدره ، وتستمتع بممارسته .

الباب الأول

التفكير في موضوع البحث

الفصل الأول: ما البحث؟

الفصل الثاني: المعرفة، والنظريات، والنماذج، والتوجهات الفكرية.

الفصل الثالث: طبيعة البيانات.

الفصل الرابع: أسئلة البحث، وفروضه، وتعريفاته الإجرائية.

الفصل الخامس: البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية.

الفصل الأول

ما البحث؟

محتويات الفصل

- ماهية البحث .
- تعريفات البحث .
- أسباب إجراء البحث .
- الخصائص المميزة للبحث .
- جودة البحث .
- من هم الباحثون الاجتماعيون؟
- الطريق نحو الأمام .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

ما الذى نعينه بالبحث الاجتماعى ، ولماذا نقوم به؟ فى هذا الفصل التمهيدى نبدأ بالتأمل فى هذه المسائل عن طريق التفكير فيما نعينه بالبحث ، والتفكير فى بعض التعريفات . وسوف نطرح على القارئ بعض خصائص البحث الاجتماعى وبعض أهدافه ، ونرى أن من المفيد التفكير فى البحث الاجتماعى باعتباره عملية تحتاج إلى تخطيط وتنظيم محكم . كيف لنا أن نعرف أن بحثنا الاجتماعى جيد بأى درجات الجودة؟ ولهذا سوف نقترح هنا المعايير المستخدمة فى التحقق من جودة البحث الاجتماعى .

ثمة إحساس ما بأننا جميعا باحثون . ففي كل يوم نطرح أسئلة ونتطلع إلى الحصول على إجابات عليها، أو نبحث عن تلك الإجابات . من ذلك مثلا:

- كيف أصل إلى المركز الرياضى؟
- ما الذى سأتناوله فى الغداء؟
- إلى أين سنذهب لقضاء أيام العطلة؟
- لماذا أصبت بالصداع؟

فى بعض الحالات نعرف أين نجد الإجابة، وفى حالات أخرى يتعين علينا أن نبحث الموضوع محل التساؤل أو نتفحصه بمزيد من التعمق لكى نتمكن من الحصول على الإجابة المنشودة . أما كيف نكتشف المزيد من المعرفة بالموضوع فيعتمد على ما لدينا من إمكانيات وموارد: كالكتب، والخرائط، والإنترنت . . وما إلى ذلك . كما نعتمد فى ذلك على وجود أفراد نستطيع أن نسألهم، وكذلك على خبرتنا السابقة بهذا الموضوع .

ومع أننا جميعا على ألفة بهذا البحث الشخصى الذى نمارسه فى حياتنا اليومية، فإنه لا يكفى لكى يؤهلنا - اللهم إلا قليلا - للوفاء بمتطلبات وتحديات البحث الاجتماعى الذى سيمكننا من طرح الأسئلة واكتساب المعرفة بالعالم الاجتماعى الذى نحن جزء منه، وفهمه . وفى هذا الفصل نقدم بعض الخصائص الأساسية لتلك البحوث الاجتماعية ونمنع النظر فيما نعنيه بجودة البحث (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) .

ماهية البحث

إن التحدث عن كيفية القيام بالبحث أيسر من التحدث عن ماهية البحث . ويرجع ذلك - جزئيا - إلى أننا جميعا نتصور أننا نعرف ما البحث، ولذلك لا نشعر غالبا بأى ضرورة لتعريفه تعريفا دقيقا، وهو تصور ليس مفيدا على الدوام . إن التعريف «بكيفية» القيام بالبحث هى الهدف الأساسى لهذا الكتاب، لذلك فإننا لا ننوى مناقشة هذا الموضوع الآن .

فكر فى هذا الموضوع

ما أهمية البحث ؟

البحث فى العلوم الاجتماعية أمر متميز أشد التميز: فهو عملية (سوف نعود لشرح هذا المصطلح المهم فيما بعد) نستخدمها لفهم عالمنا بأسلوب يتجاوز كثيراً مستوى الوصف البسيط، أو الفهم الشائع، أو الحكاية. (Pole and Lampard, 2002, 21)

إن البحث قد لا يزدنا دائماً بالنتائج التى نتوقعها أو نريدها، بل يعطينا شيئاً مما أشار إليه تولكين J.R.R. Tolkein مؤلف "ملك الخواتم" The Lord of the Rings عندما قال: (وعلى نحو يستحق التقدير):

"... ليس أمامك سوى البحث، إن كنت تريد اكتشاف شيء ما. ومن المؤكد أنك سوف تكتشف - بعد أن تقوم بالبحث - شيئاً ما عادة، إلا أنه لا يكون دائماً نفس الشيء الذى كنت تسعى للوصول إليه".

وعلى مستوى المبادئ الأساسية نؤكد أن البحث هو العملية (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) التى نقوم بها عندما:

- يكون لدينا سؤال مطلوب الإجابة عنه.
- ونحتاج لتحصيل معرفة بشأنه.
- ونريد أن نوسع نطاق فهمنا للعالم الاجتماعى.

تعريفات البحث

تماماً، كما أن البحث يتم إجراؤه فى تشكيلة متنوعة من الظروف والبيئات وبواسطة أفراد لهم تصورات متباينة فيما يتصل بإجراء البحث ولهم دواع مختلفة للقيام به؛ فلكذلك توجد تشكيلة متنوعة من طرق تعريف عملية البحث نفسها. وسوف نكتفى هنا بتقديم مجموعة مختارة من التعريفات فى البرواز المعنون: «ما هو...» أدناه.

ما : البحث؟

(1) ... هو الاستقصاء المنظم، والمنضبط والإمبيريقي^(*)، والنقدى للفروض التى توضع بشأن بعض العلاقات التى يفترض وجودها بين الظواهر (Kerlinger 1970, 8).

(2) «البحث» فى مفهوم اللائحة التى تنظم عملية «تقييم البحوث الجامعية فى المملكة المتحدة»^(**) هو: عملية استقصاء أصيل (مبتكر) يتم القيام به من أجل تحصيل المعرفة وبلوغ الفهم. ويغضى مثل هذا البحث أموراً تتصل مباشرة باحتياجات التجارة، والصناعة، وبأعمال كل من القطاع العام والقطاع التطوعى، وبقضايا الدرس العلمى، وباختراع وتوليد الأفكار، والصور الذهنية، وقنون الأداء، والأعمال الفنية التى تقوم على التصميم الفنى؛ وهى الأمور التى تؤدى للوصول إلى رؤى جديدة تنسم بالعمق والإنقان الفائق. كما يشمل هذا الاستقصاء الانتفاع

(*) empirical وقد فضلنا إمبيريقى على خبروى أو تجربى أو واقعى. ويستخدم المصطلح فى علم الاجتماع استخداماً فضفاضاً فى الغالب، لوصف نوع من التوجه فى البحث يؤكد أهمية جميع الحقائق والملاحظات على حساب تأمل المفاهيم والبحث النظرى. أما النزعة الإمبيريقية بمعناها الدقيق فهى الاسم الذى أطلق على التراث الفلسفى الذى تطور - فى صورته الحديثة - فى سياق الثورة العلمية التى شهدها القرن السابع.

وقد شهد مفهوم الإمبيريقية تطوراً خصباً منذ ذلك الحين وحتى القرن العشرين. فقد اتجه الشكل المتميز من إمبيريقية القرن العشرين، وهو ما عرف باسم الإمبيريقية المنطقية أو الوضعية المنطقية عند جماعة فيينا، اتجه إلى مسايرة مظاهر عدم اليقين العميق التى روجتها ثورة أول القرن العشرين فى ميدان علم الفيزياء. ويمكن القول على وجه العموم إن أصحاب النزعة الإمبيريقية قد رفعوا مستوى التحقق الإمبيريقى كوسيلة للدفاع عن العلم، وللتصدى لمزاعم الميتافيزيقا واللاهوت فى المقام الأول، ثم مواجهة المزاعم والأفكار شبه العلمية المعاصرة كالماركسية والتحليل النفسى. وكانت مشكلتها الرئيسية هى أن تؤدى هذه المهمة دون أن تقضى على كل، أو غالبية، أنواع المعرفة العلمية الحقيقية باستخدام نفس المعيار. انظر المزيد فى مادة الإمبيريقية فى موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وزملاؤه، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٢. (المترجم)

(**) RAE = Research Assessment Exercise.

بالمعرفة المتوفرة فعلا في عمليات التطوير التجريبي التي تستهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسنة تحسينا فائقا وإنتاج معدات ومنتجات وعمليات جديدة ، بما تنطوى عليه من تصميم وتشيد (تنفيذ). ومن شأن هذا الاستقصاء أن يستبعد من نطاق اهتمامه مجال الاختبار الروتيني والتحليل الروتيني لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليات الخاصة بالالتزام بالمعايير القومية (للجودة مثلا) ، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة . كما يستبعد هذا الاستقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التي لا تنطوى على أى بحث مبتكر (www.rae.ac.uk, 2008) .

(3) البحث عملية تدريجية تتضمن جمع المعلومات وفحصها ونحن نقوم بالبحث كي نحسن معرفتنا بالعالم الذى نعيش فيه وفهمنا له . ويتضمن البحث - فى الغالب- اكتشاف شيء جديد .

<http://info.cancerresearch.uk.org/cancerandresearch/whatisresearch>

(4) البحث هو تنقيب أو استقصاء موجه لاكتشاف حقيقة ما عن طريق التأمل الدقيق أو الدراسة الدقيقة لموضوع ما . فهو مسار للدرس النقدي أو العلمى . وهو يعنى التنقيب (أو التفتيش) عن مادة أو موضوع معين: أى استقصاؤه أو دراسته على نحو دقيق (OED, 1989).

فكر فى هذا الموضوع

ما الأمور أو العناصر المشتركة بين هذه التعريفات ؟ اكتب تعريفك الخاص للبحث ، وذلك اعتمادا على السمات الأساسية الواردة فى المجموعة التى أوردناها من التعريفات .

تضمن كل تعريف مما ذكرنا سابقا تعريف البحث باعتباره «عملية» أو ممارسة نستطيع بفضلها توسيع نطاق معرفتنا أو العثور على إجابات على أسئلتنا . ومن الأمور ذات الأهمية الحاسمة هنا ، أن هذه العملية قابلة للنقل أو التحويل ؛ وأعنى

بذلك أنها لا تقتصر - فى العادة - على موضوع البحث أو على الباحث. وهذه
نعمة من الله: إذ لا يتوجب علينا - على الأقل - أن نعيد اختراع العجلة فى كل مرة
نشرع فيها فى إجراء بحث جديد.

أسباب إجراء البحث

يقوم الباحثون بإجراء البحوث لأسباب كثيرة: فقد تكون لدينا فكرة ما عن أمر
معين، ونريد أن نعرف ما إذا كانت صحيحة أم لا. مثال ذلك أننا قد نعتقد أن حوادث
السطو على المنازل تزداد معدلات حدوثها عندما تحدث زيادة فى معدلات البطالة.
ولكن إلى أن نجمع البيانات ونحللها لإثبات أو دحض هذه الفكرة، لا يكون بإمكاننا أن
نعرف الحقيقة على وجه لا ريب فيه.

البحث الواقعى

السطو على المنازل والبطالة

تنشر وزارة الداخلية «المسح الاجتماعى للجريمة فى بريطانيا» كل سنة. وفى
سنة 2001 أمعن «تريسي بُد» Tracey Budd النظر فى بيانات هذا المسح وأثبت
أن حوادث السطو على المنازل تزداد فى المناطق التى تعاني معدلات مرتفعة من
البطالة. للاطلاع على مزيد من التفاصيل انظر: www.homeoffice.gov.uk/rds/prgrpdfs/brf501.pdf.

ولكننا قد نحتاج لتوظيف البحث لأغراض أخرى كذلك. فقد نحتاج - مثلاً - إلى
التأكد من أسباب حدوث واقعة معينة، أو قد نحتاج إلى فهم المزيد عن الطريقة التى بها
يستجيب الناس للمثيرات والمحفزات الاجتماعية. ولا يوجد - فى الواقع - حد لما يمكننا
بحثه، وذلك على الرغم من وجود بعض العوامل الخارجية (كعامل الوقت وعامل
المال) التى يمكن أن تحد من قدرتنا على إجراء البحث.

الخصائص المميزة للبحث

تعد عملية البحث ، من نواح عديدة ، عملية في غاية البساطة ، إذ إن بالإمكان النظر إليها - في أبسط صورها - باعتبار أنها تتكون من ثلاثة عناصر فقط هي:

1 - السؤال .

2 - عملية البحث .

3 - الإجابة .

ولا ريب أن العنصر رقم (2) هو أشد العناصر تعقيداً ، كما أنه يمثل الهدف الرئيسي لهذا الكتاب (رغم أن أسئلة البحث تعتبر هي الأخرى عنصراً ذا أهمية حاسمة ، وسوف نتطرق إلى مناقشتها في بعض فصول هذا الكتاب ، خاصة الفصل الرابع من هذا الباب).

ما طبيعة البحث؟

طبيعة البحث أنه:

- مقنن وهادف (في جمعه للبيانات وفي تفسيره لها).
- صارم في دقته .
- متين وقابل للدفاع عنه .
- منظم منهجياً .

طبيعة البحث أنه ليس:

- مجرد جمع المعلومات أو الحقائق (وذلك على الرغم من أن هذا الجمع قد يكون عنصراً مهماً من عناصر هذه العملية).
- منفصلاً عن الحياة العملية : فبعض البحوث تتناول الأفكار المجردة أو بلورة النظريات ، وتقوم أنماط أخرى من البحوث بالسعى لتغيير العالم «الواقعي» وتغيير إحساسنا به أو معاشتنا له ، وغالباً ما يكون هذا التغيير نحو الأفضل .

مقنن وهادف

إن البحث ليس مجرد أمر «يحدث فحسب». بل ينبغي أن يكون له هدف على الدوام. (وهذا لا يعنى بالضرورة أنه لا بد أن يكون لنتائج البحث تطبيقاً عملياً، رغم أن كثيراً من البحوث لا بد أن تكون كذلك. فالتنقيب عن المعرفة المجردة يعد هو الآخر سبباً مشروعاً للقيام بالبحث). ولا يعنى هذا أن الوصف، أو الحكاية، أو الفهم الشائع لا قيمة لها ولا جدوى، فهي تشكل إسهاماً له أهميته لفهمنا للعالم. إلا أن البحث ينبغي أن يقدم المعرفة التي تكون متينة، ويمكن الدفاع عنها، ومفيدة أيضاً (Pole and Lampard 2002, 2).

صارم فى دقته

ينبغي أن يُخطط البحث وأن يُنفذ بشكل دقيق و صارم، ولا يقتصر ذلك على المجالات الواضحة المتعلقة بجمع البيانات وتحليلها، بل يشمل كذلك تلك الأمور الأخرى كالنصميم (الفصل 3 من الباب 2) والاعتبارات الأخلاقية (الفصل 5 من الباب 1).

متين وقابل للدفاع عنه

غالباً ما يكون البحث (خاصة البحث الجامعى) عرضة للنقد من زملائنا أو من جانب المشرفين علينا المكلفين بتقييم بحوثنا كطلاب ووضع درجات لها؛ لذلك لا بد لبحثنا أن يكون قوياً فى كل عناصره سواء من حيث التصور العام، أو من حيث التصميم والتنفيذ، بحيث يستطيع منتقدونا أن يفهموا كيف خلصنا إلى ما توصلنا إليه من نتائج، وبحيث يستطيع الباحث أن يدافع عن تلك النتائج.

منظم منهجياً

يعنى هذا المصطلح المهم - ببساطة - أن كل شيء جرى تناوله فى البحث (الذى يمكن أن يكون أفراداً، أو حالات، أو مجموعات بيانات مثلاً) هذا الشيء قد تم معالجته بنفس الطريقة.

ليس مجرد عملية جمع حقائق

ليس البحث مجرد عملية جمع حقائق و/أو بيانات وتجميعها معاً ووصفها، إنما هو أكثر من ذلك كثيراً. كما أنه ينصب - عادة - على التفسير، إلى جانب الوصف التفصيلي أيضاً.

جودة البحث

حتى نستطيع أن نقول إن بحثنا صارم في دقته ومتين ، يتعين علينا أن نعمن التفكير في قضية الجودة . فما البحث الجيد؟

يمكن للبحوث أن تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الموضوع الذي تتناوله ، والاتجاه النظرى الذى تتبناه ، واختيار طرق جمع البيانات ... ونحو ذلك ؛ إلا أن هناك - مع ذلك - بعض المفاهيم الأساسية التى تساعد الباحثين على ضمان أن يستوفى بحثهم معايير الجودة التى يتوقعها غيرهم من الباحثين (والتي يتوقعها - فى حالة الطلاب - أساتذتهم المشرفون على مشروعاتهم البحثية) .

البحث الواقعى

معايير جودة البحث

قام بيكر Becker وزملاؤه (2006) بتنفيذ مشروع بحثى معقد لتحديد "الجودة" فى بحوث السياسة الاجتماعية . وقد استعملوا عدة طرق بحثية مختلفة ، والتى منها طريقة المسح الاجتماعى الإلكترونى (عبر الاتصال بالكمبيوتر) ، وجماعات المناقشة (المركزة) . وكان مجتمع البحث مكونا من الأساتذة الجامعيين المعنيين بميدان السياسة الاجتماعية . وقد نشر بيكر وفريقه (2006 ، ص5) قائمة تضمنت 36 معيارا من معايير الجودة مرتبة حسب أهميتها . وكانت المعايير الخمسة التى جاءت على رأس القائمة هى:

- 1- أن يكون البحث مكتوبا بطرق تكون مفهومة لدى الجمهور المخاطب بالبحث .
- 2- تصميم البحث على نحو يضمن تركيزه بوضوح على سؤال البحث (أو أسئلته) .
- 3- الشفافية فى عمليات جمع البيانات وتحليلها .
- 4- وصف واضح للطريقة التى أجرى بها البحث .
- 5- أن يقدم البحث إسهاما إلى المعرفة .

مفاهيم الجودة

فى البحث الاجتماعى توجد أربعة عناصر أساسية لجودة البحث . وسوف نقدم هذه العناصر هنا ، كما سنعود إلى مناقشتها لاحقاً (فى الفصل 3 من الباب 1) . وتشمل هذه العناصر الأساس الذى تقوم عليه «اختبارات جودة البحث» التى ستصادفها عند كل المراحل الأساسية على امتداد هذا الكتاب .

الثبات المنهجى أو الاعتمادية (كما يسمى أحياناً: «القابلية للتكرار»)

يتعين عليك - فى حقيقة الأمر - أن تطرح السؤال التالى بخصوص البحث الذى تنوى إجراءه ، وهو:

«هل يمكن لتنتائج بحثى أن تتكرر بمعرفة باحثين آخرين يستعملون نفس طرق

البحث؟»

ويتوقع الباحثون فى العلوم الطبيعية - كعلم الفيزياء أو الكيمياء - مثلاً - أن يحصلوا فى العادة على نفس النتائج تماماً عند إعادة نفس التجربة (ومع ذلك انظر البرواز الوارد فيما بعد عن «البحث الواقعى» تحت عنوان «ماذا حدث للاندماج النووى البارد؟» .

أما فى العلوم الاجتماعية فإننا نتعامل - فى الأغلب - مع البشر ، وليس مع الكيماويات أو الأوزان الساقطة . وكل شخص هو فرد ومختلف . ولهذا السبب لن يتوقع باحث سليم العقل الوصول إلى نفس النتيجة تماماً (عند تكرار بحث ما) ، بل ينبغى أن تكون هذه النتيجة متشابهة بالنسبة للمجموعات المتشابهة من الأفراد . ومن الأمور المهمة هنا أن هذا البحث الثابت (منهجياً) الذى يعتد به ليس خصيصة فى الباحث ، بل ينبغى لأى باحث أن يستعمل نفس طرق البحث على مجموعة متشابهة من الأفراد إذا أراد أن يتوصل إلى نتائج مشابهة . فالأمر الذى يعيننا فى البحث الاجتماعى هو

أن على الباحثين الآخرين أن يتوقعوا الحصول على نفس النتائج إن هم نفذوا البحث باستعمال نفس الطرق ، أو يتوقع الباحث الحصول على نفس النتائج إن هو حاول تكرار البحث بنفس الطريقة.

البحث الواقعي

ماذا حدث للاندماج النووي البارد؟

فى سنة 1989 أعلن اثنان من علماء الفيزياء - فى سولت ليك سيتى بولاية يوتا - الولايات المتحدة - أنهما قد توصلا للمرة الأولى إلى إحداث الاندماج النووى المحكوم داخل قنينة زجاجية فى معملهما (وكانت قد جرت العادة أن ينفذ هذا الاندماج إما فى الشمس - كالتقابل الذرية - أو داخل مفاعل نووى بالغ الضخامة، وفائق التخصص، والخطورة أيضا). وقد كانت الحرارة المتولدة من هذه التجربة إيذانا بالتوصل إلى مصدر جديد للطاقة لاستخدام سكان الأرض، وإيذانا كذلك بنهاية ظاهرة الاحتباس الحرارى الكونى، وبشرى كذلك بالحصول على عوائد مالية ضخمة.

ولسوء الحظ عجز علماء الفيزياء الآخرون عن إعادة تحقيق هذه النتيجة. وعلى الرغم من عدم وجود ما يوحى بأن الباحثين الأصليين كانا يحاولان -بأى طريقة- تضليل المجتمع العلمى، فإن تجربتهما أخفقت فى تأكيد ثباتها ومصداقيتها، الأمر الذى ألحق بمصداقيتهما الشخصية أقدح الضرر.

يرتبط مفهوم الاعتمادية (انظر قائمة المصطلحات) عادة بطرق البحث الكيفية (الفصل 4 من الباب 2)، إلا أنه قابل للتطبيق على معظم الاتجاهات البحثية. وعادة ما يطبق هذا المفهوم على سمة الاتساق فى الممارسة البحثية، وذلك للتأكد -مثلا - من أن كل البيانات قد تم إدراجها، وأنه لم تُفقد أى بيانات بسبب عيب فى أجهزة التسجيل الصوتية، أو بسبب قصور فى أجهزة النسخ أو فى كفاءة الأشخاص القائمين بالنسخ (المقصود بالنسخ: نقل البيانات من وسيلة ما إلى وسيلة أخرى مختلفة فى طبيعتها).

يتم البرهنة على توفر صفة الثبات (المنهجى) والاعتمادية فى أى بحث من خلال كون العملية البحثية والقرارات التى يتخذها الباحث شفافة (انظر قائمة المصطلحات) ومناحة للآخرين للتدقيق فيها وتمحيصها.

الصدق والمصادقية

يطرح هذا المفهوم الواضح البساطة من مفاهيم الجودة السؤال التالى فى الواقع:

هل أقوم فعلا ببحث الأمر الذى أتصور أننى أبحثه؟

كما يطرح السؤال التالى:

هل البيانات التى أقوم بجمعها ذات صلة بسؤال بحثى (هل ستساعدنى فى الإجابة عن سؤال البحث أو فى اختبار فروضى)؟

ينصب الاهتمام هنا على قرارات الباحث بشأن تحديد ماهية البيانات التى يتقرر جمعها، وتفسير البيانات التى جمعت فعلا. وعادة ما يشير هذا المفهوم إلى ما إذا كان الباحث يقوم فعلا - أو لا يقوم - بقياس ما يتصور أنه يقيسه، ومشتغلا باكتشاف ما يتصور أنه يكتشفه. كما يشير إلى مدى صلة ذلك القياس والاكتشاف بأسئلة بحثه.

فكر فى هذا الموضوع

ما الذى تسأل عنه فى حقيقة الأمر؟

كان «التقرير الأسود» (*) لسنة 1980 (Townsend and Davidson, 1982) أول

(*) هذا تقرير بحث شهير كانت له آثار واسعة على حركة بحوث الصحة والمرض فى حقل علم الاجتماع، بحيث كانت ثمانينيات القرن الماضى (البحث انتهى ١٩٨٠ ونشر فى سلسلة بنجوين الشعبية ١٩٨٢) هى عصر ازدهار بحوث علم الاجتماع الطبى. وقد أشار الزميل مصطفى خلف إلى التقرير موضحا أن تسميته بتقرير بلاك راجع إلى اسم أحد باحثيه الرئيسيين، وقد تأكدنا من عدم صحة هذا الزعم لأن كلا الباحثين الرئيسيين تاونسند ودافيدسون لا يحمل - لا فى اسم العائلة كما نرى - ولا فى الاسم الشخصى اسم «بلاك». فهو لذلك «التقرير الأسود»، وليس «تقرير بلاك». وهناك عرف فى الكتابات السياسية أن يسمى التقرير أو البيان الذى =

دراسة مفصلة أجريت عن الحالة الصحية للأفراد في الطبقات الاجتماعية المختلفة في بريطانيا. وكانت النتيجة الرئيسية لهذا التقرير هي أن أعضاء الطبقة الاجتماعية الأدنى المعرضين للوفاة قبل بلوغ سن التقاعد عن العمل تزيد نسبتهم بمقدار مرتين ونصف عن معدل تعرض أفراد الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة.

لو فرض أنك حاولت تحديث عمل هذين الباحثين في وقتنا الراهن ، فهل سيكون كافيا أن تدرس العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة وانتمائهم الطبقي الاجتماعي؟

ما الأمور الأخرى التي قد تكون ذات صلة بالموضوع؟

اكتب بعض أفكارك حول ذلك فيما يلي:

(توجد إجابات مقترحة لهذا السؤال في نهاية هذا الفصل).

من المفاهيم ذات الصلة: مفهوم المصادقية (انظر قائمة المصطلحات). ويتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة في) تفسيرات الباحث للبيانات التي جمعها؛ يتم هذا الاختبار عن طريق شفافية عمليات تحليل وتفسير هذه البيانات. ويتحقق ذلك - مثلا - عن طريق فحص أو اختبار التفسير المقدم لهذه البيانات مع المشاركين في البحث (أى الباحثين) أو عن طريق وضع هذه التفسيرات في إطار النظرية الموجودة .

القابلية للتعميم والقابلية للتحويل

يشير مفهوم القابلية للتعميم ومفهوم القابلية للتحويل (انظر قائمة المصطلحات) إلى السؤال التالي:

= يتحدث عن مأسى أو كوارث أو فضائح بأنه تقرير أسود أو كتاب أسود. فهذا الكتاب جاء ليقول للبريطانيين بكل وضوح إن الفقراء لا يتعذبون بفقرهم فقط ، وإنما يعذبهم المرض ، ويعاجلهم الموت قبل الميسورين . (المترجم)

«إلى أى مدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثى تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟»

وبالنسبة لبعض البحوث تعتمد هذه الدعاوى على بيان أو وصف إحصائي يبين أن بالإمكان النظر إلى النتائج المستمدة من إحدى العينات باعتبارها تصدق - إلى حد ما - على مجمل أفراد المجتمع . وفى حالات أخرى يكون بالإمكان نقل هذه النتائج المستمدة من سياق معين أو فى زمن معين - بتطبيقها على سياقات أخرى أو أوقات أخرى ، أو يكون بالإمكان إقامة الدليل على أمر ما يتصل بسياق آخر أو يتعلق بوقت آخر عن طريق الرجوع إلى النظرية ذات الصلة أو إلى بحث آخر . ومن المهم الإقرار بأن بالإمكان أن يكون للبحث المحدود النطاق قيمته مع هذا ، وذلك رغم أنه من النادر الادعاء بأنه قابل للتعميم . وعلى نفس القدر من الأهمية ألا تدعى لنتائج بحثك دلالة أكثر أو أوسع مما يمكنك البرهنة عليه بصورة واضحة يرضى عنها الباحثون الآخرون .

الممارسة الأخلاقية

هنا نطرح السؤال التالى:

هل أوليت اهتماما كاملا بالطريقة التى أتصرف بها كباحث فيما يتصل بالبشر الآخرين الذين تناولهم بحثى؟

تتضمن ممارسة البحث الاجتماعى مشاركة أفراد من البشر والاشتغال بالمعلومات المتعلقة بالناس (انظر الفصل 5 من الباب 1) . ويمكن للبحث الذى يتصف بالجودة أن يثبت أنه قد أولى العناية الواجبة للقضايا الأخلاقية المتعلقة بتنفيذ البحث ، وبالأثر الذى يمكن أن يحدثه فى شركاء البحث (أى المبحوثين) ، وكذلك القضايا المتعلقة بأمانة الباحث وتدقيقه فى عمله . ويرى بعض الباحثين أن هذا من شأنه أن يشمل - كذلك - التفكير فى قيمة البحث فى ضوء ما ينطوى عليه من فائدة يمكن أن يحققها للمبحوثين ، أو -بمعنى أوسع - لجماعات معينة من الناس ، كما يتضمن العمل على جعل نتائج البحث هذه متاحة على أوسع نطاق ممكن .

من هم الباحثون الاجتماعيون؟

يمكن القول بأن أى امرئ يطرح - فى أى وقت - سؤالا عن أسلوب حياتنا ، أو

عن كيف تسير الأمور من حولنا ، أو لماذا تسير الأمور هكذا . . هو فى الحقيقة باحث أو يمارس مهمة البحث على نحو ما . ومع ذلك فإن البحث - كما سبقت الإشارة - يتعلق بما هو أكثر بكثير من طرح الأسئلة (أو حتى تقديم الأجوبة): فهو يتعلق بالطريقة التى نُجرى بها البحث .

والباحثون الاجتماعيون موجودون فى كل مكان . وهم يعملون لحساب الإدارات الحكومية المحلية والحكومة المركزية ، ولحساب المؤسسات الخيرية ، والمدارس ، والنوادرى ، وفرق كرة القدم ، وغيرها كثير . ولكن أن تكون باحثا «جيدا» أمر يتطلب وقتا وجهدا وفهما لقضايا الجودة المرتبطة بعملية البحث .

الطريق نحو الأمام

ليس إجراء البحث الاجتماعى بالأمر اليسير دائما؛ إذ توجد كثرة من القضايا الصعبة التى يتعين علينا مواجهتها على امتداد الطريق (وستطلعك بقية فصول هذا الكتاب على هذه القضايا وعلى كيفية التغلب عليها بشكل فعال) . وأيا ما كان الأمر فمع المثابرة يأتى النجاح .

بحثك

بعض الأمور التى يفيدك أن تتذكرها:

- البحث عبارة عن عملية (أى مكون من خطوات متتالية) .
- يتعين أن يكون البحث مخططا له ، فهو لا يحدث صدفة .
- ليس من اللازم أن تكون الحقائق والبيانات مطابقة لما نعرفه سلفا .
- ليس الوصف شبيها بالتفسير .
- لا بد أن يكون البحث متينا (قويا): فلا بد أن يكون قادرا على الصمود أمام الانتقادات والاعتراضات التى تصدر من الأفراد والمنظمات التى قد لا توافق على طرق البحث المستخدمة أو على النتائج التى خلص إليها البحث .

فكر فى هذا الموضوع

بعض الأجوبة المقترحة

ما الأمر الذى تسأل عنه فعلا؟

كان «التقرير الأسود» لسنة 1980 (تاونسند ودافيدسون ، 1982) أول دراسة علمية مفصلة عن الحالة الصحية للأفراد المنتمين إلى طبقات اجتماعية مختلفة فى المجتمع البريطانى . وكانت النتيجة الرئيسية التى انتهى إليها هذا التقرير أن الأفراد المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية الأدنى معرضون للوفاة قبل سن التقاعد عن العمل بمعدل يزيد مرتين ونصف عن معدل تعرض المنتمين إلى الطبقة الاجتماعية الأعلى للوفاة .

لو فرض أنك تريد تحديث عملهما هذا فى وقتنا الحالى وتنفيذه مرة أخرى ، فهل يكفى دراسة العلاقة بين سن الأفراد عند الوفاة والانتماء الطبقي الاجتماعى؟

ما الأمور الأخرى التى ربما يتعين الالتفات إليها عن دراسة هذا الموضوع؟

من الواضح أن الأسئلة الخاصة بالعلاقة بين السن عند الوفاة والانتماء الطبقي الاجتماعى تعد ذات أهمية محورية بالنسبة لهذا البحث . ومع ذلك فإنها لن تزودنا إلا بالمعلومات الأساسية فقط ، كما يحتمل ألا تكون نافعة كل النفع فى تفسير هذا الفرق فى معدلات الوفاة . وقد تحتاج إلى إمعان النظر فى طرق أخرى لقياس الحالة الصحية . وعلى أية حال فإن طرحك لمثل هذه الأسئلة البسيطة يوحى بأنك ربما لم تفكر فى هذا السؤال تفكيراً عميقاً وافياً . ونحن نرى أن ثمة قضايا أخرى ، كقضية الدخل ، والحالة العملية ، وظروف الجغرافيا والبيئة ، والتعليم ، والصحة ، والسياسة ، والصفات الوراثية ، والعدالة الاجتماعية ، (وقضايا أخرى كثيرة) تعد محجوبة أو مخفاة داخل هذين السؤالين البسيطتين ، ونرى أن هذه القضايا تحتاج إلى إمعان النظر فيها قبل محاولة التوصل إلى نتائج .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Becker, S., Bryman, A. and Sempik, J. (2006) *Defining 'Quality' in Social Policy Research: Views, Perceptions and a Framework for Discussion*, SPA, Lavenham in conjunction with JUC.
- Budd, T. (2001) Burglary: Practice Messages from the British Crime Survey, Home Office Briefing Note 5/01, July. Available from www.homeoffice.gov.uk/rds/prgpdfs/brf501.pdf (accessed 6 August 2009).
- Cancer Research UK (2004) What is research? *Cancer and Research, About Cancer Research* (online), Cancer Research UK. Available from <http://info.cancerresearchuk.org/cancerandresearch/aboutcancerresearch/whatisresearch/> (accessed 6 August 2009).
- Corbetta, P. (2003) *Social Research: Theory, Methods and Techniques*, London: Sage.
- Kerlinger, F. N. (1970) *Foundations of Educational Research*, New York: Holt, Reinhart & Winston.
- Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.
- Research Assessment Exercise (2008) *Guidance on Submissions (Annex B)*, available from www.rae.ac.uk/Pubs/2005/03/rae0305.doc (accessed 6 August 2009).
- Taubes, G. (1993) *Bad Science: The Short Life and Weird Times of Cold Fusion*, New York: Random House.
- Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثانى

المعرفة والنظريات والنماذج والتوجهات الفكرية

محتويات الفصل

- من أين نبدأ؟
- ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعى . . ما «العالم الاجتماعى»؟
- بوصفنا جزءا من العالم الاجتماعى: ما الذى نعرفه عنه، وما الذى يمكننا أن نعرفه عنه؟
- ما الذى يوجد فى العالم الاجتماعى مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟
- ما الطرق المختلفة المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعى والتي يمكنها مساعدتنا فى التفكير فيما نريد أن ندرسه، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟
- ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟
- كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعى؟
- ما الذى يعنيه ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

هل سبق لك أن تساءلت لماذا يفكر الناس ويتصرفون بهذه الأساليب المختلفة؟ يدعوك هذا الفصل إلى أن تفكر فى هذا الأمر انطلاقا من وجهة نظر بحثية. فهو يناقش موضوع المعلومات والمعارف، وكيف نعرف الأمور ونفهمها، وكيف نستخدم معرفتنا وفهمنا فى بناء أسلوب معين لتدبر أمور العالم الاجتماعى. ورغم أن هذا قد يبدو محيرا أو مربكا ويصعب استيعابه، فإنه من الأمور الفائقة الأهمية أن نلاحظ: أنه إن لم نفهم كيف ينظر الباحثون إلى العالم، فمن المحتمل أن نجد من الصعب علينا فهم بحوثهم.

من أين نبدأ؟

كما رأينا في الفصل الأول من هذا الباب ، فإننا جميعا باحثون . فمعظم الأفراد على دراية وألفة بفكرة «القيام ببحث» موضوع ما كواجب دراسي ، أو القيام ببحث حول شيء ما تريد شراءه ، أو بحث عن عطلة ما تريد قضاءها . فنحن جميعا نمارس البحث فى كل شئون حياتنا اليومية ، إذ إننا محتاجون لاكتشاف الحقائق أو التعرف على ما يفكر فيه شخص آخر بشأن أمر ما أو يتصل بشخص معين ، بدءا من الحقائق المتعلقة بصديقة جديدة ننوى التعرف عليها وانتهاء بالحقائق المتعلقة بسياسة الحكومة فى مجال الطاقة النووية .

إن كنت تقوم ببحث موضوع ما كلفت بدراسته ، فمن المحتمل أنك ستسعى للوصول إلى مزيج من المعلومات (انظر قائمة المصطلحات) المختلفة الأنواع ، التى قد تكون فى شكل الإحصائيات ، أو آراء وأفكار كبار الأكاديميين والباحثين فى هذا المجال ، أو النظريات أو الأنساق الفكرية التى يبدو أنها تشكل أساس نظرية الناس إلى موضوع البحث وفهمهم له ، والتى قد تكون مهتما باكتشاف المزيد عنها من زاوية تخصصك العلمى . ومن أمثلة هذه المعلومات: سياسة الحكومة فيما يتصل بهذا الموضوع ، والاقتصاديات المتعلقة به ، وبجوانبه الثقافية الخاصة المميزة له ، وما إلى ذلك .

عندما تجمع معلومات عن موضوع كلفت بدراسته فإنك ستعمل على انتقاء المعلومات التى ستساعدك فى الإجابة عن سؤال معين وفى إثبات صحة فهمك (انظر قائمة المصطلحات) لكل من السؤال والمعلومات التى تنتفع بها فى مناقشة القضايا التى أثارها هذا السؤال . وفى ثنايا قيامك بالإجابة عن الأسئلة الواردة فى دراستك سوف تتبين أنك تقوم بأكثر من مجرد سرد الحقائق أو عرض مجموعة من الأفكار ، إذ سيكون من المتوقع منك أن تنتفع بهذه المعلومات لتمكنك من مناقشة موضوعك ، وشرحه ، وتحليله بصورة نقدية ، ويمكنك كذلك من استخلاص بعض النتائج .

ما - إذن - الأمر المختلف الذى يميز عملية إجراء البحث الاجتماعى ، ولماذا يتعين علينا إمعان التفكير فيه بدرجة أكبر قليلا بوصفنا دارسين نعمل فى هذا الفرع أو ذاك من فروع البحث العلمى؟ بوصفنا دارسين متخصصين فى مجالات: علم الاجتماع ، والسياسة الاجتماعية ، وعلم السياسة ، وعلم الاقتصاد ، والأنثروبولوجيا الاجتماعية ،

والقانون الجنائي، والخدمة الاجتماعية ونحو ذلك؛ نحتاج في المقام الأول إلى أن نطبق مهارتنا وخبراتنا اليومية كدارسين على موضوع البحث الاجتماعي نفسه. وقد يكون هذا أمرا مثيرا للدهشة قليلا، أو قد يكون أمرا لم تتوقع من قبل أن تقوم به. ولكننا سنحاول أن نجعل هذا الأمر جديرا بالاهتمام، وأن نبين لك مدى أهميته وأنت في مستهل التفكير في بحثك الاجتماعي الخاص بك. وكما هو الحال مع كل التكاليف الدراسية الجيدة فإننا نبدأ بعنوان ومقدمة، وسنحاول أن نقدم فيما بعد مثالا على ذلك (تجد هذا المثال معروضا في البرواز التالي) والذي سيتكرر ذكره على امتداد هذا الفصل لكي يسهم في تجلية النقاط ووجهات النظر التي نعرض لها هنا. كما سنقترح بعض الأنشطة لمساعدتك على التفكير في موضوع بحثك الذي تنوى إجراءه. كما ستوجد مواضع أخرى تحيلك إلى فصول أخرى في هذا الكتاب من شأنها أن تساعدك على التفكير في عناصر الموضوعات المتصلة ببحثك الاجتماعي الخاص بك.

وهكذا قد يكون عنوان «الواجب» الذي نكلفك بدراسته شيئا من هذا القبيل:

ما البحث الاجتماعي؟ وما الأفكار والنظريات والتوجهات الفكرية التي تؤثر على الطريقة التي بها يتم تنفيذ البحث الاجتماعي؟

وللإجابة عن هذا السؤال سنعمد إلى مناقشة الأمور التالية في هذا الفصل، وهي:

• طبيعة موضوع البحث الاجتماعي، أي ما العالم الاجتماعي؟ (انظر قائمة المصطلحات)

• بوصفنا جزءا من هذا العالم الاجتماعي، ما الذي «نعرفه» عنه أو ما الذي يمكننا أن نعرفه عنه؟ وبوصفك إنسانا - وجزءا من العالم الاجتماعي - ما في رأيك هي - علاقة الباحث الاجتماعي بالعالم الاجتماعي الذي يقوم بدراسته؟

• ما الذي يتعين دراسته، أو الكشف عن حقيقته، أي ما الأنطولوجيا؟ (انظر قائمة المصطلحات) ولماذا يرى الناس الأمور بطرق مختلفة؟

• التفكير فيما يتعين دراسته، وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟ ما الطرق المتبعة في رؤية العالم الاجتماعي، أي الإبيستمولوجيا (انظر قائمة المصطلحات) التي يمكنها أن

تساعدنا على أن نفكر فيما نريد دراسته وكيف يمكننا أن نقوم بذلك؟

- ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعى (انظر كذلك الفصل الأول من هذا الباب).
- كيف يمكن للنظريات أن تساعدنا فى بحثنا الاجتماعى؟
- ما الذى يعنيه هذا لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟

المثال (1-2)

- «عدد حالات الزواج ينخفض إلى معدل قياسى». (صحيفة الجارديان ، 22 فبراير ، 2007).
- «العوالم مفككة: استطلاع للرأى يثبت أن الوالدين لا يتواصلون مع أبنائهم». (صحيفة الجارديان ، 24 فبراير ، 2007).
- «جماعات الرماية بين المراهقين ظاهرة راجعة إلى تفكك الأسرة» (صحيفة الجارديان ، 23 فبراير ، 2007).
- «مطلوب من الآباء: قدموا المزيد من الرعاية والاهتمام لأطفالكم» (صحيفة الجارديان ، 27 فبراير ، 2007).
- «الأمهات يتحملن» وطأة التمييز فى مكان العمل - النظر إلى النساء ذوات الأطفال الصغار باعتبار أنهن أقل جدارة للاعتماد عليهن». (الجارديان ، 1 مارس ، 2007).

يحتوى هذا الفصل على مادة علمية ذات طابع على جانب كبير من التجريد، لذلك أدرجنا أحد الأمثلة لمساعدتك على فهم نقاطه الأساسية. وسوف تجد على امتداد هذا الفصل "براويز" تقدم أمثلة سوف تصحبك أثناء استعراض الرؤى والأفكار المتعلقة بمجال معين من مجالات العالم الاجتماعى؛ هو مجال الأسرة.

أثناء تأليفنا لهذا الكتاب تصدّر عناوين الصحف من جديد موضوع ، قل أن يكون بعيدا عن الأخبار فى المملكة المتحدة. فعلى امتداد الجزء الأخير من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين ، أصبحت الأسرة - بتركيبها المتغير ،

وبالدور الذى يرى البعض أنه يتعين عليها القيام به فى جوانب كثيرة من الحياة اليومية والاجتماعية - أصبحت الأسرة موضوعا يهتم به الناس وتجرى فيه البحوث ، كما أنها تعد إحدى الوحدات الاجتماعية التى يعايشها معظم الناس فعلا بشكل أو آخر .

وتحتوى الأسرة - بوصفها وحدة اجتماعية - على عدد من العناصر المختلفة ، نذكر منها :

- أنها من الممكن أن تضم أفرادا تربطهم ببعضهم رابطة الدم ، أو رابطة القانون ، أو رابطة الاختيار الشخصى .
 - وأنها من الممكن أن تشمل على العلاقات بين الوالدين (أى الأب ، أو الأم ، أو كليهما) والطفل .
 - ويمكنها أن تشمل على العلاقة القانونية أو علاقة الاختيار الشخصى بين البالغين .
 - قد يعيش أعضاء الأسرة فى نفس المنزل ، وقد لا يعيشون .
 - وقد تحتوى على عناصر أخرى كثيرة .
- والأسرة بوصفها وحدة اجتماعية تحظى باهتمام كل من صناعات السياسة ، والاقتصاديين ، وبناء المساكن ، والجهات التى تقدم الرعاية الاجتماعية والصحية ، والشرطة ، وتجارة التجزئة ، والجهات التى تقدم الخدمات التعليمية ، ووكالات السفر والرحلات ، وصناعات السيارات ، والمحامين ، وكثيرين غيرهم .
- ومن بين التغيرات التى كان لها تأثير على الأسرة كوحدة اجتماعية خلال الخمسين سنة الأخيرة نذكر ما يلى :
- القوانين التى تنظم الطلاق ، والمعاشرة (الإقامة المشتركة بدون زواج) ، وأشكال وعلاقات الزواج المدنى .
 - الوسائل الفعالة لمنع الحمل وللإجهاض .
 - فرص التعليم والتوظيف المتاحة للنساء .
 - إطالة أمد الحياة .

ما طبيعة موضوع البحث الاجتماعى .

ما العالم الاجتماعى؟

بوصفنا علماء اجتماعيين نبدأ فى التفكير فيما يثير اهتمامنا فى هذا العالم الذى نعيش فيه . ويمكن القول إننا مهتمون بالجوانب «الاجتماعية» لهذا العالم . فنحن نتحدث عن البشر بوصفهم «حيوانات اجتماعية» ، تشترك مع سائر الحيوانات فى بعض الخواص البدنية ، إلا أن خواصنا الاجتماعية هى التى تجعلنا كائنات إنسانية .

عندما يتحدث العلماء الاجتماعيون عن شىء بوصفه «اجتماعيا» فهم يتكلمون - فى العادة - عن موقف توجد فيه علاقة وتفاعل بين فردين أو أكثر . ويعتمد التفاعل والعلاقات الاجتماعية على اللغة - وهى الوسيلة الرئيسية للتواصل بين الأفراد - بوصفها الطريقة التى نستطيع بها أن نكون كائنات اجتماعية . إن لغة التواصل والتفاعل هى التى تمكننا من التعامل معا ، ومن تنظيم أنفسنا فى جماعات ووحدات اجتماعية ، وهى التى تمكننا من اتخاذ القرارات الجماعية وتنفيذها . ونحن ككائنات إنسانية ، لدينا خبرات اجتماعية كثيرة نشارك فيها الآخرين الذين يعيشون فى بقاع جغرافية مختلفة (أو حتى فى عصور مختلفة) ، ومن أمثلة ذلك : التعلم ، والعمل ، والحياة الأسرية . وعلى الرغم من أن الشكل المحدد أو الإطار المحدد للأفكار المتعلقة بمثل هذه الخبرات الاجتماعية قد يختلف ويتنوع ، فإن المرجح أن ثمة أوجه تشابه بينها ، وهو الأمر الذى يمكننا من تحديد بعض الجوانب المشتركة والأساسية للحياة الاجتماعية أو للعالم الاجتماعى .

ومع ذلك فإننا لسنا كائنات اجتماعية فحسب ، فنحن أفراد فى الوقت نفسه . فكل شخص - بوصفه فردا متميزا - لديه إحساس ما «بالذات» (وهى الطريقة المحددة والشخصية التى بها يتفاعل مع «الآخرين») . ويتيح لنا ذلك - كأفراد متميزين - أن نتأمل علاقاتنا مع الآخرين وتفاعلاتنا معهم ، وأن «نروى قصتنا الخاصة بنا» (أى نبلور رؤيتنا الخاصة بنا ونعبر عنها) ، وذلك بناء على منظورنا الشخصى للواقع الاجتماعى كما يبدو لنا . ونحن قادرون على أن نصف سلوك الأفراد الآخرين وأن نحاول تفسيره ، وقادرون أحيانا على تحديه والاعتراض عليه (كما أن سلوكهم قد يؤثر - بدوره - على الطريقة التى نتبعها فى الإحساس بهم وفى الإحساس بأنفسنا . كما أن سلوكنا قد يؤثر عليهم بنفس الطريقة) .

هذا - إذن - هو محور اهتمام العلماء الاجتماعيين ، وأعنى : العلاقة الاجتماعية بين الأفراد والعالم الاجتماعى ، بجانب مسألة كيف ولماذا يوجد العالم الاجتماعى؟ وكيف ولماذا صار إلى ما أصبح عليه؟ ويصف تشارلز رايت ميلز C. Wright Mills (وهو عالم اجتماع أمريكى شهير) يصف هذه المسألة بأنها "الخيال السوسيولوجى" ، فيقول:

«توصلنا إلى معرفة أن كل فرد يعيش ، من جيل للجيل التالى ، فى مجتمع ما: فهو يعيش حياة شخصية ما ، وهو يعيشها فى تسلسل تاريخى معين . وبمقتضى حياته هذه ، فإنه يساهم - ولو بقدر ضئيل جدا - فى تشكيل هذا المجتمع وفى تحديد مسار التاريخ ، تماما كما أن هذا الشخص نفسه من صنع المجتمع وما يتصف به من نفوذ وضغط تاريخيين» .

«إن الخيال السوسيولوجى هو الذى يمكننا من فهم التاريخ وفهم السيرة الشخصية والعلاقات بين الأمرين داخل المجتمع . فهذه هى مهمته وبشيره الواعد بالنجاح» (رايت ميلز ، 1959) .

فكر فى هذا الموضوع

كثيرا ما تدرس الأسرة وكثيرا ما يتحدث الناس عنها بوصفها وحدة اجتماعية ، وهى وحدة يكون فيها لأفراد الأسرة المختلفين أدوارهم الخاصة بهم تجاه بعضهم البعض ، لكنهم يشكلون مجتمعين معا وحدة كلية متكاملة . إلا أن لكل فرد على حدة خبرته الخاصة أو الشخصية داخل وحدة الأسرة نفسها .

إذا كان لك أشقاء وشقيقات فقد يسهل عليك أن تدرك إدراكا جيدا أن لدى كل منهم خبرات مختلفة فى نطاق أسرته يشعرون بها تجاهك ، كما أنهم يرون ما تشترك فيه الأسرة من أحداث وروايات انطلاقا من مواقف شخصية مختلفة كل الاختلاف .

فحكاية من منهم هى «الحكاية الحقيقية»

وهكذا يتضح أن من الأمور ذات الأهمية الخاصة فيما يتعلق بكون المرء عالما اجتماعيا أو باحثا اجتماعيا أننا ندرس شيئا نحن جزء منه . فنحن أعضاء هذا العالم الاجتماعى

الذى يزودنا بمادة البحث لدراستنا . وهذا الوضع هو ما يميز العلماء الاجتماعيين عن «العلماء الطبيعيين» (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب).

فعلى حين يضطلع البشر بدراسة العالم المادى ، تكون مادة البحث أو موضوع الدراسة التى يجرونها مادية وليست اجتماعية ، كما أنها تكون مستقلة عنهم وعن طريقة فهمهم لها . ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن للشجرة كيانا وبناء ماديا خاصين بها ، وذلك بصرف النظر عن العالم الذى يدرس طريقة نموها وتطورها . فهل يمكننا أن نقول نفس هذا الكلام عن «الظاهرة الاجتماعية» (انظر قائمة المصطلحات) ، من قبيل إحدى المنظمات ، أو الأسر ، أو المجتمعات المحلية؟

وسوف نتبين لاحقا أن هذه الملاحظة تمثل مسألة فلسفية أساسية كانت مثار إزعاج للعلماء الاجتماعيين على الدوام . كما توجد مجموعات من الأفكار المختلفة المتعلقة بهذه المسألة ، والتى تمثل الأساس الذى ارتكزت عليه عملية تطور طرق البحث الاجتماعى على امتداد المائة سنة الماضية ، وما زالت تمثل خلفية طريقتنا فى التفكير فى البحث الاجتماعى فى وقتنا الحاضر .

يمكن للقارئ أن يقف على تاريخ موجز للبحث الاجتماعى فى نهاية الفصل الثانى من هذا الباب . ونقترح عليك أن تقرأ هذا التاريخ جنبا إلى جنب قراءتك لهذا الفصل أو بعده . فمن شأن ذلك أن يمكنك من التعرف على موقع المناقشة الواردة فى هذا الفصل داخل إطار تاريخ البحث الاجتماعى وتطوره .

بوصفنا جزءا من العالم الاجتماعى: ما الذى

نعرفه عنه وما الذى «يمكننا» أن نعرفه عنه؟

بوصفنا كائنات إنسانية اجتماعية فإننا نعرف - بالفعل - الشيء الكثير عن العالم الذى نعيش فيه ، كما أننا نعرف - تحديدا - ما له صلة بالبيئة المحيطة بنا ، والعصر التاريخى ، والموقع الجغرافى ، والأطر الاجتماعية التى نعيش داخلها ، وأعنى بها مثلا: أسرتنا ، والقسم العلمى فى جامعتنا ، ومركز التسوق الخاص بحينا السكنى ، ونحو ذلك . كما أننا نعرف أن هناك المزيد الذى يتعين علينا اكتشافه ، وأن لدينا بعض الوسائل للوصول إلى فهم تام لهذه المعرفة .

ما : المعرفة؟

(1) هى المعلومات المتعلقة بشيء ما ، أو قضية ما ، أو واقع معين ، أو الوعى بذلك .

(2) هى فهم حقيقة ، أو واقع معين ، أو قضية معينة .

وقد أصبح بوسعنا هذه الأيام الوصول إلى الكتب التى دونت منذ سنوات كثيرة مضت أو تلك التى دونت فى وقت أحدث ، كما أنه يمكننا اجتياز المسافات للوصول إلى المعلومات المتاحة حاليا والتى تم جمعها فى الجانب الآخر من العالم عبر الإنترنت . كذلك تصل إلى أسماعنا أخبار البحوث الجارى تنفيذها والتى تنتبأ بما سوف يحدث فى المستقبل ، كذلك التى تستخدم نماذج تغير المناخ مثلا .

فكر فى هذا الموضوع

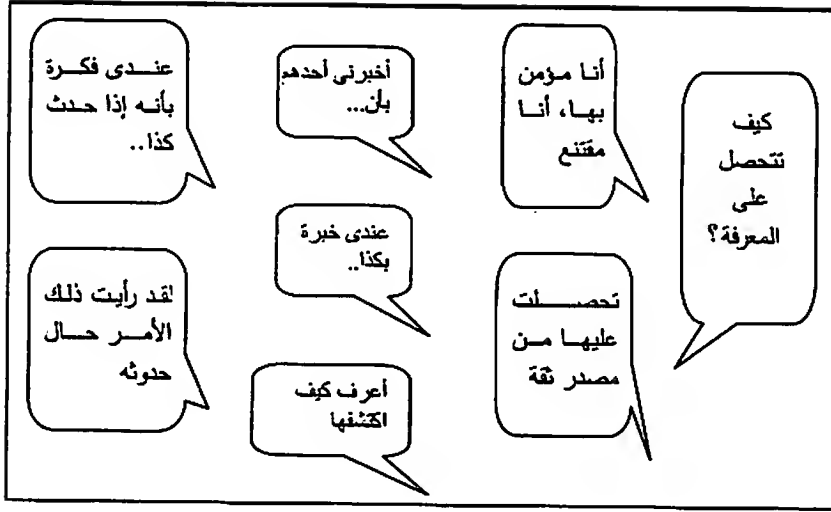
إذن كيف نعرف ما نعرفه؟

دون فى إيجاز الأمور التى تعرفها عن أسرتك وأعمل فكرك فى الطريقة التى بها تحصلت على هذه المعرفة:

كيف عرفت هذا الأمر

أسرتى

- | | |
|-------|----------|
| ----- | ----- 1- |
| ----- | ----- 2- |
| ----- | ----- 3- |
| ----- | ----- 4- |
| ----- | ----- 5- |



شكل 2-1 طرق تحصيل المعرفة

فى ضوء نوعية البيانات التى كتبتها عن أسرتك ، قد نكتشف بالفعل أنك تقدم الدليل على وجود طرق مختلفة لتحصيل المعرفة عن أسرتك (انظر شكل 2-1)

وقد اعتمد بيكر وبرايان (Becker and Bryman 2004) على ما كتبه بيرنز (Burns 2000) وبريتشين وسيدل (Brechin and Siddel 2000) فى تحديد وتصنيف خمس طرق مختلفة لتحصيل المعرفة . وقد ربطنا هذه الطرق بالمثل الذى سوف نقدمه فيما بعد عن المعرفة المتعلقة بالأسرة . ولكن إلى أى مدى تعد هذه المعرفة مفيدة لنا كباحثين اجتماعيين؟ اقرأ ما يلى أدناه ولاحظ أنك قد تحتاج - كباحث اجتماعي - إلى التفكير أو تقليب وجوه النظر فى - أو التشكك أو الاعتراض على - بعض المعارف أو المعلومات التى أتيت بها فى بحثك .

خمس طرق لتحصيل المعرفة

(1) الاعتقاد: أحيانا ما نؤمن بما نعرفه لأننا نعتقد أنه حق . وقد لا يتم تغيير المعتقدات القوية حتى فى حالة وجود برهان مضاد لها .

مثال ذلك : أنتى قد أو من بأنه من الأفضل دائما للأطفال أن يتربوا فى كنف

الوالدين الطبيعيين . وقد يكون مصدر إيماني العميق هذا توليفة من الخبرة التي عشتها والخبرة التي لاحظتها ، وقد يرجع إلى قيمى الأخلاقية أو إلى إيماني الدينى . وقد يكون اعتقادى هذا قويا بدرجة تكفى فى نظرى لأن أتجاهل الأمثلة والحالات الأخرى التي تختلف عن تصورى الخاص ، وذلك - مثلا - حين ينجح الأطفال الذين تمت تربيتهم مع أحد الوالدين فقط ، أو تربوا فى أسرة بديلة ، أو فى حين يتعرض طفل لإساءة من جانب واحد من أبويه الطبيعيين .

• لهذا ربما يتعين علينا - كباحثين اجتماعيين - أن نراجع معتقداتنا ومسلّماتنا الشخصية ونتشكك فيها .

(2) المعرفة الرسمية أو المرجعية: قد نشعر أننا مقتنعون بأن أمرًا حق وصحيح مرجعا محل ثقتنا (كالكتاب المقدس ، أو القرآن ، أو أحد القادة أو أحد المعلمين) يقول لنا إنه حق . فنحن نرى أن مثل هذه المعرفة لها مرجعية أعلى من مرجعية المعرفة المكتسبة من خبراتنا الشخصية .

مثال ذلك: أننى قد أشعر أننى أعرف أنه حق أن زواج الرجل بالمرأة هو أفضل شكل للعلاقة بينها لأننى أخبرت بذلك من قبل شخصية مرجعية دينية أو من قبل قائد أو مرشد ، أو ربما أعرف ذلك لأن «أمى أخبرتنى بذلك» .

• لهذا قد يتوجب علينا - كباحثين اجتماعيين - أن نضع مصادر المعرفة هذه موضع التساؤل والبحث .

(3) المعرفة المستمدة من الخبرة: بوسعنا كذلك تحصيل المعرفة من الخبرة المكتسبة على امتداد سنوات كثيرة . وقد لا ندرك أننا نملك مثل هذه المعرفة بالفعل ، كما قد يكون من العسير التعبير عنها وتوصيلها للآخرين .

مثال ذلك : أننى كجدة تتوافر لى خبرة بالأطفال الذين تربوا فى كنف تشكيلة متنوعة من الوحدات الأسرية المختلفة ، وانطلاقا من خبرتى هذه قد أجد من الصعوبة الزعم بأن الأطفال الذين تربوا فى كنف الوالدين الطبيعيين أكثر نجاحا وتوفيقا مما يحققه أولئك الأطفال الذين تربوا فى ظل أوضاع أسرية أخرى . كما أن خبرتى فى قضاء الوقت مع الأطفال الصغار ساعدتنى على تطوير مهاراتي فى التعامل مع الأطفال الصغار وفى القيام برعايتهم .

• وهكذا قد نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى التأمل وتقليب وجوه النظر في المعرفة والمهارات التي اكتسبناها من خبرتنا، وفي مدى تأثير هذه المعرفة والمهارات في الموضوع الذي نهتم به وفي السلوك الذي نقوم ببحثه.

(4) **التحصيل النظري للمعرفة** : يساعدنا ما لدينا من نظريات أو مجموعات أفكار على بلورة إجابة لمسألة ما أو تفسير أحد وجوه حياتنا الاجتماعية.

مثال ذلك : إن كنت أرى (أى : إن كنت أعرف نظرية تقول) إنه يوجد عدد من العوامل المختلفة التي تؤثر على الطريقة التي ينمو الطفل وفقاً لها، وهى العوامل التي تشمل الأفراد الذين يعيش معهم الطفل بصفة دائمة، والمدرسة التي يذهب إليها، والحي السكنى الذي يعيش فيه وما أشبه ذلك من العوامل، فمن المرجح حينئذ أن أحاول تفسير سلوك هؤلاء الصغار وفقاً لهذه الاعتبارات، ولا أقتصر فى تفسيرى على عامل تكوين الأسرة فقط .

• من هنا يمكننا - كباحثين اجتماعيين - أن نبدأ بتحديد النظريات التي نستعملها فى الحياة اليومية والنظريات التي يستعملها غيرنا ممن يدرسون نفس الجوانب من الحياة الاجتماعية.

(5) **المعرفة الإمبريقية**: وهذه معرفة قائمة على أساس الشواهد البحثية المتوفرة، أى من واقع البيانات التي تم جمعها بقصد الإجابة عن أسئلة البحث أو بقصد اختبار الفروض التي يمكن التحقق من صحتها عن طريق إجراء المزيد من البحث.

مثال ذلك: أحد العناوين الموجودة فى المثال (2-1) والذي يقول : «جماعات الرماية بين المراهقين ظاهرة راجعة إلى تفكك الأسرة»؛ فقد كان عنواناً لجزئية من بحث كان يسأل الناس عما يعتبرونه السبب المسئول عن الزيادة فى جرائم استعمال الأسلحة النارية بين الفتيان . وقد وافق ثمانون بالمائة من الألف فرد (جميعهم تجاوزوا سن 18 سنة) الذين تمت مقابلتهم ؛ وافقوا على الحكم الذى يقول : «من عوامل انتشار جماعات الرماية بين المراهقين عامل الانهيار الأسرى ونقص التربية فى المنزل» (البحث الذى قامت به مؤسسة ICM، اعتماداً على استطلاع الرأى الذى أجرته صحيفة الجارديان فى شهر فبراير سنة 2007 - عبر شبكات الاتصال الإلكترونية -

وهو متاح فى الموقع التالى: www.icmresearch.co.uk/pdfs/2007_february_guardian_february_poll.pdf (وقد تم آخر دخول على هذا الموقع بتاريخ 6 أغسطس 2009). ولكن هذا البحث يدلنا على ما يتصوره الناس، ولكنه لا يقول لنا ما إذا كانت جرائم استعمال الأسلحة النارية راجعة إلى الانهيار الأسرى ونقص التربية فى المنزل، من عدمه. وقد يساعدنا بحث آخر - قد يأتى لاحقاً - فى استكشاف المزيد من خبايا هذه المسألة.

• معنى هذا أننا نحتاج - كباحثين اجتماعيين - إلى تطوير المهارات التى تمكننا من جمع البيانات للإجابة عن أسئلة البحث أو اختبار الفروض ووضع النظريات القائمة على المعرفة.

المصدر: نقلاً بتصرف من بيكر وبرايان (2004) صفحة 41. نشر بتصريح من دار نشر بوليتى برس Polity Press.

بحثك

عُدْ للنظر فى الأمور الخمسة التى تعرفها عن أسرتك، وحدد أى هذه الطرق الخمسة لتحصيل المعرفة التى تمثلها كل جملة من الجمل التى كتبناها؟ فى هذه المرحلة قد ترغب كذلك فى تجربة القيام بنفس التمرين مرة ثانية، واضعاً موضوع بحثك فى كلمة "أسرتك".

كيف توصلت إلى معرفة ذلك؟

موضوع بحثى

1-----

2-----

3-----

4-----

5-----

المعرفة والحقيقة

يتضح من الأمثلة التي أوردناها أن المعرفة ليست مجرد جمع للوقائع . بل تتعلق بفعل التعرف أو فعل تحصيل المعرفة ، وبما نشعر أننا نستطيع أن نقول عنه إننا نعرفه . كما يمكن أن تكون المعرفة هي أساس القدرة على الفعل . فبدون المعرفة التي نتحصل عليها من جدول مواعيد قيام ووصول القطارات ، نعجز عن ضمان استطاعتنا اللحاق بالقطار ، من عدمه . وبدون المعرفة التي يتم جمعها في البحوث المتعلقة بالأسرة والتي تحدد التأثيرات التي تحدثها التغيرات الاجتماعية ، لا يمكننا أن نقرر ما إذا كان ينبغي البدء بسياسة جديدة أو بممارسة جديدة لمحاولة معالجة هذه التأثيرات .

ومع ذلك فإن معرفة شيء ما لا تعنى أن بإمكاننا القول بأن ذلك الشيء حقيقى أو صادق ، رغم أن العارف قد يعتقد أنه كذلك . ففي الحياة اليومية غالبا ما تكون المعرفة كافية في نظرنا للتصرف على أساس كونها حقيقة . وفي بعض الظروف قد يتم توفير الأدلة والبراهين لتعزيز حكم معرفى ومحاولة إقناعنا بصدقه ، على نحو ما يحدث في قاعة المحكمة ، أو قد تتم تهيئةتنا لتقبل أن المعلومات التي قدمت لنا حقيقية أو صادقة لأننا نثق في مصدر هذه المعلومات ، أو لأننا نعرف من التجربة فرص كون هذه المعلومات صادقة .

والواقع أن البحث الاجتماعى مشغول انشغالا شديدا بالحقيقة: أى فيما يتصل بمدى قدرتنا على أن نقول إن معرفتنا عن ظاهرة اجتماعية معينة تتوافق مع واقع هذه الظاهرة ذاتها أو هي هذا الواقع بعينه . ولهذا يثير هذا الوضع التساؤل عن طبيعة أو واقع ظاهرة اجتماعية ما وما الذى يوجد بشأنها مما يمكن معرفته وكيف يمكننا أن نعرف ما هو موجود ويتعين علينا معرفته .

تخيل أنك دعيت لحضور حفل عائلى (وهو ظاهرة اجتماعية) دعتك إليها أسرة صديقتك أو أسرة صديقك . فى نهاية السهرة ، ما الذى تستطيع أن تقول إنك تعرفه عن حقيقة هذا الحفل؟

- فأنت تعرف كل ما لاحظته فى الحفل باستعمال ما لديك من حاستى البصر والسمع (وربما حاستى الذوق والشم أيضا) .

- وتستطيع استخدام خبرتك في تفسير ملاحظاتك أو فهمها .
 - وتعرف ما أخبرك به الآخرون مثل: أسماؤهم ، وعلاقات القرابة بينهم ، وأعمالهم ، وآراؤهم فيما يتصل بالحكومة وما إلى ذلك .
 - قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على معرفة ما هي طبائع الأمور التي تجرى أمامك .
 - قد تساعدك خبرتك بالمناسبات المشابهة على تحديد الأمور التي أثرت على مسارها ونتائجها ، أو تميز الأمر الذي جعلها حفلة جيدة ، أو التعرف على أسباب ما قد يكون أثار خلافا أو أفضى إلى نزاع ما .
 - وقد تستطيع وضع نفسك موضع بعض الأفراد الموجودين في الحفل وتحاول أن تفهم تقييم هذا الحفل من وجهة نظرهم .
- ولكن إلى أى مدى تتطابق معرفتك عن هذا الحفل تطابقا دقيقا مع الواقع الحقيقى له؟ وهل لهذا الحفل حقيقة منفصلة عن الخبرات والإدراكات الحسية المرتبطة بها والتي شعر بها الحاضرون فى الحفل أنفسهم؟
- هذه هى القضايا المحورية للأنطولوجيا والإبستمولوجيا ”(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) . إذ يميل قلة من الباحثين الاجتماعيين إلى أن يوردوا فى نتائج بحثهم ادعاء بأنهم اكتشفوا «الحقيقة» ، على حين يميل أغلب الباحثين الاجتماعيين إلى التسليم بأنه لا يمكن للمعرفة إلا أن تكون منحايزة بسبب طبيعة العالم الاجتماعى ، وبسبب وضعهم الخاص كجزء من ذلك العالم الاجتماعى . ومع ذلك توجد -كما سوف نرى- رؤى مختلفة لطبيعة الحياة الاجتماعية ولما يمكن أن نعرفه عنها . وهذا يعنى أنه توجد مواقف فكرية مختلفة أو نزعات متباينة إزاء الدعاوى التى يتم طرحها بشأن المعرفة المكتسبة من دراسة هذه الحياة الاجتماعية . ويرى بليكى Blaikie أن ثمة ثلاثة توجهات- على الأقل - للنظر إلى الحقيقة ، وهى توجهات تعكس الطرق المختلفة التى وفقا لها يفهم الباحثون الاجتماعيون العالم الاجتماعى ، وفى ذلك يقول:

” يتبنى أحد الاتجاهات النمطية الشائعة وجهة النظر التى تذهب إلى أنه توجد

حقائق يمكن التعرف عليها فيما يتصل بالطريقة التي يعمل بها العالم الطبيعي والعالم الاجتماعى. فأوجه الانتظام التى تشكل الحقيقة الموجودة بصورة مستقلة يمكن اكتشافها، ووصفها، وتفسيرها عن طريق النظريات، وهى النظريات التى يمكن اعتبارها مستقرة ومؤكدة. ويذهب اتجاه آخر إلى أن كل المعارف المتعلقة بهذين العالمين (الطبيعى والاجتماعى) تعتبر معارف تقريبية غير مقطوع بها. فنحن لا نستطيع إلا السعى وراء الحقيقة ولكننا لا نعرف أبدا متى توصلنا إلى الكشف عنها فعلا. فمعرفةنا محدودة بسبب استحالة ملاحظة الحقيقة مباشرة، إنما تجرى ملاحظة الحقيقة فقط من خلال المفاهيم والنظريات التى نفضل استعمالها (فى البحث عن الحقيقة)، فإن تم تغيير هذه المفاهيم والنظريات فسوف يتغير معها ما يبدو لنا أنه الحقيقة. ويدعى موقف فكرى أكثر تطرفا أن جميع المعارف المتعلقة بهذين العالمين - خاصة تلك المتعلقة بالعالم الاجتماعى - هى معارف نسبية من حيث الزمان ومن حيث المكان، فلا توجد فى رأى أصحاب هذا الموقف حقائق مطلقة". (بليكى، 1993، ص 69).

المعرفة الموقفية

كذلك تتحدد المعرفة تبعا لمواقف الأفراد المعنيين أو تبعا لسياقات محددة. فهى معرفة يؤمن بها الأفراد الذين "يعرفونها"، ولذلك يتعين علينا - كباحثين اجتماعيين - إمعان النظر فيمن سوف نجمع معرفتهم الذاتية. وقد سبق أن لاحظنا مثلا أن مختلف الأفراد فى نفس الأسرة قد يكون لكل منهم رواية مختلفة (أو معارف مختلفة) عن خبرات الأسرة التى تقاسموها معا. وبالمثل إذا أمعنا النظر فى الروايات التى يحكيها رواد هذا الحفل، فمن المرجح أن تختلف وجهات نظر الأفراد المختلفين إلى مدى بعيد، إلا أن الرواية الأبرز التى تصف هذا الحفل بأنه "حفل جميل" هى التى يمكن أن تصدر من هؤلاء الأفراد الذين ينظر إلى آرائهم على أنها مهمة، وذلك فى الوقت الذى قد تعد فيه آراء وخبرات الأعضاء الآخرين و"الأغراب" غير مهمة.

ويذهب بعض الباحثين الاجتماعيين (انظر المثال رقم 2-7 فى هذا الفصل لاحقا) إلى أن المعرفة التى تؤمن بها الجماعات الأكثر قوة هى التى تهيمن على الطريقة التى يتم بها معرفة العالم الاجتماعى وفهمه، وأن المعرفة التى تؤمن بها الجماعات الأقل قوة يتم تجاهلها أو حجبها، وأن هذا الوضع يؤثر - كما سنرى لاحقا - على الاتجاهات

التي يتخذها الباحثون الاجتماعيون في دراسة العالم الاجتماعي وفي طرق البحث المستعملة في جمع البيانات. وتجد في الفصل الخامس من الباب الأول مناقشة للعلاقات الأخلاقية وعلاقات القوة التي تربط الباحثين الاجتماعيين بمصادر بياناتهم.

معنى ذلك أن آراءنا وتوجهاتنا إزاء المعرفة سوف تؤثر على ما نعرفه وكيف نعرفه، أي على الطريقة التي نفكر بها في البحث الاجتماعي وأسلوبنا في تصميمه، وسنتقل الآن إلى محاولة التأمل في الطرق المختلفة للتكفير في العالم الاجتماعي، ما الذي يتعين علينا معرفته وكيف نستطيع التوصل إلى معرفته.

ما الذي يوجد في العالم الاجتماعي مما يتعين معرفته أو الكشف عنه؟ ولماذا يرى الناس الأمور على وجوه مختلفة؟

إن التفكير في الطرق المختلفة لتحصيل المعرفة من شأنه أن يساعدنا على البدء في التفكير أيضا فيما يتعين علينا معرفته داخل العالم الاجتماعي. لقد تبينا للتو أن معرفة الأفراد الشخصية بعالمهم الاجتماعي تأتي من مجموعة من المصادر المختلفة: أي من اعتقاداتهم، التي قد تكون مرتبطة بقيمهم، ومن الأشخاص الذين يتخذهم الأفراد مرجعية لهم فيما يتصل بمختلف جوانب حياتهم الاجتماعية، ومن خبراتهم الشخصية؛ ومن فهمهم الشائع لكيفية حدوث الأمور، ومن النظريات التي يتبنونها هم والآخرين فيما يتصل بكيفية حدوث الأمور وبأسباب حدوثها على الصورة التي تقع بها؛ وأخيرا من عمليات التجميع المنظمة للبيانات أو المعلومات بهدف اختبار فكرة معينة أو نظرية ما، أو محاولة إدراك ما هو موجود فعلا.

الأنطولوجيا

لكي نبدأ التفكير فيما يعنيه هذا لنا كباحثين اجتماعيين، نحتاج الآن للإلقاء نظرة على أحد المصطلحات التي وردت في ثنايا عرضنا من قبل، وهو مصطلح الأنطولوجيا. ويشير هذا المصطلح إلى الطريقة التي ننظر بها إلى العالم الاجتماعي وإلى الظواهر

أو الكيانات الاجتماعية التي يتركب منها هذا العالم . ويمكن أن تشمل هذه الظواهر التكوينات الاجتماعية التي تتكون من بعض الأفراد ، كالأُسرة أو النوع الاجتماعي أو الجماعة العرقية أو المؤسسات أو المنظمات المختلفة . كما تشمل كذلك المواقف والأحداث الاجتماعية ووقائع السلوك الاجتماعي (بما في ذلك عملية البحث الاجتماعي نفسها) . ما الذي يمكننا معرفته عن هذه الظواهر الاجتماعية؟ وما طبيعة المعرفة المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين؟

هناك ثمة مواقف فكرية أنطولوجية مختلفة سنحاول إمعان النظر فيها ، وأعني بها: النزعة الموضوعية ، والنزعة التصورية ، والنزعة الواقعية .

النزعة الموضوعية

تؤكد النزعة الموضوعية ”(انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) على أن الظواهر الاجتماعية التي يتكون منها عالمنا الاجتماعي لها وجودها المستقل الخاص بها (فيما يشبه الشجرة التي ذكرناها في مثالنا السابق) ، وذلك بمعزل عن – وبالاستقلال عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركين في هذه الظواهر . لذلك تعد علاقة الباحث الاجتماعي بالعالم الاجتماعي والظواهر الاجتماعية التي يدرسها علاقة ملاحظة موضوعية .

وتستمد النزعة الموضوعية أصولها من ذلك الاتجاه الذي غالبا ما يأخذ به العلماء الطبيعيون ممن يدرسون الطريقة التي تتصرف بها مكونات العالم الطبيعي من: حيوانات ، ونباتات ، وخلايا ، وذرات ، ونويات (جمع نواة) ، وعناصر كيميائية . ويضفي هذا الاتجاه قيمة كبيرة على موضوعية الباحث واستقلاله ، كما يحدد خصائص العالم الاجتماعي في ضوء الكيانات المنظمة التي يمكن التنبؤ بها والتعرف عليها وتسجيلها بدون التأثير على هذه الكيانات نفسها .

فكر في هذا الموضوع

الأُسرة من وجهة نظر النزعة الموضوعية

يمكن النظر إلى الأُسرة كوحدة اجتماعية تضم أفرادا يرتبطون ببعضهم برابطة

الدم أو رابطة القانون . وهذه النظرة يمكن التوسع فيها لتطبيقها على الجماعات المكونة من الأفراد الذين - رغم عدم ارتباطهم ببعضهم برباطة الدم أو القانون - يعيشون كما لو كانوا مرتبطين بتلك الرابطة ، ويعتبرون أنفسهم أسرة . وقد تتحدد طبيعة العلاقات بينهم بمقتضى القانون أو العادات ، بحيث تشمل المسؤوليات المتعلقة مثلاً بالترتيبات المالية والسلوك الاجتماعى ، خاصة فيما يتصل بالأطفال . وتوجد أحداث حياتية معينة تؤثر على حدوث بعض التغيرات داخل الأسرة - كالزواج ، وولادة طفل ما ، والطلاق ، ونحو ذلك - والتي يمكن تحديدها والتعرف عليها .

وعلى الرغم من أن كل أسرة مفردة تختلف عن غيرها من الأسر ، فإن الفكرة التى تنظر إلى الأسرة كوحدة اجتماعية هى فكرة تمثل حقيقة مستقلة عن الأفراد المعينين الذين هم أعضاء فيها . وتمثل الأسرة مجموعة محددة من العلاقات والسلوكيات التى يمتثل لها مختلف الأعضاء بدرجات متفاوتة من الالتزام .

النزعة التصورية

تؤكد النزعة التصورية «(انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) أن الظواهر الاجتماعية التى تشكل عالمنا الاجتماعى لا تعد ظواهر حقيقية إلا بمعنى أنها أفكار يتم تصورها ، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها (أى الفاعلون الاجتماعيون) بمراجعتها وإعادة تشكيلها باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعى والتأمل (النقدى) . فلا وجود لحقيقة اجتماعية بمعزل عن معنى الظاهرة الاجتماعية فى نظر هؤلاء المشاركين فيها . ومع ذلك يكون ممكنا لنا دائما دراسة المعانى التى تعزى إلى ظاهرة اجتماعية ما (كتنظيم أو منظمة معينة ، أو أسرة ، أو مجتمع محلى ، أو مؤسسة رعاية اجتماعية ، أو قانون ما) ، وكذلك دراسة التصورات المتعلقة بها التى يتصورها الفاعلون الاجتماعيون .

والأهم من ذلك أن الباحث الاجتماعى يدخل على الدراسة التى يجريها - بوصفه جزءا من هذا العالم الاجتماعى نفسه - ما لديه من معانٍ وتصورات شخصية .

فكر فى هذا الموضوع

الأسرة من وجهة نظر النزعة التصورية

يُنظر إلى الأسرة على أنها موجودة فى إطار زمانى ومكانى معين ، داخل إطار ثقافة معينة . وهى محصلة للمعنى الذى يضيفه عليها المشاركون فى تلك الأسرة . ويمكن القول - بعبارة أخرى - إن الأمر المثير للاهتمام ، والذى يمكن دراسته ، هو تصور الأفراد أنفسهم عن «الأسرة» وكيف يستخدمون هذا التصور لفهم حياتهم معا باعتبارهم أسرة .

ويلاحظ أن العلاقات - كتلك التى تربط بين عضو الأسرة وأحد الوالدين ، أو الطفل ، أو الأخ الشقيق ، أو الشريك - يتم تشكيلها على أساس يومى ، كما أن معنى كون المرأة أبا / أو أما ، مثلا ، تتم مراجعته وإعادة تشكيله باستمرار من خلال التفاعل الاجتماعى مع كل طفل ومع غيره من أعضاء الأسرة الآخرين ، وكذلك من خلال الخبرات والتصورات السائدة فى زمنهم وفى ثقافتهم .

ويعنى هذا أن الأفكار المتعلقة بالوالدية داخل الثقافة نفسها يتم بلورتها وإعادة بلورتها باستمرار كذلك على يد أعضاء هذه الثقافة ، كما يعنى أن هذه الأفكار المتصورة نقصح عن نفسها فى الطرق التى وفقا لها تناقش مسألة الوالدية أو يُكتب بها عنها .

الواقعية

غالبا ما تقدم وجهة النظر الموضوعية ووجهة النظر الآخذة بالنزعة التصورية على أنهما وجهتا نظر متضادتين ، حيث ترفض كل وجهة نظر منهما وجهة النظر الأخرى . وهذا يعطى الانطباع بأن وجهتى النظر هاتين تغطيان كل ما يمكن معرفته عن العالم الاجتماعى .

إلا أن هناك بعض العلماء الاجتماعيين الذين يرون أن هناك جانبا كبيرا مما يتصل بحقيقة العالم الاجتماعى (من معلومات وحقائق) لا يمكن ملاحظته بالحواس . وتسلم

الواقعية (انظر قائمة المصطلحات) بأن للعالم الاجتماعى حقيقته المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركين فيه ، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس . ومع ذلك يوجد علاوة على هذا بعد محجوب عن الحواس ، يكون خفيا لا يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة . ويرتبط هذا البعد «الخفى» بما نعرفه عن العالم الاجتماعى بوصفنا كائنات اجتماعية تعد جزءا من هذا العالم وتؤثر على الطريقة التى نتصرف وفقا لها ، ومن خلالها نفهم حياتنا الاجتماعية . ويوصف هذا البعد بأنه يشتمل على الأبنية والآليات التى تستحث الواقع الاجتماعى الذى يمكن ملاحظته أو تؤثر فيه . وعلى حين تكون هذه الآليات وهذه الأبنية غير قابلة للملاحظة ، فإن من الممكن ملاحظة تأثيرها فى طريقة تصرف الناس .

فكر فى هذا الموضوع . . .

الأسرة من وجهة النظر الواقعية

تمثل الأسرة - فى الظاهر - جماعة من الأفراد تربط بينهم مجموعة من العلاقات التى يمكن ملاحظتها . وتذهب وجهة النظر الواقعية إلى أن هناك آليات وأبنية خفية لابد من توفرها لكى يتسنى للأسرة أن تتخذ شكلا خاصا أو محددا . ويمكن أن تشمل هذه الآليات والأبنية - مثلا - حاجة الأطفال النفسية للأمان ، والرعاية المادية والتواصل ، كما تشمل التكاثر البيولوجى الذى يتطلب مشاركة ذكر وأنثى فيه ؛ وتشمل أيضا تشكيل هوية النوع الاجتماعى الذى يتضمن الحياة الجنسية ، والأبوة ، وحمل الأطفال ، وكذلك سائر الحاجات الإنسانية للدعم العاطفى والاجتماعى .

إننا نستخدم النظريات المتعلقة بعالمنا الاجتماعى والمتعلقة بأنفسنا ككائنات اجتماعية لتساعدنا فى تمييز الآليات الخفية الكامنة وفى فهم الطريقة التى تعمل بها .

ما الطرق المتاحة «للنظر» إلى العالم الاجتماعى ويمكن أن تساعدنا على التفكير فيما نريد دراسته وكيفية عمل ذلك؟

حاولنا فيما سبق أن نحدد ونناقش ثلاث وجهات نظر فى فهم طبيعة العالم الاجتماعى وما يمكن دراسته عن هذا العالم ، وهى وجهة النظر الموضوعية ، والتصورية ،

والواقعية. ثم نحاول فيما يلي استخدام وجهات النظر هذه فى التفكير فى كيفية تأثير تبنى وجهات النظر المختلفة فى طبيعة العالم الاجتماعى على الطرق التى يمكننا بها جمع المعرفة عن الظواهر الاجتماعية الموجودة فى هذا العالم الاجتماعى. ونريد الآن أن نقدم مصطلحا آخر، هو الإستمولوجيا. ويشير هذا المصطلح إلى ما يمكن اعتباره معرفة تتعلق بظاهرة اجتماعية ما، كما تهتم الإستمولوجيا بتحديد نوع المعرفة الذى يكون استخدامه مقبولا لمساعدتنا فى دراسة تلك الظاهرة كباحثين اجتماعيين.

ما: الإستمولوجيا (2)

الإستمولوجيا نظرية للمعرفة، وهى تطرح رؤية ما وتبريرا لما يمكن اعتباره معرفة، أى ما الذى يمكن معرفته، وما المعايير التى لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيها لكى تستحق أن تسمى معرفة وليست اعتقادات (بليكى، 1993، ص 6 - 7).

سنقدم ثلاثا من وجهات النظر الإستمولوجيا المختلفة هى: الوضعية، والتأويلية، والواقعية. وفى ثنايا تجليها لذهنك تدريجيا، ستبدأ فى إدراك مدى ما يمكن أن تحدثه هذه الرؤى على اختيارك لموضوع البحث تحديدا على أسئلة البحث التى تطرحها.

الوضعية

أشرنا من قبل إلى أن بعض العلماء الاجتماعيين قد ذهبوا إلى أن التوجهات التى تتبناها العلوم الطبيعية يمكن تطبيقها فى دراسة الظواهر الاجتماعية، وأن الاتجاه الإستمولوجى الأول الذى يتعين استعماله هو ذلك الاتجاه الذى جرت عادة العلماء الطبيعيين على الأخذ به تقليديا، وأعنى به الاتجاه الوضعى (انظر قائمة المصطلحات). ويتطور هذا الاتجاه انطلاقا من وجهة النظر الأنطولوجية ذات النزعة الموضوعية التى ترى أن الحقيقة الاجتماعية توجد مستقلة عن الباحث وعن الباحثين.

ويتسم الاتجاه الوضعى بعدد من السمات المتميزة، هى:

- يتم تعريف المعرفة بأنها هى ما يمكن ملاحظته بالحواس.

- تركز معرفة الظاهرة الاجتماعية على ما يمكن ملاحظته وتسجيله وليس على التصورات الذاتية.
- عادة ما يجرى جمع البيانات بقصد اختبار فرض (انظر قائمة المصطلحات) تم توليده من إحدى النظريات القائمة.
- الباحث مستقل عن هذه البيانات وليس له تأثير عليها، أى إن الباحث موضوعي.

ما: الاتجاه الوضعي

يعنى "الاتجاه الوضعي" فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكمية .
- قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعى ، أى الظواهر الاجتماعية .
- البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعى .
- غالبا ما تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات ، كما تستخدم الإحصاءات .
- (انظر الفصل الأول من هذا الباب ، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه) .

مثال 2-2

اتجاه وضعي فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى

والزيادة فى جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى العام وجد أن 80 % من البالغين الذين تم سؤالهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى البيت هما من عوامل الزيادة فى الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية بين الفتيان . فكيف ينبغي علينا أن نبحث العلاقة بين التفكك الأسرى والفتيان المشاركين فى جرائم الأسلحة النارية؟

إذا كنا سنتبنى اتجاهها وضعياً ، فإنه ينبغي علينا الآتى :

1- أن نصوغ فرضاً مؤداه أن الفتيان الذين عانوا من التفكك الأسرى يزداد احتمال تورطهم فى الجرائم الخطيرة بمعدل يفوق الفتيان الذين لم يمروا بتجربة التفكك الأسرى .

2- ينبغي أن نعرف "التفكك الأسرى" وفقاً للمؤشرات القابلة للملاحظة ، والتي منها مثلاً: الحضور الدائم أو الغياب الدائم للوالدين الطبيعيين ، وطلاق الوالدين ، وتورط بعض أعضاء الأسرة الآخرين فى أنشطة إجرامية .

3- ينبغي أن نتأمل النظريات المتعلقة بموضوع الفتيان والجريمة ، والتي منها مثلاً نظرية أن الفتيان العاطلين عن العمل أو غير الملتحقين بالتعليم يزداد احتمال ارتكابهم للجرائم .

4- ينبغي أن نجمع بيانات عن عينة كبيرة من الفتيان ، بحيث تحتوى هذه البيانات على شواهد دالة على وجود "التفكك الأسرى" أو وجود أى نشاط إجرامى . كما ينبغي أن نجمع بيانات تتعلق بالنظريات الأخرى التى سوف نأخذها فى اعتبارنا .

5- ينبغي أن نستخدم التحليل الإحصائى لتحديد العلاقات (والتي يحتمل أن تكون علاقات سببية) بين مختلف المتغيرات على نحو ما تعكسه هذه البيانات .

النزعة التأويلية

تدور داخل نطاق العلوم الاجتماعية معركة فكرية طال عليها الأمد وتتعلق بما فى وجهات النظر البحثية التى يأخذ بها العلم الطبيعى من فائدة لدراسة العالم الاجتماعى ، كما أن جزءاً لا يستهان به من هذه المعركة الفكرية يدور حول فائدة استخدام الاتجاه الوضعى فى دراسة الظواهر الاجتماعية . ذلك أن كثيرين من العلماء الاجتماعيين يؤمنون أنه لا بد للبحث الاجتماعى أن يشتمل على التصورات والتفسيرات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التى لا تكون بالضرورة قابلة للملاحظة عن طريق الحواس ،

بل يمكن تأويلها من قبل كائن إنسانى آخر ، ويقصد به هنا الباحث الاجتماعى . وتسمى وجهة النظر الإستمولوجية (المعرفية) التى انبثقت وتبلورت من هذا الاتجاه: "النزعة التأويلية" (انظر قائمة المصطلحات).

وهكذا تمثل هذه النزعة وجهة نظر تعطى الأولوية لما يراه الأفراد من تأويلات وتصورات ذاتية للظواهر الاجتماعية ، ولما يقومون به من أعمال وتصرفات شخصية ، كما أن بالإمكان ربط وجهة النظر هذه بوجهة النظر الأنطولوجية للنزعة التصورية ، والتى ترى أن ظاهرة اجتماعية ما نجدها ماثلة فى التصورات والمعانى التى يعزوها الفاعلون الاجتماعيون لهذه الظاهرة الاجتماعية:

"ينظر إلى المعرفة باعتبار أنها مستمدة من مفاهيم ومعانى الحياة اليومية ، فالباحث الاجتماعى يدخل إلى العالم الاجتماعى لكى يتمكن من الإلمام بالمعانى التى صنعها المجتمع ، ثم يعمل بعد ذلك على إعادة صياغتها فى لغة العلم الاجتماعى . وعند أحد المستويات ، تعد تلك التقارير (التي يقدمها الباحث) إعادة صياغة أو إعادة وصف واقع الحال السائد فى الحياة اليومية . وعند مستوى آخر ، يتم تطوير هذه التقارير والتفسيرات (التي قدمها الباحث) وبلورتها فى صورة نظريات" (بليكى ، 1993 ، ص96).

ويتسم الاتجاه نحو النزعة التأويلية بالسلمات التالية:

- تشتمل المعرفة التى يجمعها الباحث على تفسيرات الأفراد وتصوراتهم .
- ينصب الاهتمام الرئيسى على الطريقة التى بها يفسر الناس العالم الاجتماعى والظواهر الاجتماعية ، مما يمكنهم من استكشاف مختلف الرؤى ووجهات النظر .
- يقوم الباحث بتفسير تفسيرات الآخرين فى ضوء النظريات والمفاهيم الموجودة فى تخصص الباحث الاجتماعى ، أى إنه يدرس الظاهرة الاجتماعية هذه كما لو كانت دراسته تلك تتم من خلال عيون الأفراد الجارى بحثهم (المبجوثين) .
- يستعمل الباحث ما يتم جمعه من بيانات ليصوغ نظرية .

ما: الاتجاه التأويلي

يعنى الاتجاه التأويلي فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى:

- جمع البيانات الكيفية (أى الغزيرة فى التفاصيل والوصف الدقيق).
 - كشف النقاب عن المعانى الذاتية، واستخدامها مادة البحث.
 - تأويل المعنى فى إطار سياق محدد.
 - الفهم المتعاطف، أى: "وضع الباحث نفسه فى موضع الشخص الآخر" (المبحوث).
- (انظر الفصل 3 من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

مثال 2 - 3

اتجاه تأويلي فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والزيادة

فى جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى وجد أن 80 % من البالغين الذين اشتركوا فى هذا الاستطلاع كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل هما من عوامل زيادة أعداد الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية بين الفتيان: فكيف ينبغى علينا أن نبحث هذه العلاقة التى بين التفكك الأسرى والفتيان المتورطين فى جرائم مرتبطة باستعمال الأسلحة النارية؟

فإذا أردنا تبني الاتجاه التأويلي فإنه يتعين علينا ما يلى:

- 1- أن نستكشف بالتعاون مع الفتيان الذين سبق لهم أن تورطوا - أو الذين هم متورطون حالياً - فى أنشطة تشتمل على حيازة الأسلحة النارية، نستكشف معهم كيف يرون موقفهم الشخصى فيما يتصل بالآخرين المشتركين معهم

وكذلك فيما يتعلق بالأفراد الذين كانوا ضحايا لهم بالفعل أو يحتمل أن يكونوا ضحاياهم .

2- وأن نمكّن الفتيان من أن يحكوا قصتهم الشخصية الخاصة عن كيفية تورطهم فعلا في أنشطة تشتمل على حيازة أسلحة نارية .

3- أن نتفحص الطرق التي يتبعها أولئك الفتيان في التحدث والكتابة على الإنترنت عن الأسلحة النارية وعن الجريمة .

4- وأن نتيح للوالدين الذين لهم أبناء من الفتيان الذين قد يحوزون أسلحة نارية ، وقد يكونون متورطين في جرائم مرتبطة باستخدام تلك الأسلحة؛ نتيح لهم فرصة تقديم تصورهم لدورهم كأباء وأمهات .

5- من واقع ما تم جمعه من البيانات الغزيرة والتفصيلية ينبغي علينا أن نبلور التفسيرات الممكنة لاشتراك بعض الفتيان في الجرائم المرتبطة باستخدام الأسلحة النارية .

النزعة الواقعية

اعتاد المفكرون النظر إلى كل من الوضعية والتأويلية باعتبارهما نزعتين متضادتين لبعضهما البعض ، كما أن العلماء الاجتماعيين الذين ينطلقون في بحوثهم من إحدى هاتين النزعتين أو من الأخرى قد طوروا ما يخصهم من مناهج البحث وطرقه (انظر الفصل 4 من الباب 1 والفصل 4 من الباب 2) . ومع ذلك ظل العلم الاجتماعى يواصل العمل على ابتكار وتطوير طرق جديدة لتناول قضية دراسة العالم الاجتماعى الذى يكون الباحث عضوا فيه . من ناحية أخرى تقدم الواقعية - كما رأينا - رؤية أخرى لطبيعة العالم الاجتماعى ولما يمكن معرفته عنه .

تنطلق الواقعية (انظر قائمة المصطلحات) من رؤية شبيهة بالوضعية من حيث الاعتراف بوجود حقيقة اجتماعية تعد خارجية بالنسبة للباحث ، وفى الإيمان بأن بالإمكان بحث هذه الحقيقة باستخدام الاتجاهات الشبيهة بتلك المستخدمة فى العلوم

الطبيعية. أما الواقعية فتذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ترى أن الحقيقة الاجتماعية الظاهرة تركز على بعض الأبنية والأساليب الخفية، التي تتسم في الوقت نفسه بأنها قوية. وهذه الأساليب لا يمكن ملاحظتها مباشرة، إلا أن تأثيراتها ونتائجها تكون جلية، لذلك فإن بالإمكان تجميع هذه التأثيرات والنتائج لتقديم الدليل على وجود هذه الأبنية أو الأساليب الأساسية. ويوجد كذلك اتجاه واقعي نقدي يعطى الأولوية لتحديد الأبنية أو الأساليب التي ينتج عنها مظاهر عدم المساواة أو الظلم، وبذلك يتيح هذا الاتجاه الفرصة لإحداث التغير الاجتماعي عن طريق تغيير أو إبطال تأثير هذه الأساليب البنائية التي تسبب هذه التأثيرات. ولا ينطبق هذا الاتجاه (الواقعي النقدي) انطباقاً تاماً على الاتجاه الأنطولوجي الوضعي أو التصوري، لأنه يركز على عملية بلورة المعرفة التي تكون واقعية ولكنها غير قابلة للملاحظة أكثر من تركيزه على ما يترتب على هذه المعرفة من نتائج. وهكذا يتمثل الهدف الرئيسي للباحث الواقعي النقدي في التعرف على كل من الأساليب الخفية والنتائج الظاهرة الملحوظة.

ما : الاتجاه الواقعي النقدي؟

جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعي النقدي في البحث الاجتماعي على أنه:

- الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية .
 - كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة .
 - البحث الذي يؤدي إلى الفعل (أى التدخل).
 - جمع البيانات الكيفية و /أو البيانات الكمية .
- (انظر الفصل 3 من الباب 1 ، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

اتجاه الواقعية النقدية فى دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى

والزيادة فى عدد جرائم استخدام الأسلحة النارية

سبق أن سلطنا الضوء على أحد استطلاعات الرأى الذى وجد أن 80 % من البالغين الذين استطلعت آراؤهم كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل هما من عوامل زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان . فكيف يتسنى لنا دراسة العلاقة بين التفكك الأسرى والفتيان المتورطين فى جرائم ترتبط باستعمال الأسلحة النارية؟

إذا أردنا تبني الاتجاه الواقعى النقدى فإنه يتعين علينا :

1- الانطلاق من الواقع المائل أماننا، وهو أن اشتراك الفتيان فى الأنشطة المرتبطة بالأسلحة النارية أخذ فى الازدياد، وأنه يبدو مرتبطاً بحالة من حالات التفكك الأسرى أو ناجما عنها .

2- محاولة التماس البحوث الأخرى فى هذا المجال والمتصلة بتعيين الأساليب الممكنة التى قد تؤدى إلى أن يصبح بعض الفتيان الذين يعانون من التفكك الأسرى متورطين فى الجرائم المرتبطة باستعمال الأسلحة النارية، وتأمل النتائج التى انتهت إليها تلك البحوث .

3- التعرف على الآليات الاجتماعية التى يحتمل أن تكون مرتبطة بالتفكك الأسرى ، والتى قد تتسبب فى اشتراك الفتيان فى أنشطة إجرامية باستخدام الأسلحة النارية . ومن هذه الآليات على سبيل المثال : ما يتعرض له هؤلاء الفتيان من استبعاد اجتماعى أو وصم اجتماعى بتصويرهم فى صورة نمطية جامدة ، كما أن من هذه الآليات ما يتصل بأنماط الأدوار الاجتماعية التى يؤديها هؤلاء الفتيان ، وما يرتبط بمفهومهم عن الهوية الذكورية .

4- بعد القيام بجمع البيانات الكيفية والكمية يتعين علينا أن نستكشف ما إذا كانت هناك ثمة آلية خفية أم لا ، ونستكشف الطريقة التى تعمل بها تلك الآلية بحيث تتسبب فى تورط بعض الفتيان فى النشاط (الإجرامى) المرتبط باستعمال الأسلحة النارية .

ما الذى نحاول عمله عندما نقوم بإجراء البحث الاجتماعى؟

بدأنا نفكر فى طرق دراسة الظواهر الاجتماعية ومختلف أشكال المعرفة التى قد تكون ملائمة لوجهات النظر الإستمولوجية (المعرفية) المختلفة. و ننتقل الآن إلى محاولة إلقاء نظرة على ما نحاول فعله عندما نقوم بإجراء بحث اجتماعى ما.

”يقوم البحث الاجتماعى على استكشاف جانب ما من العالم الاجتماعى، ووصفه بالتفصيل، وفهمه، وتفسيره، والتنبؤ به، وتغييره، وتقييمه... أى يتعلق بالأسئلة التى تبدأ بالكلمات: ماذا، ولماذا، وكيف“. (بليكى، 1993، ص4).

فنحن كباحثين اجتماعيين نحاول بالأساس القيام بما يلى:

(أ) أن نصف بالتفصيل ونستكشف ظاهرة اجتماعية ما (أو عدة ظواهر اجتماعية).

(ب) ونحاول - عادة - أن نفهم ونفسر كيف ولماذا تكون هذه الظاهرة على ما هى عليه، أو كيف ولماذا يفهمها البعض على النحو الذى تفهم به.

ولتوضيح ذلك نقول إننا نحاول أن نصف هذه الظاهرة ونستكشفها باستعمالنا للأسئلة التى تبدأ بالكلمات: ماذا؟، ومن؟، وأين؟، ومتى؟، ونحاول أن نفهم ونفسر هذه الظاهرة الاجتماعية باستعمال أسئلة مثل: كيف؟ ولماذا؟ (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

وفى ممارستنا لهذه المهمة قد نقوم بالإجابة على أكثر من سؤال واحد من هذه الأسئلة الواردة فى بحث معين، إذ من الممكن أن تكون هذه الأسئلة مترابطة فيما بينها، أو قد تتوقف الإجابة عن سؤال معين على إجابة سؤال آخر. ويذهب شات Shutt (انظر جدول 1-2) إلى أنه من المعهود أن توجد أربعة أنماط من البحوث، وأن بالإمكان إيضاح هذه الأنماط باستعمال المثال الخاص ببحث موضوع مشاركة بعض الفتيان فى جرائم باستخدام الأسلحة النارية.

جدول 2 - 1 : الأنماط الأربعة للبحث

البحث الوصفى	من هم الفتيان الذين يتورطون فى جرائم باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث الاستكشافى	ما الصورة التى يكون عليها العضو فى إحدى هذه العصابات؟
البحث التفسيرى	لماذا ينضم الفتيان إلى العصابات التى تشارك فى جرائم مرتبطة باستخدام الأسلحة النارية؟
البحث التقييمى	ما التغييرات التى يمكن إحداثها فى مجال السياسة وفى مجال الممارسة، والتى من شأنها أن تقدم أفضل مساعدة للفتيان حتى لا ينضموا لأمثال تلك العصابات؟

المصدر : نقلا بتصريف عن شات (1996، ص13) وتم النشر بإذن.

<p>بحثك</p> <p>أعمل فكرك فى المجال الخاص ببحثك وحدد أربعة أسئلة أو أربعة عناصر ينبغى أن توليها عنايتك:</p> <ul style="list-style-type: none"> • البحث الوصفى • البحث الاستكشافى • البحث التفسيرى • البحث التقييمى
--

وسوف نبحث هذه النقطة بمزيد من التعمق فى الفصل الرابع من هذا الباب ،
بمناسبة مناقشة موضوع أسئلة البحث .

فى معظم البحوث الاجتماعية يمكننا أن نتوقع وجود محاولة (واحدة) على الأقل لتفسير ما يحدث وتفسير طبيعة الظاهرة الاجتماعية، فى ضوء السؤال عن: لماذا وكيف صارت هذه الظاهرة إلى ما هى عليه الآن؟ هذا هو ما نفعله عندما نتعامل مع بياناتنا أثناء مرحلة التحليل فى بحثنا (موضوع الباب الرابع من هذا الكتاب).

قد تتخذ التفسيرات عددا من الأشكال المختلفة نذكر منها:

- قد يكون التفسير متعلقا بهذه الظاهرة، أو الحدث، أو الظرف تحديدا (وغالبا ما يسمى الواحد من هذه الأمور: متغيرا) (انظر قائمة المصطلحات) المتسبب في إحداث تلك الظاهرة - أى إن هذا التفسير يتعلق بوجود علاقة سببية (انظر قائمة المصطلحات).
- وقد يكون التفسير متعلقا بالتوصل إلى فهم أفضل للكيفية التى يعزوها الأفراد المعانى والتصورات لما يحدث لهم.
- وقد يتعلق التفسير بالبحث عن الظروف أو الأبنية التى يبدو أنها تحدد ما الذى يفعله الأفراد وما الذى يفكرون فيه.

سوف ترى أن هذه الأشكال الثلاثة من التفسير تتطابق مع وجهات النظر الإستمولوجية (المعرفية) الثلاث التى سبق تحديدها، وهى: الوضعية، والتأويلية، والواقعية. كما سوف نرى أن هذه التفسيرات تستخدم أنماطا مختلفة من المعارف. وفى الوقت الذى يصدق فيه هذا الكلام عموما على أشكال التفسير المذكورة، وكما سنتبين عندما نبدأ فى أعمال الفكر فى تطوير أسئلة البحث واختيار طرق البحث، فإن هذه الاتجاهات الثلاثة فى التفسير ليست متضادة بالضرورة، أى لا يستبعد الواحد منها التفسيرين الآخرين. (انظر الفصل 4 من هذا الباب، وكذلك الفصل 4 من الباب 2).

كيف يمكن أن تساعدنا النظريات فى بحثنا الاجتماعى؟

يقوم البحث الاجتماعى أساسا على جمع البيانات وتحليلها وفق طرق من شأنها أن تساعدنا على فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية. وقد رأينا أنه توجد طرق مختلفة لتحصيل المعرفة، وأن لدى العلماء الاجتماعيين طرقا مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعى. كما أنهم يقبلون أنماطا مختلفة من المعارف التى يعدونها مفيدة لهم فيما يحاولونه من فهم وتفسير.

سلفت الإشارة فى ثنايا حديثنا عن النظريات ، وهى فى هذه الحالة النظريات المتعلقة بالمعرفة ، وما هى المعرفة الموجودة فيما يتصل بالعالم الاجتماعى ، وكيف يمكن استخدام المعرفة المتعلقة بها العالم فى مساعدتنا على فهم وتفسير الظواهر . وتعتبر وجهات النظر الأنطولوجية والإبستمولوجية - فى حد ذاتها - نظريات للمعرفة . ولأننا قد تبيننا أن هناك نظريات مختلفة ، أو مجموعات مختلفة من الأفكار ، عن طبيعة المعرفة وعن كيفية التوصل إلى معرفتها أو كيفية تحصيلها . وتقوم وجهات النظر الإبستمولوجية التى نعرفنا عليها على أساس نظريات المعرفة ، وهى - بصفقتها هذه - تزودنا بنظريات البحث الاجتماعى ، وأعنى على وجه الخصوص النظريات التى تحاول أن تشرح طبيعة البحث الاجتماعى نفسه .

ما: النظرية؟

النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم مترابطة يمكن استخدامها لشرح وفهم حدث ، أو موقف ، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية .

ما: المفهوم؟

المفهوم فكرة مجردة تشتمل على طريقة فى وصف ظاهرة اجتماعية ما ، كظاهرة الأسرة ، أو ظاهرة الفقر ، أو القوة ، أو الصحة ، أو التفكير فيها . (انظر الفصل الرابع من هذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باستخدام المفاهيم) .

وأيا ما كان الاتجاه الذى نأخذ به فى بحثنا ، فستكون النظرية جزءا منه . ولأننا جميعا باحثون ، فإننا نعتبر جميعا مفكرون نقوم بالتنظير (التفكير على هدى نظرية ما) فى كل يوم . وتعتبر النظريات مجموعات من الأفكار التى تحاول شرح أو تفسير أمر ما ، أى تفسير العلاقة بين خاصيتين أو سمتين ، وتفسير سبب حدوث وقائع معينة ، وتفسير كيف يؤول الأمر ببعض الأفراد إلى الإيمان برؤى معينة أو التصرف بأساليب معينة . ونحن فى كل طريق نسلكه فى حياتنا اليومية ، نعتمد على ما نؤمن به من نظريات فى تفسير ما يحدث لنا .

النظرية: كلما زاد الوقت الذى تنفقه فى القراءة، ارتفع مستوى جودة أدائك للمهمة البحثية (وهى نظرية من الممكن دحضها - أى تكذيبها - بسهولة تامة).

أظن أنتنى أدبت هذه المهمة أداء جيداً، لأننى أمضيت ساعات فى المكتبة العامة أقرأ حول موضوعات

النظرية: يمكن أن يتأثر العمل الدراسى الأكاديمى بمظاهر القلق والضغوط الشخصية.

إنها لم تتحصل على درجات عالية فى هذه السنة لأنها مرت بأوقات عصيبة، فقد انفصل أبواها وكانت جدتها مريضة.

كثيراً ما نحاول - فى محاوراتنا - تفسير أنفسنا للآخرين بالاعتماد على الأفكار المتعلقة بالطريقة التى تجرى بها الأمور، أو قل الطريقة التى ينبغى أن تجرى الأمور وفقاً لها، وذلك بجانب الاعتماد على الأفكار المتعلقة بكيف تسير الأمور وكيف تفعل فعلها: وتعتمد هذه الأفكار على خبرتنا العامة المشتركة المستمدة من كوننا كائنات إنسانية اجتماعية. ونحن نستخدم خلاصة خبرتنا، وقدرتنا على التعاطف مع الآخرين، ومفهوماً لطريقة تطبيق نظرياتنا على الآخرين.

وإلى جانب استخدام العلماء الاجتماعيين (والعلماء الطبيعيين أيضاً) لنظريات البحث الاجتماعى، يقومون بتطوير النظريات واستخدامها فى محاولة شرح طبيعة الظواهر التى يدرسونها. وكما أنه توجد طرق مختلفة لشرح طبيعة البحث الاجتماعى، يوجد -بالمثل تماماً- طرق مختلفة لشرح كيفية النظر إلى ظاهرة اجتماعية معينة كالأسرة مثلاً، أو كيفية فهمها على ما هى عليه. ونحن كباحثين اجتماعيين بحاجة إلى أمرين اثنين معاً: أن نحدد ما يخصنا من نظريات تتعلق بموضوع بحثنا، وأن نحيط علماً بالنظريات التى استعملها الباحثون الآخرون أو طوروها من واقع النتائج التى انتهت إليها أبحاثهم.

يستعمل أوبريان O'Brian (نقلاً عن جيلبرت Gilbert، 1993، ص: 11) المثال الخاص بالكاليدوسكوب (أو المشكال المتعدد الصور والألوان) ليوضح الطريقة التى تساعدنا بها النظريات فى دراسة العالم الاجتماعى، فيقول:

”عندما تدبر الأنوبية وتنظر إلى ما هو موجود تحت عدسة الكاليدوسكوب، سوف تجد أن الأشكال والألوان التى يمكن رؤيتها فى القاع تأخذ فى التغير. وكلما أدبرت الأنوبية تشترك عدسات مختلفة فى العمل، وتتحول توليفات الألوان والأشكال من نمط إلى آخر“.

وهكذا تشبه النظريات العدسات ، فهي تضع عناصر مختلفة من العالم الاجتماعى فى نطاق رؤيتنا ، كما أنها تستطيع مساعدتنا على رؤية العالم الاجتماعى بطرق جديدة .

فكر فى هذا الموضوع . . .

سبق أن سلطنا الضوء على استطلاع للرأى وجد أن 80 % من البالغين الذين طرحت عليهم الأسئلة كانوا يرون أن التفكك الأسرى ونقص التأديب فى المنزل ، يعد ضمن العوامل التى تؤدى إلى زيادة جرائم استخدام الأسلحة النارية بين الفتيان .
ما النظرية أو النظريات التى ترى أن الأفراد الذين يؤمنون بهذا الرأى ربما يكونوا قد استخدموها؟

مثال 2 - 5

أمثلة للنظريات المتعلقة بالمثل الخاص

بعصابات المراهقين والأسرة

- الذكورة مفهوم يتشكل (أى يتم فهمها وإضفاء المعنى عليها) اجتماعيا . ويتم ذلك بطرق مختلفة تتباين باختلاف العصور والثقافات (النظرية التصورية الاجتماعية) .
- يتأثر تطور الطفل بالثقافة ، والجيرة ، والأسرة (وهى النظرية المعروفة باسم النموذج الإيكولوجى التفاعلى) .
- من وظائف الأسرة أن تنشئ الأطفال تنشئة اجتماعية (النظرية الوظيفية) .
- هناك بعض جماعات الصبيان التى يتوقع لها أن تخفق فى التحصيل الدراسى (نظرية التفكير النمطى الجامد/ أو نظرية الوصم) .
- ينضم بعض الفتيان للبعصابات لأن ذلك يعطيهم إحساسا بالانتماء وبالهوية ، وهو الأمر الذى قد يفتقدونه فى الجوانب الأخرى من حياتهم (نظرية الهوية) .
- الطفل الذى يشاهد العنف قد يصبح عدوانيا ، ويرى أن العنف أمر عادى (نظرية التعلم الاجتماعى) .

كثيرا ما توصف النظريات الاجتماعية بأنها ذات مستويات مختلفة فيما يتصل بمجالات العالم الاجتماعى التى يمكن القول بأنها تغطيها: المستوى الماكرو (أو الكبير) ، والمستوى المتوسط ، والمستوى المايكرو (أو الصغير) .

النظريات الماكرو (الكبرى) (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب)، والتي تسمى أحيانا نظريات الوحدات الكبرى أو الواسعة النطاق، وهى التى تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعى بمفاهيم ومصطلحات عامة.

النظريات الوسطى (انظر قائمة المصطلحات): وهى النظريات ذات المستوى المتوسط المتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعتادة، مثل: المنظمات، والمؤسسات، والمجتمع المحلى، والأسرة.

النظريات الصغرى (المايكرو) (انظر قائمة المصطلحات): وهى النظريات ذات النطاق المحلى المحدود أو الصغير، والتي ترتبط بمجال محدد، أو بجماعة محددة من الناس، أو بجانب محدد من جوانب العالم الاجتماعى.

تؤثر النظريات الكبرى (الماكرو) على الطريقة التى يفكر بها العلماء الاجتماعيون فى العالم الاجتماعى باعتباره وحدة كلية متكاملة، كما أن بإمكانها أن توفر الأساس الذى يقوم عليه تطوير نظريات ذات مستوى أدنى ترتبط بجوانب أكثر تحديدا من جوانب الحياة الاجتماعية.

مثال 2 - 6

مستويات النظريات المتعلقة بمثال عصابات المراهقين والأسرة

النظرية ذات المستوى الكبير (أو الماكرو): تقول إن الذكورة مفهوم تتم صياغته اجتماعيا (أى إنه يتم فهمها وإضفاء المعانى عليها بطرق مختلفة فى شتى العصور والثقافات).

النظرية ذات المستوى المتوسط: تقول إنه إن حدث فى نطاق ثقافة معينة أن تم تصور الذكورة اجتماعيا باعتبارها قوية ومهيمنة، فإن هذا التصور سوف يتضح من الطريقة التى يتم بها بناء الأسر والمنظمات.

النظرية ذات المستوى الصغير (أو المايكرو): تقول إنه غالبا ما يفتقد الفتيان الذين ينضمون للعصابات التى يسيطرون بها على الجوانب الأخرى لحياتهم، وأنهم يسعون لاكتساب القوة من خلال عضويتهم فى عصابة ما وارتكابهم للجرائم).

النماذج النظرية

تحاول النظريات الكبرى (الماكرو) أن تستوعب العالم الاجتماعى كله ، كما تغطى مجمل الظواهر الاجتماعية موضوع البحث الاجتماعى نفسه ، وينضوى تحتها أفكار تتعلق بطبيعة العالم الاجتماعى وبالطرق المتفق عليها لدراسته . وهذا معناه أن اتجاهها نظريا معينا يمكنه أن يضم فى إطاره موقفه الأنطولوجى والإبستمولوجى (المعرفى) الخاص به . وأحيانا ما توصف صيغة الجمع بين نظرية عن العالم الاجتماعى ومواقف أنطولوجية وإبستمولوجية معينة بأنها نموذج نظرى .

ما: النموذج النظرى؟

(1) هو مجمل الاعتقادات ، والقيم ، والأساليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التى يتوافق عليها أعضاء جماعة (علمية) معينة (كون Kuhn ، 1970 ، ص175) .

(2) هو مجموعة مترابطة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التى يعتبرها العلماء المشتغلون بتخصص معين أو بفرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراسته ، وكيف ينبغى إجراء البحث وكيف يجب تفسير النتائج ، وما إلى ذلك (برايمان ، 1988 ، ص4) .

فالنماذج النظرية تعكس - كما يوحى هذا التعريف - مصالح الجماعات البحثية واهتماماتها وما يركزون عليه من موضوعات للبحث ، أو ما يشغل العلماء الاجتماعيين المنتميين إلى تخصص معين أو الذين يشتركون فى الأخذ بمجموعة من الاعتقادات المستوحاة من بعض النظريات المتعلقة بالعالم الاجتماعى؛ نقول إن النماذج الفكرية تعكس ما يشغل هؤلاء العلماء من اهتمامات . ويمكننا أن نحدد من هذا القبيل داخل نطاق العلوم الاجتماعية على سبيل المثال: النسوية ، وما بعد الحداثة ، وما بعد البنيوية بوصفها نماذج فكرية (انظر المثال (2-7) الوارد أدناه للوقوف على مناقشة النسوية وعلى وجهات النظر الأنطولوجية والإبستمولوجية المتضمنة فى النظرية النسوية) . ويتحدث الباحثون أحيانا عن الطريقة التى بها يقوم نموذج فكرى معين بتعزيز بحثهم فيصفونه بأنه الإطار النظرى (انظر قائمة المصطلحات) . ويوحى ذلك بأن الأفكار والاتجاهات النظرية المتعلقة بالنظرة إلى المعرفة وجمعها هى التى توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع البحث . ويصف مارلو Marlow النموذج النظرى بأنه أشبه بالخريطة ، "إذ

يوجهنا - بشكل نافع - إلى المشكلات التي يكون من المهم معالجتها، وإلى النظريات التي تعد موضع قبول واتفاق، وإلى الإجراءات اللازمة لحل هذه المشكلات". مارلو، (2001، ص7).

مثال 2 - 7

النسوية : النظرية ، والأنطولوجيا ، والإبستمولوجيا

فى الجزء الأخير من القرن العشرين قام النسويون - وهم الأفراد الذين يؤمنون بمجموعة من الأفكار والاتجاهات فى دراسة وتفسير العالم الاجتماعى تعطى الأولوية لخبرات النساء ورؤاهن - نقول: قام النسويون بتحدى الباحثين الاجتماعيين أن يتناولوا بحوثهم انطلاقاً من منظور نسوى . فالباحثون النسويون يرون أن العلاقة بين النوعين (الذكور والإناث) والفروق بينهما أمر أساسى لا بد منه لفهم وتفسير العالم الاجتماعى . كما يرى المنظور النسوى أن أغلب البحوث الاجتماعية قد ركزت على دراسة الرجال وعالمهم الاجتماعى ، وأنها بذلك عملت على إخفاء أو تجاهل أصوات وخبرات النساء . وهكذا جرى طرح اتجاه جديد فى البحث الاجتماعى يسعى من أجل دمج الأفكار النسوية داخل هذه الأنطولوجيا والإبستمولوجيا .

ويصف الباحثون النسويون طبيعة العالم الاجتماعى (أى الأنطولوجيا) على اعتبار أنه يتم صياغتها وفهمها اجتماعياً ، كما يرى هؤلاء الباحثون النسويون أن العالم الطبيعى والعالم الاجتماعى كليهما قد خضعا لهيمنة الرجال على تشكيلهما وتصورهما ، أى إن ما قدمه الرجال من المعانى والتصورات المتعلقة بطبيعة الظواهر الاجتماعية كان لها الأولوية فى المحاولات التى بذلت لفهم وتفسير العالم الاجتماعى . لذلك تشتمل الأنطولوجيا النسوية على تصورات متعددة ، كما أنها تؤكد بصفة خاصة على الفروق فى المعانى والتصورات بين الرجال والنساء .

وتعطى الإبستمولوجيا النسوية الأولوية لخبرات النساء ، باعتبارها الأساس الذى تقوم عليه أى معرفة بظاهرة اجتماعية ما ، كما تركز تلك الإبستمولوجيا على الخبرات ، والمشاعر ، والانفعالات التى يشترك فيها الجميع . فهى تنطوى على نوع من التأكيد على أهمية طرق جمع البيانات التى تضع الباحث جنباً إلى جنب

شريك البحث (المبحث) وهما يتعاونان في العمل لتوليد المعرفة (انظر: "طرق البحث القائمة على المشاركة" في الفصل الأول من الباب الثالث، وانظر أيضا: "موضوع القوة في البحث الاجتماعي" في الفصل الخامس من هذا الباب). كما يوجد -غالبا- التزام صريح بالتغيير في العلاقات القائمة على النوع الاجتماعي بين النساء والرجال.

دراسة المثال المذكور انطلاقا من نموذج نظري نسوي أو إطار نظري نسوي

- 1- ينبغي أن يركز البحث على جمع معلومات عن خبرات ومشاعر النساء المرتبطات بالفتيان المتورطين في ارتكاب جرائم استخدام الأسلحة النارية، وبخاصة الأمهات والأخوات.
- 2- ينبغي أن يتخذ البحث اتجاها نقديا في دراسة القوة والنفوذ داخل العلاقات الأسرية لهؤلاء الذين تشملهم الدراسة.
- 3- ينبغي أن يتعمق البحث في دراسة الطرق التي يتم بها تصور الأفكار المتعلقة بالذكورة في مقابل الأفكار المتعلقة بالأنوثة.
- 4- ينبغي أن ينظر البحث نظرة نقدية إلى الأفكار التي مفادها أن الأسر -وبخاصة الأمهات- هي المسؤولة عن سلوك الفتيان.

إلى جانب النموذج النظري النسوي، قامت اتجاهات نقدية أخرى في دراسة العالم الاجتماعي بتطوير ما يسميه كريسول Cresswell "بحوث الدعوة إلى الرأي" (*)، أو البحوث القائمة على المشاركة (بين الباحث والمبحث) (كريسول، 2003، ص9).

(*) بحوث الدعوة إلى الرأي: Advocacy Research هي نوع من البحوث التطبيقية الوصفية يقوم بإجرائها الأفراد الذين يهتمون اهتماما عميقا ببعض المشكلات الاجتماعية، كال فقر أو الاغتصاب مثلا. وتسعى دراساتهم تلك إلى قياس المشكلات الاجتماعية بهدف زيادة الوعي العام بها، وتقديم عامل تحفيز لمقترحات السياسات أو البرامج التي تستهدف التخفيف من المشكلة محل الاهتمام. ويحدث في بعض الأحيان أن تعتمد بحوث الدعوة إلى لوى عنق مناهج البحث المستخدمة من أجل تضخيم حجم المشكلة الاجتماعية التي تتحدث عنها، ومن ثم تدعم الدعوة إلى العمل العام الموجه إلى تلك المشكلة. انظر المزيد حول هذا الموضوع في: موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وزملاؤه، المركز القومي للترجمة (3 مجلدات) الطبعة الرابعة، 2012. (الترجم)

وكما هو الحال فى البحوث الاجتماعية النسوية، تضم هذه الاتجاهات الناشئة اتجاهات تسعى إلى دراسة العالم الاجتماعى انطلاقاً من منظور جماعات الأفراد الذين تعرضت تصوراتهم وخبراتهم - المتعلقة بالعالم الاجتماعى - للتجاهل أو الإخفاء، من قبيل: الأفراد المصابين بمختلف أشكال العجز البدنى، والسود، والمثليين من الذكور والسحاقيات من الإناث (انظر الفصل الخامس من هذا الباب). ويتعين على البحوث التى تتم داخل نطاق هذه الأطر النظرية أن تركز على الخطاب أو اللغة التى يستعملها الأفراد الآخرون (خارج هذه الجماعات)، والذين ينظر إليهم باعتبار أنهم أكثر قوة، وذلك لوصف هذه الجماعة وصفا تفصيليا. كما ينبغى أن يؤكد البحث على أهمية تمكين الباحثين، وعلى أهمية البحوث القادرة على تحدى أشكال الخطاب والممارسات الراهنة، ومن ثم تصبح إيدانا بالبده فى التغيير.

بحثك

لكل تخصص علمى داخل العلوم الاجتماعية مجموعات مختلفة من المواقف النظرية التى يتم تدريسها، كما أنها تضاف على البحوث فى هذا التخصص طابعها المميز.

هل تستطيع، وأنت تفكر فيما يتصل بفرع تخصصك العلمى أن تحدد النظريات ذات المستوى الكبير (الماكرو)، أو ذات المستوى المتوسط، أو ذات المستوى الصغير (المايكرو)؟

النظريات الماكرو (أو ذات المستوى الكبير).

النظريات الوسطى.

النظريات الصغرى (أو المايكرو).

استخدام النظرية فى البحث الاجتماعى

إذن ، كيف تستخدم النظرية فى التفكير فى بحثك الاجتماعى وفى تطويره؟ ثمة خمس طرق أساسية هى:

استخدام نظرياتك ونظريات الآخرين الموجودة حالياً

عند شروعك فى التفكير فى موضوع بحثك ، ستكون مشغولاً بالقراءة فى مجال موضوع بحثك ، مما يجعلك على دراية جيدة بالأعمال البحثية الأخرى التى أجريت فى هذا الموضوع ، كما يدفعك إلى أن تتأمل فى مدى تلاؤم خبرتك الخاصة ومعرفتك الشخصية مع دراستك . ومن المحتمل أن قراءتك ستعرفك على النظريات التى بلورها الباحثون الآخرون فى هذا المجال ، التى قد تكون فى نطاق تخصصك العلمى ، أو فى مجال التخصصات العلمية الأخرى . وهنا سوف تعثر على مجموعات من الأفكار المتعلقة بموضوع معين تحاول تفسير ما يجرى بشأنه من أمور . ولا ريب أنك قد تعثر على عدد من النظريات المختلفة أو المتعارضة مما يتصل بموضوع بحثك . (انظر البراويز التى تضم أمثلة عن النظريات المختلفة فى مجال الشباب والجريمة) . كما سيتعين عليك التفكير فى موقفك الفكرى ما إذا كنت تجد موقفاً فكرياً أو غيره أقرب فى نظرك للاستحسان أو القبول . ولكنك سوف تعتمد كذلك على نظرياتك الأولية أو التمهيدية ، ونعنى بها ما لديك من أفكار يمكن بها تفسير ما يحدث من أمور . وقد تكون هذه الأفكار مستمدة من خبرتك أو دراستك ، أو قد تكون مجرد توليفة أفكار تعطيك "دفعة أولية للأمام" . حاول عند هذه المرحلة أن تتحقق مما إذا كانت أفكارك مشابهة لتلك الأفكار التى سبق أن كتب عنها الآخرون . وقد تحتاج كذلك إلى مراجعة العمل الذى نُفذ فى المجالات المرتبطة بمجال بحثك ، فإن كنت تبحث - مثلاً - فى القضايا الخاصة بالتمييز القائم على أساس العمر ، فلكلّك تحتاج لتأمل البحوث التى أجريت فى مجال التمييز القائم على أساس النوع الاجتماعى ، وفى مجال التمييز القائم على أساس العجز البدنى . إذ قد يمكن - فى بعض الأحيان - أن تكون بعض النظريات قابلة للنقل والتطبيق على موضوعات مختلفة يجمعها وجه ما من أوجه التشابه (انظر الفصل الثانى من هذا الباب) .

استخدام نظريات البحث الاجتماعى والمعرفة

فى المراحل المبكرة لقيامك ببحثك ، سوف تعتمد كذلك على النظريات المتعلقة بالبحث الاجتماعى نفسه . لاحظ أن كل مناقشاتنا فى هذا الباب - حتى الآن - تنصب على النظريات ، أو مجموعات الأفكار المتعلقة بكيف نرى العالم الاجتماعى وكيف ندرسه . وقد تجد من المشقة أن تحدد لنفسك موقفاً أو نظولوجياً أو موقفاً إبستمولوجياً (معرفياً) معيناً ، ولكنك وباعتمادك على المعرفة المتاحة فى تخصصك العلمى ، تستطيع البدء فى التفكير فى تحديد ما الجوانب التى تثير اهتمامك من بين جوانب دراستك . وقد يساعدك ذلك على التأمل فى موقفك الفكرى الذى تتبناه فيما يتصل بطبيعة العالم الاجتماعى وكيف يمكن دراسته . وفى الأمثلة الواردة فى هذا الباب إيضاح لإحدى طرق القيام بهذا العمل . وفى إمعانك التفكير فيما يعنيه كل اتجاه إبستمولوجى (معرفى) للدراسة الخاصة بموضوع بحثك قد تجد أنك تفتح الباب على مصراعيه لجوانب مختلفة من موضوع البحث ولمجموعة أكبر من الأسئلة البحثية المحتملة التى يمكنك الاختيار من بينها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب) .

كيفية التعامل مع النظرية

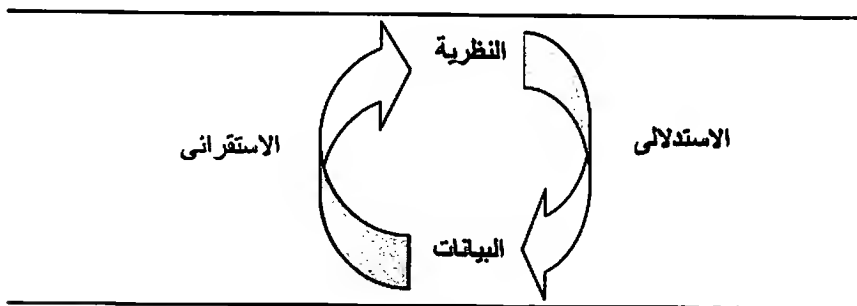
تعد النظريات بوصفها مجموعات من الأفكار التى تحاول تفسير مختلف جوانب العالم الاجتماعى ؛ تعد ذات أهمية محورية لا غنى لك عنها فى تخطيط منهجية بحثك وفى تحديد طبيعة البيانات التى تجمعها (انظر الفصل الثالث من هذا الباب) . وسوف تجد أنك يمكن أن تتعامل مع النظرية - بطرق مختلفة - وفقاً لموقفك الفكرى المعرفى (الإبستمولوجى) الشخصى . (انظر الفصل الثالث من هذا الباب) . فإن أخذت - مثلاً - باتجاه وضعى ، أو ربما أخذت باتجاه واقعى نقدى ، فقد تبدأ بالشروع فى اختبار فرض قائم على أساس نظرية موجودة بالفعل . ويسمى هذا الاتجاه الاستدلالي أو الاستنتاجي فى استخدام النظرية . ومع ذلك ، فإنك إن كنت تأخذ باتجاه تأويلي ، فمن المرجح أن تبدأ بالأسئلة البحثية (التي قد تكون مستلهمة من هذه النظرية الموجودة فعلاً) ، وأن تقوم بعد ذلك بجمع البيانات وتستخرج تفسيراتك - أى تصوراتك النظرية المؤقتة وغير النهائية - من هذه البيانات نفسها ، ويعرف هذا الاتجاه باسم الاتجاه الاستقرائى .

والملاحظ أن النظرية تستخدم - فى معظم البحوث - بالشكل الاستقرائى وبالشكل

الاستدلالي معا. وإذا فكرنا في البحث باعتباره مستلهما من النظرية ومولجا للنظرية كذلك، فإن بالإمكان تصور عملية البحث باعتبارها دورة (تتحرك في شكل دائرة) كما هو مبين في الشكل (2-2).

بلورة أسئلة البحث وفروضه

أيا ما كان الموقف المعرفي الذي تأخذه، فإن النظريات ستكون متضمنة في فرضك أو في أسئلة بحثك بشكل ظاهر أو ضمني (انظر الفصل الرابع من هذا الباب). وما أنت الآن تحدد بوضوح الموضوعات التي سوف تقوم بجمع بيانات عنها، كما أنك ستقوم بتطوير أسئلة البحث وفروضه كي تساعدك في شرح عناصر موضوع بحثك. فإن كنت تقوم بتطوير أحد الفروض، فقد تعتمد على نظرية موجودة فعلا، أو تطور نظرية خاصة بك.



شكل 2-2: الاتجاه الاستقرائي والاتجاه الاستدلالي

وذلك بغرض تأسيس هذه النظرية واختبارها عن طريق جمع البيانات. وإن كنت تقوم بتطوير أسئلة البحث فسوف توجه أسئلة تعتمد على نظرية وعلى معارف موجودة فعلا وتطرح أسئلة ليتم معالجتها عن طريق البيانات التي تم جمعها (انظر الفصل الرابع من هذا الباب).

شرح بياناتك

وفى النهاية، عندما تكون قد جمعت بياناتك واستخدمتها، وناقشت النتائج (انظر الباب الرابع من هذا الكتاب)، ستكون قادرا على إثبات مدى صحة فرضك، أو دحضه

(تكذيبه)، ومدى ما قدمته لك بياناتك من دعم ومساعدة فى شرح الأسئلة التى طرحتها ومعالجتها، كما قد تكون قادرا على تطوير نظريتك الخاصة، ومجموعة أفكارك الخاصة، أو تكون قادرا على الإضافة إلى إحدى النظريات الموجودة فعلا.

ما الذى يعنيه ذلك لى كباحث اجتماعى فى مرحلة الدراسة؟

حاولنا فيما سبق أن نعمن النظر فى بعض النظريات أو الأفكار الفلسفية الكامنة وراء تطوير بعض المواقف الفكرية المتعلقة بدراسة العالم الاجتماعى، كما كنا نتأمل الأهمية المحورية لأساليب التفكير المختلفة فى دراستنا لأننا نضطلع فى مثل هذه البحوث بدراسة شىء نحن جزء منه. وتسلط مناقشتنا لهذه المواقف الفكرية الأنطولوجية الضوء على الطرق التى ينظر بها العلماء الاجتماعيون إلى العالم الاجتماعى، وعلى سبب اختلاف كثير من هؤلاء العلماء مع الاتجاهات الموضوعية للعلم الطبيعى. ومع أن هذه الاتجاهات، تعد مواقف فكرية أساسية، وأنه من الأرجح أن تكون وثيقة الصلة بالاتجاهات الإستمولوجية (المعرفية) التى قد تأخذ بها، فإن من الأهمية أن تنتبه إلى أن هناك أمورا أخرى يجلبها معه الباحث الاجتماعى إلى دراسته، وهى أمور يتعين عليه استكشافها، كما قد يحتاج إلى أن يتبنى منها موقفا نقديا، ولو بالنسبة لنفسه على الأقل.

فالملاحظ أن جميع الباحثين الاجتماعيين، والدارسين، وكبار الأساتذة الجامعيين، والمسؤولين الحكوميين، والاستشاريين المستقلين يقبلون على بحوثهم الاجتماعية وهم يصطحبون معهم مقدارا معينا من العناصر النظرية، والثقافية، والآراء والرؤى المستمدة من تخصصاتهم العلمية، كما قد يجلبون كميات غير قليلة من القيم والاعتقادات التى يؤمنون بها أشد الإيمان وبالرغبة فى تغيير العالم. فالباحثون الاجتماعيون إنما هم كائنات اجتماعية فى المقام الأول، كما أنه يجدر بالتفكير قليلا فى كيف ولماذا يقتنع امرؤ ما اقتناعا تاما بالدرس والبحث فى هذا المجال. إذ يرى بعض الباحثين أن البحث الاجتماعى الذى لا يكون مرتبطا بالتغيير الاجتماعى أو الفعل الاجتماعى الإيجابى إنما هو بحث لا معنى له ويدعو للإحباط، بينما يرى غيرهم أن الرغبة فى الوصول إلى فهم أدق للطريقة التى يعمل بها العالم الاجتماعى تركز على أمل يراودهم فى أن ما يطورونه من نظريات سوف يؤثر على هؤلاء الباحثين ذوى التوجهات التى يغلب عليها الطابع التطبيقي.

بحثك

حاول الكتابة إلى (أو حاول تخيل محادثة مع) أحد الأصدقاء تشرح له فيها كيف آل بك الأمر إلى الاهتمام بموضوع بحثك، موضحا العناصر التالية:

- أى خبرات تكون قد اكتسبتها مما يكون له صلة بموضوع بحثك .
 - أى قيم أو قناعات تؤمن بها مما يكون له صلة بهذا الموضوع .
 - ما الذى تعلمته فى أثناء دراستك لهذا الموضوع .
 - أى نظريات أو مجموعات أفكار تتبناها عن هذا الموضوع .
- ما الذى تعلمته مما يتصل باهتماماتك الخاصة، وقيمك ودوافعك الشخصية مما قد يؤثر على الطريقة التى تفكر بها فى بحثك؟

حاولنا فى هذا الباب أن نمعن النظر فى الأفكار التى يستخدمها الباحثون الاجتماعيون لمساعدتهم على التفكير فى موضوع بحثهم ، وعلى تحديد أسئلة البحث أو فروضه، وعلى تصميم البحث، وهى الأمور التى تمكنهم من معالجة هذه الأسئلة. وقد حاولنا أن نزودك بهذه المنطلقات التى يمكن أن تعينك فى المراحل الأولية لبحثك:

• أنت كدارس شأنك شأن أعضاء العالم الاجتماعى الذى تقوم بدراسته، لابد أن تصطحب معك فى بحثك معرفتك الخاصة. كما أنه من المفيد البدء بالتفكير فى موضوع بحثك بمراجعتك لما تعرفه وتقليب النظر فيه.

• توجد طرق مختلفة للنظر إلى العالم الاجتماعى، كما توجد أساليب مختلفة لجمع المعارف عن الظواهر الاجتماعية. لذلك يتعين عليك قبل أن تقرر ما الاتجاه الذى سوف تأخذ به، أن تحاول التفكير فى الطريقة التى سوف تتناول بها موضوع بحثك انطلاقا من المواقف الفكرية الأنطولوجية والإبستمولوجية المتنوعة.

• إن فكرت فى العالم الاجتماعى والظواهر الاجتماعية بطرق مختلفة، فإنه سيكون

عليك أن تبدأ بتحديد شتى أنواع البيانات التى قد تكون متاحة لك فى مجال بحثك (انظر الفصل الثالث من هذا الباب ، للوقوف على المزيد عن طبيعة البيانات).

• من شأن التفكير فى المواقف الفكرية الأنطولوجية والإبستمولوجية المختلفة أن يفتح الباب على مصراعيه لإمكانيات استخدام بعض مناهج البحث الأخرى ، وبعض الطرق الأخرى فى جمع البيانات وتحليلها. وعلى حين ترتبط طرق البحث الكيفية وطرق البحث الكمية - عادة - بمواقف إبستمولوجية (معرفية) معينة ، فإن البحوث التى تستخدم مزيجا من طرق البحث أصبحت أكثر شيوعا وانتشارا ، كما أن بالإمكان معالجة البيانات الكيفية والبيانات الكمية بوسائل متنوعة (انظر الفصل الرابع من الباب الثانى للوقوف على مناقشة أكثر تفصيلا لهذه الجزئية).

• سوف يفيدك أن تراجع الأبحاث والدراسات السابقة الأخرى فيما يتصل بالأفكار والاتجاهات النظرية التى استخدمها الباحثون الآخرون فى دراسة مجال الموضوع الذى تنوى بحثه ، لأن ذلك سوف يعينك على تحديد النظريات التى قد تتخذها منطلقا لك فى دراستك ، أو حتى إطارا نظريا للدراسة التى ستجريها (انظر الفصل الثانى من الباب الثانى).

البحث الواقعى

عرض موجز لتاريخ البحث الاجتماعى

تمتد جذور البحث الاجتماعى إلى الفلسفة ، وتتجسد فى نوع من الاهتمام الشديد بترسيخ الاتجاهات الموثوق بصحتها والصادقة فى دراسة الكائنات الإنسانية. ويمكن أن نلمس بعض مظاهر الاهتمام القوى بالحقيقة الموضوعية ، وبالطريقة التى يدرس بها الباحث العالم الذى هو جزء منه؛ نلمسه فى كتابات ديكارت(*) فى القرن السابع عشر. ففى كتابه "مقال فى المنهج" (1637) (ديكارت ، 1999) يبسط بجلاء فكرته عن

(*) يعد الفيلسوف الفرنسى ديكارت Descartes (١٥٩٦-١٦٥٠) مع كل من كانط وهيوم أحد الرواد المؤسسين للفلسفة الغربية الحديثة. وكانت أشهر مؤلفات ديكارت دراسته المعنونة مقال حول المنهج والتأملات ، بالإضافة إلى مؤلفيه الآخرين اللذان استخدم فيهما منهجه فى الشك المنهجى من أجل الوصول إلى بعض الأسس غير المشكوك فيها التى يمكن منها استنباط بعض المعارف اليقينية. للمزيد عنه انظر: موسوعة علم الاجتماع (٣ مجلدات) ، مرجع سابق. (المترجم)

البحث عن الحقيقة، كما أكد أهمية الموضوعية وأهمية توافر الشواهد المؤيدة. من ناحية أخرى أكد دافيد هيوم(*) - فيما كتبه في القرن الثامن عشر - أن معرفة العالم تتبع من الخبرة الإنسانية، وأن هذه المعرفة إنما تتحصل بطريقة موضوعية من خلال الحواس. (ويليامز Williams وماي May 1996، ص16).

وقد ذهب أوجست كونت(**) إلى أن بالإمكان دراسة العالم الاجتماعى باستخدام نفس الطرق المستعملة في فهم العالم الطبيعي، وفي هذا أوضح تحديداً: أنه توجد "قوانين" عامة يمكن تحديدها وإدراكها تتعلق بالطريقة التي يعمل بها العالم الاجتماعى والتي لا يعترىها التغير. ووضح أن هذا التصور يمثل الأساس الذى يقوم عليه الموقف الفكرى الوضعى الذى كان هو الموقف الفكرى السائد بين العلماء الاجتماعيين طوال أواخر القرن التاسع عشر وأغلب القرن العشرين. كما أن أوائل علماء الاجتماع بمن فيهم دوركايم(***) (دوركايم، 1982)، والذى كان يعتبر الظواهر الاجتماعية أشياء

(*) دافيد هيوم D. Hume (1711-1776) أهم فلاسفة عصر التنوير الاسكتلندى ومن أبرز مؤسسى النزعة الامبيريقية. اشتهر هيوم بتحليله للعلة، ومشكلة الاستقراء المرتبطة بها. كما أن العلماء يذكرون لهيوم إصراره على أن القيم الأخلاقية لا يمكن استخلاصها إطلاقاً من المقدمات الواقعية. كما يذكرون له رفضه لمنظور «المصلحة الذاتية» إلى الطبيعة الإنسانية وإلى الأخلاق. وحاول هيوم - فضلاً عن ذلك - أن يرسى أسس الدراسة العلمية الإمبريقية للطبيعة الإنسانية، للمزيد عنه انظر: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم)

(**) أوجست كونت A. Comte (1798-1857) منظر اجتماعى فرنسى يرجع إليه الفضل في صك مصطلح علم الاجتماع. أسهم كونت بتطوير ما أسماه "الفلسفة الوضعية". ويلاحظ أن الكثيرين ممن استشهدوا باسم كونت دون أن يقرؤا أعماله، قد ضلّهم استخدامه لمصطلح الفلسفة الوضعية، فعلى الرغم من أن كونت اتخذ من العلوم الطبيعية نموذجاً له، فإنه استخدم المصطلح بمعنى أن يكون مدخله إيجابياً (لاحظ أن كلمتى إيجابى وضعى العربيتين يقابلهما مصطلح إنجليزي واحد هو positive) وليس سلبياً، ولا يعنى - كما يفترض عادة - أنه يتضمن أى نوع من النزعة الإمبريقية. راجع المزيد عن كونت في موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم)

(***) إميل دوركايم E. Durkheim (1858-1917) أكثر علماء الاجتماع الفرنسيين شهرة، ويعد الأب المؤسس للنزعة الوظيفية، وحديثاً ناله مديح وتقدير وافرين من جانب أعلام البنيوية وعلم اللغة الاجتماعى وأنصار ما بعد الحداثة، الذين وجد جميعهم في كتابات دوركايم أفكاراً ورؤى يسهل استيعابها في أطرها النظرية.

ولكن الأهم أن دوركايم كان صاحب فضل لا ينكر في تأسيس مكانة علم الاجتماع كواحد من أبرز العلوم الاجتماعية في عصره، وأكسبه اعترافاً مجتمعياً وأكاديمياً حاسماً. وأسهم - فضلاً عن ذلك - في إنشاء "حولية علم الاجتماع"، التي أصبحت خلال فترة قصيرة أرفع الدوريات السوسولوجية=

يتعين ملاحظتها ودراستها - طوروا هذا الموقف الفكرى فى محاولاتهم لاكتشاف النظريات العامة التى تفسر العالم الاجتماعى ، والتدليل عليها .

ومع ذلك ، فقد كان هناك مفكرون آخرون عمدوا إلى التركيز - بمعدل أكبر - على الفهم والتفسير الإنسانى ، بمن فيهم كانط(*) مثلا ، وهو الذى ذهب فى كتابه "نقد العقل الخالص" (1781) إلى أن بالإمكان معرفة العالم الاجتماعى من خلال تأمل وتفسير كل ما يمكن ملاحظته ومعاشته ، بجانب كتابات ديلتاي Dilthey(**) فى النصف الأخير

=مكانة فى فرنسا ومركز إشعاع المدرسة الدوركايمية ذات التأثير فى الفكر الاجتماعى .
نشر دور كايم عددا من الأعمال الخالدة فى حقل علم الاجتماع ، وترجم أغلبها إلى كثير من اللغات العالمية (بما فيها العربية) . نذكر منها: "قواعد المنهج فى علم الاجتماع" (1895)، ورسالته للدكتوراه عن "تقسيم العمل الاجتماعى" (1893)، ودراسته الشهيرة عن "الانتحار" (1897)، وكتابه المهم "الأشكال الأولية للحياة الدينية" (1912) ... إلخ.
ومن اللافت للنظر فى جميع هذه الأعمال عمق الرؤية التى اتسم بها دوركايم فى بحثه الذى لم يعرف الكلل عن الأسس الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع الصناعى الناشئ . وما يزال دوركايم موضعاً لتقريب النقاد والمحللين من اليمين واليسار السياسى . ولقد فقد تصنيفه كمفكر محافظ - عن حق - مصداقيته منذ زمن طويل ، وذلك فى ضوء إسهامه فى نظرية تكافؤ الفرص التى تتجلى مثلا فى كتاباته عن التربية . .
راجع المزيد عن دور كايم فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق .
وانظر أيضا ترجمة عربية لكتابه قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، أعدها محمود قاسم ، وقدم لها كاتب هذه السطور ، وصدرت عن المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، سلسلة (ميراث الترجمة) ، 2012 . (الترجم).

(*) يعد عمانويل كانط I. Kant (1724-1804) من أعظم - إن لم يكن أعظم - الفلاسفة المحدثين ، بسبب ما يمارسه من تأثير عميق ومستمر على الفلسفة نفسها وعلى علوم أخرى كثيرة ، بما فيها علم الاجتماع بطبيعة الحال . يتمثل جوهر الفلسفة النقدية عند كانط - بصفة عامة - فى التوليف بين تراث اتجاهين كبيرين متنافسين هما: النزعة الإمبريقية والمذهب العقلى ، وهما الاتجاهان اللذان سيطرا على نظرية المعرفة فى زمن كانط .

ونلاحظ أن الاتجاهات المعرفية غير الوضعية الأساسية التى كانت ذات تأثير فى علم الاجتماع كانت مستمدة من مختلف الاتجاهات الأوروبية فى تفسير وحل تلك التوترات المطروحة فى فلسفة كانط . ومن أبرز تلك الاتجاهات المناوئة للوضعية فى علم الاجتماع: الكانطية المحدثه ، والفيومينولوجيا أو الظاهراتية ، والتأويل . انظر المزيد عن كانط فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (الترجم)

(**) فيلهلم ديلتاي W. Dilthey (1833 - 1911) فيلسوف ألمانى كان من أعظم رواد التأويل فى علم الاجتماع ، حيث يمثل الشغل الشاغل لديلتاي فى إرساء أساس راسخ - يتسم بالكفاءة - للمعرفة فى العلوم الإنسانية أو التاريخية . وكان يرى أن عالم التاريخ الإنسانى والثقافة الإنسانية يتكون من "صور التعبير" عن الخبرة الإنسانية فى الحياة (أى الخبرات المعاشة) التى يتعين =

من القرن التاسع عشر، والذي ركز على "الخبرات التي يعايشها الأفراد" (ويليامز وماي، 1996، ص 62). وقد تبني ماكس فيبر^(*) هذا التصور، حيث ركز على المعنى الاجتماعي لأفعال الأفراد داخل السياقات المختلفة، وعلى تصوراتهم لتلك الأفعال من أجل فهمها. ومع أن فيبر أقر أن بالإمكان أن يأتي فهم العالم الاجتماعي من الملاحظة المباشرة، فإنه أكد في الوقت نفسه، أن الفهم يأتي كذلك في تأويل الخبرات الذاتية والمعاني الذاتية. وهو يعرف علم الاجتماع بأنه:

"علم يحاول التوصل إلى الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي من أجل الوصول - بهذه الوسيلة - إلى تفسير سببي لمسار هذا الفعل ونتائجه". (فيبر، 1994، ص 88).

في أوائل القرن العشرين أدخل شوتز^(**) في العلوم الاجتماعية لأول مرة أفكار

=فهمها وتأويلها بطرق تختلف تمام الاختلاف عن مناهج العلوم الطبيعية وطرائقها، وغير قابلة للاختزال إلى تلك المناهج العلمية الطبيعية. وقد تبني بقوة اتجاها تأويليا في فهم النظم، والديانات، والمؤسسات وغير ذلك من ظواهر تتعدد بتعدد الخبرات الإنسانية المعاشة. (الترجم)

(*) يعد ماكس فيبر (1864-1920) M. Veber إلى جانب إميل دوركايم وكارل ماركس مؤسسو علم الاجتماع الحديث كعلم اجتماعي متميز. وإن كانت أعمال فيبر هي الأكثر تركيزا وطموحا، وما زالت تمثل معينا ثريا للتفسير والإلهام بفكر جديد.

والحق أن إسهام ماكس فيبر في علم الاجتماع كان هائلا بكل المقاييس. فقد قدم الأساس الفلسفي اللازم للعلوم الاجتماعية، وعددا من الدراسات الممتازة التي شملت كافة الأديان العالمية الكبرى، والمجتمعات القديمة، والتاريخ الاقتصادي، وعلم الاجتماع القانوني، والدراسة الاجتماعية للموسيقى، وغيرها من فروع الدراسة السوسيولوجية.

ومن إسهامات فيبر تمييزه بين الظواهر (أي العالم الخارجي الذي ندركه) والشئ ذاته (أي الوعي الذي يضطلع بعملية الإدراك). وقد تحول هذا التقسيم في علم الاجتماع عند فيبر إلى تمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، حيث تختص الأخيرة بمعالجة الأشكال التي ندرك بها العالم. وهكذا فعلى حين أننا قد نعتمد على وضع قوانين عامة في مجالات العلوم الطبيعية، فذلك ليس مهمة العلوم الاجتماعية، حيث إن اهتمام تلك العلوم ينصب على التفسير العلى وعلى فهم الأفعال الاجتماعية في سياقها التاريخي الخاص. وهكذا يمثل الفعل الاجتماعي الموضوع الحقيقي للعلم الاجتماعي، وهو الفعل الموجه تجاه الأشخاص الآخرين الذين يمثلون أهمية للفاعل، وهو أيضا الفعل الذي نضفي عليه معنى ذاتيا. ويحاول علم الاجتماع تقديم وصف تفسيري (تأويلي) لتلك الأفعال مستخدما منهجية "النمط المثالي". وقد طور فيبر تصنيفا رباعيا شهيرا للفعل الاجتماعي. راجع المزيد عنه في موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (الترجم).

(**) يبدو للبعض - من السطح - أن الفينومينولوجيا لا تقدم الكثير من الثراء الفكري لعلم الاجتماع =

الفلسفة الظاهراتية (أى الفينومينولوجيا)، وهى اتجاه فلسفى معنى بالطريقة التى يفهم بها الأفراد العالم المحيط بهم. وقد تم استكمال وتدعيم هذه الأفكار فى القرن العشرين عندما أصبح البحث الاجتماعى أكثر شيوعا وانتشارا، وقام بتطوير اتجاهات وطرق بحث جديدة. واعتمد الباحثون الاجتماعيون على أعمال علماء الأنثروبولوجيا، من أمثال مارجريت ميد(*)، ومالينوفسكى(**)، كما أولوا اهتمامهم لتطوير طريقة الملاحظة المشاركة، (انظر الفصل 6 من الباب 3) والبحوث الإثنوجرافية(***) التى نذكر منها على سبيل المثال أعمال مدرسة شيكاغو(****) (انظر دراسة ويليام فوت وايت White

=فقد انطلق هوسرل Husserl (1859-1938) من الوعى الفردى، ثم وجد نفسه فى مأزق إثبات أن الآخرين موجودون بالفعل. وجدير بالذكر أن الفلسفة الظاهراتية قد تلقت دفعات قوية إلى الأمام من جانب كبار فلاسفة الوجوديين فى القرن العشرين. وكان شوتز - تلميذ هوسرل - هو الذى أنشأ الجسر المختلف عليه بين الفينومينولوجيا وعلم الاجتماع. ويمثل كتابه: "فينومينولوجيا العالم الاجتماعى" (1932) عرضا أصيلا للمبادئ الأساسية تعلم الاجتماع الظاهراتى. انظر المزيد عنه فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(*) مارجريت ميد M. Mead (1901-1978) أمريكية متخصصة فى الأنثروبولوجيا الثقافية وتلميذة روث بندكت. انظر المزيد من حياتها وأعمالها فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(**) مالينوفسكى B. Malinowski (1884-1942) عالم أنثروبولوجيا أمريكى (بولندى الأصل) يرجع إليه الفضل فى تطوير وبلورة ما أصبح الآن منهجا كلاسيكيا فى العمل الميدانى المكثف، يعتمد على الإقامة الطويلة فى مجتمع الدراسة. والأهم من ذلك أن اسم مالينوفسكى قد ارتبط بالنظرية الوظيفية، حيث يرى أن كافة الثقافات الإنسانية يمكن فى الواقع أن تختزل إلى إشباع الاحتياجات الأساسية. وقد ترتب على ذلك رفضه النظريات التطورية، والتركيز على التحليل الآتى، وإبراز أهمية التوازن المتناغم لأى مجتمع. انظر المزيد عن حياته وأعماله فى: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(***) للاستزادة انظر: روبرت إيمرسون وآخرون، البحث الميدانى الإثنوجرافى فى العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومى للترجمة (سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين - الكتاب الأول)، القاهرة، ٢٠١٠. (المترجم).

(****) مدرسة شيكاغو Chicago School مدرسة ذات تقاليد بحثية اقترن اسمها بجامعة شيكاغو خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، استطاعت أن تهيمن على علم الاجتماع فى أمريكا الشمالية طوال تلك الفترة. وقد أسست أول قسم لعلم الاجتماع (١٨٩٢)، وبتأسيسه بدأ نشر أول دورية علمية رئيسية فى علم الاجتماع (منذ ١٨٩٥)، وأعقب ذلك إنشاء الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (١٩٠٥) إلخ=

للى المتخلف بمدينة بوسطن ، والمنشورة فى كتابه بعنوان "مجتمع النواصى" (وايت ، 1955)، ودراسة بيكر Becker عن الانحراف بعنوان "اللامنتمون" (بيكر ، 1963) وانظر الفصل 3 من الباب 2)، وبحوث الإثنوميثودولوجيا(*) (أو منهجية الجماعة) (جارفينكل ، 1967)، وبحوث التفاعلية الرمزية(**) (بلومر ، 1969).

ثم شهدت فترة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين تطبيق طرق البحث

= وقد تأثرت تقاليد هذه المدرسة بشدة بالنزعة الفلسفية البراجماتية، والملاحظة المكتسبة بالخبرة المباشرة، وتحليل العمليات الاجتماعية الحضرية. ويرتبط اسم مدرسة شيكاغو عادة بثلاث قضايا: الأولى شهرة هذه المدرسة فى إجراء الدراسات الميدانية الإمبريقية. وترتب على ذلك ممارسة قدر كبير من التدريب على أدوات البحث، وفى مقدمتها تطوير أدوات الملاحظة المشاركة، ومنهج دراسة الحالة. وتتعلق القضية الثانية بدراسة المدينة، بنائها الاجتماعى، وإيكولوجيتها، ومشكلاتها. أما القضية الثالثة فتتمثل فى كتابات جورج هربرت ميد، التى ركزت على موضوعات خلق وتنظيم الذات، وهو ما عرف فيما بعد - عبر كتابات بلومر - باسم التفاعلية الرمزية. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(*) الإثنوميثودولوجيا Ethnomethodology هى أحد مداخل علم الاجتماع التى ظهرت كثمرة لفترة انهيار الإجماع التقليدى (الأصولى) فى أواسط ستينيات القرن العشرين. وقد صك المصطلح عالم الاجتماع الأمريكى جارفينكل، الذى وضع أساس الإثنوميثودولوجيا، سواء كنظرية أو كنقد واع ذاتيا لعلم الاجتماع التقليدى برمته.

وهناك فكرتان أساسيتان فى الإثنوميثودولوجيا هما: الإشارية والانعكاسية (التأمل النقدى). الأولى تؤكد أنه ليس هناك تعريف شامل واضح لأى كلمة أو مفهوم لغوى، حيث تستمد المعنى من خلال الإحالة إلى كلمات أخرى وإلى السياق الذى يتم التحدث فيه. أما فكرة الانعكاسية فتشير إلى أن إحساسنا بالنظام هو نتيجة لعمليات محادثة، أى تتخلق أثناء الكلام. ومع ذلك فنحن نعتبر أننا نصف النظام القائم حولنا فعلا. وفى رأى أصحاب الإثنوميثودولوجيا أن وصف الموقف معناه أننا نخلفه فى الوقت نفسه. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

(**) التفاعلية الرمزية Interactionism نظرية أمريكية بارزة فى علم النفس الاجتماعى تركز اهتمامها على طرق تكون المعانى خلال عملية التفاعل. وهى تضع فى المحل الأول من اهتمامها تحليل معانى الحياة اليومية، عن طريق الملاحظة المباشرة اللصيقة، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع الباحثين، ثم تعتمد على ذلك فى الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنسانى. وقد تأثرت التفاعلية الرمزية تأثرا قويا بالبراجماتية وبمدرسة شيكاغو، وكتابات جورج هربرت ميد. أما المصطلح نفسه فقد صكه هربرت بلومر عام 1937. راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق. (المترجم).

الاجتماعى فى الدراسات ذات التوجه العلمى والتطبيقى التى أجراها بعض الإصلاحيين الاجتماعيين ، مثل هنرى مايهيو H. Mayhew ، وتشارلز بوث (*) ، وراونترى (**). إذ كان هؤلاء الرجال على وعى بمشكلات الفقراء ، كما سعوا لجمع البيانات بقصد تصوير مدى وطبيعة الفقر فى المدن الصناعية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وأسهمت أعمالهم إسهاما بارزا فى تطوير طرق جمع البيانات وفى إدراك قيمة بيانات البحوث بوصفها دليلا يعتمد عليه فى دعم عمليات التغيير فى السياسة والممارسة ، وفى تسليط الضوء على الوضع الذى تعيش فيه جماعات معينة من الناس .

كما تطورت فى تلك الأثناء طرق البحث القائمة على المسوح الاجتماعية الكبرى (الواسعة النطاق) ، كما أن استعمالها من قِبل الباحثين الجامعيين ، والحكوميين ، والقائمين ببحوث التسويق قد شهد نموا سريعا فى النصف الثانى من القرن العشرين . وكانت الوضعية ، باستعمالها للمسوح الاجتماعية الواسعة النطاق وللتقنيات الإحصائية المتزايدة الدقة؛ كانت هى الموقف الفكرى المهيمن على البحوث الاجتماعية فى منتصف القرن العشرين ، كما كان يُنظر إلى الاتجاهات التى يغلب عليها الطابع التأويلى أو

(*) تشارلز بوث Ch. Booth (1840-1916) رجل أعمال ومصطلح اجتماعى من العصر الفيكتورى ، أجرى أول مسح إمبريقي مهم بعنوان "حياة وعمل سكان لندن" فى 17 مجلدا فيما بين عام 1891 وعام 1903 . وباستخدام حد الكفاف كتعريف للفقر ، وجد بوث - وعلى عكس ما كان يتوقع - أن حوالى 31 % ممن شملهم المسح يعيشون فى فقر . وقد كان عمله هذا أول مسح رئيسى فى علم الاجتماعى البريطانى ، وأثر فى كافة الحوارات اللاحقة حول الفقر . (المترجم)

(**) بنجامين راونترى B. Rowntree (1871-1954) كان فى الأصل رجل أعمال ، كما عرف - فضلا عن ذلك - كمصلح اجتماعى ومحب للأعمال الخيرية ، ثم هو إلى جانب كل ذلك باحث اجتماعى كانت له اهتمامات قوية بالإدارة العمالية والصناعية وبمسألة الفقر . وفى هذا الصدد اشتهر بصفة خاصة بدراسته الإمبريقية المفصلة عن الفقر فى مدينة يورك .

وقد قرر راونترى - متأثرا فى ذلك بدراسات بوث عن الفقر فى لندن - أن يتحقق من حجم الفقر فى مدينة يورك . وهناك نفذ أول مسح له عن الفقر فى عامى 1897/1898 نشرها تحت عنوان "الفقر: دراسة فى حياة مدينة" (1901).

وفى ما بعد - وكان قد تبين عدم دقة بعض المفاهيم والمقاييس - أجرى بعض الدراسات عن نفس الموضوع ، الثانية فى عام 1936 والثالثة فى عام 1950 . وفيهما طبق مقاييس معدلة إلى حد ما ، وأظهرت أن هناك بعض الانخفاض فى حجم الفقر . راجع المزيد فى موسوعة علم الاجتماع ، مرجع سابق . (المترجم).

الكيفى باعتبار أنها اتجاهات "لينة" (أو هشة) وغير علمية وتفتقد الدقة والصرامة .

وإلى جانب هذا الموقف الفكرى جرت بين العلماء الاجتماعيين مناقشات حول طبيعة النظرية الاجتماعية ، كما أن المحاولات المبكرة لتطوير نظريات "كبرى" أو "عامة" كانت محلا للاعتراض والرفض على أساس ضعف جدواها كأطر نظرية للبحث الاجتماعى . والواقع أن الباحثين الاجتماعيين كانوا يستخدمون ما أسماه ميرتون (1957) "النظريات المتوسطة المدى" . وعلاوة على ميرتون قدم بيرجر ولوكمان فى كتابهما المعنون "التصور الاجتماعى للواقع" (بيرجر ولوكمان ، 1967) تطويرا للنظرية القائمة على أساس الاتجاه التصورى لفهم العالم الاجتماعى وعلى التأكيد على تعدد المعانى والتوجهات فى رؤية الظواهر الاجتماعية . وكان من الواضح أن الموقف الفكرى التأويلى فى دراسة العالم الاجتماعى كان مرتبطا بهذا الاتجاه الفكرى التصورى ، كما أن ما يتصل بهذين الموقفين من منهجيات البحث ، وطرق جمع البيانات (والتي يشار إليها عادة بأنها طرق البحث الكيفية) أخذت تتطور باضطراد ويتسع نطاق استخدامها بين الباحثين (انظر على سبيل المثال لينكولن Glazer وجوبا Guba ، 1985؛ وبوجدان Bogdan وتايلور Tylor ، 1975؛ وجليزر Glazer وستراوس Strauss ، 1967) .

وفى أثناء عقد السبعينيات من القرن العشرين وُجهت الانتقادات كذلك إلى الفلسفة الوضعية من جانب العلماء الاجتماعيين الذين ارتابوا فى مدى سلامة استخدام الاتجاهات التجريبية فى دراسة الكائنات الإنسانية ، وارتابوا - بصفة خاصة - فيما إذا كان البحث الاجتماعى الذى يتجاهل المعانى والتصورات التى تدور فى أذهان الفاعلين الاجتماعيين الذين يشملهم هذا البحث؛ ارتابوا فيما إذا كان بإمكان مثل هذا البحث أن تكون له أى جدوى فى ذاته ، خاصة عند وجود تشكيلة متنوعة واضحة من التصورات التى تدور فى أذهان الأفراد بشأن المواقف والأحداث والسلوكيات المشتركة . وقد جاءت بعض الاعتراضات - على وجه الخصوص - من جانب الباحثين النسويين الذين أكدوا أن الاتجاه الوضعى العلمى يمثل فى حد ذاته فهما وتفسيرا ذكوريا للعالم الاجتماعى ، وأن سيطرة المنظورات والتصورات الرجالية للعالم هى التى أدت إلى الظلم . إذ قامت الاتجاهات النسوية بتطوير نظرية ركزت على العلاقة بين الباحث والمبحوثين ، كما انكبت على دراسة مظاهر التعقيد والتشابك فى خبرات النساء (انظر

على سبيل المثال كتاب ستانلى Stanley المعنون "العمل النسوى"، 1990؛ وكتاب روبرتس Roberts بعنوان "القيام بالبحث النسوى"، 1981). وأكد باحثون آخرون من الآخذين بمنظور نقدى شبيه بالمنظور النسوى أن الظروف المادية والتفاوت فى القوة لهما تأثير كبير فى حياة الأفراد وتصوراتهم، وأنه ينبغى تحليل نتائج البحوث فى ضوء اعتبارات، منها مثلا: اعتبار العرق، والنوع الاجتماعى، والطبقة. كما ينبغى أن تُعطى الأولوية للتصورات التى تدور فى أذهان جماعات الناس ذوى الخبرات والمنظورات المختلفة.

تشكك علماء اجتماعيون آخرون فى التقسيم الأنطولوجى الثنائى إلى موضوعية وتصورية، وادعوا بأن الواقع يجمع بين كونه خارجيا بالنسبة للكائنات الإنسانية الاجتماعية وكونه "فى نفس الوقت بعدا يشتمل على ما لدينا من معرفة بالواقع حددها المجتمع وصاغها لنا" (دانرمارك Danermark وآخرون، 2002). وقد أصبح هذا الموقف يعرف باسم "الموقف الواقعى النقدى"، كما أن بهاشكار Bhaskar (1978)، وباوسن Pawson وتيلى Tilley (1997)، وهؤلاء أمثلة من بين مفكرين آخرين طوروا اتجاهات بحثية تتوغل تحت السطح الظاهر للأفعال، والتنظيمات، واللغة للكشف عن الآليات والأبنية التى لا يمكن ملاحظتها مباشرة، كما تبحث هذه الاتجاهات - على نحو نقدى - كيف تمارس هذه الآليات تأثيرها على العالم الاجتماعى.

وعندما كان القرن العشرون يقترب من نهايته، كانت الممارك الفكرية فى مجال البحث الاجتماعى لا تزال تركز على طبيعة المعرفة وطبيعة البيانات وسياقها، مع التأكيد الفائق على أهمية علاقات القوة المرتبطة باللغة والمعنى وملكية المعرفة. وقد أكد بعض الباحثين على أهمية علاقات القوة داخل عملية البحث الاجتماعى نفسها وطالبوا بقدر أكبر من المساواة بين الباحث والمبحوثين، ودعوا إلى تبني الاتجاهات التشاركية والتعاونية فى تنفيذ البحث (انظر على سبيل المثال: ريزون Reason، 1994 فيما يتصل بموضوع البحث التشاركى - أى القائم على المشاركة - وجرينوود Greenwood، 1998 فيما يتصل بموضوع البحوث التطبيقية). وتسبب ذلك فى زيادة التركيز على المنظور الفكرى للباحث، كما دعا البعض إلى الأخذ باتجاه أكثر اعتمادا على النقد وأقل حيادية، وذلك بجانب طرق البحث التى تتناول السرد وسير الحياة الشخصية، وهى طرق البحث التى تم تطويرها لتمكين المشاركين فى البحث (المبحوثين) من حكاية

قصصهم (انظر على سبيل المثال: بلامر ، 2001 ، وميلر ، 2000).

أما القرن الواحد والعشرون فقد أخذ يشهد تأكيدًا متزايدًا على الاتجاهات التي تتسم بالمزيد من البراجماتية في البحث الاجتماعي ، التي تضع نصب أعينها هدف البحث ، وقيم الباحث الاجتماعي ومنظوره الفكري وطبيعة سؤال البحث ، والبيانات المطلوبة لمعالجته . وتتزايد الدعوة إلى استخدام طرق البحث المختلطة (التي تمزج بين الطرق الكمية والطرق الكيفية) في جمع البيانات واستخدامها ، باعتبار ذلك اتجاهًا في معرفة العالم الاجتماعي (انظر على سبيل المثال : كريسول ، 2003).

المراجع وقراءات للاستزادة

- Becker, H. (1963) *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance*, New York: Free Press.
- Becker, S. and Bryman, A. (eds) (2004) *Understanding Research for Social Policy and Practice: Themes, Methods and Approaches*, Bristol: The Policy Press and the Social Policy Association.
- Berger, P. and Luckmann, T. (1967) *The Social Construction of Reality*, London: Allen Lane.
- Bhaskar, R. (1978) *A Realist Theory of Science*, Leeds: Leeds Books.
- Blaikie, N. (1993) *Approaches to Social Enquiry*, Cambridge: Polity Press.
- Blumer, H. (1969) *Symbolic Interactionism*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Bogdan, R. and Taylor, S. J. (1975) *Introduction to Qualitative Research Methods: A Phenomenological Approach to the Social Sciences*, New York: John Wiley.
- Brechin, A. and Siddell, M. (2000) Ways of knowing, in R. Gomm and C. Davies (eds) *Using Evidence in Health and Social Care*, London: Sage.
- Bryman, A. (1988) *Quantity and Quality in Social Research*, London: Routledge.
- Burns, R. B. (2000) *Introduction to Research Methods*, London: Sage.
- Cresswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches*, London: Sage.
- Danermark, B., Ekstrom, M., Jakobsen, L. and Karlsson, J. C. (2002) *Explaining Society: Critical Realism in the Social Sciences*, London: Routledge.
- Descartes, R. (1999) *Discourse on Method and Related Writings*, London: Penguin.
- Durkheim, E. (1982) The rules of sociological method: and selected texts on sociology and its method, in S. Lukes (ed.) *Contemporary Social Theory*, London: Macmillan.
- Garfinkel, H. (1967) *Studies in Ethnomethodology*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.
- Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.
- Glaser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Chicago, IL: Aldine de Gruyter.

- Greenwood, D. (1998) *Introduction to Action Research: Social Research for Social Change*, London: Sage.
- Kuhn, T. S. (1970) *The Structure of Scientific Revolutions*, University of Chicago Press.
- Lincoln, Y. S. and Guba, G. E. (1985) *Naturalistic Inquiry*, Beverly Hills, CA: Sage.
- Marlow, C. (2001) *Research Methods for Generalist Social Work*, Belmont, CA: Brooks/Cole.
- Merton, R. (1957) *Social Theory and Social Structure*, New York: US Free Press.
- Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, London: Sage.
- Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.
- Plummer, K. (2001) *Documents of Life 2: An Invitation to Critical Humanism*, London: Sage.
- Reason P. (ed.) (1994) *Participation in Human Enquiry*, London: Sage.
- Roberts, H. (ed.) (1981) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.
- Schutt, R. K. (1996) *Investigating the Social World*, Thousand Oaks, CA: Sage.
- Smith, B. (2003) Ontology, in L. Floridi (ed.) *The Blackwell Guide to the Philosophy of Computing and Information*, Oxford: Blackwell.
- Stanley, L. (ed.) (1990) *Feminist Praxis: Research, Theory and Epistemology in Feminist Sociology*, London: Routledge.
- Weber, M. (1949) *The Methodology of the Social Sciences*, New York: Free Press.
- Whyte, W. F. (1955) *Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Slum*, University of Chicago Press.
- Williams, M. and May, T. (1996) *Introduction to the Philosophy of Social Research*, London: UCL Press.
- Wright Mills, C. (1959) *The Sociological Imagination*, New York: Oxford University Press.

الفصل الثالث

طبيعة البيانات

محتويات الفصل

- خواص البيانات .
- استخدام البيانات بوصفها تصويرا للواقع الاجتماعى .
- هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟
- ما نوع البيانات التى ستجمعها وتعالجها؟
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

حاولنا فى الفصل الثانى التفكير فى النظريات التى يركز عليها الباحث الاجتماعى ، وفى الطريقة التى يتبعها الباحثون فى النظر إلى العالم الاجتماعى وفى دراسته ، كما تعرفنا على المواقف الفكرية المختلفة فيما يتصل بما يمكن معرفته عن أى ظاهرة اجتماعية . وفى هذا الفصل نتابع مهمتنا بالتفكير فى المادة - أى البيانات - التى يتعين على الباحثين الاجتماعيين أن يقوموا بجمعها ومعالجتها . وسوف ندقق النظر فى خواص البيانات وفى الأنماط المختلفة للبيانات التى قد تكون متوافرة للباحثين الاجتماعيين ، ثم نقدم بعض المعايير أو المقاييس التى يطبقها الباحثون الاجتماعيون على البيانات التى يجمعونها ويعالجونها .

تمثل البيانات بديلا عن الواقع الاجتماعي الذي نرغب في دراسته. فليس بإمكاننا أن نعرف ظاهرة اجتماعية (انظر قائمة المصطلحات) معينة ببساطة، وإنما يمكننا الإلمام بها ومعرفتها كبيانات تمثل هذا الواقع الذي نعيشه، ونلاحظه، ونطرح الأسئلة المتعلقة به أو نحاول تفسيره. وبوصفنا كائنات اجتماعية فإننا جميعا نقوم بجمع البيانات واستعمالها في كل يوم أثناء مشاركتنا في الحياة الاجتماعية من خلال المحاورات، والقراءة، والملاحظة (أي رصد الوقائع ودراستها)، والكتابة. ويتناول هذا الفصل موضوع البيانات التي تنتجها الكائنات الاجتماعية في العالم الاجتماعي كما يتناول الطريقة التي بها يمكننا البدء بالتفكير في جمع تلك البيانات واستخدامها، بصفتنا باحثين اجتماعيين.

ما: البيانات؟

هي مجموعة من الحقائق (أو المعلومات الأخرى، كالآراء والقيم مثلا) التي يمكن تحليلها، كما يمكن استخراج النتائج منها (مع أن كلمة data هي جمع كلمة datum فإن "قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية" يقر أن صيغة الجمع هذه - وهي كلمة data - تستعمل عادة بوصفها مفردا، كما هو الحال في هذا الكتاب.

تقوم الكائنات الإنسانية بخلق كثير من الطرق المختلفة لتبادل الخبرات الاجتماعية وتبادل الأفكار، وتشكل هذه الخبرات والأفكار البيانات المتاحة لنا كباحثين اجتماعيين. وسوف تعتمد الطرق التي بها يمكننا جمع البيانات واستخدامها على اتجاهنا الفكري في دراسة العالم الاجتماعي وما يمكن معرفته عنه (الفصل الثاني)، وعلى أسئلة بحثنا (الفصل الرابع)، وعلى طبيعة هذه البيانات نفسها... وهذه هي النقطة التي نمعن النظر فيها في هذا الفصل. وعلى امتداد هذا الفصل ستوجد إشارات إلى ما ورد في الباب الثالث من هذا الكتاب عن طرق جمع البيانات ذات الصلة، كما تشير إلى أمثلة البيانات المستمدة من مثال «الحفلة العائلية» الذي قدمناه في الفصل الثاني من هذا الباب.

خواص البيانات

اللغة بوصفها بيانات

عادة ما تكون البيانات التى نستعملها كباحثين اجتماعيين (وكائنات اجتماعية) فى صورة اللغة، لأن اللغة هى الوسيلة التى نملكها لفهم الواقع الاجتماعى والتأمل فيه ووصفه بالتفصيل. مثال ذلك أنه بالإمكان أن نشعر - كأفراد - بالألم شعورا بدنيا، ولكننا نحتاج إلى الكلمات لنطلق عليه فعلا اسم «الألم» ولنخبر الآخرين (ونخبر أنفسنا) أن الألم حقيقة واقعة نشعر بها. والحقيقة أن إطلاق اسم معين على شيء ما هو الذى يمنحه وجودا ككائن حسى أو مفهوم نظرى. وقد نحتاج بعد ذلك لأن نوجد كلمات أخرى لوصف طبيعة هذا الألم ولتوصيل ذلك للأفراد الآخرين بطريقة يدركون معها أن ذلك الأمر وصف لشيء يفهمونه، وربما يكونون قد خبروه بأنفسهم من قبل.

وأحيانا ما نستعمل وسائل أخرى غير الكلمات للتعبير عما نشعر به (كالألوان، والصور، والموسيقى، والحركة، وتعبيرات الوجه، والممارسات السلوكية) فى محاولة منا للتواصل بدون كلمات. ومع ذلك فإنه فى حالة إجراء البحث الاجتماعى، فسيتم فى مرحلة ما تحويل أمثال تلك المحاولات - عادة - إلى كلمات، لأن الكلمات هى الوسائل التى بها يستعمل الباحثون البيانات، ثم يتبادلون نتائج بحوثهم وتفسيراتهم مع غيرهم من الباحثين.

النص المنطوق والنص المكتوب

يمكن للبيانات اللفظية، أو النص الشفاهى، أن يكون إما منطوقا أو مكتوبا، كما أن هناك ثمة فروقا فى طبيعة البيانات المنطوقة، والبيانات المكتوبة. فالكلام المكتوب يمكن لصاحبه أن يكتبه منفردا، ويستغرق وقتا، ويمكن تعديله وإخراجه فى صورة بارعة، بينما يقل احتمال إعداد الكلمات المنطوقة بنفس هذه الدرجة من العناية. وعادة ما نكتب وفى أذهاننا هدف ما، كأن ننقل رسالة مثلا، أو نسجل حادثة أو نشاطا، أو نلخص ما قيل من كلام، أو نعبر عن المشاعر أو الآراء. والكلام المنطوق، رغم أن بالإمكان تحضيره والتدرب على النطق بطريقة مشابهة، كأن يكون كلاما معدا لخطبة أو محاضرة مثلا، يغلب عليه أن يؤثر فى شخص واحد على الأقل والتجاوب معه. وفى هذا الشأن قارن الروايات المختلفة التى وردت فى المثال 1-3 عن الحفلة العائلية.

المثال 1-3

بيانات الحفلة (A)

كيف كانت الحفلة؟

كانت الحفلة جميلة بحق، وكانت أفضل مما كنت أتوقع. كانت الجدة ودودة كما كانت تستطيب الفكاكة. لقد كان الطعام لذيذا جدا حقيقة، كما كانت المشروبات كثيرة للغاية. . . لقد تناولت الكثير منها إلى حد ما.

دعيت لحضور حفلة عائلية عند جدة صديقتك، وبعد الحفلة كتبت لها خطاب الشكر التالي:

عزيزتي مسز جونز

أكتب إليك معبرا عن شكرى على الحفلة التي حضرتها ليلة أمس وتمتعت بها أشد استمتاع. لقد كان جميلا أن ألتقى بك وبأعضاء أسرتك الآخرين وأن أشارك في هذه المناسبة المهمة. لقد كان الطعام لذيذا فعلا. أتمنى لك عيد ميلاد سعيدا كل السعادة وأرجو أن تظلى في صحة طيبة دوما. مع أطيب تمنياتي.

وعادة ما يحدث الاتصال بالكلام المنطوق أثناء الحضور الجسدي الفعلي لمتلقى هذه الكلمات المنطوقة، كما يكون مرتبطا بالقدرة على قياس التأثير الذي تحدثه الكلمات المنطوقة ورد الفعل الذي يعقب هذا التأثير. وعندما توجه الكلمات المنطوقة إلى شخص آخر حاضر، فقد يكون من المحتمل استخدام كلام غير شفاهي، بما في ذلك الصوت، كما أن المستمع يسمع الكلمات باعتبارها جزءا من حزمة اتصالية من شأنها أن تؤثر على وقع تلك الكلمات وعلى رد الفعل المترتب عليها. أما المكالمات الهاتفية فتحرم المتحاورين من رؤية هذا الجانب البصري لرد الفعل، ويعتمد المتحدث كلية على التواصل السمعي الذي قد يحتوى على لحظات صمت وعلى تغيرات في نغمة الصوت كذلك. وفي حالة الكلمات المكتوبة، قد يتوقع الكاتب رد فعل القارئ أو الجمهور الأكبر، أو لا يكون على دراية ببعض الأفراد الذين قد يقرؤون هذا الكلام. وبالمثل قد يكون القارئ، أو لا يكون، على بينة من هوية الكاتب، أو سماته الشخصية أو مكانته الاجتماعية.

وقد أخذنا نشهد مؤخرا امتزاج الكلام المكتوب والكلام المنطوق فى إنتاج طرق التراسل الإلكتروني، والرسائل البريدية الإلكترونية، والنصوص التى تبعث على الهاتف المحمول مثلا، حيث يستعمل قالب (فورمة أو صيغة) مكتوب على نحو يلتزم الأعراف والمصطلحات الأشيع استعمالا فى الكلام المباشر، كما يحتوى على الصور التى تعبر عن بعض الانفعالات المعينة (الأيقونات الانفعالية emoticons) (انظر المثال 1-3). وتعنى التطورات التكنولوجية الأخرى فى مجال الاتصال - ضمن ما تعنيه من دلالات - أن الاتصال يحدث باستعمال الإنترنت وغيرها من الأنظمة التى تمكن الأفراد من كل من الاستماع لبعضهم البعض ورؤية بعضهم لبعض حتى لو كانوا موجودين فى بقاع جغرافية مختلفة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

خصائص البيانات (1)

- عادة ما يكون النص المكتوب أكثر تقنيا وأكثر خضوعا لإعمال النظر من النص المنطوق.
- عادة ما يكون النص المنطوق أكثر حساسية وتجاوبا مع جمهور المستمعين.
- كثيرا ما يضاف إلى النص المكتوب ما يعززه من وسائل الاتصال غير اللفظى التى يراها المستمع.

الاتصال غير اللفظى

كذلك يتم التواصل بشكل غير لفظى، كما يمكن أن يكون هذا الشكل من الاتصال متاحا لنا باعتبارها بيانات يتم ملاحظتها (انظر الفصل 6 من الباب 3) على الرغم من أن عملية تحويل التعبيرات غير اللفظية عن الواقع الاجتماعى إلى بيانات تشتمل على تحويلها إلى كلمات ملفوظة أو صريحة. ويعنى الاتصال غير اللفظى ببساطة أنه لا يستخدم الكلمات، وإنما تستخدم فيه وسائل أخرى (وعادة ما تكون وسائل بصرية،

وسمعية أيضا). وقد يشتمل الاتصال غير اللفظي على تعبيرات الوجه، والأصوات التي ليست كلمات، والصور المرسومة بالأقلام أو اللوحات الزيتية، والصور الفوتوغرافية، والسلوك، والحركة، والأصوات غير البشرية، كالموسيقى وغيرها. وكما هو الحال مع البيانات اللفظية، نحتاج كباحثين اجتماعيين إلى إعمال الفكر فيما يلي:

- ما الذي يريد الشخص أن يقوله أو يعبر عنه؟
- لماذا اختار هذه الوسيلة للتعبير عما يريد قوله؟
- ماذا كان وقع هذا الكلام على الطرف المتلقى؟

مثال 2-3



فكر في هذا الموضوع . . .

اكتب وصفا لفظيا موجزا لهذه الصورة الفوتوغرافية. ما الذي تتصور أن الشخص الذي التقط هذه الصورة أراد أن يقوله أو يعبر عنه؟

قد تكون إحدى الصور الفوتوغرافية لحفلة عائلية مفيدة كبيانات بصرية من حيث محتوى هذه الصورة باعتبارها تسجيلًا للحظة من الزمن (حيث قد تحتوي -مثلاً- على عدد الأفراد الذين كانوا مدعوين للحفل، وماذا كانوا يفعلون آنذاك)، وكذلك من حيث التفكير في معنى الصورة الذي دار في ذهن الشخص الذي التقطها.

فكر في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (2)

- عادة ما يتم تفسير التواصل غير اللفظي باستعمال الكلمات .
- كثيراً ما يكون الاتصال غير اللفظي مصحوباً بكلام منطوق .
- يعتمد الاتصال غير اللفظي على التصورات الشائعة والمشاركة، كما هو الحال مع الاتصال اللفظي .

العبارات الواقعية والعبارات التقييمية كبيانات

قد تكون البيانات واقعية، أى واضحة ومتاحة للملاحظة أو يدلى بها صاحب المعرفة:

مثال ذلك: أنا أنثى، وعمرى 30 سنة، وأعيش في المملكة المتحدة منذ سنة 2000.

أو قد تكون مثل هذه العبارات مصحوبة بتقييم معين:

مثال ذلك: أنا شابة، سعيدة بكوني امرأة، كما أنني سعيدة لأنني جنيت للمعيشة في المملكة المتحدة.

البيانات الواقعية

يشار إلى البيانات التي قد تمثل بصورة مباشرة ما يمكن ملاحظته، بأنها بيانات واقعية. مثال ذلك أننا نستطيع أن نلاحظ (في العادة) ما إذا كان شخص ما ذكراً أو

أنثى ، ونستطيع أن نعد كم رجلا وكم امرأة كانوا حاضرين فى الحفلة العائلية . فى هذه الحالة تعتمد البيانات التى نجمعها على نوع من الملاحظة التى تعتمد على الفوارق الحسية الملحوظة بين الذكر والأنثى وعلى قدرتنا على عد أو حساب عدد كل من الذكور والإناث .

وبإمكاننا أن نجمع المزيد من المعلومات وفقا لاعتبارات مشابهة، وذلك من قبيل : كم عدد كنوس الشراب التى تناولها كل شخص من المدعوين أو كم عدد النساء اللاتى كن يرتدين فساتين حمراء؟ ومع ذلك ، فإننا قد نجد أنه إن طلبنا من اثنين من المشاركين أن يقيما بحث ما ، وقام كل واحد منهما بجمع هذه البيانات ، فإنهما قد يأخذان باتجاهين مختلفين ، كما قد يوجد بعض التضارب أو التباين فى نتائج بحثيهما ، من ذلك أن أحدهما قد يلجأ إلى اتخاذ موقع لنفسه بجوار زجاجات المشروبات ويدون ملحوظة فى كل مرة يأتى فيها شخص ليملا كأسه . وقد يذهب المشارك الآخر فى نهاية الحفلة إلى كل شخص من الحضور ، ويسألهم كم عدد كنوس الشراب التى تناولها كل منهم . فى الحالة الأولى لا نستطيع أن نتأكد مما إذا كان كل شخص قد احتسى فعلا الشراب الذى أفرغه فى كأسه . وفى الحالة الثانية نعتد على ذاكرة الفرد وأمانته . فإن كنا نسعى إلى الحصول على معلومات واقعية دقيقة ، فسوف نحتاج لإيجاد طريقة مختلفة لقياس المقدار الذى تم تناوله من الشراب .

وعند حساب عدد الحاضرات من النساء اللاتى يرتدين فساتين حمراء ، فقد يتفق هذان الباحثان المشاركان على فساتين بعض النساء ، ولكنهما يختلفان عندما يعرض لهما ثوب هو مزيج من الألوان ، أو يكون فى نظر أحدهما قرنفلى اللون . فإن أردنا معلومات واقعية صحيحة ، فسيحتاج هذان الملاحظان إلى الاتفاق على المعيار الذى يستخدمانه لتقرير ما إذا كان ثوب ما أحمر اللون أم لا .

العبارات أو الأحكام التقييمية

قد يريد هذان الباحثان كذلك أن يكتشفا ما إذا كان بعض الحاضرين قد استمتعوا بالشراب أم لا ، وما إذا كان البعض الآخر من الحاضرين يرون أن هذه الفساتين الحمراء تظهر النساء اللاتى يرتدينها أكثر جاذبية وأناقة أم لا . من الراجح وجود آراء مختلفة بشأن هاتين المسألتين ، كما أن البيانات التى يتم جمعها ستكون فى شكل عبارات تقييمية (انظر قائمة المصطلحات) تشبه العبارات الواردة فى المثال 3-3 .

مثال 3-3

بيانات الحلقة (C)

الأحمر هو اللون
الأسود الجديد لهذه
السنة (*)

هذا اللون لا يناسبها
فعلا

بصراحة
أنا لا أتصور أنه
دفع ثمنا كبيرا لهذه
الخمرة.

إن لهذه الخمرة نكهة قوية
مستحبة.

تعتبر هذه العبارات إشارات دالة على رأى كل شخص ، كما أن هؤلاء الأشخاص يستخدمون حكمهم ومعاييرهم ليشرحوا للباحثين كيف يقيمون الخمر (أو الشراب) ، وكيف يقيمون الفساتين الحمراء . وقد يرغب أحد الباحثين الاجتماعيين فى اكتشاف عدد الأفراد الذين يقبلون آراء مشابهة ، لكن من المرجح أيضا أن يرغب فى استكشاف هذه الآراء بمزيد من التعمق بدلا من قبولها على ما هى عليه فى ظاهر الأمر ، وذلك ليكتشف أى المعايير يستعملها الأفراد عندما يصدرون حكما ما ، وما مدى قوة اعتقادهم فى رأى ما ، وكيف يصل الأفراد إلى وجهات نظرهم هذه؟ ولماذا يؤمنون بهذه الآراء؟

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (3)

- تعتمد البيانات الواقعية على ما هو متفق عليه من التعريفات والمعايير والمقاييس .
- غالبا ما تحتاج العبارات التقييمية إلى المزيد من الاستكشاف بغرض الاهتمام إلى كيف ولماذا قيلت هذه العبارات أو أصدرت هذه الأحكام .

بناء البيانات وتصنيفها

يمكن تنظيم البيانات وتصنيفها لى تفى باحتياجات معينة . فعندما نصف حدثا ما لبعض الأفراد الآخرين نقوم - فى العادة - باختيار وصياغة البيانات التى نتقاسمها معهم عن هذا الحدث بطريقة من شأنها أن تساعدنا على فهم طبيعة هذا الحدث رغم أنهم لم يكونوا حاضرين أثناء وقوعه . وقد ينظم بعض الباحثين بياناتهم وفقا لترتيب زمنى معين ، ويقدمون وصفا أو بيانا لما حدث ساعة بعد ساعة ، أو يوما بعد يوم . وقد يركز البعض على جانب من الحدث ويشرحه بالتفصيل قبل الانتقال إلى وصف الأوضاع المحيطة والسياق ، أو قد يبدوون باستعراض السياق والموقع حتى يستطيع المستمع أن "يكون صورة" للحدث . وقد يروى غيرهم قصة اشتراكهم فى الحدث ، وماذا كانوا يفعلون ، وكيف كانوا يشعرون ، وما أشبه ذلك . وهناك من يعتمد إلى استخلاص بعض الحقائق الأساسية عن الحدث ، وعدد الأفراد الذين شهدوه ، وطول الوقت الذى استغرقه الحدث ، والأنشطة التى اشتمل عليها ونحو ذلك ، ثم يقدمون هذه الحقائق لمن يستمع إليهم . ألق نظرة على المثال 3-4 الذى يحتوى على أربع روايات تصف الحفلة العائلية .

بيانات الحفلة (D)

1- كان يوجد حوالي أربعين شخصا في الحفلة، وكان عدد الرجال مساويا لعدد النساء، وكان معظمهم تحت سن الثلاثين. أثناء الجزء الأول من الأمسية كان الأفراد من كبار السن جالسين يتسامرون بينما كان الشباب يرقصون. ثم قمنا في الساعة التاسعة لتناول وجبة طعام في البوفيه ونشرب نخب الاحتفال بالجدة الكبرى التي كان عيد ميلادها يوافق ذلك اليوم.

2- كان منزلا بديعا به حجرات فسيحة متصلة ببعضها، بحيث كنا نستطيع أن نسمع الموسيقى في حجرة، بينما كان الآخرون يستطيعون أن يجدوا ركنًا هادئًا يتسامرون مع بعضهم فيه، وذلك بجانب وجود حجرة أخرى كانت جميع أنواع الطعام معدة فيها ليتناولها الحاضرون. وكان منظر الطعام رائعًا فعلا، فهو مأكلة بكل معنى الكلمة، فضلا عما كان يقدم معه من مقادير كبيرة من الشراب . . .

3- قضيت وقتا رائعا. تعرفت على عدد كبير من الأفراد الجدد، ومن أقارب صديقتي الذين لم يسبق لي الالتقاء بهم من قبل. كان لها كثير من أبناء وبنات العمومة والخوالة في نفس العمر، وكان بعضهم طلابا في الجامعة أيضا. قابلت "سايمون" الذي يدرس علم الاجتماع مثلي، لذلك أخذنا نعقد المقارنات الخاصة بملاحظاتنا التي لفتت نظرنا في الحفلة.

4- كانت حفلة مقامة للاحتفال بعيد الميلاد التسعيني للجدة الكبرى لصديقتي، لذلك كانت مناسبة عائلية حقا بما حوته من عدد كبير من الأقارب والأصدقاء من كل الأعمار. كانت الجدة سيدة مسنة جذابة، كما كان من الواضح فعلا أنها استمتعت بحضور كل أفراد عائلتها في هذا المكان للاحتفال بها . . .

إن ما نكتبه من تقارير تصف ظاهرة اجتماعية ما أو خبرة اجتماعية معينة يمكن أن تصنف أو تنظم بعدة طرق مختلفة وبدرجات مختلفة أيضا. فالتقرير المكتوب ليقدم إلى أحد المديرين يكون بطبيعة الحال أكثر تنظيما من المحاوراة العفوية مع أحد الأصدقاء مثلا، وذلك حينما يكون من المحتمل أن ننتقل من موضوع لآخر بطريقة غير منتظمة إلى حد ما .

فكر في هذا الموضوع . . .

فكر في حدث شهدته مؤخرا وحاول صياغة تقريرك عن هذا الحدث بعدة طرق مختلفة.

كما سنرى في البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب، يمكن للباحث الاجتماعي أن يختار طريقة تنظيم البيانات التي قام بجمعها، وذلك باستخدام عدة أدوات مختلفة في جمع البيانات (الفصل 1 من الباب 3)، والتي منها مثلا الاستبيانات (الفصل 3 من الباب 3)، والمقابلات (الفصل 4 من الباب 3) والسبيل الآخر أن يستخدم تقنيات تحليلية مختلفة لمعالجة البيانات المقتنة والبيانات شبه المقتنة والبيانات غير المقتنة (الفصل 2 من الباب 4). وسوف نناقش هذه النقطة بمزيد من التعمق في الفصل الرابع من هذا الباب في سياق حديثنا عن البحوث الكمية والبحوث الكيفية.

فكر في هذا الموضوع

خواص البيانات (4)

- معظم البيانات يمكن تنظيمها وتصنيفها بمعرفة الشخص أو الجماعة التي قامت بجمعها.
- البيانات التي تصور ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة.
- البيانات التي جمعها الباحث الاجتماعي يجرى تنظيمها وتصنيفها -بدرجات مختلفة - بمعرفة الباحث على اعتبار ذلك جزءا من عملية جمع البيانات.

البيانات : المحتوى والمعنى

يتم تنظيم البيانات وتصنيفها بمعرفة فرد أو جماعة . ويتم إعداد التقرير الذي يصف حدثاً ما أو خبرة معينة بمعرفة مقدم التقرير الذي لا يقتصر عمله على تحديد ما هي المعلومات التي يُضمنها تقريره فقط ، بل يحدد أيضاً كيف ستعرض البيانات ، وما الجوانب التي سيتم إبرازها والتأكيد على أهميتها ، وما الجوانب التي يتقرر حذفها ، وما إذا كان الحدث سيعرض بصورة معينة أم لا (مثال ذلك : هل كان هذا الحدث مثيراً للاهتمام ؟ أم كان مدعاة للإحباط؟) . ومن المحتمل أن تشمل البيانات على كل من العبارات الواقعية والتقييمية ، وأن تدخل في حسابها المستمع أو الجمهور المتلقى . يتم اختيار اللغة التي يستعملها المتكلم أو الكاتب (على مستوى الشعور أو على مستوى ما تحت الشعور) لتقديم تقرير محدد عن هذا الحدث .

يكون القدر الأعظم من البيانات التي يتم تبادلها بين الكائنات الاجتماعية إما منطوقاً أو مكتوباً باستعمال لغة تعد مفهومة للجميع ، ولو بدرجة معينة على الأقل . فنحن نتحدث أحياناً عن أفراد ”لا يتكلمون نفس اللغة“ عندما نقصد القول إنهم لا يفهمون بعضهم حتى لو كانوا كلهم يتكلمون الإنجليزية . فاللغة ليست مكونة من مجرد كلمات (فصيحة) لها تعريفات بالقاموس يستعملها كل امرئ بشكل دقيق . بل إن الكلمات تستعمل لتبادل المعاني والتصورات التي يكون بعضها مشتركاً وسهل الفهم ، ويكون بعضها الآخر على غير هذه الصفة . كما أن الكلمات تستعمل بطرق مختلفة من قبل الجماعات المختلفة من الناس ، وفي الأماكن والأزمنة المختلفة . ويمكن حدوث صور من سوء الفهم بين الأفراد الذين يفهمون اللغة التي تستعمل بطرق مختلفة . ويمكن للغة أن تستعمل لاستبعاد من لا يفهمون الكلمات الشائعة . أما الأمر الذي يمثل تحدياً مضاعفاً لنا فهو أننا - كباحثين اجتماعيين - نقوم كذلك باستخدام اللغة في معالجة البيانات التي جمعناها وفي تفسيرها وشرحها . لذلك تعد طبيعة اللغة قضية إشكالية بقدر ما هي قضية محورية في عملنا .

والغالب ألا يقتصر اهتمامنا - كباحثين اجتماعيين - على مضمون ما يقوله الأفراد أو يكتبونه ، أي العبارات الواقعية والتقييمية ، بل نهتم كذلك بالطريقة التي يستعمل بها الأفراد اللغة ليشروا تصوراتهم ومقاصدهم التي يرمون إليها . حاول إمعان النظر

فى الطرق المختلفة لاستخدام كلمة "العائلة" فى البيانات الواردة فى المثال 3-5. وفى كلا الحالتين نحتاج إلى تأمل الطريقة التى تستعمل بها هذه الكلمة، والمعانى والتصورات التى تشتمل عليها كلمة العائلة، والطريقة التى آل بها أمر المتحدث فى استعمال هذه الكلمة بتلك الطريقة المعينة.

مثال 3-5

بيانات الحفلة (E)

- 1 - كانت حقا حفلة "عائلية"، فقد كان كل من فيها أقارب لبعضهم.
- 2 - جرى قدر كبير من الأمور "العائلية" التى لم أفهمها فى الواقع.
- 3 - كانت الحفلة تتمتع بوجود إحساس "عائلى" جميل بها، لقد شعرت بحق أننى جزء منها.

فكر فى هذا الموضوع . . .

ما هو فى تصورك معنى كلمة "العائلة" فى نظر المتحدث فى كل عبارة من العبارات الثلاثة الواردة فى المثال 3-5.

والمعروف أن اللغة تُستخدم وتُفهم بصور مختلفة عبر الثقافات وعلى امتداد الأزمنة، مثال ذلك أن كلمة "العائلة" قد تشتمل على تصورات وخبرات مختلفة بالنسبة لرجلين يعيشان فى المملكة المتحدة فى القرن الحادى والعشرين إذا كان أحدهما من طائفة "السيخ" (*) وكان الآخر من أبناء جزر الكاريبى السود (انظر الفصل الخامس من هذا الباب للاطلاع على مناقشة لموضوع البحث الاجتماعى كقضية ثقافية). ولاكتشاف كيفية استعمال هذه الكلمة، لابد أن نعلم المزيد عن المتحدثين بها، وعن خبراتهم، وعن تصوراتهم.

(*) جماعة دينية بالهند وباكستان، يبلغ تعدادها حوالى عشرين مليون نسمة، يقطن أكثرهم فى البنجاب. تأسست الديانة فى القرن السادس عشر الميلادى، ونادت بالتوحيد والتقارب الأساسى لجميع الأديان. تحولت بعد وقت غير طويل إلى جماعة محاربة، وأدخلت عليها عادة لبس العمام وعدم حلق الشعر. (المترجم)

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (5)

- يمكن أن تحتوى البيانات على المعانى والتصورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (ومن خلال الاتصال غير اللفظى).
- يمكن أن تحتوى البيانات على الطريقة التى تستعمل بها اللغة على ألسنة مقدمى البيانات، وهم يستعرضون ما فى أذهانهم من المعانى والتصورات.

البيانات التى يقدمها الأفراد أو الجماعة

يمكن أن يقدم البيانات أفراد أو جماعات من الأفراد. فبوسع الفرد أن يصف حدثاً أو خبرة (وصفاً منطوقاً أو مكتوباً، وفى قالب لفظى وغير لفظى) لأفراد آخرين يشكلون جمهوراً يستمع إليه. وقد يتأثر وصفه للواقع الاجتماعى بالأفراد الذين يتحدث إليهم أو يكتب لهم، وبالسباق الذى تقدم فيه هذه البيانات. وفى أوضاع أخرى، قد يتعاون أفراد جماعة معينة فى تقديم البيانات، على نحو ما يحدث مثلاً فى إحدى المحاورات، أو المناظرات أو أحد اللقاءات، أو عندما نعمل معاً فى دراسة وثيقة، أو خطبة أو عرض مسرحى. فالبيانات يتم إنتاجها فى ثنايا تفاعل الأفراد مع بعض، وعندما يتبادلون الآراء والوقائع أو عندما يعترضون ويتشككون فى هذه الآراء والوقائع، وعندما يتفقون وعندما يختلفون. وبينما يكون للفرد سيطرة أكبر على البيانات التى يقدمها بنفسه، فإن التفاعل مع الآخرين، والاستماع إلى آراء وخبرات الآخرين أخرى أن يؤثر على إسهامه فيما تنتجه الجماعة من بيانات. ذلك أن جزءاً من الخبرة والمعرفة الشخصية للفرد قد يكون خفياً أو محجوباً، كما قد يتجاهل أعضاء الجماعة الآخرون جانباً آخر من هذه المعارف والخبرات الشخصية، كما قد يكون جزءاً ثالثاً منها مبنياً على ما قدمه الآخرون وما طوروه. وقد تصبح بعض البيانات التى كانت فى الأصل تخص فرداً معيناً -بعد فترة- غير مقصورة على هذا الفرد وحده، ومن ثم تنسب إلى مجمل البيانات التى تنتجها الجماعة. ذلك أن قدراً كبيراً من البيانات التى نستعملها يومياً بوصفنا كائنات اجتماعية تعد بيانات من إنتاج الجماعة أكثر من كونها بيانات أنتجها الأفراد.

المثال 6-3

بيانات الحفلة (F)

لورا وصديقها سام وابنة عمها راشيل يناقشون موضوع الحفلة العائلية التي أقيمت بمناسبة عيد الميلاد التسعينى للجدّة الكبرى للورا وراشيل .

لورا: أرى أن الحفلة لم تكن سيئة إذا راعينا أن ...

سام : لقد استمتعت بها فعلا .

راشيل : لقد كان شيئا جميلا أن أرى الجدّة الكبرى تستمتع إلى هذا الحد البعيد . إنها تحب حقاً أن يكون لها كل هذه العائلة ، كما أن الأمر جدير بإقامة هذه الحفلة لمجرد رؤيتها وهى سعيدة .

لورا: نعم ، ولكن كان ينبغي عليك أن تفكرى فى أنه كان بمقدورهم أن يأتوا بفرقة أفضل لعزف الموسيقى ، وفى كل هؤلاء العجائز الجالسين فى ذاك الركن يتحدثون عن الأيام الخوالى ، وفى كل هذا العدد الضخم من أفراد العائلة .

راشيل: أهذه هى صورة العائلات فى نظرك؟ إننا لا نقيم مثل هذه الحفلات كثيراً ، وإنه لأمر طيب أن أظفر برؤية سام وألتقى به ، وأن أرى الطفل الجديد الذى أنجبته جوان وأن ...

لورا: ولكنها لا تعدو أن تكون عائلة ، وبصراحة أنا لا يعنينى أبداً أن أرى بعضهم فيما بعد ذلك ، وأقصد بذلك أنه لا توجد أى آراء أو ميول مشتركة بينى وبين جوان .

سام: أرى أن الطفل كان جذاباً فعلا .

راشيل: إنه لأمر طيب - فى تقديرى - أن تلتقى العائلات معا ، وإن هذه الأنواع من المناسبات لهى مناسبات مهمة حقاً ، إنها أمر جرت به التقاليد .

لورا: كفاك خداعاً . أتقولين كل هذا الكلام عن الحفلة التى قدمنّا منها ، وكيف تمتعنا جميعاً بها ، وعن هؤلاء الأشخاص غريبى الأحوال الذين لا نتحدث عنهم . . كل ما فى الأمر أنني لا أريد أن أعرفهم .

سام: أتمنى أن تكون لى عائلة كعائلتك ...

راشيل : أهذا رأيك؟ ما أطيبه من رأى . ها هو إنسان يتفق معى فى رأى ...

فكر فى هذا الموضوع . . .

بالنسبة لكل المشاركين فى المناقشة الجماعية المذكورة التى أوردناها فيما سبق ، ما الذى عرفته عما يقصدونه بكلمة «العائلة»؟

قد نهتم - كباحثين اجتماعيين - بالطريقة التى بها يقدم الأزواج (الذين تربطهم علاقة الزواج، أو الخطوبة، أو الحب) أو الجماعات وصفا لظاهرة اجتماعية معينة معا (انظر الفصل 5 من الباب 3) بما فى ذلك النقاط التالية:

- كيف يتم إثراء المناقشة بالمعلومات، والخبرات، والمنظورات المختلفة.
- كيف يتفاعل الأفراد مع بعضهم بعضا، ومن الذى يأخذ زمام المبادرة، ومن الذى يسهم بالقدر الأكبر ومن الذى يسهم بالقدر الأقل.
- ما الكلمات المستخدمة، وما التصورات المشتركة التى تبدو واضحة فى الكلمات المستخدمة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (6)

- البيانات التى تقدمها جماعة معينة تشتمل على البيانات المرتبطة بالطريقة التى بها يتفاعل أعضاء الجماعة مع بعضهم بعضا.
- تعد البيانات التى تقدمها جماعة ما بيانات جماعية وليست مجموعة من البيانات الفردية.

البيانات التأملية (النقدية)

ويقصد بها البيانات التى يقدمها الأفراد عندما يفكرون فيما يفعلون، وفيما يعيشون من خبرات وما يشعرون به من أحاسيس، وعندما يحاولون أن يفهموا واقعهم الاجتماعى. ويجلب الباحثون الاجتماعيون، بوصفهم كائنات اجتماعية تمثل

جزءاً من العالم الاجتماعي الذي يدرسونه؛ يجلبون إلى بحوثهم بعض ما يخصهم شخصياً من سيرة ذاتية وخبرات ومشاعر وجدانية فتختلط بالبيانات التي يلاحظونها، ويسمعونها ويستخدمونها. كما أنهم يستطيعون أن يتأملوا في الطريقة التي بها يفهمون ما يقومون هم أنفسهم بعمله ومعايشته كباحثين اجتماعيين. ومن الممكن أن تشمل هذه البيانات النقدية (انظر قائمة المصطلحات) على مشاعر الباحث وخبراته الشخصية المتعلقة بموضوع البحث، وعلى تفكيره في القضايا المتضمنة، وردود أفعاله تجاه مبحوثيه وبيانات بحثه، وكيفية اتخاذه القرارات المتعلقة بجمع البيانات وطرق تحليلها. وقد تسجل هذه الأفكار التأملية النقدية في صورة ملاحظات بحثية أو في دفتر يوميات البحث وتناقش تحت إشراف المسئول عن البحث. كما أنها قد تُحلل تحليلاً نقدياً جنباً إلى جنب البيانات الأخرى للبحث الاجتماعي.

فكر في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (7)

- البيانات التأملية النقدية بيانات يقدمها الباحث الاجتماعي.
- البيانات التأملية النقدية يمكن أن تشمل على تفكير الباحث، وتصوراته، وأفعاله المرتبطة ببحثه.

البيانات الأولية والبيانات الثانوية

يمكن للباحثين الاجتماعيين أن يعالجوا البيانات التي جمعوها خصيصاً للبحث الذي يقومون بإجرائه، وتسمى: البيانات الأولية (انظر قائمة المصطلحات)، والبيانات التي سبق أن قدمها غيرهم من الباحثين، وهي: البيانات الثانوية (انظر قائمة المصطلحات).

ويتم جمع البيانات الأولية بمعرفة الباحث الاجتماعي باستعماله لإحدى طرق جمع البيانات التي تتلاءم مع نمط البيانات التي يجري جمعها. ويجد القارئ مناقشة مفصلة لطائفة من طرق جمع البيانات في الفصول من 3 إلى 9 من الباب 3. وتجمع البيانات الأولية خصيصاً من أجل مشروع البحث الاجتماعي باستعمال طريقة لجمع

البيانات يكون الباحث قد اختارها وفضلها على غيرها ، وباستعمال أداة لجمع البيانات ، كالاستبيان أو دليل المقابلة مثلا ، والتي يصممها الباحث في العادة (قد يستعمل الباحث أحيانا استبيانا أو أداة أخرى صممها باحث آخر إلا أنه يراها مناسبة لبحثه هو) .

ويوجد عدة أنواع من البيانات الثانوية نذكر منها :

1 - البيانات التي جمعها باحث اجتماعي آخر باستعمال إحدى طرق جمع بيانات البحوث ، كالاستبيان أو المقابلة مثلا . وبهذا الشكل تكون هذه البيانات متاحة لإجراء مزيد من التحليل عليها .

2 - البيانات التي تجمعها الحكومة أو منظمة أخرى لأغراضها البحثية أو أغراضها الخاصة بتسجيل البيانات ، كبيانات التعدادات السكانية ، وبيانات المرضى الذين يعالجون في المستشفيات .

3 - البيانات التي يتم إنتاجها أثناء ممارسة إحدى المنظمات لنشاطها المعتاد ، ومنها مثلا: وثائق الشرطة ، أو الوثائق القانونية ، أو "سجلات الحالات" التي يكتبها الأطباء عن مرضاهم أو التي يكتبها الأخصائيون الاجتماعيون عن عملائهم . وهنا تكون هذه البيانات قد أنتجت من أجل غرض معين ، كما أنها قد تكون أو لا تكون متاحة لاطلاع عموم الناس عليها .

4 - البيانات التي ينتجها الأفراد أو الجماعات بوصفها وسيلتهم الشخصية للتواصل فيما بينهم ، مثال ذلك: الخطابات ، والمذكرات الشخصية (اليومية) ، وقصائد الشعر ، والأعمال الفنية ، وأفلام الفيديو . ويقال عن هذه البيانات أيضا إنه تم إنتاجها من أجل غرض معين . كما أنها قد تكون ، أو لا تكون ، متاحة لاطلاع عموم الناس عليها .

وعلى الرغم من أن البيانات الثانوية لم تكن منتجة في الأصل من أجل الباحث الاجتماعي ، فإنه سوف يتعين عليه أن يعمل عقله في الكيفية التي بها تم اختيار هذه البيانات ، وجمعها ، وتحليلها ، كما يلزمه التفكير في الكيفية التي سيتبعها هو نفسه مستقبلا في الاختيار من بين هذه البيانات وفي استعمالها . وسوف نتأمل فيما بعد (في الفصل 9 من الباب 3 ، وفي الفصل 2 من الباب 4) بمزيد من التعمق كيف يمكننا أداء مهمتين معا:

كيف نجمع البيانات الثانوية، وكيف نستخدمها. كما سنتعمق في بحث القضايا الخاصة التي يثيرها استخدام الباحث الاجتماعي للبيانات التي لم تكن قد جمعت بوصفها جزءا من البحث الذي يجريه، والقضايا المتعلقة بمعالجته لأسئلة بحثه هذا.

فكر في هذا الموضوع . . .

خواص البيانات (8)

- يتم جمع البيانات الأولية بمعرفة الباحث خصيصا بقصد معالجة أسئلة البحث.
- يتم جمع البيانات الثانوية بمعرفة أطراف أخرى من أجل تحقيق بعض الأهداف البحثية أو غيرها من الأهداف.
- يتم جمع البيانات الثانوية من أجل تحقيق أهداف أخرى غير هدف معالجة الأسئلة التي يطرحها الباحث.

استخدام البيانات بوصفها تصورا للواقع الاجتماعي

يهدف هذا الفصل إلى تعريفك بمجموعة من أنماط البيانات التي نتعامل معها يوميا بوصفنا بشرا، وهي بيانات متاحة للباحث الاجتماعي باعتبارها قابلة الجمع والمعالجة من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية. ويمثل هذا الفصل همزة وصل بين التفكير في النظرية التي ينطلق منها البحث الاجتماعي على نحو ما عرضنا في الفصل الثاني من هذا الباب، وهو تمهيد - في الوقت نفسه - للانتقال إلى تطوير أسئلة البحث (في الفصل 4 من هذا الباب) ثم إلى عملية تصميم البحث (في الفصلين 3 و 4 من الباب 2 من هذا الكتاب). وقد تعرفنا في الفصل الثاني من هذا الباب على بعض الطرق المختلفة لمعرفة العالم الاجتماعي، وسوف يتضح لنا بكل جلاء أن كل موقف معرفي (من المواقف التي عرضنا لها في الفصل الثاني من هذا الباب) سوف يتطلب الحصول على أنماط مختلفة من البيانات وعلى طرق متباينة لمعالجتها. ونلاحظ - على وجه الخصوص - أن البحث الذي يتبنى توجهها وضعيا من الأرجح ألا يتعامل أساسا إلا بالمادة التي تمثل حقائق أو قيما يمكن ملاحظتها، وقياسها، وعدّها. ويطلق على هذا التوجه في البحث

الاجتماعى - فى العادة - اسم الاتجاه الكمى ، وسوف نشرحه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2. أما الباحث الذى يتبنى توجهها تأويليا فسوف يحرص على جمع البيانات التى من شأنها أن تسمح له بفهم المعانى والتصورات المنسوبة للظاهرة الاجتماعية محل الدراسة وتفسيرها . وهو يحقق ذلك عن طريق مراعاة أسلوب تنظيم البيانات وطبيعة اللغة المستخدمة فى سياق اجتماعى معين . ويعرف هذا الاتجاه فى البحث الاجتماعى - عادة - بالاتجاه الكيفى ، وسوف نناقشه تفصيلا فى الفصل 4 من الباب 2. وقد زادت مؤخرا أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين يعتمدون فى تنفيذ بحوثهم على تشكيلة متنوعة من أنواع البيانات يرون أنها تتيح لهم الإجابة عن أسئلة بحوثهم ، ويعرف هذا الاتجاه أحيانا باسم اتجاه الطرق المختلطة (انظر قائمة المصطلحات) ، وسوف نعرض له لاحقا فى الفصل 4 من الباب 2.

هل هذه البيانات جيدة بما فيه الكفاية؟

إذا كانت المادة التى نعتمد عليها فى توصيف ما فهمناه عن الواقع الاجتماعى ، فإنه يترتب على ذلك أن نقرر ما إذا كانت البيانات قادرة على تصوير الواقع الاجتماعى الذى تمثلته تصويرا دقيقا . وهنا يعمد الباحثون الاجتماعيون إلى تطبيق بعض المقاييس والمعايير على هذه المادة التى تم جمعها: طريقة جمعها ، وتحليلها ، وعرضها . وتمثل هذه الخطوة أساس منهجية البحث الاجتماعى وطرق جمع البيانات وتحليلها التى يتناولها هذا الكتاب الذى بين يدي القارئ .

وقد سبق أن ألقنا إلى هذه المعايير فى الفصل الأول من هذا الباب ، ولكننا سنعود إلى طرحها مرة أخرى فى البابين الثالث والرابع من هذا الكتاب ، تبعا لطبيعة المادة وتبعا للطرق المستخدمة فى جمع البيانات وتحليلها ، وكذلك المعايير المناسبة أو اختبارات الجودة التى يجرى أعمالها .

والشاغل الأول لنا كباحثين اجتماعيين هو إلى مدى يمكننا القول إن البيانات - التى نخطط لجمعها ومعالجتها فى بحثنا لكى نجيب عن الأسئلة المطروحة - هى تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعى الذى نقوم بدراسته . وهذا هو المقياس الذى يعرف عادة بمعيار الصدق (انظر قائمة المصطلحات) . وقد سبق أن واجهنا هذه القضية عندما كنا نتحدث عن بحثنا الصغير عن كميات الشراب وأعداد سيدات حضور

الحفل اللائى كن ير تدن فساتن حمراء . فقد تبنى الباحثان أسلوبن مختلفن فى تقدر كمىة الشراب التى تناولها كل شخص من الحضور ، مما أدى إلى توصلهما إلى إجابتن مختلفتن عن السؤال . وقد لاحظنا أن كلا الإجابتن ربما لم تتسما بالدقة فى تصوير الواقع الذى حدث فعلا . لهذا نحتاج - كباحثن اجتماعن - إلى البحث عن طرق لجمع المادة تضمن لنا أن المادة التى نجمعها بها تعكس الواقع الذى تصوره على نحو أقرب ما يكون إلى الصحة .

وقد تناولنا فى هذا الفصل البانات التى تعتمد على تفسير (تأويل) مضمونها وفهم طريقة استخدام اللغة نفسها . وحاولنا أن نتبن ذلك من خلال استعراض الاستخدامات المختلفة لكلمة "العائلة" والطرق المختلفة لوصف الحفلة . وبتعن علنا كباحثن اجتماعن أن نكون قادرن على ببان كيف قمنا بتفسير البانات ، وعلى إضاح أن تفسيراتنا وتصوراتنا تتسم بالثبات (انظر قائمة المصطلحات) أو المصداقية (انظر قائمة المصطلحات) ، بمعنى أنها معقولة وتحظى بتصديق الآخرين .

ولذلك بتعن علنا أن نتأكد - كباحثن اجتماعن - وذلك على خلاف الباحثن اللذن حضرا الحفلة ووصفاها؛ نتأكد أن عمليات جمع البانات وتحليلها التى قمنا بها تتسم بالاتساق ، بمعنى أننا استخدمنا نفس الإجراءات ونفس التعريفات (مثل المقصود "بالفستان الأحمر") - وهو المفهوم المعروف باسم الثبات - وأن جميع العمليات البحثية التى قمنا بها تتسم بالشفافية ، وأن بوسع الآخرين فهمها (وربما إذا أرادوا) تكرارها .

فنحن نرید أن نكون قادرن على التأكد من أن نتائج بحثنا لم تتعرض لأى تشويه بسبب الطريقة التى استخدمت فى جمع البانات ، أو نوع المادة التى قمنا بجمعها . وفى حالة جمع أنواع مختلفة من المادة للإجابة على أسئلة البحث ذاتها؛ فى هذه الحالة يمكن استخدام كل نوع من أنواع المادة لاختبار النتائج التى تم استخلاصها من البانات الأخرى . وتسمى هذه العملية التعدد المنهجي (انظر قائمة المصطلحات) أو استخدام أكثر من أداة لجمع المادة وأكثر من طريقة من طرق البحث . (انظر المزيد عن هذه العملية فى الفصل 4 من الباب 2) .

ما نوع البيانات التى ستجمعها وتعالجها؟

من الأرجح أنك قد تود، بل قد تحتاج، أن تجمع كمية متنوعة من البيانات ذات السمات المختلفة لكي تستطيع دراسة موضوعك على الوجه الأنسب. وإلى جانب تباين سمات البيانات التى ستجمعها، هناك عدة قضايا يجب الانتباه إليها وتتعلق بطريقة جمع المادة، ومستوى جودة البيانات، وكيفية معالجتها. لذلك يتعين عليك - كباحث اجتماعي - أن تقرر طبيعة البيانات التى ستجمعها وتقوم بمعالجتها، كما سيكون عليك أن تدلل على أن هذه البيانات تصور بدقة وصدق الواقع الاجتماعى الذى تمثله.

بحثك

بعد أن أعملت فكرك فى موضوع بحثك: ما نوع البيانات التى يمكن أن تقوم بجمعها ومعالجتها؟

بيانات : منطوقة أم مكتوبة؟

- يلاحظ أن النص المكتوب يكون أكثر تنظيماً من النص المنطوق، كما أنه يكون مكتوباً بعد كثير من التروي.
- النص المنطوق يكون فى العادة أكثر تجاوباً مع المستمعين.
- الغالب أن يكون النص المنطوق مصحوباً ببعض العناصر الاتصالية غير اللفظية، التى تكون مرئية للمستمع.

بيانات: حقيقة واقعة أم تقييمية؟

- تعتمد البيانات الواقعية على استخدام تعريفات، ومعايير، ومقاييس تكون محل اتفاق.
- الأغلب أن تتطلب العبارات التقييمية مزيداً من الفحص والتأمل لاستكشاف كيف ولماذا صدرت تلك العبارات؟

ما طريقة تنظيم البيانات؟

• يتم تنظيم وتصنيف القسم الأكبر من البيانات بمعرفة الشخص أو الجماعة التي قامت بجمعها .

• البيانات التي تمثل ظاهرة اجتماعية معينة يمكن تنظيمها وتصنيفها بعدة طرق مختلفة .

• البيانات التي يقوم الباحثون الاجتماعيون بجمعها يتم تنظيمها وتصنيفها إلى درجات مختلفة بمعرفة الباحث الذي جمعها كجزء من عملية جمع البيانات .

بيانات: أولية أم ثانوية؟

• البيانات الأولية هي تلك التي يقوم الباحث بجمعها خصيصا للإجابة عن تساؤلات البحث .

• البيانات الثانوية هي تلك التي قام آخرون بجمعها لإجراء بحوث أو لأغراض أخرى .

• البيانات الثانوية تم جمعها لأغراض غير الإجابة عن تساؤلات البحث الذي تجريه .

الاتصال اللفظي أم غير اللفظي؟

• الاتصال غير اللفظي يتم تفسيره عادة باستخدام الكلمات .

• الاتصال غير اللفظي يصاحب النص المنطوق في العادة .

• يتوقف الاتصال غير اللفظي على التصورات والمفاهيم المشتركة شأنه شأن الاتصال اللفظي .

المعاني والتصورات؟

- يمكن أن تحوى البيانات المعاني والتصورات التى يتم التعبير عنها بالكلمات (وكذلك عناصر الاتصال غير اللفظى).
- يمكن كذلك أن تحوى البيانات الأسلوب اللغوى الذى استخدمه جامعو البيانات للتعبير عن المعاني والتصورات الخاصة بهم.

البيانات : من صنع فرد أم جماعة؟

- تشتمل البيانات المتحصلة من جماعة على إيضاح طريقة تفاعل أفراد الجماعة المتحصلة مع بعضهم بعضا.
- البيانات المتحصلة من الجماعة تكون بيانات جماعية وليست مجموعة من البيانات الفردية (المتحصلة من أفراد).

هل البيانات : تأملية نقدية؟

- البيانات التأملية النقدية يقوم بإنتاجها الباحث .
- يمكن أن تشمل البيانات التأملية النقدية العناصر التالية: تفكير الباحث ، وتصوراته ، وأفعاله المتصلة بالبحث .
- هل ستعبر البيانات تعبيراً دقيقاً وأميناً عن الواقع الاجتماعى الذى تمثله؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bachman, R. and Schutt, R. K. (2001) *The Practice of Research in Criminology and Criminal Justice*, Thousand Oaks, CA: Pine Forge Press.
- Coolican, H. (1996) *Research Methods and Statistics in Psychology*, London: Hodder & Stoughton.
- Graziano, A. M. and Raulin, M. L. (2004) *Research Methods: A Process of Inquiry*, 5th edn, London: Pearson Education.
- Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Upper Saddle River, NJ: Pearson Education.
- Patton, M. Q. (2002) *Qualitative Research and Evaluation Methods*, London: Sage.

الفصل الرابع

أسئلة البحث، وفروضه، وتعريفاته الإجرائية

محتويات الفصل

- ما تساؤلات البحث؟
- تحديد تساؤلات البحث وتصميمها.
- أنواع تساؤلات البحث.
- تطوير أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية.
- وضع أسئلة بحثك.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يدور هذا الفصل حول توضيح كيفية البدء بتحويل أفكارك البحثية إلى كلمات، وكيف تفكر - وأنت تفعل ذلك - في التساؤلات التي تريد أن تطرحها حول موضوعك. والغالب أن يبدأ الباحثون الاجتماعيون بمجال أو جانب معين من الحياة الاجتماعية يكون محل اهتمامهم، سواء من واقع خبرتهم الخاصة أو دراسات سابقة، أو لأن قضية اجتماعية معينة تفرض نفسها على الاهتمام العام.

وبمجرد أن تبدأ التفكير في موضوعك سوف يبدو لك بوضوح عدد كبير من التساؤلات المختلفة التي يمكن أن تطرحها حول موضوع معين، ولذلك تستشعر أنك في حاجة إلى أن تقرر وضع هذه التساؤلات تحديدا بالنسبة للموضوع الذي تنوى دراسته. عندما تنجز ذلك ستجد نفسك تبدأ بصياغة تساؤلات البحث. وقد تكون هذه التساؤلات في بادئ الأمر واسعة وعمامة إلى حد كبير، ولكن عندما

تبدأ فى التركيز بوضوح على التساؤلات وتفتيتها إلى عناصرها الفرعية ، ستجد تساؤلاتك تصبح أكثر تحديدا وأدق تعريفا . وتشكل هذه التساؤلات البحثية أساس كل ما ستأخذ من قرارات بشأن تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وطرق جمع المادة التى سوف تستخدمها فى عملك (انظر الفصل 4 من الباب 2) .

ما تساؤلات البحث؟

لاشك أن فكرة السؤال ليست بالأمر الجديد عليك ، فكلنا نألف فكرة توجيه الأسئلة وتقييم الإجابات منذ مراحل مبكرة فى حياتنا . فعندما نريد أن نعرف شيئا ما عن موضوع معين ، أو نحصل على بعض المعلومات أو نقرأ فصلا معيناً فى كتاب لمساعدتنا على كتابة مقال ، فإننا نعلم فى العادة إلى وضع بعض التساؤلات التى يمكن أن تساعدنا فى العثور على المعلومات التى نبحث عنها ، ومن ثم تمكننا من التركيز على المعلومة التى نحتاج إليها . والغالب أننا نمارس مثل هذه العملية دون تفكير مباشر وصريح فيها ، أما فى حالة تساؤلات البحث الذى ننوى إجراءه ، فلا بد أن نمنع التفكير فى تساؤلاتنا بكل عناية ووضوح ، وذلك كى نضمن أن تصميم البحث سوف يمكننا من الإجابة عن التساؤلات التى سنطرحها . ويمكن القول من حيث المبدأ أنه إذا لم يكن هناك ثمة سؤال ، فلن تستطيع الوصول إلى أية إجابة . فتساؤلات البحث ركن جوهري من أركان مشروعك ، وهى التى تتيح لك التعمق فى موضوع بحثك والتركيز على مختلف جوانبه . من هنا يمكن القول إن سؤال البحث يعمل - من ناحية - على إجلاء الهدف من مشروعك البحثي ، ويسهم - من ناحية أخرى - فى توجيه مسارك طوال عملية البحث . وبذلك يتضح أن سؤال البحث ليس مجرد عبارة بسيطة ، حيث إنه لا بد وأن يتضمن قدرا من التعبير المفصل عن الطبيعة الكلية للبحث . معنى هذا أن تساؤلات البحث تختص دائما بمشروع بحثي معين .

تحديد تساؤلات البحث وتصميمها

سبق أن بينا فى الفصل الثانى من هذا الباب أننا نحاول كباحثين اجتماعيين تحقيق ما يلي:

(أ) وصف، وإيضاح ظاهرة اجتماعية معينة (أو عدة ظواهر اجتماعية).

(ب) وأن نعمل عادة على فهم، وتفسير كيف أصبحت الظاهرة على ما هي عليه (أو بالصورة التي يفهمها الناس بها) وأسباب ذلك.

لذلك تبدأ تساؤلاتنا البحثية عادة بـ: ماذا؟ من؟ أين؟ متى؟ كيف؟ ولماذا؟

أنواع تساؤلات البحث

هناك - كما عرفنا في الفصل الثاني - أربعة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية هي: الاستكشافي، والوصفي، والتفسيري، والتقييمي.

1 - التساؤل الاستكشافي: ويمثل محاولة أولية لفهم أو إيضاح إحدى العمليات أو الظواهر الاجتماعية عندما تكون أنت (ربما كفرد، أو ربما أحيانا الجماعة العلمية التي تنتمي إليها) لا تملك إلا قدرا محدودا من الفهم المسبق للمجال أو القضايا التي تنوي دراستها.

2 - التساؤل الوصفي: يترتب هذا النوع من التساؤل على الأسئلة الاستكشافية التي سبق طرحها. إذ تهتم التساؤلات الوصفية عادة بقياس الأبعاد الكمية للمجال أو القضايا أو الظواهر المراد دراستها، من قبيل: ما مقدار حجمها؟ كم عددها؟ أين هي؟ كم نسبة الناس الذين يتأثرون بها؟

3 - التساؤل التفسيري: وهذا التساؤل يطرح عادة في صورة تساؤل عن السبب أو الأسباب (لماذا؟). فهو يبحث عن الأسباب وعن النتائج أو الآثار، مثل: لماذا حدث ذلك؟ كيف حدث؟ ما العمليات الفاعلة في حدوث ذلك؟

4- التساؤل التقييمي: يهتم التساؤل التقييمي بمعرفة قيمة ممارسة أو ظاهرة اجتماعية معينة، وذلك عن طريق طرح مثل هذه التساؤلات: ما أكثر الجوانب نجاحا؟ ما مدى نجاحها (أو مدى إخفاقها)؟ ما مدى فاعلية ذلك؟ والغالب أن يشتمل هذا النوع من البحوث على وضع توصيات بشأن كيفية تحسين أو تغيير شيء معين، وهو أمر لا بد وأن يكون متضمنا في تساؤلات البحث.

والحقيقة أن بحثك سوف يندرج تحت واحد أو أكثر من هذه الأنواع، ولا يجب أن يمثل ذلك أى مشكلة على الإطلاق، ذلك لأن الغالبية العظمى من المشروعات البحثية تطرح في العادة أكثر من نوع من التساؤلات البحثية.

فكر في هذا الموضوع . . .

يركز أحد الأمثلة التى أوردناها فى الفصل الثانى من هذا الباب على بعض التساؤلات البحثية التى يمكن طرحها فيما يتعلق باستخدام عصابات الشباب للأسلحة النارية، وذلك على النحو التالى:

البحث الوصفى: من الشباب المتورطون فى جرائم استخدام الأسلحة؟

البحث الاستكشافى: ما معنى أن يكون المرء عضواً فى عصابة؟

البحث التفسيري: لماذا يشارك الشباب المنتمون إلى العصابات فى اقتراف جرائم بالأسلحة النارية؟

البحث التقييمى: ما التغيرات فى السياسة والممارسة التى يمكن أن تسهم على النحو الأفضل فى الحيلولة بين الشباب وبين الانضمام لمثل هذه العصابات؟

ويهتم أحد الباحثين الاجتماعيين بدراسة العلاقات التى يمكن أن تكون موجودة بين البطالة والصحة العقلية. هل يمكن أن تساعد ذلك الباحث باقتراح بعض التساؤلات البحثية له؟

البحث الوصفى: -----
البحث الاستكشافى: -----
البحث التفسيري: -----
البحث التقييمى: -----

وعليك كما سبق أن أشرنا فى الفصل الثانى أن تحدد أربعة تساؤلات تتعلق بموضوع بحثك. ربما يحسن بك أن تراجع ذلك الموضوع الآن مرة أخرى.

الفروض

تمثل الفروض نوعا معينا من تساؤلات البحث ، وهى وإن لم تكن تساؤلات فى الحقيقة ، فهى نوع من العبارات أو التأكيدات بوجود علاقات بين مفهومين أو أكثر . فالتساؤل هنا مطروح بشكل ضمنى وليس صريحا أو مباشرا ، وذلك على النحو التالى مثلا: «هل أستطيع أن أثبت (أو أنفى) وجود علاقة بين هذين المفهومين؟» . هنا يتمثل هدف البحث فى اختيار حقيقة الزعم بوجود هذه العلاقة بهدف تأكيد الفرض أو نفيه .

ما: الفرض؟

تأكيد - مطروح للاختبار - بوجود علاقة أو علاقات بين مفهومين أو أكثر (وليس الفرض بالضرورة تعبيراً عن حقيقة مؤكدة ، ولكنه أمر مطروح للإثبات أو النفى) .

مثال 4-1

الفروض المتعلقة بوجود علاقة بين الجريمة والانتماء الإثنى

الفرض المطروح

أعضاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمالا أن يقرّفوا الجرائم من أعضاء الجماعة الإثنية (ب) .

يؤكد هذا الفرض وجود علاقة بين الانتماء الإثنى واقتراف الجرائم .

من هنا يمكن القول إن التساؤل البحثى عن تناول هذا الموضوع هو:

هل هناك علاقة بين الانتماء الإثنى وارتكاب الجرائم؟

ويمكن طرح تساؤل فرعى حول نفس الموضوع هو :

هل أعضاء الجماعة الإثنية (أ) أكثر احتمالا أن يرتكبوا الجرائم من أفراد الجماعة

الإثنية (ب)؟

والأمر الأكثر شيوعاً أن تستخدم الفروض في فحص العلاقات بين مفاهيم أو ظواهر يمكن اختبارها إحصائياً، أو بعبارة أخرى:

• أن يكون كل مفهوم قابلاً للتحديد والقياس (انظر فيما بعد حديثنا عن التعريفات الإجرائية).

• أن يكون من الممكن جمع بيانات عن كل مفهوم خاضع للدراسة.

• أن يكون بالإمكان اختبار البيانات باستخدام النظرية الإحصائية للتأكد من أن الفرض يمكن إثباته أو نفيه إحصائياً بمعنى وجود علاقة إحصائية يمكن (أو لا يمكن) تبينها والكشف عنها .

وهناك نوعان رئيسيان من العلاقة أو الارتباط التى تتناولها بحوث العلوم الاجتماعية بهذه المناسبة . وتلك هى العلاقة العلية (انظر قائمة المصطلحات) والعلاقة الارتباطية (انظر قائمة المصطلحات).

وكما سترى فى المثال 4-2 فيما بعد فإن إثبات طبيعة العلاقات بين الظواهر فى البحوث الاجتماعية نادراً ما يتم بشكل مباشر وصريح ، وأن الأرجح أن تمثل الفروض مجرد نقطة انطلاق للبحث الاجتماعى . فنجد على سبيل المثال أن وجود علاقة إحصائية بين مفهومين ، أو خاصيتين أو حدثين سوف يقودنا إلى طرح مزيد من التساؤلات التى نحاول من خلال الإجابة عنها تحديد طبيعة هذه العلاقة والتوصل إلى تفسيرات لها .

فالتفكير فى العلاقات المحتملة - هى فى هذا المثال أسباب حصول (أو عدم حصول) بعض التلاميذ على درجات مرتفعة فى الامتحانات - التفكير فيها فى هذه المرحلة سيساعدك على أن تضمن جمع بيانات عن كل العلاقات التى يمكن أن تكون مفيدة لبحثك ومرتبطة به . فإذا سألت التلاميذ مثلاً عن الدرجات التى حصلوا عليها فى الامتحان وعن عدد الساعات التى أمضاها كل منهم فى الاستذكار «بتركيز» ، فقد تتوصل فى ضوء ذلك إلى أن هناك ارتباطاً (أو عدم وجود ارتباط) بين هذين العنصرين . ولكنك لن تستطيع فى مثل هذه الحالة أن تنتبه إلى الأسباب المحتملة لهذا الارتباط ، ما لم تكن قد قمت بجمع بيانات عن بعض الجوانب الأخرى لمذاكرة أولئك التلاميذ التى قد يكون

لها تأثير على الدرجات التي حصلوا عليها في الامتحان . لهذا السبب يتعين أن يكون لديك مجموعة من الفروض ، أو أن تجمع بين عدد من الفروض البسيطة في حكم (أو فرض) أكثر تعقيدا .

على أن الفروض - كأحكام يمكن اختبارها - لا تستخدم فقط في البحوث التي تقوم على جمع بيانات يمكن اختبارها إحصائيا . وإنما يمكن كذلك الاعتماد عليها في البحوث التي تقوم على جمع بيانات ومعالجتها بطرق أقل تقنيا وأقل اتصافا بالطابع الكمي . فالعلاقات العلية والارتباطية المحتملة بين مختلف الخبرات ، والخصائص والأحداث يمكن تحديدها والتعرف عليها من واقع البيانات والروايات التي نحصل عليها من المقابلات شبه المقننة على سبيل المثال (انظر الفصول 1 ، 2 ، 4 ، 5 من الباب 4) . كما يمكن أن نتبين وجود علاقات عليية وارتباطية - وأن نتتبعها - من خلال البيانات التي يحصل عليها الباحث من دراسة عدد من الحالات على أن يتم بعد ذلك تحليل عدد آخر من الحالات للتحقق من وجود هذه العلاقات فيها .

مثال 2-4

العلاقات

العلاقات العلية

يتم تصوير العلاقات العلية في أغلب الأحيان بيانيا على النحو التالي:

أ ← ب

فنستطيع أن نؤكد - مثلا - أن زيادة التركيز في الاستذكار تؤدي إلى زيادة الدرجات التي يحصل عليها الطلاب الجامعيون . وفي هذه الحالة نصور العلاقة بيانيا على النحو التالي:

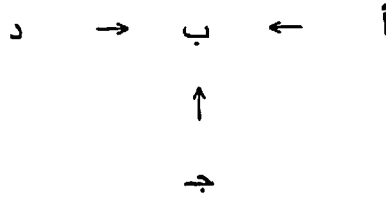
↑ ↑
أ ← ب

وهكذا تؤدي الزيادة في المتغير (أ) - وهو الاستذكار بتركيز - إلى زيادة في المتغير (ب)، وهو درجات الامتحان .

العلاقات الارتباطية

على أن هناك بعض الأحوال التي لا نستطيع فيها إثبات أن (أ) هو الذى يسبب (ب) رغم وجود علاقة إحصائية بين زيادة التركيز فى الاستذكار وارتفاع درجات الامتحان . وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب:

1 - أن هناك عديدا من الأسباب لحصول الطالب على درجات مرتفعة ، وقد يكون من الصعب إثبات أن الاستذكار بتركيز هو المسئول وحده عن الدرجات المرتفعة فى الامتحان .



2 - قد يكون صحيحا أن الطلاب الذين يحصلون على درجات مرتفعة فى الامتحان هم فى نفس الوقت الذين يرون أن الاستذكار بتركيز هى أفضل طرق الاستذكار ملائمة لهم .



3 - قد يكون ثمة عامل ثالث يؤثر على كمية الاستذكار بتركيز والدرجات المرتفعة فى الامتحان . من ذلك مثلا وجود مدرس لجماعة من الطلاب يتوقع أن طلابه يقومون بالذاكرة العادية لما درسوه قبل المحاضرات ، وقد قام خلالها بتحديد بعض أسئلة الامتحان . فهو يرى أن أولئك الطلاب يذكرون تلك المادة على سبيل المراجعة . (وهكذا يحصلون على درجات مرتفعة رغم أنهم لم يقوموا بالاستذكار المركز) .



تطوير أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية

تفكيك وتحليل تساؤلات البحث

ربما يتعين عليك أن تبدأ ببعض التساؤلات المبدئية، من نوعية تلك الأسئلة التي وردت في برواز «فكر في هذا الموضوع . . .» السابق، ولكن قبل أن تتمكن من وضع أسئلة أو فروض لبحثك من شأنها أن تعينك على تصميم بحثك واختيار طرق جمع البيانات؛ قبل ذلك يحسن بك أن تقوم بعملية تحليل تساؤلاتك المبدئية لكي تضمن أنك تعرف بدقة ما الذي تقوم ببحثه، ومن ثم تقوم بجمع البيانات التي تتيح لك الإجابة عن تلك التساؤلات. ويتضمن ذلك صياغة بعض التعريفات الإجرائية (انظر قائمة المصطلحات) التي سنتناولها فيما بعد. وبموازاة ذلك العمل يجدر بك أن تبدأ بمراجعة التراث المنشور عن موضوع بحثك (الدراسات السابقة) (انظر الفصل 2 من الباب 2)، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على صياغة تعريفاتك الإجرائية، وتدقيق أسئلة بحثك، وربما كذلك تطوير بعض الأسئلة البحثية المساعدة (انظر قائمة المصطلحات).

التعريفات الإجرائية

قبل أن تتمكن من طرح أسئلة مفيدة عن قضية أو موضوع معين، يتعين علينا أن نعرف بدقة طبيعة ذلك الموضوع. ونحاول في العادة عمل ذلك عن طريق وضع تعريف إجرائي، أي تعريف نستطيع أن نستخدمه عمليا في بحثنا. فنحن نحتاج إلى التعريفات الإجرائية لكي نركز سؤالنا، وبالتالي نحدد طبيعة البيانات التي سنقوم بجمعها لكي نتمكن من إجابة على تلك الأسئلة. ويطلق على هذه العملية أحيانا «وضع التعريفات الإجرائية». ويصف جوب Jupp وزملاؤه (2000، ص 62) هذه العملية بأنها:

تحديد القواعد التي يتم إعمالها عندما تتحقق بعض عناصر المفهوم.

ويمكن القول بعبارة أوضح إن هدف التعريف الإجرائي هو تزويدك بمؤشر يتيح لك أن تعرف أن الشيء الذي تدرسه متحقق أو موجود. فأغلب أسئلة البحث تتضمن المفاهيم (انظر قائمة المصطلحات) وتدور حولها، وكيفية معرفة المزيد عنها، وطبيعة علاقتها ببعضها بعضا. فالمفاهيم أفكار يمكن تعريفها ويمكن فهمها بطرق مختلفة باختلاف الأفراد أو الجماعات، أو باختلاف العصور، ومن هنا يتحتم أن تكون لديك

تعريفات واضحة لمختلف المفاهيم التي تستخدمها، ولا بد أن يكون التعريفات صالحة للاستخدام العملى فى بحثك، أى يكون ملائما إجرائيا.

وعليه لا بد أن يكون التعريف الإجرائى:

- صادقا ومرتبطا تمام الارتباط بالبحث، فلا بد أن يكون صالحا للاستخدام فى جمع البيانات التى تساعدك على معالجة أسئلة بحثك.
- وأن يكون مرتبطا كلية بسياق البحث، ومصمما خصيصا للمشروع البحثى، بحيث إنه قد يكون عديم الجدوى بالنسبة لأى مشروعات بحثية أخرى.

مثال 3-4

البطالة والصحة العقلية - تعريفات إجرائية

سبق أن طلبنا منك أن تفكر فى بعض التساؤلات البحثية التى ترتبط بالعلاقات التى يمكن أن توجد بين البطالة والصحة العقلية.

فالبحث الذى نحن بصدد تناوله العلاقة بين مفهومين هما: البطالة والصحة العقلية. ويتعين علينا قبل أن نتمكن من وضع وبلورة تساؤلاتنا البحثية ومن تصميم بحثنا؛ يتعين أن نضع تعريفات إجرائية لهذين المفهومين.

فما الذى نقصده فى هذا البحث بكون الفرد عاطلا؟

وفيما يلى بعض الاقتراحات فى هذا الصدد:

- 1- كل بالغ لا يعمل بأجر.
- 2- كل بالغ كان يعمل بأجر، وأصبح الآن لا يعمل بأجر.
- 3- كل بالغ كان فى المرحلة العمرية من 16-65 سنة يعمل بأجر، ولكنه أصبح لا يعمل بأجر منذ أكثر من عام.
- 4- كل بالغ يتلقى إعانة بطالة أى من «أصحاب معاش البطالة».

5- كل بالغ لا يعمل بأجر ويرغب فى العمل بأجر ، أى يكون «مقيداً فى قوائم طالبي العمل»

6- كل بالغ لا يعمل .

وعلينا أولاً أن نعرف تحديداً بؤرة تركيز البحث وسؤال البحث قبل أن نتمكن من اختيار التعريف الإجرائى الذى سنستخدمه . من ذلك مثلاً: إذا كان سؤال البحث:

أ - ما آثار البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للعاطلين؟

هنا يكون التعريف الإجرائى رقم (3) هو الأنسب ، ومن ثم يمكن استخدامه لتحديد العينة المناسبة من المبحوثين الذين يمكن إجراء دراستنا عليهم .

أو هل يمكن أن يكون؟

سنلاحظ أننا يمكن أن نقع فى شباك التعريف الإجرائى لمفهوم واحد - هو البطالة - إذا استخدمنا فى تعريفه مفهوماً آخر هو العمل بأجر . لذلك يتعين علينا وضع تعريف إجرائى للعمل بأجر . وربما يصح أن يكون هذا التعريف على النحو التالى: «العمل لمدة 35 ساعة أسبوعياً - على الأقل - كل أسبوع ، تكون مدفوعة الأجر» . فمثل هذا التعريف يستبعد أولئك الذين يعملون أقل من 35 ساعة أسبوعياً ، ولكنه بالنسبة لطبيعة بحثنا الذى يهتم بالبطالة الطويلة الأمد يعد تعريفاً مقبولاً .

ب - هل الناس الذين لا يعملون بأجر أسعد أم أتعب من أولئك الذين يعملون بأجر؟

قد يبدو فى الظاهر أن التعريف الإجرائى رقم (1) قد يكون الأكثر ملاءمة هنا ، ولكن هذه المجموعة - المكونة من أفراد بالغين لا يعملون بأجر - تضم تنوعة هائلة من الناس: كأولئك الأفراد الذين لا يرغبون أو لا يحتاجون إلى العمل بأجر ، وكالمتقاعدين ، والأفراد غير القادرين على ممارسة العمل بأجر ، وأولئك الذين يسعون إلى عمل بأجر وأولئك الذين يعملون تطوعاً بدون أجر . ولذلك ربما يكون من الأفضل تدقيق التعريف بأن نحدد أى مجموعات من الناس هى التى يمكن أن يركز عليها بحثنا .

فكر في هذا الموضوع . . .

ما المقصود بالصحة العقلية

فيما يلي بعض التعريفات المقترحة:

1- وجود أو عدم وجود أحد أنواع الاضطراب العقلي التي يتم تشخيصها إكلينيكيًا.

2- الحالة العقلية التي يمكن قياسها باستخدام الاختبارات النفسية.

3- كيفية شعورنا بحياتنا وبذواتنا.

فأى تعريف إجرائي من هذه التعريفات المقترحة سوف تنوى استخدامه لدراسة كل سؤال من هذه تساؤلات؟ وهل يمكنك اقتراح أساليب أخرى لوضع تعريف إجرائي للصحة العقلية؟

أ - ما تأثيرات البطالة الطويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

ب- هل الناس الذين لا يعملون بأجر أسعد أو أتعس من أولئك الذين يعملون؟

على أن التعريفات الإجرائية لا تستخدم فقط لمساعدة الباحثين على تدقيق تساؤلاتهم البحثية. وإنما تؤدي - فضلا عن ذلك - وظيفة ضرورية عندما نشرح في التفكير في كيفية جمع المادة التي سوف نستخدمها في الإجابة عن تساؤلات البحث.

فمن اللازم أن نتمكن من جمع بيانات بحثنا في ضوء التعريفات الإجرائية. وبالنسبة للمثال الذي أوردناه نحتاج إلى:

- أن نستطيع العثور على الأشخاص - أو أن نجعل معلومات عن الأشخاص - الذين تتوفر فيهم معايير التعريف. وهم في حالة التعريف المذكور: البالغون الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و65 سنة الذين يعملون بأجر (لمدة 35 ساعة على الأقل أسبوعيا) ولكنهم لم يعملوا بأجر - خلال ذلك العمر - لمدة تجاوزت عاما واحدا.

- فى هذه الحالة يكون للتعريف الإجرائى الذى اخترناه دلالات مهمة بالنسبة لعملية اختيار عينة البحث ، أى تحديد الأشخاص الذين تتوفر فيهم معايير التعريف ، أو تكون لهم صلة بالبيانات الثانوية التى يمكن الاستعانة بها فى البحث .
- أن تتمكن من أن نجمع منهم أو من غيرهم البيانات التى تسمح لنا - فى حالة المثال المذكور - "بقياس" حالتهم الصحية العقلية .
- فى هذا المثال تكون المسألة المهمة هى مشكلة القياس ، وكيفية جمع البيانات . فإذا تأملنا -على سبيل المثال - التعريفات الإجرائية الثلاثة المقترحة للصحة العقلية:
- بالنسبة للتعريف الإجرائى رقم (1) سوف أحتاج إلى الحصول على بعض المعلومات الطبية الضرورية (أو أن أقوم أنا بنفسى بعمل تقرير شخص فيه الحالة الصحية العقلية) .
- أما بالنسبة للتعريف الإجرائى رقم (2) فإنه سيتطلب من الباحث تطوير اختبار نفسى ، أو أن يستخدم أحد الاختبارات التى صممها علماء النفس لهذا الغرض ، ثم أقوم بتطبيق الاختبار على المبحوثين .
- أما التعريف الإجرائى رقم (3) فيتطلب وضع بعض الأسئلة التى تستهدف التعرف على مشاعر الأفراد تجاه حالتهم الصحية العقلية . وهذه مسألة ذاتية خالصة ، وطبيعى أن يكون لدى الناس أفكار مختلفة بهذا الصدد ، فما معنى قولهم -مثلا- إنهم سعداء . حقيقة أن السعادة هى الأخرى مفهوم يحتاج إلى وضع تعريف إجرائى له ، بحيث نستخدمه فى جمع بيانات تساعدنا على أن نقرر هل السعادة متوفرة فعلا أم لا .

فكر فى هذا الموضوع . . .

ما الأسئلة التى يتعين أن توجهها إلى المبحوثين لكى تعرف:

(أ) ما إذا كانوا يعتبرون أنفسهم سعداء؟

(ب) ماذا يقصدون بكلمة السعادة؟

من هنا نرى أننا عندما نحاول وضع تعريف إجرائي لمفهوم معين ، قد نقع بسهولة فى فخ استخدام مفهوم آخر كجزء من ذلك التعريف الإجرائي . كما رأينا أنه عندما نقوم بتصميم واختيار طرق جمع البيانات قد نضطر فى بعض الأحيان إلى الاعتماد على بعض المفاهيم ، التى تحتاج هى الأخرى إلى تعريفها إجرائيا ، لكى نضمن أن نجمع البيانات الصالحة للإجابة عن الأسئلة التى نود استيفاءها . ونعتقد أن استعراض المزيد من الأمثلة سوف يبرز ضرورة العناية بصياغة تساؤلات بحثك ، وصياغة الأسئلة التى ستوجهها - بالتالى - إلى المبحوثين .

صياغة السؤال

إذا كان بحثنا مهتما - مثلا - بالوقوف على خبرات الناس الخاصة بترددهم على طبيعهم ، وكان أحد الأسئلة يقول :

هل اضطررت إلى الانتظار أكثر من اللازم حتى يجيء دورك فى الدخول على الطبيب؟

هنا سنواجه عددا من المشكلات . أبرز تلك المشكلات أن المبحوثين سوف يعرفون «أكثر من اللازم» بأساليب شتى مختلفة . فهناك من يرى أن خمس دقائق مدة طويلة (خاصة إذا كانوا قد تركوا سياراتهم فى أماكن الانتظار السريع فى فناء تلك المستشفى) وعليه فسوف يجيبون عن السؤال المذكور: نعم . وهناك طائفة أخرى من الناس تعتبر أن الانتظار لمدة أربعين دقيقة فى قاعة انتظار كيفية الهواء متعة محببة ، ومن ثم يجيبون عن ذلك السؤال: لا . وعندما نتأمل الإجابتين لن نستطيع التوصل إلى معرفة شيء عن طول مدة الانتظار ، ولماذا تعتبر «أطول من اللازم» (أو لا تعتبر كذلك) . وأيضا كانت الأسباب سوف يقدم الناس لنا إجابات مختلفة ومتفاوتة لن نفيدنا كثيرا عندما نشرع فى التحليل . ولهذا لكى نحصل على البيانات المفيدة لنا يتعين أن نوجه المزيد من الأسئلة من قبيل :

- كم من الوقت انتظرت فى العيادة قبل أن يسمح لك بالدخول على الطبيب؟
- هل كنت راضيا أم غير راض عن اضطرارك إلى الانتظار طوال هذا الوقت؟
- ما سبب رضائك أو عدم رضائك عن الانتظار طوال ذلك الوقت؟

المفاهيم المرتبطة بالسياق الاجتماعي والثقافي ومشكلة الصياغة

الحقيقة أن التعريفات الإجرائية ترتبط عادة بالسياق الاجتماعي والثقافي . ومن الواجب أخذ هذا الجانب من جوانب التعريف الإجرائي في الاعتبار لكي نضمن أن يفهم المبحوثون ما نوجهه إليهم من أسئلة ومن ثم يتمكنون من الإجابة عليها ، ولكي نضمن كذلك أن يقدونا توجيه هذه الأسئلة إلى الحصول على بيانات صادقة . ويعنى هذا في النهاية أن كل المبحوثين قد فهموا الأسئلة على نفس النحو (أي بنفس المعنى) ، وأنهم قدموا لنا إجابات دقيقة على نفس السؤال . فإذا سألنا مثلا بعض المبحوثين -الذين ينتمون إلى اللون الأبيض ، والطبقة الوسطى ، والثقافة البريطانية - عن تحديد الأقارب المباشرين داخل أسرهم ، فمن غير المتوقع أن يتجاوز عدد هؤلاء (في الأسرة الواحدة) 15 فردا . ولكن إذا وجه نفس هذا السؤال إلى فرد من طائفة "الشيخ" فلن يكون من المستغرب أن يتجاوز هذا الرقم 100 (راجع www.jamardaresources.com) ، لأن لدى الجماعات الثقافية المختلفة مفاهيم مختلفة عن الأسرة . ويدلنا هذا المثال على أهمية أن نضمن أن تراعى التعريفات الإجرائية السياق الاجتماعي والثقافي للمبحوثين ، وأنه من الضروري أن يكون تصميم البحث قادرا على استيعاب إجابات شديدة الاختلاف على نفس السؤال .

الحصول على نفس نوع الإجابة

من أهداف وضع تعريفات إجرائية واستخدامها في وضع الأسئلة أن يضمن الباحث الحصول على نفس نوع الإجابة في جميع الأحوال . من ذلك مثلا أن السؤال عن : "أين تعيش؟" يمكن الإجابة عليه بعدة طرق مختلفة . وقد يجيب عليه المبحوثون على النحو التالي:

* في مدينة برمنجهام ، * في بيتي ، * مع والدي ، * على مقربة من الحديقة العامة ، ... إلخ .

ولكن الباحث الذي يحصل على مثل هذه الإجابات المتنوعة لن يستطيع استخدام البيانات التي حصل عليها بعد توجيه هذا السؤال بسبب أن المبحوثين فهموا السؤال وأجابوا عنه بطرق مختلفة . لذلك يتعين عليه صياغة الأسئلة بكل دقة لضمان أن يفهمه

الجميع بنفس الطريقة . من ذلك مثلاً:

- ما القسم الإدارى الذى تعيش فى دائرته؟
- هل تعيش فى بيت ، أم فى فيلا ، أم فى شقة ، أم فى نوع آخر من المساكن؟
- من الأشخاص الذين يعيشون معك فى نفس البيت؟
- فى أى شارع تعيش ، أو ما رقمك البريدى؟

استخدام تعريفات الناس الآخرين

عندما تعتمد فى بحثك على بيانات ثانوية (انظر الفصل 9 من الباب 3) ، أو تستخدم بحثاً أجراه شخص آخر فى بلورة أفكارك (انظر الفصل 2 من الباب 2) فسوف تواجه تعريفات إجرائية اعتمد عليها الباحثون الآخرون أو من قاموا بجمع البيانات ، ويتعين عليك أن تأخذها فى اعتبارك . والمشكلة فى مثل هذه الحالة أنك قد لا تكون على دراية تامة بالطريقة التى اتبعها الباحثون الآخرون فى وضع تعريفاتهم الإجرائية أو الأسئلة التى وجهوها للناس . بل إنك قد لا تعرف - فى بعض الأحيان - الصيغة المحددة للسؤال الذى تم توجيهه ، ومن شأن ذلك أن يؤدى بك إلى إساءة فهم ما انتهوا إليه من نتائج . بل حتى عندما تقف على الصيغة المحددة للسؤال الذى تم توجيهه ، فقد لا تكون على علم بالتعريف (أو التعريفات) الإجرائى الذى انطلقت منه صياغة السؤال . لذلك يتعين عليك فى مثل هذه الأحوال أن تتعامل مع البيانات بحذر ، وأن تستفيد من تلك التعريفات لإثراء ما تحاول أنت بلورته من تعريفات ، ولا تحاول أن تقتصر على تبنى تعريفاتهم وحسب .

التعريفات الإجرائية فى الدراسة الاستطلاعية

من الصعب على أى فرد أن يتوصل إلى وضع تعريفات إجرائية صادقة وثابتة . فالكثيرون منا لا يملكون القدرة على مراعاة عدد كبير من النظورات والاحتمالات وأخذها جميعاً بعين الاعتبار فى نفس الوقت . ولهذا يحسن بدء مشروعك البحثى باختبار تعريفاتك فى دراسة استطلاعية (انظر قائمة المصطلحات) . وقد يعنى ذلك - فى أبسط صوره - استشارة عدد قليل من الزملاء أو الأصدقاء للتأكد من فهمهم

للتعريفات ، والتحقق من أنها تؤدي إلى الحصول على نفس نوع الإجابة في جميع الأحوال .

فإذا أتاحت لك فرصة إجراء دراسة استطلاعية تستخدم فيها أسئلتك مع مجموعة صغيرة من البحوثين ؛ فسوف يمكنك ذلك من اختبار مدى صدق أسئلتك ، ومن ثم إجراء ما يلزم إدخاله عليها من تعديلات ، وأن تقوم كذلك بتدقيق تعريفاتك بحيث تضمن أنك ستجمع بيانات صالحة للاستخدام ، وأن يتم كل ذلك قبل مباشرتك العمل في البحث الأساسي . ومن الشائع أن يطلب الباحثون - في مرحلة الدراسة الاستطلاعية - من البحوثين تأمل تلك التجربة وإعمال فكرهم فيها ، بحيث يمكنهم تحديد الأسئلة التي يجدونها غير واضحة لهم وأن يناقشوا معهم كل ما قد يظهر من سوء فهم لتلك الأسئلة .

بحثك

أسلوب الزرافة والسلحفاة في وضع التعريفات الإجرائية

يمكن وضع التعريفات الإجرائية باستخدام أسلوب الزرافة والسلحفاة . ونعني بذلك تقسيم عملية وضع التعريف إلى مرحلتين .

1- مرحلة الزرافة

في تلك المرحلة تكون رأسك - كالزرافة - مرتفعة كثيرا عن الأرض ، مما يتيح لك الرؤية العامة الأشمل لكل ما يوجد حولك . ويمكن مقارنة ذلك بالمرحلة الأولى من مراحل وضع التعريف الإجرائي : أي تكوين صورة عامة شاملة ، هي المفهوم أو الفكرة العامة عما تريد قياسه في بحثك . قد يكون الشيء المراد دراسته هو الجريمة ، أو يكون علاقة يفترض وجودها بين الفقر والجريمة ، أو تكون أي شيء آخر تجد نفسك مهتما بدراسته .

وهكذا عندما تكون في وضع الزرافة تستطيع أن تتصفح بعينيك قمم الأشجار من حولك ، فأنت تكون صورة عامة شاملة ، ولكنك لست ملتفتا بعد كثيرا إلى التفاصيل .

ويمكن أن تسفر المرحلة الأولى من بلورة سؤال البحث أو فرض البحث (أى مرحلة الزرافة) الخاص بالعلاقة بين الفقر والجريمة؛ يمكن أن تسفر عن نتيجة قريبة مما يلي :

هناك ثمة علاقة ارتباط بين الفقر والجريمة.

وهذا كلام لا غبار عليه ، ولكنه يفتقر فى الحقيقة إلى الكثير من التفاصيل . وفى هذا قد يقول أحد المدرسين - على سبيل المزاح - شيئا من هذا القبيل:

حسنا ، ولكن ما الجريمة؟ وكيف ستقيسها؟ وهل تقصد بالجريمة جرائم الاعتداء على الممتلكات أم الاعتداء على الأشخاص؟ وهل ستدخل ضمن الجريمة المخالفات المرورية؟ وإذا كنت ستفعل فما الوضع بالنسبة لمخالفات أماكن انتظارك السيارات؟ ونفس التساؤلات يمكن أن تطرح عن الفقر . من ذلك مثلا: هل تقصد بالفقر: الفقر المطلق أم الفقر النسبى؟ وكيف ستقيس هذا أو ذاك؟

واضح أن الزرافة لا تستطيع الإجابة على مثل هذه التساؤلات ، فهى مجرد أفكار عامة كل العمومية . ولهذا يتعين هنا أن تنتقل إلى المرحلة الثانية ، وهى:

2- مرحلة السلحفاة

سنجد أنفسنا فجأة على الأرض . كما سنلاحظ أننا نتحرك ببطء . ثم إننا لا نستطيع أن نرى الأشياء الموجودة على بعد كبير منا ، ولكن ما نستطيع أن نراه ، نلاحظ أننا نراه بكثير من تفاصيله ، لأنه أمام أعيننا مباشرة ، ولأننا نستطيع أن نطيل النظر إليه كما يحلو لنا .

الآن نستطيع إذن تكوين تصور عن تفاصيل تعريفنا الإجرائى . نستطيع أن نحدد هل سنركز اهتمامنا على الكميات أم على المشاعر والأحاسيس ، هل سنأخذ بالتعريفات الرسمية أم نضع لأنفسنا تعريفات خاصة بنا؟ هنا يتكشف أمامنا عدد كبير من الاحتمالات والإمكانات ، ونضع أيدينا على كثير من التفاصيل . ولكن عليك فى الواقع أن تلاحظ دائما أنك تبحث عن شىء يمكنك استخدامه والإفادة منه ، وأن عليك أن تتخذ قرارات محددة . والنتيجة النهائية التى نسعى وراءها أن نجعل الشىء الغامض غير الملموس قابلا للقياس وللتحديد .

[ملحوظة: قد يبدو التشبيه بالزرافة والسلحفاة مسألة طفولية بعض الشيء. ويحسن بك أن تعيد النظر إلى غلاف هذا الكتاب. فإذا نظرت إلى غابة من مسافة بعيدة، فإنك لن ترى سوى كتلة ضخمة من الأشجار التي لا تستطيع أن تميز أنواعها بدقة. ولكن عندما تدقق النظر إلى شجرة معينة - من مسافة قريبة - فماذا ستري؟ ربما فروع تلك الشجرة. وماذا ستري عندما تقترب بعينيك من فرع الشجرة؟ إن التعريفات الإجرائية شيء معقد، كثيرا ما يكون متعدد المستويات، ولكنه دائما أمر لازم كل اللزوم لإجراء البحث. عليك فقط ألا تكون زرافة فحسب]

وضع أسئلة بحثك

الوضع بالنسبة لغالبية الباحثين أن تسير عملية وضع وتدقيق أسئلة البحث جنباً إلى جانب عملية مراجعة التراث العلمى حول موضوع البحث (انظر الفصل 2 من الباب 2)، وبالتوازي أيضاً مع عملية تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وعملية اختيار طرق البحث التي سيجري استخدامها (انظر الفصل 4 من الباب 2). وقد أوضحنا فيما سبق أن الأرجح أن تبدأ العملية بسؤال عام (مستوى نظر الزرافة). بعد ذلك يتم تفكيك هذا السؤال العام (إلى بضع أو عشرات أو مئات الأسئلة) لكي يتيح الباحث إمكانية البدء بتعريف المفاهيم بطرق تنتهي إلى بلورة التعريفات الإجرائية. وبمجرد الانتهاء من وضع التعريفات الإجرائية ستصبح أسئلة البحث أكثر دقة وتحديداً وتركيزاً، الأمر الذي سيفتح الباب أمامك لتوليد الأسئلة البحثية الفرعية المساعدة. وهذه الأسئلة الأخيرة هي التي ستساعدك على تحديد عناصر موضوع بحثك بدقة أكبر، مما يتيح لك التركيز عليها في عملك. وسوف نلاحظ من المثال (4-4) أن الأسئلة الفرعية هي التي ستبين لك بوضوح أكبر نوعية البيانات التي ستقوم بجمعها، وكيف ستصبح قادراً في هذا المثال على تحديد الحالة العقلية للناس وقياسها.

وقد حددنا فيما سبق أربعة أنواع مختلفة من التساؤلات البحثية، وأكدنا في حينه أن كثيراً من المشروعات البحثية تتضمن أكثر من نوع واحد من التساؤلات البحثية. فإذا تناولت موضوع بحثك بطريقتين أو أكثر (من ذلك مثلاً: 1- وصف طبيعة موقف أو مشكلة وبيان حجمها، و2- البحث عن تفسيرات بعض عناصر الموضوع المدروس)؛ إذا تناولته بطريقتين أو أكثر فسيكون لديك سؤالان بحثيان رئيسيان أو أكثر، فضلاً عن الأسئلة الفرعية المرتبطة بكل واحد منها.

مثال 4-4

وضع تساؤلات البحث باستخدام التعريفات الإجرائية

السؤال البحثي المبدئي

ما تأثيرات البطالة طويلة الأمد على الصحة العقلية للناس؟

التعريفات الإجرائية

العاطل: الشخص الرشيد الذي يتراوح عمره بين 16 و 65 سنة، وكان يعمل في وظيفة بأجر طوال العامين الأخيرين، ولكنه تعطل عن العمل بأجر لمدة تجاوزت العام الواحد.

الصحة العقلية: ما مشاعرك تجاه نفسك تجاه حياتك. ويمكن أن يتم السؤال عن تعريف الصحة العقلية بطرق نذكر منها:

• كيف تصف نفسك؟

• هل حاولت الحصول على مساعدة أحد - بسبب مشاعرك تجاه نفسك وتجاه حياتك - كطبيب، أو مستشار (نفسى)؟ أو موجه؟

• ما فى رأيك الأمور التى يمكن أن تجعل حياتك أفضل؟

تدقيق سؤال البحث

ما تأثيرات كيفية شعور الناس الذين كانوا يعملون بأجر بأنفسهم وبحيواتهم عندما يتعطلون عن العمل لمدة تتجاوز العام؟

الأسئلة الفرعية

يمكن بالاعتماد على التعريف الإجرائى والاسترشاد بأساليب وضع الأسئلة؛ يمكن صياغة بعض الأسئلة الفرعية على النحو التالى:

• كيف يصف الناس - الذين فى هذا الموقف - أنفسهم؟

• هل سعوا إلى طلب مساعدة بسبب مشاعرهم تجاه أنفسهم خلال فترة التعطل عن العمل؟

• ما نوع (أو أنواع) المساعدة التى حاولوا الحصول عليها، وماذا كانت أسبابهم فى ذلك؟

• ما التغيرات التى يأمل الناس - الذين فى هذا الموقف - أن تحدث فى أنفسهم وفى حيواتهم؟

حاول هذا الفصل أن يأخذك فى جولة تتعرف فيها على إحدى العمليات التى تتم بالتوازى والتزامن مع بعض عمليات الإعداد الأخرى لمشروعك البحثى . وستلاحظ أنه عند كل مرحلة من مراحل تلك العملية تزداد بؤرة بحثك اتضاحا ، وبذلك تقترب من عملية جمع بيانات البحث . فهذه العملية - إذن - هى عملية تركيز ، ثم تعريف ، ثم تدقيق ، وهى حريصة فى المقام الأول على صدق بحثك ، بمعنى أن تصبح قادرا على أن تثبت بوضوح أنك سوف تدرس ما تفكر فى دراسته فعلا (وليس شيئا آخر) ، وأنتك ستجمع من البيانات ما سيساعدك على الإجابة عن تساؤلات بحثك .

بحثك

لجودة البحث: اختبار الصدق

- هل وضعت تعريفات إجرائية لفاهيم الواردة فى تساؤلات بحثك أو فى فروضه؟
- هل ستمكنك تعريفاتك الإجرائية من جمع البيانات الكفيلة بالإجابة عن تساؤلات بحثك؟
- هل ستساعدك تعريفاتك الإجرائية على وصف المفهوم المستخدم على نحو يتيح لك أن تحدده وتقيسه؟
- هل ستجمع بيانات من - أو عن - الحالات ، أو الأفراد ، أو المواقف التى تعنيها فى بحثك فعلا؟
- هل ترى أن تعريفاتك الإجرائية تراعى تماما السياق الاجتماعى والثقافى لبحثك؟
- هل تعريفاتك الإجرائية مفهومة تماما لمبحوثيك؟
- هل أنت واثق أنك ستحصل على البيانات التى تفكر فى الحصول عليها؟

بحثك

السؤال المبدئي فى بحثى هو -----

وضع التعريفات الإجرائية للمفاهيم

مفهوم: -----

تعريفاته الإجرائية: -----

مفهوم -----

تعريفاته الإجرائية: -----

تدقيق سؤال البحث: -----

أسئلة البحث الفرعية:

المراجع وقراءات للاستزادة

- Campbell, J. P., Daft, R. L. and Hulin, C. L. (1982) *What to Study: Generating and Developing Research Questions*, London: Sage.
- Jamarda Resources (2007) Sikhs. Available at <http://jamardaresources.com/Training%20Sikhs.php> (accessed 1 August 2009).
- Jupp, V., Davies, P. and Francis, P. (eds) (2000) *Doing Criminological Research*, London: Sage.
- Kimchi, J., Polivka, B. and Stevenson, J. (1991) Triangulation: operational definitions, *Nursing Research*, 40(6): 364-6.
- King, G., Keohane, O. and Verba, S. (1994) *Designing Social Inquiry: Scientific Inference in Qualitative Research*, Princeton University Press.
- Miles, M. and Huberman, A. (1984) *Qualitative Data Analysis*, London: Sage.
- Punch, K. F. (1998) *Introduction to Social Research: Quantitative and Qualitative Approaches*, London: Sage.
- Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.

الفصل الخامس

البحث بوصفه قضية أخلاقية وثقافية

محتويات الفصل

- القبول الأخلاقي .
- الموافقة عن علم .
- علاقات القوة .
- حماية المبحوث من الضرر .
- الجماعات الهشة (الضعيفة والمعرضة لأخطار) .
- ملكية البيانات التي تم جمعها .
- السلوكيات غير القانونية .
- الاعتبارات الأخلاقية والتنوع في البحوث .
- حماية الباحث من الضرر .
- الأخلاق ومشروعك البحثي .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

يتناول هذا الفصل القضايا الأخلاقية المتعلقة بالبحث . وسوف نقدم لك بعض التعريفات للمقصود بالأخلاق ، وأمثلة لبعض القضايا الأخلاقية التي يمكن أن يواجهها الباحث الاجتماعي . كما نتناول بالمناقشة مفاهيم: الموافقة عن علم ، وعلاقات القوة ، والحماية من الضرر (بالنسبة لكل من الباحث والمبحوث ، والجماعات الهشة) ، وبعض القضايا الثقافية تفصيلا . ونختتم الفصل بطائفة من المقترحات الخاصة بأساليب امتثال طالب البحث للشروط الأخلاقية للبحث العلمي الاجتماعي .

تنطوى جميع البحوث الاجتماعية على بعض الدلالات الأخلاقية، كما تتعرض لمواجهة بعض المآزق الأخلاقية. وهكذا فإن ما يتعين علينا فعله عندما نفكر في موضوع الأخلاق، هو مراعاة القيم الاجتماعية والأخلاقية الداخلة فى عملية إجراء أى بحث اجتماعى، خاصة سؤال أنفسنا عن كيفية معاملتنا لمبحوثنا.

ما : الأخلاق

يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التى بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية فى حياتها.

ويعرفها ماكولى (McAuley2003: 95) على النحو التالى:

تعنى أخلاقيات البحث الاجتماعى خلق علاقة احترام متبادل بين الباحث والمبحوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المبحوثون -بكل رضا - على الإجابة عن الأسئلة بصراحة، وتؤدى إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة..

ويعرفها مجلس بحوث العلوم الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالى:

يشير مصطلح «أخلاقيات البحث» إلى المبادئ والأسس الأخلاقية التى توجه البحث منذ بداياته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله. (من ذلك على سبيل المثال: عملية حفظ وثائق البحث^(*) من بيانات ميدانية وعينات مادية بعد نشر نتائج البحث).

(*) حفظ وثائق البحث curation يقصد بها تكليف أمين أو مشرف يكون مسئولاً عن المحافظة على عدد من الموضوعات أو الأشياء، وذلك من خلال حفظها أو عرضها للناس.

ويمكن القول -بصراحة- إن أغلب القواعد الأخلاقية للبحوث الاجتماعية هى أمور بديهية: ففي المرحلة الأولية عليك أن تسأل نفسك كيف تريد أن يعاملك الناس (الباحثون) إذا دعيت للمشاركة فى مشروع بحث يجريه أحدهم. إلا أن البحوث

الاجتماعية تتعرض الآن أكثر فأكثر لعدد من الضوابط والقيود التي تفرض عليها. ولذلك يصبح من الحكمة دائما أن تحرص على أن تعرف بداية ما إذا كانت هناك بعض الشروط الصريحة المعلنة في تخصصك العلمي أو في مجال بحثك (انظر المثال 5-1).

المثال (5-1)

الإرشادات الأخلاقية

هناك كثير من المنظمات والهيئات التي تلزم أعضائها بعدد من الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية الرسمية. ولا شك أن معرفة مثل هذه الإرشادات يمكن أن تكون مفيدة لك. تأكد أولا مما إذا كان تخصصك العلمي أو المهنة التي تعمل بها لديها مثل هذه القواعد الأخلاقية. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع British Sociological Association

العنوان الإلكتروني: www.britisoc.co.uk/equality/Statement+Ethical+

Practice.htm (accessed 10August 2009)

Social Research Association

جمعية البحوث الاجتماعية

العنوان الإلكتروني: www.the-sra.org.uk/documents/pdfs/ethics03.pdf

(accessed 10August 2009)

الجمعية البريطانية للاختصاصيين الاجتماعيين

British Association of Social Worker

العنوان الإلكتروني: www.basw.co.uk/Portals/0/CODE%20F%20ETHICS.pdf

(accessed 10August 2009)

Barnardos

بارناردوس

العنوان الإلكتروني: www.barnardos.org.uk/resources/research_and_tips/

research_and_publications_research.htm (accessed 10August 2009)

مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية

Economic and Social Research Council

العنوان الإلكتروني: www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images

-ESRC__Re__Ethics__Frame__tcm6-11291.pdf (accessed 10August 2009)

وحدة البحوث الاجتماعية الحكومية (الخدمة المدنية)

Government Social Research Unit (Civil Service)

العنوان الإلكتروني: www.civilservice.gov.uk/networks/professional/gsr/

professional-guidance/GSR__Code__Legal__and__Ethical.aspx (accessed 10August 2009)

من الملاحظ أن هناك مجموعات مختلفة من الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية التي قد تختلف فيما بينها من بعض النواحي ، ولكن المؤكد أن هناك - إلى جانب ذلك - عددا من القضايا التي يتعين أخذها في الاعتبار في كل مرة تشرع فيها في إجراء بحث . ومع ذلك فمن المهم أن نتذكر دائما أن الأخلاق - أو جانبنا منها على الأقل - يرتبط بالسياق الاجتماعي الثقافي . وليس المقصود بذلك مجرد القول بأنها تتغير ، وإنما الأحرى أننا يجب أن نبذل اهتماما خاصا عندما نكون بصدد إجراء دراسة في مناطق معينة ، أو عندما نولي اهتمامنا البحثي لجماعات معينة . ومع أنه من البديهي أن كل شخص ندرسه جدير بأن نوليه كل اهتمام وعناية ، إلا أنه من المهم - مع ذلك - أن نضع نصب أعيننا أن هناك بعض الفئات أو الجماعات التي تكون أكثر هشاشة (ضعفا) من غيرها . لهذا السبب سوف نأتي في موضع لاحق من هذا الكتاب على ذكر بعض المراجع المتخصصة بموضوع القواعد والمعايير الأخلاقية ، لذلك يمكن أن تعد هذا الفصل تمهيدا أو تأسيسا لموضوع الاعتبارات الأخلاقية وكذلك الحصول على القبول الأخلاقي وعلى موافقة الباحثين ، ولكنه لا ينوي أن يحكى لك القصة الكاملة لموضوع الأخلاق في البحث الاجتماعي .

وهكذا تشمل الفقرات التالية على ما نعتقد أنه يمثل المجالات الأساسية التي يتعين

أخذها في الاعتبار قبل أن تبدأ العمل في مشروعك البحثي ، وأن تضعها نصب عينيك وأنت تقوم بتصميم المشروع . فقد يكون عليك أن تحصل - في هذه المرحلة - على الموافقة الأخلاقية على خططك البحثية . أما إذا كنت بصدد إعداد مقترح بمشروع بحثي (انظر الفصل 6 من الباب 2) فيتحتّم عليك أن تبين في مقترحك هذا ما إذا كنت قد راعيت أو تناولت - بالفعل - أي قضايا أخلاقية .

القبول الأخلاقي

يلاحظ الآن أن غالبية مشروعات البحوث الاجتماعية ، بما فيها تلك التي يتم إجراؤها بمعرفة الطلاب لنيل درجات علمية؛ تخضع لعملية قبول أخلاقي يتعين استكمالها قبل البدء في البحث . وتختلف عمليات القبول الأخلاقي عن

المثال (2-5)

الإرشادات والتوجيهات الأخلاقية

مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية هو المسئول عن تمويل عدد كبير من البحوث الأكاديمية في العلوم الاجتماعية ، وقد وضع القواعد التالية بوصفها المبادئ الأساسية لأخلاقيات البحوث:

- يتعين أن يتم تصميم البحث ، والإشراف عليه وتنفيذه بما يضمن النزاهة والجودة .
 - يجب أن يكون جميع العاملين في البحث ، وكذلك كل المبحوثين على دراية تامة بالهدف من البحث ، وطرق البحث المستخدمة والاستخدامات المتوقعة منه ، وتبعات الاشتراك فيه وطبيعة المخاطر - إن وجدت - المرتبطة بهذه المشاركة .
 - الحفاظ على سرية المعلومات التي يدلى بها المبحوثون ، وإخفاء هوياتهم .
 - يجب أن تكون مشاركة أي مبحث طوعية تماما وغير مرتبطة بأي نوع من أنواع القهر .
 - يتعين تحاشي إلحاق أي ضرر أو أذى بالمبحوثين .
 - لا بد أن يكون استقلال البحث واضحا كل الوضوح ، وأن يتم الإفصاح عن أي تضارب في المصالح أو أي تحيز من أي نوع .
- المصدر: مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (2009).

بعضها اختلافا كبيرا حسب المنظمات المختلفة وتبعاً لمستويات وأنواع البحوث. فإذا كنت تنوى - مثلاً - التخطيط لبحث عن «الصحة» على البشر يتضمن إعطاء عقاقير أو إجراء جراحات معينة، فعليك أن تتوقع (وبحق تماماً) اتخاذ ضوابط وإجراءات أمان صارمة لحماية المبحوثين. ومع أن مثل هذا الموقف يمثل حالة متطرفة، إلا أنك ستحتاج - مع ذلك - إلى مراعاة إجراءات الأمان حتى لو كان البحث ينوى مجرد استطلاع آراء بعض الناس أو الحصول منهم على إجابات عن بعض الأسئلة. وهكذا تهدف عملية القبول الأخلاقي أساساً إلى التأكد من أن مبحوثيك ليسوا معرضين لأي مخاطر بسبب البحث الذى ستجره، أو التأكد - فى حالات كثيرة - من أن هذه المخاطر المتوقعة معقولة، وأن المبحوثين يفهمونها تماماً.

والحقيقة أن عملية القبول الأخلاقي أكثر فائدة لك مما يبدو الأمر فى الظاهر. فمن المؤكد أن الهدف النهائى هو التأكد من أن البحث مطابق للإرشادات الأخلاقية المناسبة، غير أنه يتيح - علاوة على هذا - فرصة للباحث للتفكير فى العملية بتفاصيلها، وهو أمر يمكن أن يكون عظيم الفائدة من حيث تحسين طرق جمع البيانات وتدقيقها. فعملية القبول الأخلاقي سوف تودى - فى حدها الأدنى - إلى زيادة وعي الباحث بكل تفاصيل العملية البحثية.

وستلاحظ عند الشروع فى محاولة التعرف على موضوع الأخلاق فى البحث أنك بصدد طوفان من المعلومات عن الأخلاق فى البحوث «الطبية»، التى تحكمها قواعد شديدة الصرامة. ويتم الحصول على القبول الأخلاقي للبحوث الطبية فى المملكة المتحدة عادة تحت إشراف لجان أخلاقيات البحوث التابعة لوزارة الصحة، مع العلم بأن الحصول على الموافقة يمكن أن يكون عملية طويلة ومعقدة (للقوف على مزيد من التفاصيل راجع الموقع التالى: www.nres.npsa.nhs.uk وفقاً لآخر دخول على الموقع بتاريخ 7 أغسطس 2009). أما البحوث التى تتم فى إطار الجامعات فيشرف عليها - كقاعدة عامة - نظام اللجان الأخلاقية أيضاً، ولكنها تتطلب فى الغالب مستويات مختلفة من الموافقات تبعاً لطبيعة البحث. والاعتاد بالنسبة لمقترحات البحوث التى يتقدم بها طلاب الليسانس والبيكالوريوس فى مجال العلوم الاجتماعية أن تعتمد الموافقة من جانب الأستاذ المشرف بطريقة غير رسمية (نسبياً). وطبيعى على كل حال أن يكون للمؤسسات المختلفة متطلبات مختلفة للحصول على ذلك القبول. ولذلك إذا كنت ستجرى البحث فى جامعة أو معهد عال فإنه يتعين عليك أن تستعلم عن إجراءات عملية القبول التى يجب عليك الالتزام بها فى مؤسستك.

وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على أهم الاعتبارات التى يجب مراعاتها عندما تفكر فى الجانب الأخلاقى لبحثك ، وستجد لهذا الغرض "قائمة" بها فى نهاية الفصل .

الموافقة عن علم

الأساس فى عملية الموافقة عن علم (انظر قائمة المصطلحات) هى التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون فى البحث يفهمون جيدا ما يوافقون عليه . وقد يبدو هذا الأمر واضحا كل الوضوح ، غير أن هناك عدة أشياء يتعين على الباحث القيام بها للتأكد من الالتزام بالعملية الأخلاقية . (انظر فقرة «البحث الواقعى» الواردة لاحقا التى توضح هذه الأشياء تفصيلا) .

• يجب أن تتم الموافقة طوعية . ليس من المقبول إجبار الناس على الاشتراك فى البحث . وقد يكون هذا الأمر فى النهاية مسألة قوة ، فقد يرغب بعض الناس فى إرضائك بمساعدتك على إنجاز بحثك ، أو أنهم قد يرونك بادى الانزعاج والقلق مما يجعلهم يخشون أن يرفضوا طلبك . وعندما تكون بصدد التفكير فى اختيار أفراد عينتك ، فرما يتعين عليك ساعتها أن تفكر كيف يمكن أن تشجع الناس على الاشتراك ، دون أن تجبرهم على ذلك .

• عليك أن تقدم لمن تعرض عليهم المشاركة معلومات واضحة وكافية . عليك أن تتأكد أن الناس يفهمون تماما الأمر الذى يطلب منهم الموافقة على الاشتراك فيه . فالناس الذين سيكونون جزءا من دراستك يستحقون أن ينالوا احترامك واهتمامك . فالأمر الأرجح أنهم سينفقون وقتهم فى هذا العمل دون مقابل . وقد يكون سبب قبولهم التضحية بوقتهم معقدا ، من ذلك مثلا أنهم قد يرون أن مشروعك مثير للاهتمام ويستحق هذه التضحية ، أو قد يظنون أنك جدير بأن يبذلوا من وقتهم لأجلك . ونعتقد أن أفضل طريقة للحصول على الموافقة هى استخدام استمارة معلومات رسمية تنتهى بصيغة إقرار بقبول المشاركة طبقا لما هو مبين فى أمثلتنا . وهكذا يمكن القول إنه لا بد أن يحيطوا بالأمور التالية كحد أدنى :

• ماذا يمكن أن يعنى هذا البحث بالنسبة لهم : غالبا ما يعنى الأمر بالنسبة للبعض الإحساس بالرضا لأنهم ساعدوا شخصا ما على إجراء بحثه ، وإن كان الأمر يمكن أن يكون أعقد من ذلك أحيانا (فقد يكون لدى البعض منهم اهتمام شخصى قوى بموضوع البحث ، مثلا) . وفى أحيان أخرى قد يتلقى الباحثون أجرا أو نوعا

آخر من المكافأة على ما بذلوه من وقت . وإذا كان مشروعك يتضمن دفع أجور للمبحوثين ، فسيكون عليك أن تدبر التمويل اللازم وأن تقرر هل سيدفع المقابل نقدا أم فى صورة إيصالات لاستلام هدايا مثلا (وعلينا أن نلاحظ هنا أن دفع أجور للمبحوثين هو بمثابة حقل ألغام ، ويمكن أن تكون له عواقب مهمة كضرورة إخضاع المكافأة لضريبة الدخل ، أو التأثير على حجم الإعانات التى يتلقاها الشخص) .

• لماذا تجرى هذا البحث؟ لا شك أن التفسير والتبرير الواضح غالبا ما يؤدي إلى تشجيع الناس على المشاركة ، خاصة إذا أحسوا أن بحثك سيكون ذا قيمة وفائدة بالنسبة لهم أو بالنسبة لجماعتهم الاجتماعية .

• ما الأعباء العملية التى ستترتب على قبولهم المشاركة؟ هل سيكون عليهم -مثلا- أن يخصصوا لهذه المشاركة قدرا كبيرا من وقتهم؟ أو هل سيطلب منهم القيام بتمارين أو عمليات عقلية معقدة؟ أو سيطلب منهم الاشتراك مع أشخاص آخرين فى جماعة مناقشة لتعمق بعض الموضوعات؟

• الاشتراك فى البحث طوعى وللشارك الحق فى الانسحاب من المشروع فى أى وقت . لا شك أنه سيكون أمرا محبطا فعلا لو قرر بعض المبحوثين ممارسة حق الانسحاب هذا ، خاصة إذا كان حجم عينتك صغيرا . ولكن من المهم أن تتفهم تماما أنه لا عقاب على من يمارس هذا الحق ، فمبحوثك لم يفعل أكثر من أنه قرر أن يسحب موافقته على الاشتراك . وعليك أن تفكر فى مرحلة تصميم البحث ماذا ستفعل بالمادة التى جمعتها من شخص أو أشخاص انسحبوا أثناء إجراء البحث .

• هل هناك أى مخاطر يمكن أن تتجم عن المشاركة؟ لا بد أن يكون مبحوثوك على بينة منذ البداية مما إذا كانت مشاركتهم يمكن أن تعرضهم لأى مخاطر (انظر الفقرة الخاصة بالحماية من الضرر فى هذا الفصل) .

• ماذا ستفعل بالبيانات التى ستجمعها منهم؟ يريد الناس أن يعرفوا ماذا ستفعل بالمعلومات التى سوف تجمعها عنهم (راجع كذلك فقرة «الحماية من الضرر» فى هذا الفصل) .

• ما صلاحياتك؟ يريد الناس - فى الغالب - أن يعرفوا ما الصلاحيات التى تخول لك إجراء هذا البحث؟ لاحظ هنا أن معظم عمليات الحصول على الموافقة بشكل

أخلاقى تتطلب أن يكون لك مرجعية معينة تضمن للناس أن يتقوا بك (وستكون هذه الجهة التى يمكن الرجوع إليها بالنسبة للطالب - عادة - القسم العلمى الذى يدرس فيه ، أو الأستاذ الذى يشرف على دراسته) . ويتعين أن يكون المشاركون على علم بكيفية الاتصال بك أو بالجهة التى كلفتك بالبحث).

• يجب أن يكون بوسع المبحوثين الإقرار بقبولهم الاشتراك عن علم . هناك بعض الظروف التى تفرض عليك أن تعرف أن مبحوثيك قادرون على إعطاء موافقتهم - على المشاركة - عن علم . والعادة أن معظم الطلاب الذين يجرون بحوثهم لا يتوقعون أن يمثل هذا الأمر مشكلة كبيرة ، ولكنك يجب أن تعي أن هناك بعض الأفراد الذين ليسوا مؤهلين - أو ليسوا قادرين - على تقديم إقرار بالموافقة ، ويرجع ذلك عادة إلى الاعتقاد بأنهم غير قادرين على فهم دلالات هذه المشاركة وما قد يترتب عليها . وفى مثل هذه الأحوال قد يطلب من أشخاص بالغين آخرين أن يقدموا هم الموافقة على اشتراك أولئك الأفراد بالنيابة عنهم . وذلك كأن يقدم الوالدان الموافقة على اشتراك أولادهم نيابة عنهم ، ومن ذلك أيضا الموافقة بالنيابة عن الأشخاص المصابين ببعض القصور كالعته أو الخرف (للاستزادة من معلومات عن هذا الموضوع راجع نورمان وآخرين ، 2006 ، ص ص 228-233).

بحثك

فيما يلى قائمة من الموضوعات التى قد تحتاج إلى أن تضمنها صفحة المعلومات التى تعرف فيها ببحثك . اكتب جملة أو فقرة عن كل موضوع منها لكى تستوفى صفحات المعلومات عن البحث .

على أنه ينبغي أن تتذكر أنه ليس من الممكن أو المعقول دائما الحصول على الموافقة عن علم فى بعض الأحوال ، عندما يدور البحث - مثلا - حول ملاحظة سلوك جماهير المشاهدين لمباراة كرة قدم (انظر الفصل 6 من الباب 3) . على أنه لا يجوز أن يستخدم مثل هذا الاستثناء للالتفاف حول موضوع الموافقة ، فعلى الباحث - كلما كان ذلك ممكنا - أن يحصل دائما على الموافقة عن علم .

مثال (3-5)

صيغة الإقرار بالموافقة على الاشتراك فى البحث

جامعة كذا . . .

قسم العلوم الاجتماعية
التاريخ :

صيغة الإقرار

اسم مشروع البحث: _____

اسم الباحث: _____

عنوان البريد الإلكتروني للباحث ورقم تليفونه:

1 - أقر بأنى اطلعت على صفحة المعلومات الخاصة بالدراسة المذكورة وفهمتها، وأمامى فرصة طرح بعض الأسئلة. نعم / لا (*)

2 - فهمت أن مشاركتى فى البحث طوعية، وأن لى كل الحرية فى الانسحاب من المشروع فى أى وقت، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب، ودون أن يؤثر هذا الانسحاب على سلامتى أو على حقوقى القانونية. نعم / لا (*)

3 - أوافق على الاشتراك فى الدراسة المذكورة أعلاه. نعم / لا (*)

اسم المشارك فى البحث التاريخ التوقيع

اسم الباحث التاريخ التوقيع

(*) من فضلك اشطب الخيار الذى لا يوافقك .

شكل (5-1) نموذج لصيغة إقرار أحد المشاركين
فى البحث بالموافقة

جامعة كذا . . .

قسم العلوم الاجتماعية

معلومات تهم المشاركين (المبحوثين)

اسم مشروع البحث:-----

سيتولى تنفيذ البحث:-----

يهتم المشروع بموضوع:-----

- ما المهام التى سأقوم بها؟
- ما الفوائد التى ستعود على من المشاركة فى الدراسة؟
- هل هناك أية مخاطر يمكن أن أتعرض لها إذا وافقت على المشاركة؟
- هل ستحملنى هذه المشاركة أية تكاليف أو أعباء مالية؟
- ماذا يمكن أن يحدث لو رفضت المشاركة فى البحث؟
- ما كيفية التصرف فى المعلومات التى سيتم جمعها؟
- ماذا يمكن أن يحدث لى لو أننى غيرت رأىى وقررت الانسحاب من المشاركة فى الدراسة؟
- ماذا أفعل عندما أود طرح بعض الأسئلة، أو إذا وجدت شيئا غير مفهوم لى؟
- ماذا سيحدث بعد انتهاء الدراسة؟
- ملاحظة : إذا كان ثمة أمور أخرى تشغلك بشأن الدراسة وأردت أن تتصل بأحد لناقشتها معه، فيرجى الاتصال برقم التليفون التالى :-----
- شكل (5-2) نموذج صيغة «المعلومات التى تهم المشاركين» .

البحث الواقعي

الموافقة عن علم

تقول الكلية الملكية للتمريض:

«الموافقة عن علم هي قبول مستمر من قبل شخص ما على أن يتلقى علاجاً، أو يخضع لإجراءات معينة، أو يشارك في بحث بعد أن تبين له بوضوح كاف المخاطر، والمزايا، والبدائل المترتبة على هذه الموافقة...».

وتعد الموافقة عن علم التي يتم إقرارها بحرية ذات أهمية محورية للمبجوثين -من البشر- الذين يشملهم بحث ما، أو الذين تستخدم معهم أنسجة بشرية أو مواد وراثية. والسبب في ذلك أنه من الضروري التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون في البحث قد فهموا جيداً ما سيترتب عن البحث بالنسبة لهم. وينطبق ذلك على كل من سيشارك سواء كانوا مرضى أو أصحاب متطوعين لإجراء اختبارات أو تجارب عليهم.

ومن شأن الموافقة عن علم أن تساعدنا على التأكد من أن هؤلاء الأشخاص لم يُخدعوا أو يتم إجبارهم على المشاركة في البحث.

ولكى يقدم المشاركون موافقتهم عن علم يتعين أن يفهموا الأمور التالية فهماً جيداً:

- هدف البحث.
- الجوانب العملية والإجراءات التي تنطوي عليها تلك المشاركة.
- مزايا المشاركة ومخاطرها، وأنواع العلاج البديلة حسب الأحوال.
- كيف سيتم معالجة البيانات التي يدلون بها وكيف سيتم استخدامها؟
- صيغة الإقرار بالموافقة.
- دورهم في البحث إذا وافقوا على المشاركة فيه.

- كيف سيتم تزويدهم بالمعلومات طوال فترة إجراء البحث؟
- أن تكون موافقتهم طوعية تماما .
- أنهم يستطيعون الانسحاب من المشاركة في البحث في أى وقت يريدون ، دون الحاجة إلى إبداء أية أسباب ، ودون أى تعديل في التعامل معهم أو علاجهم في المستقبل .
- ترتيبات التعويض التأميني نتيجة تنفيذ البحث ، إذا تطلب الأمر ذلك .
- أن يكون البحث قد حصل على موافقة لجنة أخلاقيات البحث .
- ومن اللازم أن تقدم المعلومات التالية لمن تطلب منهم الموافقة:
- تفاصيل كيفية الاتصال مع المسؤولين عن البحث في حالة ما خطرت لهم بعض الأسئلة أو أرادوا الانسحاب من البحث .
- معلومات تفصيلية عن الجهة التي ترعى البحث وعن الهيئة التي تتولى تمويله .

الموافقة المستمرة

- الموافقة عن علم متطلب مستمر ، ولذلك يتعين على الباحثين أن يضمنوا للمشاركين (أى الباحثين) ما يلي:
- أنهم ما زالوا يفهمون المعلومات الموضحة أعلاه ، وأن يتم إطلاعهم على أى تغييرات تطرأ عليها .
 - استمرار موافقتهم على المشاركة طوال فترة إجراء البحث .

المصدر: نقلا بتصريف عن المصدر التالي: الكلية الملكية للتدريب (2005)، «الموافقة عن علم في بحوث الصحة والرعاية الاجتماعية»، ص2. نشر بتصريح من الناشر. والمصدر متاح على الموقع التالي:

www.rcn.org.uk/_data/assets/pdf_file/0003/56703/informedconsentdec05.pdf

(وقد تم آخر دخول على هذا الموقع بتاريخ 2009/8/7).

علاقات القوة

عرضنا لهذا الموضوع فى سياق معالجتنا لموضوع الموافقة عن علم، ولكن هناك بعض العواقب الأخرى له التى يتعين أن تضعها فى اعتبارك، لأنها يمكن أن تؤثر على عملية جمع البيانات التى ستقوم بها.

هل يعتبرك المشارك (المبحث) «قويا»؟ (لا شك أن ذلك يمكن أن يحدث دون أن يكون المبحث على وعى به). وهو قد يراك كذلك لعدة اعتبارات، منها مثلا أنك أنت «الخبير» فى موضوع البحث، ولذلك لا يريد المبحث أن يخالفك الرأى. كما أنه قد يعتبرك قويا لأنك على صلة أو اطلاع بأمر ما (من ذلك مثلا: المعرفة والخبرة، أو علاقات مهمة، ... إلخ) يمكن أن يستفيد منها المبحث. ومن شأن مثل هذه النظرة إليك أن تغير إجابات المبحث على بعض أسئلتك.

ثم هناك - علاوة على هذا - بعض الأمور العامة. فلو كنت تجرى بحثك -مثلا- مع شباب حديث السن، فقد يرونك متفوقا عليهم لأنك أكبر منهم سنا (كما قد يكون لهذا الاعتبار عواقب معينة عندما تجرى بحثك مع أشخاص من ثقافات متباينة، وسوف نعرض لهذا الموضوع بمزيد من التفصيل فى الفصل 1 من الباب 3). وعليك كباحث اجتماعى أن تكون على وعى بأن أفراد الجماعات المختلفة سوف يرونك بعيون ومواصفات مختلفة. فالبعض قد تهوله مهارتك البحثية، أو يرى البعض الآخر أنفسهم متفوقين عليك لأنهم أكبر سنا منك. ولذلك من المهم أن «تأمل مليا» هذه الدلالات قبل أن تبدأ عملية جمع بيانات بحثك، بحيث تستطيع أن تعمل حسابا لأى تأثير لها على عملك.

حماية المبحث من الضرر

يجب أن يكون واضحا كل الوضوح أن من حق أى مشارك فى بحثك أن يحظى بالأمان أثناء ذلك. وهناك بعض الأمور القليلة التى يحسن أن تتدبرها جيدا، لكى يتحقق هذا الهدف طوال فترة العمل، لا أن يصبح أمرا يحدث بالمصادفة وحسب.

الضرر البدنى

يجب ألا يتعرض مبحثوك لأى مخاطر يمكن أن تلحق بهم ضررا بدنيا (المفترض

فى حديثنا هذا أنك لا تجرى أية تجارب طبية أو جسمية عليهم ، لأنه فى مثل تلك الحالات سوف يتعين عليك الالتزام ببعض القواعد الخاصة). وتعنى تلك الحماية - فى حدها الأدنى - أن تكون الأماكن التى تعقد فيها جلسات جمع البيانات أماكن آمنة (ليس فقط بمعنى سلامة المبنى بحيث لا يقع السقف على رؤس الناس ، ولكن كذلك بمعنى الذهاب إليه والعودة منه). وعلى الباحث ألا يفترض أن المبحوث سوف يشعر بأن المكان آمن وحسب ، وإنما الإحساس البدهى السليم قد يفيد هنا: فكثير من الناس يسعدهم أن تتم دعوتهم إلى اللقاء فى مكان يوجد فيه بشر آخرون كثيرون ، كحى سكنى على سبيل المثال ، أو منطقة وسط المدينة.. ونحو ذلك. فعليك أن تتحلى بالمرونة عند اختيار المكان الذى ستعمل فيه.

الضرر النفسى

كذلك يتعين حماية مبحوثيك من التعرض لأية أضرار نفسية. وهذا الأمر أكثر صعوبة من الأخطار الأخرى. فإذا كنا نبحث فى موضوعات حساسة، فهناك دائما احتمال أن يتأثر مبحوثك بإثارة مثل هذه الموضوعات. ولأن أغلبنا ليسوا أطباء نفسيين أو معالجين مدربين ، فإننا قد لا نكون مؤهلين التأهيل الكافى للتعامل مع مثل هذا النوع من ردود الفعل. على أن هناك مع ذلك إمكانية لحل هذه المعضلة، وذلك بأن نضمن إتاحة الفرصة للمبحوثين لمناقشة أى مسائل يجدونها غير مريحة أو تمثل مصدر إزعاج لهم وذلك خارج موقف جمع البيانات. ولعل ذلك يتم معك شخصيا بوصفك الباحث المسئول ، كما يمكن أن يتحقق بمساعدة طرف آخر تراه قادرا على معالجة هذا الأمر.

فكر فى هذا الموضوع

افتراض أنك تجرى بحثا عن المرافق التى يستخدمها بعض الناس الذين يعانون من مرض مزمن ، كمرض السكر أو مرض القلب. فى هذه الحالة ستوجه بعض الأسئلة عن المرافق التى يستخدمونها، كالعيادات الخارجية، أو المستشفيات، والأطباء المتخصصين، وقد يودى ذلك إلى إحساس المبحوث بأنه لا يتلقى كل الخدمات التى يحتاجها أو يتصور عندها أن حالته الصحية أخطر مما كان يظن. وهنا قد يداخله شعور بالقلق.

حقيقة أنك لست متخصصا في الطب ، ولكنك تستطيع أن تتأكد من حصول هذا المبحوث المريض على المشورة الطبية والمساعدة اللازمة ، وذلك مثلا من خلال إطلاعك على نشرات المعلومات التي يعدها الأطباء المتخصصون ، هذا طبعا فضلا عن أن تقترح عليه الاتصال بطبيبه المعالج للاستفسار عن أى أمر يعن له بخصوص مثل هذه الخدمات .

بعض العواقب الأخرى للمشاركة

هناك بعض أنواع الضرر الأخرى التى يحتمل أن يتعرض لها المبحوث والتي تستأهل منا بعض التفكير . فما عساك أن تفعل - مثلا - إذا ترتب على مشاركة أحد المبحوثين أن فقد وظيفته؟ إن مثل هذا الأمر ليس مستحيلا (وإن كان بعيد الاحتمال جدا) . لهذا يجب أن يتيقن المبحوث أن أية معلومات شخصية يبوح لك بها سوف تظل طي الكتمان (انظر برواز «البحث الواقعي» أدناه) . كما يحتمل أن تشتد رغبتهم فى المشاركة لو أنهم فهموا الهدف من البحث ومن الذى سيقراً فى النهاية تقرير البحث أو الرسالة الجامعية التى سوف تتضمن مادة البحث ونتائجه . ومن الممكن أن ينشأ مثل هذا الموقف الحرج فى حالة قيام المبحوث بإفشاء معلومات عن بعض السلوكيات غير القانونية (المحظورة): ترى ما استجابتك فى هذه الحالة؟ (انظر برواز «بحثك» الوارد أدناه فى هذا الفصل) .

البحث الواقعي

فى بعض الأحيان قد يكون من الصعب حماية الناس من الضرر عند دراسة المنظمات . من ذلك ما قام به روجرز Rogers (2001) من تنفيذ مشروع بحثى عن نظم الإدارة فى إحدى مؤسسات تقديم الخدمات الصحية . ولأن عدد العاملين فى تلك المؤسسة كان قليلا جدا ، فقد ظهرت بعض المشكلات التى كان من اللازم التصدى لها وحلها . كما كان من المستحيل - إلى حد ما - الاحتفاظ بمجهرولية المبحوث وسرية المعلومات بشكل تام ، وذلك لأن "كل واحد يعرف كل الناس" . ولذلك لم يكن مفاجأة أن يشعر العاملون أنهم قد "انكشفوا" أمام المديرين ، ومن ثم فإن وظائفهم أصبحت فى خطر . وقد أمكن التغلب على هذه المشكلة بالتفاهم الصريح مع المبحوثين على الكيفية التى يريدون بها توصيف أنفسهم وطريقة إخفاء هوياتهم الحقيقية .

المخاطرة

لم ينقطع الجدل حول إمكانية السماح بتعريض المبحوثين للمخاطر فى أثناء مشروع البحث ، حتى لو أحيطوا علما بكل تفاصيل هذه المخاطر . (للوقوف على مناقشة مفصلة لهذا الموضوع راجع لاروسا وزملائه . Larossa et al ، 1981 ، ص ص 303-313). ويمكن القول بأن هذه المشكلة ليست واردة بالنسبة لمعظم (وربما للكل) البحوث التى يجريها طلاب الليسانس ، فمن الأمور البعيدة الاحتمال تماما السماح بتعريض المبحوثين المشاركين فيها لأية مخاطر .

السرية/ وإخفاء الهوية

من الواجب عادة أن نضمن للمبحوثين إخفاء هوياتهم فى تقرير البحث ، وأن كل ما سيدلون به من بيانات أثناء البحث سوف يبقى طى الكتمان . كما يتعين إخبارهم بطريقة نشر نتائج البحث الذى شاركوا فيه ، بحيث يتخذوا القرار الصحيح بشأن مشاركتهم .

وعلى الرغم من أنه من اليسير تماما إخفاء هوية المشاركين ، فإنه يتعين على الباحثين أن يدركوا أن تحقيق ذلك قد لا يكون ميسورا فى كل الحالات . فإذا شملت عملية جمع بيانات البحث - مثلا - إجراء بعض الأحاديث مع مدرس فى إحدى المدارس ، فهناك احتمال أن تثار فى هذه الحالة مشكلة تعوق سرد نتائج مناقشاتك مع إخفاء هوية المتحدث ، وذلك لأن هناك مدرسا أول واحدا ، فإذا نسبت أى بيانات إلى المدرس الأول فمعنى ذلك إفشاء هوية صاحبها . ولهذا يجب على الباحثين أن يأخذوا مثل هذه الأمور فى الاعتبار عندما يكونون بصدد التخطيط لعملية كتابة تقرير بنتائج البحث (فمن الممكن فى مثل هذه الحالة أن يكتب الباحث فى تقريره «وقال أحد قدامى المدرسين أن . . .») ، وأن يتأكد الباحثون من أن المبحوثين أنفسهم يدركون مدى حرص الباحث على إخفاء هوية كل واحد منهم .

وهناك - فضلا عن هذا - قيد ضمنى يحول دون استخدام البيانات التى جمعتها لآى غرض آخر غير ذلك الذى أخبرت المبحوثين به . ذلك أن سلوكا من هذا النوع يعد - عموما - سلوكا غير أخلاقى .

الصدق

يتعين عليك - على وجه العموم - أن تكون صادقاً وأميناً مع مبحثك ، وألا تضللهم أو تخدعهم سواء فيما يتعلق بطرق البحث المتبعة أو بهدف البحث . ويعنى هذا - من ضمن ما يعنى - أن تستخدم طرق بحث ظاهرة أو طرقاً صريحة فى دراستك . على أن هناك بعض الظروف التى لا تصلح لها طرق البحث الظاهرة (انظر قائمة المصطلحات) ، ويتعين فيها استخدام طرق بحث مستترة (انظر قائمة المصطلحات) . من ذلك مثلاً عندما تكون بصدد دراسة مدى أمانة العاملين فى المتاجر . إذ من الواضح أنهم لو عرفوا أنهم مراقبون من الباحثين ، فسوف يكون الأرجح أنهم سوف يتصرفون على نحو فوق مستوى الشبهات . والأمر الذى يتعين اتخاذ قرار فيه فى مثل هذه المواقف ما إذا كان أخلاقياً استخدام حيلة ما ، وما إذا كان ثمة مبررات يمكن تقديمها لفعل ذلك : ولعل اللجوء على مثل هذه الحيلة يتطلب تبريراً واضحاً وقوياً فى خطة مشروع البحث قبل الحصول على موافقة عليها من الناحية الأخلاقية . كما أن القيام بعملية جمع البيانات بطرق ظاهرة قد يتضمن ملاحظة أو جمع بيانات عن بعض السلوكيات غير الآمنة (كما فى المثال المذكور) ، وربما حتى سلوكيات تقع تحت طائلة القانون . وسوف نتطرق فيما يلى إلى استعراض بعض القضايا المتعلقة بهذه المواقف .

حماية البيانات

هناك بعض الالتزامات التى يفرضها عليك «قانون حماية البيانات» (الصادر عام 1998) الذى يلزمك بالحفاظ على سرية «البيانات الشخصية» (كالوثائق الشخصية وسجلات الكمبيوتر التى تخضع للحماية وفقاً لهذا القانون) . ويلزم هذا القانون -عموماً- بمراعاة الأمور التالية فيما يتعلق بالبيانات الشخصية:

- أن يتم الحصول عليها ومعالجتها بأمانة وبشكل مشروع ، وألا تتم معالجتها إلا بمراعاة شروط معينة (يحددها هذا القانون) .
- أن يتم الحصول عليها لأغراض محددة وبشكل مشروع ، وألا تتم معالجتها بأى طريقة لا تتفق مع هذه الأغراض .
- أن تكون بيانات كافية وأفية ، ومرتبطة بموضوع البحث ، بحيث لا تتجاوز أهداف البحث .

- أن تكون دقيقة ويتم تحديثها حتى آخر تاريخ .
 - ألا يتم الاحتفاظ بها أطول مما يلزم لخدمة أهداف البحث .
 - أن تتم معالجتها بما يتفق مع حقوق صاحب البيانات .
 - أن يحافظ الباحث عليها في مواجهة أى جهة أو شخص ليس مخولا له ذلك ، وأن يحافظ عليها من أن تتعرض للضياع أو الإتلاف .
 - ألا يتم نقلها إلى أى بلد خارج بلاد منطقة السوق الأوروبية ، إلا إذا كان لدى تلك الدولة مستويات مماثلة من حماية البيانات الشخصية .
- (المصدر: إدارة الشئون القانونية بجامعة برمنجهام «ملخص قانون حماية البيانات»، منشور على الموقع التالى:

www.legalservices.bham.ac.uk/data__prctection__policy/

(تاريخ آخر دخول على الموقع 7 أغسطس 2009).

الجماعات الهشة (الضعيفة والمعرضة للأخطار)

أشرنا من قبل إلى أن هناك بعض الجماعات التي نجرى عليها بحوثنا والتي تتسم «بالهشاشة» أو الضعف ، وهي التي تستحق من جانبنا بذل اهتمام إضافي خاص بالتعامل معها . وتهدف هذه المعاملة الخاصة – فى جانب منها – إلى أن نتأكد من عدم تعرض أفراد هذه الجماعات لأى مخاطر أو أضرار ، وأن نحرص فى نفس الوقت على عدم تعرضهم لأى استغلال .

ولا شك أن محاولة عمل إحصاء كامل لمثل هذه الجماعات الهشة قد يكون قليل الفائدة لك ، والمطلوب منك – كحد أدنى – أن تمنع التفكير فى كل المسائل والملاحظات التى عرضناها فيما سبق عندما تكون بصدد إجراء دراسة على أشخاص يتسمون بالخصائص التالية:

- 1 - صغار السن ، ونقصد بهم (بصفة عامة كل العمومية) الأشخاص دون سن السادسة عشرة .

2 - كبار السن ، خاصة الكبار الذين يعيشون وحدهم : يصعب هنا تحديد فئة عمرية معينة ، ولكن يمكننا القول إن عليك وضع ترتيبات خاصة عندما تتصدى لدراسة أفراد تجاوزوا السن القانونية للتقاعد.

3 - أولئك الذين يعانون من بعض أنواع العجز البدنى أو صعوبات التعلم .

4 - أولئك الذين يعانون من مشكلات تتعلق بالصحة العقلية: وهناك تشريع خاص (هو قانون اللياقة العقلية الصادر عام 2005) يكفل حماية الباحثين من أصحاب المشكلات الصحية العقلية . وهو تشريع معقد ، فإذا اضطررك البحث إلى التعامل مع أفراد من هذه الفئة ، فيتحتم عليك التماس نصيحة فنية من أحد أخصائى الطب العقلى .

ولعلك تلاحظ أن هذه القائمة ليست كاملة أو تامة . وكل ما عليك أن تأخذ هذا الأمر فى اعتبارك عندما تكون بصدد إعداد خطة بحثك ، وأن تبذل أقصى ما تستطيع من جهد للتعامل مع أفراد الجماعات الهشة على النحو اللائق .

ملكية البيانات التى تم جمعها

تعد مسألة ملكية البيانات شيئا مهما ، مع أنها لا تبدو للوهلة الأولى قضية أخلاقية . فإذا كنت تملك البيانات فمعنى ذلك - فى العادة - أنك تستطيع أن تفعل بها ما يحلو لك (وذلك بالطبع فى حدود القيود والضوابط التى أشرنا إليها فيما سبق) . على أنه يتعين عليك أن تتأكد من هذه الملكية . ومع أن هذه المسألة لا تمثل مشكلة بالنسبة لأغلب الطلاب الذين يجرون بحوثا ، فإن البحوث التى يتم تمويلها من جهة عامة - سواء من جانب مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية أو من جانب إحدى الجمعيات الخيرية- تتم بموجب عقود تتضمن فى الغالب شروطا صريحة فيما يتعلق بملكية البيانات التى يتم جمعها ونشرها ونشر نتائج البحث . من ذلك مثلا أن مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية يشترط وضع تقارير البحوث على بعض قواعد البيانات المركزية التى يسمح للكل بالدخول عليها (راجع بهذا الخصوص موقعه الإلكتروني www.esrcsocietytoday.ac.uk/ESRCInfoCentre/index.aspx) (آخر دخول بتاريخ 2009/8/7) . وهناك أيضا بعض الهيئات التى لا تريد أن يطلع أى أحد على المادة التى دفعت تكلفة جمعها . ولا شك أنه سيكون أمرا لا أخلاقيا - وربما غير قانوني - الإخلال بهذه الشروط والمتطلبات الواضحة .

السلوكيات غير القانونية

من الأمور التي تدهش الباحثين المبتدئين دائماً أن يفضى إليهم بعض المبحوثين بأشياء ومعلومات في غاية العجب . فمن الأمور الطبيعية أن يفضى إليك بعض الناس بتفاصيل شديدة الخصوصية عن حياتهم وعن علاقاتهم بالآخرين . وكلما كنت باحثاً ممتازاً صادفت الكثير من هذه المعلومات والأمور الخاصة . على أن هذا الوضع يثير مشكلة كبرى: ترى كيف ستصرف إذا أفضى إليك أحد المبحوثين بأنه قد اقترف جرماً معيناً؟ ما هو موقفك في هذه الحالة؟

بحثك

إذا اكتشفت أنك توصلت إلى معرفة بعض الجرائم التي تقع تحت طائلة قانون الطفل (الصادر عام 2004) أو قانون الإرهاب (الصادر عام 2006)، فإنه يتوجب عليك أن تبلغ الشرطة.

يحسن بك أن تتخذ قراراً مسبقاً - في مرحلة تصميم المشروع - بكيفية تصرفك إزاء كثير من المسائل الأخلاقية، بدلاً من الانتظار إلى حين ظهور بعض المسائل أمامك في الميدان . وقد يكون من الصعب تقديم نصائح بخصوص المسار الصحيح للأمور، لأن مثل هذه المشكلات تتباين وتتنوع تماماً . ومع ذلك نقترح عليك أن تأخذ النقاط التالية في اعتبارك عند التفكير في كيفية تعاملك مع مثل هذه المواقف التي قد تنطوي على مشكلة أخلاقية:

- 1 - نعتقد أن أول ما يجب أن تأخذه في اعتبارك أن تتذكر دوماً أنك إنسان وعضو في مجتمع، وأن ذلك له أولوية تسبق دورك كباحث .
- 2 - إذا قررت أن تبلغ الشرطة عما اقترفه مبحوثك، فمن المحتمل أنك لن تستطيع استخدام ما أدلى به هذا الشخص من بيانات في بحثك . كما أنه من المحتمل أن يتقوض مشروعك البحثي بأكمله .
- 3 - إذا كنت قد قررت ألا تبلغ الشرطة أو تتخذ أي إجراء، فهل أمعنت التفكير في الأمر وبررت مسلكك هذا في خطة البحث عند إعدادها؟ كيف ستتناول مثل هذا

الأمر في تقرير بحثك؟ (انظر برواز "فكر في هذا الموضوع" الوارد أدناه).

4 - تذكر كذلك أنه يتعين عليك أن تكون مرتاحا وراضيا عما اتخذته من قرارات.

ومن طرق التعامل مع السلوكيات غير المشروعة أن تكون صريحا وواضحا مع مبحوثيك من البداية. وربما ترى أنه من اللازم أن تتناول الموضوع في صفحة التعريف التي تكتبها للمبحوثين (أو قد ترى أن تشير إليه بكل وضوح في أول لقاء لك معهم)، وذلك انطلاقا من الاعتبار الأساسي التالي:

«عليك أن تعرف أنه إذا كشفت لى عن سلوكيات غير مشروعه، فسوف أقوم بإبلاغ الشرطة عنها».

على أنك لست مضطرا طبعا إلى أن تكون بمثل هذه الصرامة في تناولك للأمر. إذ يرى البعض أن هناك بالتأكيد فرق بين تصريح شخص بأنه تجاوز السرعة القصوى أثناء قيادته ذات مرة وأن أحدا لم يلحق به ضرر جراء ذلك، وتصريح لشخص آخر يقر فيه بالقيام بسطو مسلح على أحد مكاتب البريد (وهو نموذج واقعي حدث بالفعل مع أحد مؤلفي هذا الكتاب أثناء عمله في مكتب المراقبة)^(*). وأيا كان الأمر فمن الصعب تحديد خط فاصل بين ما يتعين الإبلاغ عنه أو ما يمكن تجاهله؛ وهو أمر يمثل معضلة أخلاقية في حد ذاته.

حقيقة أن التوضيح المكتوب (عن نيتك إبلاغ الشرطة عن أى سلوكيات إجرامية) واضح وميسور الفهم لكل إنسان. إلا أن هناك بعض الصعوبات الأساسية التي قد تترتب عليه:

1 - من المحتمل أن يقرر المبحوث الانسحاب من البحث عند قراءته هذا التحذير.

2 - إن تحذيرا مثل هذا سوف يجعل من المستحيل عليك أن تتناول في حديثك مع

(*) المراقبة هي وضع مسجون مفرج عنه أو حدث متهم في بيئته الطبيعية مستمعا بحريته الاجتماعية إلى حد كبير. ولكنه يكون خلال فترة المراقبة تحت ملاحظة وإشراف «ضابط المراقبة» الذي تعينه المحكمة (ضابط شرطة أو أخصائي اجتماعي بالحي). فإذا أحسن سلوكه رفعت عنه العقوبة، إذا ارتكب جرما آخر أو أدخل بشروط المراقبة عاد إلى السجن واستكمل مدة عقوبته. (الترجم)

المبحوث أى سلوكيات غير مشروعة، مع العلم بأن مثل هذه السلوكيات تشغل اهتمام كثير من المبحوث فى ميادين علم الاجتماع، والدراسات الثقافية، وعلم الإجرام وغيرها. كما أن هذا التحذير قد يجعل من الصعب مجرد أن تتطرق حتى إلى دراسة الاتجاهات إزاء مثل هذه السلوكيات غير المشروعة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

المعضلات الأخلاقية والقانون

نورد فيما يلى بعض الأسئلة التى يجب أن تطرحها على نفسك وأنت بصدد وضع تصميم البحث. وجميع هذه الأسئلة مستمدة من «مواقف واقعية» فى الحياة:

1- هل ستبلغ الشرطة عن شخص أخبرك بأنه تجاوز الحد الأقصى للسرعة بسيارته هذا الصباح وهو فى طريقه لمقابلتك؟

2- هل سيختلف قرارك (بإبلاغ الشرطة) إذا أخبرك أنه تسبب فى حادث سير أصيب فيه شخص ما نتيجة لتجاوزه السرعة المقررة؟

3- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يدخل الماريوانا (شبيه الحشيش)؟

4- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه يتاجر فى بوردرة الكوكايين؟

5- ماذا ستفعل إذا أخبرك المبحوث أنه اعتاد سرقة قطع الشوكولاتة من أكشاك بيع الصحف؟

6- ماذا ستفعل لو أخبرك المبحوث أنه قام بالسطو على مكتب يريد؟

الاعتبارات الأخلاقية والتنوع فى البحوث

لا تتعرض هذه الفقرة لكيفية إجراء البحوث الخاصة ببعض الثقافات أو جماعات الأقليات المختلفة، وإنما نحاول فيها أن نتناول بعض الدلالات الأخلاقية للاختلاف والتنوع الثقافى فى إطار ما تجريه من بحوث.

الملاحظ أن غالبية كتب مناهج البحث لا تتطرق على الإطلاق إلى موضوع التنوع أو الاختلاف الثقافي، وذلك على الرغم من توفر كم متزايد من الشواهد (انظر مثلاً: Sheldon 1992; Alexander، 1999; Smaje، 1995) التي تثبت لنا أن الباحثين لا يلتفتون بالقدر الكافي إلى الاختلاف والتنوع الثقافي وهم يجرون بحوثهم. ومن الواضح - من الناحية الأخلاقية - أن المبحوثين الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة سوف تختلف استجاباتهم عندما يطلب منهم المشاركة في أحد البحوث، بافتراض توفر شرط القبول عن علم ونحو ذلك (Ryen، 2007). فهناك بعض الثقافات التي لا تقيم وزناً كبيراً لموضوع الخصوصية بالقدر الذي تراه أنت، وهناك ثقافات أخرى تستغرب بعض الأمور، مثل الإقرار الكتابي بالموافقة على الاشتراك في البحث (Ryen، 2007:220).

ولذلك نرى أنه من المهم أن تضع نصب عينيك دائماً طبيعة مجتمع بحثك (انظر الفصل 5 من الباب 2). فنحن نعيش في المملكة المتحدة في مجتمع شديد التنوع والتباين في تكوينه، ويضم هذا التكوين أفراداً من كثير من الجماعات الاجتماعية، والعرقية والدينية المختلفة. على أن هذه النواحي ليست هي كل الاختلافات، فالناس تتباين فيما بينها من نواح عدة، نذكر منها على سبيل المثال: الاختلاف حسب النوع، والعمر، والطبقة الاجتماعية، والسلوك الجنسي، ومحل الإقامة والسمات والخصائص الجسدية. فإذا كانت أهداف بحثنا وتساؤلاته تتطلب منا أن نقدم صورة لهذا التنوع، فلا بد إذن أن نضع هذه الفروق في اعتبارنا عند وضع تصميم البحث (انظر الفصل 3 من الباب 2) وعند اختيار طرق البحث (انظر الفصل 4 من الباب 2). غير أن ذلك لا يحدث في كل الأحوال، وربما كانت غاية همنّا أن ندرس خصائص السكان البيض الذين تتجاوز أعمارهم الثمانية عشر عاماً ويعيشون في الأحياء الحضرية. وإذا كان الأمر كذلك فستكون الأمور واضحة كل الوضوح ولا لبس فيها (وإن كان هذا يعني فرضاً مسكوناً عنه وهو أن هذا الباحث نفسه رجل أبيض أيضاً). إنها لفكرة حسيطة أن نتذكر دوماً أن الناس ليست لديهم نفس خبراتك وتجاربك، ولذلك فإن رؤيتهم للعالم من حولهم سوف تختلف طبعاً عن رؤيتك. ويصدق هذا الحكم بشكل خاص في المملكة المتحدة على أي شخص ينتمي إلى جماعة «أقلية» أو إلى جماعة «مقهورة».

إن من أهداف عملية الالتزام الأخلاقي في البحث أن نتأكد من أننا لا نستبعد - بالمصادفة - قطاعاً من مجتمعنا بسبب الطريقة التي نتبعها في اختيار المبحوثين وإشراكهم في عملنا. وسنحاول فيما يلي أن نتطرق إلى بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بالثقافة والتنوع، والتي نعتقد أنها يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تصميم مشروع البحث.

اللغة

قد يبدو هذا الأمر واضحاً كل الوضوح ، ولكن لابد أن يتكلم كل من الباحث والبحوث لغة واحدة . والفرض القائل بأن كل شخص في المملكة المتحدة يتحدث الإنجليزية بطلاقة هو فرض خطر وخاطئ في نفس الوقت . كما أن الاعتماد في بعض مجتمعات البحث على لغة واحدة من شأنه أن يؤدي إلى استبعاد مجموعات كبيرة من المشاركين (أى الذين كان يمكن أن يشاركوا) .

الإثنية والعرق

لا شك أن تصميم بحثك هو الذى يحدد أى الجماعات الإثنية و«العرقية» هى التى ستدخل ضمن مجتمع البحث . ومع ذلك فإن من أهداف الالتزام الأخلاقى أن تكون أنت كباحث قد أخذت هذا البعد فى الاعتبار ، وما يمكن أن يكون له من تأثير (أو لا يكون) على مشروعك البحثى . فإذا كنت مهتما بمؤشرات عموم السكان فى مجتمع بحثك (مثل سكان قلب مدينة برمنجهام) ولكن عينتك لا تضم سوى ذكور بيض ، فمعنى هذا أنك ستواجه مشكلة وأنه يتعين عليك مراجعة تصميم بحثك ، وطرق البحث التى اخترتها ، وطريقة اختيار العينة .

ومن الممكن أن تثار قضايا من هذا النوع بالنسبة للتقسيمات والفئات الاجتماعية الأخرى: كالنوع، والعمر، والسلوك الجنسى، ومحل الإقامة، والطبقة الاجتماعية، وأنواع العجز والإعاقة، وذلك تبعاً لموضوع بحثك وأهدافه .

الظهور(*)

وقد أوردنا هذا المصطلح الغريب بعض الشيء ، لا لكى نقول إن مبحثك يجب أن يكونوا ظاهرين بالمعنى المادى ، وإنما لكى نوضح أنه قد يكون من الصعب فى بعض

(*) Visibility : ويمكن أن نجد فى كل مجتمع فئات من هذا النوع تتباين حسب ظروف وأوضاع ذلك المجتمع . فى مقدمتهم من يمارسون عملاً غير مشروع قانوناً (كالدجل والشعوذة، خاصة السحر)، ومنهم جماعات الغجر فى مصر وفى بلاد أخرى أيضاً، وفى بعض قرى الصعيد (خاصة الصعيد الأعلى) " المطاريد" الذين يعيشون فى كهوف حصينة فى الجبال المحيطة بتلك القرى، وكذلك الطبيب الذى يجرى عمليات غير مشروعة (كالإجهاض وغيره) ... فهؤلاء جميعاً ليسوا ظاهرين، وبعضهم يحرص على أن يبقى كذلك. (المترجم)

الأحيان تحديد أماكن الناس (المحتمل دراستهم) أو الاتصال بهم . وقد ترجع هذه المسألة إلى عدة أسباب متنوعة منها: أن بعض الجماعات قد تكون صغيرة الحجم جدا أو تكون مبعثرة جغرافيا ، وهناك فئات أخرى تريد ألا يراها أحد (من هؤلاء - مثلا - أولئك الأشخاص الذين يقيمون في الدولة بشكل غير مشروع) . والأفضل أن نعد هذه المسألة من مسائل «التنوع» بمصطلح الالتزام الأخلاقي . لهذا تأكد أنه من المهم ألا يتم استبعاد بعض الناس من بحثك عمدا .

«الثقافة»

هناك عدة معان مختلفة لمصطلح «ثقافة» (انظر قائمة المصطلحات) ، ويغطي تعبير «الفروق الثقافية» مجالا واسعا ومتنوعا من السلوكيات والتصورات الاجتماعية . وسوف نقتصر هنا على طرح بعض الأمور التي يتعين أخذها في الاعتبار عند تخطيط مشروع البحث .

يجب عليك عندما تفكر فيما يخص بحثك من ناحية الأخلاق والفروق الثقافية ، أن تتأكد أنت من سلامة فهمك لدلالاتها بالنسبة لمشروع بحثك . وسنورد في البرواز التالي بعض الأمثلة التي يمكن أن تنشط تفكيرك في هذا الموضوع .

فكر في هذا الموضوع . . .

- هناك كثير من الثقافات (خاصة في شرق آسيا كالصين وكوريا واليابان) توقّر كبار السن وتنزل على رغباتهم . وقد ينطوى ذلك على بعض الأمور ذات الدلالة لبحثك ، نذكر منها :
- هل أنت أكبر سنا من مبحثيك؟ فإذا كان الأمر كذلك فقد تجدهم يحجمون عن مخالفتك (فلأنك الأكبر سنا قد يعتبروك الأكثر حكمة) .
- هل أنت أصغر سنا من مبحثيك؟ عندئذ قد يعتبروك شخصا غير مهم ، ولذلك لن يقبلوا على مساعدتك .

- هناك بعض الثقافات (فكر مثلاً في بعض البلاد الإسلامية أو في سكان بعض مناطق الهند التي تسود فيها الديانة الهندوسية) هذه الثقافات تتبنى أفكاراً مختلفة عن "التواضع" وعن أدوار النوعين (الرجال والنساء):
- فهل أنت كباحث امرأة تحاول إجراء مقابلة مع رجل؟ أم أنك رجل تحاول إجراء مقابلة مع امرأة؟ في هذه الأحوال سيصبح التواصل صعباً إذا تجاوزت حدود دور نوعك الذي يعتبر المبحوث "أمراً طبيعياً".
- في بعض المجتمعات (كـبعض مناطق المملكة المتحدة مثلاً) تمثل الطبقة الاجتماعية أساساً مهماً لتقسيم الناس:
- فهل أنت كباحث تنتمي إلى طبقة اجتماعية "عليا" وتحاول إجراء مقابلة مع أحد أبناء الطبقات "الأدنى" (أو العكس بالعكس)؟ قد يعتقد الطرف الآخر أنك تفتقر إلى المصادقية أو القدرة على فهم ظروف الأفراد الآخرين.
- هناك بعض الشعوب (مثل أغلب البلاد العربية أو سكان كندا الأصليين) التي تعتز بثقافتها بقيم "كرم الضيافة" و "السلوك المهذب"، ولذلك يندر أن تصادف فيها من يرفض تقديم يد العون لك.
- هل قمت فعلاً بإعطاء مبحوثك (أو مبحوثيك) فرصة عدم الاشتراك في البحث؟

ويتمثل الحل الأنسب لبعض هذه المشكلات (على الأقل في بعض البحوث الكبرى الممولة تمويلًا جيدًا) في اختيار بعض الباحثين المحليين وتدريبهم، إذ إن من شأن ذلك أن يساعد على تجاوز بعض هذه العوائق والمشكلات. وثمة حل آخر يتمثل في التماس النصيحة من زملائك الطلاب، أو أعضاء هيئة التدريس أو الأصدقاء الذين ينتمون إلى المجتمع الذي تنوي دراسته.

حماية الباحث من الضرر

من حق الباحث أيضا - وإن لم يكن على نفس المستوى من الأهمية الأخلاقية - أن يكون في أمان أثناء إجرائه البحث . ولا شك أنك قد وضعت هذا الأمر في الاعتبار ، لو أنك قمت بتصميم بحثك بعناية . وعليك أن تتأكد من عدم تعريض نفسك للمخاطر التالية:

- ويعنى ذلك من الناحية البدنية المخاطر التالية على الأقل:
- لا تقم بعملية جمع البيانات في أى مكان يبدو بشكل ظاهر أنه غير آمن .
- لا تسافر وحدك أثناء الليل أو تتحرك وسط مناطق معروفة بأنها غير آمنة .
- تأكد من أن أحدا ما يعرف أين أنت ، وماذا تفعل ، ومتى ينبغي أن تعود أدراجك .
- عندما تقدم معلومات تفصيلية عن كيفية الاتصال بك ، يكون من الحكمة ألا تقصص عن عنوان بيتك أو رقم تليفونك .
- أما على المستوى النفسى فلا بد أن تدرك أن بعض عمليات جمع المعلومات قد تكون مزعجة ، أو حتى مؤدية للاضطراب النفسى أحيانا . ولذلك يجب أن تتضمن وجود شخص ما قادر على مد يد العون النفسى لك . وبالنسبة للطلاب الذين يتدربون على البحث يكون هذا الشخص فى العادة هو أستاذك أو المشرف على بحثك .

الأخلاق ومشروعك البحثى

تعد المسائل الأخلاقية من الاعتبارات المهمة عند التخطيط لإجراء أى بحث ، وذلك لأن البحث الاجتماعى يتناول أفرادا من البشر ، ولأن معظم البحوث الاجتماعية يدرس هؤلاء البشر ، وتجاربهم واتجاهاتهم وأفكارهم دراسة مباشرة ، وكذلك لأن المشاركة فى البحث الاجتماعى نفسه إنما هى نشاط اجتماعى له تأثيره على كل من الباحث والمبحوثين . والمسائل الأخلاقية التى أثرناها فى هذا الفصل قد لا يمكن تجنبها ، وإنما يمكن الانتفاع بما أوردناه لكى تضمن أن يخرج بحثك على المستوى الممتاز .

فكر فى هذا الموضوع

تمثل العبارات التالية بعض الاعتراضات الشائعة على عملية الحصول على الموافقة الأخلاقية. فما رأيك فى تلك الاعتراضات بعد أن فرغت من قراءة هذا الفصل؟

- 1 - ليس لدى الوقت الكافى لتنفيذ كل هذه المتطلبات ، ولا بد من إنجاز مشروع بحثى فى غضون ثمانية أسابيع .
- 2 - إن بحثى لا يثير أية مسائل أو مشكلات أخلاقية .
- 3 - أعتقد أن "لجنة الأخلاق" لا تفهم موضوع بحثى .
- 4 - لا يوجد أى اتفاق على المقصود بمفهوم الأخلاق ، فلماذا يتعين على أنا أن أهتم بها وأقلق عليها؟

لقد تم تطوير الإرشادات الأخلاقية وعملية الحصول على الموافقة الأخلاقية من أجل مساعدة الباحثين الاجتماعيين على مراعاة هذه المسائل الأخلاقية فى موضوع بحثهم وفى العمل فى مجتمع البحث ، ومن الممكن فى معظم الأحوال أن تخدم هذه الإرشادات عملية الحصول على الموافقة . ولكن هناك حالات معينة يمكن أن تمثل المسائل الأخلاقية تحدياً حقيقياً ، ومن ثم تفرض على الباحث إعمال فكره بعمق والاستعداد لها (قد يكون من بينها إدخال تعديلات على خطة البحث) ، ولكن المؤكد أنه ستؤدى إلى إنتاج بحث من نوعية ممتازة . فكر فى المسائل الأخلاقية التى يمكن أن تكتنف بحثك باستخدام القائمة التالية .

بحثك

قائمة المسائل الأخلاقية

نورد فيما يلي بعض الأسئلة التى نأمل أن تساعدك على إعمال الفكر فيها ومراعاة الاعتبارات الأخلاقية فى بحثك لكى تحصل على الموافقة الأخلاقية:

- هل يمثل عنوان بحثك وصفا دقيقا للبحث الذى تنوى إجراءه؟
- هل تعلم المدى الزمنى لبحثك (وهل لديك جدول زمنى لمهام البحث؟)
- هل استكملت استعداداتك المناسبة فيما يتصل بالمعلومات عن البحث والمهارات التى يتطلبها؟
- هل تعرف لماذا تجرى هذا البحث (من ذلك مثلا أنك تعرف أن عدد البحوث التى أجريت عن موضوعه قليلة، أو لأنك تريد تقييم مبادرة من مبادرات السياسة الاجتماعية، أو لأنك تريد أن تفهم مدى التعاون والتآزر بين النظرية والمنهج فى عملية البحث ... إلخ)؟
- هل قمت بصياغة تساؤلات بحث إجرائية واضحة؟ (راجع حول ذلك الفصل 4 من الباب 1).
- هل فرغت من تصميم وتخطيط بحثك؟ (راجع الباب 2 من هذا الكتاب).
- هل حددت نوعية العينة التى تحتاجها؟ (راجع الفصل 5 من الباب 2).
- هل حددت طرق جمع البيانات التى سوف تستخدمها؟ (انظر الباب 3 من هذا الكتاب).
- هل فرغت من تصميم أدوات بحثك (مثل: الاستبيان، ودليل المقابلة ... إلخ)؟
- ما هو الموقف بالنسبة لمسألة إخفاء الهوية ومسألة الحفاظ على السرية؟
- هل ستكون بيانات بحثك فى أمان (قانون حماية البيانات الصادر عام 1998)؟

- هل فكرت فى المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها مبحوثوك؟
- هل سيكونون فى أمان من الناحية البدنية؟
- هل تنطوى مشاركة المبحوثين على أية مخاطر نفسية؟
- هل يمكن أن تتسبب مشاركة المبحوثين فى مشروعك فى تعريض وظائفهم ، أو علاقاتهم ، أو أحوالهم المالية . . إلخ للخطر؟
- هل تضمن إخفاء هوياتهم ، والحفاظ على سرية ما أدلوا به من بيانات؟
- هل أخذت فى اعتبارك حصول موافقة المبحوثين عن علم؟
- هل فكرت فى علاقات القوة بين الباحث والمبحوث؟
- كيف ستتعامل مع مسائل التنوع فى بحثك (مثلا: من حيث النوع الاجتماعى ، و"العرق" ، والسلوك الجنسى ، والعجز ، والعمر ، والحالات الصحية العقلية)؟
- هل هناك أية مخاطر يمكن أن يتعرض لها الباحث؟
- ماذا ستفعل لو أن المبحوث باح لك ببعض المعلومات عن أمور من قبيل:
 - أنشطة إجرامية؟
 - إساءة إلى أطفال؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Alexander, Z. (1999) *Study of Black, Asian and Ethnic Minority Issues*, London: Department of Health.
- Economic and Social Research Council (2009) *Research Ethics Framework*, Swindon: ESRC. Available at www.esrc.ac.uk/ESRCInfoCentre/Images/ESRC_Re_Ethics_Frame_tcm6-11291.pdf (accessed 7 August 2009).
- Gallagher, B., Creighton, S. and Gibbons, J. (1995) Ethical dilemmas in social research: no easy solutions, *British Journal of Social Work*, 25: 295-311.
- Homan, R. (1991) *The Ethics of Social Research*, London: Longman.
- Hood, S., Mayall, B. and Oliver, S. (eds) (1999) *Critical Issues in Social Research: Power and Prejudice*, Buckingham: Open University Press.
- James, A. and Platzer, H. (1999) Lesbians' and gay men's experiences of health care: a personal perspective, *Nursing Ethics*, 6: 73.
- Larossa, R., Bennett, L. A. and Gellese, R. J. (1981) Ethical dilemmas in qualitative family research, *Journal of Marriage and the Family*, 43(2): 303-13.
- Leathard, A. and McLaren, S. (eds) (2007) *Ethics: Contemporary Challenges in Health and Social Care*, Bristol: Policy Press.
- McAuley, C. (2003) Ethics, in R. L. Miller and D. Brewer (eds) *The A-Z of Social Research*, London: Sage.
- Minkler, M. (2004) Ethical challenges for the 'outside' researcher in community-based participatory research, *Health Education & Behavior*, 31: 684-97.
- Minkler, M., Fadem, P., Perry, M., Blum, K., Moore, L. and Rogers, J. (2002) Ethical dilemmas in participatory action research: a case study from the disability community, *Health Education & Behavior*, 29: 14.
- Norman, R., Sellman, D. and Warner, C. (2006) Mental capacity, good practice and the cyclical consent process in research involving vulnerable people, *Clinical Ethics*, 1: 228-33.
- Oliver, P. (2003) *The Student's Guide to Research Ethics*, Maidenhead: Open University Press.
- Rogers, H. J. (2001) *Partnership Working: A Case Study of Adult Mental Health Services*, University of Birmingham.
- Ryen, A. (2007) Ethical issues, in C. Seale, G. Gubrium, J. F. Gubrium and D. Silverman (eds) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.
- Sheldon, T. A. (1992) The use of 'ethnicity' and 'race' in health research: a cautionary note, in W. I. U. Ahmad (ed.) *The Politics of 'Race' and Health*, University of Bradford & Ilkley Community College.
- Smaje, C. (1995) *Health, 'Race' and Ethnicity: Making Sense of the Evidence*, London: King's Fund Institute.
- University of Birmingham Legal Services (1998) Summary - Data Protection Act 1998, Birmingham. Available at www.legalservices.bham.ac.uk/data_protection_policy/ (accessed 7 August 2009).
- Walker, B. and Haslett, T. (2002) Action research in management: ethical dilemmas, *Systemic Practice and Action Research*, 15(6): 523-33.

الباب الثاني

الإعداد للبحث

الفصل الأول: التخطيط لمشروع البحث

الفصل الثاني: مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.

الفصل الثالث: تصميم البحث.

الفصل الرابع: اختيار طرق البحث.

الفصل الخامس: اختيار العينة.

الفصل السادس: مقترح مشروع البحث.

الفصل الأول

التخطيط لمشروع البحث

محتويات الفصل

- التعريف .
- الإجراءات العملية .
- أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث) .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

يتناول هذا الباب من أبواب الكتاب عمليات الإعداد التي يجب القيام بها لتنفيذ مشروع بحثي ناجح . وهو مقسم إلى مجموعة من الفصول العملية التي من شأنها أن تدفع مشروعك قدما . ويختص هذا الفصل الأول بموضوع التخطيط ، الذي يعد خطوة مهمة قد يغفلها البعض أحيانا . ويحاول الفصل أن يقدم لك الخطوط العامة للعملية التي يتعين عليك أن تفرغ منها قبل أن تتمكن من وضع مقترح البحث . (انظر الفصل السادس من هذا الباب) .

تمثل الخطة التفصيلية جزءاً جوهرياً من استراتيجيتك البحثية، ولذلك ليس من الحكمة متابعة العمل في المشروع بدونها. ونحرص في هذا الفصل على أن نفتتح أن أعمال الفكر والتخطيط (انظر قائمة المصطلحات) للمشروع برمته منذ البداية (أى تبني النظرة الكلية) أمر عظيم الأهمية. ومع أنه من المحتمل - مع ذلك - إدخال بعض التعديلات على الخطة بعد هذه المرحلة، إلا أن الأمر يستحق بذل ما يلزم من الوقت لإعداد خطة كاملة قدر الإمكان، بحيث لا تفاجأ بوجود ثغرات فى تسلسل العمليات بعد أن تبدأ تنفيذ المشروع فعلاً. إن الوقت الذى تنفقه فى التخطيط لن يذهب سدى أبداً.

إذا كنت قد طالعت الباب الأول من هذا الكتاب عن «التفكير فى موضوع البحث»، فمن المحتمل أنه أصبح بوسعك الآن تحديد بعض الاختيارات التى يمكن أن تضمنها فى عملية التخطيط للبحث.

ولكل فرد أسلوبه فى القيام بالتخطيط : فالبعض يستخدمون أسلوب «التخطيط ذهنى»، وآخرون يفضلون استخدام رسم بيانى تخطيطى، أو قوائم بالعناصر والمراحل المختلفة، أو يستعينون بكتابة ملاحظاتهم على أوراق لاصقة صغيرة ... إلخ. وننصحك أن تستخدم العملية التى تجد نفسك موففاً فيها، دون أن تشغل نفسك بما يفعله الآخرون. ولكن هدفك الأساسى هو إعداد خطة عملية تستطيع :

- أن توجهك وترشدك فى كتابة مقترح البحث النهائى.
- وتمكنك من أن تنفذ مشروعك بنجاح فى عالم الواقع.

لا شك أن كل مشروع بحثى يختلف عن غيره فى بعض التفاصيل، ولكن المؤكد أننا جميعاً نستخدم نفس العمليات التخطيطية. ولكن نلتزم بذلك تمام الالتزام إذا قمنا بتقسيم تلك العمليات إلى مجموعتين: التعريف، والتخطيط/ والتنفيذ العملى.

التعريف

إن أول ما يجب التفكير فيه هو هدف إجرائك البحث، أو السبب الذى يدعوك إلى ذلك. فبالنسبة للطالب قد يكون البحث مجرد مطلب البرنامج الدراسى الذى يريد اجتيازه (وهو فى هذه الحالة سبب كاف تماماً). أما إذا كنت قد قطعت شوطاً أبعد فى

السلك الأكاديمي أو في مجال الأعمال التجارية ، فقد تحتاج إلى إجراء بحث عن بعض موضوعات التسويق أو عن قياس الاتجاهات ، أو قد تكون بحاجة للحصول على تمويل لإجراء البحث . ونوصيك هنا بأن تلتزم أقصى درجات الوضوح قدر الإمكان فيما يتعلق بالإفصاح عن دوافعك لإجراء البحث ، وأن تكون على بينة تامة من الشروط التي يتعين عليك الوفاء بها لكي تستكمل - مثلاً - إنهاء رسالتك الجامعية بنجاح .

بحثك

حاول أن توجز الغرض من بحثك في جملة واحدة .

ومع ذلك فقد لا تكون بعد على بينة تامة - في هذه المرحلة - مما تحتاجه لتنفيذ مشروعك البحثي ، إلا أنه من الواجب عليك وأنت تتابع العمل في مرحلة الإعداد أن تفكر ملياً في الأمور التالية:

• ما الموارد التي تحتاجها لكي تنفذ مشروعك (وما المتاح لك منها) من قبيل: الوقت ، وأجهزة التسجيل ، ومعدات التصوير والنسخ ، وقاعات إجراء المقابلات . . . إلخ .

• ما البحوث التي أجريت بالفعل في المجال الذي تنوي دراسته ، وما علاقة بحثك بتلك البحوث (راجع الفصل 2 من هذا الباب) .

• كيف ستبدأ التفكير في الأمور التالية:

• جمع بيانات بحثك (راجع الباب الثالث) .

• تحليل البيانات التي جمعتها (راجع الباب الرابع) .

• عرض النتائج التي توصلت إليها (راجع الباب الخامس) .

• ما في تصورك الحاصلة التي تتوقعها لعملك ، مثل: الرسالة الجامعية التي تحتل صدارة الاهتمام لدى الطلاب الجامعيين ، ولكنك قد تفكر - فضلاً عن هذا - كيف يمكن لصناع السياسة الاجتماعية أن يستفيدوا من بحثك هذا ، وكيف يستطيع هذا البحث أن يؤثر على اتجاهات الناس .

الإجراءات العملية

عليك - ثانيا - أن تراعى التخطيط العملى لمشروعك على النحو التالى:

- هل ستنفذ مشروعك (أ) منفردا أم (ب) كعضو فى فريق بحث؟ فإذا كنت عضوا فى فريق بحث فلا بد أن تكون لديك رؤية واضحة لمسئولية كل عضو عن كل جزء من أجزاء مشروع البحث (ومثل هذا الوضوح مفيد أعظم الفائدة فى حالة حدوث اختلاف بين أعضاء الفريق أو إذا حدث أمر بعيد الاحتمال وهو تقصير أحد الأعضاء فى أداء نصيبه من العمل).

- ما الجدول الزمنى لمشروعك؟ إن موعد نهاية البحث بالنسبة لك كطالب هو تسليم تقريرك للمشرف للحكم عليه وتقييمه، وهو أمر لا يمكنك التحكم فيه. ومع ذلك فمن المفيد لك أن تحاول تحديد مختلف المهام التى ستنفذ على مدار البحث، وأن تحدد الموعد المحتمل لتنفيذ كل مهمة منها. وهناك قيود زمنية مفروضة على كل باحث، ولذلك يجب أن يحدد الباحث متى سيفرغ من تنفيذ المشروع فى حدود الإطار الزمنى متاح. وفى جميع الأحوال يجب أن يكون جدولك الزمنى واقعيا (ولذلك يجب أن تحاول تقدير المدة التى سوف يستغرقها تنفيذ كل مرحلة من مراحل البحث).

- كيف ستأكد من أن مشروعك يتقدم على الوجه المناسب؟ ربما تحتاج إلى ترتيب لقاءات مع أستاذك أو مع المشرف عليك لمناقشة مدى تقدم العمل فى المشروع. ويجب أن تحرص - على أى حال - على أن تفكر فيما يمكن أن يمثل نجاحا لمشروعك، وقد يتطلب ذلك أن تحدد لنفسك أهدافا محددة على امتداد مسيرة عملك. من ذلك مثلا أن تقرر أن مراجعة التراث المنشور عن الموضوع يجب أن تستكمل بعد شهر واحد من بدء العمل.

وتبعاً لطبيعة المشروع الذى تنفذه قد تحتاج - فضلا عن ذلك - إلى أخذ الأمور

التالية فى اعتبارك:

- الموارد التنظيمية (آلات تسجيل الصوت، آلات التصوير، وقت العمل على الكمبيوتر... إلخ).
- كيفية التصرف في بقية الوقت المتاح لك لكي تتمكن من إنهاء المشروع في موعده المحدد (فقد يكون مفروضا عليك متابعة دراسة مواد أخرى أو أداء أعمال أخرى معينة في نفس الوقت الذي تجرى فيه البحث).

أهمية النظرة الكلية (إلى مشروع البحث)

نحن نعتقد - على وجه العموم - أن الباحثين الطلاب يمتازون بالقدرة على تعريف طبيعة مشروعهم، وعلى اختيار طرق جمع البيانات. ولكن تدلنا خبرتنا العملية مع بحوث الطلاب أن أغلبهم لا يولون الاهتمام الكافي لتخطيط عملية تحليل البيانات (انظر الباب الرابع). لهذا كله نؤكد على أهمية محاولة التفكير في مشروعك بنظرة كلية. وقد تم تصميم هذا الكتاب على النحو الذي يساعدك على التفكير وفق هذا المنظور الكلي، ولذلك نشجعك على الاستفادة من نقاط الاتصال مع فصول الكتاب الأخرى، بحيث تستطيع التفكير في شتى عناصر مشروعك البحثي في وقت واحد.

ولكي تكمل تخطيطك بنجاح يتعين عليك اتخاذ مجموعة من القرارات بشأن العمليات التي سوف تنفذها. ولمساعدتك على عمل ذلك وضعنا القائمة التالية التي يمكنك أن تستخدمها كجزء من عملية التخطيط التي تقوم بها. ولهذا تذكر ما أشرنا إليه في السابق من ضرورة عدم التوقف عن القراءة عن المراحل التالية من مشروع بحثك، وذلك إلى حين يأتي وقت تنفيذها. لهذا نرى أن تقوم بتخطيط بحثك بشكل متسلسل بالاستعانة بهذا الكتاب، من ذلك مثلا لا تكف عن التفكير في استراتيجيات التحليل التي ستتبعها (الباب الرابع) إلا بعد أن تكون قد فرغت من جمع بيانات بحثك (الباب الثالث).

قائمة عمليات تخطيط المشروع

الفصل/الباب	√
هل فكرت في موضوع بحثك جيدا ، وهل أنت ملم بالنظريات والنماذج النظرية والاتجاهات الفكرية المختلفة؟	فصل ٢ باب ١
هل كونت فكرة واضحة عن طبيعة البيانات التي تحتاج إلى جمعها وعن الطرق التي سوف تستخدمها في جمع تلك البيانات؟	فصل ٣ باب ١
هل حددت طبيعة مشروع بحثك؟	فصل ١ باب ٢
هل راعيت الجوانب العملية لبحثك؟ (ومنها على وجه الخصوص جانب الموارد والتمويل؟)	الفصل ١ من الباب ٢
هل فكرت في كيفية الوصول إلى التراث العلمي المنشور عن بحثك ، وتقييم المتاح منه؟	الفصل ٢ من الباب ٢
هل انتهيت من تحديد تصميم بحثك (هل سيكون مثلا: دراسة حالة ، أم بحثا تجريبيا أم بحثا إثنوجرافيا ... إلخ)	الفصل ٣ من الباب ٢
هل اخترت فعلا الطرق التي سوف تستخدمها في جمع بيانات بحثك؟	فصل ٤ باب ٢ و٣
هل حددت مجتمع بحثك ، وعينة البحث؟	فصل ٥ باب ٢
هل وضعت تساؤل البحث أو فرض البحث؟	فصل ٤ باب ١
هل راعيت الاعتبارات والمسائل الأخلاقية؟	فصل ٥ باب ١
هل حصلت على أى موافقة رسمية يتطلبها تنفيذ البحث؟	فصل ٥ باب ١
هل فكرت كيف ستقوم بتحليل بيانات البحث؟	الباب الرابع
هل فكرت في أسلوب عرض نتائج البحث ونشرها؟	الباب الخامس

لا شك أنك تدرك أن هذه القائمة تتسم - بالطبع - بشيء من التبسيط ، وأنه لا يمكنها لذلك أن تستوعب كافة المتغيرات التي قد تصادفها في مشروع بحثك . ومع ذلك فعندما تستطيع أن تكتب علامة (√) على جميع البنود فسوف يعنى ذلك أنك فى وضع مناسب يمكنك من كتابة مشروع البحث ، ثم تبدأ فى تنفيذه .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Beins, C. B. (2004) *Research Methods: A Tool for Life*, Harlow: Pearson.
- Leedy, P. D. and Ormond, J. E. (2005) *Practical Research: Planning and Design*, Boston MA: Pearson Education.
- Sharp, J. and Howard, K. (2002) *The Management of a Student Research Project*, 3rd edn, Aldershot: Gower.
- Walliman, N. (2001) *Your Research Project: A Step-by-Step Guide for the First-time Researcher*, London: Sage.

الفصل الثاني

مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

محتويات الفصل

- لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءًا من عملية الإعداد للبحث؟
- ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟
- التقييم النقدي للتراث المنشور عن الموضوع.
- البحث عن التراث المنشور عن الموضوع.
- الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمى.
- عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تعد عملية الاطلاع على التراث المنشور عن الموضوع أحد الأسس التى يقوم عليها أى بحث اجتماعى. فمن واقع الاطلاع على التراث العلمى فى موضوع بحثك، يمكنك وضع أفكارك أنت عن موضوع البحث فى سياقها، وتتعلم من خبرات الباحثين الذين عملوا فى مجال هذا الموضوع، ومن ثم تصبح قادرًا على التفكير بشكل نقدى فى دلالات تلك البحوث بالنسبة لمشروعك أنت. ويبدو هذا العمل فى بعض الأحيان مهمة كبيرة، إذ يكاد يوجد عن كل موضوع ثروة هائلة من الكتب، والمقالات، وتقارير البحوث، وشتى أنواع الوثائق الأخرى التى يتاح لنا الاطلاع عليها. ولكن يتعين علينا أن نركز جهدنا ونكتفه - على نحو نقدى - عند قيامنا بمراجعة التراث العلمى. وسنحاول أن نعرفك فى هذا الفصل بطائفة عريضة من مصادر استقاء التراث، وأن نناقش معك كيف يمكنك أن تنجح فى مراجعة التراث العلمى فى موضوعك ملتزمًا توجهًا نقديًا وقادرًا فى نفس الوقت على التركيز على موضوعك.

من الأجزاء المهمة لعملية الإعداد للبحث أن تأخذ في اعتبارك كيف تناولت البحوث السابقة موضوعك؟ وكيف فكر فيه الآخرون؟ وماذا كتبوا عنه؟ والأهم كيف يمكن أن تساعدك هذه المعلومات على بلورة أفكارك عن البحث وتجويدها. فإلى جانب التفكير في تساؤلات بحثك، ومناهج تناوله، وطرق جمع البيانات الخاصة به؛ يسير إلى جانب ذلك في خط مواز استعراض شتى أنواع التراث المتصلة بموضوع بحثك. وتبدأ عملية مراجعة التراث في مرحلة مبكرة عند شروعك في التفكير في البحث وبدء عمليات الإعداد له. ولكنها يمكن أن تتواصل أثناء قيامك بوضع تساؤلات البحث، واتخاذ القرارات المحددة لتصميم البحث، وطرق جمع البيانات وتحليلها.

ونلاحظ هنا أن مراجعة التراث العلمي تعد عملية في ذاتها، يمكن أن تنقسم إلى أربع مراحل:

- 1 - قراءات عامة «حول» الموضوع، بحثًا عن أفكار، ومحاولة للتعرف على ما تم إنجازه بالفعل، والإفادة من تلك المعلومات في بلورة موضوع بحثك أنت.
- 2 - القيام بعد ذلك ببحث مفصل عن مصادر المعلومات، وتكوين سجل جامع لتلك المعلومات.
- 3 - قراءة وتقييم كل ما عثرت عليه من معلومات.
- 4 - تصميم مكونات عرض التراث (في بحثك) وكتابتها.

لماذا تعد مراجعة التراث المنشور عن الموضوع جزءًا من عملية الإعداد للبحث؟

هناك جملة من الأسباب التي تدعوك إلى القيام بعملية مراجعة التراث العلمي مراجعة نقدية. وتلقى القائمة التالية الضوء على أكثر تلك الأسباب شيوعًا، بدءًا بالأهم:

فمراجعة التراث العلمي المنشور سوف تمكنك من:

- التحليل النقدي للموقف الراهن في مجال البحث:

- سوف تتمكن من الإحاطة بما هو معروف فعلا عن موضوع بحثك . والعادة أنك لن ترغب فى تكرار البحوث التى أجريت بالفعل (إلا إذا كنت تود معالجة نفس القضية أو نفس البيانات بطريقة مختلفة) . فمن أهداف مراجعة التراث العلمى أن تتعرف على الوضع الراهن للمعرفة بالموضوع ، ماذا درس بالفعل ، وما الذى يتعين دراسته مستقبلا . وفى بعض الأحيان نقول إننا نسعى إلى التعرف على «الثغرات» التى تركتها البحوث السابقة ، أى الأجزاء التى تم تجاهلها أو لم يُلَفت إليها فى الماضى . وقد تعد هذه النقطة مزيداً من تعرفك على الوضع الراهن للمعرفة .
- سيمكنك ذلك من التعرف على مختلف الاتجاهات النظرية والمنهجية التى تبناها الباحثون فى السابق (وإلى أى مدى حققت تلك الاتجاهات نجاحاً ، بحيث لا تكرر أخطاء الآخرين) .
- سوف تقف على نوع الأطر والاستراتيجيات التحليلية التى استخدمها الباحثون الآخرون ، وتقرر لنفسك مدى صلاحيتها لبحثك .
- عمل مقارنة والمقابلة بين شتى المصادر وآراء الخبراء .
- وضع بحثك فى سياق . ففى دنيا العلوم الاجتماعية ترتبط بحوثنا عادة بالمسائل والأحداث الأخرى فى المجتمع ، من ذلك مثلاً: تطبيق سياسة اجتماعية جديدة ، أو حدوث ركود اقتصادى ، أو ظهور تغيرات فى الأفكار المتعلقة بالقضايا الأخلاقية ، أو حدوث تغير فى المناخ .
- اكتساب دراية "بلغة" أو مفردات موضوع دراستك .
- تحديد المسائل أو المتغيرات المهمة فى موضوعك . فقد تفودك مراجعة التراث العلمى إلى إضافة بعض الأشياء التى ربما تكون أغفلتها .
- التفكير فى تساؤلات بحثك وتعريفها بشكل أفضل ، وربما يمكنك بفضل هذه المراجعة طرح مزيد من تساؤلات البحث أو المسائل التى يمكن تضمينها داخل الدراسة .
- التعرف بشكل أفضل على الأسلوب الذى يمكن أن تتناول به نتائج بحثك ، وربما تستطيع كذلك أن تربطها بالبحوث التى أجريت من قبل .

- تساعدك على تبين الصلات بين الممارسة البحثية والنظرية (وفقا لمجال بحثك بطبيعة الحال).
- تزويدك بتوليفة تجمع كافة المعلومات بطريقة تجعل رسالتك الجامعية أو تقرير بحثك ميسور الفهم للقارئ، وهو الأمر الذى من شأنه أن يدعم الجهد الذى بذلته.

ما المقصود بالتراث المنشور عن الموضوع؟

ربما كان يكفي منذ بضع سنوات قليلة أن نقول إن التراث العلمى هو الكلام المكتوب المنشور، أى إنه المادة المطبوعة على ورق. ولهذا كنا نقصد حينذاك: الكتب، والمجلات العلمية، والدوريات، والصحف. وما زالت هذه الأشكال من التراث العلمى تمثل بداية جيدة للتعريف بالموضوع، ولكن أصبح من المحتم علينا أن نضيف إليها شتى أنواع المصادر الإلكترونية، والوسائل السمعية البصرية.

ما : التراث العلمى؟

التراث العلمى مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسوف يكون ذلك: (أ) وضع قائمة باللغة الطول، و(ب) سرعان ما ستصبح مثل هذه القائمة شيئا باليا عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلى قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث:

- الكتب.
- المجلات العلمية المحكمة.
- المجلات العلمية غير المحكمة.
- الرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات.
- الصحف والمجلات.
- التلفزيون والراديو.
- تقارير المؤسسات والهيئات.
- الوثائق الرسمية.
- تقارير البحوث.
- شبكة الإنترنت.

الكتب

لقد تغير الزمن بشكل حاسم خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة أو نحوها. ففي تسعينيات القرن العشرين كانت الكتب الدراسية هي المصدر الأساسى للمعلومات بالنسبة لطلاب الليسانس. ولكن السهولة التى نلمسها حاليا فى الاطلاع على المجالات العلمية، والوثائق الرسمية وغيرها من المصادر الإلكترونية للمادة؛ هذه السهولة أصبحت تعنى الآن أن بوسع الطلاب اللجوء إلى طائفة كبيرة من مصادر المعلومات، وإن ظلت الكتب الأكاديمية تمثل حتى اليوم أحد أكثر مصادر المعلومات نفعا. وتجد فى أغلب الجامعات مكتبات كبرى للكتب الدراسية، التى يضاف إليها المزيد عاما بعد عام. وغالبية الكتب الأكاديمية من تأليف خبراء وباحثين أكاديميين متخصصين فى مجال معين، وكثيرا ما يجمعون بين الخبرة البحثية والأصالة الفكرية فى تقديم عرض مفيد لموضوع ما. والعادة أن يعتمد مؤلفو الكتب الدراسية على خبراء آخرين ويشيرون إليهم، سواء كانوا خبراء على المستوى القومى أو العالمى.

وغالبا ما تكون هذه الكتب بداية ممتازة تبدأ منها فى استعراض التراث المنشور عن الموضوع، لأنها تزودك بإشارات إلى مصادر أخرى للمعلومات، والبحوث، والأفكار التى تستطيع أن ترجع إليها وأنت بصدد بلورة أفكارك عن موضوع بحثك. ومثل هذه الكتب - بحكم طبيعتها - تكون مكتوبة بأقلام مؤلفين معروفين، وتكون مزودة بفهارس مختلفة، كما أنها سهلة الاستخدام. ونقطة الضعف فى الكتب أنها يمكن أن تتقادم بسرعة، كما أن أسعارها مرتفعة عادة (وإن كانت بالطبع متوفرة فى المكتبات العامة، حتى لو لم تكن متوفرة فى مكتبة الحى أو المكتبة المحلية)، وبرغم كل ذلك ستظل الكتب مصدرا نافعا على امتداد المستقبل المنظور، بل إن الطباعات الأقدم منها كثيرا ما تكون مفيدة فى إلقاء الضوء على الموقف العام لدراسة الموضوع، وأسلوب التفكير فيه فى عصر معين.

المجلات العلمية والدوريات

هذا النوع من الأعمال العلمية يتخذ فى الأساس شكل المقال العلمى المنشور (وإن كان الكثير منها أصبح متاحا على الإنترنت فى الصورة الإلكترونية)، ويندرج من حيث قيمته العلمية فيما نسميه المقالات التى تخضع لمراجعة الزملاء (انظر قائمة

المصطلحات). وتعد الدوائر الأكاديمية المقالات التي روجعت بمعرفة الزملاء هي «الأفضل» مستوى ، وذلك بسبب الطريقة التي يتقرر بها صلاحيتها للنشر . المعروف أن الغالبية العظمى من المقالات التي خضعت لمراجعة الزملاء تكون من تأليف أعضاء هيئة تدريس جامعيين ، وعندما ترد إلى إدارة تحرير المجلة العلمية المتخصصة في نشر مقالات راجعها الزملاء مقالة من هذا النوع ، يتم إرسالها إلى عدد من الخبراء المتخصصين في المجال المحدد للمقالة . ويقوم هؤلاء الخبراء (أو الزملاء) بكتابة تعليقاتهم للمجلة ، الذي يتناولون فيه الحكم على جودة العمل ومدى صلاحيته للنشر في المجلة . وعلى أساس هذا التقييم يقرر محرر المجلة نشر المقالة أم لا . ونجد حتى بين المجالات التي تنشر المقالات المراجعة من الزملاء تدرجا في المستوى ، تأتي في قمته المجالات العالمية التي تعد أعلاها قيمة في العادة . والسبب في ذلك أن جمهور هذه المجالات منتشر عبر العالم ، ويخضع للتقييم من جميع الأكاديميين المتخصصين في كافة أنحاء الأرض . وتحظى أغلب المجالات على مقالات تستعرض بحوثا أجراها مؤلفوها ، كما تنشر مقالات تستعرض القدرات العلمية والفكرية لصاحبها ، أي خبرته في الموضوع الذي يكتب عنه وقدرته على تطوير أفكار أصيلة ونظرية في الغالب . وفي بعض الأحيان يقدم الدارسون الأكاديميون أوراقا علمية إلى المؤتمرات العلمية المتخصصة ، وذلك قبل تقديمها للنشر . وقد تكون - أو لا تكون حسب الظروف - متاحة للاطلاع عليها في هذه المرحلة بعد مراجعة الزملاء .

ومن المجالات التي تنشر المقالات المراجعة من الزملاء : «مجلة السياسة الاجتماعية» ، «علم الاجتماع» ، «دراسات السياسات» ، «الثقافة» ، «علم الإجرام» ، «الصحة والرعاية الاجتماعية في المجتمع المحلي» ، «الاقتصاد الدولي» ، «السياسة الاجتماعية والمجتمع»^(*) . وهناك علاوة على تلك المجالات كم هائل ، وأي بحث عابر على شبكة الإنترنت (انظر فيما يلي فقرة «البحث عن التراث العلمي») سوف يزودك بعناوين مئات المجالات العلمية .

(*) Journal of Social Policy ، Sociology ، Policy Studies ، Culture ، Criminology ، Health and Social Care in the Community ، International Economics Social ، Policy and Society .

أما محررو المجلات والدوريات غير المحكمة فإنهم ينشرون ما يرونه جديراً بالنشر وفقاً لسياسة التحرير التي ينتهجونها (من تلك المجلات مثلاً ، The Economist ، New Statesman) . كما قد يعتمد المحرر إلى طلب مقالات من بعض الكتاب أو تكليفهم بكتابتها ، ثم يقرر هو ما يصلح للنشر منها وينشره . حقيقة أن المقالات المنشورة بهذه الطريقة لم تخضع للفحص بمعرفة الخبراء ، ولكنها يمكن أن تكون مفيدة على أساس أنها تقدم وجهات نظر مختلفة حول موضوع أو مجال معين ، وكذلك لأنها قد تكون مكتوبة بأقلام خبراء لهم تجاربهم مثلاً في الممارسة الميدانية أو في العمل ذاته . وتندرج ضمن هذه الفئة بعض المجلات المتخصصة (مثل: "مجلة الخدمة الصحية" ، و "الإدارة اليوم" ، تايمز للتريض" ، و "رعاية المجتمع المحلي") .

الإعلام

تأتي في المرتبة التالية من حيث القيمة الصحف وغيرها من وسائل الإعلام ، ونعتقد أنه من الواجب التزام الحذر في التعامل مع هذه النوعية من مصادر المعلومات . فإذا أردت استخدام معلومات مستمدة من بعض الصحف (أو المجلات مثل مجلة "التسويق" أو مجلة "الحياة الريفية") فلا بد أن تفكر كيف يمكنك الاعتماد على دقة المعلومات التي تحتويها تلك المقالات ، واضعاً في اعتبارك أن الهدف الأول لتلك المجلات هو تحقيق الربح من وراء بيع تلك الصحف ، والمجلات ، والإعلانات . ومع ذلك فإن الميزة الأساسية للمجلات أنها تنشر مادة معاصرة ، وبذلك يمكنها أن تضعك في صورة الأحداث والقضايا الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وفي مشكلات السياسات العامة والممارسة يوماً بيوم . أما الصحف فتتميل إلى التركيز على تلك الجوانب من القضايا والأمور التي تتسم بقدر خاص من الطرافة أو الإشكالية ، ومن ثم يمكنك من التعرف على القضايا ، وعلى الناس ، وعلى تقارير البحوث وغيرها مما تستطيع أن تتابعه بنفسك فيما بعد .

ومن المهم أن تدرك أن هناك بعض المصادر الأخرى التي يمكن اعتبارها تراثاً حول الموضوع . فإذا وسعنا تعريفنا قليلاً بحيث يستوعب المادة المتاحة في المجال العام ، فسوف تتوفر لنا عدة مصادر أخرى ، كبرامج التلفزيون والراديو ، وشرائط

الفديو، والتسجيلات الصوتية^(*)، وأجهزة الاتصال المحمولة Podcasts، وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال. فجميع هذه المصادر واعدة بقدرتها على تزويدنا بالمعلومات، ولكن لأنها ليست معروضة في قالب يمكن استخدامه مباشرة في معظم البحوث التي يجريها الطلاب، فلا بد لمستخدم هذه المصادر أن يعمل فكره في الطرق الممكنة لمعالجتها بحيث تكون صالحة لأن يستخدمها في بحثه (من ذلك مثلاً أن تقرر في النهاية اختيار تدوين أجزاء من المادة المسجلة التي تحتوى مقابلة إذاعية أو فيلماً تلفزيونياً تسجيلياً).

تقارير المؤسسات والهيئات

هناك نوع من التراث المنشور حول الموضوع غالباً ما يتم إغفاله أو تجاهله هو تقارير المؤسسات والهيئات (انظر قائمة المصطلحات). ويشير هذا المصطلح "Grey Literature" إلى تلك الوثائق التي تعدّها بعض المنظمات أو الشركات، أو يتم إعدادها لحسابها. وتكون مثل هذه التقارير عادة في صورة مطبوعة (وبعضها الآن متاح - في بعض الأحيان على المواقع الإلكترونية لتلك المنظمات أو الشركات)، ولكنها

(*) تمثل مثل هذه التسجيلات مصدراً مهماً للباحثين في كثير من المجالات بدءاً من البحوث والدراسات السياسية ومروراً ببحوث الصحة والعلاج وصولاً إلى دراسات التراث الشعبي (من أدب شعبي ومعتقدات وعادات شعبية... إلخ). وتتعاظم أهميتها في المجتمعات التي تغلب عليها الأمية وتسودها الثقافة الشفهية ويقل فيها توافر المصادر المدونة، خاصة تلك التي يدونها عموم الناس (كمذكرات الإنفاق المنزلي للأسرة، والمذكرات الخاصة... إلخ مما هو متوفر بكثرة في المجتمعات الغربية). ومن تلك التسجيلات: تسجيلات المحاضرات العامة أو بعض الخطب السياسية الحزبية أو غير الحزبية، وتسجيلات الحكايات والسير الشعبية، وبعض تسجيلات لأحداث أو برامج إذاعية قديمة أو ذات أهمية خاصة، كأحداث مع طه حسين، أو عباس العقاد، أو نجيب محفوظ مما يمكن أن يلقي الضوء على أعمالهم ورواهم الفكرية وكذلك على المناخ الفكري في عصرهم. ومن أهم وأخطر هذا النوع من المصادر تسجيلات خطب الجمعة والدروس الدينية وجلسات الوعظ التي وصل الأمر إلى حد طباعها بالملايين وبيعها للناس، فهي لدارس هذه الموضوعات مصدر لا غنى عنه. (المترجم)

عموما ليست متاحة لعموم الناس في المجال العام^(*). (وفي المملكة المتحدة أتاح صدور قانون حرية المعلومات الذي صدر عام 2000 إمكانية الاطلاع على كثير من هذه الوثائق بسهولة أكبر، وإن كان ذلك يمكن أن يتم بمقابل مادي). وإن كانت هناك ثمة مشكلات تكتنف مثل هذا الاطلاع منها مثلا: أنك لا بد أن تكون على علم أصلا بوجود مثل هذه الوثيقة، أو أن تستطيع - على الأقل - توجيه سؤال حذر ودقيق لكي تتمكن من الحصول على المعلومات التي تريدها، وتمثل هذه التقارير - عموما - مصدرا ثريا بالمعلومات لأولئك الذين يدرسون القطاع العام أو عمليات تنفيذ السياسات، وغيرهم من الدارسين أيضا.

الوثائق الرسمية

قد تفرض عليك طبيعة موضوع بحثك وميدان تخصصك العلمي أن تدخل ضمن مراجعة التراث المنشور بعض الوثائق الكثيرة المتنوعة التي تصدرها الحكومة وغيرها

(*) هذا النوع معروف في مصر، وفي بعض البلاد العربية، منذ فترة غير بعيدة، ولكنه أخذ في الانتشار والتزايد في الآونة الأخيرة، وسوف يزداد عددا ويتحسن نوعية كلما ذاعت وترسخت قيم الشفافية والمحاسبة في المجال العام، سياسيا كان أم اقتصاديا أم غير ذلك. ومن أهم هذا النوع من المصادر تقارير الأمن العام التي تصدرها وزارة الداخلية سنويا، لأنها المصدر الأساسي لدراسات الإجرام والانحراف والأحداث والتسول... إلخ. وبديهي أن هذا النوع من التقارير محدود التوزيع، ولا يسمح بالاطلاع عليه إلا للمختصين، ومع ذلك فمع تصاعد مناخ التعقيم السياسي وعدم الشفافية في السنوات الأخيرة من حكم مبارك حجبت تقارير الأمن العام عن العامة والخاصة على السواء.

ومن هذه التقارير ما تصدره البنوك، خاصة البنك المركزي (الذي تحوى تقاريره بيانات مفصلة عن الإنفاق العام، والتجارة الداخلية والخارجية، والديون المحلية والخارجية... إلخ) وهي لازمة إلى أقصى حد لكثير من الباحثين.

ومنها أيضا تقارير المجالس الخاصة العليا كالمؤسسة المعروفة باسم «المجالس القومية المتخصصة»، والمجلس القومي للمرأة... إلخ، وكذلك تقارير بعض الهيئات شبه الحكومية كالمجلس القومي لحقوق الإنسان، أو منظمات المجتمع المدني، أو كبرى الشركات في شتى مجالات الإنتاج والخدمات... إلخ. وكثير من هذه التقارير محدود أو مقيد التوزيع، وهذا أمر بديهي بالنسبة لقلّة انتشار قيم الشفافية. (الترجم)

من المؤسسات الرسمية. وتشمل هذه الوثائق تلك المتعلقة بالسياسات المتبعة مثل قرارات البرلمان، وتقارير اللجان الملكية^(*)، والتوجيهات والقواعد التنفيذية، والبيانات البيضاء^(**)، والبيانات الخضراء^(***)، وتقارير لجان الفحص والمراجعة، وبحوث الهيئات الحكومية، وما إلى ذلك.

تقارير البحوث

من أهم أسباب مراجعة التراث المنشور حول موضوعك أن تتبين وتتعلم مما توصلت إليه البحوث التى أجراها باحثون آخرون حول مجال الموضوع الذى تدرسه. ويشمل هذا النوع من البحوث البحوث الأكاديمية التى تجرى فى الجامعات، والبحاث التى يجريها الباحثون فى المؤسسات البحثية المختلفة (مثل مؤسسة جوزيف راونترى)، والتى يجريها الباحثون العاملون فى عديد من المؤسسات العامة والخاصة والقطاع التطوعى. وسوف تتبين أن بعض تلك البحوث ينتمى بالفعل إلى نوعية "تقارير المؤسسات والهيئات" ذات النشر المحدود، ومن ثم لن يتم الاطلاع عليها إلا بعد الاتصال بالمؤسسة المعنية أو زيارة مواقعها على شبكة الإنترنت. فى حين ستجد أن بحوث المؤسسات الأخرى - كذلك التى تصدرها مؤسسة جوزيف راونترى (www.jrf.org.uk) - متاحة بكل سهولة على مواقع تلك المؤسسات على شبكة المعلومات.

وهناك نوع آخر من تقارير البحوث هو الرسائل التى تقدم لنيل الدرجات الجامعية المختلفة. ويقوم بإعداد تلك الرسائل طلاب الجامعات بدءاً من رسالة البكالوريوس، مروراً برسائل الماجستير، ووصولاً إلى رسائل الدكتوراه، وهى أعلى درجة علمية

(*) اللجان الملكية Royal Commission لجان تقصى حقائق يشكلها الملك (فى المملكة المتحدة) بناء على طلب الحكومة لدراسة موضوع معين. ويُنظرها فى الولايات المتحدة "اللجان الرئاسية" التى يأمر بتشكيلها الرئيس الأمريكى لدراسة موضوع معين. (المترجم)

(**) البيان الأبيض White Paper تقرير حكومى رسمى (فى المملكة المتحدة) عن موضوع معين يحوى معلومات أو مقترحات. (المترجم)

(***) البيان الأخضر Green Paper تقرير حكومى مبدئى (فى المملكة المتحدة) يحتوى على مقترحات للمناقشة فى موضوع معين. (المترجم)

تمنحها الجامعات . ومثل هذه الرسائل تكون متاحة لاطلاع عموم الناس ، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض رسائل الدكتوراه . ومع أن هذه الرسائل الجامعية قد تكون مفيدة إذا كانت تركز على مجال موضوعك ، فإنه يتعين عليك أن تتعرف على مستوى الدرجة التي أجيّزت بها الرسالة ، كما أنك لن تستطيع أن تعرف شيئاً عن التقييم العلمى للرسالة .

الإنترنت

من المهم - أولاً وقبل كل شيء - التمييز بين أنواع "التراث المنشور" التي ستجدها على شبكة الإنترنت .

نلاحظ - أولاً - أن كثيراً من أنواع مصادر التراث المنشور ، التي عرضنا لها فيما سبق ، أصبحت متاحة الآن على شبكة الإنترنت ، وقد تجدها أحياناً بنفس القطع الذي كان يمكن أن تصدر به فى صورة ورقية . من ذلك على سبيل المثال كثير من المجلات والدوريات الأكاديمية ، وتقارير البحوث سوف تجدها متاحة على شبكة الإنترنت ، ومن ثم يكون الاطلاع عليها أسيراً كثيراً مما كانت عليه الأحوال فى الماضى ، بل إن بإمكانك تحميل بعضها على جهاز الكمبيوتر الخاص بك ، وبذلك تحتفظ بها للرجوع إليها مستقبلاً عند الحاجة .

كما نلاحظ - ثانياً - أن بعض التراث المنشور الذى تريد أن تستخدمه ليس متاحاً إلا على شبكة الإنترنت . فهناك على سبيل المثال بعض الوثائق الرسمية التى ليست متاحة إلا على المواقع الحكومية على الشبكة ، بل إنه قد يتعذر أحياناً العثور عليها عن غير هذا السبيل .

الأمر الثالث أن بعض مواقع الإنترنت تمثل هى نفسها جزءاً من التراث المنشور التى يتعين عليك مراجعته . من تلك المواقع مثلاً: مواقع بعض الهيئات مثل "جمعية رعاية المسنين" ، و "جمعية الألزهايمر" ، و "المعهد القومى للتميز الإكلينيكي" (وجميعها فى المملكة المتحدة) ، وتحتوى جميعها على مادة مهمة وقد تكون وثيقة الصلة بموضوع يتعلق مثلاً بآثار مرض "عته الشيخوخة" على كبار السن ، وأن تلك المعلومات قد لا تكون متاحة بأى صورة أخرى غير تلك .

الملاحظة الرابعة أن شبكة الإنترنت تتيح لك البحث عن المعلومات المتوفرة في موضوعك في عدد غير محدود من المصادر كتبها طائفة متنوعة من المؤلفين من شتى بقاع العالم. معنى ذلك أن البحث على الشبكة يمكن أن يقودك إلى آلاف المواقع التي يحتمل أن تكون مفيدة لك، ومن ثم يتعين عليك بذل كل جهد وعناية لتحديد أيها سيفيدك بالفعل. وسبب ذلك أن الشبكة تحوى كما هائلا من المعلومات. وبإمكان محركات البحث أن تدلك على مئات آلاف المراجع حول أى موضوع، حتى ولو كنت تستخدم أحد محركات البحث المتخصصة فى البحوث الأكاديمية، مثل محرك "جوجل سكولار" Google Scholar. ولا يستطيع أى إنسان أن يجد الوقت اللازم لتصفح أو تقييم كل البيانات التي يحصل عليها، ولذلك قد تغفل بسهولة بعض الأعمال المهمة، أو أن تنجرف نحو بعض المواقع غير الدقيقة أو حتى المضللة.

لذلك عليك أن تنتبه إلى ما يلى:

- تعتمد معظم محركات البحث إلى عرض موادها وفق ترتيب المواقع الأكثر رواجاً (وكذلك بعض المواقع التي تدفع أموالاً لكى تحظى بمركز متقدم على هذا الترتيب). ومما يؤسف له أن ذلك لا يعنى فى كل الأحوال أن المواقع المتقدمة فى هذا الترتيب هى الأكثر دقة.
- سوف يوفر لك البحث العام فى الشبكة معلومات من عدد كبير من المصادر والبلاد المختلفة. وكثيراً ما يمثل هذا الوضع مشكلة للباحثين: كيف للباحث أن يعرف مدى ارتباط تلك المعلومات بموضوع بحثه؟ وحتى لو حصرت نطاق بحثك فى الوثائق المنشورة باللغة الإنجليزية، فمن غير المحتمل أن تكون المادة المتعلقة بنظم التوظيف فى استراليا مرتبطة بشكل مباشر ببحثك عن التوظيف فى المملكة المتحدة.
- بوسع أى إنسان أن ينشر أى شيء على الإنترنت. من ذلك مثلاً موسوعة "ويكيبيديا" Wikipedia على الشبكة تنسم بأن المادة التى تتضمنها تكون من وضع وتحرير زوار الموقع الذين يستخدمونه، وطبيعياً فى مثل هذه الحالة أن بعض هذا المحتوى لا يتصف بالمستوى المنشود من الدقة. حقيقة أن مثل هذه المواقع يمكن أن تمثل مؤشرات مفيدة للبحوث أو للباحثين الذين يعملون فى مجال موضوعك، ولكن بشرط أن تتعقب التقارير البحثية أو الكتابات الأصلية، وألا يعتمد على المعلومات التى تنشرها مثل هذه المواقع.

ولا تعنى تلك الملاحظات أن الإنترنت ليست مفيدة للباحث . وإنما هي - على العكس - يمكن أن تكون مصدرا بالغ الأهمية للمعلومات إذا استخدمت بعناية . فعليك أن تتخذ موقفا حذرا ونقديا - وربما أحيانا متشككا بعض الشيء - فى بحثك عن مصدر تلك المعلومات . حقيقة أن مطلب الحذر يصدق على أسلوب استخدامك لكافة أنواع التراث المنشور التى يمكن أن نستفيد بها فى بحثنا . وننتقل فيما يلى على تأمل قضية التقييم النقدى للتراث المنشور حول الموضوع .

فكر فى هذا الموضوع

تقييم مواقع الإنترنت

لأن هناك عددا كبيرا من المواقع ومصادر المعلومات المختلفة على شبكة الإنترنت ، ولأن بوسع أى إنسان أن ينشر كل ما يريد من مواد على تلك الشبكة ، لذلك تبقى بعض الأسئلة الإضافية التى يتعين طرحها عند استخدامك تلك المواقع :

- من الذى قدم هذه المعلومات ؟ فرد أم مؤسسة ؟
- لماذا قدم هذا المصدر تلك المعلومات ؟
- هل يحوى هذا الموقع بيانات عن مؤلفى تلك المعلومات وعن ناشرها ؟
- متى طرحت تلك المعلومات على هذا الموقع ؟
- متى نشرت تلك المعلومات لأول مرة على الشبكة كلها ؟
- هل يتم تحديث هذا الموقع بكثرة ؟
- هل سيقى هذا الموقع إلى الغد ؟
- أين تم الحصول على تلك المعلومات ؟
- ممن تم الحصول على هذه المعلومات ؟

يمكنك استخدام "الأداة الموحدة لتحديد مصدر المادة المنشورة على الإنترنت" (*)، أو الاستعانة بعنوان الموقع للوقوف على حقيقة مصدر المادة المنشورة.

الأداة الموحدة لتحديد مصدر مادة الإنترنت

ستزودك هذه الأداة الموحدة بفكرة عن:

- المؤسسة أو الهيئة التي تمتلك هذا الموقع.
- نوع هذه المؤسسة أو الهيئة.
- الدولة التي توجد فيها هذه المؤسسة (وإن كان يحدث أحيانا أن تكون المؤسسة في داخل الدولة التي تنشر هذا الموقع).

المؤسسات والهيئات

غالبا ما يكون اسم المؤسسة أو الهيئة هو المقطع الأول من العنوان الإلكتروني، على حين يكشف المقطع الأخير من العنوان عن نوعية تلك المؤسسة. من ذلك مثلا:

- المواقع الأكاديمية : .ac.uk or .edu.
- المواقع التجارية : .co.uk or .com
- مواقع المؤسسات والهيئات التطوعية وغيرها من المؤسسات غير الهادفة إلى الربح : .org.uk or .org
- المواقع الحكومية : .gov.uk or .gov

الدول

يدل المقطع الأخير من العنوان عادة على الدولة التي نشأ فيها الموقع أصلا (ماعدا الولايات المتحدة التي ليس لها ذكر يدل عليها في العنوان الإلكتروني)، من ذلك مثلا:

- المملكة المتحدة = .uk
- أستراليا = .au
- كندا = .ca

(*) URL = Uniform Resource Locator .

التقييم النقدي للتراث المنشور

عن الموضوع

هناك مرحلتان لتقييم التراث المنشور للتأكد من أن هذا العمل سوف يفيدك فى تطوير أفكار بحثك. المرحلة الأولى يتعين عليك أن تقدر فيها قيمة هذا العمل فى ضوء مصدره والهدف منه. وجوهر التساؤل فى هذه المرحلة يدور حول من كتب هذا العمل، ولماذا كتبه؟ أما المرحلة الثانية فتتعلق بالنظر فى محتوى العمل فى ضوء المعلومات والأفكار التى يحتوئها.

ما: الاتجاه النقدى؟

هو طريقة حكمنا (من واقع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظتنا) على قيمة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلخ مما يتضمنه العمل موضوع التقييم.

وعندما نصف تقييماً بأنه «نقدى» فإننا لا نعنى أى معنى سلبى: وإنما نقصد «التقييم» وحسب. وطبيعى أن نتأمل أحد أشكال هذا التراث المنشور-الذى سبق أن عرضنا له - وعندها سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التى يتوجب عليك أن تتفحصها ونتأملها.

ما الهدف من وضع العمل المنشور؟

لكى نقف على حقيقة الهدف من وراء تأليف أى عمل من أعمال التراث المنشور، سواء كان ورقة بحثية، أو تقريراً علمياً، أو فيلماً تلفزيونياً وثائقياً؛ لكى نقف على الهدف يتعين علينا طرح بعض الأسئلة عن مؤلف هذا العمل أو منتجه، ثم نطرح بعضاً من هذه الأسئلة علينا نحن. بديهى أننا لا نستطيع أن نسأل المؤلف أو منتج العمل مباشرة عن هدفه، ولذلك يتحتم علينا أن نمعن النظر فى التعرف على مصدر العمل، ونتأمل فى أسباب وضعه وكيف تم وضعه أو إنتاجه على هذا النحو تحديداً. وما المعلومات أو الخبرات التى استعان بها الكاتب أو المنتج فى إعداد هذا العمل؟، وهل تم الإفصاح بوضوح عن القضايا التى تناولها؟ وهل تم تناولها فعلاً؟ بعد ذلك عليك أن تسأل نفسك

لكي تتعرف على جدوى هذا العمل لك في ضوء تساؤلات بحثك ، مستخدما ما لديك من معلومات وخبرات لتقدير قيمة مثل هذا العمل بالنسبة لك كباحث .

أسئلة يتعين توجيهها	
إلى المؤلف أو المنتج	وإلى نفسك
لماذا كتبت هذا العمل؟	لماذا أقرأ هذا العمل؟
لن كتبت هذا العمل ؟	هل هذا العمل موجه «لي»؟
ماذا كان هدفك من وراء ذلك؟	ماذا أبغى الحصول عليه من هذا العمل؟
ما التساؤلات التي طرحتها في عملك؟	ما التساؤلات التي يمكن أن أ طرحها؟
ما الإجابات التي توصلت إليها؟	هل يمكنني العثور على إجابات موثوق بها؟
ما الشواهد والبراهين التي استندت إليها؟	هل أنا أقبل الشواهد والبراهين المعروضة؟
ما النتيجة التي انتهت إليها؟	هل أوافق على النتائج التي انتهت إليها؟

إن من شأن طرح تلك التساؤلات أن يعينك على معرفة نوع المصدر الذي عثرت عليه ، والوقوف على سبب تأليفه أو إنتاجه . أما طرح الأسئلة على نفسك فمن شأنه أن يساعدك على أن تقرر ما إذا كنت سترجع إلى هذا العمل وتستخدمه كواحد من تراث الموضوع الذي ستعرض له ، وعلى أن تحدد كيفية استخدامك له .

<p>بحثك</p> <p>اختر كتابا ، أو مقالا منشورا في مجلة علمية ، أو تقريرا في صحيفة مما يتعلق بموضوع بحثك ، واطرح بشأنه الأسئلة الموجهة - اقتراضيا - إلى المؤلف ، وتلك الموجهة إليك .</p>

ما موضوعات الأعمال المنشورة حول موضوعك؟

وما مدى فائدتها لتفكيرك في بحثك؟

سوف تعتمد الأسئلة التي ستطرحها بشأن مضمون العمل المنشور ضمن تراث الموضوع على نوع المصدر الذي تكون بصدد تقييمه. فمن المصادر التي يرجح أن تتضمنها التراث الذي ستعرض له البحوث الأخرى التي أجريت في مجال اهتمامك. في هذه الحالة سوف يهيكلك بشكل خاص أن تعرف لماذا وكيف أجرى هذا البحث؟، وعندها ستجد نفسك تطرح عددًا من الأسئلة التي ستساعدك على فهم هذا العمل فهما كاملا. وطبيعي أن تلك الأسئلة سوف تختلف من مقال لآخر، وذلك تبعًا لنوع البحث الذي يتناوله المقال. ويجدر بك أن تتذكر في هذا المقام أن عملية تحرير المجلة وحدود الحجم المفروضة على العمل المطبوع يمكن أن تؤدي أحيانا إلى أن بعض عناصر المشروع لا يتم عرضها بمقدار التفصيل الذي كنت تتوقعه. ذلك أنه عند نشر تقرير البحث في صورة مقال في مجلة علمية - مثلا- فإن المجلة لا تركز إلا على جانب واحد فقط من جوانب البحث، وقد ينصب المقال برمته على مناقشة النتائج التي انتهت إليها البحث دون الحديث مفصلا عن الجوانب المنهجية مثلا.

وعلى هذا يمكنك أن توجه إلى نفسك الأسئلة التالية:

- هل أهداف البحث وغاياته واضحة؟
- هل قام المؤلف بشرح فروضه، وتساؤلات البحث، والنظريات التي سيعتمد عليها؟ (راجع الفصلين 2 و4 من الباب 1).
- هل واضح من الذي أنفق على البحث (أى هل هناك احتمال وجود تضارب مصالح)؟
- هل تم عرض تساؤلات البحث وتعريفاته الإجرائية بشكل جلي؟ (انظر الفصل 4 من الباب 1).
- هل الجوانب المنهجية للبحث واضحة وملائمة للموضوع؟ وقد يشمل هذا التساؤل أيضا طرح أسئلة عن الموضوعات الآتية:

- مناقشة القضايا الأخلاقية (انظر الفصل 5 من الباب 1).
- تفسير يبرر تصميم البحث على هذا النحو (انظر الفصل 3 من الباب 2).
- شرح ومناقشة للأدوات المستخدمة في جمع البيانات ولعمليات تحليل البيانات (من ذلك مثلاً: هل تم إجراء دراسة استطلاعية، سلامة التحليلات الإحصائية التي أجريت).
- تعريف المتغيرات (حسب الأحوال).
- تصميم عينة البحث وعمليات اختيارها (انظر الفصل 5 من الباب 2).
- مناقشة أدوات البحث المستخدمة (مثل: الاستبيان دليل المقابلة . . . إلخ)، وما أدخل عليها من تطوير وتعديل.
- هل تمت مناقشة القيود والحدود المنهجية المفروضة على البحث؟
- هل النتائج التي تم التوصل إليها مفهومة، وهل نوقشت على النحو الملائم؟
- هل خلاصة البحث واضحة؟
- هل نوقش موضوع إمكانية تعميم نتائج البحث (بمعنى تطبيقها على مجتمع البحث بأكمله وليس على أفراد العينة فقط)؟
- هل هناك صلات واضحة بين النتائج ومنظور البحث؟
- هل جرت مناقشة دلالات النتائج؟ (من ذلك مثلاً: هل هناك ثمة حاجة لتغيير السياسة المتبعة بسبب ما انتهى إليه البحث؟).

بحثك

استعرضنا في الفصل 1 من الباب 1 بعض اختبارات جودة البحث، وتجدها معروضة بشكل أكثر تفصيلاً ووضوحاً في الفصل 3 من الباب 2. والمطلوب منك عندما تكون بصدد عرض أعمال التراث المنشور عن موضوعك أن تستخدم هذه الاختبارات للحكم على جودة البحث الذي ستستعرضه.

لاحظ أنه ليست كل المصادر التي ستعثر عليها ستركز على موضوع بحثك بالذات ، وفي هذه الحالة سيكون عليك الاستعانة بمجموعة مختلفة قليلا من الأسئلة التي ستتيح لك تقدير مدى فائدة هذا المصدر لك . ونورد فيما يلي بعض الأسئلة المقترحة في هذا الصدد:

- هل أهداف الكتاب ، أو المقال ، أو البحث ، أو البرنامج واضحة؟
- هل قدم المؤلفون شرحاً لأسباب كتابة هذه المادة أو إنتاجها؟ هل يتسم المؤلفون بمهارات أو اهتمامات أو خبرات خاصة؟
- هل هذا العمل مكتوب من منظور معين ، أم أنه يتضمن عرض مختلف وجهات النظر؟
- هل يحيلك هذا العمل إلى مؤلفين ، أو إلى مقالات ، أو بحوث أخرى؟
- هل القضايا والمسائل الأساسية مفهومة وواضحة ، وهل تمت مناقشتها مناقشة وافية؟
- هل تم تقديم الشواهد والبراهين التي تؤيد الأحكام التي تم التوصل إليها؟ وهل الدليل المقدم نفسه جدير بالتصديق؟ وهل في إمكانك الوصول إليه ومعرفته؟
- هل توصل العمل إلى أية نتائج؟
- هل جرت مناقشة لدلالات النتيجة (أو النتائج) التي خلص إليها العمل؟ (من ذلك مثلا: هل يقترح العمل إجراء تعديلات معينة في السياسات أو الممارسات المتبعة؟ هل تتنبأ تلك النتائج بأحداث أو مواقف معينة؟).

وهكذا يمكن القول باختصار أن التناول النقدي لأحد مصادرك أو تقييمه إنما هو عبارة عن طرح بعض التساؤلات بشأنه . على أنك قد لا تستطيع أن تجيب لنفسك على كل التساؤلات التي طرحتها في ضوء ما جمعت من معلومات ، كما أن بعض إجاباتك على هذه التساؤلات قد لا تكون مرضية لك . غير أن هذا لا يعنى أن مثل هذا المصدر أو غيره يجب ألا يستخدم في البحث . وإنما الأصح أن ذلك الموقف يعنى أن عليك التزام الحذر عند استخدام معلومات يحويها هذا المصدر ، كما يعنى أن تتأكد من عرض نواحي الضعف وكذلك نواحي القوة التي يتسم بها هذا المصدر في ثنايا عرضك للتراث .

البحث عن التراث المنشور عن الموضوع

نقاط البدء

تكون نقطة البداية عادة هي القراءة عن خلفيات الموضوع ، انطلاقاً من معلوماتك الأولية عنه . من هذا -مثلاً- أنك إذا كنت بصدد إجراء بحث عن أسباب الفقر في مرحلة الطفولة ، فالأرجح أن تنطلق في قراءتك من أحد الكتب المدرسية الأساسية ، مثل : «دليل الطالب إلى السياسة الاجتماعية» (من تأليف ألكوك Alcock وزملائه ، 2008) . فمثل هذا الكتاب سيعرفك ببعض القضايا ويزودك ببعض الأفكار المهمة عن موضوعي: الفقر ، والطفولة . كما سيوحى إليك ببعض الأفكار الطريفة ، وسيزودك بقائمة من المراجع التي يمكنك الاستزادة منها . ولو سلكت هذا النهج في العمل ، فمن الأرجح أنك ستتعرف على أسماء مجموعة من الكتاب البارزين في هذا المجال . بعد ذلك يمكنك أن تبحث عن الأعمال التي ألفها هؤلاء الكتاب بعدة سبل مختلفة . والأغلب أنك ستستعين بقوائم الكتب وقواعد البيانات الإلكترونية لمعاونتك في البحث عن هذه الأعمال ، كما ستلجأ - في هذا البحث الإلكتروني - إلى استخدام ”الكلمات المفتاحية“ للمساعدة في العثور على الكتب ، والمقالات ، والمواد الإعلامية . . . إلخ التي تتعلق بموضوع بحثك .

ما: الكلمة المفتاح (الكلمة المرشدة) Keyword؟

الكلمات المفتاحية هي المصطلحات التي توجه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبات العامة ، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه . ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عناية ، وأن تربط بين أكثر من كلمة لكي تضيق نطاق البحث .

وتتيح لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: "&" أو "+" أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية . كما تسمح لك باستخدام OR أو "/" للاختيار بين كلمتين مطلوبتين) ولذلك يجب أن تتأكد مقدماً ما هي الأدوات (أو العلامات) التي تصلح للنظام الإلكتروني الذي تستخدمه .

1 - قوائم المكتبات العامة: هي نقطة البداية الصحيحة دائماً. ومعروف أن غالبية قوائم المكتبات العامة الآن موضوعة على قاعدة بيانات، ولذلك أصبح استخدامها سريعاً وسهلاً. كل ما عليك هو أن تبحث باستخدام الكلمات المفتاحية، أو باستخدام أسماء المؤلفين، أو حتى بالبحث عما هو منشور في تاريخ معين. ويمكنك أن تربط بين سبل البحث هذه كلها إذا كنت تستخدم نظاماً حديثاً يتسم بالمرونة.

2 - الكتب المدرسية، والمجلات العلمية وغيرها من المواد المطبوعة: معروف أن قوائم المكتبات العامة سوف تدلك على مصادر مطبوعة وأخرى إلكترونية. ولا شك أن مراجعة الكتب المدرسية والمقالات المنشورة في المجلات العلمية ستدلك على المصادر التي رجع إليها مؤلف الكتاب أو المقال، ولذلك سيكون ذلك وسيلة عظيمة الفائدة لتوسيع نظرتك إلى موضوع بحثك.

3 - قواعد البيانات الإلكترونية: ويلاحظ أن قواعد البيانات هذه تكون متخصصة، كل منها بمجال معين. من ذلك مثلاً "دليل ومستخلصات العلوم الاجتماعية التطبيقية ASSIA"، الذي يحوى أسماء مراجع ومستخلصات (المستخلص: موجز قصير لكتاب أو مقال) لمقالات المجلات العلمية. وهناك عدد كبير من هذه الخدمات. ويمكن القول إنه يتوفر - وقت كتابة هذه السطور - عدد من هذه الخدمات، نذكر منها:

- ISI Web of Knowledge: <http://wos.mimas.ac.uk/>
- BIDS (Bath Information and Data Services): www.bids.ac.uk/
- SSCI (Social Sciences Citation Index): <http://library.wellcome.ac.uk/>
- ASSIA (Applied Social Sciences Index and Abstracts)

ويمكنك الدخول عليها عبر مكتبة جامعتك.

(إذا كنت تدرس بإحدى الجامعات أو المعاهد العليا فعليك البدء باستخدام هذه الخدمات عن طريق المكتبة العامة لجامعتك أو معهدك. وبعض هذه المواقع يتطلب وجود ترخيص بالدخول تحصل عليه من مكتبة جامعتك. وفي كثير من الحالات تتوفر روابط من قاعدة البيانات لتحميل نسخة كاملة من المقال، أو التقرير، أو الكتاب الإلكتروني).

4- استشارة الخبراء: إذا كنت تدرس في مدرسة، أو معهد، أو جامعة، فالأرجح أن بين هيئة التدريس بعض "الخبراء" الذين يستطيعون إثراء تفكيرك في موضوع بحثك، بإلقاء أضواء جديدة عليه. كما أن طاقم العاملين بالمكتبة الجامعية، الذين يكونون عادة متخصصين في مجالهم، كثيرا ما يكونون على استعداد لإفادتك بخبراتهم.

مثال 1-2

أسباب فقر الأطفال: اختيار الكلمات المفتاحية

من المعروف أن اختيار الكلمات المفتاحية التي سيجرى البحث على هديها يتطلب قدراً من الخيال. وسبب ذلك ببساطة أننا لا نستخدم جميعنا نفس المصطلحات لوصف الموضوعات التي نود البحث عنها، كما أنه يحدث في بعض الأحيان أن يستخدم الباحثون والكتاب تعريفات مختلفة للمفاهيم المستعملة في كتاباتهم.

ويمكنك البدء باستخدام المصطلحات المفتاحية المتضمنة في سؤال بحثك، وهما في حالة مثل هذا البحث: "الطفولة" و"الفقر".

ولاشك أن البحث عن كل منهما على حدة سوف يأتي بعدد هائل من المصادر، التي قد تكون غير متصلة بموضوعك، من ذلك مثلاً أن البحث عن "الطفولة" وحدها قد يأتي لك ببحوث عن أمراض الأطفال، وعن النمو النفسي للأطفال، وأنشطة اللعب عن الأطفال ... إلخ.

كما أن البحث عن "الفقر" وحده قد يأتي لك ببحوث عن أوضاع الفقر في مختلف البلاد، وعن أنواع الفقر المختلفة، وأخيراً عن الفقر بين الكبار وبين الأطفال.

لذلك يكون من المفيد أن تبدأ بالربط بين المصطلحين عند البحث، وذلك باستخدام حرف العطف "AND"، لكي توضح أنك تريد البحث عن مصادر تشمل مصطلح "الطفولة و الفقر".

ولعلك تود بعد ذلك أن تركز البحث على "فقر الأطفال" في المملكة المتحدة، كإحدى الكلمات المفتاحية التي سوف تستخدمها.

على أنه سوف تتبقى - مع ذلك - بعض المقالات والبحوث التي قد تكون مفيدة لك ، ولكنها لا تتضمن مصطلح "فقر الأطفال" في عنوانها ، أو حتى داخل المقال نفسه . وربما يرجع ذلك إلى أن المؤلف قد استخدم في مقاله مصطلحات أخرى ، مثل "الأطفال الفقراء" ، وقد يرجع ذلك أيضا إلى أن المقال يدور حول موضوع وثيق الصلة بمجال بحثك ، ولكن بتوصيف آخر ، مثل: "أطفال الأسر الفقيرة" ، أو "الأطفال الذين يعيشون في مناطق محرومة" ، أو "أطفال الطبقات الاجتماعية الدنيا" . لهذا يتعين عليك القيام بمزيد من عمليات البحث .

وأخيرا هل أنت مهتم بالشباب بقدر اهتمامك بالأطفال؟ إذا كان الأمر كذلك ، فسوف تجد مصادر تتعلق أساسا بفئة "صغار السن" ، و"المراهقين" ، و"الشباب" ، وقد يكون بعضها مرتبطا بموضوع بحثك .

فكر في هذا الموضوع . . .

إذا كنت تجرى بحثا عن أنشطة وقت الفراغ الخاصة بكبار السن ، فما الكلمات المفتاحية التي سوف تستخدمها في البحث عن دراسات وبحوث أخرى عن هذا الموضوع؟

استراتيجية البحث عن التراث المنشور

بعد أن تبدأ في جمع بعض التراث المنشور وقراءته ، سيكون من المفيد أن تتأملها جيدا ، ثم تضع خطة للتعامل معها:

(أ) ما الذي تبحث عنه ، في ضوء الكلمات المفتاحية والموضوعات التي جمعتها؟

(ب) أي أنواع المصادر سوف تحرص على تضمينها في بحثك؟

(ج) كيف ستبحث عن موضوعك في تلك المصادر؟

والملاحظ أن طلاب البحث يفاجؤون في البداية إما بالوفرة الهائلة في عدد المصادر التي توصلوا إليها ، والتي بدا لهم أنها قريبة من موضوع بحثهم ، أو بالقلة الشديدة في عدد المصادر التي يمكن أن تكون مرتبطة بموضوعهم . وفي كلتا الحالتين يكون الوقت قد حان لأن تركز على الدراسات السابقة الأكثر اتصالا بموضوع بحثك أنت .

وأحد السبل الممكنة لتنفيذ ذلك أن تبدأ برسم شكل تخطيطى عنكوتى لمختلف عناصر موضوعك التى تريد أن يغطيها بحثك . والملاحظ فى أغلب الحالات أن هناك مجالين رئيسيين أو أكثر تدور حولها أسئلة بحثك . من ذلك مثلا: إذا كنت مهتما بدراسة العلاقة بين "فقر الطفولة" و "التحصيل الدراسى" (ربما متأثرا فى ذلك بالعناوين المنشورة فى الصحف ، والواردة فى برواز "البحث الواقعى" أدناه)؛ فى هذه الحالة يتعين عليك أن تراجع بدقة بعض الدراسات السابقة المتعلقة بفقر الأطفال وبالتحصيل الدراسى ، كل على حدة مبدئيا . على أنك قد لا تكون مضطرا إلى تفحص الدراسات السابقة المتعلقة بكل عنصر من عناصر الموضوعين . ويعرض المثال (2-2) بعض عناصر موضوعك التى يتعين عليك أن تضمنها موضوع بحثك . وستلاحظ فى هذا المثال أن الموضوعات الموضوعية على حافة الدائرة ستزودك بالمعلومات الأساسية والخلفية العامة لاستعراضك للتراث ، بينما تمثل الموضوعات القريبة من مركز الدائرة عناصر موضوعك التى يتعين عليك أن تركز عليها عندما تشرع فى تأمل العلاقة بين عنصرى البحث: فقر الأطفال والتحصيل الدراسى .

البحث الواقعى . . .

من موضوعات الإعلام : الحراك الاجتماعى فى بريطانيا ما زالت الثروة والتعليم الخاص هما مفتاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا

يرسم تقرير الحلقة النقاشية التى شاركت فيها كل الأحزاب - والتى رأسها الوزير السابق آلان ملبورن - صورة رهيبة لبلد تمثل فيه ثروة الأسرة ، والتعليم الخاص ، وأسبقية الالتحاق بالجامعات ؛ تمثل مفتاح الالتحاق بالمهن التخصصية العليا ذات الدخول العالية . . .

. . . وتدل التقديرات على أن ٢٩ ٪ فقط من طلاب الجامعات و ١٦ ٪ فقط من طلاب جامعات «مجموعة راسل» ينتمون إلى أوساط اجتماعية اقتصادية متدنية، رغم أن شباب تلك الأوساط المتدنية يمثلون ٥٠ ٪ من إجمالى عدد الشباب فى بريطانيا .

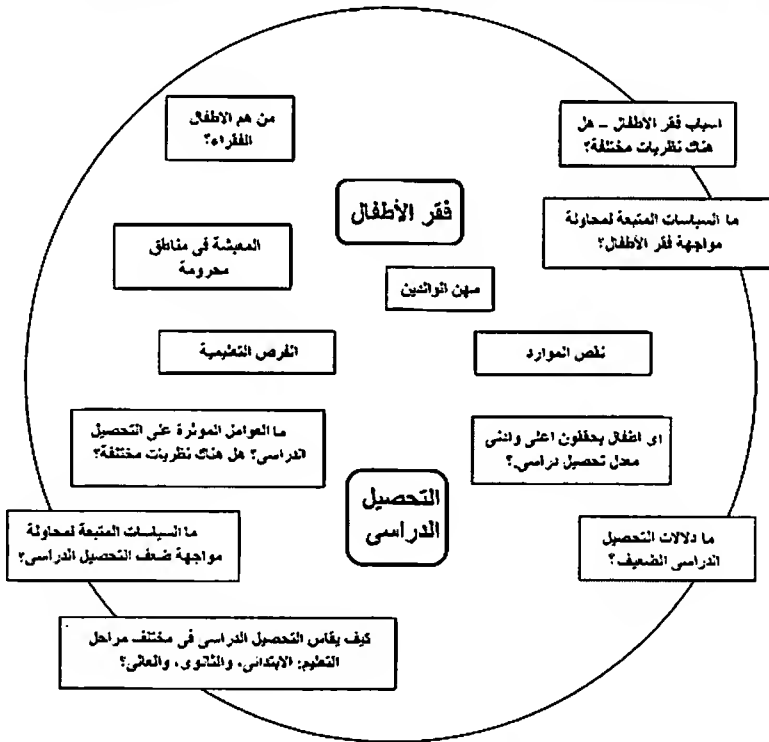
وتشير صحيفة «الجارديان» البريطانية في هذا المقال إلى تقرير لمجلس الوزراء صدر عام 2009 بعنوان «إطلاق الطموح: التقرير النهائي عن إتاحة فرص عادلة للالتحاق بالمهن التخصصية العليا»، الذي يمكن الرجوع إليه على الموقع التالي:

www.cabinetoffice.gov.uk/strategy/work__areas/accessprofessions.aspx

(آخر دخول على الموقع بتاريخ العاشر من أغسطس 2009).

المثال 2-2

فقر الأطفال والتحصيل الدراسي : البحث عن التراث المنشور



شكل (1-2) فقر الأطفال والتحصيل الدراسي

وستلاحظ أن أغلب عمليات البحث عن التراث المنشور تزداد تركيزاً وتحديداً كلما تقدم مسارها ، وكلما ازدادت درجة وضوح أسئلة البحث . ويجد كثير من طلاب البحث أن موضوع البحث المبدئي يكون شديد الاتساع والعمومية ، على نحو ما ترى في المثال الذى قدمناه عن فقر الأطفال والتحصيل الدراسى . وبعد العثور على الدراسات السابقة المتصلة بالموضوع ، والاطلاع عليها ودراستها؛ بعد ذلك تضيق وتحدد بؤرة البحث وتصبح أكثر وضوحاً . ففي المثال المعروض قد يقرر الباحث قصر موضوعه على مرحلة واحدة من مراحل التعليم - الابتدائى أو الثانوى أو العالى - كما قد يرى التركيز على دراسة خبرات أطفال إحدى جماعات الأقليات الإثنية . وقد يختار طالب آخر أن يركز بحثه على دراسة تأثير الفرص التعليمية فى إحدى المناطق المحرومة ، أو يركزه على أثر الوالدين - الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية اقتصادية مختلفة - على التحصيل الدراسى لأطفالهم . وهكذا ترى أن الشكل التخطيطى المعروض فى المثال (2-2) ليس سوى نقطة البداية فقط .

ولا شك أن اختيارك لموضوع البحث هو الذى سيحدد مختلف أنواع المراجع والمصادر التى قد تقرر تضمينها استعراضك للتراث المنشور . فاستعراض التراث الذى يركز على السياسات المتبعة قد يتضمن التعرض لبعض الوثائق الرسمية . أما إذا كان عرض التراث سيركز على القضية الاجتماعية الراهنة ، فسوف تحتاج فى هذه الحالة إلى البحث فى وسائل الإعلام المعاصرة للحصول على البيانات والتوجهات المطلوب عرضها . ولكن سيكون من المفيد ولا شك أن تبحث عن المصادر الممكنة للتراث المنشور ، فضلاً عن قوائم المكتبات العامة ، وقواعد البيانات الإلكترونية ، وذلك لكى تقرر فى البداية حجم ونوع التراث المنشور الذى يمكنك الوصول إليه .

وتأكد أن كل دراسة سابقة سوف تقودك إلى دراسة أخرى . ذلك أن كل كتاب ، أو مقال ، أو تقرير بحثى يتضمن - بطبيعة الحال - قائمة بالمراجع التى اعتمد عليها المؤلف فى عمله هذا ، وسوف تقودك هذه المراجع إلى مصادر أخرى .

الجوانب العملية لمراجعة التراث العلمي

القراءة

سبق أن أشرنا إلى أنك ستعثر على عدد كبير من المصادر التي يمكن أن تكون مفيدة لموضوع بحثك . وسيكون معنى هذا أن أمامك قدر هائل من المواد التي يتعين قراءتها خلال مدة زمنية قصيرة . لهذا يحسن تبني أسلوب مركز في القراءة ، إذ إن من شأن ذلك أن يساعدك على اختيار الدراسات الأكثر نفعا لك في بحثك ، وذلك بأن تركز في تلك الدراسات على أجزاء المقال أو فصول الكتاب أو التقرير التي ترتبط ببحثك مباشرة .

فكر في هذا الموضوع . . .

تبني أسلوب التركيز في القراءة

عليك قبل أن تبدأ القراءة:

• أن تلقى نظرة سريعة على الكتاب أو المقال إجمالا ، مع الانتباه إلى بنيته ، وعناوين موضوعاته .

• اقرأ أى مقدمات منشورة فيه ، وكذلك صفحات الملخصات (ملخصات الفصول أو الأبواب) وفهرس المحتويات .

• إذا كان العمل يحتوى على كشاف موضوعات ، فاستخدمه في معرفة الفصول التي يمكن أن تكون ذات فائدة لك .

• اسأل نفسك: لماذا أقرأ هذا؟

• قرر بعد ذلك ما الفصول أو الأجزاء التي ستقوم بقراءتها؟

ثم يتعين عليك بعد ذلك:

• اقرأ قراءة سريعة بدايات كل فقرة لتتعرف على اتجاه الفصل .

• حدد مرة أخرى: هل سيكون هذا الجزء مفيدا لي؟

• اقرأ الفصل/ أو الفقرة بعناية ، وفي ذهنك موضوع بحثك ، مع تدوين ملاحظات عن المادة المرتبطة ببحثك .

• لا تنس أن تدون أرقام صفحات النقاط أو الأفكار أو الاقتباسات التي قد تنوى استخدامها لاحقا . وانتبه إلى الأجزاء أو الفصول التي تنوى العودة إلى قراءتها فيما بعد .

• سجل بكل دقة بيانات المرجع المستخدم كاملة .

عملية التسجيل

من الواضح أنه لا مبرر لكل هذه القراءات وتقييمها ما لم تسجل كل ذلك بدقة ونظام . ولا يكفي إطلاقاً أن تقتنع بعمل قائمة بعناوين تلك الكتب وأسماء مؤلفيها . وأقل ما يمكنك عمله أن تسجل كل البيانات الببليوجرافية ، التي ستحتاج إليها فيما بعد عند إعداد قائمة المراجع أو قائمة ببليوجرافية بالبحوث المنشورة في الموضوع ، أو كتابة الفصل الخاص بالدراسات السابقة . ولتأكد من أنك تسجل كل المعلومات اللازمة ، يتعين أن تحدد في البداية نظام توثيق المراجع الذي يفترض أن تستخدمه ، وأن تحدد كذلك العناصر المعلوماتية اللازمة لإثبات المرجع بشكل واف .

على أن ذلك ليس سوى الحد الأدنى لما هو مطلوب منك ، إذ الأرجح أنك ستحتاج إلى تسجيل معلومات إضافية عن مصادر المادة (المراجع) ، والملاحظات التي دونتها ، وربما بعض الاقتباسات ، وبعض الآراء المحورية ، بحيث تستطيع العودة إليها فيما بعد عندما تشرع في كتابة فصل الدراسات السابقة . ولاحظ هنا أن تختار طريقة التسجيل التي تناسب أسلوبك في العمل كشخصية فردية . فهناك كثير من الناس يقنعون بنوع من نظام التسجيل الورقي . ويتوقف تعقيد هذا النظام وصعوبته على حجم المشروع ومدى تشعبه وتعقيده . فبالنسبة لإعداد مقال علمي ، سوف يعتمد غالبية الباحثين إلى استخدام مفكرة أو "نوته" عادية ، وقد تكون البطاقات المفهرسة أكثر جدوى بالنسبة لمن يعد رسالة جامعية للمجستير والدكتوراه .

وإلى جانب ذلك هناك طرق أخرى لتسجيل تلك البيانات ، كما أن هناك برامج كمبيوتر يمكن أن تساعد في ذلك . ومن أنواع هذه البرامج : Endnote ، Citation ، Bookends ، Bibloscape; Papyrus and Procite . فهذه كلها برامج جاهزة تحتوى على قواعد بيانات مصممة سلفاً ، يمكنك أن تدخل عليها معلومات عن المرجع الذي سوف تحتاج إليه عند الكتابة . ونقطة القوة في مثل هذه البرامج الجاهزة هي قدرتها على إخراج هذه المعلومات التي تتبع طرق أو أساليب إحالة مختلفة ، مثل نظام هارفارد أو نظام APA . ولكن مع كل المزايا فإنه يعيبها أمر مهم : فكل هذه البرامج الجاهزة مكلفة ، ويستغرق تعلمها وقتاً طويلاً . تأكد أولاً مما إذا كان مرخصاً لجامعتك أو كليتك باستخدام هذه البرامج ، بحيث يسمح لك باستخدامها مجاناً (أو بأسعار رمزية) بالنسبة لك كطالب .

ونحن لا نوصيك هنا باستخدام نظام معين ، ذلك أن المساعدة التي يقدمها الموقع يمكن أن تكون أكثر أهمية من المميزات الخاصة لهذا البرنامج أو ذاك . فالقلم والورقة أو البطاقة المفهرسة يمكن أن تخدمك بنفس الكفاءة ، لذلك ننصحك باستخدام النظام الذى يناسبك . ولا ننسى أن بعض الطلاب الذين لهم دراية بتكنولوجيا المعلومات قد يفضلون أن يصمموا قاعدة البيانات الببليوجرافية باستخدام عوامل مساعدة أخرى مثل برنامج قاعدة بيانات مايكروسوفت Microsoft's Access .

عرض الدراسات السابقة

بعد أن تفرغ من الاطلاع على الدراسات السابقة ، ستجد أمامك عدة طرق لتقديم هذا التراث ، وسيتوقف اختيارك على طبيعة مشروعك البحثى . فإذا كنت تعد بحثاً للتخرج من البكالوريوس ، أو رسالة للماجستير والدكتوراه سوف تناقشها لجنة علمية ، فى كلا الحالتين سيكون مطلوباً منك كتابة فقرة فى البحث أو فصل فى الرسالة لاستعراض التراث المنشور ومناقشته . أما إذا كنت بصدد كتابة تقرير عن بحث أجرته ، فطبيعى أن يختلف الأمر ، وقد يكون كل المطلوب هو أن تستخدم الدراسات السابقة فى موضوعك كخلفية أو مادة إيطارية للتقرير ، أو أن تذيّل تقرير البحث بقائمة ببليوجرافية مشروحة بالدراسات السابقة . وفيما يلى تتأمل بإيجاز كل أسلوب من هذه الأساليب .

عرض ومناقشة الدراسات السابقة

يمثل الفصل الخاص باستعراض الدراسات السابقة جزءاً أو فصلاً مهماً من بحث البكالوريوس أو الرسالة الجامعية ، ويأتى فى العادة قريباً من صدر البحث أو الرسالة ، بعد المقدمة وقبل فصل المنهج . ولب الموضوع فى فصل الدراسات السابقة أنه المكان المناسب لتطوير الأفكار العامة فى الموضوع بشكل مبدئى ، والتعمق فيها باستخدام الدراسات السابقة ، مع التركيز بشكل خاص على البحث الذى نكتب عنه . وبهذا يمثل فصل الدراسات السابقة حلقة الوصل بين مقدمة بحثك وتسؤلات هذا البحث وقضاياها المنهجية . وهناك عدة طرق مختلفة يمكن اتباعها فى استعراض الدراسات السابقة ، والطريقة الأوسع انتشاراً هى تقديم تعريف عام لموضوع بحثك ، بما فى ذلك استعراض الإطار التاريخى ثم الوضع الراهن للبحوث فى الموضوع ، وذلك قبل

الانتقال إلى إلقاء الضوء على مجالات بحثك بشكل متعمق ، وبذلك تتحول تدريجياً إلى التركيز على مجال البحث الذي تقوم بإجرائه .

ويقوم استعراض التراث على كتابة مناقشات موجزة ، أو مقالات مختصرة ، يكون التركيز فيها على المجالات الرئيسية لموضوعات البحث ، وتستمد من تلك الدراسات السابقة الشواهد التي تعتمد عليها في تأكيد الآراء التي تبديها . ومن الواجب أن تلتزم في عرض مادة الدراسات السابقة توجهها نقدياً ، وأن تتخذ جانب الحذر ، وأن تتبين قيمة المصدر الذي تستخدمه ، ونقاط القوة والضعف التي يتسم بها بالنسبة للعرض الذي تقدمه .

المثال 2-3

فقر الأطفال والتحصيل الدراسي

تنظيم استعراض الدراسات السابقة

1 - نظرة عامة على الإطار التاريخي لدراسة الموضوع وتحديد أهم القضايا المعاصرة .

2 - ما فقر الأطفال؟

(أ) الطرق المختلفة لتعريف الفقر .

(ب) أي أنواع الأطفال هم الذين يعانون من الفقر؟

(ج) ما نظريات تفسير أسباب فقر الأطفال؟

(د) ما الآثار الناجمة عن فقر الأطفال؟

3 - ما المقصود بالتحصيل الدراسي؟

(أ) كيف يتم قياس التحصيل الدراسي؟ وكيف يتم ذلك القياس في مراحل التعليم المختلفة؟

(ب) ما سمات أصحاب أعلى وأدنى الدرجات؟

(ج) ما العوامل التي تؤثر على تحصيل الطفل الدراسي؟

(د) ما عواقب ذلك بالنسبة لمعيشة أولئك الأطفال في فقر؟

4 - استعراض الدراسات السابقة التي تربط بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسي .

(أ) ما النتائج الرئيسية لتلك الدراسات ؟ وما القضايا التي جرى طرحها فيها ؟

(ب) ما قضايا السياسة والممارسة التي ترتبط بتلك العلاقات بين فقر الأطفال والتحصيل الدراسي؟

(ج) ما آثار تلك البحوث ، والسياسات ، والممارسات على الأطفال المنتمين إلى جماعة إثنية معينة من تلك التي تعاني الفقر في الطفولة؟

5 - استعراض النتائج حيث يتم المزج بين استعراض الدراسات السابقة وطرح أسئلة بحثك أنت .

عرض التراث المنشور كإطار

العادة أن عرض التراث في أى تقرير بحثي يكون أقصر كثيرًا ، وأنه سيركز بالأساس على الإطار العام للبحوث السابقة ، ولماذا اعتبرت دراسة مثل هذا الموضوع أمرًا ضروريًا ، وخلفيات تلك الدراسة . وفي هذه الحالة يتعين الإحالة إلى عدد من تلك الدراسات السابقة ، وعرض موجز لوجهات النظر الرئيسية التي طرحتها ، أو تقديم عرض موجز لنتائج تلك البحوث مع تقديم قائمة بالمراجع التي تمكن القارئ من الرجوع إلى تلك المصادر إذا رغب في ذلك .

القائمة الببليوجرافية المشروحة

قد تكون القائمة الببليوجرافية المشروحة لازمة كجزء من الرسالة الجامعية (للماجستير والدكتوراه) أو في بعض البحوث الأخرى . وهذه القائمة هي ببساطة

عبارة عن قائمة من المراجع التى تثرى دراسة موضوع معين ، ويعقب كل مرجع فقرة قصيرة تتضمن موجزاً مختصراً للدراسة ، أو نتائجها الرئيسية ، أو وجهات النظر التى تطرحها ، مع تقدير لقيمة كل ذلك بالنسبة لدراسة هذا الموضوع . وهكذا يتم تقييم كل مرجع على حدة ، إذ ليس هناك أى مناسبة لمقارنة نتائج الدراسات المختلفة ، أو استعراض الفروق بين المراجع الواردة فى القائمة .

عملية مراجعة التراث المنشور عن الموضوع

لاحظ أن مراجعة التراث عملية مستمرة ، وأنتك سوف تعود إليها فى مراحل مختلفة من البحث . فالقراءة الأولية للبحث السابق ستعمل على إثراء أفكارك عن موضوعك وتساعدك على بلورتها وبلورة أسئلة بحثك التى تنوى طرحها . (انظر الفصل 4 من الباب 1) . ثم يؤدى اضطراد البحث فى التراث والتدقيق فيه إلى المساعدة على توضيح مجال البحث والتركيز بشكل متزايد على تساؤلات البحث ، الأمر الذى سيمكنك من البدء فى تحديد تصميم البحث (الفصل 3 من الباب 2) ، والبت فى كيفية اختيار عينة البحث (الفصل 5 من الباب 2) ، وطرق جمع البيانات (الباب الثالث) . كما أن مراجعة التراث المنشور سوف تثرى تحليلك ، وتساعدك على التخطيط للنهج الذى ستتبعه فى التحليل ، وتحديد الموضوعات الأساسية أو القضايا التى ستحرص على التماسها وسط نتائج الدراسات السابقة (الفصل 1 من الباب 4) . وفى مرحلة مناقشة النتائج ستجد أنه من المفيد لك الرجوع إلى الدراسات السابقة لتستكشف من أى النواحي تختلف أو تتفق نتائج بحثك مع النتائج التى انتهت إليها الدراسات السابقة ، أو لكى يساعدك ذلك على تفسير نتائج بحثك فى ضوء النظريات والنتائج التى انتهى إليها الآخرون .

البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث:	----- ----- -----
--------------	-------------------------

القراءة الأولية:	----- ----- -----
------------------	-------------------------

<p>الشكل التخطيطي «العنكبوتي» يبيّن عناصر موضوعك</p>
--

الكلمات المفتاحية:	----- ----- -----
--------------------	-------------------------

<p>القوائم، وقواعد البيانات، وأدوات البحث:</p>	----- ----- -----
--	-------------------------

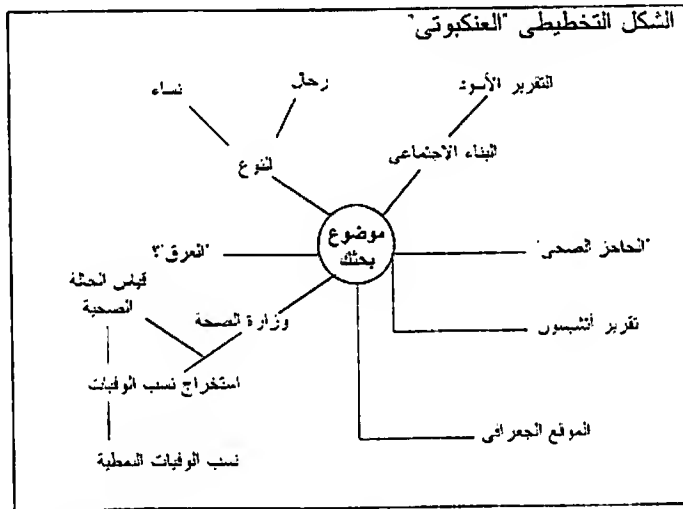
<p>خطة عرض التراث المنشور:</p>	----- ----- -----
------------------------------------	-------------------------

البحث عن التراث المنشور

موضوع البحث: عدم تكافؤ فرص الرعاية الصحية

القراءة الأولية: السياسة الصحية للمملكة المتحدة، العدد الخاص من صحيفة الجارديان بتاريخ 2/10/2009، التقرير الأسود 1980.

الشكل التخطيطي «العنكبوتي»



الكلمات المفتاحية: عدم تكافؤ الفرص
وزارة الصحة
الوفيات النسب
الصحة

القوائم، وقواعد البيانات، وأدوات البحث: Assia
Library Bids Medweb

خطة عرض التراث المنشور: التاريخ - القياس -
التقارير - القضايا المثارة حالياً

المراجع وقراءات للاستزادة

- Alcock, P., Erskine, A. and May, M. (eds) (2008) *The Student's Companion to Social Policy*, 3rd edn, Oxford: Blackwell.
- Berg, B. L. (2007) *Qualitative Research Methods for the Social Sciences*, Boston: Pearson Education.
- Hart, C. (1998) *Doing a Literature Review: Releasing the Social Science Research Imagination*, Buckingham: Oxford University Press.
- Hart, C. (2001) *Doing a Literature Search: A Comprehensive Guide for the Social Sciences*, London: Sage.
- Pole, C. and Lampard, R. (2002) *Practical Social Investigation: Qualitative and Quantitative Methods in Social Research*, Harlow: Pearson Education.
- Ticehurst, G. W. and Veal, A. J. (2000) *Business Research Methods: A Managerial Approach*, Frenchs Forest: Longman.
- Wintour, P. (2009) Britain's closed shop: damning report on social mobility failings, *Guardian*, 21 July.

الفصل الثالث

تصميم البحث

محتويات الفصل

- أوجه التشابه والاختلاف .
- العلاقات .
- كفى أم كى؟
- مستوى الدراسة ووحدتها .
- اختبارات جودة البحث .
- تصميمات البحث .
- استراتيجيات البحث .
- أى التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

ننتقل الآن من مرحلة التفكير فى اختيار موضوع البحث إلى مرحلة التفكير فى كيفية دراستك لهذا الموضوع . وتعتمد عملية تصميم البحث على جميع الاستعدادات التى قمت بها ، كما أنها ستفيدك فى وضع إطار شامل للبحث الذى ستجربه . وبناء على تصميم بحثك ستقوم باختيار طرق جمع البيانات التى سوف تستخدمها (الفصل 4 من الباب 2) وستحدد كيفية اختيار المبحوثين أو الحالات التى سيجرى دراستها (الفصل 5 من الباب 2) ، وذلك قبل وضع مقترح مشروع البحث (الفصل 6 من هذا الباب 2) .

تعنى عملية تصميم البحث أن تعود إلى تساؤلات بحثك (الفصل 4 من الباب 1) والتفكير فيما تأمل أن تفعله بالبيانات التي ستقوم بجمعها لكي تتمكن من الإجابة على تلك التساؤلات . وفي هذا الفصل سنتخذ مثالا للبحث موضوع: «الطلاب وتناول المشروبات الكحولية في مؤسسات التعليم العالي» .

البحث الواقعي

الطلاب وتناول المشروبات الكحولية في مؤسسات

التعليم العالي

نقلا عن أخبار هيئة الإذاعة البريطانية BBC بتاريخ 2008/3/31:

صرح اتحاد طلاب جامعة ليفربول أنه لن يشجع بعد الآن تقديم مشروبات كحولية مخفضة السعر تخفيضا كبيرا في حفلات السمر حرصا على صحة الشباب لتناولها .

نقلا عن صحيفة الجارديان بتاريخ 2009/3/27:

تلقت الحكومة طلبات برفع سعر المشروبات الكحولية، بعد أن أثبتت البحوث أن الشباب في المملكة المتحدة يعانون أعلى معدلات تعاطي المشروبات الكحولية في حفلات السمر، والسُّكْر، وسائر المشكلات المرتبطة بتعاطي الكحول على مستوى القارة الأوروبية .

المصدر: أخبار BBC [2008]، وسميثرز [2009].

ووفقا لسؤال بحثك وفروضك البحثية التي اخترتها، سيكون عليك أن تسعى إلى جمع البيانات التي من شأنها أن تساعدك على ما يلي:

(أ) وصف الموقف الراهن (أو الماضي): ويعنى ذلك هنا توضيح طبيعة ومقدار تعاطي المشروبات الكحولية بين مختلف الجماعات الطلابية وفي شتى الظروف .

(ب) تفسير أوجه الاختلاف والتشابه بين مختلف الجماعات الطلابية والظروف عن طريق وضع يدك على العلاقات العلية المحتملة.

(ج) استكشاف دلالات البيانات التي جمعتها للبحث عن الأسباب المحتملة للفروق

بين مختلف جماعات الطلاب والظروف ، وذلك سعياً وراء بلورة بعض الأفكار المتعلقة بأسباب تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية ، وآراؤهم فيما إذا كانوا يعدون ذلك «مشكلة» وأسباب ذلك .

ويمكن القول - على وجه العموم - إن ما ستفعله بيانات البحث الاجتماعي يندرج تحت فئتين اثنتين هما : البحث عن أوجه التشابه والاختلاف ، والبحث عن العلاقات؛ فهذان البندان يشكلان الأساس الراسخ لتصميم بحثك .

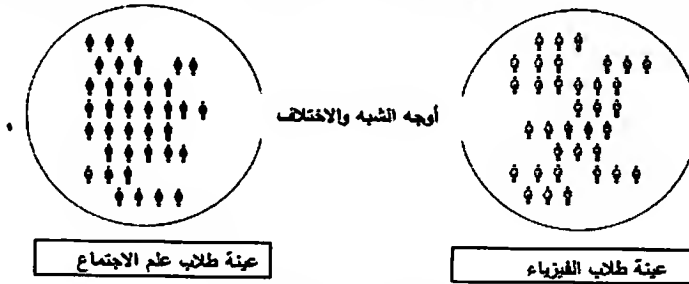
أوجه التشابه والاختلاف

عليك إما أن تختار البحث عن الفروق (أو أوجه الاختلاف) بين جماعتين أو أكثر من الأفراد أو الظروف ، أو تختار استكشاف التغيرات التي حدثت عبر الزمن . وفي كلا الحالتين سيكون عليك أن تجمع بيانات يمكن المقارنة بينها بخصوص الجماعات المختلفة ، أو الظروف المتباينة أو الفترات الزمنية المتتابة ، وذلك لكي تتمكن من اكتشاف الفروق أو التغيرات .

المثال 1-3

الطلاب والمشروبات الكحولية أوجه التشابه والاختلاف

قد تسعى إلى اكتشاف أوجه الاختلاف في كميات الكحول التي يتعاطاها الطلاب من عدة جامعات مختلفة ، أو طلاب التخصصات المختلفة ، أو في ظل ظروف مختلفة . من ذلك مثلاً أن تختار عينة من الطلاب الذين يدرسون علم الاجتماع ، وعينة أخرى من الطلاب الذين يدرسون الفيزياء ، ثم تحاول استكشاف أوجه التشابه والاختلاف بين الجماعتين الطالبيتين ، ثم تعمل على التفسيرات المحتملة لتلك التشابهات والاختلافات .



شكل (1-3) عينتان

العلاقات

تتمثل الخطوة التالية في أن تنتقل إلى البحث عن العلاقات بين السمات أو المتغيرات المختلفة، مثل : الفئات العمرية، والنوع، والانتماء الإثني، والدين، والوضع المالي... إلخ.

وعندما تكون بصدد البحث عن العلاقات، سيكون عليك أن تتفحص البيانات التي جمعت من عدد من الحالات لتضع يدك على أى مؤشرات تدل على وجود (أو عدم وجود) ارتباط بين بعض السمات والمتغيرات. وربما تعتمد إلى تأسيس هذا النوع من تصميم البحث بفرض يتصور العلاقة بين متغيرين. كما يمكنك - بدلا عن ذلك - أن تبلور سؤالا بحثيا يهدف إلى استكشاف العلاقات الممكنة بين المتغيرات المختلفة، وأن تقوم بعملية تنميط (انظر قائمة المصطلحات)، أو تحديد النموذج الشائع لارتباط بعض المتغيرات ببعضها.

المثال (2-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية

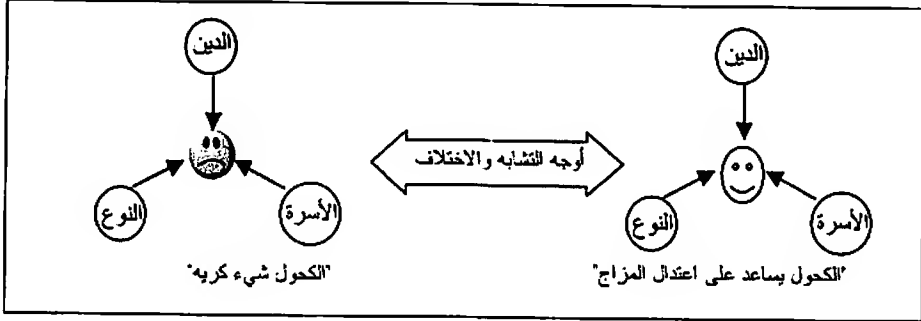
العلاقات بين المتغيرات

عليك أن تتبين ما إذا كان ثمة ارتباط بين بعض سمات أفراد الجماعة الطلابية واتجاهاتهم إزاء تعاطي الكحول. ولكي تفعل ذلك قد تفحص العلاقات المحتملة بين بعض المتغيرات، مثل : الديانة، والظروف الأسرية، والنوع من ناحية، والاتجاهات المختلفة إزاء تعاطي المشروبات الكحولية من ناحية أخرى.

وهذا التصميم يتسم بقدر غير قليل من التعقيد، وذلك لأن عليك:

(أ) أن تتبين العلاقات الممكنة بين تبني اتجاه معين إزاء المشروبات الكحولية، وديانة الطالب، ونوعه، وظروفه الأسرية.

(ب) عقد مقارنة (أى البحث عن أوجه التشابه والاختلاف) بين الطلاب الذين يتبنون هذا الاتجاه من ناحية، والطلاب الذين لهم اتجاهات أخرى من ناحية ثانية.



الشكل (2-3): مقارنة العلاقات بين الديانة، والنوع، والظروف الأسرية، والاتجاهات إزاء تعاطي المشروبات الكحولية بين طلاب ذوى توجهات مختلفة.

يبدو واضحاً من الشكل (2-3) أن البحث سيغطي غالباً مختلف جوانب هذين التوجهين لكى يمكن معالجة التعقيد الذى تنقسم به تساؤلات البحث.

بحثك

فى ضوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية حاول استخدام النموذج التخطيطى المستخدم فى المثال (2-3) لكى توضح العلاقات، وأوجه التشابه والاختلاف التى تهتمك فى البحث.

كيفى أم كمى؟

لا يتوقف تصميم البحث على ما إذا كنت ستستخدم طرقاً كمية، أم كيفية، أم مختلطة (كمية وكيفية معاً) (الفصل 4 من هذا الباب) فى عملية جمع البيانات وفى التحليل. ذلك أن قرار تبني طرق كيفية أو كمية يرجع أساساً إلى سؤال بحثك، وإلى طبيعة البيانات التى تنوى جمعها وتحليلها فى سبيل الإجابة عن تساؤل البحث (الفصل 3 من الباب 1، والفصل 4 من هذا الباب). لذلك فإن كافة أنواع التصميم البحثى المعروضة هنا يمكن أن تشكل الإطار العام لعمليات جمع البيانات والتحليلات سواء

كانت كمية أو كيفية، أو حتى ذات توجه مختلط . ومع ذلك سوف نتبين لاحقاً أن بعض أنواع التصميم البحثي أميل إلى استخدام الطرق الكيفية أو الكمية .

مستوى الدراسة ووحدتها

من الممكن أن تدرس موضوع بحثك على عدة مستويات مختلفة . فبوسعك أن تجرى دراسة مقارنة عن مواقف بعض الدول ، أو الأديان ، أو المدن من موضوعك ، وكيف تُصنع السياسات التي تستهدف خدمة هذه المواقف . كما يمكنك - من ناحية أخرى - أن تهتم بسلوكيات أو خبرات أو آراء بعض الأفراد أو الأسر بهذا الموضوع . معنى ذلك أن جزءاً من تصميم بحثك يتمثل في تحديد مستوى وطبيعة الوحدة التي ستجمع منها البيانات وتدير حولها التحليلات التي تستهدف الإجابة على سؤال بحثك . فقد تقوم بجمع بيانات عن بعض الدول ، أو الجامعات ، أو الأسر ، أو الأفراد ، فما وحدة الدراسة (انظر قائمة المصطلحات) التي ستجمع عنها البيانات؟ والمعتاد أن يُجرى البحث الاجتماعي على أحد المستويين:

- إما المستوى الميكرو (المحدود) الذي يركز على الفرد بوصفه «الفاعل الاجتماعي» .

أو

- على المستوى الماكرو (الكبير) الذي يركز على منظمة ، أو كيان اجتماعي كبير ، أو نسق ، أو بناء .

على أن الأغلب أن أى باحث لن يستطيع معالجة تساؤلات بحثه على الوجه الأكمل دون اللجوء إلى جمع البيانات من الأفراد . وبيانات عن المنظمات أو البيئات التي يعيش فيها أولئك الأفراد . وهناك بعض تصميمات البحوث (انظر مثلاً تصميم دراسة الحالة الوارد أدناه) التي تشمل في العادة جمع البيانات على أكثر من مستوى ، فعلى المستوى الماكرو يجمع مثلاً بيانات عن منظمة ، وعلى المستوى المايكرو يجمع بيانات عن الأفراد العاملين لحساب تلك المنظمة . معنى ذلك أن بيانات البحث تجمع من أكثر من وحدة تحليل واحدة . على أن المهم أن طرق جمع وتحليل البيانات تختلف باختلاف مستويات التحليل ووحدات الدراسة . ولذلك يتعين عليك أن تفكر في كيفية تحليل مجموعات البيانات المختلفة ، وكيف ستعرض نتائجها؟

المثال (3-3)

الطلاب والمشروبات الكحولية مستوى التحليل ووحدة الدراسة

بعض مستويات ووحدات التحليل الممكنة

المستوى الماكرو (الكبير): البلاد، والجامعات، والأقسام العلمية، والجماعات الطلابية، والمجتمعات.

المستوى المايكرو (المحدود): مجموعات السنوات الدراسية، طلاب الليسانس، طلاب الدراسات العليا، الطلاب المقيمون مع أسرهم، الطلاب المقيمون في المدينة الجامعية، أو خارج المدينة.

بحثك

فكر في الموضوع الذي تنوي دراسته، ثم اكتب قائمة بمستويات وحددات التحليل المحتملة:

على المستوى الماكرو: _____

على المستوى المايكرو: _____

اختبارات جودة البحث

عليك أن تراعى مختلف جوانب جودة البحث طوال عمليات تصميم البحث، واختيار طرق البحث، وعينة الدراسة. وتعني هذه العملية في جوهرها اختبار قيمة بحثك في ضوء بعض معايير البحث الاجتماعي التي تضمن أن يكون بحثك على مستوى جيد. ولذلك يجب أن تستطيع في نهاية الأمر أن تثبت أن البحث الذي أنجزته، والنتائج والمناقشة التي قدمتها تنهض على بحث تم تصميمه وتنفيذه وفقاً لتلك المعايير. ويستخدم الباحثون البيانات أداة لفهم الواقع الاجتماعي (الفصل 3 من الباب

(1)، ولهذا يتحتم أن نقدر ما إذا كانت تلك البيانات تؤدي المهمة المرجوة منها على الوجه الصحيح كبدل أو شبيه للواقع الاجتماعي الذي تعبر عنه. ولكي نتمكن من تقدير جودة البيانات، لابد أن نأخذ في اعتبارنا طريقة تصميم البحث على نحو يضمن أن جمع البيانات، وتحليلها، وعرضها ينصب فعلا على معالجة تساؤلات البحث وفروضة بالطريقة التي كنا خططنا لها. لذلك يجب تقييم تصميم البحث في ضوء تساؤلات بحثك وفروضه وفقا لمعايير الصدق والثبات، وقابليتها للتعميم أو التحويل (أى من مستوى وحدة الدراسة إلى مستوى أعلى أو أدنى). وسوف نستخدم هذه المفاهيم - فى هذا الفصل - لاستعراض قضايا جودة البحث فى كل نوع من أنواع تصميمات البحث التي نتناولها. كما سترد إشارات إلى تلك القضايا بمناسبة الحديث عن عملية جمع البيانات (الباب 3) وتحليلها (الباب 4) أيضا.

بحثك

ملاحظة مهمة

تذكر عند التفكير فى جودة تصميم بحثك ما يلى : من شأن معايير الجودة أن تساعدك على أن تفكر - بأسلوب نقدي - فى خطط بحثك، وأن تتبين نقاط القوة ونقاط الضعف فى تصميم بحثك، وفى الطرق التي اتبعتها فى جمع البيانات وتحليلها. وتأكد أنك لن تكون قادرا على أن «تؤشر بعلمة (✓) فى كل الخانات». إن ادعاءاتك بشأن نتائج بحثك ستكون محدودة بالضرورة، وهو ما يتعين عليك الاعتراف به وتفسيره. وسيكون مثل هذا المسلك محل تقدير أكبر مما لو قدمت عرضا غير نقدي للنتائج يدعى ما يتجاوز الحقيقة فعلا.

تصميمات البحث

نستعرض فى هذا الفصل أربعة أنواع رئيسية من تصميمات البحث، هى: التجريبي، والمسحي المقارن، والتتبعي (الطولي)، ودراسات الحالة. ثم ننتقل بعد ذلك إلى تناول أربع استراتيجيات بحثية تعد تنويعات على هذه التصميمات البحثية، والتي تناسب أنواعا معينة من التساؤلات البحثية، وهى: الاستراتيجية المقارنة، وبحوث التقييم، والطريقة الإثنوجرافية، والنظرية الموثقة.

تصميم البحث التجريبي

نستهل هذا العرض بالحديث عن التصميم التجريبي للبحث ، وهو - للمفارقة - التصميم الأقل احتمالا أن تصادفه أو تستخدمه في الممارسة الفعلية للبحث الاجتماعي . ومع ذلك توجد مبررات قوية للبدء بهذا النوع من التصميم ، وذلك لأن بعض خصائص التصميم التجريبي تشكل الأساس الذي تقوم عليه بعض الأنواع الأخرى التي تستوفي معايير البحث الجيد ، والتي تنفع الباحثين الاجتماعيين .

التصميم التجريبي يمثل - إذن - أساس القسط الأكبر من البحوث الاجتماعية ، وهو ينطلق من فرض مؤداه أن المادة أو الحالات التي ندرسها يمكن إدخال بعض تعديلات عليها بمعرفة الباحث ، على نحو أو آخر ، بما يتيح قياس ما يطرأ من تغيرات أو فروق عقب هذا التغير . من ذلك مثلا : يمكن إضافة مادة كيميائية إلى أنبوبة اختبار بها ماء ، فينطلق منها غاز يمكن معرفته ، وقياس كميته . ومثال آخر : يتم فيه تعريض بعض النباتات المتماثلة لكميات متفاوتة من الضوء ، وبعد ذلك يقيس الباحث معدلات نمو كل فئة وفقا لمقدار الضوء الذي تعرضت له . ففي هاتين التجربتين وأمثالهما يقوم الباحث عامدا بإدخال شيء على شيء آخر ، لكي يستثير رد فعل أو استجابة معينة ، وبعدها يقوم بقياس هذه الاستجابة .

على أنه قد لا يكون بوسعنا في أغلب الأحيان أن نتدخل في مصادر البيانات بهذه الطريقة ، خاصة في البحوث الاجتماعية . فنحن لا نستطيع - مثلا - أن نحرم طفلا من التعليم المدرسي ، لكي نرى كيف سينمو وتتطور حياته بدون تعليم مدرسي .

والسبب في ذلك أن مثل هذا الأمر - لو حدث - يعد شديد البعد عن القواعد الأخلاقية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيكون تصرفا غير عملي وغير مفيد لأن هناك جوانب أخرى عديدة في الحياة الطبيعية للطفل التي ليس بوسعنا التحكم فيها أو التأثير عليها . فالأطفال يرثون عددا من المهارات والقدرات ، وقد يحصل بعض أولئك على التعليم منزليا من آبائهم ، وطائفة أخرى قد لا تلقى - من هذه الناحية - أى اهتمام من جانب الوالدين . معنى ذلك أن نتائج تجربتنا لن تكون حاسمة ، لأننا لن نستطيع التحكم في كافة المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على كل طفل .

وعلى الرغم من ذلك هناك سبل أخرى يمكن بها الاستفادة من الخصائص الرئيسية للتجربة عند تصميم البحث الاجتماعى ، بحيث تجعل الموقف البحثى قريبا من الموقف التجريبي .

ذلك أن لكل تجربة فى العادة عنصران رئيسيان :

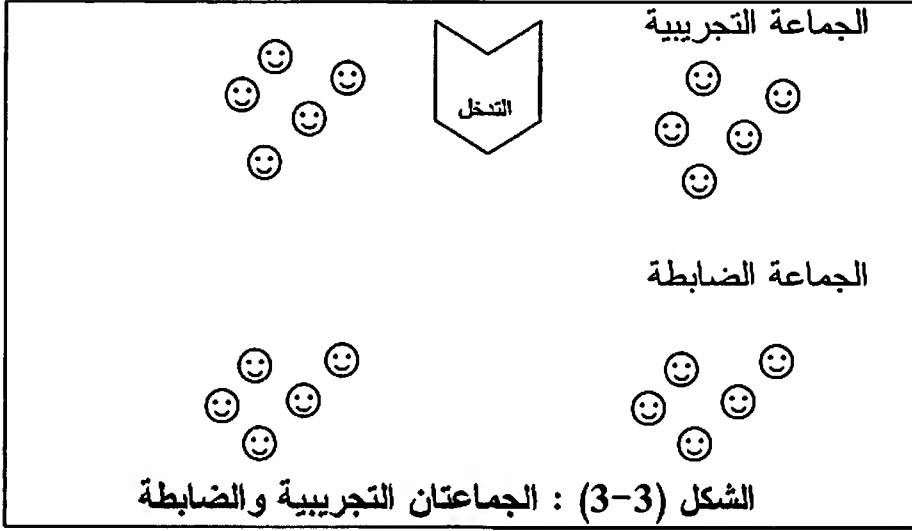
1 - الجماعة التجريبية (انظر قائمة المصطلحات): وهى مجموعة الأفراد أو المواد التى يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما .

2 - الجماعة الضابطة (انظر قائمة المصطلحات): وهى مجموعة الأفراد أو المواد التى تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحي فيما عدا إحداث تدخل أو تغيير فيها .
والعادة أنه يتم إجراء التجربة لاختبار صحة فرض يرتبط بتأثير التغير الذى تم إحداثه .

بمعنى : إذا أضيف (أ) إلى (ب) فسوف يحدث (ج) [وهو التغير] .

وإذا أجريت التجربة بعناية وكان الفرق بين المجموعتين مقتصرًا على نقطة التغير أو التدخل ، فإن تلك التجربة تستطيع الادعاء بأنه من الأرجح أن تأثير التدخل أو التغير الذى طرأ على الجامعة التجريبية إنما هو راجع إلى ذلك التدخل أو التغيير .

ولكى يمكن ضبط مثل هذه التجارب واستبعاد أى فروق أخرى بين الجماعتين ، لابد من إجراء غالبية التجارب فى ظل ظروف منضبطة ، كأن تجرى فى معمل مثلا .
والحقيقة أن بعض أهم التجارب البحثية الاجتماعية فى ميدان علم النفس الاجتماعى قد أجريت فى ظل ظروف منضبطة ومحكومة (انظر أدناه برواز : «البحث الواقعى») .



البحث الواقعي

البحث الاجتماعي التجريبي

عن مقال ميلجرام [1963] بعنوان : «دراسة سلوكية للإذعان (الطاعة التامة)» ، مجلة علم النفس الاجتماعي المرضى .

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية صرح أغلب الأفراد أمام المحكمة التى كانت تحاكمهم على جرائم الحرب التى اقترفوها - فى معسكرات الاعتقال النازية مثلاً - بأنهم كانوا « ينفذون الأوامر الصادرة إليهم » ، حين كانوا يعذبون الضحايا أو يقتلوهم . هل يمكن أن يفعل الناس أى شيء إطاعة للأوامر ؟ لهذا قام عالم النفس ستانلى ميلجرام بإجراء تجربة للإجابة على السؤال التالى : « إلى أى مدى زمنى يمكن لشخص ما أن يسلط صدمات (كهربائية) على شخص آخر لمجرد أنه أمر بأن يفعل ذلك ، حتى لو خطر بفرقه أن تلك الصدمات يمكن أن تؤذى الشخص الآخر ؟ » .

ماذا فعل الباحث؟

تم تجميع أربعين رجلا للمشاركة في تجربة عن موضوع «الذاكرة والتعلم»، وذلك مقابل أجر يحصلون عليه. والتقى كل واحد من المشاركين في التجربة بالباحث، وبواحد آخر من المشاركين. والحقيقة أن ذلك الشخص الآخر لم يكن مشاركا في البحث، وإنما كان ممثلا يؤدي دور المشارك، وهو أمر لم يكن معلوما للمشارك الأول. وأسند إلى المشارك الحقيقي دور «المدرس»، بينما أسند إلى الممثل دور «طالب العلم».

وشاهد «المدرس» «الطالب» مقيدا إلى الكرسي الجالس عليه وعلى جسده مجموعة من الأقطاب الكهربائية. وطلب من المدرس أن يجلس في غرفة أخرى وأمامه مولد لإرسال الصدمات الكهربائية، وذلك دون أن يرى «الطالب». وكان يوجه إلى «الطالب» مجموعة من الأسئلة، ثم يوجه إلى «المدرس» أمر بمعاينة «الطالب» في كل مرة يجيب فيها إجابة خاطئة، وهذا العقاب عبارة عن تسليط صدمة كهربائية إليه. ومع كل إجابة خاطئة ترتفع قوة التيار الكهربائي. وكان بوسع «المدرس» أن يسمع صراخ «الطالب/الممثل» من شدة الألم، واستغاثته للمدرس أن يوقف تسليط الصدمات عليه. والحقيقة - بالطبع - أنه لم يتم توجيه صدمات كهربائية، ولكن المهم أن «المدرس» لم يكن يعلم بتلك الحقيقة. وانتهت التجربة بعد توجيه ثلاث صدمات كهربائية بقوة 400 فولت، بعدها صمت «الطالب/الممثل». في ذلك الوقت كان الباحث يجلس في نفس الغرفة مع «المدرس» يشجعه على إطاعة الأوامر.

النتائج

اتضح أن معظم «المدرسين» شعروا بالانزعاج من إيقاع الألم، ولكن المهم أن المشاركين الأربعين (أي «المدرسين») استمروا في إطاعة الأمر حتى وصول قوة الصدمة إلى 300 فولت. واستمر 25 من الـ 40 «مدرسا» في توجيه الصدمات حتى بلوغ الحد الأقصى لقوة الكهرباء المسلطة.

تصميم البحث

لم يتسنى تنفيذ تساؤل البحث إلا في ظروف معملية، وفي إطار موقف خلقت فيه بعض الظروف التي جعلته شبيهاً بالموقف الاجتماعي الحقيقي. وقد تم الإعداد للتجربة بكل عناية للتأكد من أن جميع المشاركين في التجربة يعيشون نفس الخبرة. وعلى الرغم من أن «الطلاب» (في التجربة) لم يتعرضوا لأي ضرر، فإن هناك بعض المحاذير الأخلاقية فيما يتعلق بتأثير تلك الخبرة على «المدرسين» المشاركين في البحث (الذين كانوا يسلطون الصدمات الكهربائية)، فقد تعرض بعضهم بالفعل لقدر كبير من الضغط النفسي كلما كان يُطلب منهم إيقاع الألم بالآخرين.

التجارب المنضبطة عشوائياً

من صعوبات دراسة البشر أنهم يختلفون عن بعضهم البعض اختلافاً كبيراً. معنى هذا أنه من المستحيل أن تعثر على مجموعة كبيرة - نسبياً - من الناس يتشابه أفرادها وفقاً لعدد كبير من المعايير، بحيث يمكن تقسيمهم إلى مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية يتم إحداث التدخل فيها. كل ما هو ممكن أن يتشابه أفراد في مثل هذه المجموعة في عدد قليل من المعايير: كالعمر، أو النوع، أو المهنة، أو الانتماء الإثني. ولكن إذا أردنا أن نأخذ في الاعتبار ما إذا كان أحد الأشخاص ذا مزاج انبساطي أو انطوائي، يتسم بالامتثال أم بالتمرد، بالهدوء أم بالقابلية للاستثارة، بالاكنتاب أم بالسعادة... فسوف يتضح لنا على الفور أن معرفة ذلك أمر بالغ الصعوبة والتعقيد. فالخصائص التي تميزنا كبشر يمكن إرجاعها إلى عدد لا نهائي من العوامل المختلفة، فمع أننا قد نعرف - مثلاً - أن شخصاً ما مصاب بالاكنتاب، فإننا لا يمكن أن نعرف كل الأسباب التي قد تكون مسؤولة عن هذا الاكنتاب.

ومن السبل المتاحة لمواجهة هذه الحقيقة، ورغبة في مراعاة الجوانب العديدة والعشوائية التي نختلف فيها عن بعضنا البعض؛ من هذه السبل إجراء تجارب على أعداد كبيرة من الناس يجرى تقسيمهم إلى مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة بطريقة عشوائية.

ما : العشوائية؟

يعنى أنه لا يمكن التنبؤ به ، ولا يأخذ فى الاعتبار سمات أو خصائص محددة .
فى حالة المعاينة الإحصائية (الفصل 5 من الباب 2) - مثلا - يتم اختيار العينة العشوائية من بين أفراد مجتمع البحث بحيث يتاح لكل حالة فرصة مساوية لإدراجها فى العينة التى يجرى اختيارها ، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة .

وقد تعدد الدراسة المنضبطة عشوائيا (انظر قائمة المصطلحات) فى البداية إلى تقسيم الباحثين إلى مجموعات رئيسية على أساس العمر ، أو النوع أو الانتماء الإثنى أو غير ذلك من الخصائص المرتبطة بموضوع البحث . ومن شأن ذلك أن يضمن تشابه المجموعتين التجريبية والضابطة فى السمات الأساسية العامة . فيتجنب - مثلا - أن تتكون الجماعة التجريبية كلية من أفراد تزيد أعمارهم عن 65 عاما . بعد ذلك يقسم الباحثون عشوائيا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية . وإن كانت التجربة تشمل جماعات كبيرة العدد (تغطى الدراسات المنضبطة عشوائيا عادة أكثر من ألف حالة) ، فإن التباين بين أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة سيكون متشابها على الأرجح .

وتستخدم التجارب المنضبطة عشوائيا فى العادة عندما يراد اختبار تأثير عقاقير أو علاجات طبية معينة ، حيث تقوم فى الغالب على أسلوب «الاختبار غير المعلن» ، حيث لا يكون الباحث (ولا الطبيب أحيانا) على دراية بما إذا كانوا يتعاطون علاجا طبيا أو معالجة شكلية (والمعالجة الشكلية عبارة عن بديل للعلاج الطبى يكون لها نفس المظهر ولكن دون التأثير الطبى) . والهدف من ذلك التأكد من أن تأثير العلاج الطبى على الباحثين لا يرتبط بمشاعرهم تجاه العلاج .

وفى بعض الأحيان تتاح للباحثين الاجتماعيين فرص لإجراء دراسات منضبطة عشوائيا . من ذلك مثلا: لنفترض أننا بصدد إدخال طريقة جديدة لتعليم الأطفال القراءة فى عدد من المدارس . عندها يتم فى كل مدرسة توزيع بعض التلاميذ عشوائيا على فصول تعليمية لتطبيق هذه الطريقة الجديدة فى التعليم (وتكون هذه المجموعة هى «الجماعة التجريبية») ، وكذلك على فصول أخرى تتبع أسلوب التعليم القديم (وهذه هى «الجماعة الضابطة») . ويتعين قياس مهارات القراءة عند أولئك التلاميذ قبل فترة

التدريس وبعدها، وكذلك تقدير حجم الفروق العامة بين المجموعتين . ولا شك أن هناك بعض القضايا الأخرى التى يتعين أخذها فى الاعتبار . فالطبيعة الإنسانية هى الاهتمام بالشيء الجديد والمختلف، ولهذا قد نجد المعلمين الذين يستخدمون الطريقة الجديدة أكثر (وربما أقل) حماسا واجتهادا فى تدريسهم، وقد يكون التلاميذ أكثر حماسا واهتماما بالمتابعة. والمعتاد أن تكون الخبرة الأولى لأى نشاط جديد مختلفة عن الخبرات التالية، الأمر الذى قد يؤدى إلى أن تفقد الطريقة الجديدة جاذبيتها الأولى لدى كل من التلاميذ والمدرسين بعد أن يعتادوا عليها.

المثال (3-4)

الطلاب والمشروبات الكحولية : التصميم التجريبي للبحث

مع أنه من الصعب أن نتصور القيام بتجربة منضبطة حول موضوع تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية، إلا أنه من الممكن تصميم بحث حول تأثير المشروبات الكحولية على حياة الطلاب . من ذلك مثلا: توزيع إعلانات لدعوة الطلاب المستجدين إلى حفلة يقيمها اتحاد الطلاب، ويتم توزيع تلك الدعوات عشوائيا . كذلك يتم توزيع دعوات أخرى تنص صراحة على تقديم مشروبات كحولية مجانية (على حين لم ترد فى الدعوات الأولى أى إشارة إلى المشروبات الكحولية) . وعند الحفلة يتم سؤال كل طالب لدى حضوره عن نوع الدعوة التى تلقاها، وما الذى جذبهم إلى الحضور؟

أشباه التجارب

نتطلع - كباحثين اجتماعيين - إلى الفرص التى نتيج لنا جمع البيانات فى ظل ظروف «طبيعية»، وهو ما يعنى بعبارة أخرى جمع بيانات عن بعض المواقف، أو الأمور، أو الآراء الموجودة فى الحياة اليومية، دون اللجوء إلى تصميم ظروف تحاكي الظروف المعملية. ويمكن استخدام التصميم البحثي شبه التجريبي (انظر قائمة المصطلحات) فى بعض المواقف التى يمكن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التى تختلف «بشكل طبيعى»، وتستخدم إحداها كجماعة ضابطة والأخرى كجماعة تجريبية.

ويلاحظ على المثال السابق الخاص بتعليم طريقة جديدة للقراءة أنه قد يكون من المتعذر توزيع التلاميذ عشوائيا على فصلين مختلفين ، فقد يؤدي ذلك إلى تعطيل التلاميذ وتمزيقهم ، بحيث يؤثر على تعلمهم من نواح أخرى . ومع ذلك يمكن اتخاذ أحد الفصول بمثابة جماعة ضابطة (حيث تستخدم الطريقة التقليدية في تعليم القراءة) ، واتخاذ فصل آخر بمثابة جماعة تجريبية (حيث تستخدم الطريقة الجديدة) ، وفي النهاية يتم مقارنة النتائج من واقع قياس مستويات مهارات القراءة قبل تطبيق الطريقة الجديدة وبعدها . ويمكن أن يعد ذلك الإجراء شبه تجربة (انظر قائمة المصطلحات) ، لأن تكوين الجماعتين الضابطة والتجريبية قد تم ترتيبه مسبقا . ولكنها مع ذلك تكون أقرب إلى «الطبيعة» ، لأن التلاميذ لم يكونوا على دراية بأى تغييرات .

البحث الواقعي

أشباه التجارب الأقرب للطبيعية

(عن مقال فيشر ، وميس ، وشميدت (2007) بعنوان : «هل هو تفكيرك لجدار العقل»؟ الاتصال الثقافي بين الألمان ، في المجلة الدولية للعلاقات بين الثقافات ، عدد 31 ، ص ص 163-179).

أتاحت عملية توحيد ألمانيا في عام 1990 فرصة للباحثين لاختبار نظرياتهم عن أثر الاتصال الشخصي بين الناس الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة . وكانت ألمانيا قد قسمت إلى دولتين منذ 45 عاما (ألمانيا الشرقية ، وألمانيا الغربية) ، وعاشت الدولتان الألمانيةتان في ظل نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ثقافية مختلفة ، لم تتح فيها للسكان فرص كافية لاتصال أبناء كل دولة اتصالا شخصيا بأبناء الدولة الأخرى .

وقد ركز فيشر وزميلاه في بحثهم على دراسة تأثير الاتصال بين الأفراد المنتمين إلى ثقافات مختلفة على أولئك الأفراد أنفسهم . بمعنى : هل شعر الأفراد الذين اتصلوا اتصالا شخصيا مع أفراد من الدولة الألمانية الأخرى بالرضا عن حياتهم هم؟

ماذا فعل الباحثون؟

تم اختيار عينة عشوائية قوامها أكثر من ثلاثة آلاف فرد من دولتي ألمانيا السابقتين . كما كانت هذه الدراسة دراسة تتبعية، حيث أرسلت إلى الباحثين الاستبيانات في أعوام: 1996، و1998، و2000 لمعرفة ما إذا كانت خبرات الباحثين قد تغيرت نتيجة زيادة فرص الاتصال الشخصي بأبناء القسم الآخر من ألمانيا . وكان الاستبيان يسأل عن كمية ونوع الاتصالات التي أجراها كل فرد مع سكان القسم الآخر (الذي كان دولة مستقلة قبل الوحدة)، ويستفسر كذلك عن مدى رضائهم عن حياتهم هم .

نتائج البحث

مع أن تأثيرات الاتصال مع أفراد من ثقافة أخرى كانت إيجابية على وجه العموم، فإنه تبين وجود فروق بين أبناء ألمانيا الغربية السابقة، وأبناء ألمانيا الشرقية السابقة . ومن أبرز تلك الفروق أنه على الرغم من أن الاتصالات كانت تعد عموماً أكثر فائدة ونفعاً لأبناء ألمانيا الشرقية، فإنها أدت في الوقت نفسه إلى جعلهم أكثر وعياً بأوضاعهم السيئة .

تصميم البحث

كان الباحثون يعملون في البداية ميلاً واضحاً إلى النظرية التي ترى أن الاتصال بين أبناء الثقافات المختلفة يفيد كل من يمارسه . وقد كانت عملية إعادة توحيد ألمانيا فرصة فريدة لاختبار صحة هذه النظرية، وذلك للاعتبارات التالية:

(أ) عاشت الدولتان الألمانيان في ظل نظم ثقافية اجتماعية مختلفة .

(ب) أنه خلال فترة تقسيم ألمانيا التي امتدت 45 عاماً لم تتوفر فرص لحدوث اتصالات شخصية حقيقية بين أبناء الدولتين .

(ج) في أعقاب الوحدة عام 1990 تم تشجيع قيام الاتصالات الشخصية بين القسمين اللذين أصبحا كيانا واحداً .

وقد تم استخدام التصميم البحثي التتبعي لتمكين الباحثين من جمع بيانات أوفى عن كيفية تغير خبرات الناس وتصوراتهم عن الرضا بمرور الوقت ومع تزايد فرص حدوث الاتصالات الشخصية بين الطرفين .

المثال (3-5)

الطلاب والمشروبات الكحولية

التصميم البحثي لأشباه التجارب

يمكن دراسة تأثير تلقى معلومات عن الآثار التي يمكن أن تلحق بصحة الإنسان نتيجة الإفراط في تناول المشروبات الكحولية ؛ يمكن دراسة ذلك بواسطة شبه التجربة التي أجريت على طلاب كلية الطب (الذين كانوا بمثابة جماعة تجريبية) وطلاب قسم الاجتماع (الذين أدوا دور الجماعة الضابطة).

وفيها يقوم الباحثون بجمع بيانات من أفراد كلا الجماعتين الطلابيتين عن كمية المشروبات الكحولية التي يتناولونها واتجاهتهم من شرب الكحول ، وذلك في بداية الفصل الدراسي ، ثم القيام مرة أخرى بجمع بيانات عن نفس هذه الأمور في نهاية الفصل الدراسي ، وذلك بعد أن درس طلاب الطب - على يد أساتذتهم - آثار تعاطي المشروبات الكحولية على أجسامهم ، وذلك في إطار برنامج دراستهم العادي .

البحث الواقعي

اختبار جودة البحث : التصميم البحثي التجريبي

- هل الجماعتان الضابطة والتجريبية متماثلتان ، فيما عدا التدخل من جانب الباحث ، أو التغير؟
- هل بإمكانك تبرير أى ادعاءات عن وجود علاقات علّية ، من قبيل: أن التدخل الذى تم هو سبب النتيجة؟
- هل يستطيع أى باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثي نفسه؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذى اتبعته في اختيار جماعتك التجريبية.

- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون «بديلا عنه»، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة ويمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحثك؟

الدراسات المسحية المقارنة

الحقيقة أن الغالبية العظمى من البحوث الاجتماعية يتم إجراؤها فى أعقاب الحدث الذى نهتم بدراسته، أو فى نقطة زمنية محددة. فنحن ننظر فى العادة باهتمام إلى تاريخ الأفراد الذى يحكونه أو إلى الخبرات والآراء التى يبدونها، والمقارنة بين الخصائص المتباينة لخبراتهم والواقع المائل أو الوضع الراهن. فنحن نعالج البيانات الخاصة بالخبرات الماضية والراهنة فى ثنايا محاولتنا تحديد الارتباطات المحتملة بين الأسباب والنتائج. وهذا النمط المسحى المقارن من البحوث الذى ننقل إلى التعريف به فيما يلى.

وترتبط الدراسات المسحية المقارنة فى الغالب بالمسوح الكبرى التى تستخدم أداة الاستبيان (الفصل 3 من الباب 3). حقيقة أن هذا هو الأسلوب الشائع لتنفيذ الدراسة المسحية المقارنة، ولكنه ليس الأسلوب الوحيد. ويقوم التصميم البحثى المقارن على:

- يشمل أكثر من حالة واحدة.
- يجمع البيانات فى وقت محدد بعينة.
- يدرج ضمن جماعات المبحثين أفرادا أو حالات يمكن المقارنة بينها، مثل: الرجال والنساء، أو أفراد مختلفى الأعمار أو الانتماءات الإثنية، أو أفراد ينتمون إلى مدن مختلفة.

المثال (3-6)

الطلاب والمشروبات الكحولية

يمكن فى هذه الحالة استخدام تصميم الدراسة المسحية المقارنة لمعرفة المزيد عن أوجه التشابه والاختلاف بين الطلاب فيما يتعلق بتعاطى المشروبات الكحولية ، وتوجهاتهم نحوه وآرائهم فيه . فمثل هذا التصميم يتيح للباحث تكوين صورة عن مستويات (أى كميات) الكحول التى يتم تناولها ، وعن مشاعر الطلاب نحو الكحول .

ويمكن جمع البيانات من عدد كبير من الطلاب باستخدام الاستبيان ، أو بطريقة دراسة أكثر تعمقا ، حيث يتم تصميم مقابلات شبه مقننة تجمع من خلالها بيانات من شريحة مختارة من الطلاب . بعدها يستطيع الباحث أن يبحث عن العلاقات بين تعاطى المشروبات الكحولية من ناحية ، وعدد من المتغيرات المختلفة كالعمر ، أو النوع ، أو الطبقة الاجتماعية من ناحية أخرى .

ويمكن كحل بديل إجراء دراسة مسحية مقارنة باستخدام وحدة تحليل متعددة المستويات ، حيث تصمم العينة بحيث تشمل طلابا من عدة جامعات . وفى مثل هذه الحالة يتم جمع بيانات عن سياسات وممارسات كل جامعة الخاصة بتعاطى الطلاب للمشروبات الكحولية من واقع الوثائق المنشورة أو مواقع الإنترنت . وعندها يستطيع الباحث استكشاف العلاقات بين سياسات الجامعات وممارساتها ، وبعض المتغيرات مثل حجم الجامعة ، أو نسبة الطلاب الأجانب ، أو نسبة الطلاب كبار السن ، وكون الجامعة « قديمة » أم « حديثة » ، ومستوى انتشار المشكلات الخطيرة المرتبطة بتناول المشروبات الكحولية بين الطلاب .

والغالب أن تتخذ الدراسات المسحية المقارنة شكل المسوح باستخدام أداة الاستبيان ، حيث يتم اختيار الباحثين وفقا لعمليات المعاينة العشوائية (الفصل 5 من هذا الباب) . ولكن البيانات الخاصة بهذا النوع من الدراسات يمكن جمعها بطرق أخرى عديدة ، كالملاحظة ، أو من الوثائق ، أو المقابلات . كما أن تلك البيانات يمكن - كما سلفت الإشارة - أن تكون كمية وكيفية (باستخدام المعاينة العمدية - كما فى الفصل 5

من هذا الباب). وهكذا يمكن أن يتراوح نطاق هذه الدراسات بدءاً من عدد صغير من الحالات وصولاً إلى مسح يشمل عدة آلاف من الأفراد.

والشائع عادة أن تكون بؤرة تركيز البحث على محاولة فهم العلاقات المحتملة بين المتغيرات المختلفة (أو بعض المعلومات المتعلقة بشخص أو حالة معينة) التي يتم جمع بيانات عنها. والغالب أن تصاغ البيانات في صورة كمية، بحيث يمكن قياس التباين - أي الفروق بين الحالات المدروسة - باستخدام الاختبارات الإحصائية (الفصل 3 من الباب 4). ووفقاً لطبيعة سؤال البحث يمكن - مع ذلك - أن يتضمن هذا التصميم البحثي جمع بيانات كيفية في حالة اختيار الباحثين بشكل عمدي بغرض إدراج فئة معينة من الأفراد. وفي هذه الحالة يمكن استكشاف الفروق عن طريق تحديد الموضوعات الأساسية، وتحديد العلاقة بين تلك الموضوعات والجماعات التي تنبئ لنا من واقع البيانات (الفصل 4 من الباب 4). (انظر كذلك بروز «البحث الواقعي» التالي).

البحث الواقعي

دراسة مسحية مقارنة تجمع بيانات كيفية

دراسة رولنجسون (2006) بعنوان: «هل نعيش فقراء لنموت أثرياء؟ أم «نبدّر إرث أولادنا»؟ الاتجاهات إزاء الأصول والإرث في العمر المتقدم. منشور في مجلة السياسة الاجتماعية، عدد 35 (2): ص ص 175-192.

ماذا يفعل الناس عندما يتقدم بهم العمر؟ هل ينفقون من أموالهم قدر ما يستطيعون وهم بعد على قيد الحياة، أم إنهم يتجهون إلى ادخار تلك الأموال لكي يورثوها لأولادهم؟ العادة أن كبار السن لا يحصلون إلا على دخول منخفضة، مادام أنهم قد تقاعدوا عن العمل، ولكن بعضهم قد يحوز أصولاً ضخمة في صورة ممتلكات مختلفة. فكيف يحزمون أمرهم على التصرف في تلك الأصول؟

ماذا فعل الباحث؟

اعتمد الباحث على مجموعتين من البيانات الكيفية. المجموعة الأولى عبارة عن بيانات مستمدة من مقابلات، سبق أن جمعها الباحث لدراستين سبق أن أجراها

عن موضوع الثروة والتخطيط للمستقبل . وقد شملت عينة هاتين الدراستين أفراداً متباينين في العمر ، والدخل ، والثروة .

· أما المجموعة الثانية من البيانات الكيفية فقد حصل عليها من خلال دعوة بعض جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) لمناقشة موضوع الإرث والأصول . وضمت كل جماعة من جماعات المناقشة أفراداً من نفس الفئة العمرية ، وعقدت جلسات المناقشة في منطقتين مختلفتين داخل نفس المدينة . وفي إحدى المنطقتين كانت أسعار البيوت مرتفعة ، بينما كانت أسعارها منخفضة في المنطقة الأخرى .

نتائج البحث

أوضحت نتائج المقابلات وجماعات المناقشة أن غالبية الناس يريدون اتخاذ اتجاه «متوازن وعملى (براجماتى)» فى استخدام أموالهم عندما يتقدم بهم العمر ، بمعنى أن ينفقوا قسطاً منه ، ويحفظون القسط الآخر ليرثه أولادهم . كما تطرق الباحث إلى مناقشة بعض دلالات ذلك بالنسبة للسياسة الاجتماعية ، من زاوية تبنى بعض طرق مساعدة أولئك الناس على تحقيق هذا الهدف .

تصميم البحث

ضمن تصميم البحث تغطية أفراد متباينين فى العمر ، والدخل ، والثروة ، بحيث يمكن المقارنة بين خبرات وآراء الجماعات المختلفة .

البحث الواقعى

المسح المقارن

بحث فوجلر ، وبروكمان ، وويجنز (2008) بعنوان: «المعاملات المالية فى الأشكال الأسرية الجديدة القائمة على المعاشرة» ، منشور فى مجلة الاقتصاد الاجتماعى ، عدد (37): ص ص 552-576 .

المعاملات المالية يمكن أن تمثل مشكلة للعلاقة بين طرفى أسرة المعاشرة . فهل

يتقاسم الطرفان كل ما يحصلون عليه من مال ، أم يتصرف كل منهما في ماله بنفسه ومستقلا عن شريكه؟ وكان الباحثون مهتمين في دراستهم هذه بمعرفة الفروق بين الزوجين اللذين تربط بينهما رابطة زواج ، والزوجين اللذين تقوم علاقتهما على المعاشرة دون زواج .

ماذا فعل الباحثون؟

تناول الباحثون مجموعة من البيانات الثانوية التى سبق أن جمعت كجزء من برنامج دولى للمسوح الاجتماعية . وهو عبارة عن برامج مسح يتم إجراؤها سنويا فى عدد كبير من الدول ، ويشمل إجراء مسح عرضى عن الأسرة وتغير أدوار النوعين (الرجال والنساء) . ويتم جمع تلك البيانات - بواسطة الاستبيان وعن طريق إجراء المقابلات - من عينة ممثلة كبيرة العدد فى المملكة المتحدة . وقد خضعت تلك البيانات فعلا للتحليل وتم نشرها بالفعل ، ولكنها ما زالت متاحة للباحثين الآخرين لاستخدامها فى دراسة تساؤلاتهم البحثية الخاصة بهم .

وقد شمل المسح عدة أنواع مختلفة من الوحدات المعيشية (الأسر) ، الأمر الذى يتيح للباحثين أن يحددوا منذ البداية الجماعات الفرعية التى يهتم كل باحث بدراستها ، أى الأسرة القائمة على رابطة الزواج أو على علاقة المعاشرة . على أن استخدام البيانات التى جمعت بواسطة باحثين آخرين ولخدمة أغراض أخرى ، قد تثير بعض المشكلات . فبالنسبة لحالتنا هذه لم يتطرق مسح عام 2002 إلى السؤال عن الزيجات السابقة ، بحيث ليس واضحا ما إذا كان المبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة قد سبق لهم الزواج (من طرف آخر) أم لا .

وقد وقع اختيار الباحثين على البيانات الخاصة بأربع مجموعات ليقوموا بتحليلها فى بحثهم هنا ، هم : « المبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة وليس لهم أطفال ، والمبحوثون الذين تربطهم علاقة معاشرة ولديهم أطفال ، والمبحوثون المتزوجون وليس لديهم أطفال ، والمبحوثون المتزوجون ولديهم أطفال » . كما احتوى المسح على أسئلة عن المكانة الاقتصادية الاجتماعية للزوجين ، وآرائهم فى الزواج وفى علاقات المعاشرة ، وعن عمل المرأة ، والمعاملات المالية .

نتائج البحث

وجد الباحثون أن أسر المعاشرة ولديهم أطفال كانوا يديرون معاملاتهم المالية بطريقة شديدة الشبه بما تفعله الأسر المرتبطة بعلاقة زواج ، وذلك بتجميع كل دخولهم في وعاء واحد للإنفاق على البيت . أما الشباب المرتبطين بعلاقة معاشرة وليس لديهم أطفال فكانوا يديرون معاملاتهم المالية - في الغالب - بشكل مستقل جزئياً أو كلياً .

تصميم البحث

تم استخدام مسح على عينة ممثلة كبيرة العدد لتمكين الباحثين من تحديد بعض الجماعات الفرعية التي كانوا مهتمين بدراستها . وكان قد تم جمع طائفة من البيانات عن كل مجموعة من تلك المجموعات الفرعية ، الأمر الذي أتاح للباحثين إمكانية دراسة العلاقات بين المتغيرات المختلفة .

والمهم أن البحث الأصلي كان قد جمع البيانات على مستوى وحدة المعيشة (الأسرة) ، الذي كان يتفق واهتمام الباحثين . معنى ذلك أن وحدة المعيشة في هذا البحث كانت هي وحدة التحليل .

بحثك

اختبار جودة البحث:

التصميم البحثي للدراسات المسحية المقارنة

- هل سيمكنك استخدام بياناتك في استكشاف الارتباطات العلية المحتملة بين المتغيرات؟
- هل أنت قادر على اختيار عينة تعكس ذلك القطاع من مجتمع البحث الذي يهيك ؟ هل هناك أى جماعات يحتمل أن يستبعدها تصميم بحثك؟
- هل يمكن لباحث آخر أن يكرر تصميمك البحثي نفسه؟

- هل يسمح لك تصميم البحث الادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لا شك أن ذلك سوف يعتمد على الأسلوب الذى اتبعته فى اختيار مبحثك؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون «بديلا عنه»، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة يمكن الركون إليها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحثك؟

الدراسة التتبعية

تقوم الدراسة المسحية المقارنة بجمع البيانات فى نقطة زمنية معينة، أما إذا كانت تساؤلات بحثك تتعلق ببعض التغيرات عبر الزمن فقد يكون الأنسب لك أن تتبنى تصميم الدراسة التتبعية (انظر قائمة المصطلحات). ومن شأن هذا التصميم أنه يمكنك من تأمل أحوال نفس الناس أو نفس المواقف عند بعض النقاط الزمنية المفصلية والكشف عن كيفية تأثير التغيرات المختلفة على بعض الجماعات. ويتم جمع البيانات فى مناسبتين اثنتين منفصلتين على الأقل.

ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات التتبعية تكون دراسات كبرى واسعة النطاق، وتصمم كدراسات تتبعية منذ البداية (الدراسات التتبعية المبدئية). وهناك عدة نماذج مشهورة للدراسات التتبعية التى تركز متابعتها لفوج من الأطفال المولودين فى نقطة زمنية معينة (التي تعرف باسم دراسات الأفواج/ أو دراسات الفوج) (انظر قائمة المصطلحات)، ولهذا تقوم مثل هذه البحوث بجمع بيانات عن أفراد هذا الفوج فى تواريخ معينة من سنوات حياتهم الأولى، وأحيانا فى محطات معينة على امتداد حياتهم كلها. ومن الأمثلة المشهورة لدراسات الفوج تلك الدراسة التوثيقية التى عرفت باسم «سفن أب» 7Up، وهى تقوم بتتبع حياة 14 طفلا من مواليد 1957، كانوا فى السابعة من العمر عندما بدأ عرض هذا البرنامج فى عام 1964. وينتمى الأطفال الأربعة عشر إلى بيئات اجتماعية اقتصادية مختلفة. وكل سبعة أعوام يتم عمل فيلم وثائقي عن

هؤلاء الأطفال يعرض ضمن مسلسل "عالم يتحرك". وقد عرضت آخر حلقة من هذه الأفلام الوثائقية عام 2005، حيث بلغ أفراد الفوج التاسعة والأربعين من العمر. وجدير بالذكر أن الدراسات التتبعية تكون مشروعات بحثية ضخمة، يقوم عليها عدد غير قليل من الباحثين الاجتماعيين، الذين كثيرا ما يتغيرون على امتداد المشروع.

البحث الواقعي

دراسة فوج الألفية الثالثة

شهد القرن العشرين دراستين كبيرتين على فوجين من المبحوثين، الأولى: الدراسة القومية لنمو الأطفال التي بدأت 1958، والأخرى هي: دراسة الفوج البريطانية التي بدأت 1970 (وما زالت هاتان الدراستان تواصلان جمع بيانات عن أفراد هذين الفوجين حتى الآن). ومؤخرا دشّن مركز الدراسات التتبعية (www.cls.ioe.ac.uk/) دراسة فوج الألفية الثالثة التي تشمل مجموعة من الأطفال المولودين عام 2000. وقد بلغ حجم هذا الفوج 818، 18 طفلا تم اختيارهم بنظام العينة الطبقية. وبحلول عام 2008 كان قد تم جمع بيانات من أسر أولئك الأطفال في أربع مناسبات منذ بدأ المشروع.

ويقوم تصميم بحث فوج الألفية الثالثة. على الأسس الخمسة التالية:

- 1 - أن تتكفل الدراسة بتوفير بيانات عن الأطفال الذين يعيشون ويكبرون في الأقسام الأربعة التي تتكون منها المملكة المتحدة (بريطانيا).
- 2 - أن توفر الدراسة بيانات عن الجماعات الفرعية لأطفال الفوج، خاصة تلك التي تعيش في بيئات ميسورة والتي تعيش في بيئات محرومة، وأطفال الأقليات الإثنية، وأولئك الذين يعيشون في سكوتلندا، وويلز، وأيرلندا الشمالية.
- 3 - وكما توفر الدراسة بيانات عن الأطفال؛ يجب عليها أن تتكفل بجمع بيانات عن ظروفهم العائلية، والإطار الاجتماعي الاقتصادي الذي يتربى فيه أطفال الفوج.
- 4 - يجب أن تشمل الدراسة عينة من الأطفال المولودين في فترة 12 شهرا فقط.

5 - يجب أن تتاح لكافة أفراد مجتمع بحث دراسة فوج الألفية (أى جميع المولودين خلال عام 2000) فرصة الاختيار ضمن العينة.

المصدر: مركز الدراسات التتبعية : www.cls.ioe.ac.uk/studies.asp?section=0001000200010010

(تاريخ آخر دخول على الموقع 12 أغسطس 2008)

(*) MCS = The Millennium Cohort Study

على أنه من الممكن كذلك تصميم دراسات تتبعية ذات حجم أصغر ، وتستهدف تتبع الباحثين عبر فترات زمنية قصيرة . كما أن مقابلة الباحثين قبل حدث معين ، ثم أثناء حدوثه ، ثم عقب انتهائه يمكن أن يعد من قبيل الدراسات التتبعية . خاصة إذا كان البحث يستهدف التركيز على تتبع كيفية توقع كل مبحوث لهذا الحدث ، وكيفية معاشته له ، وأخيرا آراؤه وتأملاته حول الحدث نفسه .

المثال (3-7)

الطلاب والمشروبات الكحولية: الدراسة التتبعية

تستهدف الدراسة التتبعية لهذا الموضوع معرفة كيفية تغير أنماط تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية على امتداد فترة دراستهم الجامعية . وقد يشمل ذلك جمع نفس البيانات من عينة من الطلاب فى مراحل رئيسية خلال دراستهم الجامعية التى تبلغ ثلاث سنوات .

وهناك نوع من الدراسة التتبعية - يعرف باسم الدراسة التتبعية الاسترجاعية - يمكن تصميمه بحيث يطلب من طلاب السنوات النهائية تذكر أنماط تعاطي الطلاب للمشروبات الكحولية فى فترات مفصلية من مرحلة دراستهم الجامعية (من ذلك مثلا : خلال أسبوع استقبال الطلاب المستجدين ، وفى فترة الامتحانات ، وخلال فترة العطلة) . وتستهدف تلك البيانات معرفة التغيرات التى طرأت خلال سنوات الدراسة الثلاث . على أنه يلاحظ أن الدراسات التتبعية الاسترجاعية تعاني جميعها

من أن ذاكرة الناس ليست دائما بالدقة المطلوبة ، وأن ذكرياتهم قد تتلون بظروفهم وأفكارهم الراهنة. وبوسعنا أن نحقق مستوى أعلى من دقة البيانات التي يتم تذكرها إذا ضمنا عينة الباحثين بعض الطلاب من كل فرقة دراسية من الفرق الجامعية الثلاث^(*)، ويتم سؤالهم في لحظة معينة، ثم تعقد المقارنة بين طلاب الفرق المختلفة.

البحث الواقعي

البحوث التتبعية والمسحية المقارنة

دراسة ميلتون، وودز، وداجيل، وبورسيلاتو، وسبرنجت (2008) بعنوان: «هل يبدوون صغارا؟ خبرات الأطفال في محاولة التدخين في مرحلة ما قبل المراهقة». منشور في مجلة: بحوث التعليم الصحي، عدد (23) 2، ص 298-309.

لماذا يحاول الأطفال تجربة التدخين مع أن أخطاره الصحية أصبحت معروفة الآن للجميع؟ وقد أراد الباحثون في هذه الدراسة أن يسمعو من الأطفال أنفسهم تصويرهم هم لمحاولاتهم الأولى ممارسة التدخين.

ماذا فعل الباحثون؟

هذه الدراسة جزء من دراسة تتبعية استرجاعية عن التدخين في إحدى المدن الكبرى في المملكة المتحدة. وتقوم الدراسة على تتبع فوج من الأطفال الذين تم اختيارهم من ست مدارس ابتدائية في بعض المناطق التي روعي في اختيارها تنوع الحالة الصحية والظروف الاجتماعية الاقتصادية. وقامت هذه الدراسة بجمع بيانات من هؤلاء الأطفال عندما كانوا في التاسعة، وفي العاشرة، ثم في العام الحادي عشر. وتم جمع البيانات باستخدام الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة المركزة (البورية).

(*) يلاحظ أن مدة الدراسة الجامعية في بريطانيا للحصول على البكالوريوس تبلغ ثلاث سنوات في العام. (الترجم)

وقد وجه إلى الأطفال أسئلة عن خبراتهم في تجربة التدخين ، وعادات التدخين داخل الأسرة ، وآرائهم في التدخين .

نتائج البحث

اتضح أن 27 % من أفراد الفوج جربوا التدخين قبل بلوغ الحادية عشر من العمر ، وذلك بدافع من حب الاستطلاع وتأثير أقرانهم عليهم ، وهما أهم العوامل التي حفزت أولئك الأطفال على تجربة التدخين . وقد أكد الباحثون على أنه لا بد أن تأخذ أساليب منع الأطفال من التدخين في اعتبارها بعض العوامل الاجتماعية (بما فيها الأصدقاء والأسرة) التي تلعب دورا حاسما في إقدام الطفل على تجربة التدخين . كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار الأعمار المختلفة التي أقدم فيها الأطفال في مرحلة ما قبل المراهقة على تجربة التدخين ، إذ من الأنسب أن تتنوع أساليب المنع بتنوع عمر الطفل .

تصميم البحث

صممت الدراسة لكي تشمل دراسة مسحية مقارنة لبعض الأطفال المولودين في نفس العام ، الذين اختيروا على نحو يضمن إدراج أطفال من مختلف الأوساط الاجتماعية الاقتصادية في عينة البحث .

وعندما كانت البيانات تجمع من الأطفال في الفترة بين سن التاسعة و سن الحادية عشرة كان يطلب منهم الحديث عن أول تجربة لهم مع التدخين خلال الفترة الماضية . وكان يتم جمع البيانات من ذات الأطفال كل مرة ، الأمر الذي يتيح للباحثين معرفة التغيرات والعمليات التي تعرضت لها حيوات أولئك الأطفال قبل بلوغهم سن المراهقة .

وهناك بعض الأسباب العملية التي تجعل من الصعب على الدراسة التتبعية أن تغطي نفس المبحوثين في كل مناسبة من مناسبات جمع البيانات . وذلك لأن بعض هؤلاء المبحوثين قد يغيب الموت ، أو يهجر محل إقامته ويكون من المتعذر العثور على عنوانه ، أو ببساطة لأن بعضهم يريد عدم الاستمرار ضمن أفراد الفوج . لهذا قد تعتمد بعض الدراسات إلى إدراج عدة عينات مختلفة من الأفراد ، ولكن باستخدام

نفس معايير الاختيار بالنسبة لكافة العينات. وعلى حين تصمم الدراسة كدراسة تتبعية عادة، فثمة بعض الظروف التى تسمح باستخدام بعض البيانات عن ماضى البحوث (وهى الدراسة التى تعرف باسم : الدراسة التتبعية الاسترجاعية) (انظر قائمة المصطلحات)، وذلك -مثلا - عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم وتجاربهم الماضية، أو جمعها - إن أمكن - من السجلات (كالسجلات الطبية أو تقارير المتابعة لأخصائى الخدمة الاجتماعية. وهناك أيضا أسلوب تاريخ الحياة (انظر قائمة المصطلحات) فى جمع البيانات البحثية، حيث يطلب من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المشتركة، وهذا النوع من الدراسة يمكن اعتباره تصميمًا بحثيًا تتبعيًا إذا كان يطلب من المبحوثين إدلاء بمعلومات عن المراحل المفصلية فى حياتهم، وتأملاتهم وآرائهم فيها.

وعلى حين تقوم كثير من الدراسات التتبعية الضخمة على جمع بيانات من أعداد كبيرة من المبحوثين ؛ كذلك يمكن أن تعتمد دراسة تتبعية أخرى على جمع بيانات متعمقة كيفية من عدد محدود من المبحوثين المختارين، فى عدد من المناسبات عبر حياتهم.

البحث الواقعى

البحوث التتبعية الكيفية

دراسة كوردن ونايس (2007) بعنوان :التحليل التتبعى الكيفى للسياسة الاجتماعية: أصحاب إعانات العجز يشاركون فى البحث عن فرص عمل»، منشورة فى مجلة : السياسة الاجتماعية والمجتمع ، عدد(6) 4، ص ص 557 - 569.

عندما يتم تبني سياسة اجتماعية جديدة، يكون من الطبيعى أن يتولد قدر من الاهتمام بكيفية تطبيقها، وكيف يستشعر الناس - الذين تشملهم - ما استجد من تغسيات. وكان المشروع الريادى للبحث عن فرص العمل عبارة عن برنامج جديد يستهدف مساعدة الناس الذين يتلقون إعانات عجز على الالتحاق بأعمال ذات أجر. لهذا أراد صناع السياسة الاجتماعية أن يسمعوا من المستفيدين من هذه الخدمة الجديدة عن خبراتهم فى التعامل معها.

ماذا فعل الباحثان؟

ركز الباحثان اهتمامهما على معرفة خبرات المستفيدين من الخدمة الجديدة الذين مضى على انتفاعهم بها بعض الوقت ، كما تم فى نفس الوقت جمع بيانات عن التغيرات التى طرأت على حيوات أولئك الناس ، وعلى حالتهم العملية ، وموقفهم المالى ، وما إلى ذلك . وقد تم جمع البيانات فى بادئ الأمر عن طريق المقابلات المتعمقة ، ثم عن طريق الاتصال التليفونى بعد ثلاثة أشهر ، ثم بعد ستة أشهر . واشتمل البحث على تغطية ثلاثة أفواج من المبحوثين ، كان الفاصل بين كل فوج وآخر مدة ستة أشهر . ومعنى هذا أن البحث ضمن تغطية الأفراد الذين التحقوا بالمشروع فى بداية عهده ، وأولئك الذين التحقوا به بعد فترة من تنفيذه . وبلغ إجمالى عدد المبحوثين 105 أفراد .

نتائج البحث

على الرغم من أن خبرات المبحوثين عن الخدمة المقدمة قد تباينت عن بعضها ، فإن هذه الدراسة التتبعية استطاعت أن توضح اختلاف خبرات الجماعات المختلفة عن الخدمة عبر الزمن ، كما أتاحت لهم فرصة الحديث عن آرائهم فى الخدمة بعد مرور سنة على الاستفادة منها . وبذلك استطاع الباحثون تقديم ردود فعل المستفيدين للموظفين المسؤولين عن تنفيذ السياسة أثناء قيامهم بعملهم ، كما استطاعوا فى نهاية الدراسة أن يكشفوا أن التغيرات التى حدثت عبر تلك الفترة تتسم بالتعقيد بسبب تغير الأسرة ، وتغير الظروف المالية وظروف العمل .

تصميم البحث

أتاح استخدام التصميم التتبعى للباحثين أن يبينوا بوضوح التغيرات والعمليات المرتبطة بتنفيذ المشروع وبخبرات المستفيدين من الخدمة . كما أتاح استخدام المقابلات الكيفية فى جمع البيانات؛ أتاح للمستفيدين من الخدمة أن يناقشوا خبراتهم ويتأملوها فى مختلف مراحل المشروع .

وقد أدى استخدام ثلاثة أفواج من المبحوثين الذين بدؤوا الاستفادة من المشروع فى فترات مختلفة خلال العام الأول لعمل المشروع؛ أدى ذلك إلى تمكين الباحثين من دراسة أى تغيرات وقعت بعد انتظام العمل فى البرنامج، ومن المقارنة بين خبرات كل فوج .

بحثك

اختبار جودة البحث: التصميمات البحثية التتبعية

- هل ستتمكن من جمع البيانات عن نفس المتغيرات فى كل مناسبة؟
- هل ستتمكن من جمع البيانات من نفس الأفراد/الحالات فى كل مناسبة؟ وماذا ستفعل حيال الأفراد الذين يتركون البحث أو يتعذر العثور عليهم؟
- هل يستطيع أى باحث آخر تكرار تنفيذ تصميمك البحثى نفسه؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون "بديلا عنه"، أى بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها فى كل مناسبة؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثى بالنسبة لمبحوثيك؟

دراسة الحالة

تختلف دراسة الحالة عن التصميمات البحثية التى عرضنا لها فيما سبق، من حيث إنها تشمل إما حالة واحدة أو عددا قليلا من الحالات، التى تدرس كل واحدة منها دراسة مفصلة ومتعمقة. ويتعين جمع عدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراسة، وقد تتم الاستعانة فى دراسة الحالة بالبيانات المسحية والتتبعية.

وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصا، أو منظمة، أو موقفا معينا، أو دولة، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشير

سؤال البحث . والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة ، يكون من الواضح معها ما ينتمى إلى الحالة وما لا ينتمى إليها . فدراسة الحالة - بهذا المعنى - تتبنى توجهها كلياً ، حيث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بين مختلف الأجزاء المكونة للحالة من ناحية والحالة فى مجملها ، أى السياق الاجتماعى الذى توجد فيه من ناحية أخرى . على أن دراسة الحالة ليست مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلى ، أو منظمة ما ، أو جماعة معينة . ذلك أن الحالة ذاتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث . من هنا تكون عملية اختيار الحالة أمراً مهماً ، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التى ستمكنك من معالجة تساؤلك البحثى . وهكذا تكون بؤرة الاهتمام البحثى متضمنة وحاضرة فى الحالة نفسها ، وليس فقط فى كم البيانات التى جمعت عنها ومداها . وقد اقترح "ين" Yin (2003) عدداً من معايير اختيار دراسات الحالة التى يمكن أن تساعدك على فهم طبيعة دراسة الحالة بشكل أفضل .

1 - الحالة النقدية : هنا يتم اختيار الحالة التى ستتيح للباحث اختبار نظرية معينة أو فرضاً معيناً . فهذه الحالة تملك الإمكانات التى توضح صحة تلك النظرية أم لا . ويمكن أن تكون هذه حالة وقع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتيح للباحث فرصة دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغير من نتائج .

2 - الحالة المتطرفة أو الفريدة : هنا يكون التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تعد مختلفة عن مثيلاتها ، ولذلك يكون هذا التفرد هو موضوع تركيز الاهتمام . وقد تكون الحالة الوحيدة التى حدث فيها ارتباط خاص متميز بين الناس والأحداث .

3 - الحالة الممثلة أو النمطية : وهذه الحالة ليست فى الحقيقة سوى عكس الحالة الفريدة تماماً . فهذه الحالة تُختار لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة ، فهى بمعنى ما إحدى الحالات اليومية ، أو المعتادة ، التى تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى ، ويكون هذا هو مبرر اختيارها .

4 - الحالة الكاشفة : هذه الحالة تتوفر فيها إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث . فهذه الحالة تحقق للباحث منفذاً أو تفتح أمامه سبيلاً لفهم موقف كان خافياً عليه .

5 - الحالة التتبعية: تتيح كثير من دراسات الحالة فرصة دراستها عند نقاط زمنية مختلفة، ولذلك تُختار دراسات الحالة التتبعية على أساس إمكانية إجراء دراسات متتابعة لها عبر فترة زمنية معينة (على نحو ما سلفت الإشارة).

البحث الواقعي

بحث دراسة الحالة

دراسة تشابين ومورى (2008) بعنوان: "تأثير إغلاق المصنع على المجتمعات المحلية والاقتصاد المحلي: دراسة حالة لإغلاق مصنع موريس روفر في لونج بريدج في م"، منشور في مجلة دراسات السياسة الاجتماعية، عدد (29) 3، ص ص 305-317.

أجريت خلال الخمسين عاما الأخيرة عدة دراسات تناولت تأثير إغلاق بعض المصانع أو المناجم على المنطقة المحلية المحيطة بكل منها. غير أن معظم هذه الدراسات ركزت اهتمامها على الصناعات التي يعمل فيها الناس ويعيشون في نفس المنطقة. وسعى باحثون آخرون إلى التعرف على تأثير نوع مختلف من الإغلاق، حيث ينتشر العاملون فيه على رقعة جغرافية واسعة، كما أن الاستغناء عن العمال تم على امتداد فترة زمنية بلغت ثمانى سنوات على الأقل. ومن نماذج ذلك الانهيار العارض الذى أصاب شركة موريس روفر لصناعة السيارات، وإغلاق مصنعها الرئيسى في لونج بريدج في برمنجهام بالملكة المتحدة عام 2005، حيث فقد 5900 عامل وظائفهم.

ماذا فعل الباحثان؟

جمع الباحثان بيانات ثانوية من عدة مصادر مختلفة، شملت: كشوف المرتبات من 1998 حتى 2005 (حيث تتضمن تلك الكشوف معلومات عن محل سكن كل عامل)، وبيانات شهرية بعدد الطلبات المقدمة للحصول على إعانة البطالة، وبيانات التعداد السكاني، وبيانات عن أنشطة الشركة داخل الأحياء المحيطة.

نتائج البحث

اكتشف الباحثان أن تأثير إغلاق المصنع كان محسوسا فى منطقة جغرافية واسعة، لأن العمال كانوا ينتقلون يوميا من أنحاء مختلفة من برمنجهام والمدن الواقعة جنوبها إلى المصنع، ثم يعودون بعد انتهاء العمل، هذا طبعا إلى جانب بعض الآثار المهمة التى لحقت بالبيئة المحلية المحيطة بالمصنع.

تصميم البحث

انصب تركيز هذا البحث على التأثير المكانى الواسع لإغلاق منشأة صناعية ضخمة، وبذلك كانت دراسة مصنع لونج بريدج بمثابة فرصة لإجراء دراسة حالة نقدية.

المثال (3-8)

الطلاب والمشروبات الكحولية

تصميم دراسة الحالة

يمكن أن تركز دراسة الحالة على طريقة تعاطي المشروبات الكحولية وسط إحدى الجماعات الاجتماعية، وكيفية النظر إلى تعاطي الكحول كجزء من الأنشطة الاجتماعية للجماعة. وفى هذه الحالة يمكن اختيار اتحاد طلاب الجامعة بوصفه نموذجا مثاليا للجماعة الاجتماعية التى نقصدها. ويمكن - كإجراء بديل - دراسة اتحادين جامعيين متباينين عن بعضهما تباينا شديدا، مثلا: من ناحية غلبة العضوية الذكورية على أحدهما، وغلبة عضوية الإناث على الاتحاد الآخر.

ومن الواضح أن اختيار نوع دراسة الحالة يمكن أن يأخذ فى اعتباره عناصر أكثر من المعايير الخمسة التى سلفت الإشارة إليها. كما يمكن أن تتضمن دراسة الحالة بعض العناصر المستمدة من تصميمات بحثية أخرى. معنى ذلك - مثلا - إجراء دراسة مسحية للناس الذين يعيشون فى المنطقة موضوع دراسة الحالة، وتكون تلك الدراسة جزءا من التصميم العام للبحث. كما يمكن - من ناحية أخرى - أن تتاح فرصة إجراء دراسة شبه تجريبية فى إطار دراسة الحالة. كما أن تصميم دراسة الحالة يمكن أن

يشمل حالة واحدة، أو عدة حالات . ويمكن أن يتيح تعدد الحالات فرصة إجراء دراسة مقارنة (انظر الفقرات التالية).

بحثك

اختبار جودة البحث: تصميمات دراسة الحالة

- هل تستطيع تعيين الحالة التي سوف تسمح لك بمعالجة سؤال بحثك أو باختبار فرضك؟
- ما هي السمة التي يمكن أن تسم بها دراستك للحالة، هل هي حالة نقدية، أو حالة عادية. . . إلخ؟
- هل تستطيع تعيين حدود واضحة للحالة التي ستدرسها؟
- كيف تصف نتائج بحثك من حيث إمكانية تعميمها، أو قيمتها النظرية، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعي وتكون "بديلا عنه"، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعي للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لتصميمك البحثي بالنسبة لمجوثيك؟

تمدنا التصميمات البحثية الأربعة: التجريبي، والمسحي، والتتبعي، ودراسة الحالة بالبيانات وأطر التحليل التي نستطيع الاستعانة بها عند الشروع في وضع خطط بحثنا . وهنا سنحتاج إلى العودة لموضوع أسئلة البحث ونمعن النظر في الاستراتيجية البحثية الشاملة التي نحتاج إليها لمعالجة تلك الأسئلة، واضعين في الاعتبار التصميمات البحثية الأربعة التي فرغنا من عرضها للتو .

بحثك

اتخذنا في هذه الفقرة من الفصل مثالا لموضوع بحثي من "الطلاب والمشروبات الكحولية"، واقترحنا نماذج لتصميمات بحثية يمكن استخدامها لدراسة هذا الموضوع. حدد لنفسك موضوع بحث، وحاول أن توضح كيف يمكن أن تدرسه باستخدام كل تصميم من تلك التصميمات الأربعة.

التصميم شبه التجريبي : -----

التصميم المسحي: -----

التصميم التتبعي: -----

تصميم دراسة الحالة: -----

استراتيجيات البحث

الاستراتيجية البحثية هي جوهرها خطة البحث. وقد تكون التصميمات البحثية الأساسية الأربعة التي عرضنا لها فيما سبق كافية لتمكينك من تخطيط بحثك. إلا أنه قد يكون من المفيد كذلك أن نمنع النظر هنا في بعض تنوعات هذه التصميمات أو تطوير محدد لبعضها. وهي تنوعات وتطويرات استحدثت على امتداد تاريخ البحث الاجتماعي بمعرفة بعض الباحثين الذين سعوا إلى تدقيق أو تجريب أساليب مختلفة لدراسة الظواهر الاجتماعية.

وسوف نستعرض فيما يلي استراتيجيات : البحث المقارن ، وبحوث التقييم ، والبحث الإثنوجرافي ، وبحوث النظرية الموثقة. وسوف تقابل في ثنايا عرضنا لكل اتجاه من هذه الاتجاهات الأربعة تصميمًا أو أكثر من التصميمات الأربعة التي تناولناها في الفقرة السابقة.

البحث المقارن

تستخدم التصميمات البحثية المقارنة عادة لدراسة بلدين أو أكثر، أو دراسة ثقافتين أو أكثر، ولكنها أكثر ما تكون انتشاراً في دراسات السياسة الاجتماعية. والقاعدة العامة أن يتضمن التصميم البحثي دراسة مفصلة لجانب، أو سياسة اجتماعية، أو قضية، أو سمة مميزة معينة لكل من البلاد أو الثقافات موضوع الدراسة المقارنة. كما يشمل التصميم على مقارنة تلك العناصر موضوع الدراسة وفقاً لبعض المعايير المشتركة. ولا يقتصر اهتمام الباحث على ملاحظة أوجه التشابه والاختلاف بين الحالتين المدروستين، وإنما يحرص كذلك على أن يتبين أوجه الاختلاف بين هذين السياقين. وقد يشمل هذا السياق التعرف على: التاريخ، والعادات، والنظم الاجتماعية، والإيديولوجيات، والقيم، وأساليب المعيشة الخاصة بكل بلد، أو ثقافة، أو منظمة، أو مجتمع محلي. وسبب ذلك أن الباحث يبدى اهتماماً بكيفية تأثير تلك العناصر على مجال البحث.

والغالب أن تستخدم البحوث المقارنة عدة تصميمات لدراسة الحالة، تتيح للباحث الدراسة المتعمقة لكل حالة (أى بلد أو ثقافة ما)، وتسعى إلى تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين الحالات المدروسة.

لماذا نستخدم استراتيجية البحث المقارن؟

تزودنا الدراسة المقارنة للبلاد أو للثقافات المختلفة عن بلد الباحث أو ثقافته بقدر أكبر من الوعى وفهم بلد الباحث أو ثقافته، لأنها تتيح له الفرصة للنظر إلى موقف مألوف "بعيون مختلفة". كما يمكن استخدام البحث المقارن كأساس لتطوير أنماط أو نماذج للطرق التى تنظم بها البلاد أو الثقافات نفسها أو تفكر فى حياتها. من ذلك مثلاً التمييز الذى طوره إسبنج - أندرسون لبعض الدول من واقع مواقفها من الرعاية الاجتماعية (إسبنج __ أندرسون، 1990). وعلى هذا الأساس يمكن لدارسى السياسة الاجتماعية دراسة مقارنة اختبار هذا النموذج ليس فقط فى فهم البلاد الأخرى، وإنما كذلك فهم ما تمر به من تغيرات عبر الزمن.

ويعتمد الإطار البحثي المقارن عادة على تصميمات بحثية مسحية، وتصميمات دراسة الحالة. وفى هذه الحالة يتعين أن تعكس معايير المقارنة تساؤلات البحث، وأن تدل على طبيعة البيانات التى يلزم جمعها. وقد تكون مثل هذه البيانات خليطاً من البيانات الفردية، والوثائق، والإحصائيات، التى تكون فى الغالب بيانات ثانوية.

وقد أصبح جمع البيانات اللازمة للدراسة المقارنة بين الدول أكثر سهولة بالنسبة للطلاب بفضل ظهور عدد من مصادر البيانات الموحدة (انظر قائمة المصطلحات). فقد كان من الصعوبات التي تعوق إجراء البحوث المقارنة بين الدول عدم توفر بيانات مقارنة خاصة بكل دولة. واليوم تتولى بعض المنظمات مثل "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية" (*)، والاتحاد الأوروبي (**) جمع بيانات متشابهة من عدد من الدول وتلقى الضوء على أوجه الاختلاف في طرق جمع تلك البيانات، وبذلك تتوفر للباحثين فرصة الحصول على بيانات مقارنة من عدة دول حول العالم. ويعد "مسح الصحة، والشيخوخة، والتقاعد في أوروبا" (المشار إليه لاحقاً في برواز "البحث الواقعي") نموذجاً للبحوث التي تجرى على مستوى الدول الأوروبية، والتي يمكن أن توفر بيانات مقارنة حول بعض الموضوعات والقضايا للطلاب الذي يكون مهتماً بها.

البحث الواقعي

الدراسة المقارنة

دراسة ألبرتيني، وكولي، وفوجل (2007) بعنوان: "مبادلات الزمن والأموال بين الأجيال في الأسر الأوروبية: الأنماط المشتركة والنظم المتباينة" منشور في: المجلة الدولية للسياسة الاجتماعية الأوروبية، عدد (17)، 319 صفحة.

نظراً لوصول عدد كبير من سكان الدول الأوروبية إلى سن الشيخوخة، وما يتكلفه هذا الوضع من نفقات لإعاشة كبار السن؛ اتجه هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تدفق المال والموارد بين الأجيال في عشرة بلاد أوروبية.

(*) OECD = Organization for Economic Cooperation and Development: www.oecd.org
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

(**) EU = European Union: Euro Srat ، <http://epp.eurostat.ec.europa.eu/>
وقد تم آخر دخول على الموقع بتاريخ 20 يوليو 2009.

ماذا أراد الباحثون استكشافه؟

أراد الباحثون جمع المزيد من المعلومات عن تدفق الأموال والموارد الأخرى - بما فيها وسائل الدعم الاجتماعي ورعاية الأحفاد - بين الآباء وأبنائهم الكبار. وهل تختلف أنماط ذلك بين نظم الرعاية المختلفة؟

ماذا فعل الباحثون؟

استخدموا بيانات خاصة بعدد 777، 22 فردا من عشرة بلاد أوروبية (ليس من بينها المملكة المتحدة). وكانت تلك البيانات قد جمعت كجزء من "مسح الصحة، والشيخوخة والتقاعد في أوروبا" (*)، وهو عبارة عن مسح تتبعى دولى مقارن ومتعدد التخصصات يتناول أوضاع السكان الذين تتجاوز أعمارهم الخمسين عاما. وسعوا بعد ذلك إلى الكشف عن الفروق بين البلاد باستخدام تنميط لنظم الرعاية الاجتماعية والصحية.

نتائج البحث

اكتشف الباحثون أنه يحدث في كافة الدول الأوروبية تدفق صاف من الآباء إلى أبنائهم الكبار، خاصة من ناحية الآباء الأصغر سنا نسبيا، إلا أنه تبين أن المال والموارد تتدفق من الآباء لأبنائهم البالغين بمعدل أقل، ولكن "بكثافة أكبر" في دول جنوب أوروبا، وأن فروق هذا التدفق تعكس الفروق في نظم الرعاية المختلفة.

تصميم البحث

استطاع الباحثون استخدام بيانات سبق جمعها في إطار مسح ضخم دولى مقارن، تم فيه توجيه نفس الأسئلة إلى أفراد العينة الذين تتجاوز أعمارهم خمسين عاما وينتمون إلى عشر دول أوروبية. ويمكن القول أن هذا البحث قد انتهاز فرصة توفر تلك البيانات التي جمعها ذلك المسح الدولى الضخم، واستفاد بها في الإجابة على تساؤلات بحثهم. كما اعتمد الباحثون على نماذج نظرية متوفرة فعلا لنظم الرعاية الاجتماعية لمساعدتهم على تفسير الفروق التي اكتشفوها بين الدول المختلفة.

(*) SHARE = Survey of Health, Ageing and Retirement in Europe. www.share-project.org/

بحثك

اختبار جودة البحث : البحث الاجتماعي المقارن

- كيف ستبرر اختيارك للحالات ؟ وما أساس المقارنة التي عقدتها؟
- هل استطعت تحديد المعايير التي ستقارن بين الحالتين على أساسها؟
- هل يمكنك تعيين البيانات القابلة للمقارنة والمتعلقة ببؤرتي البحث؟
- كيف ستتناول قضايا الاختلاف في اللغة، وفي الثقافة، وفي التفسير؟
- هل ستعتمد على البيانات الثانوية وحدها، وأعني البيانات التي جمعها باحثون آخرون لخدمة أغراض بحثية أخرى ؟ كيف ستبرر وتفسر هذا الاعتماد؟
- هل يمكنك جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها من كلتا حالتى الدراسة؟
- هل توجد ثمة دلالات أخلاقية لدراستك؟

بحوث التقييم

يعنى التقييم فى جوهره تقدير قيمة شيء ما من حيث تأثيره على ظرف معين ، أو على فرد (أو أفراد) ، أو منظمة معينة. وترتبط بحوث التقييم الاجتماعى عادة بتدخل أو تغير معين تم إحداثه بشكل مقصود، وذلك لمعرفة ما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغير المنشود أو النتائج المستهدفة من عدمه. والقضية المحورية هنا هى تقرير كيفية تحديد تلك النتائج وكيفية قياسها. وقد يتم تعريف القيمة فى ضوء الفوائد الملحوظة (الظاهرة) القابلة للقياس، التى تحققت لصالح جماعات معينة، أو زيادة الكفاءة، أو الرضا، أو منفعة النفود أو تحسين الممارسات المتبعة.

ولعل التصميم شبه التجريبي هو الأنسب لبحوث التقييم، حيث يحدث تدخل فى ظرف أو موقف معين وظرف آخر لم يحدث فيه مثل هذا التدخل (العينة الضابطة) ويمكن كبديل للتصميم شبه التجريبي استخدام التصميم التبعي، حيث يكون أكثر ملاءمة فى الحالات التى تكون فيها البيانات قد جمعت قبل حدوث التدخل وبعده.

من ناحية أخرى يرجح الاستعانة في البحث التقييمي ببعض عناصر التصميم المسحي المقارن ، وربما كذلك تصميم دراسة الحالة .

مبررات إجراء البحث التقييمي

- 1 - للكشف عما إذا كان التدخل أو التغيير قد حقق النتائج المنشودة من عدمه .
 - 2 - لتقدير مدى نجاح عملية ما (مثل تنفيذ سياسة اجتماعية ، أو تطبيق أسلوب جديد) .
 - 3 - للوقوف على كيفية تحسين عملية معينة أو تدخلا معيناً .
 - 4 - لتقدير ما إذا كانت تكلفة العملية (مثل الخدمة ، أو تنفيذ سياسة اجتماعية . . . إلخ) تساوى ما أنفق عليها من مال ، أو حققت "أقصى ما يمكن" مقابل هذا المال .
 - 5 - للكشف عن العناصر التي نجحت (أو التي فشلت) وأسباب ذلك في كلا الحالتين .
- والغالب أن يتم جمع كم كبير من البيانات لتوفير الدليل على "قيمة" ما تحقق . وتشتمل تلك البيانات على بيانات كمية وبيانات كيفية . يتم جمعها من مجموعات متنوعة من الأفراد . من ذلك - مثلاً - أن تقيم استحداث خدمة جديدة يمكن أن يشتمل على توفير البيانات التالية:
- بيانات كمية توضح عدد الناس الذين يستخدمون هذه الخدمة ، وأنماطهم المختلفة .
 - بيانات عن رضا الناس الذين ينتفعون بهذه الخدمة .
 - بيانات متعمقة مستمدة من المنتفعين بهذه الخدمة تتعلق بخبراتهم معها وتصوراتهم عنها .
 - آراء مقدمي هذه الخدمة ، بدءاً من العاملين وحتى المديرين المسؤولين ، تتعلق بجودة الخدمة المقدمة للناس ، ورأيهم في تأثيرها عليهم .
 - شواهد وثائقية عن طريقة تصميم الخدمة وطرق تقديمها ، تشمل على سبيل المثال: الخطط ، ومحاضر الاجتماعات المتعلقة بذلك .

البحث الواقعى بحوث التقييم

دراسة هيرست، ومورمباى، وبار، ونيسكون، وهنتر (2007) بعنوان: "تقييم مبادرات لمكافأة الشباب فى مدينة يورك: مؤسسة جوزيف راونترى"، منشورة على الموقع التالى:

www.jrf.org.uk/knowledge/findings/housing/2149asp .

(تاريخ آخر دخول على الموقع 11 سبتمبر 2008)

أدى الإحساس بالقلق من سلوك بعض الشباب فى بعض الأحياء؛ أدى بصندوق إسكان جوزيف راونترى إلى ابتكار مشروع لمكافأة السلوك "الطيب" يقوم على تجميع نقط عن الأنشطة التى تقدم خدمات للمجتمع . وتخول النقاط التى يحصل عليها الشاب؛ تخول له الحصول على بعض المكافآت، كتذاكر لدخول السينما مثلا . وقد تم تنفيذ هذا المشروع فى اثنتين من المدن البريطانية.

ماذا فعل الباحثون؟

طلب من الباحثين تقييم المشروع من حيث نجاحه فى كلا المدينتين، وتصورات الشباب عن المشروع، ومن حيث حدوث زيادة فى مشاعر التسامح تجاه الشباب وتجاه أنشطتهم .

وقد تم جمع البيانات بعدة طرق: المقابلات، وجماعات المناقشة المركزة (البؤرية)، وبحوث المشاركة . كما غطت البيانات مختلف أصحاب المصلحة (بمن فيهم بعض الشباب الذين شاركوا فى المشروع، وبعض من لم يشاركوا)، والعاملين فى المشروع، وبعض سكان المدينتين .

نتائج البحث

حقق المشروع مستويات متباينة من النجاح فى المدينتين . ولم تنجح أي من المدينتين فى ضم شباب دون الخامسة عشر إلى المشروع . وتوفرت بعض الشواهد فى إحدى المدينتين عن ميل بعض الشباب إلى الانخراط فى أنشطة المجتمع المحلى

والاهتمام بها . إلا أن التقييم لم يستطع أن يوضح ما إذا كانت قد حدثت زيادة في درجة التسامح تجاه الشباب ، أو ما إذا كان المشروع قد حقق نجاحا طويل المدى .

تصميم البحث

أخذ التصميم الأولي للمشروع الذى بدأ فى مدينتين ، أخذ فى الاعتبار إجراء عملية تقييم له . وقد ضمن ذلك أن تراعى الظروف الخاصة بكل مدينة (بما فى ذلك مستوى الموارد المتاحة للمشروع) وكيفية تأثير تلك الظروف على مسار المشروع . وقد غطى بحث التقييم مختلف أصحاب المصلحة ، بمن فيهم الشباب الذين شاركوا فيه والذين لم يشاركوا (كنوع من الجماعة الضابطة) .

والمعتاد - ولكن ليس دائما - أن يكون بحث التقييم ذا قيمة للجهة التى كلفت بإجرائه ، أو لأطراف أخرى ممن يعملون فى مجالات مشابهة . فقد ينفذ البحث بهدف معرفة المجالات التى يمكن إدخال تحسينات عليها ، أو لاستخلاص بعض الدروس التى يمكن أن تفيد آخرين فى ظروف مشابهة .

وفيما يتعلق بمجال السياسة الاجتماعية وبعض مجالات الخدمة الاجتماعية غالبا ما يرتبط البحث التقييمى بتقدير الآثار المترتبة على بعض السياسات الاجتماعية ، أو الممارسات ، أو المشروعات الجديدة ، كما يستهدف تقدير ما إذا كانت تلك السياسة أو الممارسة أو المشروع قد حققت ما كان مرجوا منها ، وأسباب ذلك . وقد ابتكر العالمان البريطانيان باوسون وتيللى (1997) فكرة التقييم الواقعى الذى يلتزم بالأفكار الأساسية للواقعية النقدية (الفصل 2 من الباب 1) . وذهب هذان العالمان إلى أن البحث يجب أن يصمم بحيث يمكن أن يجيب على السؤال : "لماذا نجح المشروع / أو لماذا لم ينجح؟" .

بحثك

اختبار جودة البحث : البحث التقييمى

- هل ستساعد البيانات التى تقوم بجمعها على الإجابة على أسئلة التقييم؟
- هل تحت يدك بيانات قابلة للمقارنة عن الموقف قبل تنفيذ المشروع أو التدخل أو التغيير؟

- هل تستطيع جمع بيانات عن مختلف أصحاب المصلحة - وهم أصحاب اهتمامات مختلفة - تجاه المحور الأساسى للتقييم؟
- ما وضعك بالنسبة للتقييم والمشاركين فى البحث؟ وهل أنت خارج الموقف الذى تتناوله، أم تعتبر "عنصرا داخليا"؟
- هل يسمح لك تصميم البحث بالادعاء بأنه يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أكبر أو على ظروف مختلفة؟ لاشك أن ذلك سوف يتوقف على الأسلوب الذى اتبعته فى اختيار المشاركين فى بحث التقييم.
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع بيانات تعبر عن الواقع الاجتماعى وتكون "بديلا عنه"، أي بيانات تعكس الواقع الاجتماعى للبيئة الاجتماعية الطبيعية؟
- هل أنت متأكد أن البيانات التى جمعتها قد جمعت بطريقة متسقة وموثوق بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لعملية التقييم بالنسبة لمختلف أصحاب المصلحة الذين شاركوا فى البحث؟

البحث الإثنوجرافى(*)

إن ما يجعل الدراسة الإثنوجرافية مختلفة عن أنواع الدراسات الأخرى هو تلك العلاقة بين الباحث والمادة التى قام بجمعها. ففي الدراسة الإثنوجرافية ينفق الباحث وقتا طويلا (قد يصل أحيانا إلى عدة سنوات) منغمسا انغماسا شديدا فى المجتمع الذى يدرسه، يرى البيانات ويسمعها مباشرة من أصحابها. ويسمى هذا المجال عادة "الميدان" أو "البيئة الطبيعية". والمعتاد أن يضطلع الباحث بدور فى حياة الجماعة التى يدرسها، مما يسمح له بالمشاركة فى مجتمع البحث كباحث وطرف مشارك فى نفس

(*) يمكن أن يعرف القارئ المزيد عن مختلف جوانب المنهج الإثنوجرافى فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية فى روبرت إيمرسون وزملاؤه، البحث الميدانى الإثنوجرافى، ترجمة هناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. وانظر كذلك: شارلين هس - بيير وباتريشيا ليفى، البحوث الكيفية فى العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، مراجعة وتقديم محمد الجوهري، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١١. (المترجم)

الوقت. ومن نماذج البحوث الإثنوجرافية الوثائقية التي حظيت بشهرة في الإعلام نشير إلى أعمال لوى تيرو، انظر له مثلا:

http://news.bbc.co.uk/1/hi/magazine/7753282.shm (آخر دخول على الموقع بتاريخ 20/7/2009) وأعمال بروس بارى . www.bbc.co.uk/tribe/index.shtml (آخر دخول على الموقع بتاريخ 20/7/2009).

ويحتفظ الباحث بدفتر يوميات يدون فيه ملاحظاته التأملية والنقدية، حيث تصبح هذه التأملات جزءاً من البيانات التي يقوم عليها البحث. وبعد أن يتم جمع البيانات وتحليلها، قد يؤثر ذلك على طريقة جمع المزيد من البيانات مستقبلاً. والمعتاد أن يتم جمع البيانات باستخدام الملاحظة المباشرة، والحوارات، وأحياناً بعض المقابلات الأقرب للطابع الرسمي. ولا يغفل البحث الإثنوجرافى الاستفادة من الوثائق المتصلة بموضوع الدراسة. كذلك يتم جمع البيانات الميدانية باستخدام التصوير، الفوتوغرافى أو الفيديو. (إذا كنت مهتماً بهذا اللون من الدراسة، راجع المزيد عنها فى فقرة "المراجع وقرءات للاستزادة" الواردة فى نهاية الفصل) (*).

وواقع أن المنهج الإثنوجرافى يسير على نهج تصميم دراسة الحالة. وإن كان سيزيد عليه بُعد آخر هو مشاركة الباحث فى الظاهرة الاجتماعية محل الدراسة، كما يتميز على دراسة الحالة بسعيه - من خلال المشاركة وجمع البيانات بالطرق المعتادة والتأمل النقدي - للوصول إلى فهم أعمق لثقافة الجماعة، أو المنظمة، أو المجتمع المحلى محل الدراسة. ويتم التوصل إلى هذا الفهم بملاحظة كيفية تأسيس الناس للمعنى الاجتماعى وللأفعال فى أثناء حياتهم اليومية.

وعلى الرغم من أن الدراسة الإثنوجرافية الطويلة ليست بالأمر الميسور أو المتاح لأغلب الطلاب الجامعيين، فإنه يمكن تصميم دراسة أقصر أو أصغر نطاقاً، قد تتركز

(*) لقى أسلوب التصوير الفوتوغرافى، وبالفيديو، وبالسينما رواجا كبيرا فى البحوث الاجتماعية والأنثروبولوجية الحديثة (خاصة طوال العقدين الماضيين). وقد شجع على ذلك التطور المذهل فى صناعة آلات التصوير، وأخيراً دخول التصوير الرقمى، مما أدى إلى تجويد عملية التسجيل، وتبسيطها، وخفض تكلفتها. كل ذلك مع ارتفاع العائد العلمى (التوثيقى) من وراء استخدامها. انظر مادة: الأنثروبولوجيا البصرية فى: موسوعة علم الإنسان، ترجمة محمد الجوهري وزملاؤه، ط ٢، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠. وانظر أيضاً: جان بول كولن وكاترين دو كليل، السينما الإثنوجرافية. سينما الغد، ترجمة غراء مهنا، مراجعة وتقديم علياء شكرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢. (الترجم)

على منظمة أو جماعة يتمتع الباحث فعلا بعضويتها أو كان يعمل فيها بدوام جزئي ،
لمدة عدة أسابيع ، وليس عدة سنوات .

ولب الدراسة الإثنوجرافية ليس مجرد جمع أكبر قدر من البيانات وحسب . فلا بد
أن يكون للبحث بؤرة يتمحور حولها - وهو عبارة عن سؤال بحثي يتعين الإجابة
عليه- تتعلق بطريقة تفاعل الناس مع بعضهم البعض ، وأشكال التدرج الطبقي التي
تتجلى في طريقة عمل الناس وتعاونهم معا ، وكيفية تنظيم الباحثين أنفسهم .

البحث الواقعي

الدراسة الإثنوجرافية

. دراسة يون - مان سو (2008) بعنوان : ” الوصمة المصاحبة لمتلازمة السارس
(مرض الجهاز التنفسي الحاد) (*) لضاحايا انتشار هذا الوباء في هونج كونج“ ،
منشور في مجلة: البحوث الصحية الكيفية ، عدد 18 : 729 .

في عام 2003 تفشى مرض السارس (الذى يصيب الجهاز التنفسي بشكل حاد)
في هونج كونج . وهذا المرض الجديد - الذى يهدد حياة المريض به - مرض شديد
العدوى ، مما أثار بشأنه قلقا في شتى أنحاء العالم ، ودعى إلى تجنيد الفرق الطبية لكى
تعمل على احتوائه ومحاصرته . وقد بلغ عدد المصابين بهذا المرض حينها نحو 1700
فردا ، توفى منهم 299 . وقد اكتشف المصابون الذين نجوا من الموت أنهم موصومين
من الناس ويتعرضون للتحيز تجاههم ، ومن ثم ظل الكثيرون منهم يعانون من متاعب
جسدية ونفسية . من ذلك مثلا أن بعضهم يضطر إلى ارتداء قناع يخفى وجهه عند
تواجده في الأماكن العامة ، لأن الآخرين يظنون أنه سينقل إليهم العدوى .

ماذا فعلت الباحثة

اهتمت الباحثة بمعرفة كيفية تكوين المجتمع للوصمة والتحيز المرتبطين بضاحايا
مرض السارس . لهذا أرادت أن تفهم خبرات وتصورات ضحايا السارس .

(*) SARS = Severe Acute Respiratory Syndrome

وقررت أن تقضى 16 شهرا فى علاقة وثيقة مع جماعة مساعدة ذاتية من مرضى السارس . وهكذا قامت بجمع بيانات بحثها بواسطة : الملاحظة المشاركة ، والمقابلات ، وحضور عدد من الاجتماعات والمحاورات . وكان لدى جميع المبحوثين علم بعملية إجراء البحث . واحتفظت الباحثة بدفتر يوميات بحثى ، كما قامت بمراجعة ما توصلت إليه من تأملات وتفسيرات مع مبحثيها .

نتائج البحث

اكتشفت الباحثة أن الوصمة المرتبطة بضحايا مرض السارس لا يمكن الإحساس بها وفهمها إلا من خلال استمرار معاملة الأطباء ، والحكومة ، والجمهور لضحايا السارس على أنهم أناس مختلفون .

تصميم البحث

أتاح المنهج الإثنوجرافى للباحثة أن تؤسس - بمرور الوقت - علاقات ثقة مع الناس ، وأن تلاحظ كيفية ارتباطهم الوثيق بعضهم ببعض ، والتشارك فيما يمرون به من خبرات .

بحثك

اختبار جودة البحث: البحث الإثنوجرافى

- هل سيمكنك "الدخول" إلى المجتمع أو الوسط الذى يساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك؟
- هل ستكشف عن شخصيتك كباحث صراحة ، أم تجريه مستترا ، وماهى الدلالات التى ستترتب على دراستك؟
- كيف ستسجل وتعبر عن أفكارك وتفسيراتك؟
- كيف ستقوم بمراجعة تفسيراتك مع الآخرين؟

- ما حدود دراستك فى إطار مجتمع الدراسة الذى تعمل فيه؟
- هل سيكون بوسعك الدفاع عن نتائج بحثك من حيث قابليتها للتعميم ، وقيمتها النظرية ، وكفاءتها التفسيرية؟
- هل يمكنك تصميم البحث من جمع البيانات بطريقة متسقة وموثوق بها؟
- ما الدلالات الأخلاقية لدراستك بالنسبة لمبحوثيك؟

النظرية الموثقة

هذه هى الاستراتيجية البحثية الرابعة والأخيرة . والنظرية الموثقة شيء غير اعتيادى بعض الشيء . ويمكن القول أن النظرية الموثقة تعد - من نواح عدة - «مجرد طريقة أخرى» من طرق جمع البيانات . إلا أنها تحظى بقدر غير عادى من الشهرة والانتشار - خاصة فى الولايات المتحدة - الأمر الذى دفعنا إلى تناولها بوصفها أسلوبا يمكنك استخدامه فى إجراء بحثك . ولكننا نأمل أن يأخذ القراء هذه الفقرة من هذا الفصل بقدر من الحذر ، إذ مع أنه تساورنا بعض الشكوك الحقيقية بشأن هذا المنهج برمته ، إلا أننا مقتنعون بأن بعض ما يشتمل عليه من عمليات جمع البيانات وتحليلها يمكن أن تكون مفيدة فى كثير من البحوث ، ولو أنها غير قادرة على توليد أى أفكار نظرية .

المسار الطبيعى لعمل أى باحث هو أن ينطلق من نظرية معينة (أو ربما من : فرض معين) ، أو من تساؤل بحثى ، ثم يقوم بجمع البيانات اللازمة لاختبار النظرية أو الفرض ، أو للإجابة عن التساؤل (الفصلين 2 و4 ، من الباب 1) . ولكن النظرية الموثقة تفعل عكس هذا . فهى عبارة عن توجه بحثى منظم يقوم على تطوير - أو توليد - النظرية من واقع البيانات التى يتم جمعها . وأقل ما يوصف به مثل هذا الأسلوب أنه غير مألوف . ومثير للكثير من المشكلات . ذلك أنه أصبح من الأمور المتفق عليها بين أغلب المشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن البحث لا يمكن أن يكون فاقدا للنظرية (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) . أى إنه لا بد أن يوجد دائما نوع من النظرية الأساسية (أو العامة ، حسب وجهة نظرك) أو مجموعة الأفكار المتعلقة بطبائع الأمور . ولكن طريقة النظرية الموثقة ترفض هذا الموقف ، مما يتسبب فى إثارة مشكلة فلسفية .

والعادة أن تركز بعض الانتقادات الأخرى الموجهة إلى النظرية الموثقة على وصف نفسها بأنها «نظرية»، على أساس أن ما تنتجه ليس «بنظرية». وللوقوف على مناقشة حديثة لهذا النقد وللانتقادات الأخرى للنظرية الموثقة، راجع مؤلف توماس وجيمس (2006).

ما اتجاه النظرية الموثقة؟

أفضل وصف لاتجاه النظرية الموثقة أنه اتجاه بحثي منظم يقوم على توليد النظرية من واقع البيانات التي يتم جمعها. وقد «اكتشف» هذا الاتجاه عالما الاجتماع الأمريكيان أنسلم شتراوس وبارنى جلاسر (انظر كتابهما الصادر 1967). وقد وصفا هذا الاتجاه الجديد بأنه محاولة لجسر الهوة بين النظرية والبحث. ثم حدث شقاق رئيسى بعد ذلك بين شتراوس وجلاسر، حيث اختلفا على تطبيق منهج النظرية الموثقة. وقد أدى هذا الخلاف فى النهاية إلى انفصال جلاسر وتأسيسه «معهد النظرية الموثقة» (انظر موقع www.groundedtheory.org الذى يستحق منك زيارة إلكترونية). وتوفى شتراوس عام 1996 فى سن التاسعة والسبعين، الأمر الذى جعل من المستحيل استعادة الوثائق والتغلب على الخلاف مع جلاسر، وإن كانت «جوليا كورين» قد تابعت رسالته بشكل جزئى.

ولا شك أن النظرية الموثقة كمنهج بحثي تتسم بعدد من المزايا، ويرجع ذلك - فى جانب منه - إلى كونها عملية شديدة التفصيل والتدقيق. ولذلك لا بد أن تتوفر للباحث الذى يستخدمها خبرة بحثية عريضة وقدر هائل من القدرة على الفهم والتبصر. ويمكن القول - إجمالاً - أننا نعتقد أن الباحثين المبتدئين يجب ألا يمارسوا طريقة النظرية الموثقة إلا بكثير من الحذر وتحت إشراف دقيق. ومع ذلك فالعمليات التفصيلية المستخدمة فى هذه الطريقة تفيد الباحث فائدة جمة، ويمكن - مع بعض التعديلات - استخدامها فى بعض السيناريوهات الأخرى لجمع البيانات وتحليلها.

ويتسم اتجاه النظرية الموثقة بعنصرين رئيسيين ومفيدين فى نفس الوقت. أولاً: أننا يجب أن نلاحظ أن النقطة الأخيرة فى تعريفنا السابق للنظرية الموثقة هى ما خلصنا إليه من أن كثيراً من الباحثين يستخدمون هذه الطريقة دون أن يتقبلوا عنصر توليد النظرية. ويرجع ذلك - فى جانب منه على الأقل - إلى أن كثيراً من الباحثين يشعرون

أن سمة «التوثيق» (نستخدم هذا المصطلح بمناسبة التحليل الكيفي الذى يعنى: الاتصال الدائم بالبيانات الخام) الميزة لهذه الطريقة تمثل مقومات تميزها المهمة. ويعنى هذا أن هذا الاتجاه إنما هو طريقة لجمع البيانات وتحليلها، يتعامل مع البيانات بالشكل الذى تم به ملاحظتها، وسماعها و تسجيلها. فالباحث يتبنى بذلك اتجاهها استقرائيا (انظر قائمة المصطلحات) فى معالجة البيانات، على الأقل فى المراحل الأولية من التحليل.

النقطة الثانية أنه فى نفس الوقت الذى نستخدم فيه طريقة النظرية الموثقة فى جمع البيانات، تتم عمليات توليد النظرية والتحليل بشكل متزامن. (يذهب كثير من الباحثين الاجتماعيين إلى أن عمليات جمع البيانات والتحليل [انظر الباب 4] تتم دائما بالتزامن مع بعضها، ولكن الأمور لا تسير بمثل هذا الوضوح فى كل الأحيان).

ويمكن جمع البيانات وتحليلها وفقا لطريقة النظرية الموثقة بعدة أساليب مختلفة. فالملاحظ عموما أن هذا التكنيك يستخدم فى البحوث الكيفية فقط، وإن كان لا يوجد سبب حقيقى يمنع استخدامه فى البحوث التى تستخدم مزيجا من طرق البحث، وهو ما يعرف باسم « طرق البحث المختلطة».

عملية تطبيق النظرية الموثقة

يبدأ البحث القائم على النظرية الموثقة بمجرد وصول الباحث إلى موقع البحث. ويكون دورك - كباحث - هو محاولة فهم العمليات التى تحدث أمامك، وفهم أساليب الفاعلين المشاركين فى السلوك. وأكثر الأدوات التى تستخدم فى ذلك انتشارا هما: المقابلات، والملاحظة، وإن كان لا يوجد ما يمنع استخدام سائر الطرق الكيفية الأخرى. وفى أعقاب كل دورة من دورات جمع البيانات (أيا كانت الطرق المستخدمة فيها) يتم تسجيل «النتائج» (التي قد تكون بعض البيانات أو القضايا المحورية... إلخ). وعلى الفور يتم استخدام تلك النتائج كجزء من عملية المقارنة المستمرة (انظر قائمة المصطلحات)، التى تمثل - إلى جانب عمليتى الترميز وتدوين المذكرات الميدانية (انظر قائمة المصطلحات) - عناصر أساسية فى عملية التحليل. فتقوم فى البداية بمقارنة البيانات المجموعة من مصادر مختلفة (التي يمكن أن تشمل - بطبيعة الحال - التراث المنشور عن الموضوع وكذلك النتائج التى انتهت إليها البحوث الإمبريقية). فى نفس الوقت يحرص الباحث على التماس النماذج السالبة (انظر قائمة المصطلحات)، وهى

الشواهد أو الحالات التى تتناقض مع النظرية البارغة أو لا تؤيدها . وعندما تضع يدك على هذه النماذج السالبة، فسوف تعتبرها مؤشرا على الحاجة إلى إجراء المزيد من البحث، الأمر الذى سيؤدي بدوره إلى تعديل النظرية البارغة. ويعد كذلك مؤشرا على أنك لم تصل بعد إلى مرحلة التشيع بالبيانات (انظر قائمة المصطلحات).

هناك اعتقاد أنه مع استمرار عملية البحث سوف تبرز النظرية وتبلور، بحيث يصبح من الممكن المقارنة بين البيانات والنظرية. ومن الأمور المختلف عليها ما إذا كان من الممكن بلوغ هذه المرحلة، ولكن مما لا شك فيه أن العمليات المستخدمة سوف تفيد البحث. من ذلك مثلا أن المقارنة المستمرة غالبا ما تكون وسيلة ممتازة لبلورة الموضوعات والفئات الأساسية وتحديدها. وسوف نتناول عملية التحليل بمزيد من التفصيل فى الفصل 8 من الباب 4 من هذا الكتاب.

ما جدوى اتجاه النظرية الموثقة؟

تتسم طريقة النظرية الموثقة ببعض المكونات والعمليات الفريدة التى يمكن أن تفيد البحوث الأخرى. نذكر منها ما يلى:

- يمكن أن تكون أفكار: وثيقة الصلة، وعملية الاستخدام، والقابلية للتعديل بمثابة بدائل مفيدة لفكرة الصدق.
- فكرة إجراء عمليتي جمع البيانات والتحليل بشكل متزامن .
- تتيح هذه الطريقة للباحث التعامل بشكل متزامن مع مصادر وأنواع مختلفة من البيانات.
- من الأمور المهمة لنا جميعا كباحثين تلك الطريقة الدقيقة التى يتم بها تخطيط العملية البحثية، وتنفيذها، وتسجيلها.
- اشتمالها على العمليات والعناصر التالية:
- المقارنة المستمرة: وهى مقارنة البيانات المستمدة من مصادر مختلفة ومن أماكن وفى أوقات متباعدة لدعم عملية التحليل، وذلك جنبا إلى جنب البحث عن النماذج والحالات السالبة.

- الترميز: وهى عملية «وضع رموز» أو علامات مميزة على المادة للانتفاع بها لاحقاً عند التحليل. ولكنها تنقسم إلى ثلاثة أبعاد مفيدة فى هذه الحالة (البعد المباشر، والمحورى، والانتقائى).
- المذكرات الميدانية السريعة: وهى أساليب لتسجيل وتأمل، وتحليل البيانات.
- التشيع بالبيانات: وهو مفهوم مهم يعنى أن هناك بعض الأساليب التى يستطيع بها الباحث التأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافى» من البحث.

بحثك

اختبار جودة البحث: اتجاه النظرية الموثقة

من الناحية العملية يمكن القول أن اختبارات جودة البحث التى يتعين مراعاتها بالنسبة لاستراتيجية النظرية الموثقة هى نفس الاختبارات التى تراعى بالنسبة لاستراتيجية البحث الإثنوجرافى. إلا أن مخترعى النظرية الموثقة يرون أن قيمة هذا النوع من البحوث يمكن تقييمها على الوجه الأفضل وفقاً لعدة أسس يطلقون عليها مصطلح «وثاقة الصلة» *relevance*، والقابلية للتعديل *modifiability*، وعملية الاستخدام *workability* (جلاسرو وشتراوس، 1967). ومع أننا قد نتعجب من قدرات مخترعى هذه الطريقة الإبداعية المجددة فى استخدام اللغة، فإن التعريفات التى قدمها جديرة بالتأمل وإعمال الفكر، ومن الممكن الانتفاع بها فى أنواع أخرى من البحوث.

وثاقة الصلة: لكى تكون الدراسة وثيقة الصلة بطريقة النظرية الموثقة، فلا بد أن تكون ذات أهمية أكاديمية، كما يتعين أن تكون مهمة للمشاركين فى البحث (المبحوثين).

القابلية للتعديل: حيث إنه من المستحيل تطبيق مفهومى «الصواب» و «الخطأ» على النظرية الموثقة، فإنه يصبح من الممكن دائماً تعديل النظرية كلما ظهرت بيانات «جديدة» بالقياس إلى البيانات المتوفرة فعلاً.

عملية الاستخدام: وهى مقياس لأسلوب النظرية الموثقة فى تفسير الموضوع أو القضية محل البحث.

وهكذا تدعى النظرية المؤتقة أنها تمدنا بالنسق الفكرى الذى يتيح لنا الحكم عما إذا كانت «النظرية» التى توصلنا إليها «جيدة» أم لا (لا شك أن القراء يدركون تمام الإدراك أن مصطلحات مثل «نظرية»، و«جيدة» .. هى محل خلاف). وهى تفعل ذلك بطرق تختلف عن الطرق المألوفة لنا. ويحدد شتراوس وكوربن (1990) توفر أربعة شروط لتنفيذ هذه العملية، هى :

- 1 - لا بد أن تكون النظرية مناسبة للظاهرة محل الدراسة.
- 2 - يتعين أن تكون النظرية مفهومة وقادرة على تزويدنا بالفهم.
- 3 - لا بد أن تكون النظرية ملائمة لعدد كبير من السياقات.
- 4 - يجب أن تتضمن النظرية توصيفا للظروف التى تنطبق عليها.

أي التصميمات البحثية هو الأنسب لك؟

اتضح من هذا الفصل أن تصميم البحث مسألة معقدة ، ولعل العنصر الحاسم فى الموضوع أن يتأكد الباحث أن التصميم الذى يضعه مناسب للمشروع الذى يكون بصدد القيام به. فكون أحد الباحثين قد فعل شيئا شبيها فى الماضى ، أو كون أحد تصميمات البحث يحظى بشهرة فى هذا الوقت .. كل ذلك لا يعنى أن هذا التصميم مناسب لمشروعك . لذلك يتعين عليك أن تمنع التفكير فى مختلف التصميمات والاستراتيجيات البحثية المتاحة.

بحثك

فى ضوء موضوع بحثك وتساؤلات البحث :

ما التصميم البحثى الذى سوف تختاره؟

التصميم التجريبي أو شبه التجريبي سوف :

• يمكنك من التعرف على التأثير الذى ترتب على تغير أو تدخل معين .

- يسمح لك بالوقوف على العلاقات العلية بين مختلف الخصائص ، والتغيرات ، وعمليات التدخل .
- يسمح لك باختبار فرض بحثك .
- التصميم المسحي المقارن سوف :
 - سوف يمكنك من مقارنة خبرات ، وآراء ، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات .
 - سوف يسمح لك باستكشاف العلاقات المحتملة بين خبرات ، وآراء ، وخصائص جماعات مختلفة من الأفراد أو الحالات .
 - يشتمل فى العادة على بيانات مستمدة من عينة مختارة تمثل جماعات مختلفة من مجتمع البحث ، ويكون من الممكن تعميم النتائج على المجتمع كله .
 - التصميم التبعى سوف :
 - يمكنك من الوقوف على التغيرات التى حدثت عبر فترة زمنية .
 - يتيح لك أن تحدد الفروق الأساسية التى ظهرت بمرور الزمن ، وأن تقف على التفسيرات المحتملة لذلك .
 - يمكنك من الكشف عن الآثار التى ترتبت على بعض الأحداث أو التغيرات الأساسية من واقع البيانات التى جمعت قبل تلك الأحداث أو التغيرات وبعدها .
 - تصميم دراسة الحالة سوف :
 - يمكنك من تناول عدد قليل من الحالات بشكل متعمق .
 - يتيح لك أن تتأمل موضوع بحثك فى سياق أو سياقات معينة .
 - يمكنك من تبني توجه كلى (شمولى) فى معالجة بحثك ، وفهم موضوعك فى إطاره الواقعى .

المراجع وقراءات للاستزادة.

- Banks, M. (2001) *Visual Methods in Social Research*, London: Sage.
- BBC News (2008) Ban on student alcohol promotions *BBC News*, 31 March (<http://news.bbc.co.uk/1/hi/england/merseyside/7323578.stm>) (accessed 20 July 2009).
- Brewer, J. D. (2000) *Ethnography*, Buckingham: Open University Press.
- Esping-Andersen, G. (1990) *The Three Worlds of Welfare Capitalism*, Cambridge: Polity Press.
- Claser, B. G. and Strauss, A. L. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.
- Kennett, P. (2001) *Comparative Social Policy*, Buckingham: Open University Press.
- Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.
- Pawson, R. and Tilley, N. (1997) *Realistic Evaluation*, London: Sage.
- Pink, S. (2001) *Doing Visual Ethnography: Images, Media and Representation in Research*, London: Sage.
- Smithers, R. (2009) UK teenagers among heaviest drinkers in EU, *Guardian*, 27 March (www.guardian.co.uk/society/2009/mar/27/teenage-drinking-alcohol-binge) (accessed 20 July 2009).
- Strauss, B. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.
- Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.
- Yin, R. K. (2003) *Case Study Research: Design and Methods*, 4th edn, London: Sage.

الفصل الرابع

اختيار طرق البحث

محتويات الفصل

- اختيار الطرق .
- قضية الكيفي في مقابل الكمي .
- الطرق المختلطة .
- اختيار الطرق .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

سنبدأ في هذا الفصل النظر بشكل عملي إلى الطرق أو الاتجاهات التي يتم استخدامها في جمع البيانات ومعالجتها . وسوف تعتمد على تخطيط رؤيتك المنهجية على تساؤلاتك البحثية وعلى تعريفاتك الإجرائية (الفصل 4 من الباب 1) ، وعلى طبيعة البيانات (الفصل 3 من الباب 1) التي تحتاج إلى جمعها كي تستطيع اختبار فرضك أو الإجابة على تساؤلات بحثك . والعادة أن تقسم المنهجيات البحثية إلى اتجاهات كمية واتجاهات كيفية . إلا أن المعتاد أن يستخدم الباحثون أكثر من طريقة واحدة في جمع البيانات ، بل إنه أصبح من الشائع بشكل مضطرب استخدام عدة طرق مختلطة . وسنبدأ بتناول الاتجاهات الكمية ، ثم الكيفية ، ثم المختلطة ، إلى أن يُسلمنا ذلك إلى إعمال الفكر في أساليب اختيار الطرق .

اختيار الطرق

التوجه الذى نتبناه فى هذا الكتاب هو أن اختيار طرق جمع البيانات ينبغى أن يتحدد فى ضوء فروض البحث أو تساؤلاته، وكذلك وفقا لتلك العناصر من موضوع البحث التى تمثل بؤرة الاهتمام الأولى للباحث. لذلك يتوقف اختيار الطرق على نوع البيانات المراد جمعها، لكى يتمكن الباحث من اختبار فروضه أو الإجابة على تساؤلات بحثه. على أننا يجب - على أية حال - أن نعترف بأن هناك مجادلات بين الباحثين الاجتماعيين حول الاتجاهات الكلية (الشمولية) لجمع البيانات، وهو جدل ناجم عن تنبى كل طرف لرؤى أو نظولوجية وإبستمولوجية مختلفة للعالم الاجتماعى، ومختلفة بشأن كيفية دراسته. وقد أطلقنا على هذا الجدل تعبير: قضية الكيفى فى مقابل الكمى.

قضية الكيفى فى مقابل الكمى

تدلنا النظرة إلى تاريخ البحث الاجتماعى وتطور طرق البحث الاجتماعى (انظر العرض المختصر لهذا التاريخ الذى قدمناه فى الفصل 2 من الباب 1)؛ تدلنا على وجود انقسام كيفى وكمى بين الباحثين الاجتماعيين. وقد دارت على امتداد الخمسين عاما الماضية مناقشات حامية بين الطرفين تتعلق بقيمة كل من الاتجاهين الكمى والكيفى فى جمع البيانات وتحليلها. وكما رأينا فى الفصل (2) من الباب (1) ترتبط كل التوجهات المتباينة باختلاف النظرة إلى العالم وفهمه، وكيف يمكننا معرفة الظواهر الاجتماعية الموجودة داخل عالمنا الاجتماعى. وقد تطورت طرق البحث الاجتماعى وفقا لهذه الأسس. من ذلك مثلا أن الطرق الكمية فى العلوم الاجتماعية قد أفادت فى تطورها من الطرق المستخدمة فى العلوم الطبيعية. وهى تركز على الأفكار الأساسية التالية: (أ) أن العالم يتمتع بواقع مادى، (ب) أنه من الممكن قياس جميع الظواهر التى تحدث، (ج) أن نتائج هذا القياس التجريبي تظل هى هى كلما تكررت عملية القياس. وقد تم بنجاح تكييف بعض عمليات استخدام طرق العلوم الطبيعية فى بعض العلوم الاجتماعية (خاصة علم النفس، وكذلك فى علم الاجتماع إلى حد ما) وأصبحت جزءا من الاتجاهات البحثية الاجتماعية بالفعل.

إلى جانب ذلك، تطورت فى علوم أخرى - أبرزها جميعا الأنثروبولوجيا - طرق لدراسة المجتمعات انطوت على ربط الباحث ربطا وثيقا بأفراد المجتمع الذى

يدرسه، إلى حد الإقامة بينهم فترة من الزمن . وكان منهج أولئك العلماء يقوم على ملاحظة الناس والاستماع إليهم وهم في مواقف حياتهم الطبيعية . وهكذا كانت معظم البيانات التي يتم جمعها ينبع مباشرة من أحداث ومواقف تحدث بشكل طبيعي في العالم الاجتماعي المدروس . ومن النماذج المبكرة للدراسات الاجتماعية التي استخدمت المنهج الأنثروبولوجي دراسة «وايت» المعنونة : «مجتمع النواصي: البناء الاجتماعي لحى إيطالي متخلف» التي أجراها في الأصل عام 1955 (وايت ، 1993) . وتطور هذا الاتجاه في دراسة العالم الاجتماعي إلى ما أصبح يعرف بالاتجاه الكيفي في جمع البيانات ومعالجتها . وانبثقت عنه بعض طرق جمع البيانات التي تتيح للباحثين الاجتماعيين جمع البيانات التي تحصلوا عليها من المبحوثين أنفسهم مباشرة ، ومعالجتها أيضا .

ثم شهدت أواخر القرن العشرين تطورات على صعيد كل من الاتجاهات الكمية (كاستخدام أجهزة الحاسب الآلى ، وتطوير أساليب التحليل الإحصائي) والاتجاهات الكيفية (كتطوير البحوث النسوية ، وتطوير طرق جديدة لجمع البيانات وتحليلها ، والاستعانة ببرامج الحاسب الآلى في عملية التحليل) . ومع ذلك ما زالت هناك بعض الحدود الفاصلة بين الاتجاهيين داخل العلم الواحد . كما أصبحنا نجد داخل المجال البحثي الواحد هيمنة أحد الاتجاهين . وذلك إلى حد التأثير على اختيار الطرق التي يمكن أن يستخدمها الطلاب في ممارستهم للبحث الاجتماعي . وقد نجحت السنوات الأخيرة في تحطيم تلك الحدود بين فروع العلم وداخل العلم الواحد ، وذلك بعدة سبل كان منها - مثلا - تزايد أعداد المشروعات البحثية في إطار العلوم الطبية ، التي تقوم على التصميم البحثي التقليدي الذي يجمع البيانات الإحصائية ، مع تبني توجه كيفي في الممارسة البحثية .

ما : الفرق بين الطرق الكمية ، والكيفية ، والمختلطة؟

- تقوم طرق البحث الكمية أساسا على جمع البيانات المقتنة (الفصل 3 الباب 1) ومعالجتها ، وهي بيانات يمكن عرضها في شكل رقمي . ويتم جمع البيانات الكمية عادة - على نحو ما عرضنا في الفصل 2 من الباب 1 - في الحالات التي

يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفيا (إبستمولوجيا) وضعيا ، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصائيا .

- أما طرق البحث الكيفي فتقوم أساسا على الاهتمام بالقصص والروايات التي يقدمها الباحثون وتحتوى على مفاهيم ، ومشاعر ، وآراء ، ومعتقدات ذاتية . ويتم جمع البيانات الكيفية عادة - على نحو ما أوضحنا فى الفصل (2) من الباب (1) - فى الحالات التى يتبنى فيها الباحث اتجاهها معرفيا تأويليا ، وتكون البيانات المجموعة هى كلمات وتعبيرات الباحثين أنفسهم (انظر الفصلين 2 و3 من الباب 1) .
- لعل أفضل تصوير للطرق المختلطة أنها تمثل مزجا أو تأليفا بين الطرق الكيفية والكمية بالطريقة الأنسب للمشروع البحثي الجارى .

سبق أن أوضحنا فى الفصلين (2) و (3) من الباب الأول أن البيانات التى نتاح لنا عن العالم الاجتماعى تتوقف على الاتجاه الأونطولوجى (أى النظرة إلى طبيعة العالم الاجتماعى ، وإلى طبيعة وواقع الظواهر الاجتماعية التى يتكون منها هذا العالم الاجتماعى) ، والاتجاه الإبستمولوجى (ما يمكن معرفته عن العالم الاجتماعى) الذى يتبناه الباحث . ومن الناحية الواقعية تؤدي الاتجاهات المختلفة إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات ، التى تستلزم بدورها استخدام طرق مختلفة لجمع البيانات . وقد تعرفنا فى الفصل (3) من الباب (1) على بعض أنواع البيانات ، ولعل أكثرها اتصالا بموضوعنا هنا هو التمييز بين البيانات المقننة (الكمية) وشبه المقننة/ وغير المقننة (الكيفية) . ويمكن الاستعانة بهذه الأفكار فى عرض الملامح الأساسية للاتجاهين الكمي والكيفي فى جمع البيانات وتحليلها ، وذلك قبل الحديث عن أساليب اختيار الطرق التى سوف تساعدك على الإجابة على تساؤلات بحثك أو اختبار فروضك .

جدول (4-1)

ملامح الاتجاهين الكمي والكيفي

الاتجاه الكمي	الاتجاه الكيفي
الاتجاهات الأنطولوجية والإبستمولوجية وظيفية (أى تفترض أن العالم الاجتماعى واقعى).	الاتجاهات الأنطولوجية والإبستمولوجية تأويلية (أى تفترض أن الواقع عبارة عن تصور اجتماعى).
تتخذ تساؤلات البحث شكل الفروض القابلة للاختبار.	يتم تطوير أسئلة البحث باستخدام بعض الأسئلة المساعدة.
يمكن الإجابة على تساؤلات البحث (أو فروضه) عن طريق عد الأحداث والوقائع واستخدام التحليل الإحصائى.	يمكن الإجابة على سؤال البحث عن طريق وصف وتفسير الأحداث وجمع آراء المبحوثين، ومعتقداتهم، وخبراتهم.
يعرف الباحث - عادة - ما يبحث عنه ويريد دراسته.	قد لا يكون لدى الباحث سوى فكرة عامة عما يبحث عنه.
تحدد خطة/ أو استراتيجية البحث فى العادة قبل جمع البيانات.	تنقسم خطة / أو استراتيجية البحث بالسهولة والقابلية للتطوير.
موضوعى : بمعنى أن الباحث ليس جزءاً من البحث.	ذاتى : بمعنى أن الباحث مندمج فى الموقف المدروس بوصفه إنساناً.
غالباً ما تستخدم أدوات لجمع البيانات (كالمسوح أو الاستبيانات).	الغالب ألا تستخدم أدوات : فيمكن القول أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات.
يتم عرض البيانات عادة فى قالب عددي أو رموز دالة.	يمكن أن تتخذ البيانات شتى القوالب أو الأشكال.
يمكن التعميم من واقع البيانات.	ليس من الممكن عادة التعميم بناء على البيانات.

مثال (1-4)

لعبة السهام المريشة(*)

فى الساعة العاشرة إلا الربع من مساء يوم الأربعاء شرع "ستيف" و "تونى" (الطالبان بالسنة الثانية بإحدى الجامعات) فى ممارسة لعبة السهام المريشة فى مقهى اتحاد الطلاب. وستيف يدرس علم الاجتماع ، بينما يدرس تونى بقسم السياسة الاجتماعية. كان الوقت أيامها فى أواخر امتحانات الفصل الصيفى ، وكان كلاهما يشعر بالراحة لأن عاما آخر من أعوام الدراسة قد انقضى . ورغبة منهما فى الاحتفال بالمناسبة تناولا بعض المشروبات . كان المقهى ساعتهما مزدحما شديد الضجيج . فقد كان هناك مجموعة كبيرة من لاعبي الرجبى يجلسون على البار وأصواتهم مرتفعة بشكل لافت .

لقد كان العام المنصرم شاقا على "تونى" ، فقد مر ببعض المشكلات الشخصية التى اضطرته إلى التردد على بيت الأسرة أكثر مما كان ممكنا ، هذا فضلا عن أنه صادف بعض الصعوبات فى استيعاب جزء من مقرراته . وتعرض لأزمة مالية لأن ظروفه لم تسمح له بالالتحاق بعمل يدر عليه دخلا طوال ذلك الفصل الدراسى . كذلك كان العام مزدحما بالمهام بالنسبة لستيف (كان يعمل فى مكتبة الجامعة بدوام جزئى) ، ولكنه كان ساعتهما فى حالة مزاجية ممتازة لأنه تعرف على صديقة جديدة ، وكان على موعد للقائها فى وقت لاحق تلك الليلة .

كان يمارسان لعبة 301 (تبدأ وتنتهى زوجيا) . وكلاهما بارع فى لعبة السهام المريشة ، ولكن "تونى" استطاع أن يربح فى العام المنصرم عددا من المباريات أكثر من "ستيف" . وكانت الرميات التى لعباها كما يلى :

(*) dart play هى لعبة السهام المريشة التى تسدد فيها سهام صغيرة مجنحة (أو ذات ريش) إلى هدف ، يكون عبارة عن لوحة صغيرة مقسمة معلقة على حائط -مثلا- ويقاس النجاح والفشل باقتراب أو ابتعاد السهم المصوب عن قلب اللوحة . (الترجم)

الرمية	ستيف	تونى
1	زوجى 20، 18، 12 (231 شمال)	20، 20، 5 (301 شمال)
2	19، زوجى 19، ثلاثى 7 (153 شمال)	زوجى 19، خطأ، 19 (194 شمال)
3	20، ثلاثى 1، ثلاثى 20 (72 شمال)	19، 19، 19 (137 شمال)
4	ثلاثى 20، 6، زوجى 3	—

وهكذا كسب «ستيف» المباراة، واشترى لتونى مشروباً على حسابه. وبعدها مباشرة افترقا كل إلى سبيل.

وهناك بعض الأشياء التى يمكن تأملها:

1- إذا أردت أن تدرس الوقائع الموضحة أعلاه، ما الذى ستحاول الكشف عنه وفهمه؟

2- هل ستختار طرقاً بحثية كيفية أم كمية؟

3- هل تعتقد أن النتائج التى ستتوصل إليها ستختلف تبعاً للطرق التى ستختارها؟ بعض مبررات استخدام الطرق الكمية:

- مباراة السهام المريشة التى جرت يمكن دراستها بشكل أيسر بهذه الطريقة.
- المتغيرات (وهى عدد رميات السهام، والنقاط التى حصل عليها اللاعب فى كل رمية) متغيرات عددية، ومن ثم يمكن استخدام التحليل الإحصائى.
- سيكون من الممكن (بمرور الوقت) حساب فرص كل لاعب فى الفوز، واستخراج تفاصيل عن بعض الأمور كمتوسط النقاط، مثلاً.
- تستخدم مباريات دورى السهام المريشة التحليل الكمي للوقوف على أوجه القصور لدى اللاعب.

وفيما يلي بعض مبررات استخدام الطرق الكيفية:

- سيتمكن بفضلها الوصول إلى معرفة أفضل عن السياق الذي تمت فيه المباراة (من حيث: التوقيت، والمكان، والحالة المزاجية للاعبين، وما إلى ذلك).
- قد يتسنى بفضلها التعرف على بعض المؤثرات الخارجية (مثل: الضوضاء التي كان يحدثها الرواد الآخرون للمقهي) على كل لاعب.
- قد يمكن بفضلها فهم تفوق أحد اللاعبين على الآخر في تلك المناسبة.

بعض مبررات استخدام الطرق المختلطة:

إذا جمعنا بين الطريقتين السابقتين، فسوف يتوفر لنا نوعان من المعلومات التي يمكن استخدامها مجتمعة، مما يعمل على رفع مستوى جودة بحثنا.

الطرق المختلطة

الملاحظ أن بعض الباحثين يلجؤون في بحوثهم بشكل رئيسي (وأحيانا بشكل كامل) إلى استخدام اتجاه واحد، ولكننا نرصد تزايد أعداد الباحثين الاجتماعيين الذين باتوا يستخدمون إحدى الطريقتين الكيفية أو الكمية في جمع البيانات، أو يستخدمون كلا الطريقتين، أي طريقة مختلطة. ويوضح المثال (1-4) أن دراسة ظاهرة اجتماعية (هي هنا مباراة السهام المريشة) يمكن تنفيذها بالاستعانة بمنظورات مختلفة، ومن ثم الحصول على صورة كلية متكاملة لما يجري، وهو ما يدفعنا إلى جمع أنواع مختلفة من البيانات باستخدام طرق مختلفة (مختلطة). ويتوقف اختيارنا للطرق على طبيعة تساؤلات بحثنا، وعلى تعريفنا للمفاهيم الواردة فيها (الفصل 4 من الباب 1).

ففي المثال المعروض يمكن أن نختار تحليل الفوز في مباراة الأسهم المريشة بأسلوب عددي (كمي)، ولكننا يمكن كذلك أن نختار تحليل ذلك الفوز في ضوء الحالة المزاجية لكل لاعب، وما يتعرض له من ضغوط، وما يشغله من هموم... إلخ. والتحليل بأى من الطريقتين سينتهي بنا إلى نتائج مهمة. أما إذا كنا نريد أن نركز بشكل أساسي في هذا المثال على معرفة سبب خسارة "توني" للمباراة، فلاشك أننا سنحتاج إلى

نوعى البيانات الكمية والكيفية على السواء، وربما نحتاج كذلك إلى الاستعانة ببعض البيانات التاريخية عن نتائج المباريات السابقة. وهكذا يكون الأسلوب الأكثر جدوى لدراسة هذا الموقف هو الجمع بين الإجراءات الكيفية والكمية، أى الطرق المختلطة.

وهكذا يتعين أن يتم اختيار اتجاه الطرق المختلطة فى جمع البيانات انطلاقاً من تساؤلات البحث، التى يتضح منها أن الإجابة على تلك التساؤلات سوف تتحقق على الوجه الأفضل باستخدام الطرق الكمية والكيفية معاً. ونصادف فى بعض الأحيان أن أحد أسئلة البحث (أو الأسئلة الثانوية) يتطلب الرجوع إلى بيانات كمية، بينما تستدعى الإجابة على سؤال آخر الاعتماد على بيانات كيفية. وهناك احتمال ثالث نجد فيه أن الإجابة على سؤال واحد تتطلب توفير بيانات كيفية وكمية فى الآن معاً.

فكر فى هذا الموضوع . .

قمنا فى الفصل (4) من الباب (1) ببلورة سؤال بحثى حول موضوع البطالة والصحة العقلية، يقول :

ما آثار البطالة الطويلة الأمد على صحة الناس العقلية؟

1 - بعد أن وضعنا التعريف الإجرائى للبطالة وللصحة العقلية دقيقاً صيغة السؤال لتصبح على النحو التالى:

ما الآثار التى تلحق بالناس الذين كانوا يعملون بأجر من حيث مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حياتهم عندما يصبحون بدون عمل مأجور لمدة تزيد على عام؟

فما أنواع البيانات التى ترى أنك ستحتاج إلى جمعها (وممن ستجمعها) لكى تستطيع الإجابة على هذا السؤال؟

2 - طريقة أخرى للتعريف الإجرائي قدمناها في الفصل (4) من الباب (1) على النحو التالي:

وجود أو عدم وجود اضطرابات عقلية تحتاج إلى العلاج الإكلينيكي.

فما أنواع البيانات التي ترى أنك تحتاج إلى جمعها (وممن ستجمعها) لكي تستطيع الإجابة على السؤال إذا رأيت تبني هذا التعريف للصحة العقلية؟

بعد ذلك يمكنك الرجوع إلى الإجابة التي نقترحها في نهاية برواز "فكر في هذا الموضوع" التالي.

ومن الممكن استخدام الطرق الكيفية والكمية مجتمعة ومتضافرة بعدة أساليب مختلفة.

فيمكن استخدام الطرق الكيفية على النحو التالي:

• قبل الطرق الكمية

تتيح الاتجاهات الكيفية للباحث أن يتناول المفاهيم بشكل متعمق مع الباحثين ، وأن يسمع منهم آراءهم في تلك المفاهيم بعباراتهم هم (مثل مفهوم " الصحة العقلية " راجع برواز "فكر في هذا الموضوع" السابق). ويمكن أن يكون هذا الأسلوب مفيدا لبداية البحث في الموضوع ، خاصة إذا لم يكن للباحث دراية به ، أو التي لم تجر عنه سوى بحوث قليلة حتى الآن . وبهذا يمكن تطوير التعريفات الإجرائية أو اختبارها . كما أن ذلك سيضمن لنا أن تكون صياغة الأسئلة المقننة - في الاستبيانات مثلا - مفهومة ودالة بالنسبة لكافة الباحثين . فبفضل مثل هذه البيانات الكيفية يمكن تطوير الأسئلة التي تستهدف جمع بيانات أكثر تقنيا . كما أن تبني اتجاه كفي يمكن أن يساعد الباحث

على تحديد واختبار جوانب الموضوع الأكثر أهمية ودلالة لدى الباحثين . كما أن ذلك من شأنه أن يولد أفكارا لتطوير الفروض أو أسئلة البحث الفرعية (انظر الفصل 4 من الباب 1).

• استخدامها إلى جانب الطرق الكمية

يمكن استخدام كلا الاتجاهين -الكمي والكيفي- جنباً إلى جنب مع كل نوع من البيانات والإسهام في الإجابة على نفس أسئلة البحث أو أسئلة بحثية أخرى .

• استخدامها بعد الطرق الكمية

يمكن في بعض الأحيان استخدام الاتجاهات الكيفية بعد استخدام الطرق الكمية لتمكين الباحث من فحص متعمق لبعض القضايا التي برزت من البيانات الكمية . فالبيانات الكمية التي جمعت قد تساعد الباحث على تحديد بعض الجماعات أو الفئات الصغيرة التي تختلف عن بقية مجتمع الدراسة أو التي تمتلك بعض الخبرات والتجارب المهمة ، وفي هذا يكون جمع مزيد من البيانات عنهم بأسلوب أكثر تعمقا وسيلة لتمكين الباحث من فحص تلك القضايا بتعمق . ففي البحث الخاص بالبطالة والمرض العقلي الوارد في برواز "فكر في هذا الموضوع" . . الوارد أعلاه ، قد يستخدم استبيان مبدئي مع بعض العاطلين في التعرف على ما إذا كان هؤلاء العاطلين يعتبرون أنهم يعانون من أية اضطرابات عقلية . بعد ذلك يمكن استخدام الأساليب الكيفية لاستكشاف رؤية هؤلاء بتعمق أكبر ، وذلك في نطاق مجموعة صغيرة العدد منهم (الفصل 4 من الباب 3)، أو مع جماعة مناقشة مركزة (بورية) (الفصل 5 من الباب 3).

ومع أن اتجاه الطرق المختلطة يعنى في العادة جمع البيانات الكمية والكيفية ، فإن ذلك ليس شرطاً لازماً في الحقيقة . فقد يحدث - في الواقع - أن يختار الباحث أسلوبين مختلفين لجمع بيانات كمية ، مثل : استخدام المسح بالاستبيان واستخدام البيانات الثانوية . أو قد يختار جمع بيانات كيفية باستخدام المقابلات شبه المقتنة والملاحظة المشاركة (الفصل 6 من الباب 3) . معنى ذلك أن استخدام أسلوبين أو أكثر لجمع البيانات لمساعدتك على الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك يمكن أن يساعد الباحث على اختبار صدق البيانات التي تجمعت لديه . وتسمى هذه العملية تعدد أدوات وطرق البحث (انظر

قائمة المصطلحات)، لأنها تعكس عملية المسح أو القياس بالاستعانة بعلم حساب المثلثات الذى يستخدم فى رسم الخرائط، أى تعيين موقع نقطة معينة على الخريطة بقياس المسافة والزاوية من نقطتين آخرين على نفس الخريطة. ويعنى المصطلح فى العلوم الاجتماعية جمع ومعالجة البيانات التى جمعت من عدة مصادر مختلفة ولكن عن نفس الموضوع، مما يسمح للباحث أن يتحقق من نتائجه بالمقابلة بينها.

فإذا وجدنا نوعاً من التضارب أو الشذوذ عن المؤلف فى البيانات المجموعة من مصادر مختلفة أو التى جمعت باستخدام أساليب مختلفة، فإنه يتعين أن نفكر ملياً فى الأسباب التى أدت إلى هذا. وقد يرجع هذا فى بعض الأحيان إلى الاستخدام العمدى لبعض التعريفات الإجرائية المتباينة (على نحو ما ورد فى المثال الذى قدمناه فى بـرواز: "فكر فى هذا الموضوع...")، أو يرجع السبب فى ذلك إلى بروز بعض المنظورات أو الأفكار المختلفة للقضايا نتيجة استخدام طرق مختلفة لجمع البيانات. من ذلك مثلاً أن الناس قد يناقشون فى إحدى جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) ويتحدثون بكلام يختلف تمام الاختلاف عما يقولونه عن نفس القضية عند مقابلتهم بشكل منفرد. وقد يكون هذا الوضع نتيجة دالة فى حد ذاتها، أو أنه قد يدفعنا على أن نتساءل عما إذا كانت أدوات جمع البيانات (وهى فى هذه الحالة: المقابلة وجماعات المناقشة المركزة) قد أنتجت استجابات مختلفة بسبب الاختلاف فى صياغة الكلمات، أو اختلاف تركيز القائم بالمقابلة على بعض الأسئلة، أو تعدد القائمين بإجراء المقابلات وإدارة جماعات المناقشة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

إجابات مقترحة

السؤال الأول

تركز الصيغة المعدلة من السؤال البحثى عن كيف يرى العاطلون أنفسهم وحياتهم؟ ويعنى هذا أن البيانات يجب أن تنبع من العاطلين أنفسهم، وأنه من الأفضل أن يتم جمع تلك البيانات بأسلوب شبه مقنن، أى يُسمح فيه للناس أن يعبروا بكلماتهم هم عن خبراتهم.

الطرق المناسبة

- * المقابلات شبه المقننة (فصل 4 باب 3) .
- * جماعات المناقشة المركزة (فصل 5 باب 3) .

وأحد البدائل الممكنة أن يتم استخدام استبيان مع العاطلين يضم مجموعة من الأسئلة (مثل مقياس ليكرت لل عبارات المتدرجة) عن التصورات الذاتية للصحة العقلية (فصل 3 باب 3) .

السؤال الثانى

يمكن الحصول على البيانات من الأفراد العاطلين أنفسهم أو (الأدق) من السجلات الطبية . ولكى يستطيع الباحث أن يتأكد من وجود أعداد كبيرة من العاطلين الذين يعانون من اضطرابات عقلية تعالج إكلينيكيًا ، يتعين أن يدرس أعدادا كبيرة من الحالات (فصل 5 باب 2) .

الطرق المناسبة

- * قد تكون البيانات الثانوية متوفرة (فصل 9 باب 3) .
- * استخدام استبيان مع العاطلين (فصل 3 باب 3) .
- * استخدام استبيان مع الأطباء أو المعالجين النفسيين لجمع معلومات عن مرضاهم .

ثم ماذا بعد؟

إذا كان موضوع بحثك يدور عن الصلات التى تكون موجودة بين البطالة والصحة العقلية ، فقد يجدر بك أن تضمن بياناتك معلومات عن الصحة العقلية كتشخيص إكلينيكي وعن التصورات الذاتية للصحة العقلية . إذ يمكن أن يتيح لك ذلك أن تصف حجم الصحة العقلية (أو المرض العقلى) الذى تم تشخيصه طبيا عند العاطلين ، كما سيتيح لك أن تعرف بمزيد من التعمق كيف يشعر العاطلون بالبطالة ومدى إحساسهم بها ، وكيف يربطون - أو لا يربطون - بينها وبين مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حيواتهم .

وهكذا إذا تطلبت أسئلة بحثك بيانات تتعلق بكل التعريفين الإجرائيين للصحة العقلية، فربما يجدر بك أن تختار الطريقة التي تتيح لك أن تدرج كلا العنصرين في أداة واحدة لجمع المادة، هي الاستبيان.

على أن هذا الاتجاه سوف يفرض عليك أن تضع مجموعة من الأسئلة لقياس تصورات كل فرد عن صحته العقلية، ولكنها لن تسمح لك أن تسمع بعض العاطلين يصفون ويشرحون مشاعرهم تجاه أنفسهم وتجاه حيواتهم بكلماتهم الخاصة.

فأى الاتجاهات تود أن تتبنى في بحثك؟

اختيار الطرق

الفرق الجوهرى بين الاتجاهين الكمي والكيفي - من حيث جمع البيانات وتحليلها - يتلخص فى الأسلوب الذى تم به تقنين البيانات المجموعة، وفى من قام بعملية التقنين.

فالاتجاهات الكمية تجمع وتعالج البيانات التى:

- تكون مقننة، والإجابات مقسمة سلفا إلى فئات محددة، وتم ترميزها بحيث يمكن عدّها.
- تكون مقننة بمعرفة الباحث، وهو الذى يحدد الأسئلة التى توجه، ونوع الإجابة المطلوب الحصول عليها (وتكون الإجابة عادة اختيارا من بين عدة إجابات محددة سلفا).

أما الاتجاهات الكيفية فتجمع وتعالج البيانات التى:

- يصيغها الباحثون بطريقتهم الخاصة.
 - يتم تفسيرها وتقنينها بمعرفة الباحث كجزء من عملية التحليل.
- وتستطيع طرق جمع البيانات أن تمدنا بأفضل نوع من البيانات التى يمكن معالجتها وفق الاتجاه الذى يتبناه الباحث، وقد أوردنا جانبا منها فى الجدول رقم (2-4).

الجدول رقم (4-2): التناسب بين الاتجاهات

الكمية والكيفية وطرق جمع البيانات

الاتجاه	طرق جمع المادة
الكمي	المسوح والاستبيانات التي توجه نفس الأسئلة عادة لأعداد كبيرة من الأفراد أو الحالات .
	توفر البيانات الكمية الثانوية التي ستجرى عليها مزيد من التحليلات .
	تحليل المضمون: حساب عدد فئات من الكلمات أو الأفكار الواردة في مواد مكتوبة أو منطوقة .
	الملاحظة: حساب عدد حدوث وقائع معينة .
	سجلات أو استمارات لكل حالة تحوى معلومات مقننة سلفا .
الكيفي	مقابلات شبه مقننة أو غير مقننة: تسمح للمبحوثين بالحديث عن مجموعة من الأسئلة أو الموضوعات بأسلوبهم الخاص .
	جماعات المناقشة المركزة (البورية): مناقشة شبه مقننة يتولى إدارتها شخص مع عدد قليل من الأفراد .
	جمع وثائق تتعلق بأسئلة البحث ، وطرح أسئلة انطلاقا من تلك الوثائق .
	السرد: جمع القصص والروايات التي يحكيها الناس لتحليل كيفية الإدلاء بتلك القصص .
	الملاحظة المشاركة أو غير المشاركة لموقف أو سياق اجتماعي معين .

على أن اختيار اتجاه كیفى أو كمى أو مختلط ليس هو القرار الوحيد الذى يتخذه الباحث بخصوص طرق جمع المادة التى سوف يستخدمها . وقد سبق أن حددنا فى الفصل الثالث من الباب الأول بعض طرق التفكير فى البيانات البحثية ، وهى مناقشة تزودنا ببعض الأفكار المفيدة بخصوص كيفية استخدام مختلف طرق جمع البيانات . واقترحنا عليك فى نهاية الفصل ذاته أن تمنع التفكير فى موضوع بحثك فى ضوء نوع البيانات التى يمكنك أن تجمعها وأن تعالجها . أما فى المرحلة التى نحن فيها الآن فبوسعنا البدء بالربط بين التفكير فى أنواع البيانات التى ستجمعها من ناحية ، والاعتبارات العملية لاختيار طرق جمع البيانات التى ستتمكنك من ذلك من ناحية أخرى . وتعرض الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث تفصيلا لطرق جمع البيانات ، وننصح القارئ بمراجعتها والتعرف على كل طريقة تنوى استخدامها قبل اتخاذ قرارك النهائى فى هذا الشأن .

كما أن اختيار الطرق هو قرار عملى ، وبراجماتى أيضا إلى حد ما . ذلك أن جميع الباحثين يؤدون عملهم البحثى بموارد محدودة ، وتتفاوت مستوياتهم المهارية ، كما تختلف قدرتهم على الوصول إلى بعض مصادر البيانات . وإذا كنت طالبا تقوم ببحث علمى فسيكون عليك أن تختار الطرق التى ستستخدمها فى ضوء الموارد المتاحة - خاصة الوقت والمال - وما تتمتع به من مهارات ، وقدراتك على الوصول إلى مصادر البيانات .

استخدم القائمة الواردة أدناه فى بـرواز "بحثك" لتساعدك على التفكير فى الطرق التى قد تستخدمها .

بحثك

التفكير فى أسئلة بحثك: ما نوع البيانات التي يمكن أن تجمعها وتعالجها؟

هل البيانات أولية أم ثانوية؟	نعم ✓
هل تم جمع المادة التي ستساعدك في الإجابة على أسئلة بحثك بواسطة أشخاص آخرين؟	
<ul style="list-style-type: none"> • ما نوع تلك البيانات؟ • هل تستطيع الوصول إليها؟ • هل تعرف كيف تم جمعها؟ 	
ملاحظة: إذا أردت معرفة المزيد عن استخدام البيانات الثانوية فارجع إلى قراءة الفصل التاسع من الباب الثالث.	
هل تستطيع جمع بياناتك بنفسك؟	
<ul style="list-style-type: none"> • هل تستطيع الوصول إلى الناس، أو المواقف، أو الحالات التي ستجمع منها بيانات بحثك؟ • ما طرق جمع البيانات التي تؤهلك مهاراتك ومواردك لاستخدامها؟ • هل نود تضمين بياناتك بيانات تأملية نقدية (تشمل أفكار الباحث وخبراته عن الموضوع)؟ 	
ملاحظة: اقرأ الفصل الثاني من الباب الثالث، وراجع الطرق التي سوف تستخدمها في الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث، مع ضرورة أن تأخذ في الاعتبار مهاراتك ومواردك.	
هل البيانات منطوقة، أم مدونة، أم بصرية غير لفظية؟	
هل توجد مواد مدونة يمكنك استخدامها كبيانات مثل: وثائق السياسة الاجتماعية، ودفاتر اليوميات، وملاحظات الأخصائيين الاجتماعيين على تطور بعض الحالات؟	
<ul style="list-style-type: none"> • هل تستطيع الوصول إلى هذه البيانات؟ • هل تعرف كيف ولماذا تم إنتاج تلك المواد؟ 	
ملاحظة: راجع الفصلين الثامن والتاسع من الباب الثالث عن جمع البيانات الوثائقية والثانوية؟	
هل ستستطيع الحصول على إجابات مكتوبة عن أسئلتك؟	

	ملاحظة: هل فكرت في استخدام الاستبيانات في جمع البيانات؟ راجع الفصل الثالث من الباب الثالث.
	هل هناك بيانات بصرية يمكن الانتفاع بها في البحث؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل هناك بيانات يتم تناقلها بشكل غير لفظي؟ • هل من الممكن ملاحظة بعض الوقائع والأحداث؟ • هل هناك تسجيلات فوتوغرافية أو بالفيديو؟
	ملاحظة: هل فكرت في استخدام طرق الملاحظة؟ راجع الفصل السادس من الباب الثالث.
	هل تستطيع الوصول إلى الناس الذين يمكن أن يتحدثوا عن موضوع بحثك بطرق يمكن أن تساعدك على الإجابة على أسئلة بحثك؟
	ملاحظة: (راجع الفصلين الرابع والخامس من الباب الثالث إذا كنت تفكر في استخدام المقابلات شبه المقتنة أو جماعات المناقشة المركزة (البورية).
نعم/	فردى أم جماعة
	هل تريد جمع معلومات عن بعض الأفراد، أو منهم؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل تحتاج إلى بيانات واقعية، أو تتعلق بالاتجاهات والأفراد عن جماعات مختلفة من الناس؟ • هل لديك من المعلومات ما يسمح لك بتحديد الأفراد الذين تريد جمع بيانات منهم؟ • هل تملك الموارد التي تمكنك من جمع البيانات من عدد كبير من الناس (لنقل مثلا: أكثر من خمسين فردا)؟
	ملاحظة: اقرأ الفصل الثالث من الباب الثالث، وفكر في استخدام الاستبيان الذي يستوفي المبحوث بياناته بنفسه.
	<ul style="list-style-type: none"> • هل تريد أن تجمع من الناس حكاياتهم، وخبراتهم وتصوراتهم؟ • هل تستطيع الوصول إلى أفراد لهم خبرات، وأفكار، وآراء تتعلق بموضوع بحثك؟
	ملاحظة: راجع الفصل الرابع من الباب الثالث، وفكر في استخدام المقابلات شبه المقتنة. وراجع الفصل السابع من الباب الثالث وفكر في استخدام الصور القلمية الموجزة vignettes .
	هل أنت مهتم بأساليب الأفراد في إطلاعك على خبراتهم وأفكارهم، أى على حكايتهم؟
	ملاحظة: هل فكرت في جمع مادة سردية؟ راجع الفصل السابع من الباب الثالث.

	هل فكرت في جمع معلومات من مجموعة من الناس ، أو عنهم؟
	<ul style="list-style-type: none"> • هل هؤلاء الناس راغبون في الحديث عن موضوع بحثك مع الآخرين؟ • هل أنت مهتم بأساليب مجموعات الأفراد في مناقشة موضوع بحثك؟ • هل بوسعك الوصول إلى مجموعات من الأفراد يمكن أن يكونوا من الباحثين؟ • هل يتوفر لك من المهارات والموارد ما يسمح لك بتنفيذ مناقشة جماعية؟
	ملاحظة: راجع الفصل الخامس من الباب الثالث وفكر في استخدام جماعات المناقشة المركزة (البورية) في جمع البيانات.

بعد أن تتأمل عددا من أدوات جمع البيانات المختلفة يتعين أن تعود إلى النظر في أسئلة بحثك ، وتفكر في أفضل السبل للإجابة على تلك الأسئلة ، أى : كيف ستجمع البيانات ، ومتى ستقوم بتحليلها ، بحيث يمكنك أن تبدأ – على الأقل – في الإجابة على هذه الأسئلة. بعد أن تفرغ من اختيار الطرق ، يجب أن تكون قادرا على تبرير هذا الاختيار في ضوء أسئلة بحثك ، وذلك لكى تثبت أنك قمت بالاختيار عن علم ، وأنت على دراية بنقاط القوة ونواحي القصور في الطرق التى اخترتها. لاحظ أن الفصول من الثالث إلى التاسع من الباب الثالث يمكن أن تعينك في هذه المهمة.

بحثك

دوّن في جدول كالتالى أسئلة بحثك الرئيسية والفرعية ، أو فروض البحث ، وأمام كل منها اكتب نوع البيانات التى سوف تجمعها للإجابة على السؤال أو اختبار الفرض ، ثم دون في العمود الثالث طريقة جمع البيانات التى تنوى استخدامها:

أسئلة البحث	أنواع البيانات	طرق جمع البيانات
1		
2		
3		
4		
5		

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bryman, A. (2006) Integrating quantitative and qualitative research: how is it done? *Qualitative Research*, 6: 97–113 (online version available at: <http://qrj.sagepub.com/cgi/content/abstract/6/1/97>).
- Burke Johnson, R. and Onwuegbuzie, A. J. (2004) Mixed methods research: a research paradigm whose time has come, *Educational Researcher*, 33(7): 14–26.
- Creswell, J. W. (2003) *Research Design: Qualitative, Quantitative and Mixed Methods Approaches*, 2nd edn, London: Sage.
- Foss, C. and Ellefsen, B. (2002) The value of combining qualitative and quantitative approaches in nursing research by means of method triangulation, *Methodological Issues in Nursing Research*, 40(2): 242–8.
- Plano, V. L. and Cresswell, J. W. (eds) (2008) *The Mixed Methods Reader*, London: Sage.
- Silverman, D. (2004) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, 2nd edn, London: Sage.
- Whyte, W. F. (1993) *Street Corner Society: Social Structure of an Italian Slum*, 4th edn, Chicago University Press.

الفصل الخامس

اختيار العينة

محتويات الفصل

- طرق اختيار العينة.
- اختيار طريقة المعاينة.
- المراجع وقرارات للاستزادة.

عن السياق

نتناول في هذا الفصل أساليب تحديد نوع البيانات التي تنوى جمعها لبحثك. ونادرا ما نكون في وضع يسمح لنا بجمع بيانات من جميع الحالات، والسياقات، والمواقف التي تتعلق بأسئلة بحثك. فإذا كنا ننوى اختيار بعض مصادر البيانات الممكنة - سواء كانوا أفرادا، أو وثائق، أو حالات - فإنه يتعين اتخاذ بعض القرارات الخاصة بكيفية عمل ذلك. ولا يوجد سوى في التعداد السكاني الذي يجري كل عشر سنوات بيانات تجمع عن كل فرد من سكان المملكة المتحدة. وحتى في حالة التعداد توجد بعض الجماعات التي تستبعد عادة، كالمشردين مثلا. أما إذا كنت تستخدم بيانات ثانوية أو بيانات وثائقية، فإنه يتعين عليك - مع ذلك - إن تفكر في كيفية اختيار ما تريد أن تضمنه منها في بحثك، وأن تكون على وعى بأن هناك آخرين - سواء كانوا باحثين أو موظفين مثلا - قد قرروا من وماذا ستضمنه تلك البيانات أو الوثائق. ويمكن القول - على وجه الإجمال - إن هناك طريقتين لأداء تلك المهمة: إما عينة احتمالية أو عينة عمدية. ويتوقف اختيار أحدهما على طبيعة سؤال بحثك، والبيانات التي تنوى جمعها، وما إذا كانت البيانات التي ستجمعها كمية أو كيفية (أو كمية وكيفية معا). ومع أن الاتجاهين مختلفين اختلافا بعيدا، إلا أننا يمكن أن نعتبرهما طرفي متصل واحد، وقد تتبين أن عليك أن تستخدم مزيجا منهما معا، خاصة إذا كنت تستخدم مزيجا من طرق جمع البيانات.

تعنى عملية المعاينة اختيار بعض الحالات من مجموعة أكبر من الحالات التى يحتمل دراستها . ويرتبط أسلوب المعاينة الذى سنستخدمه ارتباطا وثيقا بطبيعة تصميم البحث الذى اخترناه ، وكذلك بطرق البحث التى سنستعملها . ولهذا ستأتى الإشارة فى ثنايا هذا العرض لأنواع تصميم البحث وطرق البحث المختلفة التى سبق أن تناولناها فى الفصلين 3 و 4 من هذا الباب . وعلى امتداد هذا العرض سوف نستخدم دراسة الأنشطة التطوعية كأساس للأمثلة التى نناقشها .

مثال (5-1)

هل التطوع هو الأنسب لك؟

التطوع نوع من النشاط يقوم على إنفاق الوقت ، والمشاركة بلا مقابل ، وعمل أشياء تستهدف خدمة البيئة أو بعض الأفراد أو الجماعات التى لا ترتبط بالتطوع بعلاقة قرابة وثيقة (أو التى قد تضم أحيانا بعض الأقارب) . (نقلا عن : لجنة مستقبل التطوع ، 2008) .

وقد انتهى التقرير الذى أعد لمكتب القطاع التطوعى فى رئاسة مجلس الوزراء (البريطانية) بمعرفة المركز القومى للبحوث الاجتماعية ومعهد البحث التطوعى؛ انتهى إلى أنه فى عام 2007 كان ثلاثة أخماس عينتهم المختارة من إجمالى مجتمع بحثهم قد شاركوا فى أنشطة رسمية فى إطار منظمة ما ، وأن الخمسين الباقين مارسوا هذه الأنشطة التطوعية مرة واحدة شهريا على الأقل . وقد أفاد المتطوعون الذين تمت دراستهم بأن المزايا التى عادت عليهم من التطوع تمثلت فى: الاستمتاع ، والشعور الشخصى بالإنجاز ، والإحساس بالرضا بعد رؤية نتائج أنشطتهم التطوعية . وقرر 51 % منهم أن العمل التطوعى جعلهم أقل إحساسا بالضغط والمشقة ، بينما صرح 44 % أنه قد صحتهم البدنية (لو Low وزملاؤه ، 2007) .

كما أننا سنضع نصب أعيننا طوال هذا الفصل أن الوقت وغيره من موارد البحث تمثل عوامل مهمة فى التأثير على اختيار طرق جمع البيانات وأساليب اختيار العينة

(المعينة). ذلك أن البحث يمكن تنفيذه على مستويات شتى مختلفة، ويسهم فيه الباحثون بقدر وافر متنوع من الإمكانيات المهارية، والوقت، والدعم المالى. وهدفنا هنا أن نزودك ببعض الإرشادات المتعلقة باختيار أسلوب المعاينة بالنسبة لطالب جامعى يجرى بحثا كجزء من مقرراته الدراسية. ولكننا سنشير - علاوة على ذلك - إلى أمثلة لبعض البحوث ذات الحجم الضخم والموارد الوفيرة. ومن شأن ذلك أن يزودك بفهم أفضل لبعض البحوث الأخرى التى ربما تقرأ عنها أو تستخدمها كجزء من دراستك.

بحثك

اختبار جودة البحث من حيث إمكانية تعميم نتائجه

وتحويلها إلى مجتمع بحث آخر

من أول الأسئلة التى يتعين عليك الإجابة عنها عند التفكير فى كيفية اختيار مصادر بيانات بحثك هو: كيف سنستخدم تلك البيانات بعد أن نفرغ من جمعها؟

1 - هل نريد من تلك البيانات التى نحصل عليها من العينة أن تدلنا على مجمل مجتمع البحث الذى سحبت منه تلك العينة؟ فإذا كنا - مثلا - نجمع بيانات عن تلاميذ المدارس، فهل نسعى إلى أن يكون بإمكاننا أن نثبت أن البيانات التى جمعناها من العينة التى اخترناها يمكن تعميمها على تلاميذ المدارس كافة، بمعنى هل يحتمل أن تشبه بيانات جميع تلاميذ المدارس فى المملكة المتحدة، أو فى مدينتنا المحلية، أو تلاميذ المدارس الحكومية فقط؟

2 - هل نريد أن نكون قادرين على جمع بيانات من شأنها أن تقودنا إلى التعرف بعمق على خبرات، أو آراء، أو سلوكيات جماعة بشرية معينة، أو حالات أو مواقف بالذات؟ فهل نحن نسعى - مثلا - إلى طرح أسئلة عن كيفية تأثير بعض الظروف التربوية المعينة على سلوكيات فئات خاصة من التلاميذ؟ فى مثل هذه الحالة يجب أن نأخذ فى الاعتبار إلى أى مدى يمكن تحويل ما سننتهى إليه من نتائج للدلالة على بعض الظروف أو السياقات الأخرى المشابهة.

وسوف نأخذ تلك الأسئلة فى الاعتبار بالنسبة لكل طريقة من طرق اختيار العينة التى سنعرض لها فيما يلى.

ملاحظة مهمة: على الرغم من أننا سنشير طوال هذا الفصل عادة إلى أمثلة تقوم على اختيار أفراد للمشاركة في البحث (كمبحوثين)، فإن أغلب ما نعرضه هنا يصلح كذلك لاختيار حالات، أو وثائق، أو فترات زمنية أو ظروف للملاحظة. فالاختيار يمثل - دائماً - جزءاً من تصميم البحث، ولا بد أن تكون على وعى بالمعايير والأساليب التي تستخدمها عندما تقرر جمع البيانات من أى مصادر. وتزودك الفقرات المعنية بذلك من الفصل 3 من الباب 3 ومن الفصل 3 من الباب 4 ببعض المعلومات التي يجب أن تأخذها في اعتبارك علاوة على ما يعرضه هذا الفصل.

طرق اختيار العينة

قمنا في الشكل (1-5) بترتيب الطرق المختلفة لاختيار العينة على شكل متصل. فعلى أحد طرفي المتصل نجد طرق المعاينة التي تركز على النظرية الإحصائية، وهي الطرق التي تسعى إلى اختيار عينة يمكن القول بأنها ممثلة أشد تمثيل لمجتمع البحث كله - أو لكافة الحالات المحتمل دراستها - وذلك وفقاً للمعايير المرتبطة بالموضوع، وهي العينات الاحتمالية (انظر قائمة المصطلحات). وعلى الطرف الآخر من المتصل توجد طرق المعاينة التي تقوم على اختيار عدد من الحالات (أقل عدداً في العادة) التي تتيح للباحث أفضل فرصة لدراسة أسئلة بحثه بشكل متعمق، وتسمح له بمعالجة البيانات التي تم جمعها لبورة بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها، وهي: العينات العمدية، والعينات النظرية (انظر قائمة المصطلحات).

العينات غير الاحتمالية			العينات الاحتمالية		
العينة النظرية	العينة العمدية	عينة كرة الثلج	العينة الحصية	العينة العشوائية الطبقية	العينة العشوائية

الشكل (1-5) متصل يستعرض مختلف طرق المعاينة

المعاينة الإحصائية، أو اختيار عينة احتمالية

من طرق المعاينة استخدام حساب الاحتمالات أو النظرية الإحصائية لمساعدتك

على اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث (انظر قائمة المصطلحات) الذى يتم انتقاؤها منه . وأكثر مناسبات استخدام هذه الطريقة عند تصميم بحث تجريبي أو مسحي (الفصل 3) وعندما تكون البيانات التى سيجرى جمعها ذات طبيعة كمية . ومن شأن اختيار عينة بهذه الطريقة أن تتيح للباحث فرصة القيام بتحليل إحصائي للبيانات (الفصل 3 باب 4) .

ما : مجتمع البحث؟

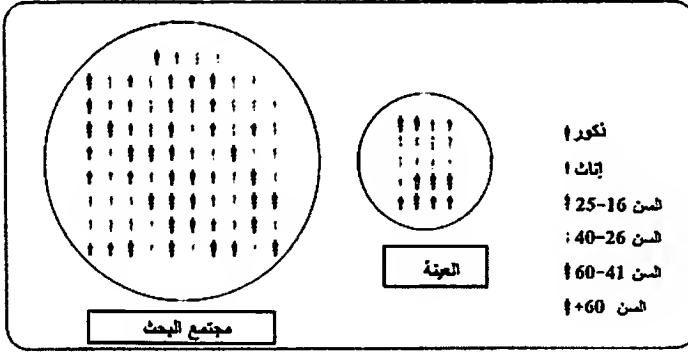
يشير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التى يمكن اعتبارها مفردات لدراساتها فى البحث . وهكذا يمكن أن يكون مجتمع البحث مثلا:

- جميع الناس الذين يعيشون فى دولة معينة .
 - جميع الطلاب الذين يدرسون فى جامعة معينة .
 - جميع الطلاب المقيدون بقسم الاجتماع فى إحدى جامعات المملكة المتحدة فى وقت معين .
 - جميع المقالات الصحفية التى نشرت فى المملكة المتحدة التى تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين .
- أما السمات الأساسية للعينة الاحتمالية فهى كما يلى :

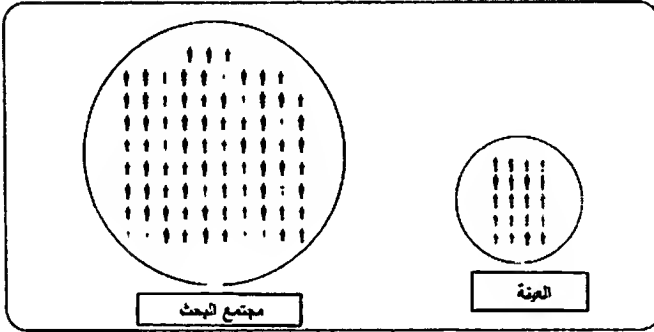
- تتاح لكل عضو فى مجتمع البحث فرصة معروفة (وتكون متكافئة عادة) لكى يتم اختياره ضمن العينة . ويفترض ذلك أن يكون أفراد مجتمع البحث معروفين ، أى يمكن تحديد هوية كل فرد منهم والوصول إليه ، وإذا لم يتوفر هذا الشرط الأساسى فلا بد فى هذه الحالة من تبنى استراتيجيات أخرى للمعينة .
- يتم اختيار كل فرد من أفراد العينة عشوائيا ، ولا يمكن التنبؤ سلفا بمن سيقع عليه الاختيار ضمن العينة .
- تختار العينة عادة لكى تكون ممثلة لمجتمع البحث طبقا لبعض السمات الأساسية المعروفة ، كالعمر ، والنوع ، والوضع الاقتصادى الاجتماعى . . . إلخ ، ذلك من متغيرات ترتبط بالموضوع الذى يتناوله البحث .

العينات العشوائية والعينات الطبقية

فى العينة العشوائية يكون لكل حالة فرص اختيار متكافئة . إلا أن العينة العشوائية قد تتضمن - وقد لا تتضمن - بعض الحالات (أى مفردات البحث) ذوى السمات الخاصة بنفس النسب التى توجد بها فى مجتمع البحث .



شكل (5-2) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث يضم رجالا ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (أ)



شكل (5-3) اختيار عينة عشوائية من مجتمع بحث يضم رجالا ونساء تزيد أعمارهم عن 16 سنة (ب)

فقد تتضمن العينة - مثلا - الفئات العمرية في مجتمع البحث ، وفئتي الذكور والإناث بنسب متساوية (ولكنها قد لا تكون دقيقة كل الدقة) . فقد تتجاهل أو تخفض تمثيل أحد النوعين في بعض الفئات العمرية . معنى ذلك أن العينة العشوائية يحتمل أحيانا أن تنتهي إلى هذه النتيجة . ولا شك أن ذلك الوضع يمكن أن يكون له تأثيره على البحث ، الذي يستهدف تصميمه - مثلا - دراسة الخبرات المختلفة لكل من الرجال والنساء في فئتي العمر من 16-25 سنة ، ومن 41-65 سنة ، وذلك لأن تمثيل إحدى الفئتين كان أقل من نسبة تواجده في مجتمع البحث .

حقيقة أن احتمال اختيار عينة غير ممثلة لمجتمع البحث - على هذا النحو - احتمال ضئيل ، إلا أننا يجب أن نضعه في اعتبارنا (كما سنبين أدناه) . ولكي نحسن مستوى تمثيل العينة نستطيع الاستعانة بنوع من أنواع التدرج الطبقي (انظر قائمة المصطلحات) ، مع الحرص على أن نتاح لكل أفراد مجتمع البحث فرص متكافئة للاختيار ضمن العينة .

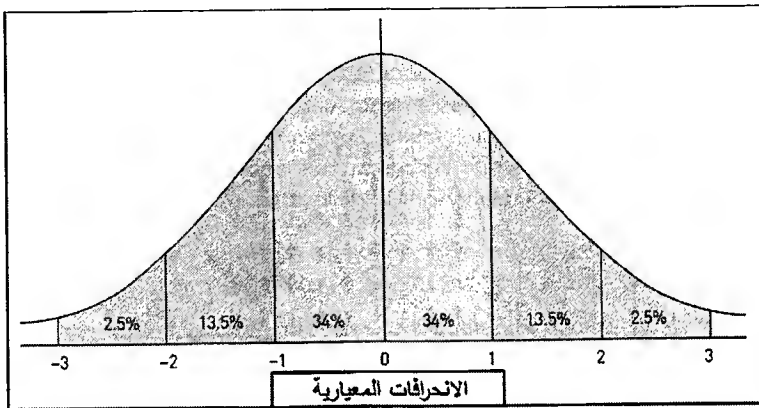
فكر في هذا الموضوع . . .

الاحتمال الإحصائي لاختيار عينة من مجتمع البحث

هناك عدد من الأساليب الاحتمالية لاختيار عينة مقدارها عشرين فردا من بين مائة فرد . وتزداد الاحتمالات إذا كان حجم مجتمع البحث أكبر من ذلك بكثير ، فهناك مثلا طرق أكثر كثيرا لاختيار ألف فرد من بين خمسين مليون فرد . ومن الممكن استخدام نظرية الاحتمال الإحصائية لإثبات أن غالبية هذه العينات تشبه إلى حد بعيد خصائص مجتمع البحث . فإذا وجدنا مثلا في عيّنتنا أن الناس الذين لم يترددوا كثيرا على طبيبيهم المعالج يقومون - في المتوسط - بمهام تطوعية بمعدل خمس مرات في العام ، فما هو الاحتمال بالنسبة لإجمالي أفراد مجتمع البحث الذين لا يترددون كثيرا على طبيبيهم (وذلك من واقع قوائم أسماء المترددين على عيادات الأطباء) ويقومون بمهام تطوعية خمس مرات في العام؟

وباستخدام نظرية الاحتمال الإحصائية نستطيع القول إننا إذا تأملنا عددا كبيرا من العينات المختارة بطرق مختلفة من نفس مجتمع البحث ، فسوف نتبين أن توزيع متوسط (أو الوسيط الحسابي) المهام التطوعية هو توزيع اعتدالي . ويتخذ منحني التوزيع الاعتدالي

- الوارد في الشكل (2-5) - شكل الجرس . فإذا افترضنا أن المتوسط في مجتمع البحث يقع في أعلى نقطة في منحنى الجرس (بمعنى أنه يطابق أعلى أرقام متوسطات العينة) ، عندئذ نستطيع القول إن متوسط العينة التي اخترناها سوف يقع بين الانحرافين المعياريين عن نقطة المركز في 95 % من الحالات . والانحراف المعياري (انظر قائمة المصطلحات) مقياس إحصائي يقيس كيفية توزيع الحالات - التي هي في مثالنا متوسط كل عينة من عيناتنا - حول الوسط الحسابي (الذي هو في هذه الحالة الوسط الحسابي لمجتمع البحث) .



شكل (4-5) التوزيع الاعتمالي

بحثك

يمكن للطلاب الذين يريدون الاستزادة من فهم الأساليب الإحصائية للمعينة (اختيار العينات) الرجوع إلى الكتاب التالي:

D.B. Wright and K. London (2009) First (and Second Steps in Statistics , 2nd edn. London: Sage.

المعاينة: خدمات التطوع والصحة

أرادت إحدى الطبيبات دراسة العلاقة بين النشاط التطوعي والصحة الجسدية والنفسية عند الكبار تحت سن الخامسة والستين . وكانت قد علمت بوجود بعض البحوث التي توضح أن الناس الذين يؤدون خدمات تطوعية يكونون أكثر صحة . ولذلك أرادت أن تعرف مَنْ مِنْ مرضاها يؤدي خدمات تطوعية ، ولكن لم يكن لديها من الإمكانيات ما يسمح لها بإجراء دراسة مسحية تشملهم جميعاً .

وقد راودتها فكرتان عن كيفية اختيار عينة من مرضاها البالغ عددهم خمسة آلاف مريض:

أ - خطر لها أن تطلب من مدير عيادتها قائمة بأسماء جميع مرضاها - مرتبة أبجدياً - الذين تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة ، وتقوم باختيار 500 (واحد من كل عشرة) مريض عشوائياً باستخدام جداول الأرقام العشوائية التي تحدد من يتم اختيارهم في العينة (جداول الأرقام العشوائية هي قوائم الأرقام مختارة عشوائياً بواسطة الحاسب الآلي عادة) .

ب - كما خطر لها أن تصمم استبياناً ، ثم تطلب من موظف الاستقبال في عيادتها أن يوزع الخمسمائة استبيان لأول خمسمائة مريض ممن تتراوح أعمارهم بين 16-65 سنة الذين يترددون على المستشفى خلال شهر معين .

فأى هاتين الفكرتين (أ) و (ب) يمكن أن يعد عينة عشوائية؟

وقد سلفت الإشارة في المثال (2-5) إلى أن الفكرة (أ) هي إحدى الطرق الجيدة لاختيار عينة عشوائية ، ولو أنها قد لا تكون أفضل الطرق للحصول على عينة ممثلة ، كما سنرى فيما بعد . ولكن لننظر أولاً في عيوب الفكرة (ب) . فعلى الرغم من أننا لا نستطيع التنبؤ بأول خمسمائة مريض يزورون المستشفى ، فإن المهم أن المرضى بأمراض مزمنة ، أو غيرهم ممن يضطرون إلى التردد على طبيبيهم بصفة دورية؛ سيكون لهؤلاء جميعاً فرصة أكبر لأن يُختاروا ضمن العينة من المرضى الذين تنذر

زيارتهم للطبيب . ونظرا لأن البحث يحاول التمييز بين الناس من واقع الصحة البدنية والنفسية ، أو المرض البدني النفسي ؛ من هنا لن تكون مثل هذه العينة ملائمة لاختيار الأفراد الذين سستم دراستهم فى هذا البحث .

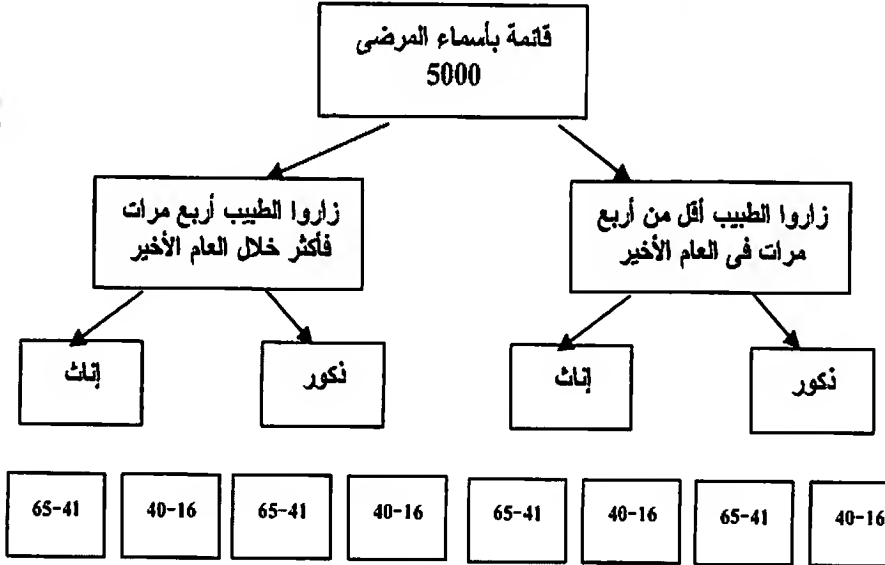
والآن ننتقل إلى تأمل الأسلوب (أ) فى اختيار العينة بشكل متعمق فى ضوء سؤال البحث . الباحثة هنا مهتمة بالناس الذين يتطوعون والذين لا يتطوعون ، ومهتمة بحالتهم الصحية . والمعلومات المتوفرة لديها عن الموضوع دفعتها إلى الاعتقاد بأن هناك فروق بين الناس فى هذا الأمر تبعا لأعمارهم ، ونوعهم ، وربما أيضا انتمائهم الإثنى . كما تعلم الباحثة أن معظم الشباب يتمتعون بصحة جيدة ، وأن الناس تتراجع ظروفهم الصحية مع تقدمهم فى العمر . ولكى تستطيع الإجابة على تلك التساؤلات يجب أن تتأكد من أن العينة التى ستختارها سوف تشتمل على كل هذا الخليط المتباين من الناس . ولكى تحقق هذا يتعين عليها أن تعرف المزيد عن ظروف أفراد مجتمع البحث ، وذلك لى تستطيع اختيار عينة ممثلة لمجتمع البحث من ناحية تلك السمات .

ولكى تفعل الطبيية ذلك يجب أن تعرف أولا نسبة كل فئة من تلك الفئات بين مرضاها أى: مجتمع البحث . وقد تبدأ ذلك بعمل رسم بيانى تخطيطى . والمهم أن نلاحظ هنا أنها قررت أن تستخدم تعريفا تقريبا (انظر قائمة المصطلحات) للصحة ، وذلك بتقسيم مرضاها - أو مجتمع البحث - إلى مجموعتين: الأولى هى التى لا تتردد بكثرة على الطبيب ، والأخرى هى التى يتردد أفرادها على الطبيب بكثرة . وقد استخدم هذا التعريف التقريبى كبديل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف الصحة ، وذلك كوسيلة للتأكد من أن العينة تشتمل على شتى فئات الأفراد الذين تحتاج إلى الوصول إليهم للإجابة على أسئلة بحثها .

المثال (5 - 3)

النشاط التطوعي والصحة:

تقسيم مجتمع البحث إلى فئات (أو طبقات)



الشكل (5-5): تقسيم المجتمع إلى فئات (أو طبقات)

وهكذا يجب أن تضم العينة نسبة من كل فئة تماثل نسبتها في مجتمع البحث. مثال ذلك: إذا كان مجتمع البحث يضم 500 سيدة في الفئة العمرية 41-65 فمن بزيارة الطبيب أقل من أربع مرات خلال العام الأخير: فسيكون الوضع كالتالي:

$$500 = \frac{500 \times 500}{5000}$$

معنى هنا أن العينة يجب أن تضم 50 سيدة من هذه الفئة. وهنا يمكن اختيار هؤلاء السيدات عشوائيا من قائمة أسماء الخمسمائة سيدة أفراد هذه الفئة.

فكر فى هذا الموضوع ..

إذا كان هناك 300 رجلا فى الفئة العمرية 16-40 يترددون بكثرة على الطبيب ،
فما العدد الذى يتعين اختياره منهم ليدخل ضمن عينة قوامها 500 حالة؟
وما الحل إذا لم يكن هناك سوى 30 رجلا فقط فى هذه الفئة العمرية الذين
يترددون بكثرة على الطبيب؟
وهل تعتقد أن الرقم الذى ستوصل إليه سيكون عينة كافية لتمثيل هذه المجموعة؟

رأينا فى هذا المثال أن مجتمع البحث قد قسم إلى فئات (أو طبقات) على ثلاثة
مستويات ، بحيث تستطيع الطبية - الباحثة - اختيار العينة التى يمكن أن تساعدنا فى
الإجابة على تساؤلات بحثها . وكانت مستويات التقسيم الثلاثة المستخدمة كما يلى : 1 -
كثرة - أو قلة - التردد على الطبيب ، 2- النوع (ذكور) ، 3 - العمر .

المثال (4-5)

النشاط التطوعى والصحة

كانت الطبية مهمة كذلك بالتعرف على خبرات الأفراد الذين ينتمون إلى
اثنين من الجماعات الإثنية بين المرضى . وكانت إحدى هاتين الجماعتين تعيش
فى المنطقة منذ سنوات بعيدة ، بينما كان أفراد الجماعة الإثنية الأخرى من
المهاجرين حديثا إلى المنطقة منذ سنة أو نحو ذلك . وقد لاحظت أن هويتهم الإثنية
مسجلة على تذاكرهم الطبية داخل العيادة . ولا تمثل كل جماعة منهما سوى نسبة
مئوية ضئيلة من إجمالى عدد المرضى المترددين على العيادة (يمثل جميع أفراد
الجماعتين حوالى 5 % ، أو 250 حالة) . ويعنى ذلك أن عينتها المبدئية سوف لا
تضم - على الأرجح - سوى عدد قليل من كل جماعة . لهذا قررت الطبية أخذ
عينة إضافية تتكون من أفراد هاتين الجماعتين الإثنية . وهنا اختارت نسبة أعلى
من العدد الإجمالى لهاتين الجماعتين - بواقع 1 من كل 2 ، أى 50 % من مجتمع
البحث - لكى تضمن الحصول على عينة كبيرة تسمح لها أن تحلل نتائجها فى ضوء
نفس متغيرات عينتها الكبرى ، وهما: العمر ، والنوع .

ولكنها لا تستطيع - عندما تصل إلى مرحلة تحليل البيانات - أن تضم العينتين معا، وذلك لأن العينتين قد سحبتا باستخدام كسور معاينة (انظر قائمة المصطلحات) متباينة، ولأن المرضى من الجماعتين الإثنية كانت لديهم فرصة الاختيار في كلا العينتين. وكان بوسع الطبيب أن تحلل بيانات كلا العينتين، وأن تعرض نتائج كل منهما على حدة، والمقارنة بين نتائج كلا العينتين باستخدام النسب المئوية وليس الأعداد الخام.

وكان ثمة بديل - أو حل إضافي - يتمثل في اختيار عيّنتين على النحو التالي:

(أ) أن نختار كسر معاينة بواقع 1 من كل 10 من إجمالي عدد مجتمع البحث بعد استبعاد أفراد الجماعتين الإثنية منه.

(ب) اختيار كسر معاينة من الجماعتين الإثنية بواقع 1 من كل 2.

وفى هذه الحالة تقوم الباحثة بتحليل كل عينة على حدة، ثم المقارنة بينهما باستخدام النسب المئوية. ولكي تحلل الطبيب العينتين معا كممثلين لمجتمع البحث، يتعين عليها أن تخفض الوزن النسبي للعينة (ب). ولكي تفعل ذلك سيكون عليها أن تقسم أى نتيجة من العينة (ب) بواقع $= 5$ ، وذلك على أساس أن مرضى الجماعتين الإثنية تتضاعف احتمالات اختيارهم ضمن عينة خمسة أضعاف احتمالات اختيار سائر المرضى.

جدول (1-5) بيانات عينة النشاط التطوعي والصحة

النوع	(١) بيانات العينة (أ)	(٢) بيانات العينة (ب)	(٣) البيانات المعدلة من العينة (ب) بيانات العمود ٢ مقسومة على ٥	(٤) إجمالي العينة (أ) والبيانات المعدلة للعينة (ب) مجموع العمودين ٣+١
ذكور	٢٢٥	٧٥	١٥	٢٤٠
إناث	٢٥٠	٥٠	١٠	٢٦٠
إجمالي العينة	٤٧٥	١٢٥	٢٥	٥٠٠

لاحظ أن البيانات التي تم جمعها من جميع أفراد العينة قد استخدمت بعد تعديل وزنها. وحذار أن تعتمد على اختيار - مثلا - 25 حالة من إجمالي الجماعتين الإثنية الـ 125 وتستبعد الباقيين .

وهكذا نرى أن العينات الطبقيّة يمكن أن تستخدم أيضا لتمكين الباحثين من توفير الوقت والموارد المطلوبة، خاصة في المسوح الضخمة القائمة على المقابلة، وهي البحوث التي تختار عيناتها من منطقة جغرافية واسعة. لهذا تتبنى هذه الطريقة في المعاينة أغلب المسوح الضخمة التي تجريها الهيئات الحكومية، على نحو ما يوضح برواز «البحث الواقعي» أدناه. ففي هذا البحث - المثال - عمد الباحث في البداية إلى اختيار بعض الأحياء (أى وحدات الإدارة المحليّة، التي تتمثل في نفس الوقت مناطق جغرافية). وبفضل إجراء هذا الاختيار في البداية، ضمن الباحثون ألا تأتي عينة بحثهم مبعثرة في كل منطقة من مناطق انجلترا وويلز. وتسمى مثل هذه العينة: العينة العنقودية (انظر قائمة المصطلحات)، لأن العينة في هذه الحالة تشبه العناقيد (أى المناطق الجغرافية في هذا المثال)، الأمر الذي يوفر الوقت والموارد اللازمة للوصول إلى الحالات المختارة. والحقيقة أن العينة الطبقيّة - كما سترى في برواز «البحث الواقعي» - يمكن أن تكون شديدة التعقيد. فقلة قليلة فقط من الباحثين هي التي تستطيع تدبير الوقت والموارد اللازمة لتصميم عينة تمثل هذه الضخامة والتعقيد والوصول إلى أفرادها. ومع ذلك يوضح المثال المعروض مختلف الأسس والمراحل الداخلة في عملية اختيار العينة الطبقيّة التي يمكن أن تناسب الباحث الطالب الذي يسعى إلى اختيار عينة ممثلة من بين مجتمع بحث محدد الملامح والسمات.

البحث الواقعي

مسح المواطنة للعام 2005

طلبت وزارة الداخلية (البريطانية) إجراء مسح المواطنة لعام 2005 للوقوف على آراء السكان في انجلترا وويلز حول عدد من المسائل. وشمل المسح أسئلة عن أحوال المجتمع المحلي، والتمييز العرقي والديني، والأنشطة التطوعية، والحقوق، والمسئوليات. وقد تم استيفاء الاستبيانات خلال مقابلات مباشرة أجراها بعض الباحثين من المركز القومي للبحوث الاجتماعية. ويمكن الاطلاع على التقرير الفني للبحث على الموقع التالي:

www.communities.gov.uk/publications/

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21 يوليو 2009).

www.communities.gov.uk/publications/communities/2005citizenship surveycross
أما نتائج البحث فيمكن الاطلاع عليها على الموقع التالي:

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21 يوليو 2009).

العينة

عينة ممثلة على المستوى القومى قوامها 10.000 بالغ من إنجلترا وويلز، وعينة إضافية قوامها 4.500 فرد من جماعات الأقليات الإثنية.

كيف تم اختيار العينة؟

تم اختيار عينة من العناوين من سجل عناوين هيئة البريد على مرحلتين:
1 - اختيار عينة عشوائية قوامها 663 حيا من واقع إحصائيات التعداد.

(أ) قبل الاختبار تم تصنيف الأحياء إلى ثلاث مجموعات وفقا للنسبة المئوية لجماعات الأقليات الإثنية فى كل حي (أقل من 1 %، 1-18 %، أكثر من 18 %).

(ب) فى إطار هذه المجموعات تم تصنيف الأحياء وفق التقسيم الإدارى الحكومى.

(ج) فى كل قسم إدارى حكومى تم تصنيف الأحياء إلى ثلاث مجموعات على أساس النسبة المئوية لأرباب الأسر الذين يعملون بمهن غير يدوية.

(د) وأخيرا تم داخل كل مجموعة أحياء، تصنيف الأحياء وفقا لنسبة الذكور العاطلين فى الحي.

(هـ) بعد ذلك تم اختيار الـ 663 حيا عشوائيا من واقع القائمة المصنفة طبقيا (أو فتويا) على هذا النحو، مع مراعاة أن يكون الإدراج ضمن العينة متناسبا مع عدد العناوين فى كل حي.

2 - تم داخل كل حي وقع عليه الاختيار ، اختيار 25 عنوانا بطريقة عشوائية.

(أ) إذا كان العنوان المختار يضم أكثر من وحدة معيشية (أسرة) ، كان الباحث القائم بالمقابلة يختار ثلاث وحدات معيشية لمقابلتها ، وفق أسلوب منهجي منظم .

(ب) كان يتم اختيار شخص واحد يبلغ عمره 16 عاما أو أكثر بطريقة عشوائية من كل أسرة ، وذلك بمعرفة الباحث القائم بالمقابلة ، وذلك أيضا وفق أسلوب منهجي منظم .

أما العينة الإضافية من جماعات الأقليات الإثنية فقد اختيرت على النحو التالي:

1 - استخدمت في اختيار هذه العينة الأحياء التي تسكنها نسب عالية نسبيا من الأقليات الإثنية (أكثر من 18 %) ، والتي تسكنها نسب متوسطة من هذه الأقليات (من 1 - 18 %).

(أ) في كل الأحياء المتوسطة الكثافة ، كان العنوانان السابقان والتاليان على العناوين المختارة يتم اختيارهما للفحص والتأكد من وجود أفراد من الجماعات الإثنية بها . كان المبحوثون في العناوين المختارة يسألون في البداية إذا كانوا ينتمون إلى الجماعات الإثنية المقيمة في تلك العناوين . فإذا كان الأمر كذلك يبدأ الباحث عمله .

(ب) أما في الأحياء ذات الكثافة العالية فقد تم اختيار 110 عناوين إضافية ، ليتحقق الباحث من وجود مبحوثين ينتمون إلى جماعات الأقليات الإثنية .

2 - تم اختيار عينة إضافية من الأحياء من بين 150 حيا أخرى (لم تكن ضمن العينة الأساسية) لكونها تتسم بكثافة سكانية عالية من أفراد جماعات الأقليات الإثنية . استخدمت نفس عملية التقسيم إلى فئات (طبقات) ، واختير من كل حي 110 عناوين . بعد ذلك تم التأكد من وجود أفراد بها من جماعات الأقليات الإثنية .

ما معدل الاستجابة الذى تحقق؟

العينة الأساسية

من بين 16.575 عنوانا المختارة:

- اتضح أن 1.543 عنوانا لم تكن صالحة للبحث ، لأنها مثلا: غير مسكونة ، أو ليست مخصصة للسكنى أصلا ، أو لأنها هدمت .
- لم يمكن الاتصال بأحد فى 338 عنوانا ، أو لم يتيسر إثبات صلاحيتها للدخول فى العينة .

• 3.923 عنوانا رفض شاغلوها المشاركة فى البحث .

- 595 عنوانا لم يتيسر لأصحابها المشاركة أو الاستمرار مثلا بسبب: المرض ، أو عدم الإلمام باللغة (الإنجليزية) .

وقد تم إجراء عدد 9.691 مقابلة .

عينة جماعات الأقليات الإثنية

- تم اختيار 7.171 أسرة تضم أفرادا بالغين مؤهلين للمشاركة (أى إنهم ينتمون إلى إحدى جماعات الأقليات الإثنية) .
- تم إجراء 4.390 مقابلة .

المعاينة الاحتمالية: الجوانب العملية

إذا كنت تنوى استخدام المعاينة الاحتمالية ، فهناك عدد من الأسئلة التى يجب أن تفكر فيها وأنت فى هذه المرحلة .

ما سمات مجتمع البحث المتصلة بموضوعك والتى ينبغى أن تكون ممثلة فى العينة؟

يتعين عليك فى هذه المرحلة من البحث أن تكون قد فكرت كيف ستحلل البيانات

التي ستقوم بجمعها، وأن تكون قادرًا على تحديد السمات أو المتغيرات التي ستعتمد عليها في التمييز بين الحالات المختلفة. من ذلك مثلًا أنه إذا اتضح من سؤال بحثك أو من فرض البحث أنك ستبحث عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات عمرية مختلفة، أو بين عدة مقالات مختارة من أنواع مختلفة من الصحف، عندئذ سيكون عليك أن تتأكد من أن الحالات المختارة تتوفر فيها تلك السمات أو المتغيرات. فإذا قسمت مجتمع بحثك إلى فئات (أو طبقات) وفقا لهذه السمات، فسوف تضمن أن تُدرج ضمن عينتك نسبة من كل مجموعة تشبه نسبتها في مجتمع البحث (على نحو ما فعلت الطبيبة في بحثها). وإذا وضعت نصب عينيك أسئلة بحثك وخطتك في التحليل، فإن عينتك ستصمم بحيث تضمن جمع بيانات من حالات البحث تتيح لك أن تستخدمها في سعيك للإجابة على أسئلة البحث.

هل توجد قائمة حصر - أو إطار معاينة - لكافة أفراد مجتمع البحث الذي ستختار منه العينة، وهل تزودك هذه القائمة بالمعلومات اللازمة لسحب عينة طبقية ممثلة؟

في كثير من الأحيان لا يكون من الممكن أن تكون أو تتحصل بسهولة على قائمة حصرية بجميع أفراد مجتمع البحث تستطيع أن تسحب منها عينة الدراسة (وهو ما يسمى: إطار المعاينة) (انظر قائمة المصطلحات). ففي بعض الأحوال لا تكون مثل هذه القائمة الحصرية موجودة أصلا. ففي بحث المواطنة عندما أراد الباحثون سحب عينة بحثهم لم يستطيعوا الحصول على قائمة حصرية بعنوانين جميع الناس في المملكة المتحدة من أبناء جماعات الأقلية الإثنية، وذلك ببساطة لأنه لا وجود لمثل هذا الحصر أصلا. وعوضا عن ذلك لجأ الباحثون إلى استخدام بيانات التعداد لتحديد الأحياء التي يحتمل وجود أفراد جماعات الأقلية فيها احتمالا كبيرا.

وحتى لو وجدت مثل هذه القائمة الحصرية لمجتمع البحث، فقد لا تتوفر للباحث معلومات تفصيلية عن الأفراد أو الحالات الواردة أسماؤهم في القائمة، والتي يحتاج إليها لسحب العينة. وقد يكون سبب ذلك أن تلك المعلومات ذات طبيعة سرية، أو لأن الشخص الذي يحتفظ بهذه القائمة الحصرية - والذي يعرف أحيانا باسم "حارس

البوابة“(*)- لا يريد أن يطلعك عليها. ولاحظنا في البحث السابق أن الطبية الباحثة كان تحت يدها قائمة حصرية بأسماء مرضاها (وهم مجتمع البحث)، ولكنها قد لا تكون رغبة في إطلاع أحد الطلاب الباحثين على المعلومات التي يحتاج إليها لإجراء بحث عن الأنشطة التطوعية. وهناك عدة أسباب تدفع ”حارس البوابة“ إلى رفض الإذن له بالاطلاع على المعلومات التي تحتاج إليها لسحب العينة. فقد تكون البيانات ذات طبيعة سرية وتحجب عن العموم بمقتضى قانون حماية المعلومات، وقد يكون حارس البوابة مسئولاً بحكم وظيفته - أو بحكم أى مسئولية أخرى - عن الناس الذين تريد أن تغطيهم في بحثك، وقد يساوره بعض القلق على سلامة أولئك الناس (فصل 5 من باب 1). فمثل هذه القضايا قضايا ذات طبيعة أخلاقية، مما يتعين أن يدفعك إلى أن تتبين ما إذا كنت سوف تستطيع الوصول إلى الأفراد أو المواقف الذين تريد فهم بالطريقة التي تراها. ومن الأسباب الأخرى التي تدعو ”حارس البوابة“ إلى رفض السماح لك بالاطلاع على بيانات أفراد مجتمع البحث أنه قد لا يملك الوقت اللازم لمساعدتك، أو لأنه ليس مهتماً بالبحث الذي تنوى إجراءه، خاصة إذا كان البحث غير مفيد لحارس البوابة أو لمؤسسته.

(*) حارس البوابة Gatekeeper مفهوم صاغه عالم الاجتماع الأمريكى كورت ليفين في عام 1947 ليشرح ظاهرة ”اليد الخفية“ التي تراقب، وتمنع، وتسمح بحكم موقعها الرسمي أو العرفي، وبشكل علني أو ضمني. فالتعتيم الإعلامي مثلاً هو شكل من أشكال ”حراسة البوابة“ وكذلك حجب المعلومات عموماً. وهكذا دخل هذا المصطلح إلى بحوث الاتصال الجماهيري على يد دافيد وايت. والمعروف اليوم أن البناء التدرجي للتنظيمات الرسمية - في المجتمع الحديث - يضع بعض الأفراد أو الجماعات في مواقع حساسة تمكنهم من أن يراقبوا حصول الناس على السلع أو الخدمات أو المعلومات. وهم بذلك يمتلكون قوة أكبر من سلطتهم الرسمية. ولقد درس علماء الاجتماع هذه الظاهرة في إطار ظروف عديدة غير الإعلام والمعلومات. ويمثل تجاه الإدارة الحضرية في دراسة المدن مثلاً على ذلك، وهو اسم أطلق على عدد من الدراسات في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين ادعت جميعاً أن كبار المسؤولين عن الإدارة الحضرية (مثل العاملين في التخطيط الحضري وموظفي الإدارة المحلية) يلعبون دوراً حيويًا كحراس لمراقبة الحصول على الموارد الحضرية (الإسكان، والأرض، وتصاريح البناء... إلخ). للمزيد انظر، محمد الجوهري وزملاؤه، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال (1994)، وكذلك: موسوعة علم الاجتماع (3 مجلدات)، المركز القومي للترجمة (2011)، خاصة مواد: الحراسة (حراسة البوابة)، التنظيمات الرسمية، القوة، الحضرية، وغيرها. (المترجم)

فإذا تعذر عليك الحصول على قائمة حصرية بأفراد مجتمع البحث ، يتوجب عليك التفكير في طرق أو أساليب أخرى لاختيار عينة بحثك ، مثل: المعاينة الحصية (أو بالحصة) وعينة كرة الثلج (انظر قائمة المصطلحات) ، التي سنناقشها تفصيلا في موضع لاحق من هذا الفصل .

ما حجم العينة التي ستسحب؟

هذا السؤال ليس بالأمر السهل ، لأنه يتعين على الباحث أن يأخذ في اعتباره عددا من العناصر المختلفة . أول تلك الأمور أنه من المعروف -إحصائيا- أنك إذا كنت بصدد اختيار عينة عشوائية ممثلة من مجتمع بحث معروف لك ، فإنه كلما زاد حجم العينة كلما ارتفعت إمكانية تعميم بيانات العينة على مجتمع البحث ، مما يعنى تناقص خطأ المعاينة (انظر قائمة المصطلحات) أو التباين المحتمل بين متوسطات العينة ومتوسطات مجتمع البحث . ومع ذلك فليست القضية أنه كلما زاد حجم مجتمع البحث ، كلما كان لازما أن يزداد حجم العينة . فبحوث التسويق واستطلاعات الرأى التى تجريها بعض المؤسسات تعتمد فى الغالب على عينة عددها ألف فرد بالغ من سكان المملكة المتحدة ، هى التى يجرون عليها بحوثهم . ومن الممكن التدليل على أن المزايا الإضافية التى ستتحصل عليها من زيادة حجم العينة سوف تتضاءل أهميتها عندما يرتفع حجم العينة وتبدأ الآثار المتعلقة بالوقت اللازم لإجراء البحث والموارد التى يحتاجها والمترتبة على زيادة حجم العينة؛ تبدأ فى البروز وتحتل الأسبقية على التخفيض الضئيل لخطأ المعاينة .

على أن الأمر المهم بالنسبة للطالب - الذى يجرى بحثا بموارد محدودة من الوقت والتمويل - أن حجم العينة سوف يتأثر فى المقام الأول بحجم الموارد المتاحة وإمكانية الوصول السهل إلى مفردات عينة البحث . وعليك أن تلتزم بالنصح بهذا الشأن من المعيد أو الأستاذ الذى يشرف على بحثك ، حيث سيكون قادرا على تزويدك بأى إرشادات أو توجيهات بهذا الخصوص ، وأن يفحص معك القضايا والمشكلات الخاصة المتعلقة ببحثك . ولكن من المهم - على أية حال - أن تكون واعيا بأوجه القصور المرتبطة بالعينة الصغيرة الحجم ، وأن تتناولها بالمناقشة فى تقرير بحثك أو فى رسالتك الجامعية التى تعدها .

هناك موضوع آخر يتعلق بحجم العينة يجب أن تأخذه في اعتبارك ، وهو : تذكر أنك قد تحتاج - مثل الطبيبة الباحثة في المثال (2-5) - إلى تحليل بيانات تكون مستمدة من جماعات أو فئات معينة داخل عينة البحث ، كأن تحاول - مثلا - استكشاف الفروق بين الرجال والنساء في الفئات العمرية المختلفة. فإذا كان إجمالي عدد العينة صغيرا ، فسوف تجد أن البيانات الخاصة (مثلا) بالرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 16 - 24 سنة تعتمد على عدد قليل جدا من الأفراد. ومن شأن هذا أن يقلل من جدوى البيانات ، وقد يعنى في النهاية أنك قد لا تستطيع إجراء التحليلات التي كنت تنوى عملها.

النقطة الأخيرة التي يجب أن تتذكرها دوما أنه سيكون هناك بعض الأفراد الذين لن يستجيبوا للمشاركة في البحث ، إما لأنهم يرفضون مثل هذه المشاركة ، أو لأنه تعذر الاتصال شخصا ببعض من دخلوا ضمن العينة. ولهذا يكون من الصواب أن تختار عينة بحثك وأنت على وعى بهذه القضايا والمشكلات ، ومن ثم قد يكون من الأفضل اختيار 10 % إضافية زيادة عن العدد الذي تنوى أن يشارك في بحثك.

هل يوجد ثمة تحيز داخل إطار المعاينة ، أو في طريقة اختيار العينة ، يمكن أن يؤثر سلبا على العينة؟

عندما تفكر في إطار المعاينة - أى القائمة الحصرية بالأفراد أو الحالات الذين يمكن إدراجهم ضمن عينتك - يجب أن تتأكد من أن تلك القائمة لم توضع بحيث تستبعد أى حالات أو جماعات. وقد أشرنا سابقا إلى أن التعداد الرسمي للمملكة المتحدة لا يمكن أن يزعم أنه يضم كافة أفراد السكان البريطانيين. لهذا يكون عليك أن تنتبه إلى مثل هذه الحالات أو الجماعات ، التي ربما تكون قد غابت عن هذه القائمة الحصرية. ففي عينة بحث النشاط التطوعي رأينا أن اختيار العينة عن طريق توزيع استبيان البحث على أول خمسمائة مريض يصلون إلى العيادة يمكن أن يصيب العينة بالتحيز (انظر قائمة المصطلحات) لصالح الأفراد الذين يترددون بكثرة على الطبيب. ولعله يتعين أن نأخذ في الاعتبار في هذا المثال نوع الطبيبة (ذكر/أنثى) وما إذا كان المرضى - من الذكور والإناث - قد يتساوون في اختيار طبيبة أنثى. لذلك فإن اختيار عينة من قائمة المرضى المترددين على تلك الطبيبة فقط ، يعنى أن الباحثة تختار عينة متحيزة لصالح المرضى الذين لهم اختيار معين في نوع الطبيب.

هل يمكن الوصول بسهولة إلى أفراد العينة؟ وهل من المحتمل أن يشاركوا في البحث ويستجيبوا للباحث؟

كما يجب عليك قبل سحب العينة أن تفكر في مدى قدرتك على الوصول إلى أفراد العينة التي اخترتها. هل سيكون متاحاً لك الوصول إلى الأفراد أو الحالات التي وقع عليها الاختيار في الفترة التي يتعين عليك فيها جمع بيانات بحثك؟ هل سيكون عليك مثلاً السفر للقاء بعض الحالات؟ وإذا كنت تخطط لإجراء مسح بواسطة البريد الإلكتروني (الإيميل)، فهل يتوفر لأفراد العينة جهاز حاسب آلي، وإذا كان ذلك كذلك فهل هم ينتظمون في استخدام البريد الإلكتروني؟ هل يحتمل أن تواجه أى مشكلة لغوية في التعامل معهم، أو أى عوامل تحول دون فهم أحدكم للآخر؟

وهكذا نضع أيدينا على مصدر آخر لنوع من التحيز، لأنه لن يكون ميسوراً لك الاتصال بكل أفراد عينتك، أو قد لا تتاح لكل الأفراد نفس فرصة المشاركة في بحثك. ولذلك لا بد أن نتوقع أن البعض قد لا يشاركون في بحثك، وبالتالي نكون بصدد حالة من حالات عدم الاستجابة (انظر قائمة المصطلحات). وعدم الاستجابة يمكن أن يعود لعدة أسباب مختلفة:

- عدم تحقق الاتصال: حيث لا يستطيع الباحث الوصول إلى الشخص.
- الرفض: حيث يبدى الشخص رفضه للمشاركة في البحث.
- عدم استطاعة الشخص - المختار في العينة - الاستمرار في المشاركة، مثلاً بسبب: المرض، أو عدم معرفة اللغة، أو وجوده فترة البحث في إجازة.
- أن يكون الشخص المختار غير ملائم للبحث، ويرجع ذلك عادة إلى عدم دقة المعلومات التي كانت متوفرة عن هذا الشخص.
- عليك - كباحث - أن تفعل كل ما في وسعك لتقليل حالات عدم الاستجابة إلى أدنى حد. وأفضل سبيل لتحقيق ذلك هو الإعداد الجيد، والنظر في العواقب.

بحثك

اختبار جودة البحث: العينات الاحتمالية وإمكانية التعميم

- هل تم استبعاد عدد كبير من أفراد مجتمع البحث على نحو يمكن أن يؤدي إلى التحيز .
- هل تم اختيار العينة عشوائياً؟
- هل فئات التحليل كبيرة بالقدر الكافي (خمس حالات على الأقل في كل فئة)؟
- هل وضعت في اعتبارك التحيز الذي يمكن أن يحدث بسبب عدم تحقق الاتصال ببعض أفراد العينة، أو بسبب عدم الاستجابة؟
- هل العينة الاحتمالية ذات حجم يسمح بإجراء التحليل الإحصائي ويبرر الادعاء بإمكانية تعميم النتائج على مجتمع البحث بأكمله؟
- هل تضمن تقرير بحثك أو رسالتك الجامعية جزءاً لمناقشة نقاط الضعف في عينتك؟

المعاينة غير الاحتمالية

لعلك أدركت الآن أنه عندما تكون بصدد إجراء بحث صغير محدود الموارد الزمنية والمالية، فالغالب أنك لن تستطيع تكوين عينة (أ) كبيرة أو (ب) تفي بكل شروط العينة الاحتمالية العشوائية. وسنقوم في هذا الجزء من الفصل باستعراض بعض طرق المعاينة التي قد تكون أكثر ملاءمة لأحجام البحوث المحدودة التي يجريها أغلب الطلاب. ومثل هذه الطرق أكثر ملاءمة لتصميمات بحوث المسح المقارن أو التجريبي المحدودة النطاق .

العينة المريحة

بسبب قلة الموارد وضيق الوقت لا تتاح للباحثين من الطلاب فرص لا اختيار عينة سوى الاعتماد على العينة المريحة بسبب سهولة الوصول إلى مفرداتها. والحقيقة أننا لو تأملنا مجموعة من الدراسات البحثية، فسوف نجد في الغالب أن السياق الذي يجري فيه البحث إنما هو اختيار من بين مدى واسع من الاحتمالات، وذلك لكونه السياق الذي يتيح للباحث فرصة الوصول إلى مبحوثيه بسهولة. والمعتاد أن يختار الباحث الطالب

السياق الملائم الذى يستطيع فيه الحصول على أكبر عدد ممكن من الاستجابات ، كأن يكون القسم (الجامعى) الذى يدرس به ، أو نادى المجتمع المحلى ، أو أحد أماكن اللقاء العامة ، أو مراكز التسوق ، أو النوادى الرياضية .

المثال (5 - 5)

النشاط التطوعى والصحة

بدأت الباحثة فى مثالنا بتعريف مجتمع البحث الذى ستختار منه عينة دراستها بأنه جميع المرضى المترددين على عيادتها . ومعنى ذلك أنهم الأفراد الذين تستطيع الوصول إليهم بسهولة . ولم تحاول سحب عينة من جميع السكان البالغين فى المملكة المتحدة . ولكنها قررت فى النهاية سحب عينة احتمالية من مجتمع البحث المريح لها ، أى الذى تستطيع الوصول إلى أفرادهِ بسهولة .

المثال (5 - 6)

النشاط التطوعى بين الطلاب

قرر أحد الطلاب المهتمين بدراسة مدى انتشار النشاط التطوعى بين مجتمع الطلاب وطبيعته؛ قرر اختيار مبحثيه من زملائه فى البرنامج الدراسى ، وفى المدينة الجامعية . وقام بعد ذلك بإرسال استمارة استبيان على البريد الإلكتروني لكل أفراد هاتين المجموعتين . وكان يأمل من وراء ذلك أن يحصل على نسبة استجابة عالية ، خاصة من أولئك الزملاء الذين يعرفونه معرفة جيدة .

وقد أوضح فى رسالته الجامعية - التى كتبها عن البحث - أنه يعى نواحي القصور فى هذه الطريقة . وأن من هذه العيوب أن هذه الطريقة ستؤدى إلى ضعف تمثيل الطلاب الذين يعيشون مع أسرهم أو يسكنون فى بيوت خاصة ، بينما ستزداد نسبة تمثيل الطلاب الذين يدرسون معه فى نفس البرنامج (وهو مقرر السياسة الاجتماعية) . كما أوضح هذا الباحث أن دارسى السياسة الاجتماعية يزداد احتمال انخراطهم فى الأنشطة التطوعية عن بقية الطلاب الذين يدرسون برامج أخرى . والذين يعيشون مع أسرهم الذين ستختلف فرص تطوعهم عن أولئك الذين يعيشون فى المدينة الجامعية .

العينة الحصية

تتسم هذه الطريقة من المعاينة ببعض خصائص العينة الطبقية (انظر قائمة المصطلحات)، وهى العينة التى تختار بحيث تضمن إدراج بعض الفئات والجماعات والحالات بنسب تناظر نسبتهم فى مجتمع البحث. ولكنها تختلف عنها فى عدم استخدام قائمة حصرية تشمل جميع أفراد أو حالات مجتمع البحث، كما أنها يمكن أن تكون أكثر راحة فى اختيار العينة. ويستخدم هذه الطريقة فى الواقع كثير من مؤسسات بحوث السوق. فإذا اقترب منك باحث فى الطريق ومعه حافظة أوراق، وطلب منك أن تشارك فى بحث عن نوع جديد من رقائق البطاطس المقلية أو أحد المنظفات الجديدة؛ فالأرجح فى مثل هذه الحالة أن الباحث قد كلف باستيفاء حصة معينة من المبحوثين. وقد يكون سبب اختياره لك أنك رجل مثلاً، ويتراوح عمرك بين 18 - 25 سنة، وأنت تنتمى إلى الطبقة الوسطى. وربما يكون تصميم البحث قد حدد لمثل هذا الباحث عدة معايير يجب أن يلتزم بها، من قبيل استيفاء:

- خمسة ذكور.
- وخمس إناث.
- ثلاثة تتراوح أعمارهم بين 18 - 25 سنة.
- أربعة تتراوح أعمارهم بين 26 - 45 سنة.
- وثلاثة تتراوح أعمارهم بين 46 - 65 سنة.
- ستة من هؤلاء من الطبقة الوسطى.
- وأربعة من الطبقة العاملة.

وهكذا يحرص الباحثون القائمون بالمقابلة على البحث عن أفراد يتوفر فيهم معيار واحد على الأقل من هذه المعايير، ولكن الأرجح أن يتوفر فيهم أكثر من معيار. مثال ذلك أن الباحث يستطيع أن يستوفى البيانات من أفراد الحصة المحددة له بإجراء عشر مقابلات فقط، ولكن بشرط الالتزام بالمعايير المحددة فى اختيار هؤلاء العشرة. وتكون هذه المعايير مستمدة عادة من بيانات مجتمع البحث - كالمجتمع المحلى مثلاً - وتحدد الحصص بحيث يتناسب أفرادها مع نسب الخصائص السائدة فى مجتمع البحث (كالنوع، والعمر والانتماء الإثنى... إلخ). ويتابع الباحث إجراء مقابلاته مع

البحوثيين المحتملين إلى أن يتم استكمال الحصة. ومن الطبيعى أن الباحث قد يخطئ أحيانا عندما يجرى مقابلات مع أشخاص يبدو أنهم يتفوقون ومعايير الحصة، ثم يتبين بعد أن يتحاور معهم أنهم ليسوا من الفئة العمرية المطلوبة أو لا ينتمون إلى الوضع الطبقي المحدد. ولذلك يتعين عليه فى مثل هذه الحالات إنهاء المقابلة، ومواصلة البحث.

المثال (5 - 7)

النشاط التطوعى والصحة

كان بوسع الطبيبة أن تستخدم العينة الحصية، وذلك بأن تعطى لموظف الاستقبال حصة من المرضى، باستخدام العمر والنوع كمعيارين لاختيار الحصة، فيعرض على كل واحد منهم فكرة البحث ويطلب منه المشاركة فى بحث عن التطوع. ومن شأن هذا الأسلوب أن يضمن تغطية جزء من مجتمع البحث وفقا لمعيارى العمر والنوع. ولكن هذا الأسلوب لا يتضمن معلومات عن كثرة (أو قلة) التردد على العيادة لرؤية الطبيب، وبذلك ستكون العينة متحيزة لصالح المرضى كثري التردد على العيادة.

هل تستطيع أن تفكر فى أسلوب يمكن أن يأخذ فى الحسبان كثرة التردد على العيادة كمعيار من معايير تحديد الحصة؟

وهكذا تزودنا تلك الأمثلة ببعض الأفكار المتعلقة بنقاط الضعف التى تعيب المعاينة الحصية:

(أ) **اختيار المعايير:** قد يكون من الصعب أحيانا اختيار المعايير التى تكون ممكنة عمليا ومرتبطة فى الوقت نفسه بتساؤلات البحث. فكيف تستطيع - مثلا - أن تعرف وأنت فى الشارع ما إذا أحد الأشخاص ينتمى إلى الطبقة الوسطى أم إلى الطبقة العاملة؟

(ب) **التحيز لصالح جماعات معينة من أفراد مجتمع البحث:** لا شك أن تحديد مكان وزمان اختيار عينة المبحوثين يمكن أن يؤدى إلى استبعاد جماعات معينة من هذا الاختيار، ويزيد من فرص اختيار جماعات أخرى ضمن العينة. والغالب أن تجرى بحوث التسويق فى مراكز التسوق الواقعة فى وسط المدينة وخلال ساعات

العمل ، أى بين التاسعة صباحًا والخامسة عصرًا . ولهذا تجد أن الأشخاص المشغولين بالعمل . أو يكونون فى عجلة من أمرهم للحاق بقطار أو المشاركة فى اجتماع عمل يترجح أن يرفضوا إجراء مقابلة معهم ، على حين يكون الآخرون - غير المزدحمين بالعمل ، وربما كانوا عاطلين أصلا - لديهم وفرة من الوقت ، ومن ثم يكونون أكثر تقبلا للمشاركة فى البحث . يضاف إلى كل هذا أن القائمين بالمقابلات (بل والباحثين أيضا) يميلون إلى مفاتحة الأشخاص الذين يبدو لهم أنه من الأرجح أن يشاركوا ، أو الذين يُبدون مودة أكثر ومن ثم أقل احتمالا لأن يرفضوا .

(ج) الاختيار غير العشوائى: إن البيانات التى يتم الحصول عليها من العينة الحصية تعتبر - من الناحية الإحصائية - غير قابلة للتعميم على مجمل مجتمع البحث ، وذلك لأن طريقة اختيار العينة لم تكفل لكل عضو من أعضاء مجتمع البحث فرصة محسوبة للدخول فى العينة .

عينة كرة الثلج

سبق أن أشرنا إلى أن بعض مجتمعات البحث قد يصعب الوصول إلى أفرادها ، لأنه لا توجد لمثل هذا النوع قوائم حصرية بأعضائها ، كما لا توجد أماكن واضحة معروفة يمكن فيها مقابلة هذه الحالات . وفى بعض الأحيان ترتبط تلك المجتمعات "الخفية" ببعض السلوكيات التى لا تلقى قبولا اجتماعيا كبيرا أو حتى إجرامية أحيانا . ولو أن كافة أنواع الممارسات السلوكية الأخرى والخصائص الاجتماعية يمكن أن تظل محجوبة عن الباحث ، "كالنشاط التطوعى غير الرسمى" ، على نحو ما هو وارد فى المثال (5-8) . وتبدأ عينة كرة الثلج بعدد قليل من الأشخاص الذين يُعرف عنهم أنهم من النوعية التى يفتش عنها الباحث ليتناولها بالدراسة . وفى هذه الحالة قد يبدأ الباحث بالاتصال بهم والالتقاء بهم فى مكان عام ، أو على أحد مواقع الإنترنت ، أو بالاتصال الشخصى بمبادرة من أولئك الأفراد . وهنا يطلب من كل واحد من أفراد المجموعة البدئية اقتراح أشخاص آخرين لهم نفس السمات ، ثم يقوم الباحث بالاتصال بهم ، وهكذا . ولأن الأشخاص ذوو الخصائص والسمات السلوكية الخاصة غالبا ما يكونون جزءا من شبكة تضم أشخاصا مماثلين؛ لذلك يمكن أن تكون هذه الطريقة مثمرة جدًا ، خاصة إذا اقترنت بطريقة العينة الحصية ، التى تسعى إلى تحديد الأشخاص ذوى السمات المميزة ، كالفئات العمرية والانتماءات الإثنية المختلفة مثلا .

المثال (5-8)

الأنشطة التطوعية غير الرسمية

أراد أحد الباحثين أن يغطي بحثه المتطوعين "غير الرسميين". وقد تم تعريف المتطوع "غير الرسمي" بأنه ذلك الشخص الذي يضطلع ببعض المهام والأنشطة التي يؤديها دون مقابل لغير أفراد أسرته. وأبدى ذلك الباحث اهتمامًا خاصًا بالأشخاص الذين يقدمون المساعدة لجيرانهم بشكل منتظم، كأن يؤدوا عنهم أعمال الحديقة أو التسوق.

وقد اختار الباحث حيا معينا وبدأ يتعرف على عدد قليل من هؤلاء المتطوعين "غير الرسميين" من خلال زيارته للمسجد المحلى أو للكنيسة المحلية، أو المركز الاجتماعي للحى. ثم أخذت تسألهم بعد ذلك عما إذا كانوا يعرفون أشخاصا آخرين - فى شارعهم أو قريبا منهم - ممن يقومون بالتطوع "غير الرسمي"، وتبحث عن غيرهم وغيرهم، إلى أن تمكنت من تكوين عينة تغطى أغلب شوارع ذلك الحى.

مقارنة العينة غير الاحتمالية بمجتمع البحث

يمكن فى بعض الأحيان مقارنة خصائص العينة غير الاحتمالية بخصائص إجمالى مجتمع البحث. فإذا توفرت بيانات قابلة للمقارنة عن إجمالى مجتمع البحث - مثل نسب الذكور والإناث ونسب المنتمين إلى كل فئة عمرية أو جماعة اقتصادية اجتماعية فى المنطقة التى سيجرى فيها البحث - مثل هذه البيانات يمكن استخدامها للتأكد من أن العينة تشبه مجتمع البحث شبها وثيقا. وعلى الرغم من أن العينة غير الاحتمالية - على خلاف العينة الاحتمالية - لا يمكن تعميم نتائجها على مجتمع البحث من وجهة النظر الإحصائية، فإنه يمكن دراسة هذه الإمكانية فى التقرير النهائى للبحث فى حالة ما إذا كانت العينة غير الاحتمالية تشبه مجتمع البحث شبها وثيقا.

بحثك

اختبار جودة البحث : العينات غير الاحتمالية

- هل شرحت بوضوح كيف تم سحب العينة؟
- هل أمكنك تحديد المصادر المحتملة للتحيز ، وهل حاولت - قدر الإمكان - معالجة هذه المصادر؟
- هل أوضحت نقاط الضعف في عينتك في ضوء دعواك بما يمكنك عمله بناء على نتائجك؟
- هل أوضحت نقاط القوة في عينتك من حيث حسن استخدام الموارد ، وتحديد الحالات الملائمة للبحث ، ومعدلات استجابة الباحثين ، ومدى النجاح في معالجة أسئلة البحث؟

العينة العمدية

يمكن القول أن هذه الطريقة الأخيرة من طرق المعاينة هي التي تقع على الطرف الآخر من متصل طرق المعاينة الذي عرضناه في بداية هذا الفصل . وتمثل العينة العمدية (انظر قائمة المصطلحات) والعينة النظرية طريقتين من طرق المعاينة ذات الطبيعة غير الاحتمالية ، وأنها تتخذ هذا الطابع بشكل مقصود ومتعمد . وترتبط هاتان الطريقتان بشكل عام بالدراسات المتعمقة المحدودة النطاق ، التي تقوم على تصميم بحثي يركز على جمع البيانات الكيفية ، ويتمحور حول استكشاف وتفسير الخبرات والتصورات والأفكار . ومن هذه النوعية من الدراسات: دراسات الحالة ، وبعض الدراسات المقارنة ، والدراسات الإثنوجرافية وبحوث النظرية الموثقة (فصل 3 باب 2) .

ففي كل هذه الطرق في اختيار العينة لا يسعى الباحث إلى تكوين عينة ممثلة -إحصائية- لمجتمع البحث . بل العكس هو الصحيح ، فأفراد أو حالات العينة يتم اختيارها "عمدا" لتمكين الباحث من استكشاف ومعالجة تساؤلات البحث أو تطوير نظرية . وتختار الحالات في ضوء الخصائص أو الخبرات التي ترتبط مباشرة بمجال اهتمام الباحث وتساؤلاته البحثية ، وتتيح له دراسة موضوع بحثه دراسة متعمقة .

فالحالات المختارة عمدا للباحث هي تلك التي تستطيع أن تميّط اللثام وتلقى الضوء على مجال البحث على أفضل نحو .

ما : العينة العمدية؟

قدم ريتشي ولويس Ritchie and Lewis (2003: 79) عرضا مفيدا للأساليب التي يمكن اتباعها لتكوين عينة البحث:

- **العينة المتجانسة :** حيث تنتمي كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة ، أو تتسم جميعها بنفس الخصائص . وتتيح لنا مثل هذه العينة الدراسة التفصيلية المتعمقة لظاهرة اجتماعية معينة .
- **العينة غير المتجانسة أو البالغة التباين:** في هذه العينة يعنى التأكد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين .
- **العينة العمدية الطبقية :** لعل أشهر طرق اختيار العينة العمدية أن يتم اختيار أفرادها من بين مجموعات من الأفراد أو الحالات التي يوجد قدر من التباين بينها ، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات . ويتم تحديد تلك المجموعات - التي ستختار منها العينة- من واقع بيانات متوفرة سلفا من مسح أو بيانات إحصائية سكانية .
- **عينة الحالات المتطرفة:** في هذه العينة تُختار الحالات بسبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار ، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها .
- **العينة المكثفة:** هنا تختار الحالات لأنها "تمثل بقوة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث" .
- **عينة الحالة النموذجية (المعتادة):** هنا تُختار الحالات التي تعد نموذجية أو "معتادة" .
- **عينة الحالات الحرجة:** تُختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها "الحاسم أو الشديد" في مسار ظواهر اجتماعية معينة .

المعاينة النظرية

المعاينة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) شكل من أشكال العينة العمدية يقوم على أفكار وعمليات النظرية الموثقة (فصل 3 من باب 2). وتفترض هذه الطريقة أن جمع البيانات، والتحليل، واختيار العينة تجرى بشكل متزامن، وتستمر عملية اختبار مفردات جديدة للعينة وجمع بيانات منها حتى لا يعود هناك مزيد من البيانات التي يمكن استخلاصها من كل حالة. وقد وصف جلاسرو وشتراوس (1967: 45) هذه العملية على النحو التالي:

”هى عملية جمع بيانات لتوليد نظرية، حيث ينشغل الباحث - فى نفس الوقت - بجمع، وترميز، وتحليل بياناته. وفى أثناء ذلك يقرر أى أنواع من البيانات يتعين عليه جمعها لاحقاً، وأين يمكن أن يلتمسها، وذلك من أجل بلورة وتطوير النظرية التى يسعى إليها“.

وهكذا يتم اختيار الحالات المبدئية عادة بطريقة غير مقننة نسبياً. فعندما تبدأ ”النظرية“ فى التبلور من واقع البيانات المبدئية، يتقرر اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشاف واختبار تلك النظرية البازغة. كما يهتم الباحث فى نفس الوقت بتحديد ”الحالات السالبة“، وهى الحالات التى لا تتوافق والنظرية الآخذة فى التكوين، لأنه يمكن الإفادة من مثل هذه الحالات فى تعديل النظرية البازغة وتجويدها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من ”التشبع“ النظرى.

العينة العمدية: الجوانب العملية

تعتمد طريقة تصميم وتجميع عينة عمدية على بعض الأساليب الأخرى غير الاحتمالية، التى استعرضناها فى موضع سابق من هذا الفصل. فالعينات المريحة، والحصى، وكرة الثلج كلها من الطرق التى يشيع استخدامها فى تجميع المبحوثين أو الحالات لتكوين عينة عمدية. وكما رأينا فى المثال الخاص بالعينة والنشاط التطوعى، فإنه بوسعك استخدام بيانات تم جمعها من عينة احتمالية، ذلك أن توفر مثل هذه البيانات من شأنه أن يساعد الباحث على اختيار بعض المبحوثين بصفة عمدية لإجراء دراسة أكثر تعمقاً.

ما مجتمع البحث الذي ستختار منه العينة؟

عندما نصمم عينة عمدية، فإننا نستخدم مجتمع البحث بطريقة مشابهة لاستخدامنا له عند سحب عينة احتمالية، بمعنى أنه يتعين تعريفه من واقع خصائصه المميزة، خاصة تلك التي ترتبط بموضوع البحث. غير أننا في هذه الحالة لا نسعى إلى معرفة كافة أفراد مجتمع البحث لكي نتأكد من سحب عينة من بينهم. وإنما الصحيح أننا نبحث عن الخصائص المرتبطة بموضوعنا، ونفكر ملياً في السياق الذي يمكن أن يوجد فيه مجتمع بحث يمثل هذه الخصائص.

المثال (5 - 9)

النشاط التطوعي في المستشفيات

يعد أحد الباحثين لإجراء دراسة عن الناس الذين يتطوعون للخدمة في المستشفيات. وهو يبدأ بالنظر إلى السياق الذي يمارس فيه النشاط التطوعي - وهو المستشفى - ويحاول أن يتعرف من خلال القراءة والبحث في الإنترنت، على طبيعة البناء التنظيمي للمستشفيات. واستطاع من خلال زيارته لإحدى المستشفيات المحلية أن يعرف المزيد عن فرص العمل التطوعي المتاحة في المستشفى. وقد ساعده ذلك على أن يتعرف بشكل محدد على الأشخاص والبنى التنظيمية التي يمكن أن تعاون في تحديد الأشخاص الذين يحتمل أن يشاركوا في البحث.

وعندما تابع التفكير في تساؤلات بحثه وما عرفه عن المستشفى أخذ يتساءل عما إذا كان التطوع في أحد المستشفيات الكبرى في قلب المدينة يختلف عن التطوع في مستشفى محلي صغير. وهكذا أخذ يفتش عن مستشفى صغير ويتعرف بشكل أوسع على السياق العام للتطوع (وهو المستشفيات) قبل أن يقرر اختيار متطوعين من كلا النوعين من المستشفيات لإجراء دراسته عليهم.

ما خصائص أو معايير الاختيار؟

يلاحظ أن معايير الاختيار لتشكيل العينة العمدية تستمد - عادة - من تساؤلات البحث نفسها ومن نوع العينة العمدية. وأكثر الطرق انتشاراً بالنسبة لبحث صغير

يجريه طالب هي: العينة التطبيقية، أو العينة الحصية، والتي تتحدد في ضوء المجالات والقضايا الأساسية التي تبلورت في تساؤلات بحثك.

أما بالنسبة للعينة الاحتمالية فمن المهم في هذه المرحلة أن تحرص كذلك على تخطيط المراحل المبداية للتحليل الذي ستقوم به. وعليك أن تنتبه بشكل خاص إلى مجموعات الحالات التي يقوم بناؤها على أساس بعض المتغيرات مثل: العمر، والانتماء الإثني، والتي تنوى المقارنة بينها سواء من حيث أوجه التشابه أو الاختلاف. كما يجب أن تفكر في بعض التشابهات والاختلافات التي يتوقع أن تصادفها في مجتمع البحث في ضوء قراءاتك للبحوث والنظريات الأخرى التي أجريت في نفس مجال البحث. والهدف من ذلك أن تتأكد من تضمين عينتك الحالات التي تتيح لك اختبار هذه الأفكار المبدئية والتحقق منها. ويمكن من واقع تلك الأفكار تطوير مصفوفة عينات (انظر رينشي ولويس، 2003، ص101)، على نحو ما تجده في المثال (5-10)، والتي سوف تمكنك من تحديد الأشخاص الذين يحتمل أن تدرسهم في بحثك.

عدد الحالات التي ينبغي اختيارها؟

تستخدم طريقة المعاينة العمدية عادة كجزء من تصميمات البحوث التي تتضمن دراسة متعمقة، وجمع ومعالجة بيانات كيفية، متعمقة، وتفصيلية. والعادة هنا أن يكون عدد الحالات قليلا بالمقارنة بالعينة الاحتمالية، وذلك للأسباب التالية:

(أ) أن البحوث التي تستخدم بيانات كيفية لا تكون في العادة مشغولة بتعميم النتائج على مجتمع البحث، أو بالتعرف على مدى انتشار سمة معينة في مجتمع البحث.

(ب) يتناقص العائد المتحصل من البيانات التي تجمع من كل حالة إضافية، ولأننا في هذه البحوث لا نسعى إلى الكشف عن انتشار سمة معينة في مجتمع البحث، فليس من اللازم البحث عن مزيد من الأمثلة.

(ج) معروف أن جمع بيانات كيفية مسألة تستهلك الكثير من الوقت والموارد، كما أن البيانات التي يتم جمعها تنسم بالثراء في ذاتها. ولا تتوفر لكثير من الباحثين الموارد -ولا الحاجة- لتكوين عينات كبيرة العدد.

وبعد كل ما قيل تظل مسألة عدد الحالات مطروحة علينا وتحتاج إلى إجابة. ومن الأرجح بالنسبة لأغلب البحوث التي يجريها طلاب أن يكون العدد العملى 20 مقابلة فردية أو نحو ذلك كحد أقصى (وإن كان هذا العدد يمكن أن يقل عن ذلك فى بعض الأحيان . ولهذا يجب أن تراجع القواعد المنظمة لهذه البحوث فى كليتك). ولكن بالنسبة لمعظم البحوث لا يلزم أن تتجاوز العينة هذا العدد. ولو أن هذا الأمر يتوقف أساساً على كمية الوقت والموارد المتاحة للطالب الباحث. كما أن العدد قد يتوقف أيضاً على قدرتك على الوصول إلى مبحوثين وعلى رغبتهم فى المشاركة فى البحث. ويلاحظ أن تحديد معايير الاختيار - الموضحة فى المثال (5-10) - يمكن أن تفيدك فائدة كبرى فى تحديد الحدين الأدنى والأقصى للحالات التى يمكن أن تضمناها فى العينة .

ولا شك أنه إذا كنت بصدد اختيار عينة عمدية لتكوين جماعة مناقشة مركزة (بؤرية)، فربما ترى اختيار عدد أكبر من الحالات (فصل 5 من هذا الباب). أما إذا كنت تستخدم تصميم دراسة الحالة، فعليك أولاً أن تفكر فى طبيعة الحالات التى ستختارها للدراسة (فصل 3 من باب 2)، وذلك قبل الشروع فى اختيار الأفراد أو الجماعات التى ستختار كعينات ممثلة لكل حالة.

المثال (5 - 10)

الأنشطة التطوعية والصحة : اتجاه الطرق المختلطة

فى بادئ الأمر أرادت الطبيبة الباحثة التى كانت مهتمة بالأنشطة التطوعية لمرضاها دراسة العلاقة بين التطوع والصحة النفسية. وأرادت أن تعرف تأثير تجربة التطوع على مشاعر مرضاها. ولكى تدرس هذا الأمر أرادت أن تستكشف خبرات وتصورات مرضاها بشكل متعمق. وعلى هذا قررت اختيار عينة صغيرة من المرضى من بين المتطوعين الذين أجابوا على استبيانها.

ملاحظة: لم تُرد الباحثة فى هذه المرحلة أن تتفق الوقت والموارد فى مقابلات مع أشخاص ليست لهم خبرات تطوعية، ومن ثم لا يستطيعون إلقاء الضوء على أسئلة البحث.

ولقد أرادت أن تعرف ما إذا كان الرجال والنساء من أعمار مختلفة تتباين خبراتهم وتصوراتهم عن التطوع ، ولكنها مع ذلك رأت أنه من المهم أن تضمّن العينة بعض المرضى الذين يكثر التردد على العيادة ، وبعض المرضى الأقل ترددا عليها . كما أنها أرادت أن تتأكد من أن عينتها تضم بعض الأشخاص الذين يعملون بأجر ، وبعض من لا يعملون بأجر . واستطاعت أن تستفيد من استبيانها المبدئي في تحديد المبحوثين المحتملين ، وذلك لمصفوفة محددة . وقد سمحت لها مواردها أن تجرى مقابلات مع نحو 16 شخصا .

جدول رقم (5 - 2) التطوع والصحة: مصفوفة المعاينة العمدية

العمر		زيارات متكررة للعيادة		زيارات غير متكررة للعيادة	
		ذكور	إناث	ذكور	إناث
16 - 40		2 أو 3	2 أو 3	1 أو 2	1 أو 2
41 - 65		2 أو 3	2 أو 3	1 أو 2	1 أو 2
المجموع		10		6	
لا يعملون بأجر		4-6		3	
يعملون بأجر		4-6		3	

هل من الميسور الوصول للعينة؟

تتضمن عملية البحث المبدئي عن سياق العينة مناسبة لمعرفة احتمالات الوصول إلى المبحوثين الذين يحتمل أن يشاركوا في البحث . وعندما نستخدم المعاينة العمدية لا يعيننا كثيرا موضوع عدم الاستجابة ، لأننا ساعتها نسعى إلى الوفاء بمعايير الاختيار وليس التأكد من أن عينتنا قائمة على احتمالية تكوينها . ومع ذلك يتعين علينا التقليل من احتمالات عدم الاستجابة ، وذلك من خلال تشجيع المبحوثين على الوجه الأكمل . ولهذا نجد من المعتاد أن يضم تقرير البحث أو الرسالة الجامعية مناقشة لأساليب الوصول الناجح إلى المبحوثين ، واستعراض الصعوبات الراجعة إلى حالات رفض المشاركة ، وأخيرا كيفية التغلب على أى صعوبات أخرى واجهت البحث .

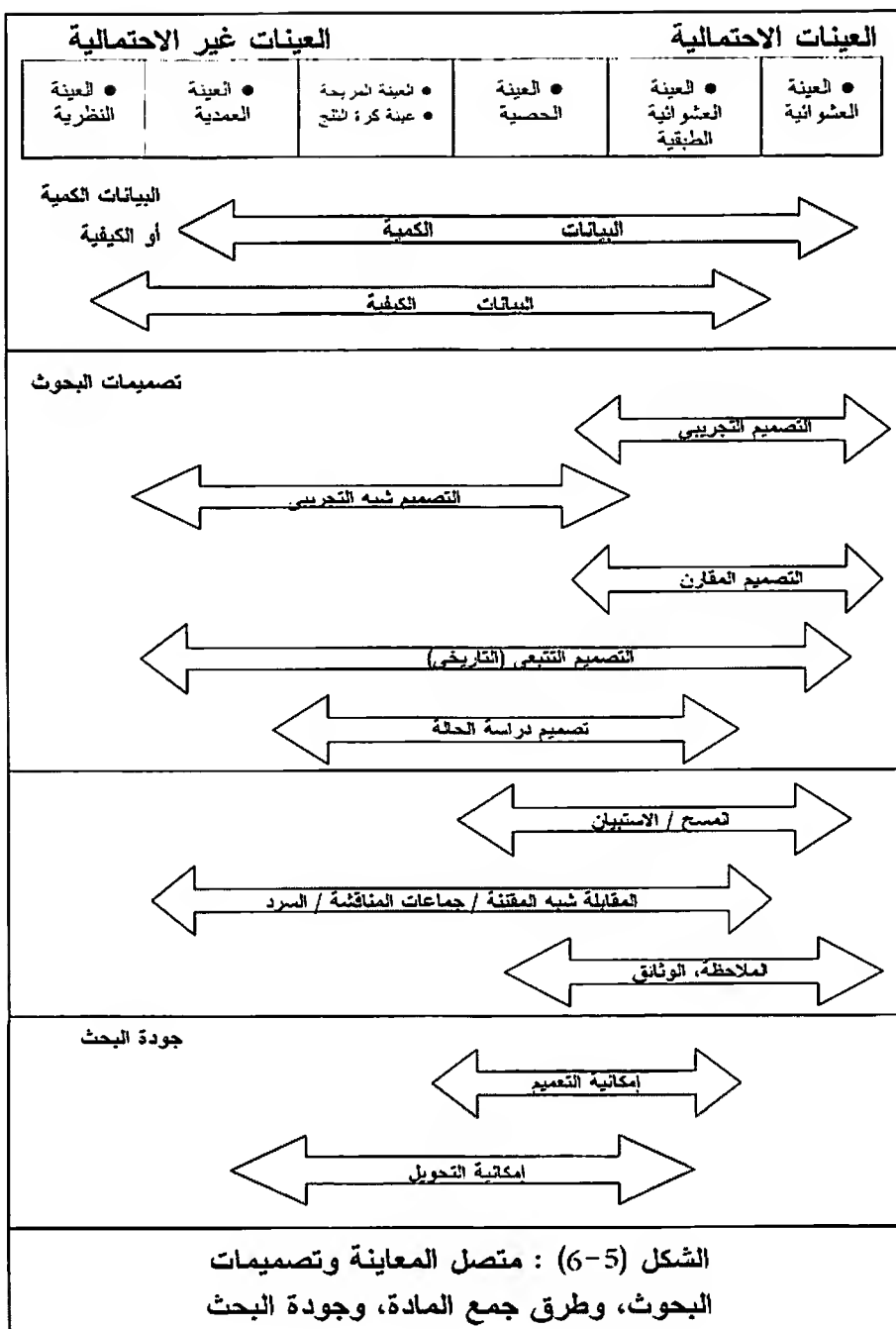
بحثك

اختبار جودة البحث: المعاينة العمدية

- هل توصلت إلى فهم جيد لسياق البحث والمبحوثين المحتملين ؟
- ما نوع العينة العمدية التى تستخدمها؟
- كيف ترتبط معايير اختيار العينة بأسئلة بحثك؟
- هل قدمت تبريرا لحجم العينة التى اخترتها ولتكوينها فى ضوء الأسلوب التحليلي الذى تنوي اتباعه؟
- هل حددت نقاط القوة فى عينتك فى ضوء تساؤلات بحثك والتطلعات التى ترمى إليها من وراء التحليل : هل تطوير نظرية أم تحويل نتائجك بحيث تطبق على سياقات أخرى .

اختيار طريقة المعاينة

أشرنا فى مطلع هذا الفصل إلى أن طريقة المعاينة التى سوف تأخذ بها تعتمد على تساؤلات بحثك ، وعلى طبيعة البيانات التى تريد جمعها ، سواء كانت بيانات كمية أم كيفية ، وعلى طرق جمع البيانات التى قررت أن تستخدمها . كما أشرنا إلى أن طرق المعاينة المختلفة يمكن تصورها على هيئة متصل . ويقدم الشكل (5-6) تخطيطا لكل نوع من أنواع التصميمات البحثية ولطرق جمع البيانات ، وذلك عبر متصل المعاينة الذى أشرنا إليه . ويوضح الشكل أن لكل تصميم بحثى مجموعة مناسبة من طرق المعاينة واختيار ما ستدرسه من حالات ، أو أشخاص ، أو وثائق . ونلاحظ فى الممارسة العملية أن أى باحث سوف يواجه قيودا على الإمكانيات المتاحة له ، وهى التى ستؤثر بقوة على العينة التى ستستخدمها فى بحثك . ومن الممكن الاستفادة من اختبارات جودة البحث بالنسبة لكل طريقة للمساعدة فى تقدير نقاط القوة ونقاط الضعف الخاصة بالطرق المتاحة لك .



تحدد طريقة المعاينة التي اخترتها ما يمكن أن تدعيه بشأن علاقة نتائجك بالسياق الاجتماعي الأوسع الذي سحبت منه العينة. ويمكن القول بوجه عام أن النتائج المستمدة من العينات الاحتمالية يمكن تعميمها على مجتمع البحث الذي سحبت منه العينة، على حين أن نتائج العينة العمدية يمكن النظر في تحويلها بحيث يمكن أن تطبق على ظروف أو حالات أخرى. إلا أنه يجب الحذر الشديد في البحوث الصغيرة - خاصة المشروعات البحثية للطلاب - عند التفكير في إمكانية تطبيق النتائج المستمدة من العينة.

بحثك

في ضوء موضوع بحثك وتساؤلاتك البحثية : ما طريقة (أو طرق) المعاينة التي ستختارها؟

العينة الاحتمالية يمكن أن :

- تمكّنك من تعميم النتائج على مجتمع البحث .
- وتمكنك من استخدام الأساليب الإحصائية في تحليل بياناتك .

ولكن

- هل تستطيع الوصول إلى قوائم حصرية بمجتمع البحث - وجميع الحالات المختارة؟
- هل لديك من الوقت، والموارد، والمهارات ما يسمح لك بإجراء البحث بهذه الطريقة؟

العينة غير الاحتمالية يمكن أن :

- تتيح لك الاستخدام الجيد للوقت، والموارد والمهارات .
- تمكّنك من الوصول إلى عينة "جيدة بما يكفي" متطلبات حجم ونطاق بحثك .
- تمكّنك من استهداف الحالات الأكثر احتمالاً أن تكون مفيدة ولازمة لبحثك .

ولكن

- هل أخذت في اعتبارك مصادر التحيز في عينتك؟
- هل تستطيع أن تبرر استخدام طريقة المعاينة هذه في ثنايا تقرير بحثك أو في رسالتك، وأن تحدد نقاط الضعف؟

العينة العمدية يمكن أن:

- تمكنك من اختيار الحالات على أساس تساؤلات بحثك.
- تمكنك من جمع بيانات متعمقة من عدد قليل من الحالات.
- تمكنك من الاستخدام الجيد للوقت والموارد.

ولكن

- هل توصلت إلى فهم جيد للمعايير التي ستستخدمها في اختيار الحالات؟
- هل لديك قدرة على الوصول إلى الحالات التي تتحقق فيها هذه المعايير؟
- هل تستطيع أن تبرر طريقة المعاينة التي استخدمتها والمعايير التي استخدمتها في تقرير بحثك أو في رسالتك الجامعية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Commission on the Future of Volunteering (2008) *Report on the Future of Volunteering and Manifesto for Change*, London: Volunteering England.
- Glaser, B. G. and Strauss, A. I. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, New York: Aldine de Gruyter.
- Low, N., Butt, S., Ellis Paine, A. and Davis Smith, J. (2007) *Helping Out: A National Survey of Volunteering and Charitable Giving*, London: Office of the Third Sector.
- Moser, C. (1958) *Survey Methods in Social Investigation*, London: Heinemann.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (eds) (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل السادس

مقترح مشروع البحث

محتويات الفصل

- ما مقترح مشروع البحث وما وظيفته؟
- بنية مقترح البحث.
- ملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل كتابة مقترح البحث. ويتولى مقترح البحث التأليف بين كافة عمليات الإعداد، التي انتهت إلى تطوير وبلورة موضوع البحث. وغالبا ما يكتب كمؤشر على إمكانية البدء الفعلي لجمع البيانات ومعالجتها. ويستعرض الفصل كذلك الهدف من مقترح البحث، وبنية المعتادة، كما ينبهنا إلى أن مقترحات البحوث يجب أن تركز على جمهور معين (فصل 1 من باب 5)، كما أنه من اللازم أن يعرض المقترح مشروع البحث بوضوح تام.

ما مقترح مشروع البحث وما وظيفته؟

- يمكن لمقترح مشروع البحث أن يخدم عددًا من الأغراض، ولكن الأمر الجوهري بالنسبة لأي مقترح هو كيف يعرف الباحث أي طرف آخر بالبحث المقترح. ولكي يؤدي المقترح وظيفته يتعين عليه أن يبين:
- الموضوع الذي يدور حوله البحث: أي وصف للقضية التي يتناولها.

- كيف سينفذ البحث: أى استعراض الطرق وبعض الأمور الأخرى .
 - ما أوجه أهمية البحث؟: أى مناقشة لأسباب أهمية القضية أو مدى الحاجة إليها .
 - المدى الزمنى الذى سيستغرقه .
 - لماذا يتعين تمويل هذا البحث (وقد لا تمثل هذه النقطة قضية كبرى بالنسبة للطلاب الذين يجرون بحثا ، ولكنها ذات أهمية حاسمة لبعض الباحثين ، خاصة الأكاديميين) .
 - من المهم أن نتذكر أن مقترح البحث يكون دائما موجهاً إلى جمهور معين . ويكون هذا الجمهور بالنسبة للطلاب أستاذه أو المعيد ، الذى يتولى إحدى المهتمين:
 - تصحيح وتقدير درجة "لمقترح مشروع البحث" الذى كلف به الطالب .
 - الموافقة على إجراء الطالب للبحث ، والغالب أن يجرى هذا البحث من أجل إعداد رسالة جامعية .
- والاحتمال الثالث أن تكون راغبا فى الالتحاق ببرنامج لدراسة تخصص البحث . وفى هذه الحالة من المحتمل أن يطلب منك كتابة مقترح مشروع بحث ، الذى سيتم تقييمه ، وعلى أساس الدرجة التى تحصل عليها يتقرر قبولك فى هذا البرنامج الدراسى من عدمه .
- ويعنى كل هذا أن كتابة مشروع بحث جيد أمر مهم بالنسبة لك ، لأنه - على أقل تقدير - سيوفر عليك بذل جهد إضافى لتحقيق غرضك .

بنية مقترح البحث

مع أنه لا توجد بنية «محددة» وثابتة لمقترح مشروع البحث ، فالمؤسسة التى تنتمى إليها قد تكون لها بعض القواعد والمتطلبات المحددة بخصوص هذا المقترح : لذلك ننصح بمراجعة تلك القواعد قبل التفكير فى بدء الاشتغال بمشروع البحث . ولعلك تلاحظ أن البنية التى سنعرضها عليك فيما يلى تشبه إلى حد بعيد بنية الرسالة الجامعية ، التى سوف

نناقشها فى الباب الخامس . والأمر الغالب أن مقترحات مشروعات البحوث ملزمة بالإيجاز ، وربما تكون محددة الكلمات بعدد معين . من هنا عليك الالتزام بالقيود المفروضة على حجم مقترح المشروع .

ما : البنية الأساسية لمقترح مشروع البحث؟

1 - المقدمة(*) .

2 - مراجعة التراث المنشور .

3 - المناهج والطرق المستخدمة .

4 - النشر .

5 - الجدول الزمنى .

المقدمة

تشبه مقدمة مقترح المشروع البحثى مقدمات المقالات والتقارير ، والتي لا شك أنك طالعت من قبل الكثير منها . وهدف المقدمة أن تهيئ المسرح للبحث الذى ستقوم به ، وذلك من خلال عرض القضية التى تخطط لدراستها ، وتقديم أهداف البحث ، أى الإجابة عن تساؤلات البحث التى طرحتها . ويمكن أن تنتهز هذه الفرصة لاستعراض بعض التعريفات إن شئت ، وأن تشرح كذلك سبب اهتمامك شخصيا بهذه القضية .

وربما يتوجب عليك أيضا توضيح أسباب أهمية هذا المجال أو الموضوع المقترح ، ومن ثم تبرر الحاجة إلى دراسته . كما يحسن أن تحدد الجهة أو الطرف الذى سيستفيد من نتائج هذا البحث ، ومدى تجانس بحثك وملاءمته للفرع العلمى التخصصى أو للمجال الذى تنتمى إليه .

ولا بد أن تأتى - فى مكان ما من مقترح البحث - على عرض سؤال أو أسئلة البحث (فصل 4 من باب 1) ، وما يرتبط بتلك الأسئلة من تعريفات إجرائية . (لاحظ

(*) لا تنسى أن تبين سؤال أو أسئلة البحث .

أننا استخدمنا هنا كلمة «سؤال» من باب التيسير . فقد تريد أن تطرح فرضا علميا تنوى اختباره (فى بحثك) . وتختلف الآراء فى تحديد المكان الأنسب لعرض هذا فى مقترح المشروع ، وليس هناك قول فصل فى هذا الصدد . ولكن هناك ثلاثة اختبارات متاحة لك :

1 - فى المقدمة .

2 - فى استعراض التراث المنشور .

3 - كفقرة مستقلة بين فقرة استعراض التراث وفقرة عرض المناهج والطرق .

ونحن نفصل شخصا أن تقدم أسئلة البحث بعد فقرة استعراض التراث المنشور ، على أساس أن المقدمة وعرض التراث يهيئان المسرح لطرح تساؤلات البحث قبل أن تنتقل - فى فقرة المناهج والطرق - إلى شرح كيف ستقوم بالإجابة على تساؤلات البحث .

مراجعة التراث المنشور

(للقوف على تفاصيل موضوع مراجعة التراث المنشور ، يرجى الرجوع إلى الفصل 2 من هذا الباب) .

تمثل مراجعة التراث المنشور عن موضوع البحث - فى العادة - القسم الأكبر من مقترح مشروع البحث . ومع ذلك من المهم أن تدرك أن هذا العرض إنما هو مؤشر إلى التراث المتاح حول الموضوع . وفى هذه المرحلة من عملية البحث ربما لا تكون قد فرغت بعد من استعراض التراث المنشور .

ويؤدى استعراض التراث فى مقترح مشروع البحث عدداً من المهام البارزة :

1 - أنه يحدد موضع البحث وأهميته للعالم الواقعى ، كما يضع البحث فى سياقه .

2 - قد يوفر إطارا فكريا ونظريا للدراسة المقترحة .

3 - أنه يتطرق إلى مناقشة قضايا البحث ، وفى ثنايا هذه المناقشة يتولى :

(أ) التدليل على أن الباحث يفهم قضية البحث فهما جيداً في ضوء الدراسات والبحوث المنشورة .

(ب) يضع يدنا على نقاط الضعف في البحوث السابقة ويتناولها بالمناقشة .

(ج) يحدد ويناقش «الثغرات» الموجودة في المعرفة المتاحة ، والتي سيعمل هذا البحث على سدها .

4 - أنه يقودنا إلى التحديد النهائي لسؤال أو أسئلة البحث .

ولو قدمت ملخصاً موجزاً في نهاية فقرة مراجعة التراث ، فلا شك أنه سيوضح للقارئ ماذا غطيت في عرضك وكيف يرتبط هذا التراث المنشور ببحثك المقترح .

المناهج والطرق المستخدمة

مع أننا جمعنا هذين الموضوعين في فقرة واحدة ، فمن المهم أن تعرف الفرق بينهما . وجوهر المنهج هو استعراض الرؤية الإستمولوجية والأنطولوجية لبحثك (فصل 2 من باب 1) ، ولكن قد يحسن التركيز في مقترح مشروع البحث على شرح نوعية تصميم البحث وطرق البحث التي تنوى استخدامها (الفصلان 3 و 4 من هذا الباب) .

بعد أن تفرغ من شرح الجانب المنهجي ، تكون الخطوة التالية هي الحديث عن القضايا العملية التي ستحظى بأهمية في بحثك . تلك هي الطرق التي ستشمل ما يلي :

- **جمع البيانات:** عرض لعمليات جمع البيانات التي تقترح القيام بها (باب 3) ، وإذا سمح المجال قد يشمل ذلك استعراض أسباب اختيارك لهذه الطرق التي ستستخدمها في جمع البيانات ، ومدى ملاءمتها لبحثك . وقد ترغب (أو قد يتعين عليك أحياناً) في أن تضمّن المقترح نسخة أولية لأداة جمع البيانات (كاستبيان ، أو دليل مقابلة مثلاً) .

- **مجتمع البحث والمعاينة:** سيكون عليك أن تبين طبيعة مجتمع البحث الذي تنوى دراسته ، وحجم العينة وإجراءات المعاينة التي سوف تتبعها (فصل 5 من هذا الباب) .

• استراتيجية تحليل البيانات : من المهم في هذه المرحلة أن توضح أنك تعرف ماذا ستفعل بالبيانات التي ستقوم بجمعها (باب 4) وأن استراتيجيتك في التحليل تتوافق مع عملية الجمع التي قمت بها . وتوضح هذه الأمور جزء من إضفاء الصدق والثقة على بحثك . من ذلك مثلاً أنه من غير الملائم القيام بمقابلات مقننة ، ثم تحاول بعد ذلك إجراء تحليل سردي للبيانات .

• القضايا الأخلاقية: يجب أن يتضمن المقترح استعراض موقفك الأخلاقي (خاصة إذا كانت المؤسسة التي تنتمي إليها تطلب منك الحصول على موافقة أخلاقية على البحث) . والهدف من ذلك أن تضمن أن يعرف القارئ أنك تدرك القضايا الأخلاقية ، والآثار المحتملة التي قد تترتب على إجراء بحث على البشر (فصل 5 من باب 1) .

النشر

عليك أن تبين ماذا ستفعل بنتائج بحثك (في بعض الأحيان يتم إعلامك بما هو متاح لك في هذا الصدد) . من ذلك مثلاً أن تبين أنك تخطط لنشر النتائج على الموقع الإلكتروني لمعهدك أو كليتك ، أو أن إجراء البحث يقتصر فقط على إعداد رسالة ونيل درجة جامعية .

الجدول الزمني

يبين الجدول الزمني للمشروع المقترح استعراض مختلف مراحل هذا المشروع ، مع تحديد فترات زمنية محددة لإنجاز كل مرحلة منها ، وكذلك التواريخ المهمة في هذا الصدد . تأكد من أنك على علم بالتواريخ الأساسية الحاسمة (من قبيل : مواعيد تسليم مسودة البحث ، وتسليمك النسخة النهائية) ، وتأكد كذلك من أنك تستخدم استمارات الجداول الزمنية التي تتطلبها المؤسسة التي تتبعها . ومن الممكن أن تكون استمارة الجدول الزمني بسيطة على النحو الموضح في المثال التالي:

المثال (1-6)

الجدول الزمني للبحث

الجدول (1-6) : الجدول الزمني للبحث

المهمة (البحثية)	إلى (*)	من (*)
كتابة مراجعة التراث المنشور، وتصميم دليل المقابلة، عرض المقترح على الجهة المسؤولة عن المراجعة الأخلاقية.	١٩ يناير	٥ يناير
الاتصال بالباحثين، والإعداد للمقابلات، حجز غرف إجراء المقابلة.	٢٦ يناير	١٩ يناير
إجراء المقابلات، بدء عملية تدوينها وتحليلها.	٩ فبراير	٢٦ يناير
تدوين المقابلات وتحليلها.	١٦ مارس	٩ فبراير
استكمال التحليل، البدء في كتابة النتائج والتوصيات	٦ إبريل	١٦ مارس
تقديم تقرير البحث النهائي		٤ مايو

(*) لاحظ من فضلك أن هذه التواريخ وهمية تماما، فهي لا تعنى أبداً أن هذه هي المدد الزمنية اللازمة لإنجاز هذه المهام.

ملخص

يمكن القول على وجه الإجمال إن مقترح بحثك يسعى إلى التأثير على بعض الأشخاص وإقناعهم بقدرتك على إنجاز مشروع البحث. ونقترح عليك أن تعيد قراءة مقترحك بعد الفراغ منه، واضعاً نصب عينيك هذا التأثير الذي تسعى إليه، وأن تراجع كذلك قائمة الفحص والمراجعة الواردة في البرواز أدناه لاختبار مقترحك.

بحثك

اختبر مقترح بحثك

قائمة فحص ومراجعة مقترح البحث

√	
	تأمل نص مقترح المقدم منك: هل يبدو احترافياً وجذاباً؟
	هل غطيت كل القضايا المهمة؟
•	هل كتابتك على المستوى الملائم لمن ستوجه إليه الورقة؟
	هل راجعت النص إملائياً ونحويًا؟
	هل قدمت وجهات نظر واضحة؟
	هل تساؤلات البحث أو فروضه جاءت مدعومة من واقع التراث المنشور؟
	هل رؤيتك المنهجية، واستراتيجيات جمع البيانات والتحليل ملائمة بما فيه الكفاية؟
	هل الجدول الزمني الذي قدمته مكتمل ودقيق؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Baxter, L., Hughes, C. and Tight, M. (2001) *How to Research*, Buckingham: Open University Press.
- Bell, J. (1999) *Doing Your Research Project: A Guide for First-time Researchers in Education and Social Science*, Oxford University Press.
- Cryer, P. (2000) *The Research Student's Guide to Success*, Buckingham: Open University Press.
- Silverman, D. (2005) *Doing Qualitative Research*, 2nd edn, London: Sage.

الباب الثالث

جمع البيانات

الفصل الأول: عملية جمع البيانات

الفصل الثاني: مهارات جمع البيانات .

الفصل الثالث: الاستبيانات .

الفصل الرابع: المقابلات شبه المقننة .

الفصل الخامس: جماعات المناقشة (البورية) .

الفصل السادس: الملاحظة .

الفصل السابع: البيانات السردية .

الفصل الثامن : الوثائق .

الفصل التاسع: المصادر الثانوية للبيانات .

الفصل العاشر: جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلى .

الفصل الأول

عملية جمع البيانات

محتويات الفصل

- عملية جمع البيانات نشاط عملي .
- أ - البيانات المقننة وشبه المقننة وغير المقننة .
- ب - الباحث الحاضر والباحث الغائب .
- ج - الباحث الإيجابي والباحث السلبي .
- استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة في تصميم أدوات البحث .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

نقدم في هذا الباب مجموعة من الأساليب المختلفة لجمع البيانات التي تحتاجها لكي تكون قادرا على بلورة أسئلة البحث (فصل 4 من باب 1) التي ستقوم باستقصاء الإجابة عليها في دراستك البحثية. ويقدم هذا الباب فكرة «أداة البحث» وبمعن النظر في السمات التي تتصف بها أدوات البحث المختلفة. ولتحقيق ذلك نحتاج لتذكيرك بما أوردناه في الفصل 3 من الباب 1 عن خصائص البيانات، ثم ننتقل إلى إمعان النظر في طريقة تطوير «الأدوات المناسبة لأداء هذه المهمة».

ولأن عملية جمع البيانات نشاط عملي، سوف نقوم في الفصل الثاني بإلقاء نظرة فاحصة على بعض المهارات العملية التي يتعين عليك تطويرها في نفسك لتجمع البيانات المطلوبة بكفاءة، وذلك قبل الانتقال فيما بعد إلى الفصول من الثالث إلى التاسع لمناقشة بعض أشهر طرق جمع البيانات وأكثرها انتشارا.

من الشائع في وقتنا الحاضر استخدام الحواسيب الآلية (الكمبيوتر) بأساليب عديدة لتسهيل عملية جمع بيانات البحث الاجتماعي، ويلقى الفصل العاشر نظرة فاحصة على بعض الأساليب الشائعة حاليا لجمع البيانات، والتي تستخدم - مثلا - البريد الإلكتروني (الإيميل) وجماعات المناقشة، كوسائل لجمع بيانات البحث الاجتماعي.

عملية جمع البيانات نشاط عملي

أوضحنا في الفصل 3 من الباب 1 الفكرة التي تقول إن البيانات هي بمثابة «بديل» عن الواقع الاجتماعي الذي نرغب في دراسته ويكون هذا البديل أقرب ما يكون للواقع إذا حصلنا على تصوير صادق للحقائق، والمفاهيم، والآراء، والخبرات الخاصة بالأفراد والظواهر التي يدور حولها بحثنا. وقد حددنا عددا من خصائص بيانات البحث الاجتماعي، وهي:

- يمكن أن تكون هذه البيانات منطوقة أو مكتوبة.
- ويمكن أن تكون غير لفظية: كالصور، أو الإيماءات، أو الأصوات، والتي يكون بالإمكان - حينئذ - التعبير عنها بكلمات.
- يمكن تنظيمها وترتيبها بعدة طرق مختلفة.
- يمكن أن تكون البيانات مستخلصة (من مصادر سابقة) أو تم الحصول عليها من بعض الأفراد والجماعات.
- يمكن للبيانات أن تشمل على أحكام وآراء واقعية تقريرية وعلى أحكام تقييمية.
- يمكن للبيانات أن تشمل على ما يقوله الأفراد (أى المحتوى أو المضمون) وعلى اللغة التي استخدموها في التعبير عن هذا المحتوى.
- يمكن للبيانات أن تشمل على أفكار الباحث وتأملاته الشخصية.

بعد أن يقوم الباحث بصياغة سؤال أو أكثر من أسئلة البحث، أو بعد أن يبلور فرضا معيناً (فصل 4 من باب 1)، يواجه بمهمة تصميم البحث الذي سيمكنه من جمع البيانات المطلوبة بطرح سؤال البحث أو الفرض المطروح، وهو واضح في اعتباره خصائص البيانات الاجتماعية وعلاقة الباحث الاجتماعي بتلك البيانات، بوصفه كائناً اجتماعياً وجزءاً من العالم الاجتماعي.

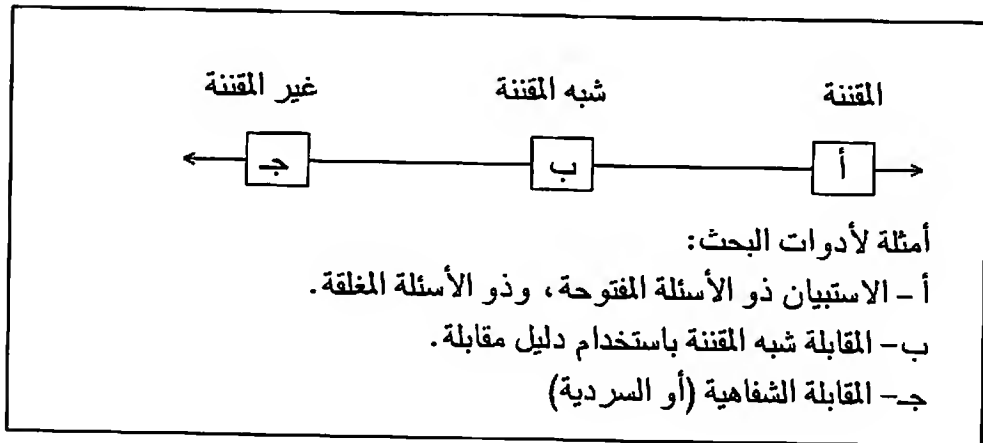
يعتبر جمع البيانات نشاطاً عملياً، أى إنه نشاط يتعين تنفيذه داخل نطاق حدود زمانية ومكانية، وحدود تتعلق بالإمكانات المتاحة. لهذا السبب يكون من الأهمية

إعمال الفكر فى كيفية جمع البيانات الصحيحة للبحث الاجتماعى بفاعلية وكفاءة داخل نطاق هذه الحدود. وقد اشتمل تاريخ البحث الاجتماعى على تطوير مجموعة من "أدوات" البحث اللازمة لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على تنظيم وإدارة مهمة جمع البيانات. "وأداة البحث" (انظر قائمة المصطلحات) هى - ببساطة - وسيلة جمع البيانات كالاستبيان مثلا، أو استمارة البحث، أو الباحث نفسه وذلك فى حالة المقابلات شبه المقننة أو غير المقننة.

وفى هذه الفقرة من الفصل سنعرض لثلاث من خصائص أدوات جمع بيانات البحث الاجتماعى، ودلالات تلك الأدوات فيما يتعلق بالبيانات التى يتم جمعها وفيما يتصل بالطريقة التى يتم بها تنفيذ عملية جمع البيانات. ونقدم كل جانب هنا بوصفه متصلا يمكن على امتداده العثور على طرق مختلفة لجمع بيانات البحث. وهى كالتالى:

- أ - البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة.
- ب - الباحث الحاضر والباحث الغائب.
- ج - الباحث الإيجابى والباحث السلبى.

(أ) البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة



شكل (1-1) الخط المتصل للبيانات
المقننة وشبه المقننة وغير المقننة

يتعلق المتصل الأول بالشكل (أو القالب) الذي ستجمع فيه البيانات . وقد سبق لنا - في فصل 3 من باب 1 - وفي مناقشتنا لموضوع البحث الكمي والبحث الكيفي (في الفصل 4 من باب 2)؛ سبق أن طرحنا موضوع طبيعة البيانات . ولتبسيط القول في موضوع طبيعة البيانات نتساءل: هل هذه البيانات المجموعة معدة وفقا للجماعات العمرية، أو درجة الرضى، أو آراء المبحوثين، أو خبراتهم، وهى الأمور التى يمكن عدها (أى يمكن حصرها وتقنينها)، أم أن هذه البيانات قد تم جمعها فى صورتها «الخام» - أى: كما نطق بها المبحوث أو كما كتبها، أو كما لاحظها الباحث (أى «بيانات غير مقننة»)؟ ومن الطبيعى أن تتنوع هذه البيانات على امتداد متصل يمتد بين هذين النوعين السابقين من البيانات، أعنى بذلك أنها قد تكون بيانات شبه مقننة . لاحظ أن الباحث هو الذى يقرر: أين موقع درجة تقنين هذه البيانات على امتداد هذا الخط المتصل، ثم يقوم الباحث نفسه - بناء على ذلك - بتصميم أداة بحث تسمح بجمع هذه البيانات فى ذلك الشكل من التقنين . ويبين المثال أدناه (1-1) كيف يستطيع المبحوث أن يطور هذه البيانات ويقدمها فى أشكال مختلفة من التقنين بناء على الدرجة التى حددها الباحث لبحثه .

المثال (1-1)

البيانات المقننة، وشبه المقننة، وغير المقننة

يقوم أحمد الباحثين الاجتماعيين بدراسة مدى رضاء المرضى عن الخدمة التى يتلقونها عندما يزورون طبيب الأسرة . وإليك ثلاث طرق يمكن بها جمع البيانات:

البيانات المقننة

راض	غير متأكد	غير راض
موظف الاستقبال	✓	
مدة الانتظار	✓	
مدة وجودى مع الطبيب	✓	
العلاج الموصوف	✓	

هل أنا راض عن الخدمة التى يقدمها لى الطبيب؟
حسنا - دعنا نفكر فى آخر مرة ذهبت فيها لزيارة الطبيب

البيانات شبه المقتنة

حسنا، الحقيقة أن
الامر هذه المرة لم يكن
بالغ السوء على
الإطلاق، إذ إنهم
استحدثوا نظاما
جديدا، ويبدو أنه نظام
جيد ...

عند التفكير فى آخر مرة ذهبت
فيها لزيارة الطبيب - كيف كان
شعورك بالوقت الذى كان عليك أن
تقضيه فى حجرة الانتظار؟

ما النواحي التى تحسن فيها
مستوى هذا النظام؟

البيانات غير المقتنة

حسنا، فى الحقيقة أنه فى آخر مرة ذهبت فيها لزيارة طبيبى،
كنت سعيدا حقاً لأننى دخلت إلى الطبيب بسرعة كبيرة. ففى
بعض الأحيان يكون لزاما عليك أن تنتظر دهرًا، إلا أنهم
استحدثوا الآن نظاما جديدا يبدو أنه نظام ناجح. أما إذا
اضطرت للانتظار، فلا شك أنه من الأمور الكثيرة للغاية
أن تجلس فى مكانك مع كل هؤلاء المرضى بدون أن تعمل
شيئا كل هذه الساعات التى تبدو بلا نهاية.

ثم إنه كان من الأطباء الذين رأيتهم قبل ذلك، لهذا فقد
سارت الأمور سيرا طبيبا، إلا أنني لم أذهب فى الحقيقة إلى
أى مكان آخر داخل العيادة. فقد اكتفى الطبيب بإعطائى نفس
المضادات الحيوية، وهى أدوية لا يبدو عليها أنها تحدث تأثيرا
كبيرا. أوه، أما تلك الموظفى التى تستقبل المرضى، فقد كانت
غير منضبطة، إذ تركتنى واقفا فى ذلك المكان منتظرا منها
أن تحدد لى ميعادا آخر للعودة لزيارة الطبيب، حيث كانت
مشغولة بمكالمتها التليفونية، كما لو لم أكن موجودا أمامها!

حدثنى عن آخر
زيارة قمت فيها
بزيارة طبيبك

وعلى الرغم من أن النماذج الواردة في المثال (1-1) تتعلق بجمع البيانات الأولية من أحد الأشخاص ، فإن بالإمكان استخدام أشكال مماثلة في درجة التقنين سواء في السؤال عن البيانات الوثائقية وتسجيلها ، أو جمع البيانات البصرية ، أو البيانات الثانوية . وسوف تجد نماذج من هذه الأشكال المتفاوتة التقنين في الفصول من 3 حتى 9 من هذا الباب .

موضوعات للتفكير فيها تتعلق بالبيانات

المقننة وشبه المقننة وغير المقننة

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لتجميع البيانات ، توجد أمور كثيرة يتعين التفكير فيها فيما يتعلق بدرجة تقنين البيانات الجارى تجميعها . وسوف نسلط الضوء على هذه الأمور ونناقشها من حيث صلتها ببعض طرق جمع البيانات التى تتناولها الفصول من 3 حتى 9 من هذا الباب ، إلا أنه يوجد - فى هذه المرحلة - ثلاث قضايا عامة يتعين التفكير فيها هى كالتالى:

- صدق أداة جمع البيانات ، ونعنى بذلك التأكد من أن أداة البحث هذه مصممة بطريقة من شأنها تحقيق أفضل جمع للبيانات التى يمكن أن «تقوم مقام» الخبرة الاجتماعية التى تمثلها . وهذا الأمر له أهميته بالذات وعند التفكير فى الأدوات المقننة كالاستبيانات (فصل 3) حيث تُجمع البيانات فى صورة فئات أو تجميعات ، ولا يتسنى للباحث الوصول إلى البيانات الخام (أى ما نطق به المبحوث من كلمات أو عبر عنه من أفكار) . وهذا يعنى ضرورة إعطاء الاهتمام والوقت اللازمين لإعداد وتحضير درجة تقنين أداة البحث التى سوف تستخدم فى جمع البيانات .

- فى حالة البيانات الأقل تقنيًا (أى شبه المقننة) ، ينبغى الاهتمام بكيفية التعامل مع المقادير الضخمة من البيانات «الخام» التى يحتمل الحصول عليها ، مثل: سجلات تدوين المقابلات (فصل 4) ، والتسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو ، والوثائق ، والسرديات الشفاهية . ولا بد من تخطيط البيانات شبه

المقننة أو غير المقننة باستخدام الاتجاه الخاص بدراسة (أى تحليل) البيانات الموجودة فى ذهن الباحث، كتحليل ذلك النمط من البيانات الذى يعالج - فى العادة - تلك البيانات فى الشكل الذى جمعت به، والتى منها مثلا: الكلمات التى نطق بها الباحث أو التقرير فى صورته المكتوب بها فى إحدى الوثائق (فصل 2 من باب 4).

- لا بد من توافر المهارات المختلفة لجمع البيانات، والتى تتوقف على درجة ضبط وتقنين عملية إنتاج البيانات. مثال ذلك: أنك إن كنت تجمع بيانات مقننة فلا بد أن تكون قادرا على ابتكار أدوات البحث التى يمكن إدخال البيانات فيها، كالاستمارات forms أو النماذج formats، أو الاستبيانات (الفصل 2). وإن كانت البيانات شبه مقننة أو غير مقننة، فقد تستخدم فى تجميعها طريقة التسجيل السمعى/ أو الصوتى، أو التسجيل المصور (الفيديو) (الفصل 2)، كما أنك ستحتاج إلى تدوين البيانات الشفاهية أو المكتوبة لتحويلها إلى نص مكتوب (فصل 2).

بحثك

اختبار جودة البحث: البيانات المقننة/ وشبه المقننة/ وغير المقننة

- هل قررت: درجة تقنين أدوات جمع البيانات بما يتناسب مع مشروعك؟
- هل أنت متأكد من المبررات التى يقوم عليها قرارك هذا، ومن تأثيره المحتمل على صدق البحث؟
- هل صممت أداة لجمع البيانات تدخل فى حساباتها هذا الاعتبار؟ (بمعنى: هل ستحتاج فيما بعد إلى الرجوع إلى البيانات الخام - مثلا - أم أن البيانات المقننة كافية؟).
- هل تعريفاتك الإجرائية ملائمة لهذا النوع من جمع البيانات؟
- هل يمكنك التعامل مع البيانات على النحو الصحيح (أى عن طريق تدوينها وتخزينها ... إلخ)؟

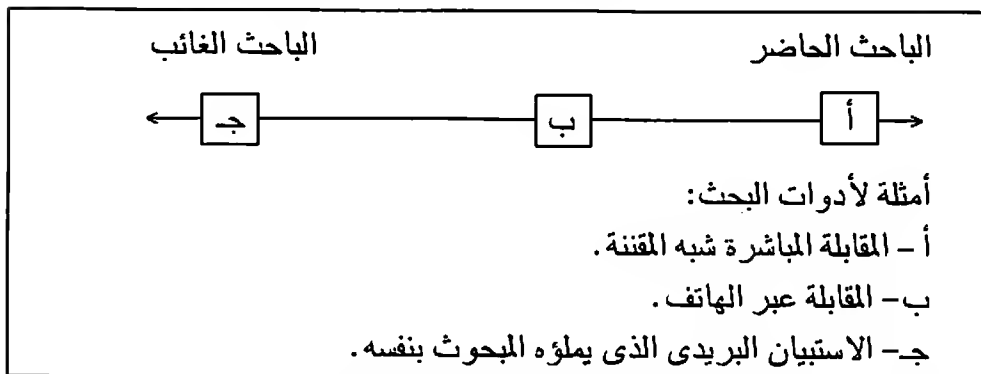
(ب) الباحث الحاضر/ والباحث الغائب

يشير هذا الخط المتصل إلى الحضور المحسوس (وكذلك الافتراضى) للباحث أو غيابه فى أثناء عملية جمع البيانات ، ومن ثم يتعلق هذا الحضور (أو الغياب) - جزئيا - بمستوى العلاقة الإنسانية بين الباحث والمبحوث . فإن لم يكن الباحث حاضرا فى الوقت الذى يجرى فيه جمع البيانات - كما يحدث مثلا فى حالة الاستبيان الذى يقوم المبحوث باستيفاء بياناته بنفسه - فلا بد أن يستوثق الباحث من أن لدى المبحوث كل المعلومات التى يحتاج إليها لى يكون قادرا على تقديم البيانات المطلوبة منه . وقد تشتمل هذه المعلومات على توجيهاً مفصلة بشأن استيفاء استمارة البحث ، وعن الطريقة التى بها يسجل المبحوث حدثا معينا ، أو كيف يدخل على أحد مواقع شبكة الإنترنت ، وذلك بجانب اشتغال هذه المعلومات على وصف مفصل وواضح لهذا البحث ولأهدافه وأغراضه ، وللبعض القضايا كقضية السرية ، وما مصير هذه البيانات والنتائج المستخلصة منها؟

إن كان الباحث حاضرا بنفسه أثناء عملية جمع البيانات ، فسوف تثار قضايا مختلفة يتوجب أخذها فى الاعتبار . ما الأثر الذى سيحدثه الباحث - كشخص - على المبحوثين فيما يتصل مثلا : بالجنس ، والانتماء الإثنى ، والعمر ، والمكانة الاجتماعية التى يتصور المرء نفسه فيها؟ فقد يؤثر هذا «الحضور» على رغبة المبحوث فى المشاركة بالبحث ، أو ربما فى الإجابة على بعض الأسئلة التى قد تكون ذات طبيعة شخصية أو حساسة . وقد يكون بناء علاقة الألفة مهما قبل جمع البيانات . على أنه يلاحظ - من ناحية أخرى ، وفى ضوء الظروف المحيطة بالبحث - أن تبنى أسلوب أكثر رسمية قد يكون مطلوبا ، كما يحدث مثلا عندما يتم إجراء المقابلة داخل مقر العمل أو مع مبحوث يعتبر ذا مكانة اجتماعية رفيعة أو يكون شديد الإنشغال .

وقد لا تعتبر هذا الوضع خطأ متصلا ، ذلك أن الباحث إما أن يكون حاضرا أو غير حاضر . وأيا ما كان الأمر ، ونظرا لتزايد إمكانيات الاتصال عبر الهاتف ، والبريد الإلكتروني ، وغير ذلك من الوسائل المعتمدة على الحواسيب الآلية ، فإنه لا يزال بإمكان الباحث والمبحوث أن يشعر كل واحد منهما بالآخر من خلال الاتصال الشفاهى أو المكتوب بينهما . فالباحث - مثلا - يمكن أن يكون مشاركا فى جماعة مناقشة (بؤرية) افتراضية (الفصل 10) حيث لا يعرف المشاركون بعضهم بعضا إلا من خلال النقاش عبر الفضاء الإلكتروني ، أو يمكن للباحث أن يقوم برصد ومتابعة ما يجرى فى إحدى غرف الدردشة (على الإنترنت) دون أن يدرك المشاركون فى هذه الدردشة أنه موجود «فى

الغرفة». من هنا يمكن القول إن هناك درجات مختلفة من «الحضور»، كما أن تأثير هذا الأمر على طريقة جمع البيانات لهو من القضايا التي يتعين إمعان النظر فيها.



شكل (1-2) متصل الباحث الحاضر/ والباحث الغائب

فكر فى هذا الموضوع . . .

فى أى من هذه السيناريوهات ترى أنك ستحصل على أدق البيانات (أى أقربها إلى الحقيقة) عن معدل تكرار، وعن أسباب خروج المراهقين للاشتراك فى «حفلات لشرب الخمر»؟

1- استبيان يستوفيه المبحوث بنفسه، ويكون خاليا من ذكر اسم المستجيب، ويتم إرساله للشباب ذوى الأعمار من 16-18 سنة عبر مدارسهم أو كلياتهم، ويعاد للباحث الذى يعمل بالجامعة فى م ظروف مختوم.

2- جماعة مناقشة (بورية) من المراهقين فى أحد مراكز الشباب مع باحث سنه حوالى 20 سنة.

3- جماعة مناقشة (بورية) افتراضية على أحد مواقع شبكة الإنترنت التى يستخدمها المراهقون، ويكون قد سبق للباحث أن انضم إليها من قبل، كما أنه يقوم بمتابعتها ورصد ما يجرى فيها، وذلك بانتحاله لشخصية مراهق عمره 18 سنة.

هل تستطيع أن تقترح طرقا أخرى يمكن استخدامها لجمع البيانات؟

موضوعات للتفكير فيها حول:

الباحث الحاضر أو الباحث الغائب

فيما يتصل بالاعتبارات العملية لجمع البيانات، توجد عدة أمور يتعين التفكير فيها، وهى تتعلق بما إذا كان الباحث حاضرا أم غائبا حين تجمع البيانات. وسوف نلقى الضوء على هذه الموضوعات ونناقشها فى ضوء صلتها بطرق جمع البيانات، التى نتناولها فى الفصول من الثالث حتى التاسع. إلا أنه توجد فى هذه المرحلة بعض القضايا العامة التى يجب التفكير فيها، هى كالتالى:

- إن لم يكن الباحث حاضرا (حضورا بجسده أو حضورا افتراضيا)، فمن الضرورى بذل اهتمام خاص بالتعليمات (أى: الإرشادات والتوجيهات) الموجهة للمبحوث أو لغيره من جامعى البيانات، وباللغة المستخدمة فى أداة جمع البيانات، كالاستبيان أو النموذج مثلا، وذلك بقصد التأكد من أن هذه الأداة سهلة الفهم، كما يجب بذل اهتمام خاص بالتعريف بالمبحث (أى شرح طبيعته وأهدافه للمبحوثين).

- قد يكون أكثر صعوبة من ذلك التأكد من تحقيق معدل استجابة جيد، إن لم يكن الباحث قد التقى قبل ذلك بالمبحوثين فى أى لقاء شخصى، كما أن من الضرورى إعمال الفكر للتأكد من أن الإدلاء بالبيانات ليس عملا شاقا، أو يستنفذ وقتا طويلا، أو عسيرا على المبحوثين. فقد يكون من الأيسر لبعض المبحوثين أن يبعثوا برؤودهم عن طريق البريد الإلكتروني - مثلا - أكثر من إرسالها بالبريد العادى. ومع ذلك قد لا يتوفر البريد الإلكتروني لبعض الأفراد فيحتاجون لتزويدهم بمظاريف ملصق عليها طوابع بريد، ومكتوب عليها عنوان جهة البحث لحثهم بذلك على الرد، أو قد يكون بالإمكان توفير موقع للالتقاء بهم فيه، يكون فى مكان يغلب أن يتردد عليه المبحوثون بانتظام، كأحد المحلات التجارية مثلا أو نادى الحى السكنى.

- إن ظفر الباحث بلقاء شخصى مباشر مع المبحوث، فلابد من إمعان النظر فى التأثير الذى يمكن للباحث - بصفته كائنا إنسانيا اجتماعيا - أن يمارسه على المبحوث، بما فى ذلك التفكير فى تأثير النوع، والعمر، والانتماء الإثنى على التفاعل بين الباحث والمبحوث وعلى الطريقة التى جرى بها مناقشة موضوع البحث؟

- إن لم يظفر الباحث بقاء شخص مباشر مع المبحوث ، ولكن كان يتوافر له -فعلا- حضور افتراضى ، أو سمعى ، أو مكتوب ؛ حينئذ يتعين على الباحث أن يمعن النظر فى شكل وسيلة الاتصال وفى الطريقة التى يقدم بها نفسه للمبحوثين من خلال وسيلة الاتصال هذه ، ذلك لأن لكل وسيلة اتصال ما يخصصها من سمات مميزة ، واستعمالات لغوية ، وآداب يجب مراعاتها (انظر الفصل 10 للوقوف على مناقشة لموضوع الاتصال عبر الحاسب).

بحثك

اختبار جودة البحث: الباحث الحاضر / والباحث الغائب

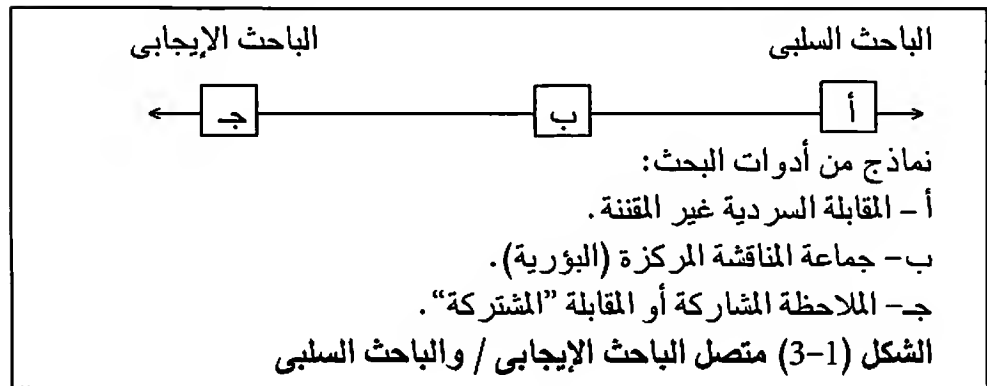
- هل أنت متأكد من مبرر حضورك فى بحثك أو غيابك عنه؟
- إن كنت غائبا ، فهل أوليت اهتماما خاصا للتعليمات الموجهة للمبحوثين ، لكى تضمن صدق البحث؟
- هل اتخذت خطوات لتعظيم الاستجابة وتقليل التحيز (خاصة التحيز الذى يحدث فى الاستبيانات المرسلة بالبريد ، وهل تأكدت من توفر الحواسب الآلية - مثلا - لدى المبحوثين)؟
- هل أدخلت فى اعتبارك تأثيرك بوصفك الباحث؟
- هل أنت على دراية بأعراف الاتصال وآدابه إن قررت أن تكون باحثا افتراضيا؟ وهل أمعنت التفكير فى الأثر الذى تحدثه هذه القضايا فى بحثك؟

ج - الباحث الإيجابى والباحث السلبي

يتعلق المتصل الثالث بدور الباحث باعتباره «أداة بحث» - أى وسيلة لجمع البيانات. ربما لا ترى نفسك أداة بحث ، إلا أن بعض طرق جمع البيانات (وتحليلها) تتوقف على كون الباحث نفسه جامعا إيجابيا وفعالا للبيانات. ففى المثال الخاص بالبيانات شبه المقتنة ، والمذكور فى المثال (1-1) ، كان الباحث يقوم بدور إيجابى

تماما، فقد كان يطرح سؤالا ثم يتبعه بسؤال للتحقق من إجابة السؤال الأول بغرض اكتشاف المزيد من المعلومات عن التغيرات التي أدخلت على نظام الانتظار في العيادة. فقد كان الباحث في هذا المثال يقوم بتطوير تفاعل حوارى لتسهيل قيام المبحوث بمهمة الإدلاء بالبيانات. وأيا ما كان الأمر، فإن مشاركة الباحث في المقابلة محصورة في استخدامه لمجموعة من وسائل الإيعاز أو التلميح prompts (والتي يحث الباحث بها المبحوث على المزيد من تقديم البيانات) وأسئلة تفتيح الموضوع probes والمصممة لحث المستجيب على الإفصاح عن أفكاره وتفسيراته بأسلوبه الشخصي الخاص به. ولكن دور الباحث كان أقل إيجابية في المثال الخاص بالبيانات شبه المقننة، إذ كان يحث المبحوث على رواية القصة حسب رغبته («حدثنى عن كذا...»). وهنا يكون المبحوث أكثر تحكما في تقديم وانتقاء البيانات وفي طريقة الإدلاء بها. ومن ناحية أخرى يدعو بعض الباحثين (انظر -مثلا- أوكلى Okley، 1981) إلى تطوير علاقة مع المبحوث بحيث يقوم كل من المبحوث والباحث بتقديم خبراتهما وأفكارهما الخاصة في عملية الإدلاء بالبيانات (انظر قائمة المصطلحات)، والتي تسمى عادة بالمقابلة المشتركة Collaborative Interview (انظر الفصل الرابع).

رأينا في المثال (1-1) أن أداة جمع البيانات المقننة كانت عبارة عن استبيان يستوفيه المبحوث بنفسه (الفصل الثالث). في هذه الحالة قام الباحث بتصميم أداة البحث - أى الاستبيان - إلا أنه كان يقوم بدور سلبي في عملية الجمع الفعلى للبيانات، بل ربما لا يكون حاضرا أصلا أثناء قيام المبحوث باستيفاء الاستبيان. وحتى لو كان الباحث حاضرا ويقوم بطرح الأسئلة على المبحوث فإن استخدام هذا الأسلوب المقنن لا يترك للباحث إلا دورا محدودا لا يتجاوز تلاوته للأسئلة وكتابته للأجوبة.



هيا بنا نفكر فى مثال مختلف ، وهو المثال الخاص بجمع البيانات باستخدام أداة الملاحظة (الفصل السادس) . فجمع البيانات من خلال الملاحظة يمكن أن يتخذ عددا من الأشكال ، بدءا من ملاحظة موقف ما عن بعد ، أو باستخدام آلة تصوير فيديو ، وانتهاء بالملاحظة أثناء المشاركة الفعالة فى الموقف المدروس . ويتمثل واحد من المتغيرات الأساسية فى جمع البيانات عن طريق الملاحظة ؛ يتمثل فى درجة مشاركة الباحث فى الموقف الذى يقوم بملاحظته . فالملاحظة يمكن تنفيذها بشكل ظاهر ، وذلك بالملاحظة - مثلا - من خلال كاميرا فيديو مخفية ، أو من خلال مشاركة الباحث بوصفه عضوا فى هذه الجماعة ، أو مكان العمل هذا ، أو فى هذا السياق الذى يقوم بملاحظته . وفى الحالة الأولى يمكن وصف الباحث بأنه يقوم بدور سلبى ، إذ لا يكون له تأثير على موقف الباحث أو على المشاركين الخاضعين للملاحظة (وتوجد بعض القضايا الأخلاقية التى يتعين أن تأخذها فى اعتبارك إن كنت تصور الأفراد بجهاز فيديو بدون تنبيههم لذلك أو بدون موافقتهم عليه - انظر الفصل الخامس) . أما فى الحالة الثانية فإن الباحث يكون مشاركا بنفسه ، كما أنه - سواء أعلم المشاركون (المبحوثون) أنه باحث أيضا أم لم يعلموا - سوف يشارك بإيجابية فى عملية إنتاج البيانات الاجتماعية التى جرى جمعها وتسجيلها . ومن المعهود فى البحث الذى يشارك فيه الباحث مشاركة إيجابية فى عملية إنتاج البيانات من خلال مقابلة تفاعلية أو ملاحظة مشاركة؛ من المعهود أن يتم تضمين هذا النوع من البحوث إلى جانب ذلك بعض البيانات التأملية (الفصل الثالث) لتمكين الباحث من أن:

أ - يُعمل فكره فى الأثر الذى أحدثه حضوره ومشاركته على البيانات التى جرى جمعها .

ب - وأن يُعمل فكره فى حقيقة إحساسه بأنه جزء من العالم الاجتماعى محل البحث .

ج - وأن يدون أى أفكار أو تفسيرات قد تساهم فى تحليل البيانات .

موضوعات للتفكير فيها بشأن: الباحث الإيجابي والباحث السلبي

فيما يتصل بالا اعتبارات العملية لجمع البيانات توجد عدة موضوعات مختلفة للتفكير فيها تتعلق بمدى إيجابية الباحث في مشاركته في عملية جمع البيانات. وسوف نلقى الضوء على هذه الموضوعات ونناقشها بالنسبة لكل طريقة من طرق جمع البيانات في الفصول من الثالث حتى التاسع. إلا أنه توجد بعض القضايا العامة التي يتعين التفكير فيها في هذه المرحلة، وهي:

- إن كان الباحث يشارك إيجابيا في عملية إنتاج بيانات البحث، فمن الضروري أن يأخذ في اعتباره طريقة تسجيل البيانات، إذ إن من غير المحتمل أن يتمكن الباحث من كتابة الملاحظات أو مراجعة مدى استيفاء النماذج أو الاستثمارات بسبب استغراقه في نفس الوقت في الأنشطة المرتبطة بإنتاج البيانات. وقد يستخدم التسجيل الصوتي أو التسجيل بالفيديو (الفصل الثاني)، أو يحتفظ الباحث بمذكرة يومية تفصيلية يمكنه أن يدون فيها بياناته حين يتاح له ذلك (الفصل الثاني).
- ينبغي تقرير درجة المشاركة ومرونتها كجزء من تصميم البحث. مثال ذلك أنه عند إعداد مقابلة شبه مقننة يجب أن تدرج في دليل المقابلة الطرق الممكنة لطرح الأسئلة التي تسهم في تفتيح الموضوع أمام المبحوث، ولا استعمال أساليب الإيعاز والتلميح التي تحثه على الاستفاضة في الكلام (الفصل الرابع).
- إن كان الباحث يشارك إيجابيا في عملية إنتاج البيانات فسيشارك أيضا في تفسير هذه البيانات وقت الحصول عليها. والواقع أن عملية التحليل تبدأ بالفعل عندما يستعمل الباحث هذه البيانات حال جمعها. وينبغي الاحتفاظ بتقرير يسجل فيه الباحث أفكاره وتأملاته، وذلك بأن يستخدم - مثلا - مفكرة يومية، أو سجل بحثي، مع تدوينه لملاحظاته عن تفسير البيانات وللأفكار التي قد تكون مفيدة في عملية التحليل.

بحثك

اختبار جودة البحث : الباحث الإيجابي/ والباحث السلبي

- هل أنت متأكد من مبرر كونك إيجابيا أو سلبيا فى بحثك؟
- هل صممت أداة جمع بيانات تدخل فى حسابها هذا الاعتبار؟
- هل أنت واثق أن تصميم بحثك يتعامل مع كل مشارك (مبحوث) بنفس المعاملة؟
- هل أمعنت النظر فى التأثير الذى سوف تحدثه باعتبارك الباحث؟

استخدام هذه المتصلات الثلاثة للمساعدة

فى تصميم أدوات البحث

قدمنا فى هذه الفقرة من الفصل ثلاثة متصلات يمكن على امتدادها العثور على الأدوات المختلفة لجمع بيانات البحث . ومن الممكن أن يساعد التفكير فى موقع كل أداة من أدوات جمع البيانات على كل متصل من هذه المتصلات أن يساعدك فى أن تكون على وعى بالقضايا التى طرحناها عليك كباحث فيما يتصل بكل من المهارات العملية المطلوبة، ودلالات ذلك بالنسبة لجودة البحث .

من الممكن لكل طريقة من طرق جمع البيانات ، ولأدوات البحث المرتبطة بها ، أن توجد على كل متصل من هذه المتصلات ، كما أن من المفيد لك تعيين مواقعها على كل متصل على حدة حتى تكون على وعى بالنتائج المختلفة لاستخدام هذه الطريقة أو تلك . ويوجد دائما عدد من الأنواع المختلفة للقضايا العملية التى يتعين إدخالها فى الحساب عند تصميم وتخطيط عملية جمع البيانات ، ومنها قيود الوقت ، والمهارات ، والموارد المالية (عادة) وغيرها من الإمكانيات . ولا شك أن تفكيرك فى نتائج استعمال طرق بعينها من طرق جمع البيانات واستخدام أدوات بعينها من أدوات البحث - قبل أن

تباشر العمل في جمع البيانات - سوف يساعدك على العمل بأقصى كفاءة ممكنة داخل نطاق هذه القيود.

وانطلاقاً مما تعرفه عن الأدوات المختلفة لجمع البيانات حاول أن تضع هذه الأدوات على المتصلات المسطورة في البرواز الوارد أدناه، وعنوانه «فكر في هذا الموضوع ...»، ثم فكر بعد ذلك في بحثك الخاص بك وفي أدوات جمع البيانات التي تخطط لاستعمالها وحدد أماكن هذه الأدوات في البرواز التالي، والمعنون «بحثك». وقد تجد من المفيد أن ترجع إلى المتصلات الثلاثة أثناء قراءتك عن مختلف طرق جمع البيانات، المشروحة في الفصول من الثالث حتى التاسع، وأن تمنع النظر في المكان الذي يمكن أن توجد فيه - على هذه المتصلات الثلاثة - هذه الطريقة أو تلك من طرق جمع البيانات، وأن تراجع «الأمر المطلوب التفكير فيها».

فكر في هذا الموضوع ...

ضع علامة x في المكان الذي ترى أن أداة جمع

البيانات موجودة فيه على كل متصل من المتصلات الثلاثة

جماعة المناقشة الافتراضية

أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي
الاستبيان الذي يستوفيه المبحوث بنفسه	
مقنن	غير مقنن
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي
المقابلة الهاتفية شبه المقننة	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي

بحثك

حدد بالنسبة لكل أداة من أدوات جمع البيانات المستخدمة، موقعها على كل متصل من المتصلات الثلاثة.

أداة جمع البيانات (١)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي
أداة جمع البيانات (٢)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي
أداة جمع البيانات (٣)	
أداة مقننة	أداة غير مقننة
الباحث حاضر	الباحث غائب
الباحث إيجابي	الباحث سلبي

المراجع وقراءات للاستزادة

- Denscombe, M. (2007) *The Good Research Guide: For Small-Scale Social Research Projects*, Buckingham: Open University Press.
- Gilbert, N. (ed.) (1993) *Researching Social Life*, London: Sage.
- May, T. and Williams, M. (eds) (1998) *Knowing the Social World*, Buckingham: Open University Press.
- Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.

الفصل الثانى

مهارات جمع البيانات

محتويات الفصل

- الاحتفاظ بالسجلات .
- ابتكار أشكال النماذج .
- تدوين الملاحظات .
- الاتصال .
- المقابلات .
- التسجيل الصوتى ، وعلى أشرطة الفيديو .
- مهارات التأمل .

عن السياق

يتمثل جمع البيانات للبحث الاجتماعى فى مجموعة من الأنشطة العملية التى تتطلب مهارات قابلة للنقل من مواقف أخرى وإليها . فما المهارات المتوفرة لديك والمناسبة لهذه العملية ، وما المهارات التى تحتاج لتعلمها وتطويرها؟

فى هذا الفصل نلقى نظرة فاحصة على المهارات التى يحتاج إليها الباحث ، ونقدم بعض النصائح العملية لمساعدتك على الاستخدام الأفضل لطرق جمع البيانات التى يترجح - إلى حد بعيد - أن تختارها .

بعد أن تكون قد اخترت طرقك في جمع البيانات ، يتعين عليك الآن أن تفكر في الطريقة التي بها ستقوم بأداء هذا العمل ، وفي المهارات المتوفرة لديك والمناسبة لهذا العمل ، وكذلك في المهارات التي قد يتعين عليك أن تتعلمها . وتتطلب كل طريقة من طرق جمع البيانات مهاراتها وعملياتها المعينة الخاصة بها ، إلا أنه توجد مهارات يترجح أن تحتاج إليها بصرف النظر عن الطرق التي تختارها .

فكر في هذا الموضوع . . .

أنت تخطط لاستخدام استبيان لتجمع بيانات من طلاب آخرين بصورة مباشرة . ما المهارات التي ترى أنك ستحتاج إليها فعلا للقيام بهذا العمل ؟
ألق نظرة فاحصة على قائمة المراجعة المبينة في البرواز أدناه ، وتبين أي المهارات المذكورة في هذه القائمة ترى أنك ستحتاج إليها لتستخدم الاستبيان في جمع البيانات ؟

من المفيد في هذه المرحلة أن تراجع خبراتك ومهاراتك الخاصة بك وتأملها ، وأن تكون على وعى ودراية بالموارد التي يمكنك الاعتماد عليها . وتوجد أدناه قائمة ببعض المهارات الرئيسية التي نرى أن من الراجح أن تحتاج إليها لتتمكن من جمع بيانات البحث الاجتماعي . استعمل قائمة المراجعة هذه لتحديد المهارات التي ترى أنها متوافرة لديك في هذه المرحلة .

ما المهارات التي سوف تحتاج إليها للاضطلاع بعملية جمع البيانات؟

أحتاج لهذه المهارة في طرق جمع البيانات√	أين وكيف تعلمت هذه المهارة؟	عندى هذه المهارة√	المهارات
			الاحتفاظ بالسجلات استخدام قاعدة بيانات استخدام البطاقات استخدام دفتر يوميات
			ابتكار النماذج أو استعمال النماذج . برامج الكمبيوتر . إنشاء الجداول استخدم البراويز / الأشكال استخدام الألوان / الحروف المطبعية / التظليل .. إلخ
			ابتكار الملصقات / كتيبات المعلومات / الخطابات باستخدام برامج الكمبيوتر
			تدوين الملاحظات من الوثائق / الكتب . من الكلمات المنطوقة . من الملاحظة .
			الاتصال بأنواع مختلفة من الأفراد بالخطابات . بالبريد الإلكتروني . باللقاء المباشر . بالهاتف .
			إجراء المقابلة مع الأفراد مع الجماعات
			التسجيل الصوتي / أو السمعي المسجل ذو الشريط المسجل الرقمي
			التسجيل بالفيديو
			تدوين التسجيلات وكتابة ملاحظات من واقع التسجيلات
			التأمل في التصرفات / التعلم استعمال مفكرة يومية استعمال سجل المعارف المكتسبة
			اكتب أي مهارات ترى أنك ستحتاج إليها

الاحتفاظ بالسجلات

من شأن أى طريقة لجمع البيانات أن توفر كمية من البيانات . ولذلك فإن تنظيمك لسجل البيانات التى تحصل عليها ومتابعة التدوين فيه سوف يساعدك على حسن إدارة عملية جمع البيانات ، كما يحتمل أن يوفر عليك الوقت والجهد حينما تصل إلى مرحلة التحليل . وتقدم الجداول بأرقام (1-2) و (2-2) و (3-2) بعض الأمثلة للسجلات التى قد تحتاج إلى الاحتفاظ بها .

إن كنت على دراية باستخدام قواعد البيانات ، وماهرا فى هذا المجال ، فإن بإمكانك أن تصمم نظامك الشخصى للسجلات . وأيا ما كان الأمر ، فإن بالإمكان حفظ السجلات فى صورة بطاقات ، أو إنزالها فى جدول أو فى برنامج كومبيوترى لتسجيل البيانات واسترجاعها (على نحو ما توفره مايكروسوفت إكسل) . وكبديل لذلك يمكن استخدام نظام قائم على التسجيل اليومى للاحتفاظ بسجل لكل ما قمت به من عمل فى كل يوم من أيام العمل . ويتيح لك هذا التسجيل اليومى الرجوع إليه للتحقق من المعلومات عند الحاجة إليها ، إلا أنه لا يتمتع بميزة القدرة على رؤية المعلومات الخاصة بكل مصدر من مصادر البيانات مجمعة فى مكان واحد .

كما أنك قد ترغب فى الاحتفاظ بما يخصك من ملاحظات بحثية ، أو كتابات ، أو تعليقات على المقابلات ، أو سجل معرفى خاص بك (انظر أدناه) ، قد ترغب فى الاحتفاظ بها فى هيئة وثائق موحدة قياسيا وفق معيار محدد . ولا شك أن استخدامك لقوالب قياسية أو تصميمات قياسية للصفحات ثم حفظها بعد ذلك كملفات مستقلة لكل منها تاريخ محدد وعنوان محدد ،

جدول (1-2) حفظ سجلات الاستبيانات					
الاستبيان رقم —	تاريخ الإرسال بالبريد الإلكتروني	تاريخ متابعة البريد الإلكتروني	تاريخ الاستلام	الاستيفاء نعم / لا	المراجعة
101	10/4/2		10/4/3		√
102	10/4/2	10/4/16			
103 إلخ	10/4/2	10/4/16	10/4/16	لا	√

جدول (2-2) حفظ سجلات المقابلات						
المبحث الذي تمت مقابلته	رقم النسخة المدونة	الاتصال الأول	تاريخ المقابلة	مكان المقابلة	مدة المقابلة	ملاحظات
أن	01	10/3/15	10/3/22	الجامعة	30 دقيقة	طالبة أجنبية
ستيف	02	10/3/16	10/3/23	بهو الكلية	40 دقيقة	طالب مستجد
كيت . . إلخ	03	10/3/16	10/3/29	المقهى	10 دقائق	اضطرت «كيت» للمغادرة قبل نهاية المقابلة ستحاول ترتيب معاد آخر؟

جدول (3-2) حفظ سجلات المصادر الثانوية				
الوثيقة	اسم الصحيفة	تاريخ النشر	العنوان /المانشيت	طريقة الوصول إلى المصدر
1	صحيفة الجارديان	10/2/13	أمل الشباب في العمل ضعيف	نقلا عن الإنترنت
2	صحيفة الديلي ميل	10/2/13	إنه غير فعال!	نسخة ورقية
3... إلخ	صحيفة الإندبندنت	10/2/13	ارتفاع معدل البطالة للشهر الثالث	نقلا عن الإنترنت

سوف يمكنك من الرجوع بسهولة لسجلات معينة أو أحداث معينة. وإن بالإمكان تفصيل تصميم إخراج الصفحة وفقا لاحتياجاتكم الشخصية ووفقا لطبيعة المعلومات التي تحتاج لتسجيلها، كما يمكن لهذا السجل أن يشتمل على تشكيله من أنواع المعلومات المختلفة.

ابتكار أشكال النماذج

يتم تسجيل البيانات والمعلومات المتعلقة بجمع البيانات بأعلى درجات الفاعلية عن طريق استعمال النماذج أو القوالب التي يمكن إدراج المعلومات فيها. وفي بعض الحالات، كما في الأمثلة التي عرضناها في الجداول الثلاثة بعاليه، تصمم هذه القوالب بغرض أن ينتفع بها الباحث. ومع أنه ينبغي أن تكون هذه القوالب واضحة وسهلة الاستخدام، فإن تفاصيل التصميم تكون أقل أهمية. وأيا ما كان الأمر، فإنه إن كان

ال قالب الذى يجرى وضعه مقصود به أن يستخدمه المبحوثون الذين يشملهم بحثك ، فلابد أن تحرص على التأكد من أنه واضح وسهل الاستخدام وجذاب فى نظرهم . وهذه النقطة لها أهميتها الخاصة بالنسبة للاستبيانات التى يستوفىها المبحوثون بأنفسهم ، ولغيرها من الأشكال التى قد ترغب فى أن يستوفىها المبحوثون عموما .

اغتنم فرصة تطوير مهاراتك فى استعمال الكمبيوتر ، وخاصة ما يتصل منها بالاستفادة من الإمكانيات المتاحة فى برامج الكمبيوتر . ذلك أن غالبية حزم برامج معالجة الكلمات - مثل برنامج «مايكروسوفت ورد» مثلا - تشتمل على خصائص وإمكانيات تصميم تتيح لك عمل الجداول (لاحظ أن الأمثلة المذكورة بعاليه تستخدم الجداول) ، والبراويز وغيرها من الأشكال ، ومن مراجعة البراويز والقوائم المعلقة drop-down lists (أى : المؤجل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها) ، ومن استخدام عناصر التلوين ، والتظليل ، والإطارات المحيطة بالرسوم والصفحات . (فى نسخة 2007 من «مايكروسوفت ورد» ستجد هذه الفقرات فى برامج عمل الجداول ، وهى برنامج «أدخل» «Insert» وبرنامج «المطور» «developer») . وتشتمل بعض حزم البرامج ، مثل حزمة «الناشر» من مايكروسوفت Microsoft publisher ؛ تشتمل على إمكانيات كبيرة لإنتاج الملصقات (الكبيرة الحجم أو البوسترز) والكتيبات والأشكال . ولا شك أن الوقت الذى ستنتفقه فى استكشاف الإمكانيات المتوافرة فى البرامج المتاحة لك لن يذهب سدى ، لأنه سينفعك فى أمرين معا هما : إنتاج نماذج ذات شكل جذاب وفعال فى جمع البيانات ، وتطوير مهاراتك الشخصية للمستقبل . وتشتمل معظم حزم البرامج على مواد تعليمية ووسائل لمساعدة من يستخدمها . وإن كنت طالبا فلا شك أن جامعتك أو كليتك تنظم دورات دراسية تدريبية أو برامج تعليمية متاحة على الشبكة .

تدوين الملاحظات

هناك مواقف متعددة فى البحث ، وفى الدراسة عموما ، تحتاج فيها لتدوين الملاحظات . وقد يحدث تدوين الملاحظات أثناء استماعك لمحاضرة ، أو قراءتك لكتاب ، أو خلال مقابلة تجريها مع أحد المبحوثين المشاركين فى بحثك ، أو أثناء ملاحظتك لواقعة ما .

فكر فى هذا الموضوع . . .

تدوين الملاحظات

فكر فى موقف مارست فيه خبرة تدوين الملاحظات:

- كيف دونت الملاحظات؟
- ما الملاحظات التى أفادتكَ فى تحقيق مرادكَ؟
- وما الملاحظات التى لم تفدكَ فى تحقيق مرادكَ؟

مفتاح التدوين الإيجابى للملاحظات هو التفكير فى الأمور التالية:

- ما الموضوع الذى تدون ملاحظاتكَ عنه؟
- لماذا تدون الملاحظات؟
- أى المعلومات هى التى تكون "جديرة بالتدوين" أو تكون لازمة للانتفاع بها مستقبلاً؟
- كيف ستدون الملاحظات؟ وأى شكل ستخذه ملاحظاتكَ المدونة فى النهاية؟
- إن كنت تعد جيداً لبحثكَ، فسوف يكون تدوين الملاحظات مركزاً على موضوع البحث، وستتخذ الملاحظات شكلاً يجعل من السهل الانتفاع بها مستقبلاً.

بحثك

أفكار مفيدة فى تدوين الملاحظات

- على رأس الصفحة التى تدون فيها ملاحظاتكَ، اكتب الموضوع الذى تدون عنه ملاحظاتكَ بوضوح. فقد يكون هذا الموضوع قضية تكتب عنها مقالا، أو قد يكون سؤال البحث الذى تجريه، أو قد يكون نقطة محورية وردت فى إحدى المقابلات أو عرضت فى إحدى الملاحظات.

- اقتصر على كتابة الملاحظات المتصلة بموضوعك فقط .
- قم بتصميم نموذج من شأنه أن يساعدك في تدوين الملاحظات تحت عناوين ، أو في براويز ، أو قطاعات مختلفة . وقد يستفيد هذا التصميم - مثلا - بدليل موضوع مقابلتك ، الذي يمكن أن يحتوى على فراغات لتدوين الملاحظات عن كل قضية من القضايا التي تجرى مناقشتها .
- مَيِّز ملاحظاتك بعلامات مستخدما التفاصيل التي ستحتاج إليها لوضع هذه الملاحظات في السياق ، مثال تلك التفاصيل:
- إشارة وافية لوثيقة أو نص ، بما في ذلك ذكر المكان الذي توصلت فيه للوثيقة أو النص - هل هو مكتبة عامة ، أم موقع على الشبكة . . . إلخ .
- اسم المبحوث ، ورقمه ، وتاريخ المقابلة ، ومكانها .
- مكان إجراء الملاحظة ، تاريخ الملاحظة ومدتها ، لب الملاحظة وجوهرها .

التدوين الإيجابي للملاحظات

يتوفر لكثير من الأفراد القدرة على الجلوس في إحدى المحاضرات أو قراءة كتاب وتدوين بعض الملاحظات دون التفكير - بشكل إيجابي - في المعلومات التي يجري تسجيلها . من السهل أن تشعر أنه إن كان لديك مجموعة من الملاحظات فلن تحتاج إلى التفكير بإيجابية في الموضوع في ذلك الوقت . ولكن لسوء الحظ أن هذا التدوين السلبي للملاحظات قد يكون عقيما غير مثمر ، ذلك لأن المستمع للمحاضرة أو القارئ للكتاب لن يحتفظ إلا بالقليل من المعلومات ، كما أن الأرجح أن هذه الملاحظات نفسها لن تكون كافية لتذكره بالمحتوى الكامل للمعلومات . ولذلك يتعين على كل من المستمع الإيجابي ، أو القارئ الإيجابي ، أو المشاهد الإيجابي ، والمدون الإيجابي للملاحظات أن يفعلوا ثلاثة أشياء:

- 1 - القراءة ، أو الاستماع ، أو المشاهدة .
- 2 - التفكير فيما يُقرأ ، أو يُسمع ، أو يُلاحظ وتحديد ما يدون عنه الملاحظات .
- 3 - تدوين الملاحظات .

ونظراً لأننا لا نقدر على القيام بأكثر من عمل واحد في نفس الوقت، فإن هذه الأنشطة تجري في تتابع سريع عندما نقوم بالتدوين الإيجابي للملاحظات. ولا يقتصر أمر التدوين الإيجابي للملاحظات - في العادة - على أنه يؤدي للوصول إلى مجموعة مفيدة من الملاحظات، بل يؤدي كذلك إلى التذكر الجيد والاسترجاع الجيد للواقعة نفسها. فإن قضيت بعض الوقت عقب هذه الواقعة مباشرة وأنت تراجع ملاحظاتك وتضيف إليها من ذاكرتك، فستجد بالتأكيد أن لديك سجلاً مفيداً صالحاً للاستعمال تماماً.

المذكرات الموجزة

كثيراً ما يطلق على نوع مختلف من الملاحظات المدونة اسم "المذكرة الموجزة". والمذكرة الموجزة هي - في الواقع - ملاحظة مختصرة تكتبها لنفسك بشكل بعدى، أى بعد الفراغ من مشاهدة الحدث أو سماع الكلام. وفي البحث الاجتماعى تستخدم هذه المذكرات الموجزة بعدة طرق. وأهم شيء يفيدك أن تحمل معك في كل وقت دفترًا صغير الحجم لكتابة الملاحظات فيه، أو مفكرة يومية، أو مجموعة بطاقات (كروت بحث) لتدوين الملاحظات العاجلة. ذلك أنك قد ترغب في كتابة ملاحظة سريعة مختصرة Jot عن بحثك في أى وقت. وقد يكون هذا الشيء المكتوب فكرة ما، أو شيئاً تذكر به نفسك (للانتباه إليه وبحثه مستقبلاً، أو عن متابعة أحد مصادر المعلومات للاستزادة منه، أو للتذكير بموعد قادم... إلخ)، أو ملحوظة عن أمر حدث. ومن المحتمل أن تحتاج هذه الأنواع من الملاحظات إلى التحويل أو الترحيل إلى أماكن مختلفة تبعاً لنوع الملحوظة. فتنحتاج المواعيد لأن تُدرج في مفكرتك اليومية، ورسائل التذكير بأمور لاحقة تحتاج لأن تُدرج في المفكرة اليومية عند الوقت الذى ترغب فيه تذكيرك بأمر ما. أما الأفكار التى تكتبها عن بحثك، أو عن مباحث معين اقترحه عليك أحدهم، أو السؤال الذى تريد أن تعاود طرحه عند قيامك بتحليل بياناتك، أو الكتاب الذى تريد أن تتابع قراءته؛ كل هذه الأمور تحتاج إلى نقلها إلى أماكنها فى مفكرتك اليومية عن البحث، أو فى خطة بحثك لكى تعود إليها فى الوقت المناسب. أما إذا كنت تستخدم مفكرة يومية إلكترونية، فبإمكانك استعمال خدمة: "مهمة" أو "للإنجاز" "to do" أو "task" لضمان تذكيرك بهذه الأمور فى وقتها.

كما أن بالإمكان أن ترفق المذكرات الموجزة بمفكرتك اليومية للبحث، أو بمقترح بحثك أو بتقريرك البحثي، وذلك باستعمال بطاقات الملاحظات السريعة أو خدمة "التعليقات" Comment المتوفرة فى برامج مايكروسوفت ورد (وهذه الخدمة متوفرة

فى قائمة "المراجعة" Review فى نسخة 2007 من برنامج ورد). وسوف تسمح لك هذه الخدمة بإضافة كلام قىل لك على أنفراد، أو إضافة تعليق على ما تكتبه لكى يذكر بك بأمر ترغب فى إضافته أو تعديله . أو قد تشير هذه الفقرة إلى فكرة خطرت ببالك عن بحثك وترى أن ترجع إليها فيما بعد .

وتحتوى بعض برامج تحليل البيانات ، مثل برنامج NVivo (فصل 9 باب 4) ، على إمكانية إضافة هذه الملاحظات أو المذكرات العاجلة فى أى مرحلة من مراحل تحليل بياناتك (بل يصل الأمر فى الواقع إلى أنك تستطيع أن تدرج مذكراتك السريعة كجزء من هذا التحليل) .

الاتصال

يحتاج معظم الباحثين الاجتماعيين إلى الاتصال بالآخرين على نحو أو آخر فى مرحلة ما من مراحل بحثهم . ويعتبر تحضيرك لمقترح مشروع البحث (فصل 6 باب 2) وعرضك للنتائج فى هيئة تقرير أو رسالة علمية جامعية (فصل 2 باب 5) ؛ يعتبر هذان الأمران طريقتين سوف تُعرف من خلالهما الآخرين ببحثك . كما يقوم معظم الباحثين ببعض الاتصالات مع الأفراد المشاركين فى بحثهم ، إما مباشرة أو من خلال الرسائل البريدية ، أو عبر البريد الإلكتروني (الإيميل) ، أو الهاتف . ومن المعهود أن يكون الاتصال متعلقاً بالأمور التالية:

- تعريف الناس بالبحث .
 - مطالبة الأفراد بالمشاركة فى البحث ، أو مطالبة بعضهم أن يتيحوا لك الوصول إلى بيانات عنهم .
 - التأكيد لهم على الالتزام بالحفاظ على سرية هذه البيانات وغير ذلك من الاعتبارات الأخلاقية .
 - مناقشة التدابير الخاصة بمشاركتهم فى البحث .
 - تجميع البيانات .
 - تقديم الشكر للمبحوثين على مشاركتهم .
 - إخبارهم بما سوف يحدث فيما بعد .
- وقد تجد نفسك بحاجة للاتصال بأفراد لا تعرفهم ، وبأنماط مختلفة من الناس ، وبأفراد لا يعرفون إلا القليل عن البحث الاجتماعى .

بحثك

أفكار مفيدة للاتصال الناجح

- فكر في الغرض من الاتصال الذي تنوى القيام به.
- خطط لما سوف تقوله أو تكتبه، وتدريب على ذلك مقدما.
- تجنب اللغة المتخصصة أو الفنية.
- تحدث بشكل واضح وعلى نحو مسموع.
- اعتن بقواعد النطق وتهجئة الكلمات في الاتصال المكتوب، بما في ذلك البريد الإلكتروني.
- فكر في الأمور التالية بشأن الشخص الذي تتصل به:
 - ما على الأرجح معلوماته عن موضوع بحثك؟
 - ما الذي يترجح أن يدور في ذهنه عنك كباحث؟
 - هل ينتمي إلى فئة عمرية، أو ثقافة أو طبقة اجتماعية مختلفة عن حالتك؟
 - هل توقيت هذا الاتصال ملائم له؟
- استمع إلى الشخص الآخر واقرأ الرسائل التي جاءتك على بريدك الإلكتروني بعناية قبل أن تجيب عليها.

المقابلات

تعد المقابلات التي تجرى مع الأفراد أو الجماعات أشكالا خاصة من الاتصال التفاعلي، كما تعد مقابلات البحث الاجتماعي وجماعات المناقشة (البؤرية) أشكالا خاصة من المقابلات. ويتم تصميم المقابلات، بصفتها هذه، لتسهيل جمع بيانات البحث، كما أن لها خصائص وتقنيات معينة لتمكين الباحث من أن يقوم بالمقابلة بنجاح وفاعلية. وتشتمل هذه التقنيات على نماذج الاستبيان (الفصل 3)، والمقابلة (الفصل 4)، والأدلة الخاصة بموضوعات جماعات المناقشة المركزة (البؤرية) (الفصل 5). كما تشتمل على تقنيات لبحث المبحوثين على رواية قصصهم (الفصل 7).

غالبا ما ينظر إليك المبحوثون - بصفتك الباحث والقائم بالمقابلة - طالبين توجيههم إلى الطريقة التي يتوقع أن تسير المقابلة وفقا لها ، وطالبين التأكد من أنهم يقدمون نوعية البيانات التي تحتاجها لبحثك . لذلك عليك أن تتذكر: أنك قد خططت المقابلة وأنت تعرف كيف ستتطور ، بينما مبحوثك لا يعرف إلا ما ذكرته له عن البحث والمقابلة . لذلك تأكد من أن تشرح ما يجري بوضوح ، وحاول أن تختبر فهم المبحوثين لحقيقة البحث وطبيعة المقابلة . وإذا سمحت لك الظروف ، فيمكنك إنفاق بعض الوقت في خلق نوع من الألفة عن طريق التحدث عن موضوعات عامة ، كالطقس مثلا ، أو عن انتقالك إلى هذا المكان الذي تجرى فيه المقابلة ، وذلك قبل أن تبدأ إجراء المقابلة ، ثم اقض - أنت والمبحوث - وقتا قصيرا معا عقب انتهاء المقابلة بعد أن تكون قد أغلقت جهاز التسجيل ، أو بعد فراغك من كتابة الملاحظات .

فكر في الجو المحيط بإجراء المقابلة أو المخصص لالتقاء جماعة المناقشة المركزة ، وفكر في مدى المساعدة التي سيقدمها هذا الجو للتفاعل بينك وبين مبحوثيك . فالناس يكونون أكثر رغبة في المشاركة والتواصل إذا كانوا يشعرون بالراحة وكانوا قادرين على تكريس كل انتباههم للمقابلة وما يجري فيها . فأنت تبحث - أساسا - عن مكان يناسب المبحوث ويتيح لك أن تقضى كل ما تحتاجه من وقت في المقابلة ، لذلك يا حبيبا لو أن هذا الوقت كان خاليا مما يقطع اضطرابها . وإن كان ممكنا ، فرتب مكان الكرسيين - إن كانت المقابلة فردية - بحيث تجلسان أنت والمبحوث وبينكما زاوية قائمة . إذ أن هذا الوضع يمكنكما كليهما - أنت والمبحوث - من التلاقي بالعيون ومن النظر بعيدا أثناء الكلام . ويستطيع هذا الوضع أن يكفل توافر تشكيلة متنوعة من المشاعر العميقة خلال الحوار الذي يجري أثناء المقابلة ، كما أنه يستطيع أن يمكن المبحوث من التحدث بسهولة أكثر مما لو كان جالسا في مواجهة مباشرة مع الباحث عبر مائدة أو مكتب . وقد يكون من الأمور التي قد تدخل نوعا من الخوف في نفس المبحوث أن تنتظر إليه وتواجهه مباشرة ، وذلك بالرغم من أنه إن كانت تجري المقابلة مع شخص ما في مكان عمل - مثلا - فقد يكون ذلك التصرف ضروريا .

وتتطلب المقابلة مع جماعة المناقشة المركزة أو المقابلة مع جماعة من الأفراد تهيئة مكان كبير . تأكد من توفر العدد الكافي من المقاعد لجلوس كل فرد من الحضور ، ورتب هذه المقاعد على هيئة دائرة أو حول مائدة . حاول التأكد من أن كل شخص

يستطيع أن يرى ويسمع الآخرين جميعا. تحقق من توفر بعض الخدمات والمرافق التى قد يحتاج إليها المشاركون (المبحوثون)، كوجبات الطعام الخفيفة، أو المشروبات، ودورات المياه، وأماكن الانتظار وما أشبه ذلك. وإن كنت محتاجا إلى لوحات يمكن تقلبها، أو أقلام، أو غير ذلك من الأدوات والمعدات، فتحقق مما إذا كان بالإمكان توفيرها من عدمه، أو ما إذا كان عليك تدبير هذه الأدوات بمعرفتك. وعند استعمالك لإحدى الأدوات أو المعدات التى لست على دراية كاملة بها، فتأكد من أنك ستصل إلى مكان المقابلة فى وقت يكفى للتحقق مما إذا كانت هذه المعدة تعمل قبل أن يصل أول مشارك فى المقابلة. كن على استعداد للترحيب بالمشاركين لك فى بحثك، وكن مهيبا للدردشة مع الشخص الأول أو الشخصين الأولين اللذين يحضران قبل غيرهما أثناء انتظارك لوصول الآخرين. ولا تتوافر الخبرة بالمشاركة فى هذا النوع من النشاط إلا لعدد قليل من الناس، أما غالبيتهم فيحتاجون إلى شيء من إعادة طمأننتهم بشأن ما جرى فى المقابلة.

تذكر أن المشاركين فى البحث يبدلون وقتهم طوعية واختيارا، وأنهم يستحقون منك تمام الانتباه والتقدير. أظهر لهم اهتمامك بهم من خلال تعليقاتك وإيماءاتك الشخصية، فانتبه لهم واصغ لما يقولون.

يعد التدوين الإيجابى للملاحظات بجانب الإصغاء من الأمور ذات الأهمية، خاصة إذا كنت تجمع بياناتك باستخدام المقابلات وجماعات المناقشة المركزة، وكنت غير قادر على تسجيل هذه البيانات بطريقة أخرى. وينبغى عليك أن تكون - خلال المقابلة - متفاعلا مع الشخص الذى تجرى معه المقابلة. ويشتمل هذا التفاعل على النظر إليه والإنصات له بجانب تدوينك للملاحظات. إذ إنه قد يكون من الأمور المزعجة فى نظر الشخص الذى تجرى معه المقابلة أن يواجهه باحث يقضى معظم وقت المقابلة وهو ينظر فى أوراقه ويكتب كل كلمة قيلت. ويركز الباحث الناجح فى مقابله على الشخص الذى يجرى معه المقابلة ويصغى إليه فى نفس الوقت الذى يدون الملاحظات المتعلقة بالنقاط الأساسية التى أثرت أثناء المقابلة، ثم يقوم بعد المقابلة بكتابة تقرير نهائى مفصل عن المقابلة معتمدا على هذه الملاحظات وعلى استرجاعه لمحتوى المقابلة.

ومن النصائح المهمة أن تقرأ عن الطريقة التى تستخدمها فى جمع البيانات، وأن

تخطط معتمدا على مهاراتك الشخصية ومستعينا بخبرتك التي تخزنها في ذهنك . وإن من الأمور النافعة أن تتدرب مع الأصدقاء أو الزملاء (على أداء دور مهام المراقبة) وأن تقوم بنوع من المحاولة الاستطلاعية لجمع البيانات إن كان ذلك ممكنا . حاول أن تتعلم من كل خبرة مستخدما فكرة يوميات لتدوين الأفكار والتأملات ، أو مستعينا بسجل المعلومات . وعليك بعد كل مقابلة ، أن تتأمل فيما جرى وكان ناجحا وموفقا ، وفيما كان يمكن أن يؤدي بصورة أفضل .

التسجيل الصوتي ، وعلى أشرطة الفيديو

من الممكن أن تسجل بعض البيانات باستخدام جهاز التسجيل الصوتي أو كاميرا الفيديو ، وإن كانت هذه الأجهزة متوفرة لديك ، وتملك الخبرة اللازمة لاستعمالها ، فقد ترغب مثلا في تسجيل جلسات جماعات المناقشة التي تتعامل معها ، أو في تسجيل المقابلات الفردية ، أو في النقاط فيلم فيديو عن موقف ما أو عن واقعة ما تمهيدا لتحليلها لاحقا . وإن كانت خبرتك باستخدام أجهزة التسجيل هذه محدودة ، فينبغي عليك أن تكون متنبها للوقت الذي تحتاجه لتتعلم كيف تستعمل مثل هذا الجهاز بثقة وفعالية في جمع بياناتك . وقد تحتاج لتقييم مزايا وعيوب طريقة التسجيل الصوتي أو على شريط الفيديو ، مقارنة بالطريقة الأخرى الخاصة بتدوين الملاحظات .

إن كنت تستخدم معدات تسجيل ينبغي عليك :

- أن تكون على دراية ودربة بهذه المعدات .
- وأن تضع الخطة للطريقة التي بها ستستخدم هذه المعدات في موقف جمع البيانات ، مفكرا في المكان والزمان اللذين سيتم فيه جمع البيانات .
- تأكد من أن جهاز التسجيل وأي لوازم أخرى ، كالبطاريات ، أو أشرطة التسجيل ، أو الميكروفونات ، أو الحوامل ذات القوائم الثلاثة؛ تأكد من أنها ستكون متاحة عندما تحتاج إليها .
- تدرب مع الأصدقاء والزملاء على التحقق من أن هذه المعدات تعمل ، وأنها مناسبة لموقف جمع البيانات .

استخدام معدات التسجيل لجمع البيانات الاجتماعية

الميزة الكبرى لاستخدام جهاز تسجيل هي أنه سيتيح لك - كباحث - أن تأخذ معك تسجيلًا للواقعة لدراسته وتحليله. إذ يتوافر لديك نسخة من البيانات في الصورة التي أنتجت بها، على النحو الذي حدثت به هذه الواقعة. وبذلك تكون قادرًا على معالجة البيانات الخام عندما تبدأ عملية التحليل. ومع ذلك توجد قضايا أخرى لا بد أن تدخلها في اعتبارك، بما في ذلك قضية تأثير عملية التسجيل نفسها على جمع البيانات وعلى الأفراد الذين يُدلون بهذه البيانات، أى الأشخاص الذين تجرى المقابلات معهم، أو الأفراد الذين تقوم بملاحظتهم.

لاحظ أن التسجيل الصوتي أمر يوافق عليه الكثيرون، إلا أنه من الضروري الحصول على الإذن منهم بالتسجيل، كما أن هناك من لا يرغبون في أن تسجل أحاديثهم (فصل 5 باب 1). وفي مثل هذه الحالة ستحتاج إلى إعداد طريقة بديلة لتسجيل هذه البيانات، والتي تكون - في العادة - طريقة تدوين الملاحظات. ولا بد أن يتاح للأفراد الذين تتم مقابلتهم الحق في تغييرهم لآرائهم بشأن عملية التسجيل في أى لحظة أثناء المقابلة، كما ينبغي أن يكونوا على علم بمن سوف يستمعون إلى هذا التسجيل، ومتى وكيف سيتم التخلص من هذا التسجيل أو محوه. وهناك من الباحثين من يعيد تسجيل المقابلة للشخص الذي أجرى معه المقابلة عندما ينتهى البحث، أو في مرحلة أسبق من ذلك الوقت أحيانًا ليطالب منه أن يتحقق مما إذا كان لديه أى شيء يضاف إلى ما قاله أثناء المقابلة.

إن من حسن التصرف أن تبين للشخص الذي تجرى المقابلة معه كيف يوقف جهاز التسجيل إن كان لا يرغب في استمرار التسجيل. فقد يجد أحدهم أنه يتعذر عليه الكلام في بعض الموضوعات، وقد يفضل الكلام فيها ولكن بدون تسجيلها، وذلك على الرغم من أنه قد يظل موافقًا على استخدام هذه البيانات في البحث (وهو الأمر الذي ينبغي عليك التحقق منه). وفي بعض الأحيان قد يحتاج أحد المبحوثين لمجرد راحة قصيرة، وبعد دقائق قليلة يصبح مستعدًا لبدء التسجيل من جديد ومواصلة المقابلة.

قد تكون مقابلة الجماعات أصعب في تسجيلها، كما أن من اللازم وجود ميكروفون ذي نوعية ممتازة لضمان تسجيل أصوات كل أعضاء الجماعة بوضوح. فإن حدث

تداخل بين المتحدثين المختلفين فقد يتعذر التمييز بين الأصوات. ورغم أن بيانات جماعات المناقشة المركزة (البورية) (الفصل 5) تعتبر بيانات جماعات أو بيانات جماعية وأن الأفراد المشاركين فيها لا يتم تمييزهم كأفراد في العادة، فقد يكون من المفيد عند معالجة هذه البيانات أن تكون قادرا على تمييز الأصوات المختلفة. وإن كنت تأمل أن تكون قادرا على أن تفعل ذلك، فقد يقتضى الأمر أن تحت المشاركين على أن يتحدث كل واحد منهم في وقت لا يتحدث فيه أحد غيره.

يقتضى تسجيل المقابلة ألا يتشتت انتباه الباحث الذى يجرى المقابلة بسبب اضطرابه لتدوين الملاحظات. ومع ذلك، ينبغي أن يظل الباحث منصتا إيجابيا، فيستمر متيقظا للكلمات التى يقال، ومعنا النظر فيما يقوله المبحوث، ومستعدا لما يتناسب مع أسلوب المقابلة من متابعة وتعقيبات يسر بها الباحث أغوار المبحوث أو توجيه مزيد من الأسئلة التى يمكن أن تقوده إلى المزيد من المعلومات.

من الممكن أن يكون التسجيل الفيلمي بالفيديو لمناسبة يشترك فيها عدد من الأفراد؛ أن يكون مصدرا مفيدا للبيانات التى تجرى ملاحظتها. ومع ذلك فلا بد أن تكون منتبها للأثر الذى يحدثه هذا التسجيل على سلوك من يتم تصويرهم، كما أنه سيكون من الضرورى فى بعض المواقف أن تتحصل على موافقة جميع من يشملهم التسجيل (فصل 5 باب 1). ويتوقف ذلك على ما إذا كانت ملاحظتك ظاهرة أو مستترة (الفصل 6)، وعلى طبيعة الموقف الذى يجرى تسجيله.

استخدام معدات التسجيل

تتوافر تشكيلة متنوعة من معدات التسجيل الصوتى والفيلمي. ويتمثل الاختلاف الرئيسى بين نماذج الأجهزة فيما إذا كانت تسجل على الأشرطة أم تسجل رقميا. وللتسجيل الرقمى عدد من المزايا حيث تحفظ هذه التسجيلات فى صورة ملفات، كما يمكن نقلها إلى الحاسب الآلى. ولكل عملية تسجيل مؤشر عددى أو توقيت ملصق بها، مما يعنى أنك تكون قادرا على التنقل فى نطاق عملية التسجيل هذه بسرعة وسهولة، وأنت تستطيع كذلك أن تستعمل هذا المؤشر كوسيلة لإضافة العلامات التى تكون على شكل أعلام، أو أسهم تشير إلى مراحل معينة من التسجيل. ويمكن استخدام هذا المؤشر العددي فى عملية التحليل (فصل 2 باب 4). ومع أن للمسجلات ذات الأشرطة نظاما عدديا أيضا، إلا أنها تكون أقل دقة، كما أن استعمالها أكثر صعوبة عادة.

نسخ البيانات المسجلة

إن أردت أن تكون قادرا على معالجة ما تسجله من بيانات فى إحدى المقابلات أو فى جماعات النقاش معالجة حرفية كاملة (كلمة كلمة) ، فسيكون من الضروري نسخ كل مقابلة . وأعنى بذلك أن تنقل البيانات السمعية إلى صورة مكتوبة . وهذا نشاط يستنفد كثيرا من الوقت ويقوم به الباحث بنفسه أحيانا ، أو قد يقوم به ناسخ مدرب لقاء أجر . فإن كنت ترجو أن تنسخ بياناتك المسجلة بنفسك ، فينبغى أن تكون متنبها لحقيقة أن كل ساعة من التسجيل الصوتى يمكن أن تستغرق من ثلاث إلى أربع ساعات لكى تنسخ فى صورة مكتوبة .

ورغم أنه يمكنك أن تقوم بعملية النسخ مباشرة من جهاز التسجيل عن طريق الإنصات إلى أجزاء صغيرة أو قصيرة من الكلام ثم كتابة الكلمات على الآلة وأنت تستمع إليها ، فمما نوصيك به أن يتاح لك استخدام آلة ناسخة بقدر الإمكان . وهذه الآلة هى جهاز تسجيل يعيد تشغيل التسجيل فى أجزاء قصيرة ، مما يسمح بكتابة الكلمات على الآلة . ويساعد على تسهيل هذه العملية وجود بدال يدار بالقدم وغيره من أجهزة التحكم فى الآلة الناسخة .

فإن كان نسخ كل المقابلات يستغرق وقتا طويلا ، فإننا نوصيك باتباع عملية تقوم على الإنصات إلى تسجيل كل مقابلة على حدة وتدوين ملحوظات مفصلة تحت عناوين رئيسية أو تحت أفكار محورية (أو موضوعات رئيسية) (فصل 4 باب 4) ، بما تتضمنه هذه الملحوظات من مقتبسات حرفية لبعض الكلمات التى نطق بها المستجيب ، والتى يتم فيها طرح قضايا وثيقة الصلة بموضوع البحث بصورة خاصة ، أو يستعمل فيها البحوث كلمات أو يعبر عن تصورات فكرية بطريقة تثير الاهتمام أو وثيقة الصلة بموضوع البحث .

مهارات التأمل

لاحظ أن جمع البيانات إنما هى عملية تعلم . إذ إن كل جزئية من أجزاء البحث تعد -وبصرف النظر عن خبرة الباحث - شيئا جديداً ومختلفاً . لذلك يحتفظ بعض الباحثين بدفتر يوميات للبحث طوال مدة إجراء البحث ، ويستعمل غيرهم نموذج تسجيل يحوى ملاحظاتهم ، وأفكارهم ، وتأملاتهم الشخصية .

يمكن لسجل التعلم أو سجل المعرفة، أو لدفتر يوميات البحث أن يحقق واحدا من الأغراض التالية أو يحفظها كلها، وهى:

- توفير سجل لتصورات الباحث وأفكاره بشأن العملية البحثية. وقد يحتوى هذا السجل على الأفكار النظرية الأولية، وعلى الأفكار التى يقرر الباحث الرجوع إليها فيما بعد أثناء تنفيذ العمل، كما يشتمل على ما طرأ على تفكير الباحث أو خطته من تغييرات وعلى أسباب هذه التغييرات.
- توفير سجل مؤرخ بكل مرحلة من مراحل البحث، وبالقرارات التى اتخذت، والأنشطة التى أنجزت، وعملية البحث عن التراث المنشور فى موضوع البحث، وأنظمة الترميز، والتحليلات التى أجريت.
- توفير سجل لملاحظات الباحث الشخصية عن البحث أثناء تنفيذه: ما الذى يتحقق فيه بنجاح وسبب ذلك، وما الذى يتعين تغييره؟
- توفير سجل للمعرفة التى تحصل عليها الباحث بنفسه من حيث: تحديد ما لديه من مهارات وأوجه قصور، ومشاعره المتعلقة بالبحث وبتقدمه فى مراحل، وبتعلمه من أخطائه ومن خبراته السارة وخبراته غير السارة؛ فيتعرف بذلك على الطريقة التى يتبعها فى تحسين مستوى مهاراته وأدائه.

ويمكن أن يكون سجل التعلم أو دفتر اليوميات نافعا كل النفع حينما يضاف إليه ما يضاف من الأفكار والملاحظات بصورة منتظمة وحين يكون خاصا بالباحث وحده، فلا يكتب فيه أحد غيره. وتهىئ كتابة سجل التعلم فرصة للتأمل الأمين (أى: الدقيق والنزيه غير المتحيز) فى كل جوانب البحث وفرصة لتحديد الطرق التى ستتبع فيما بعد. وينبغى لهذا السجل أن يركز أساسا على الجوانب التى حققت نتائج إيجابية، وعلى سبب هذا النجاح، وذلك حتى تطبق هذه الدروس على جوانب العملية التى لا تسير مثل هذا السير الحسن. ويساعدك الوعي بأن إجراء البحث الاجتماعى عملية تعلم، خاصة إذا كان هذا البحث يجرى تنفيذه كجزء من برنامج دراسى؛ يساعدك الوعي بذلك على التعلم من خلال الخبرة والممارسة وعلى التعرف على جوانب قوتك وكذلك على المجالات التى تحتاج إلى تطوير وتحسين.

بحثك

ابدأ دفتر يوميات بحثك

عُدْ إلى قائمة مراجعة المهارات واستعمل النموذج أدناه للبدء في كتابة دفتر يومياتك .

موضوع البحث: ----- التاريخ: ---

الطرق الممكنة لجمع البيانات: -----

مهارات سأحتاج إليها	ما أوجه قوتى وأوجه قصورى فيما يتصل بهذه المهارة؟	كيف أستطيع أن أطور وأحسن مستوى هذه المهارة؟
1		
2		
3		
4		
5		

الفصل الثالث

الاستبيانات

محتويات الفصل

- ما الاستبيان؟
- استخدام الاستبيانات في البحث الاجتماعي.
- اختيار المشاركين في مسح الاستبيانات.
- الاستبيانات والقضايا الأخلاقية.
- الاعتبارات العملية.
- طبيعة بيانات الاستبيانات وأسلوب تحليلها.
- جودة البحث.
- المراجع وقراءات الاستزادة.

عن السياق

نعلم جميعًا ما الاستبيانات ، أو - في أقل تقدير - نتصور أننا نعلم ما الاستبيانات لأنها شائعة للغاية في حياتنا اليومية. فقد ملأنا استبيانات عن شتى الموضوعات والقضايا المختلفة.

والاستبيانات كذلك أداة شائعة كل الشيوخ بين الدارسين كوسيلة لجمع البيانات ، وربما يرجع سبب ذلك إلى أنه يُنظر إليها باعتبارها وسيلة «سهلة» (والاستبيانات ليست كذلك). وفي هذا الفصل نتناول عملية وضع الاستبيانات ونحدث عن مزايا وعيوب استعمالها.

ربما تكون الاستبيانات أكثر الطرق شيوعاً في جمع البيانات من المشاركين في البحث . وقد تزايد استخدام الاستبيانات كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية بوتيرة سريعة خلال القرن العشرين ، جنباً إلى جنب تطور التقنيات الإحصائية التي مكنت الباحثين من التعامل مع أعداد ضخمة من الحالات والمجموعات المعقدة من البيانات . وكان أحد أوائل الاستبيانات التي استخدمت في المملكة المتحدة متمثلاً في الإحصاء الرسمي لعدد السكان (والذي أجرى لأول مرة سنة 1831) . كان الموظفون القائمون بالتعداد السكاني (العُدادون) يذهبون من باب إلى باب ومعهم استمارات يدونون فيها اسم كل واحد من السكان ، وسنه ، ومكان ميلاده ، ومهنته . ولا ريب أنهم كانوا يطرحون مجموعة من الأسئلة عن كل رب أسرة لمساعدته على ملء هذا النموذج . وخلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كانت البيانات الواقعية عن الأفراد لا يتم جمعها فقط من جانب الحكومة ، بل كانت تجمعها أيضاً الهيئات الصحية ، والصناعية ، والخيرية محاولة الوصول إلى معرفة المزيد عن الظروف الاجتماعية ، خاصة ظروف الأفراد في المدن الصناعية (كما فعل ذلك هنري ما يهيو H. Mayhew و تشارلز بوث C. Booth ، وسييوم راونترى S. Rowntree) . ففي الفترة السابقة على الحرب العالمية الثانية وفي أثنائها توافرت الظروف التي دفعت إلى إجراء مسح العينات الكبيرة ، والتي منها ”المسح الجديد للحياة والعمل في لندن“ ، والدراسات التي تناولت البطالة ، والإسكان ، والصحة (بالمر Bulmer ، 1982) .

ما الاستبيان؟

- 1 - هو قائمة من الأسئلة لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات .
- 2 - هو استمارة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسياً ، والمقننة نسبياً ، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة .

كانت معظم البيانات التي جمعت في هذه المسوح المبكرة بيانات واقعية عن الأفراد وخبراتهم . ومع ذلك كان الباحثون الاجتماعيون يرغبون - أيضاً - في استكشاف

آراء الأفراد وقيمتهم، كما بدؤوا في تطوير طرق لقياس هذه الأمور مستخدمين مجموعة من الأسئلة. وأشهر هؤلاء الباحثين كان رنسيس ليكرت R. Likert، وهو عالم نفس أمريكي (1903 - 1981) كان مهتماً بالتنظيمات الإنسانية. ويرجع إليه الفضل في تطوير ما أصبح يعرف باسم «مقياس ليكرت» (انظر موضوع «أنواع الأسئلة» في موضع لاحق من هذا الفصل) ليتمكن مبعوثيه من تقييم العبارات الدالة على الأفكار وتلك الدالة على الاتجاهات على امتداد مقياس ذي خمس نقاط (عادة)، تبدأ بعبارة «أوافق بقوة» وتنتهي بعبارة «أرفض بقوة». ومنذ ذلك الوقت طورت طرق أخرى لتقدير درجات العبارات، وذلك لاستخدامها على وجه الخصوص في الاختبارات السيكولوجية، وفي بحوث التسويق، وبحوث التقويم.

في نفس الوقت كانت بحوث التسويق تتطور ويتزايد استخدامها للاستبيانات كأداة للتعرف على آراء الناس ورغباتهم. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، أنشئ «المسح الاجتماعي الحكومي» للقيام بمسوح واسعة النطاق لحساب مختلف الإدارات الحكومية، وهي المسوح التي أصبح من المعتاد فيها استخدام استبيانات طويلة وتفصيلية. ونظراً لتطور التقنيات الإحصائية ولظهور الحواسيب الآلية، أصبحت التحليلات الأكثر دقة وعمقا للبيانات أمراً ممكناً وميسوراً. وقد صممت بعض المسوح المتقدمة ذات النطاق الكبير في أواخر القرن العشرين، ومنها مثلاً «مسح الإنفاق الأسري» (والذي أصبح اسمه حالياً «مسح الإنفاق والغذاء»، والمتاح على موقع www.esds.ac.uk/government/efs/ وكان آخر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009). بجانب «المسح العام للأسرة» (والمتاح على موقع www.statistics.gov.uk/satbase/prep/5756.asp، وكان آخر دخول عليه بتاريخ 15 أغسطس 2009)، كما أن فرقاً من الباحثين ما زالوا يجرون المقابلات مع عينة من الأسر مستخدمين في ذلك استبيانات تفصيلية على مدار العام.

وقد أصبح من الشائع اليوم استخدام الاستبيانات على كل مستويات البحث الاجتماعي، ابتداءً بالمشروعات البحثية المحدود النطاق كتلك التي يقدمها الطلاب والمشروعات البحثية على مستوى المجتمعات المحلية، وانتهاءً بالمسوح الدولية الواسعة النطاق. والأمر المشترك بين كل الاستبيانات يتمثل في صياغة مجموعة من الأسئلة (وكذلك الإجابات) التي تساعد الباحث في الإجابة على أسئلة بحثه أو في اختبار فرضه البحثي.

ما الاستبيان؟

الاستبيان عبارة عن مجموعة من الأسئلة يمكن للمشاركين في البحث أن يجيبوا عليها بعدة طرق . ومعظم الاستبيانات مصممة لجمع البيانات المقتنة (انظر قائمة المصطلحات) من قبل (فصل 3 باب 1 ، والفصل 4 باب 2) . ولهذا يحتوى الاستبيان على مجموعة من الإجابات التي يمكن للمبحوث أن يختار من بينها ، وذلك بالرغم من أن بعض الاستبيانات قد تحتوى على أسئلة مفتوحة (انظر قائمة المصطلحات) التي تسمح للمبحوث أن يجيب على السؤال بطريقته الشخصية . ويُطرح على جميع المبحوثين نفس الأسئلة ، وبنفس الترتيب ، وباستخدام نفس العبارات ، كما يكون أمام كل سؤال عدة إجابات يجرى الاختيار من بينها .

البحث الواقعي

التعداد العشري للسكان (أى كل 10 سنوات)

فى المملكة المتحدة يتم إجراء تعداد سكانى كل عشر سنوات . وقد أجرى أول تعداد سكانى عام 1831 ، ثم ظل يتكرر تنفيذه كل عشر سنوات (باستثناء عام 1941 ، لأنها حلت أثناء الحرب العالمية الثانية) وحتى وقتنا الحاضر . وأجرى آخر تعداد سكانى فى يوم 27 مارس 2011 .

والتعداد السكانى عبارة عن مسح لجميع الأسر والأفراد فى البلاد ، وذلك بهدف توفير الإحصائيات التى تستفيد بها الحكومة كما أنها تكون متاحة كذلك - فى الغالب - لمؤسسات وهيئات أخرى ، بما فيها المنظمات الصناعية والتجارية . للاطلاع على تاريخ التعداد السكانى ، انظر موقع www.ons.gov.uk/census/census-history/index.html

يعتبر هذا التعداد السكانى استبياناً كبيراً يسلم لكل بيت فى بريطانيا (يوجد نظام معقد لمساعدة الأفراد الذين يجدون صعوبة فى استيفاء بيانات هذا التعداد وحدهم) . ويستخدم التعداد السكانى من جانب الحكومة - خاصة - لخدمة أغراض رئيسية ثلاثة هي:

1 - مراقبة حجم السكان ، وتركيبهم ، وأعمارهم ، وانتماءاتهم الإثنية ... إلخ .

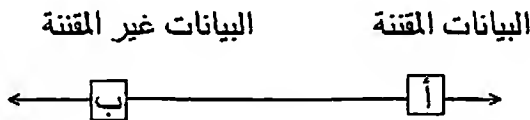
2 - تخطيط عمليات توفير الخدمات في المستقبل .

3 - مراقبة أساليب تقديم الخدمات حاليا ، ومراقبة السياسات المتبعة .

ومع ذلك فإنه يعد أمرا استثنائيا لسببين هما:

- أن استيفاء التعداد إلزامي بحكم القانون . وهذا معناه أن قضية معدلات الاستجابة الضعيفة كان ينبغي ألا تثور (*) (في الوقت الحالي يُغرم من يقصرون في استيفاء التعداد السكاني مبلغ ألف جنيه استرليني - حوالى عشرة آلاف جنيه مصرى) .
- العينة والسكان متماثلان (فصل 5 باب 2) . وهذا أمر استثنائي للغاية ، وذلك بسبب ضخامة الحجم (الذى يتجاوز في بريطانيا ستين مليون نسمة) وبسبب ضخامة الموارد اللازمة لتنفيذ ذلك .

(*) الإشارة إلى تعبير «المليون المفقودون» إذ قصر حوالى مليون فرد في استيفاء التعداد السكاني الذى أجرى عام 1991 (انظر مثلا موقع www.independent.co.uk/news/uk/missing-million-indicates-poll-tax-facto-in-census1557887.html/ ويقال إن سبب ذلك يرجع إلى أن الحكومة كانت تخطط لفرض ضريبة على الناخبين ، وأن هؤلاء المليون كانوا يعتقدون أنهم إن لم يسجلوا في التعداد السكاني فسوف يفلتون من الخضوع للضريبة .



البيانات المقننة وغير المقننة:

أ - معظم الاستبيانات تحوى إجابات مقننة .

ب - بعض الاستبيانات بها بعض الأسئلة المفتوحة التى تجمع بيانات شبه مقننة .

الشكل (3-1) : الاستبيانات على متصل البيانات المقننة وغير المقننة

نظرا لأن البيانات تكون فى شكل موحد قياسيا ، فإن بالإمكان عدّها ومعالجتها كبيانات تم ترميزها (مكوّدة) أو بيانات رقمية. وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا معناه أن تصميم الاستبيان هو أهم مرحلة ، إذ إن التصميم هو الذى يحدد كلا من الأسئلة والإجابات التى يتوجب على الباحث معالجتها فى نهاية الأمر . فإذا طرحت الأسئلة غير المناسبة - أو أعطيت المبحوث مجموعة من الإجابات غير المناسبة - فلن تجمع البيانات التى تريدها وتحتاج إليها للإجابة على سؤال بحثك . إن صدق استبيانك - أى التأكد من أنك تجمع البيانات التى تتصور أنك تجمعها - أو صدق أداة البحث (انظر الفصل الأول) هى إحدى قضايا جودة البحث الأساسية التى يجب أخذها بعين الاعتبار (انظر فقرة: «اختبار جودة البحث» لاحقا فى هذا الفصل).

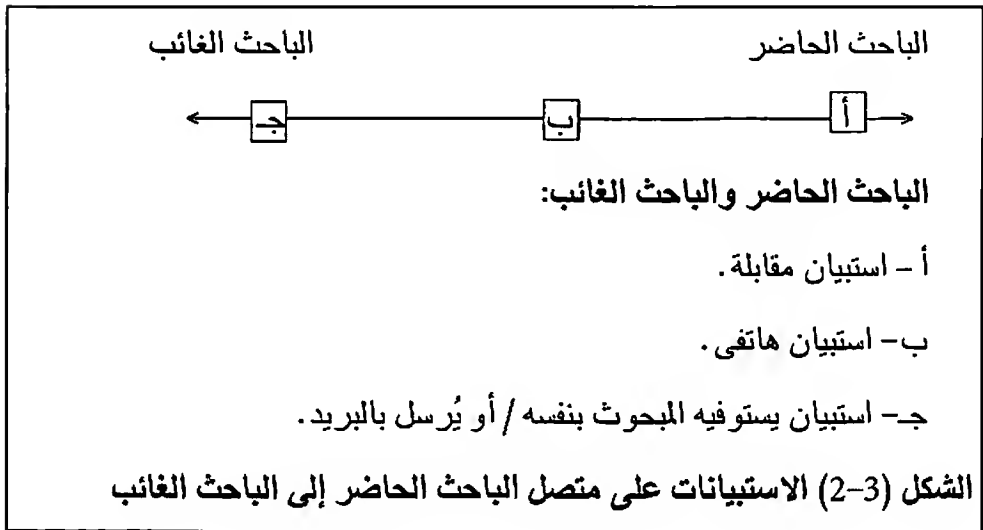
والاستبيان - كما يدل عليه اسمه - عبارة عن مجموعة من الأسئلة ، من قبيل:

- هل تعيش فى الحى السكنى «ليدى وود»؟
- كم عدد الأطفال دون 16 سنة الذين يعيشون معك؟
- ما مدى رضاك عن الخدمة التى يقدمها المركز الطبى فى حيّك السكنى؟

إلا أن نماذج جمع البيانات التى لا تحتوى على أسئلة بل تسأل عن معلومات ، يمكن اعتبارها - هى الأخرى - استبيانات لأن لها سمات مشابهة للاستبيانات . فهذه النماذج يمكن أن تحتوى على استمارات أو نماذج تجمع عددا من المعلومات عن شخص معين أو موقف ما ، ومنها مثلا النماذج المصممة لتسجيل التحصيل الدراسى للطالب ، أو أعداد ونوعيات الأفراد العاملين فى موقع معين ، أو السمات الشخصية المميزة للأفراد العاملين فى موقع معين ، أو السمات الشخصية المميزة للأفراد أعضاء ناد معين ، أو المعلومات المستقاة من بعض الوثائق . وتستخدم النماذج أيضا فى تسجيل الملاحظات ، ومن أمثلتها: عدد الأفراد الذين يتناولون الطعام بمفردهم فى أحد المطاعم ، أو عدد المرات التى ينقسم فيها كل شخص ، أو عدد المرات التى يتحدث فيها الطالب فى سيمينار (حلقة المناقشة) (الفصل السادس) . وتشتمل هذه النماذج التسجيلية على أسئلة بشكل ضمنى ، وهى بهذه الصفة تنقسم بخصائص مشابهة لخصائص الاستبيان .

ويمكن استخدام الاستبيانات بعدة طرق . فأحيانا يستخدم أحد الاستبيانات كأساس لمقابلة . وبذلك يوجد شىء من التفاعل بين المبحوث والباحث (أو الشخص الذى يجرى

المقابلة). وقد تكون هذه المقابلة مباشرة، أو بواسطة الهاتف، أو عبر البريد الإلكتروني (الإيميل). وفي مواقف أخرى يصمم الاستبيان كاستبيان يستوفيه المبحوث بنفسه دون حضور الباحث بشخصه. وقد يسلم الباحث بنفسه الاستبيان للمبحوث، أو يرسله بالبريد العادي أو بالبريد الإلكتروني، أو يضعه على الإنترنت (الفصل العاشر). وأيا ما كان الأمر، وأيا كان الموقف الذي يجيب فيه المبحوث عن الأسئلة، فإن هذه الأسئلة تكون موحدة ويكون الاختيار من بين الإجابات موحدا أيضا. وإن استخدم الاستبيان كمقابلة، فلا بد - حينئذ - أن يقرأ الشخص الذي يجرى المقابلة الأسئلة والإجابات بنفس الطريقة لكل فرد ممن يقابلهم، وعليه ألا يقدم للمبحوث مساعدة إضافية من عنده، أو أى إشارات تحثه على الإفاضة فى الكلام، أو تعليقات لأن هذا قد يؤثر على الطريقة التى بها يسمع المبحوث الأسئلة ويجيب عليها. والواقع فعلا أن التفاعل بين القائم بالمقابلة والمبحوث يكون مقصورا على الأسئلة والإجابات.



استخدام الاستبيانات فى البحث الاجتماعى

تستخدم الاستبيانات على نطاق واسع فى مواقف البحث الاجتماعى، وفى اكتشاف المعلومات عن جميع أنواع القضايا والظواهر الاجتماعية. ورغم أن الاستبيانات مفيدة خاصة فى جمع البيانات الواقعية، والتى منها مثلا: أعمار الأفراد، أو نوعهم، أو

دخولهم ، أو انتفاعهم بالخدمات؛ فإنه يمكن كذلك استخدامها في جمع آراء الأفراد ، وأفكارهم واتجاهاتهم ، ومعارفهم ، وخبراتهم . لذلك يجب ابتكار الطرق المختلفة لطرح الأسئلة التي تمكن الباحث من جمع هذه البيانات التقييمية (فصل 3 باب 1) ، وسوف نمعن النظر فيما بعد في بعض الاتجاهات والأساليب التي قد تأخذ بها .

و غالبا ما يتم اختيار الاستبيانات لجمع البيانات في تصميم بحثي مقطعي (مقارن) أو طولي (تتبعي) (فصل 3 باب 2) ، وحين تجمع البيانات من إحدى العينات (فصل 5 باب 2) المختارة من مجموعة أو مجتمع أكبر . وقد يكون غرض البحث عقد المقارنة بين خصائص وخبرات مجموعات مختلفة من الناس أو البحث عن العلاقات القائمة بين هذه الخصائص المختلفة (فصل 3 و 4 باب 2) .

البحث الواقعي

المسح البريطاني للجريمة

تم تنفيذ المسح البريطاني للجريمة على فترات زمنية منذ سنة 1982 (ويتم تنفيذه سنويا منذ العام 2001) . وهو أحد المسوح المقطعية الكبرى في إنجلترا وويلز . ويقوم بتنفيذه حاليا «المكتب البريطاني لبحوث التسويق» لحساب وزارة الداخلية . وهذا المسح مصمم للتعرف على مدى انتشار وطبيعة الجريمة في إنجلترا وويلز (ويتم تنفيذ مسح مشابهة بصورة عارضة في اسكتلندا وأيرلندا الشمالية) . وهو يطرح على الأفراد أسئلة تتعلق بخبراتهم عن الجريمة (بما فيها جرائم الأموال وجرائم العدوان على الأشخاص) خلال العام السابق على إجراء المسح . ويشمل هذا المسح الجرائم التي لم تبلغ للشرطة ، كما أصبح هذا المسح يعد أداة جيدة لتقدير المدى الحقيقي لانتشار الجريمة ولطبيعتها . كما تم تضمينه عدة أسئلة تستهدف الكشف عن آراء المستجيبين في السياسات الحكومية والقانونية الراهنة المتعلقة بالجريمة .

العيينة: يتم سنويا تغطية ما يقرب من 40.000 شخصا ممن تتجاوز أعمارهم 16 سنة .

الاستبيان: يتولى مهمة استيفاء الاستبيان المسحى مجموعات من الباحثين الذين يقومون بتوجيه معظم الأسئلة إلى أفراد العينة. ويتم إدخال الإجابات في جهاز حاسب آلي محمول (لاب توب) أثناء إجراء المقابلة. ويترك لأفراد العينة قسم يستوفونه بأنفسهم ليجيبوا عليه بمعرفتهم على الكمبيوتر. ويشمل هذا الجزء أسئلة تتعلق بالسلوك الشخصي للمستجيبين، بما في ذلك سؤالهم عما إذا كانوا قد تعاطوا عقاقير محظورة قانوناً. وعن مقدار المشروبات الكحولية التي يتناولونها. (الاستبيان الخاص بالمسح البريطاني للجريمة للعام 2007-2008 متاح على الموقع التالي: www.data-archive.ac.uk/doc/60666/mrdoc/questionnaire-pdf وقد تم آخر دخول عليه في 15 أغسطس 2009).

وكما هو الحال مع غيره من المسوح الكبرى العديدة، فإن معلومات وتقارير ونسخ هذه الاستبيانات متوفرة في "إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية" (على موقع www.esdc.ac.uk/about/abou.asp وقد تم آخر دخول عليه في 15/8/2009). كما أن البيانات المستقاة من "المسح البريطاني للجريمة" متاحة لإجراء التحليلات الثانوية عليها، لدى إدارة البيانات الاقتصادية والاجتماعية.

مزايا استخدام الاستبيانات في جمع هذه البيانات

- تكون البيانات التي يتقرر جمعها في شكل موحد قياسياً.
- يتطلب الأمر إجراء مسح واسع النطاق للتأكد من تغطية مجموعة كبيرة من الأفراد والخبرات، وضمان تعميم النتائج على مجموع مجتمع البحث.
- معظم البيانات التي يتم جمعها واقعية.
- استخدام نفس الأسئلة سنة بعد سنة يتيح فرصة عقد المقارنات على مدى الزمن (تاريخياً)، وكذلك مقطعياً (بين الفئات والشرائح المختلفة).
- يمكن إدخال البيانات في حاسب آلي، وبذلك تكون جاهزة للتحليل الإحصائي.

اختيار المشاركين فى مسح الاستبيانات

تستخدم الاستبيانات عادة عندما يتم سحب عينة عشوائية من مجموعة سكانية، أو عند استعمال عينة حصىة. وتتوقف مواصفات العينة المختارة على سؤال البحث وعلى طبيعة البيانات الجارى جمعها. ومع ذلك فمن الشائع جدا أيضا استخدام الاستبيان فى أغراض أخرى، منها مثلا: جمع المعلومات عن سائر الأفراد الذين يشهدون حدثا أو واقعة معينة أو من لهم وضع صحى معين يحتاج لمعالجة طبية. وفيما يتصل بحجم العينة، تذكر فى هذا الشأن نقطتين رئيسيتين هما:

(أ) إن كانت العينة عينة عشوائية مسحوبة من مجموعة سكانية، فمن الضروري إدخال الحجم فى الاعتبار مع التأكد من أن الجماعات الصغيرة العدد ممثلة بصورة كافية.

(ب) وإن لم تكن العينة عشوائية، فتأكد من أن المجموعات التى تريد عقد المقارنة بينها متضمنة فى العينة بأعداد كافية (الفصل 5 باب 2).

البحث الواقعى

باحثو المجتمع المحلى

اهتم عدد من نشطاء المجتمع المحلى فى إحدى المناطق المحرومة بسبب افتقار الكبار والصغار لأنشطة قضاء وقت الفراغ داخل هذا الحى السكنى. كما كان هؤلاء النشطاء يدركون أيضا أن المعلومات المتعلقة بالأنشطة والخدمات المحلية لا تصل دائما إلى من هم فى حاجة إليها.

لهذا وضع هؤلاء النشطاء استبيانا موجزا اشتمل على أسئلة عن:

- الاستعمال الحالى للمرافق المخصصة لقضاء وقت الفراغ، ونوادى الحى السكنى، والأنشطة التى يقوم بها الكبار وأطفالهم (إن كان لديهم أطفال دون 16 سنة).

- مقياس لرصد درجة رضاهم عن مرافق وقت الفراغ الموجودة في هذه المنطقة.
 - أنشطة وقت الفراغ التي يحبون هم (وأطفالهم) أن يتاح لهم ممارستها في هذا الحي السكني.
 - الطرق التي يتبعها الأفراد في التعرف على ما في هذه المنطقة من أنشطة ومسابقات اجتماعية ورياضية.
 - استعمالهم لأشكال الاتصال المختلفة: كالمصقات، والكتيبات، والصحف، والإنترنت، والإذاعة المحلية.
- أُدرج في الاستبيان سؤالان مفتوحان للسماح للمستجيبين بطرح أفكارهم وآرائهم الشخصية. فإن أبدى الفرد المختار ضمن العينة رغبة في الإجابة على الاستبيان ساعده باحثو المجتمع المحلي على استيفائه باستخدام الاستبيان كمقابلة.
- قام الباحثون باستخدامهم لعينة حصىة وفقا لسمات: العمر، والجنس، والانتماءات الإثنية الموجودة داخل هذا الحي؛ قاموا بتوزيع الاستبيان الذي يستوفيه المستجيب بنفسه في عيادات الأطباء، وفي المدارس الواقعة في أطراف الحي، وفي المركز التجاري، والمركز الاجتماعي، وفي أثناء الاحتفال المحلي المسمى "يوم اللهو والمرح". وكان هدف هذه المجموعة من النشاط الحصول على 100 استبيان مستوفي الإجابات.

مزايا استعمال الاستبيان

- مكن الاستبيان هذه المجموعة من جمع البيانات من طائفة من الأفراد بأسلوب موحد قياسيا، مما يجعل من السهل تحليلها.
- أمكن تصميم الاستبيان بحيث يسهل استيفاؤه في مواقف متنوعة.
- نظرا لقلّة الموارد التي كانت متاحة لهذه المجموعة من النشاط، كان الاستبيان أكثر الطرق فعالية في جمع البيانات من طائفة متنوعة من الأفراد الذين يعيشون في هذه المنطقة.

الاستبيانات والقضايا الأخلاقية

من الممكن أن يكون الاستبيان غُفلا من ذكر اسم المستجيب ، وليس من الضروري دائما الحصول على اسم أو على سمة مميزة تتيح التعرف على المستجيب . فإن أردت الحصول على اسم المستجيب ، فلا بد أن يكون لديك سبب وجيه لهذا التصرف ، فربما تكون راغبا في الالتقاء شخصا مع بعض مستجيبك لتنفيذ مرحلة تالية للبحث . ومع ذلك لا بد أن تحرص على ألا يكون من الممكن التعرف على الأفراد أو الجماعات الصغيرة العدد عند عرض نتائج بحثك . فإن كنت تتوى أن تحلل نتائجك عن طريق عقد المقارنة بين آراء الأفراد ذوى الأعمار المختلفة والمهن المختلفة مثلا ، يتعين عليك أن تتأكد من أن لديك من الأفراد فى كل مجموعة صغيرة (عمرية أو مهنية ... إلخ) العدد الذى يكفى لتمثيل تلك المجموعة ، ولتجنب التعرف على هوية أفراد من العينة .

من الممكن أن تكون الاستبيانات ذات طابع استبعادي ، فالاستبيان الذى يملؤه المستجيب بنفسه يستبعد الأفراد الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، وكذلك الأفراد الذين لا يتحدثون باللغة التى كتب بها الاستبيان . كما سيستبعد كل من ليس لديهم بريد إلكترونى أو هاتف من الاستبيانات المرسلة إلكترونيا أو المنفذة عبر الهاتف . ولهذا يجدر بك أن تأخذ فى اعتبارك بعض الوسائل البديلة لاستيفاء الاستبيانات الخاصة بأمثال هؤلاء الأفراد . ولا بد أن تكون التعليمات والإرشادات والمعلومات المذكورة فى الاستبيان واضحة ، لكى تضمن أن الأفراد يستطيعون ملأها على وجه صحيح . وإن كان الباحث حاضرا فى الوقت الذى يستوفى فيه الاستبيان ، فلا بد أن يكون التعريف به واضحا ، كما ينبغى التحقق من فهم المستجيب له . وعليك التزام الحذر فى صياغة عبارات الأسئلة بحيث لا يفهمها المبحوث بوصفها أسئلة تتضمن أحكاما أو أسئلة تمس أمورا حساسة ، ولكى يستطيع الأفراد أن يجيبوا عليها من غير حرج أو خجل . ففي المثال الخاص "بالمسح البريطانى للجريمة" ، الوارد فى برواز "البحث الواقعى" أعلاه ، والذى يتولى فيه المبحوث الإجابة عن معظم الأسئلة؛ فى ذلك المثال كان يسلم لكل مستجيب "لاب توب" (حاسب محمول) حتى يدخلوا فيه بأنفسهم إجاباتهم عن الأسئلة الحساسة التى تتعلق بتعاطى المخدرات وشرب الخمر . وإن كان الباحث حاضرا فى وقت ملء الاستبيان ، فلا بد من مراعاة علاقات القوة بين الباحث والمستجيب (فصل 5 باب 1) بحيث تتأكد من أن المستجيب لم يقع تحت ضغط لكى يشارك فى الإجابة على الاستبيان أو لكى يدلى بإجابات معينة .

الاعتبارات العملية

تصميم الاستبيان

تصميم الاستبيان هو أهم مرحلة في هذا النوع من البحوث لأنه بمجرد تصميمك للبحث تكون قد حددت الأسئلة والإجابات ، كما أنك لن تكون قادرا على التراجع والحصول على المزيد من المعلومات . فلابد أن تكون واثقا من أن الأسئلة التي تطرحها سوف تمكنك من جمع البيانات التي تحتاج إليها . وفي هذه الحالة يتعين عليك أن ترجع إلى تعريفاتك الإجرائية . كيف تطرح مجموعة من الأسئلة من شأنها أن تبين لك ما إذا كان شخص ما سعيدا أم غير سعيد؟ أو هل أمضى هذا الشخص عطلة ممتعة؟ أو حتى ما إذا كان قد تناول -فعلا - من الطعام ما قال إنه تناوله؟

لهذا يتعلق تصميم الاستبيان بنقطتين اثنتين في الآن معا ، هما: رسم خطة للطريقة التي ستبناها في قياس وجود شيء ما ، والاعتبارات العملية المتعلقة بالتوصل إلى مجموعة من الأسئلة والإجابات التي من شأنها أن تمكنك من تحقيق ذلك ، ومن شأنها كذلك أن تكون مفهومة لجميع مستجيبك وقابلة للإجابة عليها .

بحثك

يتطلب تفكيرك في موضوع بحثك وتصميم الاستبيان اللازم لجمع البيانات الإجابة على ما يلي:

- ما الذي تريد معرفته؟
- من هم الذين سيكونون قادرين على الإجابة عن الأسئلة؟
- هل سيفهمون هذه الأسئلة؟
- كيف سيجيبون على هذه الأسئلة؟
- هل سيكونون قادرين على الإدلاء بالإجابات التي يريدون إعطاءها؟

الأنماط المختلفة للبيانات

يصمم الاستبيان عادة لجمع أنواع مختلفة من البيانات التي تتضمن:

- بعض الحقائق المحددة عن بعض الأفراد أو الأحداث.
- بعض الأوصاف التي يدلى بها الأفراد لأمر ما حدث لهم مثلا.
- المعرفة: أى ما يعرفه هؤلاء الأفراد عن أمر ما.
- الآراء: ما آراؤهم فى أمر ما عايشوه أو يعرفون عنه شيئا؟
- الاتجاهات والقيم: اتجاهاتهم إزاء غيرهم من الأفراد، وإزاء بعض المؤسسات، وبعض الأفكار، وما أشبه ذلك.
- المعلومات المتعلقة بخلفية المستجيب: (أى عن بيئته الاجتماعية والثقافية) والتي قد تكون مرتبطة بموضوع البحث.

الأنماط المختلفة للإجابة

تشتمل الاستبيانات على طرق إجابة الأسئلة وعلى طرق لطرحها. وهاتان المجموعتان من الطرق مترابطتان بشكل واضح، فالطريقة التى يُطرح بها السؤال ستحدد نطاق الإجابات التى يتعين على المستجيب أن يختار من بينها. وفى الوقت الذى قد يبدو فيه أن هذه الحقيقة واضحة، قد لا يكون واضحا بصورة مباشرة أنك عند قيامك بتصميم الاستبيان يتوجب عليك أن تستحضر فى ذهنك البيانات التى ستجمعها، وكذلك الأسئلة التى يتعين عليك طرحها لتحصل على تلك البيانات. ويلاحظ أن طبيعة البيانات التى تجمعها هى التى تقرر مدى قدرتك على معالجتها حينما تصل إلى مرحلة التحليل. ونورد فيما يلى الأنواع الرئيسية للإجابات - أو البيانات - التى ستتحصل عليها من الاستبيان:

- عن الكمية مثل: عدد المرات، أو عدد الأشقاء... إلخ.
- عن الفئة مثل: الفئة العمرية من 16 - 25 سنة، أو فئة العمالة، كالعامل اليدوى مثلا... إلخ.

- إجابات تختار من بين قائمة من الإجابات المحتملة، مثل: نعم / لا / لا أدري ... إلخ.
- موقع الإجابة على مقياس ما مثل: مقياس ليكرت الذى يبدأ بعبارة "راض جداً" أو موافق بشدة"، وينتهى بعبارة "ساخط جداً" أو "رافض بشدة" وهكذا... .
- موقع الدرجة أو الرتبة مثل: اختيارك الأول، أو اختيارك الثانى، .. إلخ.
- البيانات المفتوحة: وهى الإجابات مكتوبة بالكلمات التى نطق بها المستجيبون.

أنواع الأسئلة

هناك عدة طرق مختلفة لطرح أى سؤال تقريبا. والأسئلة التالية مجرد جزء من أشيع الأسئلة استخداما فى الاستبيانات:

نعم / لا: يبحث أبسط الأسئلة عن إجابة بكلمة "نعم" أو كلمة "لا"، وهو يستخدم كطريقة للتمييز بين مختلف جماعات وفئات المستجيبين. ولا مجال - أساسا - لطرح سؤال يُجاب عليه "بنعم" أو "لا" إن كان من الراجح أن جميع المستجيبين سيجيبون بواحدة من هاتين الإجابتين دون الأخرى، وذلك ما لم تستخدم هذا السؤال كسؤال للتحقق والمراجعة تقصد به التأكد من أنك قد ظفرت بالمستجيبين الذين ترغب فى الحصول عليهم. وينبغى أن يكون جميع مستجيبك قادرين على الإجابة بكلمة "نعم" أو "لا"، إلا أنه مما نوصيك به أن تضيف فئة "لا أدري" أو "لا ينطبق"، لكى يختاره من المستجيبين من يكون غير قادر على الإجابة على هذا السؤال بنعم أو لا. وفى المثال التالى، من الممكن أن يكون المستجيب غير موجود فى بيته أثناء الستة أشهر الماضية لأنه كان راقدا فى المستشفى.

هل كنت غائبا عن بيتك فى عطلة لمدة أسبوع أو أكثر أثناء الشهور الستة الأخيرة؟

☐

نعم

☐

لا

☐

لا ينطبق

أى الفئات ؟ كم العدد؟ ما المقدار؟: من المحتمل أنك سترغب فى طرح أسئلة عن المستجيبين أنفسهم أو عن أحد المواقف . وهذه البيانات الواقعية (عادة) يتوجب جمعها بطريقة تجعل من السهل على المستجيبين تقديم هذه البيانات بشكل دقيق .

(أ) ما عمرك ؟ من فضلك ضع علامة (√) على الفئة العمرية التى تنتمى إليها .

- ☐ من 16 - 25 سنة
- ☐ من 26 - 40
- ☐ من 41 - 60
- ☐ فوق 60 سنة

(ب) يهمننا أن نعرف المزيد عن الأشخاص الذين يقضون العطلة معك . من فضلك حدثنا عن الأشخاص الذين أمضوا العطلة الأخيرة معك .

الأشخاص	العمر آخر عيد ميلاد	الجنس (أرجو وضع دائرة)	علاقة الشخص بك ، مثلا: طفلك ، أو شقيقك ، أو صديقك ، أو شريك حياتك ...
1		ذكر/أنثى	
2		ذكر/أنثى	
3. إلخ		ذكر/أنثى	

عند السؤال عن هذه المعلومات ينبغي عليك التفكير بحرص فى سبب حاجتك لهذه المعلومات ، وفى كيفية استخدامك لها . وهذه النقطة وثيقة الصلة بموضوعنا ، خاصة إذا كنت تسأل عن معلومات يمكن أن تكون حساسة ، كأن تكون متعلقة مثلا: بالجماعة العرقية للشخص ، أو بدينه ، أو بدخله . وتستخدم المنظمات التى تجمع هذا النوع من البيانات كجزء من المعلومات الخاصة بحالة العمل أو الصحة مثلا؛ تستعمل هذه المنظمات مجموعات موحدة قياسية من الفئات ، كما أنك قد تكون قادرا على الانتفاع بها . (يمكنك معرفة المزيد من المعلومات عن الأسئلة المتعلقة بهذه الموضوعات والمستخدم فى التعداد القومى لسنة 2001 على موقع www.statistics.gov.uk/about/ethnic_group statistics/introduction .asp وتم آخر دخول على الموقع يوم 15 أغسطس 2009).

ومع ذلك فإن أول سؤال يتوجب عليك كباحث أن تطرحه - وفي ذهنك أسئلة بحثك - يتعلق بما إذا كنت تحتاج إلى هذه المعلومات عن مستجيبك أم لا . فإن كنت تحتاج فعلا لهذه المعلومات ، فمن اللازم أن تشرح في الاستبيان سبب طرحك لهذا السؤال ، وأن تعطى مستجيبك الفرصة لاختيار عدم الإجابة عليه . وضع في اعتبارك أنه إن لم يجب على هذا السؤال عدد "كبير" من مستجيبك ، فقد لا تستطيع - في النهاية - الانتفاع بالبيانات المستمدة من هذا السؤال في تحليلك . كما أن مجرد طرح هذا السؤال قد يدفع بعض الأفراد إلى رفض المشاركة في بحثك .

كما ينبغي أن تفكر بعناية في الفئات أو التقسيمات التي سوف تستخدمها مستقبلا . فعليك مثلا أن تفكر - عند تصميمك لسؤال عن عمر المستجيب - أن تفكر في مدى احتياجك مستقبلا لاستخدام هذه المعلومات في تحليلك . فإن كنت لم تستقر بعد على الفئات العمرية التي ستحتاج إلى معالجتها ، فقد يكون من الأفضل أن تسأل المبحوث عن عمره في آخر عيد ميلاد له ، بدلا من أن تطلب منه أن يضع نفسه في مجموعة عمرية معينة . على أنك قد تضطر إلى تأجيل تصنيف هذه البيانات إلى مرحلة التحليل (فصل 2 باب 4) . لذلك يجدر بك عند بلوغك هذه المرحلة أن تفكر في الفئات العمرية التي تفيدك في بحثك .

فكر في هذا الموضوع . . .

الفئات العمرية

لاحظ أن مجموعاتك العمرية قد تكون - أو قد لا تكون - متساوية في طولها . وهذا يتوقف على الكيفية التي ستستخدم بها هذه الفئات العمرية وإلى أى مدى ترتبط هذه الفئات بأسئلة بحثك .

فإن كنت مهتما بسؤال المراهقين عن خبراتهم بالمدرسة فمن المحتمل أنك ستحتاج إلى سؤالهم عن السنة الدراسية المقيدون بها ، بدلا من سؤالهم عن أعمارهم .

وإن كنت مهتما مثلا بمدى تأثير البطالة على الأفراد في المراحل المختلفة من حياتهم ، فبوسعك أن تختار مجموعاتك العمرية بحيث تتوافق مع تلك المراحل ،

كأن تختار مثلا المجموعة العمرية من 16 - 25 سنة، ومن 26 - 40 سنة، ومن 41 - 50 سنة، ومن 51 - 65 سنة، وفوق 65 سنة.

ما فى نظرك سبب اختيارنا لهذه المجموعات العمرية؟

الاختيار من بين مفردات قائمة ما : إذا كانت هناك مجموعة من الإجابات نريد من المستجيبين الاختيار من بينها، فمن الشائع وضع هذه الإجابات فى قائمة ومطالبة المستجيبين أن يختاروا إجابة أو أكثر، أو أن يضعوا علامة على "كل الإجابات التى تنطبق على اختيارهم". فكر بعناية فى: ما المعلومات التى تريد الحصول عليها من وراء توجيه السؤال. وكثيرا ما يُدرج فى الاستبيان فئة إضافية عنوانها "آخر/أو أخرى" حتى يستطيع المستجيبون إضافة أى إجابات أخرى يشعرون أنها لا تتناسب مع الفئات التى قدمتها لهم ليختاروا من بينها، وذلك كما هو مبين فى المثال الأول أدناه. أما المثال الثانى فلا يتناسب مع إدراج الفئة التى عنوانها "آخر/أو أخرى".

(أ) خلال الشهور الستة الأخيرة هل قضيت أيا من أنواع العطلات التالية؟

ضع علامة (✓) على الأنواع التى تنطبق على حالتك:

- ☐ يوم عطلة داخل المدينة
- ☐ يوم عطلة على شاطئ البحر
- ☐ يوم عطلة فى مكان ريفى
- ☐ يوم عطلة آخر

ماذا كان نوع العطلة؟

(ب) عندما تختار قضاء يوم عطلة، فأى هذه العوامل هو الأهم عندك؟

ضع علامة (✓) على صندوق واحد:

- ☐ المكان •

- وسائل الإعاشة والتسلية ☐
- طول الرحلة ☐
- من الذى سيرافقنى؟ ☐
- الأفراد الذين سألتقى بهم ☐
- الأنشطة التى أستطيع المشاركة فيها ☐

ويمكن طرح شكل مختلف لهذا السؤال هو أن تطلب من المستجيبين أن يختاروا أهم عاملين ، أو أهم ثلاثة عوامل من وجهة نظرهم . أو يمكنك أن تطلب منهم أن يعطوا هذه العوامل درجات أو رتبا تبعا لأهميتها: فيعطون الرتبة (1) لأهم عامل ، إلى أن ينتهوا بإعطاء الرتبة (6) لأقل العوامل أهمية .

أوافق / لا أوافق على عبارة ما : إن كنت تريد جمع بيانات عن أفكار الناس ، أو قيمهم ، أو آرائهم ، أو اتجاهاتهم ، فيمكن أن تسأل المستجيبين عما إذا كانوا يوافقون أو لا يوافقون على عبارة من العبارات التى تحددها للاختيار من بينها . وتحتاج هذه العبارات نفسها إلى تفكير دقيق قائم على عدد من الاعتبارات:

- إلى أى مدى ترتبط هذه العبارة بسؤال بحثك ، أى ما المعلومات التى تأمل أن تكتشفها من وراء إدراجك لهذا السؤال فى الاستبيان؟
- هل سيفهم جميع المستجيبين العبارة بنفس الطريقة ، أى هل يمكن أن تتعدد وتتناوب معانيها فى نظر الأفراد المنتمين إلى ثقافات مختلفة أو الذين لهم خبرات متباينة؟
- هل تحتاج إلى إدراج عدد من العبارات عن موضوع معين للتعرف من خلالها على ما يتصوره الأفراد أو على ما يشعرون به؟
- هل هذا الحكم واضح لا لبس فى معناه؟

يتيح استخدام "مقياس ليكرت" للمستجيبين فرصة لإبداء مدى قوة شعورهم بالعامل الذى طرحته فى هذه العبارة ، كما يمكنها أن تميز بين الأفراد تميزا واضحا . على أنه إن لم تتوافر لك الفرصة لاختبار عباراتك والتأكد من وجود فروق أو

اختلافات حقيقية في درجة الاتفاق بين الأفراد على فهمها، فلا بد أن تلزم جانب الحذر فيما يمكنك ادعاءه عن مثل هذه الفروق. كما ينبغي أن تمنع النظر في كيفية استخدام الأفراد للفئة الوسطى (أو قل المحايدة) (ويمكن أن تسمى هذه الفئة أحيانا فئة: "لا أوافق ولا أعارض"، أو تسمى - كما سيرد في هذا المثال - فئة "غير مهم"). وفي هذه الأمثلة يكون اختيار المستجيب للفئة الوسطى أمرا له دلالة لأنه يشير إلى أن العامل المذكور في تلك العبارة ليس مهما في نظر ذلك الباحث.

من فضلك ضع دائرة حول أقرب الإجابات تصويرا لرأيك في كل عبارة من هذه العبارات:

- الطعام هو أهم جزء من نظري في أيام العطلة.
- أوافق بشدة أوافق غير مهم لا أوافق لا أوافق بشدة
- أحب أن التقى بالناس العاديين (أهل المنطقة) حينما أذهب لقضاء العطلة.
- أوافق بشدة أوافق غير مهم لا أوافق لا أوافق بشدة
- الطقس المشمس الدافئ أساسى لقضاء يوم عطلة جميل.
- أوافق بشدة أوافق غير مهم لا أوافق لا أوافق بشدة
- أتمتع بتكوين صداقات جديدة في العطلة.
- أوافق بشدة أوافق غير مهم لا أوافق لا أوافق بشدة
- أحب أن أقضى عطلة أقوم بالإعداد لها بنفسى.
- أوافق بشدة أوافق غير مهم لا أوافق لا أوافق بشدة

مقياس التدرج: يعد استخدام مقياس تدرج من الطرق الأخرى للسؤال عن آراء المستجيبين أو اتجاهاتهم. وفي هذه الحالة يطلب من الباحثين أن يحددوا إجابتهم على مقياس يمكن أن يبدأ من (1) إلى (5)، أو إلى (7) أو إلى (9). ومن المؤلف أن يكون لديك مقياس ذو أرقام عددها وتر (فردى)، لأن هذا يعطى المستجيبين فرصة

اختيار النقاط أو الدرجات الوسطى .

- ما مدى أهمية العوامل التالية عند اختيارك لقضاء عطلة؟ من فضلك ضع دائرة حول الرقم الذي يعكس أهمية كل عامل في نظرك .

غير مهم

مهم

على الإطلاق

جدا

● التكلفة 1 2 3 4 5 6 7

● وسائل الإعاشة والتسلية 1 2 3 4 5 6 7

● أن أفعل ما أرغب فيه 1 2 3 4 5 6 7

● أن أكون بصحبة

عائلي/أصدقائي 1 2 3 4 5 6 7

السؤال المفتوح : يحتوى الاستبيان أحيانا على أسئلة تسمح للمستجيبين بالإجابة عليها كما يرغبون . فإن كان الاستبيان من النوع الذى يملؤه المستجيب بنفسه ، فإنه يحتوى حينئذ على صندوق يخصص لإثبات إجابة المستجيب ، وعادة ما يكون حجم هذا الصندوق مؤشرا يدل المستجيب على طول الإجابة المتوقعة وتفاصيلها . وقد يستعمل الباحث الذى يجرى المقابلة أسئلة للتعمق أو لاستثارة المستجيب على الإفاضة فى الكلام بطريقة مشابهة للطرق المستخدمة فى المقابلة شبه المقتنة (الفصل 4) ليستوثق من أن هذا السؤال قد تمت الإجابة عليه بشكل واف ، وإن كان الباحث لا يسعى - فى العادة - للوصول إلى ما تتضمنه المقابلة شبه المقتنة من عمق وتفصيل . وسيتم تصنيف وترميز (تكويد) البيانات المجموعة بهذه الطريقة حتى يكون بالإمكان إدراجها فى تحليل كمى أو إحصائى (فصل 3 باب 4) .

ويمكن استخدام الأسئلة المفتوحة بعدة طرق :

(أ) لشرح إجابة عن سؤال سابق: بإمكان السؤال المفتوح أن يتيح للمستجيب فرصة تقديم المزيد من التفاصيل أو شرح أى إجابة سبق له أن أجاب بها عن سؤال

سابق. وقد رأينا ذلك سابقا فيما يتصل بالفئة التى عنوانها : ”آخر/ أو أخرى“.

● هل سبق لك أن قدمت شكوى رسمية تتعلق بعطلة إلى وكالة سفريات أو إلى مؤسسة أخرى؟

☐

لا

☐

نعم

ماذا كان موضوع هذه الشكوى؟

(ب) ما رأيك فى . . . ؟ كثيرا ما تعد مثل هذه الأسئلة استكشافية يمكن أن تتيح للمبحوثين فرصة طرح أفكارهم الشخصية.

ما فى نظرك أهم العوامل التى تحرص على مراعاتها أسرة بها أطفال صغار عندما تختار قضاء عطلة؟

(ج) هل تريد أن تقول شيئا آخر . . . ؟ من حسن التصرف أن تدرج فى نهاية الاستبيان سؤالا يتيح للمبحوثين أن يضيفوا أى شيء آخر يرغبون فى قوله عن هذا الموضوع. إذ إن هذا السؤال يتسبب أحيانا فى تقديم بيانات تثير الاهتمام ومفيدة تتعلق ببعض عناصر الموضوع التى لم يشملها الاستبيان أو لم يدخلها الباحث فى اعتباره. ويمثل هذا السؤال كذلك فرصة للمبحوث ليتحدث عما يراه مهما من وجهة نظره إذا لم يدرج الباحث هذا السؤال فى الاستبيان. ومع أن هذه البيانات قد لا تكون ذات صلة بالبحث، فإن هذه الفرصة قد تضمن تمكين المبحوث من استيفاء الاستبيان وهو فى تمام الرضى لأن رأيه أو خبرته قد سُجلت.

أسئلة التصفية : أحيانا ما تريد أن تسأل - داخل استبيان ما - أنماطا معينة من الأفراد بعض الأسئلة وتسال آخرين مجموعة مختلفة من الأسئلة. فلا مجال لمطالبة الأفراد أن يجيبوا على أسئلة لا تنطبق على حالتهم أو تتعلق بموضوعات لا يعرفون عنها شيئا، بهذا الشكل تستخدم أسئلة التصفية (انظر قائمة المصطلحات) لتساعد الأفراد فى الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطراد، وعادة ما تحتوى على علامات إرشادية لإخبار المبحوثين بما الأسئلة التى يجيبون عليها بعد ذلك.

سؤال رقم (2): هل لديك أطفال عمرهم 16 سنة أو أقل يعيشون معك؟

نعم ☐ ← إذهب إلى السؤال رقم (3)

لا ☐ ← إذهب إلى السؤال رقم (8)

سؤال رقم (3) : كم عدد الأطفال الذين يعيشون معك وسنهم 16 سنة أو أقل؟

صياغة كلمات الأسئلة : من اللازم أن تكون أسئلتك واضحة ومفهومة للأفراد الذين تتوقع أن يجيبوا عليها ، ومن ثم يتيح لك إمكانية جمع البيانات التي تحتاج إليها . ويسلط الاستبيان ” الشنيع “ awful (انظر برواز ”فكر فى هذا الموضوع“ الوارد أدناه)؛ يسلط الضوء على بعض أشهر الأخطاء التى تتركب فى تصميم الاستبيانات . ونورد فيما يلى بعض الأفكار المفيدة التى يمكن أن تيسر هذه العملية .

بحثك

أفكار مفيدة لكتابة الأسئلة الاستبيان

- ✓ استخدم اللغة المألوفة لمبحوثك ، واجتنب اللغة الاصطلاحية الخاصة بجماعة معينة .
- ✓ اطرح الأسئلة بشكل محايد ، اجتنب الأسئلة ”الإيحائية“ .
- ✓ عادة ما يكون سؤالان أو ثلاثة أسئلة سهلة أفضل من سؤال واحد يكون طويلا أو مقعدا .
- ✓ تأكد من أن جميع الإجابات الممكنة مدرجة ، أضف خانة ”آخر أو أخرى“ إن كان ذلك ملائما .
- ✓ تأكد من أن الإجابات تنفى إحداها الأخرى (أى إن صحت إجابة لم تصح الأخرى) إن كان المطلوب إجابة واحدة فقط .
- ✓ ادرج قليلا من الأسئلة المفتوحة لإعطاء الأفراد الفرصة لقول ما يرغبون قوله .

- ✓ أسأل الأفراد عن الأمور التي يعرفونها وليس عن الأمور التي قد يكونون - أو لا يكونون - قادرين على تخيلها.
- X اجتنب الأسئلة الغامضة أو غير الدقيقة.
- X اجتنب الأسئلة التي تفترض وجود معرفة تخصصية قد لا تتوافر لدى المبحوث.
- X اجتنب الكلمات أو العبارات التي قد تنطوى على إساءة للمبحوث.
- X اجتنب طرح سؤالين في سؤال واحد.
- X اجتنب الأسئلة المصاغة في عبارات نفى ، مثل : "هل تفضل ألا تذهب إلى إيطاليا لقضاء عطلتك؟" (فقد يكون الأفراد غير متأكدين مما إذا كانت الإجابة نعم أم لا).
- X اجتنب الأسئلة التي تعتمد على تذكر أحداث من الماضي البعيد.

ترتيب الأسئلة : ينبغي أن يكون ترتيب الأسئلة في الاستبيان أمرا مفهوما للمبحوثين . وعادة ما يعنى هذا الترتيب أن كل سؤال سيفضى إلى السؤال التالي ، أو أن يكون هناك تقديم تعقبه مجموعة جديدة من الأسئلة عن موضوع مختلف أو عن جانب مختلف . ويحتوى التصميم النموذجي للاستبيان على سؤال ذى طابع عام يعقبه عدد من الأسئلة الفرعية الأكثر تفصيلا . من المفيد للمبحوثين أن يجيبوا على الأسئلة ذات الطابع الوصفى والواقعى عن الموضوع قبل أن يُطلب منهم إبداء آرائهم ، إذ إن ذلك يساعدهم على أن يستدعوا إلى أذهانهم خبراتهم الخاصة ، وما شهدوه من أحداث ومن عرفوهم من أفراد قبل أن يُسألوا عن آرائهم فى هذه الأمور .

إذا كان الاستبيان يشمل موضوعات حساسة فإنه يُوصى عادة بوضع هذه الموضوعات فى منتصف الاستبيان أو قرب نهايته ، لأنه عندئذ يتوفر للمبحوثين فهم أفضل للاستبيان ولبررات طرح هذه الأسئلة فى هذه المرحلة . وعادة ما توضع السمات الشخصية للمستجيبين والمتعلقة بخلفياتهم الثقافية والاجتماعية - كالانتماء الإثنى ، والعمر ، والمهنة - فى نهاية الاستبيان مع تفسير لسبب إدراجها فيه .

إن سؤالا ذا طابع عام في نهاية الاستبيان من شأنه أن يتيح للمبحوث فرصة إضافة أى شيء آخر يود قوله عن الموضوع ، فمثل هذا السؤال كفيل بأن يشعر المبحوثين بأن آراءهم تحظى بالتقدير .

الإخراج والعرض: يعتمد إخراج الاستبيان وأسلوب عرضه على ما إذا كان من المقرر أن يستوفيه المبحوثون بأنفسهم أم أن الباحث هو الذى يقوم باستيفائه فى مقابلة . ومع ذلك فإن من المفيد لك - حتى لو كنت تسجل الإجابات بنفسك - أن يكون لديك استبيان ذو إخراج جذاب ، مكتوب بحروف طباعية سهلة القراءة ، وبه تعليمات وعلامات إرشادية لمساعدتك على تبين طريقك خلال الأسئلة وصناديق واضحة تسجل فيها الإجابات .

ينبغي للاستبيان الجيد أن:

- يحتوى على مقدمة للبحث ، وشرح لما سوف يتم عمله بالإجابات ، وإشارة إلى سرية المعلومات ، ورقم هاتف للاتصال يمكن أن يستخدمه من يكون لديه تساؤلات يريد طرحها بعد إجراء المسح .
- ويحتوى على تعليمات عن استيفاء الاستبيان ، وتعليمات داخل الاستبيان لمساعدة الأفراد على التنقل بين أجزائه .
- أن يكون مصمما تصميميا طباعيا واضحا وجذابا باستعمال حروف طباعة مقروءة بسهولة (فصل 2 باب 3) .
- أن يدخل فى الحسبان احتياجات سائر الجماعات التى ستقوم باستيفاء الاستبيان ، بمن فيهم ضعاف البصر ومن يعانون من صعوبات فى القراءة ، ومن يتكلمون بلغة أخرى ، وذوى الاحتياجات الخاصة .
- أن يكون مختصرا بقدر الإمكان .

الحصول على معدل استجابة مرتفع: من مكونات عملية تصميم الاستبيان إمعان النظر فى تحديد الأفراد المستهدفين كمستجيبين ، خاصة التدقيق فى كيفية اختيار عينة من مجتمع البحث (فصل 5 باب 2) ، وفى الطريقة التى ستتبعها عندئذ فى الاتصال الشخصى بهم ودعوتهم للإجابة على استبيانك . فليس من شأن كل من تفاعله فى هذه

المسألة أن يكون راغبا في ، أو قادرا على المشاركة في بحثك . كما أن من الضروري أن تدخل في اعتبارك هذا الوضع عند تحديد عدد المستجيبين المقرر استهدافهم . وبناء على نوع الاستبيان ، يمكن لمعدل الاستجابة الذي تتحصل عليه (أى : النسبة المئوية للاستبيانات المستوفاة إلى إجمالى عدد الاستبيانات المسلمة للمستجيبين) أن يتراوح بين معدل قليل ، مثل 10 % وينتهى بـ 100 % وفى هذا المقام يوجد عدد من القضايا العملية التى يتعين أخذها فى الاعتبار :

فكر فى هذا الموضوع . . .

حدد الأخطاء المتعمدة الواردة فى هذا الاستبيان ”الشنيع“ ،

ثم راجع التصويب والتعليق على الصفحة المقابلة .

مشاركة المستفيد

من المقرر أن يستوفى هذا الاستبيان سائر رواد مركز الرعاية الخارجية .

1 - ذكر أنثى

2 - العمر صفر - 16

17 - 20

20 - 30

30 - 45

45 - 50

أكثر من 50

3 - هل تتردد بكثرة على مركز الرعاية ؟ نعم لا

4 - ما رأيك فى مركز الرعاية الخارجية؟

5 - حدد العبارات التى توافق عليها مما يلى :

أ - أحب الطعام والأنشطة التي تقدم في هذا المركز . أوافق / لا أوافق

ب - أشعر أنني مشارك في عمليات رسم سياسات المركز

واتخاذ القرار فيه أوافق / لا أوافق

ج - أشعر بالانتماء أوافق / لا أوافق

د - لا أحب الطريقة التي بها لا تحاط علما أبدا

بما يقع من أمور أوافق / لا أوافق

هـ - هذا في الواقع مكان جميل أوافق / لا أوافق

و - يتسم العاملون بالمودة والمرح أوافق / لا أوافق

ز - تقدمعاملات رعاية أفضل ولكن من الأفضل

أن يكون على قمة المركز رجل أوافق / لا أوافق

ملاحظات الأخطاء وبعض التوصيات

العنوان: استعمال نوع حروف مطبعية قد يكون من الصعب قراءتها، بجانب أن العنوان قد يكون غير مفهوم. لا يوجد تقديم للاستبيان، ولا وجود لشرح له، ولا تأكيد لسريته. هنا يؤمر المبحوث باستيفاء الاستبيان ولا يُطلب منه ذلك.

1 - لا وجود لتعليمات، والصندوقان منمقان بالتظليل.

2 - لا توجد صناديق (ليؤشر عليها المبحوث). الفئات العمرية متداخلة وغير متساوية، ولا منطق لها. من المستبعد وجود مستجيبين تحت سن 16 سنة.

3 - لا يوجد في الاستبيان تعريف لكلمة «بكثرة». سيفهم المستجيبون هذا التعبير على وجوه مختلفة.

4 - سؤال مفتوح جدا ليس فيه إشارة للجوانب المهمة في المركز .

5 - يطلب السؤال من المستجيب تحديد العبارات التي يوافق عليها ، مع أن العبارات مكتوب أمامها كلمتا «أوافق /لاأوافق» كإجابات .

(5-أ) هذه الجملة تحتوى على شيئين مختلفين هما : «الطعام والأنشطة» ، مع أن المستجيب قد يحب أحدهما ويكره الآخر .

(5-ب) هذه الجملة تشتمل - كذلك - على شيئين هما : سياسات المركز وعملية اتخاذ القرار . وهل سيفهم المستجيبون ما سياسة المركز وما عملية اتخاذ القرار؟

(5-ج) المستجيب منتمى إلى ماذا ؟ أو لآى شيء؟

(5-د) عبارة شديدة التعقيد تحتوى على نوعين من النفى . من العسير معرفة الأمر المطلوب الموافقة عليه .

(5-هـ) ما معنى التعبير «جميل فى الواقع»؟

(5-و) عبارة تحوى سمتين أو عنصرين ، والمستجيب قد يوافق على واحدة منهما فقط دون الأخرى .

(5-ز) عبارة أخرى بها فكرتان ، ولكنها أيضا غير واضحة فيما تعنيه من تعبير «على القمة» .

7(*) - ما جماعتك الإثنية؟

6(*) - هل هذا المركز أفضل من مركز «ماى فيلدز»؟

7(*) - ما رأيك فى الوثيقة التى عنوانها «وثيقة سياسة دمج المستفيدين من أبناء المنطقة»؟

9 - هل توافق على أنه كان من الأفضل لو أن المستفيدين كانوا مشاركين بمعدل أكبر؟

10 - ما إجمالى دخل أسبوعيا من سائر المصادر ، بما فى ذلك من أجور وإعانات ومعاشات؟

من فضلك سلم هذا الاستبيان لأحد موظفى المركز .

أيام التردد على المركز الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة

(x) هذا الخطأ فى الترقيم موجود بالأصل ، والمقصود به إبراز إهمال واضح هذا الاستبيان «الشنيع» فى عمليات الترقيم والترتيب . ولكن يلاحظ القارئ بتعمق تعليقات وتصويبات المؤلفين على الصفحة المقابلة . (المترجم) .

(7) خطأ فى الترقيم . كما لا يوجد توجيه بشأن كيفية تحديد الجماعة الإثنية . ولا يوجد تفسير لبرر الحاجة إلى هذه المعلومات أو للطريقة التى سيستفاد بها منها .

(6) سؤال مفتوح ليس به إشارة إلى المعايير التى ينبغى على المستجيب أن يراعيها فى تقدير ما إذا كان المركز أفضل أم لا . وقد لا يعرف المستجيب شيئاً عن مركز «ماى فيلدرز» .

(7) سؤال مفتوح آخر يشير إلى وثيقة قد لا يكون المستجيب قرأها . وعنوان الوثيقة مكتوب بلغة فنية خاصة . كما أن حروفة المنمقة قد تتعذر قراءتها .

(8) من الأرجح أن يوحى هذا السؤال للمستجيبين أن يجيبوا «بنعم» ، كما أنه ليس واضحاً ذلك الأمر الذى كان يمكن للمستفيدين أن يشاركوا فيه بمعدل أكبر .

(9) سؤال من المستحيل على معظم الأفراد أن يجيبوا عليه بدون أن يقضوا وقتاً كبيراً لحساب مصادر الدخل ، كما أنه لم يقدم مبرراً للسؤال عن هذه المعلومات .

• ليس واضحاً كيف يتوجب على المستجيبين أن يسجلوا حضورهم فى المركز أو كيف يجيب على هذا السؤال الباحثون الذين يغيرون أيام حضورهم من أسبوع لأسبوع .

• يسأل هذا الاستبيان عن المعلومات الشخصية وعن آرائهم فى المركز ، ومع ذلك يطالب المستجيبين بتسليم الاستبيان بعد استيفائه لأحد الموظفين .

••• تصميم الاستبيان وطريقة إخراجه وعرضه تفتقر كلها إلى الاتساق بسبب استعمال أحجام وحروف مطبعية مختلفة ، ومسافات مختلفة (للفصل بين الفقرات) ، وصناديق مختلفة الأشكال .

1 - الاتصال الشخصي مع المستجيبين المحتملين:

(أ) المقابلات المباشرة لاستيفاء الاستبيان: إن كنت تستهدف إجراء مقابلات مع جميع مستجيبك، فمن الضروري عندئذ أن تخطط لكيف، ومتى، وأين ستقوم بهذا العمل، وأن تقوم بالترتيبات اللازمة لمقابلة الأفراد في الأوقات والأماكن المناسبة والمتاحة لهم. وينبغي عليك أن تعرف مقدما من الذين تحتاج إلى إجراء المقابلات معهم، وأن تكون قادرا على عمل الترتيبات معهم مباشرة، أو يمكنك - مثلا - أن تكون موجودا في المكان والزمان الذي يرجح أن يوجد فيه أفراد راغبين في الإجابة على استبيانك. ويمكن أن يحدث هذا في أحد المراكز التجارية، أو في عيادة أحد الأطباء (أثناء انتظار الأفراد لدورهم في مقابلة الطبيب)، أو في أحد مراكز الشباب، أو في أحد المقاهي. تأكد أن معك مسند للكتابة مثبت عليه مشبك تمسك به استبيانك، وأن لديك - إن أمكن - مكان تجلس فيه مع مستجيبك.

اجعل استبيانك في أوجز صورة يمكنك الوصول إليها، وقدم للمبحوثين المحتملين تعريفا واضحا بنفسك وببحثك قبل أن تطلب منهم الموافقة على المشاركة أم لا.

(ب) المقابلات الهاتفية لاستيفاء الاستبيان: وهي تشبه المقابلات المباشرة فيما يتعلق بالوصول إلى المستجيبين المحتملين.

(ج) الاستبيانات التي يستوفيهها المبحوثون بأنفسهم: يمكن تسليم هذه الاستبيانات شخصا للمستجيبين المحتملين ليستوفوها، أو يمكن تركها في أماكن ظاهرة ليلتقطها الأفراد ويستوفوها، كما يمكن إرسالها بالبريد (العادي)، أو عبر البريد الإلكتروني (الفصل 10 من هذا الباب لمعرفة المزيد عن الاستبيانات المرسلة بالبريد الإلكتروني). ويعد التعريف بالبحث وإثارة اهتمام المستجيبين المحتملين أمرين مهمين، خاصة عندما يكون الباحث غير حاضر. وينبغي على الباحث أن يدقق النظر أثناء اللقاء الأول مع المبحوثين المحتملين في ضوء تحديدك لهوية الجماعة المستهدفة وطبيعة الأمور التي تثير اهتمامها. ولا شك أن التعليمات والشروح الواضحة - المدونة بالاستبيان - ستساعد المستجيبين على أن يقرروا ما إذا كانوا سيجيبون على الاستبيان أم يتجاهلونه.

2 - المتابعات ورسائل التذكير

إن كان المستجيبون يستوفون الاستبيانات بأنفسهم فلا بد أن يكونوا قادرين على إعادة الاستبيان إلى الباحث بأقل جهد ممكن . لذلك يجب أن يحتوى الاستبيان المرسل بالبريد (العادى) على مظروف ملصق عليه طابع بريد ومكتوب عليه عنوان المرسل إليه . أما الاستبيان المرسل بالبريد الإلكتروني فيجب تضمينه تعليمات واضحة بخصوص طريقة إعادة الإجابات ، وإذا سُلمت استبيانات ليستوفيهها المبحوثون بأنفسهم فلا بد من وجود مكان لإعادتها إليه بسهولة . كما ينبغي عليك أن تفكر بعمق فيما إذا كنت ستبعث برسائل تذكير عن طريق البريد العادى ، أو الإلكتروني ، أو الهاتف ، لمن لا يردون فى نطاق مهلة زمنية محددة . لاحظ أن الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى قد تضيع فى الطريق ، لهذا فإن إرسال نسخة ثانية منها قد يستحث المزيد من المستجيبين على المشاركة والرد .

من الناحية العملية ينبغي عليك أن تستهدف الحصول على أفضل استجابة يمكنك الحصول عليها ، وأن تخطط لهذه المرحلة من عملية البحث بعناية . ومن الناحية الواقعية ، وحسب مقياس بحثك ومستواه ، قد يكون معدل الاستجابة لاستبيانك منخفضا تماما . ويعتبر معدل 25 % أمرا معهودا فى حالة الاستبيانات المرسلة بالبريد العادى . ومع ذلك فسوف تكون البيانات التى تتحصل عليها من الاستبيانات المستوفاة نافعة لبحثك ، ولكن:

- تأمل بعمق ما إذا كان يوجد أى تفسيرات محتملة لسبب انخفاض معدل الاستجابة . هل يعود ذلك إلى فترة العطلة الصيفية؟ أم إلى أن الوقت ربما كان وقت اشتغال الأفراد بأمور أخرى؟
- هل تلقيت من بعض الجماعات استجابة أفضل مما تلقته من جماعات أخرى؟ هل جاءت معظم الاستبيانات التى يستوفيهها المبحوثون بأنفسهم من الأفراد الأصغر سنا؟ هل يوجد سبب يمكن أن يفسر عدم استجابة الأفراد الأكبر سنا؟
- إذا كان ثمة جماعات معينة لم ترسل ردودا ، فما تأثير ذلك على تحليلك وعلى نتائج بحثك؟

- يتوجب عليك أن تثبت في بحثك معدل الاستجابة الذي تلقّيته ، وأن تناقش هذه الأمور في تقريرك أو في أحد فصول رسالتك الجامعية .

بحثك

إن كنت تفكر في استخدام استبيان يملؤه المستجيب بنفسه في جمع بيانات بحثك:

- فمن هم المبحوثون الذين تستهدفهم؟
- وكيف ستلتقى بهم؟
- وكيف ستجذب اهتمامهم باستبيانك؟
- وكيف ستأكد من حصولك على أفضل استجابة ممكنة؟

طبيعة بيانات الاستبيان وأسلوب تحليلها

تبين لنا فيما سبق أن البيانات المجموعة باستعمال الاستبيانات تكون مقننة من قبل ، كما أنها - وبصرف النظر عن بيانات الأسئلة المفتوحة - تكون جاهزة في شكل يمكن معالجته . إذ تكون البيانات مصنفة ومُكوّدة (تم ترميزها) ، كما أنها تسمح باستخدام التقنيات الإحصائية في التحليل . ونظرًا لأن البيانات المجموعة بهذه الطريقة تكون مقننة من قبل ، فإنه يصبح من الأمور ذات الأهمية الخاصة أن تفكر في تحليل بياناتك في هذه المرحلة ، وفي التأكد من أن البيانات التي تجمعها قابلة للمعالجة بطرق من شأنها أن تساعدك في الإجابة على أسئلة بحثك . لذلك نوصيك بقراءة الفصلين الثاني والثالث من الباب الرابع في هذه المرحلة من العملية البحثية .

جودة البحث

يعد الاستبيان أداة للبحث (فصل 4 باب 2) ووسيلة لجمع البيانات عن موضوع البحث ، أو عن مفهوم معين . وترتكز صحة الاستبيان على ما إذا كانت أداة بحثك تقيس المطلوب منها أن تقيسه . ويشتمل تصميم البحث على استعمال التعريفات الإجرائية في محاولة إيجاد الأسئلة والإجابات التي من شأنها أن تدل على وجود أو غياب خاصية

معينة، أو رأى معين، أو خبرة معينة. ومن الممكن إجراء تجربة استطلاعية أو اختبار قبلي للاستبيان - في مرحلة سابقة على مرحلة الاختبار الفعلي - تشمل عددا قليلا من المستجيبين أو الأصدقاء أو الزملاء. ولو أمكن تنفيذ هذه التجربة فإنها سوف تساعدك في التعرف على قضايا الصحة، كما تساعد في تحديد غيرها من المشكلات التي يحتمل أن ترتبط بالاستبيان والتي يمكن حينئذ تلafiها بإجراء بعض التعديلات قبل أن تبدأ الدراسة الرئيسية للبحث. وهناك عدة طرق يمكن بها تقدير مدى صحة الأسئلة (انظر البرواز أدناه عن: اختبار جودة البحث). ومع أنه ليس من الميسور دائما تنفيذ اختبارات الصحة في ظل قيود البحث التي تحكم البحث المحدود النطاق، لذلك يكون من المفيد أن تضع هذه الطرق في ذهنك وأنت بصدد تصميم استبيانك.

بحثك

اختبار جودة البحث : استخدام الاستبيانات

- هل تقوم الأسئلة والإجابات بإنتاج البيانات التي تحتاج إليها لمعالجة أسئلة البحث أو لاختبار فرض البحث؟
- هل تقوم الأسئلة والإجابات بتوفير البيانات المتعلقة بمفاهيم البحث وفقا لتعريفاتها الإجرائية (فصل 4 باب 1)؟
- هل أدخلت في اعتبارك النقاط التالية وأنت بصدد تقدير مدى صحة الاستبيان؟
- **الصحة الظاهرية:** يكون للسؤال صحة ظاهرية حينما يبدو واضحا أن السؤال سوف يستطيع استخراج إجابة صحيحة. مثال ذلك: "كم عمرك؟" (ولكن ماذا يكون الأمر إن كان ثمة سبب لعدم إعطاء إجابة عن العمر الصحيح؟).
- **تأكيد الصحة:** وهذه الصحة تعتمد على طرح نفس السؤال بطريقتين، مثال ذلك سؤال المستجيب عن عمره وعن تاريخ ميلاده، أو العثور على مصدر آخر لهذه البيانات كمرجعة السجلات المدرسية، مثلا.
- **الصحة التلازمية:** يوصف الاختبار أو الاستبيان بالصحة التلازمية إن كان

يقودنا إلى نفس النتائج التى تصل إليها الدراسات الأخرى التى تستخدم مقاييس مختلفة لقياس نفس المفهوم .

- **الصحة النظرية:** وتعنى أن مجموعة من الأسئلة يمكن أن تقودنا إلى نتائج تتواءم مع ما يمكن التنبؤ به من النظرية التى يأخذ بها الباحث .
- **التعدد المنهجي:** يشير هذا المصطلح إلى جمع تشكيلة متنوعة من البيانات عن نفس الظواهر ، أو جمع البيانات بمعرفة باحثين/ أو فاحصين مختلفين ، أو باستعمال طرق بحث مختلفة ، وذلك بقصد التأكد من أن طريقة جمع البيانات طريقة صحيحة ، أى يعتد بها ويعتمد عليها . وكثيرا ما تستخدم الاستبيانات بالتزامن مع طرق أخرى لجمع البيانات الخاصة بنفس البحث .
- هل يمكن للبيانات التى جمعت أن تكون هى نفسها إذا جمعت فى ظل نفس الظروف أو إذا جمعت بمعرفة باحث آخر؟
- هل أجريت تجربة استطلاعية للاستبيان الذى ستستعمله؟
- هل أعملت فكرك فيما إذا كان يتعين استبعاد أى جماعات عقب استخدام أحد الاستبيانات؟
- هل أخذت فى اعتبارك تأثيرات معدل الاستجابة المنخفض على نتائج بحثك؟

بحثك

مزايا الاستبيانات

- يمكن استخدامها بصورة فعالة فى جمع البيانات من أعداد ضخمة من الأفراد أو الحالات .
- تتيح جمع بيانات كل المستجيبين أو كل الحالات بنفس الطريقة .
- الأسئلة ونطاق الإجابات يتم تحديدها بمعرفة الباحث .

- تكون البيانات قابلة للترميز (للتكويد) تمهيدا لتحليلها .
- إن جُمعت البيانات من عينة إحصائية (فصل 5 باب 1) ، فقد يكون من الممكن تعميم النتائج على مجتمع البحث .

عيوب الاستبيانات

- لا تتيح للباحث سوى قدر محدود من إمكانية النفاذ إلى الخبرات والمشاعر العميقة للمشاركين (المبحوثين) .
- تقدم للمبحوثين فرصا محدودة للإجابة على الأسئلة بطريقتهم الشخصية؟
- أنجح ما تكون إذا استخدمت مع عينة كبيرة العدد .
- معدلات الاستجابة المنخفضة قد تؤدي إلى عينة بحثية متحيزة .
- قد تؤدي إلى استبعاد بعض الجماعات .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.
- Moser, C. and Kalton, G. (1993) *Survey Methods in Social Investigation*, 2nd edn, Aldershot: Dartmouth.
- Munn, P. and Drever, F. (2004) *Using Questionnaires in Small-scale Research: A Beginner's Guide*, Glasgow: SCRE Centre.

الفصل الرابع

المقابلات شبه المقتنة

محتويات الفصل

- ما المقابلة ؟
- استخدام المقابلات شبه المقتنة في جمع بيانات البحث الاجتماعي .
- الأماكن والظروف التي يمكن استخدام المقابلات فيها .
- اختيار العينة .
- القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقتنة .
- الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث .
- تصميم دليل المقابلة واستخدامه .
- تنفيذ المقابلة شبه المقتنة .
- المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه) .
- طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل .
- المراجع وقرءات للاستزادة .

عن السياق

تعد المقابلات من أشيع أشكال جمع البيانات من المشاركين (المبحوثين) ، ولعلها كانت ولا تزال مستخدمة بمعرفة الباحثين الاجتماعيين على امتداد تاريخ البحث . ومع أن بالإمكان أن تتخذ المقابلة عددا من الأشكال ، فإن استخدام المقابلات كطريقة مباشرة لطرح الأسئلة وجمع الإجابات أمر شائع في كل من البحوث الكمية والكيفية . ويتناول هذا الفصل أنماطا مختلفة من المقابلة . ويناقش استخدامها في البحث الاجتماعي ، ثم يركز على الاعتبارات العملية المتعلقة بتنفيذ المقابلات شبه المقتنة .

”بحلول عشرينيات القرن العشرين ، والتي تجرى فى شكل عصرى واضح وبصورتها المقننة وغير المقننة؛ أصبحت طريقة المقابلة معترفا بها فى جمع البيانات فى علم الاجتماع“. (لى Lee ، 2004 ، ص 870).

كان من أقدم الاستخدامات الصريحة للمقابلات فى جمع البيانات ما قام به المصلح الاجتماعى تشارلز بوث فى القرن التاسع عشر ، الذى حاول أن يجرى مسحاً اجتماعياً عن طبيعة وحجم الفقر فى لندن . وقد وصفت إحدى مساعداته ، وهى بياتريس بوثر (التي عرفت - فيما بعد - باسم بياتريس ويب) ، وصفت اتجاهه قائلة:

”كانت بوسع تشارلز بوث - أو بوسع واحد أو أكثر من أفراد سكرتاريته - أن يستخرجوا مما يقوله الموظف المسئول عن مواظبة التلاميذ فى حضور الحصص بالمدارس ، وبأسلوب تدريجى؛ يستخرجوا المعلومات الشاملة والحميمة المتصلة بكل عائلة ، أى ما تحويه ذاكرة هؤلاء الشهود الواعون الذين يسهون فى وصف وتوضيح ما دونوه فى مفكراتهم من وقائع سجلوها تسجيلاً دقيقاً...“ (ويب Webb ، 1938 ، ص 278 ، نقلاً عن بولر ، 1982 ، ص 12).

تتمثل إحدى السمات الرئيسية للمقابلة فى وجود لقاء شخصى مباشر بين القائم بالمقابلة من ناحية - والذى قد يكون هو الباحث - والمبحوث من ناحية أخرى ، وفى وجود تفاعل بين هذين الطرفين . وقد تم الاعتراف العام بالمقابلة كوسيلة لجمع البيانات الاجتماعية ، حيث بدأت تستخدم كأداة لجمع آراء الأفراد وخبراتهم وسماتهم الشخصية من جانب الحكومات ، وباحثى التسويق ، والأكاديميين طوال الجزء الأكبر من القرن العشرين . ورغم أن معظم البحوث الحكومية وبحوث السوق أثناء النصف الثانى من القرن العشرين كانت تستخدم المقابلات المقننة القائمة على استيفاء استبيان معين ، فقد بدأ بعض العلماء الاجتماعيين يستخدمون نوعاً أقل تقنياً من المقابلة (أى: المقابلات شبه المقننة - التى كانت مصممة فى الأساس لجمع البيانات الكيفية) لجمع شتى أنواع البيانات . وسرعان ما تزايد تقبل الباحثين لها ، وتم إقرارها كوسيلة مفيدة لجمع البيانات .

ما المقابلة؟

رأينا في الفصل 3 باب 1 أن البشر يتبادلون معارفهم وتصوراتهم مع بعضهم البعض، وأن هذا التبادل يتم عادة من خلال الكلمات المنطوقة. وحين يتحدث فردان أو أكثر مع بعضهم فإن بالإمكان أن يتطور شكل من الحوار كلما تحدث واحد منهم على التعاقب بعد الآخر، وإن كان يحدث أحيانا أن يتحدث فردان في نفس الوقت. وبينما يكون أحدهما مشغولا بالحديث، يكون الآخر مصغيا (وقد لا يحدث ذلك دائما) قبل أن يأخذ دوره في الوقت الذي يتحول فيه الآخر إلى الإصغاء. وفي بعض المحاورات قد يسيطر أحد الأشخاص، فيتحدث بالقدر الأكبر من الكلام ويقرر الطريقة التي تتطور بها المحاورة. وقد لا يجد الآخر "فرصة للحديث"، أو يعتمد ببساطة إلى "التوقف عن المشاركة".

ما: المقابلة؟

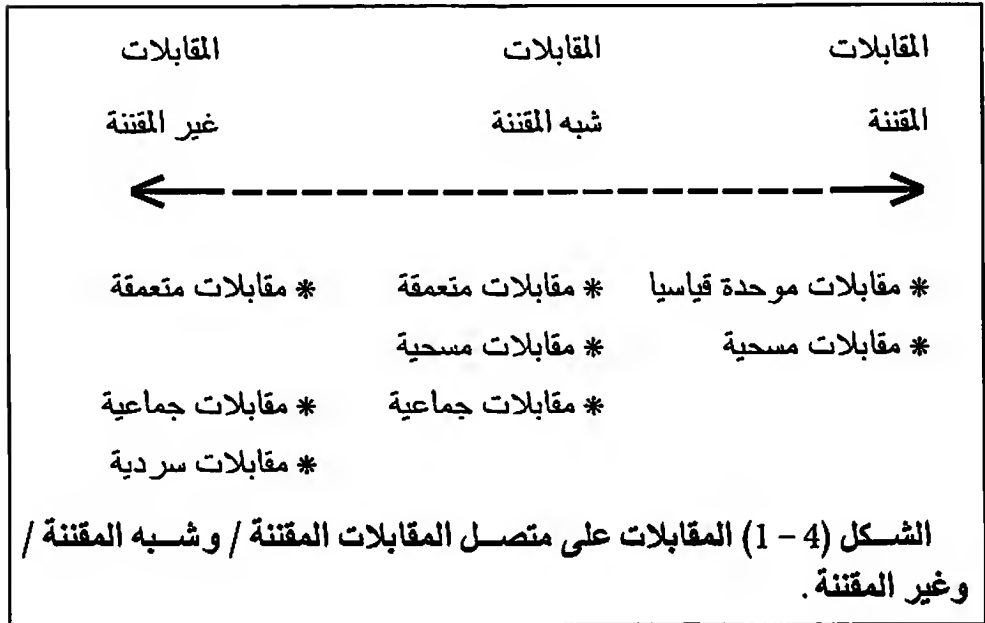
هي طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على:

- تيسير الاتصال المباشر بين فردين، إما وجها لوجه وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت.
- وتمكين القائم بالمقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والآراء من المبحوث باستعمال الأسئلة والحوار التفاعلي.

والمقابلة نمط خاص من الحوار بين فردين أو أكثر. وعادة ما يتم التحكم في المقابلة من جانب شخص واحد هو من يطرح الأسئلة المتعلقة بالفرد الآخر. وتستخدم المقابلات في اكتشاف أو استخراج المزيد من المعرفة عن طريق طرح الأسئلة التي تتناول نطاقا واسعا من السياقات، كما يحدث مثلا: عند الرغبة في إلحاق امرئ ما بإحدى الوظائف، وفي حالة الأطباء الذين يحاولون تشخيص علة مريض ما، وفي حالة المعالجين النفسيين أو الاجتماعيين الذين يحاولون مساعدة الأفراد في حل مشكلاتهم، وفي حالة الباحثين الاجتماعيين الذين يرغبون في استخراج المزيد من المعرفة عما يفكر فيه الناس، أو عما يشعرون به، أو يمرون به من خبرات.

وتعد المقابلات من الوسائل الرئيسية لجمع البيانات، والتي يستخدمها الباحثون الاجتماعيون، حيث توفر الفرصة للتفاعل المباشر بين الباحث والمشاركين في البحث (المبحوثين). وكما يؤكد الباحثان الاجتماعيان الكبيران هامرسلى وأتكسون، فإن:

” القدرة التعبيرية للغة توفر أهم مصدر لكتابة التقارير الوصفية. ومن الملامح الأساسية للغة قدرتها على عرض توصيفات وتفسيرات وتقييمات تتنوع تنوعا يكاد يكون لا نهائيا عن أى جانب من جوانب الحياة، بما فيها اللغة نفسها“. (هامرسلى وأتكسون، 1995، ص 26).



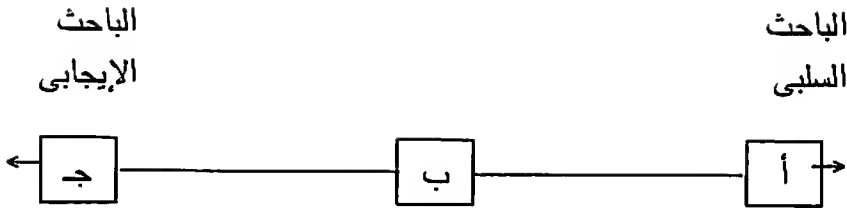
على أن المقابلات المستخدمة كطريقة جمع بيانات تختلف من ناحيتين. أول شيء أنها تختلف في درجة التقنين والتوحيد القياسي داخل المقابلة وبين المقابلات. وعادة ما يتم تحديد ثلاثة أنماط من المقابلة (رغم أنه من الممكن أن تحتوى المقابلة البحثية على اثنين أو أكثر من هذه الأنماط).

ويمكننا باستعمال متصل شبيه بالمتصل الأول الذي قدمناه في الفصل الأول من هذا الباب أن نبين كيف أن درجة التقنين والتوحيد القياسي تتباين على امتداد متصل بأكثر من ثلاثة أنماط متميزة.

وهناك بُعد ثانٍ للمقابلات يتفاعل مع هذا المتصل. ويتعلق هذا البعد بالأدوار التي يقوم بها الباحث والمبحث المشارك في المقابلة. ويمكن أن تتباين هذه المقابلات - على متصل ما أيضا - حيث تبدأ بالمقابلة التي يكون الباحث متحكما فيها، وذلك من خلال طرحه لمجموعة من الأسئلة يجيب عليها المشارك في البحث (وهذا النوع من المقابلات معروف باسم مقابلات الباحث)^(*) (انظر قائمة المصطلحات)، وتنتهي بالمقابلة التي يكون المبحث هو المتحكم فيها بصورة أساسية، حيث يتيح له الباحث الفرصة ليروى قصته بطريقته الشخصية (وتعرف هذه المقابلات أحيانا باسم "مقابلات الإخباري") (انظر قائمة المصطلحات). ويلاحظ أن دور الباحث في المقابلات غير المقتنة يختلف عن ذلك تماما. مثال ذلك أنه في جمع البيانات السردية (الفصل 7) لا يتكلم الباحث إلا قليلا. ويقوم المبحث بخلق وتنظيم البيانات. وهذه الحقيقة مبينة في المتصل الثالث من متصلاتنا المذكورة في الفصل الأول (وانظر الشكل رقم (2-4) الوارد أدناه).

تتركز بؤرة اهتمام تحليل البيانات السردية على الطريقة التي يصوغ بها المبحثون رواية قصتهم بدون تدخل من جانب الباحث، وبذلك يتكلم الباحث قليلا ويكتفي بتسجيل القصة كما يرويها المبحث. ومن جانب آخر يرى بعض الباحثين، خاصة النسويين، أنه نظراً لأن هذه المقابلة تقل في درجة تقنينها، ولأن الإخباري (المبحث) يكون أكثر تحكما في المقابلة، فإن بإمكان الباحث أن يصبح أكثر فاعلية في مشاركته في المقابلة، وذلك باشتغاله مع الإخباري في خلق البيانات. وفي بعض الحالات يميل الباحثون النسويون إلى التماهي بعيدا في هذا الموقف فيقترحون أن يأتي الباحثون بخبراتهم وأفكارهم الشخصية داخل المقابلة. وقد قامت آن أوكللي - المدافعة الشهيرة عن وجهة النظر المذكورة - بإجراء بحث مع النساء طوال فترة حملهن ونفذته باستعمال هذه الطريقة (أوكللي، 1981). وتسمى هذه المقابلات "المقابلات المشتركة" (انظر قائمة المصطلحات)، وهي بذلك تعكس الحقيقة التي تقول إنه في الوقت الذي تكون فيه المقابلة نفسها غير سابقة التقنين بمعرفة الباحث (كما هو الحال في المقابلة المقتنة)، فإنه يتاح للباحث أن يتدخل تدخلًا إيجابيًا في خلق البيانات.

(*) ورد في الأصل خطأ تسميتها «مقابلة المبحث»، وهو النوع التالي الذي أسماه «مقابلة الإخباري»، وقد أثبتنا الصواب. (المترجم)



أمثلة المقابلة

- أ - المقابلة غير المقتنة - السردية.
- ب - المقابلة شبه المقتنة.
- ج - المقابلة المشتركة.

الشكل (2-4) متصل الباحث الإيجابي / والباحث السلبي

فكر في هذا الموضوع ...

تستعمل المقابلة المعيارية المقتنة الاستبيان كنموذج للمقابلة. في هذه الحالة يستخدم الباحث نموذجاً مقتنناً من الاستبيان ليجرى المقابلة مع المبحوث مستخدماً أسئلة وإجابات أعدت بعناية. للاطلاع على المزيد مما يتصل بتصميم الاستبيان الذي يمكن استعماله كمقابلة مقتنة، انظر الفصل الثالث .

للاطلاع على مناقشة إرشادات بشأن استخدام المقابلات غير المقتنة كطريقة جمع البيانات، انظر الفصل السابع. في هذه الحالة يتم تقنين "المقابلة" بواسطة المبحوث وليس بمعرفة الباحث.

خصائص المقابلات

أ - المقابلات المقتنة الموحدة قياسياً

- تقوم على متابعة مجموعة مترابطة من الأسئلة لكل مقابلة.
- تطرح الأسئلة بنفس الطريقة تماماً، مستخدماً نفس الكلمات، ونفس الأسئلة المحفزة ... إلخ لكل مقابلة.
- تقدم للمبحوث مجموعة من الإجابات ليختار من بينها.

ب - المقابلات شبه المقننة

- تقوم على متابعة مجموعة مترابطة من الموضوعات أو الأسئلة لكل مقابلة.
- قد تطرح هذه الموضوعات أو الأسئلة بطرق مختلفة أو بترتيب مختلف بما يتلاءم مع كل مقابلة.
- تتيح للمبحوث أن يجيب عن الأسئلة أو يناقش الموضوع بطريقة مستعملا كلماته الخاصة.

ج - المقابلات غير المقننة

- تركز على مجال واسع للنقاش.
 - تمكن المبحوث من التحدث عن موضوع البحث بطريقة الخاصة.
- وتعد المقابلات شبه المقننة والمقابلات غير المقننة مقابلات "لا مقننة" non-structured .

سوف نركز في هذا القسم على استخدام المقابلات شبه المقننة في جمع البيانات أثناء المقابلات المباشرة أو الهاتفية (انظر الفصل العاشر للوقوف على مناقشة للمقابلات التي تنفذ إلكترونيا (عبر الإنترنت) أو من خلال البريد الإلكتروني).

استخدام المقابلات شبه المقننة

في جمع بيانات البحث الاجتماعي

تستخدم المقابلات شبه المقننة في جمع البيانات ضمن تشكيلة واسعة واسعة من تصميمات البحث (الفصل 3 باب 2). وهي أشد ما تكون ارتباطا بجمع البيانات الاجتماعية في البحوث الكيفية، حيث يكون الباحث مهتما بخبرات الأفراد، وسلوكهم وتصوراتهم وكيفية وأسباب تعاملهم وتصورهم للحياة الاجتماعية بهذه الطريقة. فالباحث مهتم بكل من المعلومات التي يمكن للمبحوث أن يقدمها بشأن موضوع البحث

من جهة، والطريقة التي يتحدث بها المبحوث عن خبراته واتجاهاته من جهة أخرى .
وبتعبير آخر، يكون الباحث مهتما بكل من محتوى الحوار الذي يتم أثناء المقابلة من
ناحية، والطريقة التي يعبر بها المبحوث عن نفسه - أى الكلمات التي يستعملها - من
ناحية أخرى .

يمكن استخدام المقابلات شبه المقننة بالطرق التالية :

1 - البحث الاستكشافي (وكذلك الاختبار الاستطلاعي) (انظر قائمة المصطلحات)

وهو ما يحدث مثلاً عند محاولة الكشف عما يعده المبحوثون مهما في موضوع
البحث، وكذلك للتعرف على الطريقة التي يستخدم الأفراد بها اللغة في الحديث عن
موضوع البحث . والبحث الاستكشافي من هذا النوع الشائع في المجالات التي لا يوجد
فيها إلا قدر قليل من البحوث السابقة، أو المجالات التي ييغى فيها الباحث استكشاف
زاوية جديدة أو منظور جديد إلى موضوع البحث . وقد تستعمل المقابلات شبه المقننة
بهذه الطريقة في المرحلة الاستطلاعية للبحث لتساعد الباحث على صياغة طرق أكثر
تقنياً في جمع البيانات .

البحث الواقعي

مثال للبحث الذي يستخدم المقابلات شبه المقننة:

البحث الاستكشافي

عن مقال بادلان (2006) المعنون: "الشباب المصابون بتليف المثانة: رؤية متعمقة
لخبراتهم الذاتية"، في مجلة: الصحة والرعاية الاجتماعية في المجتمع المحلي، 14
(3) : ص ص 264-270 .

تليف المثانة حالة صحية مزمنة مورثة تؤثر على المصابين بها بعدة طرق
تتطلب معالجة يومية . وعادة ما تؤدي هذه الحالة الصحية إلى الوفاة المبكرة، إلا
أن تقنيات العلاج الناجح أصبحت تمكن الأفراد في عصرنا الحاضر من أن يعيشوا
مدة أطول، وأن يتمكنوا من رعاية أنفسهم، ومن المعيشة بصورة أكثر استقلالاً لمدة

أطول . ومع ذلك فإن علاج هذا المرض عمل معقد ويتعارض مع "الحياة اليومية الطبيعية". وكان هدف هذا البحث "أن يستكشف خبرات الشباب الذين يعانون الإصابة بمرض تليف المثانة ، وتأثير هذه الخبرات على التزامهم بنظم العلاج".

ماذا فعل الباحثون؟

قام الباحثون بإجراء مقابلات مع 13 فردًا تتراوح أعمارهم بين 17 و 39 سنة ، كما قاموا بإجراء سبع مقابلات جماعية . وقد كانوا يرغبون في التعرف على الطريقة التي بها يتغلب الشباب على مشكلات الحياة اليومية ، بجانب التعرف على الأمور العملية والاجتماعية التي يفرضها عليهم مرضهم هذا .

النتائج

كان معظم الشباب الذين تمت مقابلتهم يشعرون فعلاً أنهم يسيطرون على أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم . ولكن كان من العسير عليهم أن يعيشوا حياة "طبيعية" ، إلا أن معظمهم حاولوا أن يكون لديهم حيوات شبيهة بحيوات أقرانهم . وتبين وجود مستويات مختلفة من الالتزام بنظام الرعاية الطبية ، كما بدا أن نوعاً ما من عدم الالتزام كان جزءاً من محاولة أن يعيش المريض حياة عادية . ولا شك أن نتائج البحث يمكن أن تكون مفيدة لأصحاب المهن الطبية الذين يعالجون الشباب المصابين بتليف المثانة ، وأن تمكن الأطباء من الوصول إلى فهم أفضل لخبراتهم ومشاعرهم .

مزايا استخدام المقابلات شبه المقتنة

- حصل الشباب على فرصة للتحدث عن خبراتهم الشخصية المتعلقة بتولى أمور الرعاية الشخصية الخاصة بهم .
- قد تكون المقابلات الفردية - وليست الجماعية - قد وفرت موقفاً أكثر خصوصية "يعترف" فيه المريض بعدم الالتزام الكامل .
- في هذا البحث كانت المقابلات الفردية ضرورية في بعض الحالات للتأكد من عدم حدوث عدوى متبادلة بين المشاركين .
- أتاحت المقابلات المباشرة للباحثين فرصة الإحساس باحتياجات البحوث إلى التحدث عن الموضوعات التي يحتمل أن تكون مؤلمة له .

2 - البحث التفسيري (راجع قائمة المصطلحات).

تستخدم المقابلات شبه المقننة لجمع البيانات التي من شأنها مساعدة الباحث على تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة. وينتشر استخدام المقابلات شبه المقننة حين يسعى الباحث لاستكشاف خبرات المبحوثين، وآرائهم ومشاعرهم، وحين يريد جمع البيانات التي تساعد في الوصول إلى فهم أفضل أو تفسير أفضل للسلوك أو الاتجاهات. ويتركز مثل هذا البحث على كيفية تفسير المبحوثين لسلوكهم وتصوراتهم بكلماتهم هم.

البحث الواقعي

مثال للبحث الذي يستخدم المقابلات شبه المقننة:

البحث التفسيري

عن كتاب كيترو وكولمان (2006) "الحمل" المخطط "عند المراهقات: آراء وخبرات الفتيات الصغيرات من البيئات الفقيرة والمحرومة بمدينة يورك"، مؤسسة جوزيف راوتنري.

كان من أهداف حكومة حزب العمال التي انتخبت عام 1997 أن تخفض معدل الحمل لدى الفتيات اللاتي يقل سنهن عن 18 سنة إلى النصف بحلول عام 2010. فلدى المملكة المتحدة واحد من أعلى معدلات الحمل لدى المراهقات في أوروبا، ويشير الباحثون إلى أن البحوث أثبتت أن الحمل لدى المراهقات يرتبط غالباً بالفقر والحرمان. كما لوحظ أن المراهقات الحوامل اللاتي ينتمين إلى بيئات أكثر ترفاً ولديهن خطط للتعليم والعمل يزداد احتمال قيامهن بعملية إجهاض بأكثر مما هو عليه حال المراهقات الحوامل اللاتي ينتمين لمناطق أكثر حرماناً. ومع ذلك فليس واضحاً كم هو عدد المراهقات اللاتي يخططن لكى يحملن، وإذا كن يخططن لهذا الحمل، فكيف يمكن تفسير هذا القرار.

ماذا فعل الباحثون؟

أراد الباحثون إجراء مقابلات مع الفتيات اللاتي حملن حديثاً واللاتي وصفن حملهن بأنه "مخطط". وكان لزاماً على الباحثين، في بادئ الأمر، أن يحددوا ما يعنونه "بالحمل المخطط"، كما أنهم ابتكروا مجموعة من الأسئلة التي يمكنهم أن يطرحوها على الأمهات الصغيرات للتأكد من أن حالات حمل هؤلاء الأمهات كانت "مخططة". وكانت المعايير الأربعة "للحمل المخطط" كما يلي: تعتمد الفتاة أن تصبح حاملاً، وتوقفها عن تناول أو استخدام موانع الحمل، وموافقة شريكها الرجل على ذلك، ووقوع الحمل في الوقت المناسب لهن من حيث مراحل حياتهن وأساليب معيشتهم. صمم الباحثون استبياناً للفرز، تم تطبيقه على الأمهات الصغيرات المقيمات في مناطق مختلفة وإلى شركائهن من الرجال. ومن هذا الاستبيان تم اختيار 41 شابة و10 من الشبان الذين سيق لهم أن خططوا لإنجاب طفل، وتمت مقابلتهم بعد ذلك في مقابلات شبه مقننة. كانت المقابلات تستغرق 45 دقيقة في المتوسط. وكانت تشمل الحديث عن الحمل وعن طفولة المبحوثين والمبحوثات، وعن البيئة الأسرية، وعن التحصيل الدراسي، وعن طموحات المستقبل، وعن مظاهر تأثير الأسرة والأصدقاء عليهم. وكانت المقابلة تنتهي بطلب إلى المبحوثين والمبحوثات أن يتأملوا في حياتهم قبل الحمل (وإلى أي مدى من الاختلاف قد تكون عليه حياتهم الآن)، وبسؤالهم كذلك أن يتخيلوا حياتهم في المستقبل.

نتائج البحث

- توصل الباحثون إلى تحديد عدد من التفسيرات المحتملة للحمل المخطط، نذكر منها:
 - أدت خلفيات الآباء والأمهات الصغار، بجانب الخبرات التي عايشوها في المدارس؛ أدى ذلك إلى رغبتهم في "تغيير اتجاه" حياتهم.
 - قلة الوظائف وفرص التدريب على المستوى المحلي، بجانب تقبل المجتمع المحلي للآباء والأمهات من الشباب المراهقين.
 - الوالدية فرصة لإنشاء أسرة، قد تعوض هؤلاء الآباء والأمهات الصغار أحياناً عن خبراتهم السيئة فيما قبل.

• قال الكثيرون إن حيواتهم كانت ستكون أسوأ لو لم يصبحوا والدين .

• كان الآباء الشبان يرغبون في أن "يثبتوا وجودهم" من أجل صغارهم ، كما أن بعضهم كان يفتقر إلى "شخصية الأب" .

مزايا استخدام المقابلة شبه المقتنة

- لم تنفذ إلا في أعداد قليلة من البحوث السابقة ، كما أن المقابلة شبه المقتنة أتاحت الفرصة لظهور التفسيرات غير المتوقعة وتأملها واستكشافها .
- أتاح دليل المقابلة المرن وغير الرسمي للوالدين الصغار فرصة التحدث عن خبرتهم بطريقتهم الشخصية .
- أتاح نموذج المقابلة شبه المقتنة للباحثين أن يتحدثوا مع المشاركين حديثاً متعمقاً وأن يستكشفوا - مثلاً - تعريفات الوالدين الصغار "للحمل المخطط" .
- مكنت المقابلات المباشرة الباحثين من الإحساس الحقيقي بحاجة المبحوثين إلى الحديث عن الموضوعات التي يحتمل أن تسبب الحزن والكرب .

3 - التقييم (انظر قائمة المصطلحات)

تتيح المقابلات شبه المقتنة للباحثين أن يكتشفوا ما يتصوره الناس عن ظاهرة اجتماعية ما لهم بها علم ودراية ، كأن تكون خدمة معينة ، أو سياسة جديدة ، أو خطة لاقتراح ما . ويتيح نموذج المقابلة شبه المقتنة للباحث أن يستكشف مع المبحوث مختلف جوانب الظاهرة الاجتماعية ، وأن يحدد بدقة فهمه لأمر معين ، منها مثلاً: المزايا والعيوب المحسوسة لهذه الظاهرة . وتتيح المقابلة شبه المقتنة للمشارك أن يتحدث عن خبراته ، وتصورات ، وقيمه بطريقته الشخصية (انظر المثال الوارد أدناه في برواز بعنوان "البحث الواقعي") .

كثيراً ما يكون البحث الاجتماعي توليفة من عدد من أي نمط من الأنماط المذكورة بعاليه ، وكان يكون بحثاً استكشافياً وتقييمياً (انظر المثال الوارد في "البحث الواقعي") .

البحث الواقعي

مثال لبحث يستخدم المقابلات شبه المقننة:

بحث تفسيري وتقييمي

بحث روس و ويتز (1993) "من النجاة إلى النجاح والازدهار"، قسم السياسة الاجتماعية والخدمة الاجتماعية، جامعة برمنجهام.

أوضحت البحوث السابقة أن النساء اللاتي تعرضن لانتهاك جنسي في طفولتهن (ويطلق عليهن في هذا البحث اسم "الناجيات") يمكن أن يتأثرن بهذا الأمر في حياتهن بعد البلوغ بطرق متعددة، بما في ذلك مثلاً: صحتهم العقلية وقدرتهن على الاتصال بالآخرين. كان هذا البحث قد نُفذَ لحساب هيئة محلية كبيرة بقصد "استكشاف" خبرات الناجيات المتعلقة بسعيهن للحصول على المساعدة والدعم بصفتهم راشدات أو بالغات، وبقصد تقييم خدمات المساعدة والدعم التي تنتفع بها هؤلاء النساء حالياً كراشديات، وخاصة تقدير قيمة هذه الخدمات في ضوء دعمها النفسي لهن كناجيات بعد تعرضهن للانتهاك في الطفولة.

ما الذي فعله الباحثون؟

جُمعت تقديرات أعداد الناجيات المنتفعت بمختلف خدمات الدعم النفسي من هذه الهيئات الحكومية باستخدام استبيان موحد قياسي. وقد تم تحديد خمس وعشرين امرأة سبق لهن التعرض لانتهاك جنسي حين كن أطفالاً. وقد استخدم في تحديد هذا العدد أسلوب عينة كرة الثلج. وصُمم دليل مقابلة لتمكين هؤلاء النساء من التحدث عن خبرتهن كراشديات. وبذل اهتمام خاص للتأكد من أن المبحوثات كن يشعرن بالراحة والدعم النفسي أثناء المقابلة التي كانت تمثل بالنسبة لبعضهن مشاعر بالأسى والكرب (انظر المثال (1-4) في موضع لاحق من هذا الفصل).

نتائج البحث

انتفع معظم النساء اللاتي تمت مقابلتهن بمجموعة من الخدمات الاجتماعية، والصحية، والنفسية بقصد مساعدتهن على مواجهة ما ترتب على الانتهاك الذي

تعرضن له من نتائج . وقد تم تحديد عدة "مسارات" مختلفة كانت متبعة في تلقى الخدمات المقدمة: فكانت بعضهن تنتفع بالخدمات بصورة متعاقبة بينما انتفع غيرهن بعدد من الخدمات في نفس الوقت . وكانت أكثر الأشياء التى ساعدت هؤلاء النساء هي : جماعات الدعم الذاتى للنساء اللاتى سبق تعرضهن للانتهاك ، بجانب الخدمات المستمرة على امتداد 24 ساعة في اليوم . وأكدت الناجيات على أهمية "الإصغاء إليهن ، وتمكينهن من تحديد ما ترغب الناجية نفسها أن تفعله".

مزايا استخدام المقابلات شبه المقننة

- أتيح للنساء اللاتى نجون من تعرضهن للانتهاك الجنسى فى الطفولة ، فرصة التحدث عن خبراتهن المتعلقة بالانتفاع بالخدمات .
- أتاحت مرونة دليل المقابلة للناجيات فرصة التحدث عن خبراتهن بطريقتهم الشخصية الخاصة .
- ساعد وجود دليل للمقابلة على التأكد من تغطية نفس المجالات فى كل مقابلة على حدة .
- تم جمع البيانات المتعمقة بشأن هذا الموضوع الحساس داخل إطار واضح بـسط بشكل منظم فى دليل المقابلة .
- مكنت المقابلات المباشرة الباحثين الذين أجروا المقابلة من الإحساس باحتياج المشاركات إلى التحدث عن موضوعات يمكن أن تسبب لهن الكرب والحزن .

الأماكن والظروف التى يمكن استخدام المقابلات فيها

يمكن استخدام المقابلات شبه المقننة فى مجموعة كبيرة متنوعة من الأماكن والظروف ، ابتداء من مقابلة شخص مسن فى بيته الخاص به وانتهاء بمقابلة أحد وزراء الحكومة أو رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات . ويطرح كل موقع تحدياته الخاصة به ، كما يتعين عليك أن تعمل فكرك فى هذا الموقع وما يحيط به حينما تكون بصدد إعداد دليل مقابلاتك والتحضير للمقابلة . مثال ذلك ، أنه لا بد أن تتأكد من أن بإمكانك أنت

والشخص الذى تقابله أن يسمع ويفهم كل منكما الآخر (الفصل الثانى). وقد يتعين عليك أن تأخذ فى الاعتبار إن كان يمكن أن يساعد على تحسين مستوى الاتصال بينك

وبين المبحوث وجود شخص (وسيط) يقوم بدور المفسر، أو المترجم، أو يتحدث بلغة الإشارة، أو يقوم بدور الوكيل الذى يتحدث باسمه. تذكر أن المقابلة شبه المقننة إنما هي نوع من الحوار، وأنه لكى تنجح المقابلة فى توفير البيانات التى تحتاج إليها لبحثك، فإنه لا بد من حدوث تفاعل بينك وبين الشخص الذى تقابله. وإن كنت تجرى مقابلتك مع المبحوث فى مكان العمل أثناء قيامه بأداء دوره الوظيفى، فقد يكون وقت المقابلة محدوداً، كما قد يطلب منك هذا المبحوث تزويده بإشعار مسبق بالأسئلة المقرر طرحها حتى يستطيع الاستعداد لهذه المقابلة.

اختيار العينة

تبيننا من العرض السابق، أنه جرت العادة على النظر إلى المقابلات شبه المقننة باعتبارها وسيلة لجمع البيانات الكيفية. وفيما يتصل باختيار المبحوثين، فإن هذا يعنى عادة أن تستخدم العينة العمدية (فصل 5 باب 2) إذ يتم اختيار المشاركين بسبب خبرتهم أو آرائهم فى موضوع البحث. وهكذا يتم اختيار الأفراد "عن عمد" لتمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث أو من تطوير نظرية ما. ويُختار المبحوثون على أساس السمات الشخصية أو الخبرات التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بمجال اهتمام الباحث وبأسئلة بحثه، والتى تتيح له أن يتعمق فى دراسة موضوعه. وعادة ما يُختار المشاركون فى المقابلات شبه المقننة ممن يكون لديهم شيء يتحدثون عنه. ذلك أنه سيكون من العسير أن تجرى مقابلة مع شخص ما بهذه الطريقة إذا كان لا يعرف شيئاً عن مجال موضوع البحث.

القضايا الأخلاقية المتعلقة بالمقابلات شبه المقننة (انظر فصل 5 باب 1)

كثيراً ما تستعمل المقابلات شبه المقننة للكشف عن خبرات الفرد ومشاعره. لذلك ينبغى الاهتمام بالتأكد من أن سائر المعلومات المقدمة ستكون مكفولة السرية ولا يمكن إتاحتها للآخرين. وللإطلاع على مزيد من مناقشة القضايا الأخلاقية انظر فصل 5 باب 1. ونكتفى هنا بتسليط الضوء على ثلاث قضايا محددة:

1 - غالباً ما تسجل المقابلات شبه المقننة ، ثم تدون محتوياتها بعد ذلك (فصل 2) . وقد يعنى هذا أن البيانات التى جمعت فى المقابلة تظل متاحة لبعض الوقت ، وأنه قد يشاهدها أو يسمعها باحثون آخرون أو ناسخون آخرون . لذلك يجب الاحتفاظ بالبيانات المسجلة والمنسوخة فى مكان مصون ، وإن اشترك آخرون (فى التسجيل أو النسخ) فلا بد من أن يوافقوا على كفالة سرية هذه البيانات .

2 - كثيراً ما تستخدم المقابلات شبه المقننة كجزء من تصميم للبحث يشتمل على إجراء مقابلات مع أعداد صغيرة من الأفراد ، الذين تم اختيارهم - خصيصاً - بسبب خبرتهم أو آرائهم ، كما يشتمل على تجميع المعلومات التفصيلية عنهم . ولا بد من الاهتمام بضمان خلو التقارير البحثية والرسائل الأكاديمية من البيانات التى يمكن أن تؤدى إلى التعرف على هوية المشاركين فى البحث (المبوحثين) . ونظراً لأن الاقتباسات الحرفية (للكلام الذى نطق به المبوحث) والمستخرج من بيانات المقابلة تستعمل أحياناً لإيضاح نتائج البحث ، فلا بد من أخذ الحذر عند اختيار مقتبسات قد تشتمل على معلومات يمكن أن تدل على هوية المبوحثين . مثال ذلك أنه إن كنت تجرى مقابلات مع أفراد ينتفعون بخدمة صحية معينة ، وقد يقرأ مقدمو هذه الخدمة ذلك التقرير ، فلا بد من التزام الحذر لضمان عدم إمكان تعرف مقدمى هذه الخدمات على شخصيات الأفراد الذين تمت مقابلتهم .

3- وسوف نرى لاحقاً أن المقابلات شبه المقننة يمكن أن تستخدم لجمع البيانات عن موضوعات حساسة وأحياناً عن موضوعات تسبب الكرب والأسى للمشاركين . إذ تتمثل إحدى نقاط قوة نموذج المقابلات شبه المقننة فى كونه نموذجاً مرناً وقابلاً للتعديل حسب احتياجات المبحوث . كما أنه يمكن الفرد من التحدث عن مثل هذه القضايا . ومع ذلك لا بد من الاهتمام بأن نأخذ فى الاعتبار صالح ذلك المبحوث ، وأن نتأكد من أنه لن يعانى من كرب شديد من جراء هذه المقابلة . ويوجد عدة طرق يستطيع الباحث بها أن يعالج هذا الأمر ، نعرض لها فيما يلى :

(أ) أن يتأكد من أن المبحوث على وعى ودراية بموضوع البحث وبالقضايا التى يحتمل أن تثيرها فى المقابلة .

(ب) أن يوفر بيئة آمنة مريحة نفسياً لإجراء المقابلة فيها .

(ج) أن يُعطى المبحوث حق التحكم فى جهاز التسجيل ، وبذلك يستطيع المبحوث إغلاق

جهاز التسجيل إن استشعر القلق أو أصبح غير راغب فى تسجيل خبراته أو آرائه الشخصية.

(د) أن يصمم المقابلة لإبعاد البحوث عما يجرى خلال المقابلة من مناقشات شديدة الحساسية - أعنى بذلك أن يحاول إنهاء المقابلة فى اللحظة المناسبة (انظر المثال (1-4) الوارد أدناه).

(هـ) أن يوفر للمشارك رقم هاتف للاتصال به، أو ربما ييسر له الوصول إلى أحد مواقع الشبكة، حيث يمكن للبحوث - إذا أراد - أن يحصل على مزيد من الدعم والمعلومات بعد انتهاء المقابلة.

الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية" للبحث

فى المقابلات شبه المقننة يكون الباحث مشغولا - فى العادة - بجمع البيانات التفصيلية والمتعمقة، وأعنى بها تلك البيانات التى تتغلغل تحت السطح الظاهرى لخبرات الفرد وآرائه لتستكشف أسباب السلوك والاتجاهات. لذلك يمكن النظر إلى الباحث باعتباره "الأداة الرئيسية"، معنى ذلك أن الباحث نفسه يقوم بعملين فى الآن معا: يطرح الأسئلة ويمكن البحوث من تقديم الإجابات. هذا هو ما نعنيه عندما نتكلم عن الباحث بوصفه "الأداة الرئيسية". ونظرا لأن الباحث يستطيع بلورة الأسئلة وطرحها خلال المقابلة، كما يبدى تجاوبا للطريقة التى يروى بها المبحوث "حكايته"، لذلك تعد المقابلات شبه المقننة وسيلة فعالة بصفة خاصة لجمع البيانات حين يكون موضوع المقابلة معقدا، أو حساسا، أو غير مفهوم فهما سليما.

فكر فى هذا الموضوع . . .

تصميم المقابلات شبه المقننة

عند تصميم مقابلة شبه مقننة نسعى للوصول إلى سبيل للفهم من شأنه أن:

- يتيح للمبحوثين فرصة الإجابة بطريقتهم الخاصة وعباراتهم الخاصة؛
- ويتيح للباحث أن يستكشف القضايا بالاشتراك مع المبحوث؛

- ويشجع المبحوث على التعبير عن آرائه ومشاعره .
- ويكون مرناً وقابلاً للتكيف مع المبحوثين المختلفين؛ ولكنه:
- يكفل مناقشة نفس جوانب موضوع البحث مع كل مشارك على حدة .

تصميم دليل المقابلة واستخدامه

يصمم دليل المقابلة (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) لمساعدة الباحث على إجراء مقابلة شبه مقننة . وخلافا للاستبيان لا يعد دليل المقابلة مجرد قائمة من الأسئلة يتم طرحها من أولها لآخرها . بل الأصح أن هذا الدليل يستخدم كبرنامج للمقابلة ، إلى جانب ما يحتوى عليه من الملاحظات والفقرات الإضافية لمساعدة الباحث . ومن الأفضل للمقابلات المباشرة أن تقتصر كتابة الدليل على وجه واحد من وجهي الورقة ، حتى يمكن للباحث الرجوع إليه بسهولة .

فكر في هذا الموضوع . . .

دليل المقابلة

- يساعد الباحث الذي يجرى المقابلة على تذكر الموضوعات التي ينبغي تغطيتها .
- يقترح سبلا مختلفة لتناول الموضوعات .
- يذكر الباحث القائم بالمقابلة بالأسئلة المحفزة أو السابرة لأعماق نفسية المبحوث وبطرق طرح الأسئلة .
- يشتمل على تقديم المقابلة ، وعلى طريقة لإنهائها .
- يكفل تغطية الباحث لجميع الموضوعات المراد طرحها .
- يقدم ترتيباً معقولاً للموضوعات .
- يساعد الباحث على تمكين الأفراد من التحدث بطريقتهم الخاصة وبأقصى ما يمكنهم من التفصيل والإفاضة .
- دليل المقابلة ليس مجرد قائمة من الأسئلة .

وإليك دليلاً للمقابلة تم تصميمه لبحث نفذته "ليز روس" Liz Ross و "آن ويتز" (روس وويتز، 1993) (انظر "البحث الواقعي" السابق). ركز هذا البحث على النساء اللاتي سبق أن تعرضن للانتهاك الجنسي عندما كن طفلات صغيرات، ثم أصبحن - وقت إجراء البحث - يسعين كراشيدات للحصول على المساعدة والدعم النفسي. تقول الكاتبتان: كان يهمنا أن نتعرف على مزيد من المعلومات عن الطريقة التي اتبعتها هؤلاء النساء في التماس المساعدة، وكيف كان شعورهن بخدمات الدعم النفسي التي قدمت لهن. ورغم أننا لم نكن نرغب في مناقشة خبراتهن في مرحلة الطفولة أثناء المقابلة، فقد كان من الراجح أن تتسبب مشاركتهن في هذا البحث في استثارة ذكرياتهن ومشاعرهن العميقة. كان دليل المقابلة قد صمم بعناية لمحاولة التأكد من أن المبحوثات يشعرن بالراحة النفسية، ومن أنهن قادرات على الإسهام في تحسين مستوى الخدمات المقدمة لهن ولغيرهن.

المثال (4 - 1) . . .

دليل المقابلة

إجراء مقابلات مع نساء سبق أن تعرضن في طفولتهن

للالتهك الجنسي عن موضوع انتفاعهن بالخدمات المساعدة

1 - تقديم المقابلة

دردشة حول وصول المبحوثة لمكان المقابلة. . إلخ، وكيف هي أحوالها اليوم؟ شرح معنى السرية: لن يعرف أى إنسان آخر أنه أجريت معك مقابلة، وسيتم مسح أسطرة التسجيل.

ستكون المقابلة حواراً، أشرح للمبحوثة كيف يعمل جهاز التسجيل الصوتي، وإنها تستطيع إيقافه في أى وقت إن كانت غير مرتاحة نفسياً لتسجيل ما نقول.

2 - هل تستطيعين أن تحكى لى قليلاً عن نفسك: كم عمرك، أين تعيشين، من يعيش معك فى هذا المكان؟ ماذا عن الأطفال الصغار. . إلخ؟

3- الانتفاع بالخدمات

ابدأ بالسؤال عن الخدمة التى من المعروف أن المبحوثة تنتفع بها حالياً .

عناصر ينبغي تغطيتها:

- ما نوع الخدمة؟
- ما مدى تكرار الانتفاع بهذه الخدمة داخل نطاق مدة زمنية معينة؟
- ماذا يحدث فى ذلك المكان؟
- متى ذهبت إلى هذا المكان لأول مرة؟
- كيف سمعت عن هذا المكان؟
- هل يعرف الأفراد العاملون بهذا المكان أنك "ناجية" أى : تعرضت لانتهاك جنسى فى طفولتك؟
- ما شعورك تجاه التردد على هذا المكان؟

4 - إفشاء السر لأول مرة؟

أريد أن أسألك عن المرة الأولى التى أخبرت فيها أحداً، وأنت راشدة، أنه سبق لك أن تعرضت للانتهاك الجنسى وأنت طفلة .

نقاط ينبغي تغطيتها:

- من الذى أخبرته؟
- أتستطيعين أن تصفى ما حدث حينئذ؟
- أتستطيعين أن تتذكرى لماذا/ وكيف آل أمرك إخبار هذا الشخص؟
- ما الذى كنت تأملين أن يحدث؟
- ما نوع المساعدة التى حصلت عليها؟
- ما الذى حدث بعد ذلك؟

5 - الانتفاع بالخدمات فيما بعد

عدة نقاط تتصل بالخدمات الحالية.

6 - الجوانب الجيدة وغير الجيدة للخدمات التى تنتفع بها المبحوثات.

7 - راجع الانتفاع بالخدمات الأخرى.

8 - أنواع الدعم الأخرى

ما المساعدة التى تتلقاها المبحوثة من الأسرة ، أو من شريك حياتها ، أو أصدقائها ،
أو من الناجيات الأخريات؟

9 - المستقبل

هل من مساعدة تحتاج إليها المبحوثة فى المستقبل؟ ما نوعها؟ وإلى متى ستحتاج
إليها؟

10- إنهاء المقابلة

هل تقترحين إدخال أى تحسينات على الخدمات التى تقدم لك ولغيرك من
الناجيات الأخريات؟ وهل يوجد أى شيء آخر تودين قوله عن المساعدة التى تحتاج
إليها الناجيات؟

11- أغلق جهاز التسجيل ، وتأكد من أن المبحوثة مرتاحة نفسياً ، وأعد التأكيد على
موضوع السرية والاهتمام بها ، بعض الدردشة ، تناول الشاي ... إلخ .

ملاحظات على دليل المقابلة

1 - تأكد من أن المشاركة فى بحثك مرتاحة نفسياً وأنها على معرفة تامة بطبيعة
المقابلة ومدتها ونموذجها . إن الوقت الذى تقضيه فى بناء الألفة مع المشاركة يساعدها
على الشعور بالمزيد من الارتياح والرغبة فى المشاركة فى المقابلة . إذا كانت مادة
موضوعك شخصية أو حساسة فلا بد من التأكيد على سرية المقابلة ، خاصة عند تفكير
المبحوثة فى مسألة: ما الذى سيحدث لأى معلومة تقدمها خلال المقابلة .

2 - من المهم أساساً أن تشجع المبحوثة على الكلام ، وأن تساعد على الشعور بأن لديها خبرات وآراء تسهم بها في المقابلة ، وأن تبدو لها أنك تتوقع منها أن تقوم بالكلام والإفصاح . لذلك ينبغي أن يكون أول سؤال أو أول موضوع تبدأ بتقديمه هو ذلك الذي تعلم أنها تستطيع الإجابة عنه ، وأن لديها ما تقول فيه أكثر من مجرد نعم أو لا .

3 - قد يكون من المفيد - في أوائل المقابلة - أن تتحدث عن الأحداث أو المواقف التي يحتمل أن تشغل بال المبحوثة: ويعد موضوع الانتفاع الحالي بالخدمة ، مثلاً ، بداية طيبة يمكن أن تنطلق منها .

الأسئلة المحفزة: نقدم هنا قائمة أسئلة تستهدف حث المبحوث على تغطية كل الجوانب أو الموضوعات المتعلقة بالخدمات الحالية . وهي ليست قائمة بأسئلة تطرح على المبحوثة ، وإنما هي في الحقيقة قائمة لتذكير الباحث بأن يطرح أسئلة عن هذه الجوانب إن لم تتعرض المبحوثة في إجابتها لهذه المعلومات .

4 - بهذا نكون قد وصلنا إلى منتصف المقابلة ، حيث يمكن طرح جوانب الموضوع الأكثر حساسية وشخصية . وهنا نحتاج لتشجيع المبحوثة على تقديم المزيد من المشاعر العميقة بشأن حادثة أساسية .

أسئلة تفتيح الموضوع: لكي نشجع المبحوثة على الإفصاح عن مشاعرها بدون طرح قدر كبير من الأسئلة التفصيلية عليها نلجأ إلى استخدام أسئلة تفتيح الموضوع ، وهي أسئلة استكشاف عامة تعطي المبحوثة الفرصة للإدلاء بالمزيد عن هذه الحادثة .

5 - والآن نريد أن ننتقل من لحظة إفشاء السر لأول مرة وصولاً إلى الوقت الحاضر لنناقش كل خدمة انتفعت بها المبحوثة طوال هذه الفترة . ذلك أن طلبنا من المبحوثة أن تتعرض لسلسلة من الأحداث تبعاً لتواريخ وقوعها يمكن أن يكون مفيداً ، لأنه يساعد على التذكر . ويمكن أن يساعد مثل هذا السؤال سعيها إلى فهم الكيفية التي يمكن بها للخبرة الناجمة عن انتفاع المبحوثة بإحدى الخدمات أن تؤدي إلى خبرات مشابهة أو مختلفة عند الانتفاع بخدمة أخرى . لاحظ استخدام الأسئلة المحفزة على النحو الذي أشرنا إليه في الفقرة (3) .

6 - عند الوصول إلى هذه المرحلة من المقابلة ، وبعد أن تكون المبحوثات قد أفضين بقدر كبير من الخبرة ، وفي بعض الحالات يكن قد أفضين بما يشعرون به من أحاسيس عميقة ، يُطلب منهن استخلاص بعض النقاط العامة التي تتعلق بمجموعة الخدمات التي انتفعن بها . وإنه من المفيد أن يُطلب منهن هذا الطلب قرب نهاية المقابلة لأنهن يكن - عند هذه المرحلة - قد استرجعن سائر الخدمات التي انتفعن بها ، وتأملنها جيدا . وبعد تذكرهن لخبراتهم ومشاعرهن يكن في وضع مناسب للحكم على تلك الخبرات وتحديد الخبرات "السارة" وتلك التي "ليست سارة بنفس الدرجة".

7 - طرح سؤال مراجعة لاستجماع أى أمر تكون المبحوثة قد غفلت عنه .

8 - فى هذا الوقت يتم توسيع نطاق المناقشة ليستوعب الأشكال الأخرى للدعم النفسى .

9 - عندما تشرّف المقابلة على الانتهاء يشجع الباحث السيدة المشاركة على النظر للمستقبل بدلا من الماضى .

10- اطرح سؤالا آخر يساعد على أخذ النقاش بعيدا عن الخوض فى الأمور التي قد تسبب الكرب أو تزعج النفس ، والانتقال إلى البحث عن الطرق التي بها يمكن تحسين مستوى الخدمات المقدمة للمبحوثات وغيرهن من الناجيات . كما يساعد مثل هذا السؤال الباحث على استكشاف أفكار الأفراد عن تحسين مستوى الخدمات . وتكون تلك فرصة للمبحوثة لقول أى شيء آخر عن الموضوع لم يرد له ذكر حتى تلك اللحظة .

11- يتم الإعلان عن انتهاء المقابلة بإغلاق المسجل . وهنا يتم تذكير المبحوثة بأنه سيتم الحفاظ على سرية ما قالته وأنه لن يستخدم إلا لأغراض البحث فقط . يشكر الباحث المبحوثة ويؤكد لها أنها إنسانة ممتازة .

فكر فى هذا الموضوع . . .

المقابلة شبه المقننة تشبه إلى حد ما تركيب

أجزاء الصورة اللغز Puzzle

تخيل أنك تركب أجزاء الصورة اللغز . وأنك قد أعطيت هذه الأجزاء ، ولكن الصندوق الذى يحتوى عليها ليس على سطح الصورة المكتملة لتسترشد بها فى تجميع تلك الأجزاء . إلا أنك قد أخبرت بأن الصورة تتعلق -عندما تكتمل- بموضوع بحثك . والآن تقوم أنت والمبحوثة معا بتركيب أجزاء هذه الصورة المفككة لتصبح صورة متكاملة واضحة .

ما الذى تفعله أولاً؟

العشور على القطع أو الأجزاء التى تمثل الحواف والأركان ثم تقوم بتجميعها مع بعضها .

عليك - بوصفك باحثاً - أن تضع الخطوط التى تحدد معالم المقابلة ، وتذكر ما سوف تتكلم عنه ، وما سوف تبديه للمبحوث ، وذلك من خلال أسئلتك الأولى ، والطريقة التى تريد منه اتباعها فى المشاركة فى هذا البحث .

ثم ماذا؟

صنف القطع وفقاً للألوان أو الأشكال التى تبدو متناسبة مع بعضها .

سبق أن اتخذت قرارك المتعلق بطرق تقسيم البحث إلى فقرات متتابعة وأنت تصمم دليل مقابلتك . ومع ذلك ، فإنك عندما تبدأ فى تنفيذ هذا القرار قد تجد أن المبحوث يُصنف القطع التى تتكون منها الصورة اللغز بطريقة مختلفة ، أو ربما كانت مدركاته الحسية للألوان مختلفة عنك: هل تلك القطعة زرقاء اللون أم أرجوانية؟

ثم ماذا بعد ؟

ابدأ بتجميع بعض القطع معا وضعها داخل الإطار .

عندها ربما يبدأ شريكك فى البحث بمعالجة جزء من المقابلة (أى الصورة اللغز) مختلف عن الجزء الذى تبدأ به . وقد يكون من الأفضل لك أن تدع أسئلتك (أى قطع اللغز) جانباً ، وتساعده على استكمال الجزء الذى يريد الاشتغال به قبل أن تعود إلى الجزء الذى اخترت أن تبدأ به عملاً .

وأخيراً

نعتقد أحياناً أن الأجزاء أو القطع متناسبة مع بعضها أو أن كل القطع الزرقاء تتلاءم مع السماء ، ثم نكتشف بعد ذلك أن القطع لا تتناسب مع بعضها ، فنعاود التفكير مرة ثانية ، ونحرك القطع هنا وهناك ، وقد نطلب المساعدة أو الإيضاح .

هل استطعت تجميع أجزاء الصورة؟ تأكد أن المقابلة نشاط مشترك رغم أن لكل من الطرفين المشاركين دور مختلف بالفعل .

تنفيذ المقابلة شبه المقننة

بعض الأفكار المفيدة فى إجراء مقابلة ناجحة

- إن المقابلة شبه المقننة أشبه بالحوارة التى يركز فيها شخص (هو الباحث) على الشخص الآخر (هو المبحوث) ويفعل كل ما يستطيع فعله ليتمكن من التحدث عن الأحداث ، والمشاعر ، والآراء التى ترتبط بموضوع البحث . ويسهل ذلك وجود مكان مريح نفسياً ، ليس فيه ما يشتت الذهن ، حيث يستطيع الباحث والمبحوث أن يجلسا بحيث يستطيع كل منهما أن يرى وجه الآخر (وهو وضع الجلوس المثالى الذى لا يُشعر بالمواجهة ، ولذلك لا يجلس الباحث والمبحوث متقابلين وجها لوجه) .
- بوصفك الباحث ينبغى عليك أن تباشر العمل فى كل مقابلة بنوع من حب الاستطلاع البسيط . ا طرح من ذهنك أى افتراضات بشأن المبحوث أو الموقف . واستعمل الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع لتشجع المبحوث دائماً على أن يحكى لك حكايته بدلا من أن تفترض أنك تعرف ما يفكر فيه .
- استعمل أسئلة محفزة محايدة (انظر أدناه المثال 2-4) للتأكد من أنك لا توحى للمبحوث بأن يقدم آراء "مقبولة" .

- شجع المبحوث بإبداء بعض أشكال الاستجابة له (حتى لو تمثلت فى الأصوات والهمهمات غير اللفظية) لتجعله يعرف أنك تصغى إليه .
- كنت مستعدا للمفاجآت: والتي تتمثل فيما يقوله الأفراد ، وكن مستعدا لحدوث بعض الأمور المزعجة ، ولتوقف المسجل عن التسجيل ، وما أشبه ذلك . واحتفظ بهدوئك دائما .
- كن مستعدا لأن يروى المبحوثون حكاياتهم بعدة طرق مختلفة (حيث قد لا يلتزم بعضهم بدليل المقابلة الذى تم التخطيط له بدقة وعناية) . عليك أن تكون مرنا وقابلا للتكيف مع كل مبحوث على حدة لا أن تتوقع منهم أن يتواءموا مع أجندتك .
- انتفع بدليل مقابلتك فى التأكد من أن سائر أسئلة البحث قد تم تغطيتها ، وفى تذكيرك بالأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع ، إذا حدث ونسيت بعض الأمور .

المثال (4 - 2) . . .

الأسئلة المحفزة تفيد فى المقابلات شبه المقتنة

- هل يمكنك أن تحكى لى المزيد عن هذا الموضوع؟
- هل يمكنك أن تحدثنى عن شعورك إزاء ذلك؟
- كيف يمثل هذا الأمر خبرة سارة/ أو سيئة بالنسبة لك؟
- ماذا كان شعورك عندما حدث ذلك؟
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- أيمكنك أن تخبرنى بالمزيد عن . . . ؟
- قلت قبل ذلك أن . . . هل يمكنك أن تستفيض قليلا فى هذا الموضوع؟
- ماذا تقصد بذلك؟
- كيف؟

تسجيل المقابلة

غالباً ما يتم تسجيل المقابلات شبه المقننة (فصل 2 باب 3) ثم تنسخ بعد ذلك . حينما يكون التسجيل غير ممكن ، فمن الممكن تدوين الملاحظات أثناء المقابلة وكتابتها بعد ذلك بصورة مستوفاة في أقرب وقت ممكن عقب المقابلة . من الممكن تصميم نموذج لتدوين الملاحظات بناء على دليل المقابلة (فصل 2 باب 3 للاطلاع على المزيد عن هذه النقطة) .

المقابلة التأملية (مراجعة الباحث لنفسه)

باعتبارك "الأداة الأساسية" التي تجمع البيانات مباشرة من المبحوث ، فإن تستطيع أيضاً أن تجمع البيانات من نفسك ومن خبرتك الخاصة . لذلك عليك - بعد كل مقابلة - أن تضي بعض الوقت للتأمل في المقابلة بطريقتين:

1 - دون ملاحظاتك عن المقابلة:

- كيف بدا شعور المبحوث إزاء هذه المقابلة؟
- هل أبدى المبحوث مشاعره من خلال الأفعال غير اللفظية ، أو إشارات اليدين أو تعبيرات الوجه؟

2 - دون ملاحظاتك عن نفسك كقائم بالمقابلة:

- ما الذي فوجئت به؟
- ما الجوانب الناجمة فيما يتصل ببناء المقابلة وأسلوبك في إجراء المقابلة؟
- ما الأمور التي لم تحقق النجاح المنشود؟
- ما الذي يمكنك أن تفعله بطريقة مختلفة؟
- ما تفسيراتك وأفكارك عن التحليل في هذه اللحظة؟
- ما المعلومات التي توصلت إلى استكشافها؟ وما الذي تحتاج إلى إيضاحه؟ راجع هذه الأمور مع المبحوث .
- هل ترغب في تعديل دليل مقابلتك؟

طبيعة البيانات المجموعة وتأثيراتها على التحليل

تكون البيانات المجموعة من المقابلة شبه المقننة مكتوبة بنفس العبارات التي نطق بها الباحث، وتعد - بهذا الاعتبار - بيانات "خام". من المعتاد تسجيل هذه البيانات والاحتفاظ بها في هذا الشكل في المراحل الأولية للتحليل بحيث يتسنى عند التحليل استخدام العبارات الشخصية للباحثين (فصل 2 باب 4). بعد ذلك تُحلَّل هذه البيانات المجموعة في ضوء أسئلة البحث. بالنسبة للباحثين من الطلاب، فإن التحليل الذي ينصب على الموضوعات أو الأفكار الأساسية (فصل 2 و 4 باب 4) يستخدم مجموعة من الأشكال البنيانية، يعد طريقة مفيدة للبدء في معالجة هذه البيانات. وقد تشمل الطرق الأخرى المستخدمة على طريقة "النظرية الموثقة"، وطريقة تحليل الخطاب، وطريقة تحليل المضمون (انظر الفصلين 6 و 8 باب 4).

بحثك

مزايا المقابلات شبه المقننة

- تفيد خصوصا في استكشاف الموضوعات بالتعاون مع الباحثين.
- بإمكانها استكشاف الخبرات والمشاعر بشيء من التعمق.
- يكون الباحث على اتصال شخصي مع الباحث مباشرة.
- المرونة في السماح للباحثين بالتحدث عن موضوعات البحث بطريقتهم الخاصة.
- يكفل وجود بعض التقنيين في هذا النوع من المقابلة تغطية نفس مجالات موضوع البحث مع جميع الباحثين.
- من الممكن ربطها ببعض الطرق الأخرى في جمع البيانات.
- البيانات تكون في حالتها "الخام" (أي مكتوبة بنفس عبارات الباحث الخاصة).

- يمكن - مع الإعداد الدقيق - استكشاف الموضوعات الحساسة أو التي يحتمل أن تسبب الكرب والأسى للمبحوث في ظروف مريحة نفسياً وآمنة.

عيوب المقابلات شبه المقننة

- جمع البيانات يستهلك وقتاً طويلاً .
- لابد للباحث من أن يطور مهاراته في إجراء المقابلة .
- هناك بعض التأثيرات المحتملة الناجمة عن عدم التناسب بين المبحوث والباحث من حيث النوع ، أو الانتماء الأثني أو العمر .
- قد يتم توليد كميات كبيرة من البيانات "الخام" .
- قد يركز المبحوثون على قضايا لا تهم الباحث .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Badlan, K. (2006) Young people living with cystic fibrosis: an insight into their subjective experience, *Health and Social Care in the Community*, 14(3): 264–70.
- Cater, S. and Coleman, L. (2006) *'Planned' teenage pregnancy: views and experiences of young people from poor and disadvantaged backgrounds*, York: Joseph Rowntree Foundation. Available from www.jrf.org.uk/publications/planned-teenage-pregnancy-views-and-experiences-young-people-poor-and-disadvantaged-bac (accessed 12 August 2009).
- Hammersley, M. and Atkinson, P. (1995) *Ethnography: Principles in Practice*, London: Routledge.
- Lee, R. (2004) Recording technologies and the interview in sociology, 1920–2000, *Sociology*, 38: 869–89.
- Minichiello, V., Aroni, R., Timewell, E. and Alexander, L. (1992) *In-depth Interviewing: Researching People*, London: Routledge.
- Oakley, A. (1981) Interviewing women: a contradiction in terms, in H. Roberts (ed.) *Doing Feminist Research*, London: Routledge & Kegan Paul.
- Ross, L. and Witz, A. (1993) From surviving to thriving, Departmental Paper, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.
- Webb, B. (1938) *My Apprenticeship*, Harmondsworth: Penguin. Quoted in Bulmer, M. (1982) *The Uses of Social Research*, London: George Allen & Unwin.

– الفصل الخامس

جماعات المناقشة (البؤرية)

محتويات الفصل

- ما جماعة المناقشة (البؤرية)؟
- استخدام جماعات المناقشة فى البحث الاجتماعى .
- مواقع عقد جماعات المناقشة .
- حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركين فيها .
- جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية .
- الجوانب العملية .
- طبيعة بيانات جماعات المناقشة .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

يمكن النظر إلى جماعات المناقشة باعتبارها نوعاً من التعديل والتحويل لنموذج المقابلة (الفصل الرابع) ، أعنى بذلك أنها نمط من المقابلات الجماعية ، حيث يتم جمع عدد من الأفراد (يتراوح عددهم عادة بين 5 و 13 فرداً) للاجتماع معاً لمناقشة موضوع معين . ويقوم الباحث بجمع البيانات التى تتولد من هذا النقاش .

تتيح جماعات المناقشة للباحث أن يقوم بأكثر من مجرد جمع البيانات الواقعية المتولدة من النقاش . كما تتيح له جمع البيانات المرتبطة بجماعة المناقشة نفسها (أعنى بذلك أن الباحث قد يكون مهتماً بالطريقة التى تستجيب بها جماعة ما ، وليس فرداً ما ، لأحد المواقف) .

ظل الباحثون يستخدمون جماعة المناقشة طوال معظم النصف الثاني من القرن العشرين . من ذلك مثلا أنه جرى في أربعينيات القرن العشرين استخدام جماعات المناقشة في تقدير الأثر الذى تحدثه البرامج الدعائية التى تبثها الإذاعة فى الولايات المتحدة . وقد صك عالم الاجتماع روبرت ميرتون مصطلح «المقابلة المركزة» (ميرتون وكيندال ، 1946 ، وميرتون 1987) ليصف به مقابلة تضم 12 شخصا تقريبا . ورغم أن التقنيات التى طورها ميرتون كانت قبل ذلك تستعمل بصورة رئيسية أساسا للمقابلات الفردية ، فإن جماعات المناقشة ظهرت كأداة لباحثى السوق بحلول ستينيات القرن العشرين (بلور Bloor وآخرون ، 2001) ثم بدأت - على وجه التأكيد - منذ ثمانينيات القرن العشرين تستخدم على نطاق واسع داخل المجال الاجتماعى العام للتحقق من الآراء السياسية ومن تقدير الأثر الذى تحدثه الخدمات . وفى وقت أقرب زاد انتشار جماعات المناقشة (إلى حد أن وصفها البعض بأنها أصبحت «موضة») فى العلوم الاجتماعية (انظر على سبيل المثال مقال مورجان Morgan وسبانيش Spanish 1984 بعنوان «جماعات المناقشة: أداة جديدة للبحث الكيفى» . كما لاقت جماعات المناقشة كثيرا من القبول لدى حزب العمال البريطانى (وشينا من سوء السمعة فى الصحافة) بوصفها أداة لاختبار الرأى العام وتطوير سياسات الحزب فى السنوات السابقة على انتصاره فى انتخابات سنة 1997 .

ما جماعة المناقشة؟

جماعة المناقشة - فى جوهرها - كطريقة لجمع البيانات الكيفية تعد بمثابة شكل معدل أو مغاير لأسلوب المقابلة . ويتمثل هذا التعديل فى أن جماعة المناقشة (وكما يعنيه هذا الاسم ضمنا) تختلف عن المقابلة التى تجرى بين شخصين وتصبح مقابلة لجماعة . وأيا ما كان الأمر ، فإن هذا لا يعنى أنها مجرد طريقة لمقابلة عدد من الأفراد مجتمعين معا . (فقد يقابل بعض الباحثين عددا من الأفراد مجتمعين معا مجرد أن يوفر الوقت والنفقات ، ولكنه يظل يجمع بيانات فردية من كل مبحوث على حدة . ويسمى هذا الأسلوب أحيانا «مقابلة جماعية» ، وهى ليست فى الحقيقة «جماعة مناقشة» .) والأحرى أن جماعات المناقشة تستعمل لجمع البيانات التى تتولد من النقاش بين أعضاء جماعة المناقشة بمساعدة الشخص الذى يدير عمل جماعة المناقشة (أى الباحث) .

ما جماعة المناقشة؟

هى طريقة لجمع البيانات تتسم عادة بأنها:

- تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شخصًا ،
- ممن يشتركون فى أمر معين ، ويكون مرتبطا بموضوع البحث ،
- وذلك للمشاركة فى نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته .

رغم أن التعميم هنا أمر عسير ، فإن جماعات المناقشة تتكون عادة من 5 إلى 13 مشاركا ، بالإضافة إلى شخص يدير المناقشة ، فضلا عن جهاز تسجيل فى أغلب الأحيان أو شخص يقوم بتدوين الملاحظات . ومن الأمور المهمة أن الأعضاء يتم اختيارهم فى العادة ليشاركوا فى النقاش (انظر أدناه وكذلك فصل 5 باب 2) ، كما أن هذه الجماعة تتكون من أفراد لديهم شيء مشترك يربطهم بالموضوع الذى تتناوله المناقشة . ومن المجهود أن يشارك أعضاء جماعة المناقشة فى نقاش منظم يستمر من ساعة إلى ساعتين ، ينصب - غالبا - على موضوع محدد وحيد . والحقيقة أن من السمات المتأصلة لجماعة المناقشة أنه لا بد أن تكون لها بؤرة اهتمام واحدة أو هدف واحد (على الأقل) ، كما يتوقع - بجانب ذلك - فى الغالب أن تقوم جماعة المناقشة بمهام محددة ، من قبيل ترتيب أولوية عدد من البدائل .

استخدام جماعات المناقشة فى البحث الاجتماعى

جماعة المناقشة طريقة لجمع البيانات تعتمد على ديناميات الجماعة للحصول على بيانات كفية متعمقة ، وثرية ، وتجريبية غالبا (فصل 3 باب 1 و فصل 4 باب 2) ويمكن استخدامها ضمن تشكيلة متنوعة من تصميمات البحث الاجتماعى . وقد تكون جماعات المناقشة طريقة جمع البيانات الوحيدة ، أو تكون جزءا من استراتيجية أكثر تعقيدا لجمع البيانات .

وكما هو الحال مع الطرق الأخرى لجمع البيانات الكيفية (وجماعات المناقشة تتصف بشبه كبير مع المقابلات شبه المقننة) (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) فإن البيانات المتولدة داخل نطاق جماعة مناقشة تكون غير مقننة إلى حد ما ، وتستعمل كلمات المبحوثين ومفاهيمهم . وفى معظم الحالات تستخدم جماعات المناقشة للتعرف على مشاعر الأفراد وتصوراتهم للقضايا التى يثيرها موضوع البحث . ومع ذلك يتركز الاهتمام فى جماعة المناقشة بشكل خاص على الكيفية التى يتفاعل بها الأفراد داخل هذه الجماعة وكيفية قيامهم مجتمعين بصياغة تصورهم لموضوع البحث . بهذا المعنى تحاول جماعة المناقشة أن تحاكي ما يجرى كل يوم من محاورات بين جماعات

الناس (كما هو الحال مثلا في الحانة ، أو حول مائدة الطعام ، أو في إحدى جماعات الدعم الذاتى أو في إحدى غرف الدردشة على الإنترنت) وأن تعكس الطريقة التى يتوصل بها الأفراد إلى بلورة فهم لقضية ما أو خبرة معينة عن طريق رواية كل منهم «لحكايته» الخاصة وإنصات كل منهم للآخرين . وخلافا للمقابلة التى تجرى بين طرفين ، يمكن لجماعة المناقشة أن تتيح الفرصة للأفراد ليستكشفوا خبرات الآخرين وآراءهم ويعارضوها ، وليتأملوا فيما لديهم من خبرات وآراء خاصة بهم فى إطار بيئة المناقشة التى تسهل حدوث ذلك . كما أن معظم ما يحدث داخل هذه الجماعة يكون تحت سيطرة المشاركين . ويعمل الباحث كمدير أو وسيط للمناقشة ، وليس كباحث يقوم بإجراء مقابلة مع هذه الجماعة . كما ينصب الاهتمام على تمكين هذه المجموعة من الأفراد من مناقشة كل واحد منهم لغيره ، وليس مجرد أن يجيب على مجموعة من الأسئلة يطرحها عليه الباحث .

تعد جماعات المناقشة طريقة ملائمة لجمع البيانات عندما يكون الباحث مهتما بجمع البيانات الكيفية عن خبرات الأفراد ، وأفكارهم وتصوراتهم ، وعندما يكون لديه اهتمام بالنسب الذى يجعل الأفراد يشعرون بحياتهم الاجتماعية بهذه الطريقة . ويتم تحصيل هذه البيانات عن طريق الإصغاء إلى مناقشة أولئك الأفراد وملاحظتها وتسجيلها ، وكذلك من خلال ملاحظة وتسجيل طريقة معالجة الجماعة للقضايا التى يثيرها موضوع النقاش . وهكذا يكون الباحث مهتما - غالبا - بكل من مضمون المناقشة (ما الذى قيل) والطريقة التى نوقش بها الموضوع .

ونظرا لأن جماعات المناقشة ازدادت شعبية وانتشارا ، وأصبح معترفا بها كطريقة لجمع بيانات صادقة فى العلوم الاجتماعية ، فقد وجدها الباحثون مفيدة فى مجموعة من مختلف مناهج البحث ، والظروف والسياقات (أى الأوساط والبيئات) . والواقع أنه يجرى حاليا استعمال جماعات المناقشة فى المزيد من الأماكن والمواقع وفى أغراض تتجاوز ما تخيله لها منشئوها الأوائل . وإليك مجرد جزء من الطرق التى تستخدم بها جماعات المناقشة:

1 - كأداة استكشافية: أو بحوث المرحلة قبل الاستطلاعية للبحث الاجتماعى ، أعنى بذلك: استكشاف ما يبدو فى نظر الباحثين مهما بشأن قضية أو موضوع ما ، وما نوع اللغة والمفاهيم التى يمكن أن تستخدم فى النقاش . بهذه الطريقة يمكن استعمال جماعات المناقشة للمساعدة فى تصميم أدوات إضافية لجمع بيانات البحث ، والتى منها مثلا : الاستبيان أو المقابلة المقننة . وأيا ما كان الأمر ، فإن البحث الاستكشافى الذى يستخدم جماعات المناقشة وحدها أو جنبا إلى جنب غيرها من طرق جمع البيانات يعتبر - هو الآخر - من البحوث الشائعة ، خاصة بين الباحثين الطلاب ، أو عند دراسة مجال

لم ينفذ فيه إلا عدد قليل من البحوث . ويتناول برواز «البحث الواقعي» أدناه والذي عنوانه «البحث الاستكشافي الذي يستخدم طريقة جماعات المناقشة»؛ يتناول بحثاً أجرى على النشاط الرياضي للشباب للكشف عن الفروق أو الاختلافات بين فتيان من خلفيات اجتماعية - اقتصادية مختلفة (همبرت Humbert وآخرون ، 2006) . ولعلك تحتاج أيضاً إلى إلقاء نظرة على البحث الاستكشافي الذي أجراه جروجان Grogan وريتشاردز (Richards 2002) عن صورة الجسد عند الرجال ، وعلى دراسة وونج Wong وآخرون (2006) عن الفروق بين الأطباء الذكور والإناث في اتجاهاتهم وممارساتهم أثناء معالجة النساء اللاتي تعرضن للانتهاك من أزواجهن).

البحث الواقعي

البحث الاستكشافي الذي يستخدم طريقة جماعات المناقشة

بحث: همبرت وآخرين (2006) بعنوان : «العوامل المؤثرة على المشاركة في النشاط الرياضي بين شباب ذوى مكانات اجتماعية / اقتصادية مرتفعة ، وذوى مكانات متدنية» ، منشور في مجلة «البحوث الصحية الكيفية» ، 16: 4 .

أراد الباحثون استكشاف العلاقة بين النشاط الرياضي والمكانة الاجتماعية / الاقتصادية المرتفعة أو المنخفضة بين شباب تتراوح أعمارهم بين 12 و 18 سنة . وأرادوا بصفة خاصة أن يستكشفوا تصورات هؤلاء الشباب عما يكون من شأنه أن يساعد على زيادة النشاط الرياضي ، كما كان الباحثون يريدون بحث الفروق بين الشباب المنتمين إلى بيئات ذات مكانة اجتماعية / اقتصادية مرتفعة ومنخفضة .

ماذا فعل الباحثون؟

اختار الباحثون 160 فتى من أربع مدارس (مدرستان منها في منطقة ذات مكانة اجتماعية اقتصادية منخفضة ومدرستان في منطقة ذات مكانة اجتماعية اقتصادية مرتفعة) في كندا بناء على مستوى نشاطهم الرياضي واستعدادهم لاحترام آراء الآخرين والتحدث داخل جماعة ما .

عقدت تسع وعشرون جلسة جماعة مناقشة ، مدة كل جلسة نحو ساعة ، واشترك في كل واحدة منها ما بين 5 و 7 مشاركين . وقد ركزت الجماعات نقاشها على سؤال يقول: «لو أنك أصبحت مسؤولاً عن زيادة مستويات النشاط الرياضي للفتيان الذين من سنك ، فماذا ستفعل؟» . سُجلت كل جلسة عقدتها جماعة مناقشة وتم نسخها بعد ذلك . وجرى تحليل البيانات باستعمال طريقة تحليل المضمون (انظر قائمة المصطلحات) (فصل 7 باب

4) لتحديد ما تنطوى عليه تلك البيانات من فئات أو مفاهيم ، وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية.

النتائج

اتضح أن اعتبارات التمتع بصحبة الأصدقاء ، وتطوير اللياقة البدنية ، ودمج الشباب في الحياة الاجتماعية ، كانت مهمة في نظر كلتا الجماعتين . ولكن اتضح وجود فروق بين الجماعتين فيما يتصل بقيود الوقت ، واختيار النشاط ، والتكاليف وتوفير المرافق اللازمة . مثال ذلك أن الشباب ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة ناقشوا أهمية الاختيارات المختلفة بينما أكد الشباب ذوو المكانة الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة أهمية التكاليف ، وقرب مكان أداء النشاط الرياضى وتوفير المرافق اللازمة .

مزايا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- أتيح للشبان أن يتحدثوا عن خبراتهم وآرائهم .
- يمكن للشبان ذوى مستويات النشاط الرياضى المختلفة أن يتبادلوا خبراتهم وأفكارهم مع بعضهم البعض .
- استطاع الباحثون استكشاف الفروق بين الفتيان ذوى المكانة الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة والفتيان ذوى المكانة الاجتماعية المنخفضة عن طريق تشخيص وبلورة الفروق بين مناقشات جماعات المناقشة التى دارت حول الموضوعات المهمة .
- أمكن إدخال عدد من الفتيان فى البحث أكثر من العدد الذى كان يمكن إدخاله بسبب الظروف والإمكانات ، لو أن هذه المقابلات أجريت بشكل فردى يتحدث فيها الباحث مع مبحوث واحد فى كل جلسة .

2 - توليد فرص أو تطوير نظرية : يمكن استخدام جماعات المناقشة لجمع البيانات التى من شأنها أن تمكن الباحث من دراسة التفسيرات الأولية المتصلة بـ لماذا وكيف آل أمر الأفراد إلى أن يشعروا أو يتصوروا ظاهرة اجتماعية ما بطريقة معينة . وفى برواز «البحث الواقعى» الوارد أدناه (وعنوانه : «البحث الذى يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية») يتم استعراض بحث يدرس كيفية ارتباط الأفكار الشخصية للفرد عن التقدم فى السن بخبراته عن الأحوال الصحية المصاحبة للتقدم فى السن (فيرهيرست Fairhurst 2005) . (وربما يحسن بك أيضا أن تلقى نظرة على بحث كتبه دافيدسون وآخرون (2006) يتناول الأفكار الشائعة عند الناس العاديين عن التفاوت فى الحصول على الرعاية الصحية ، وأن تلقى نظرة على البحث الذى كتبه ما نداى (Munday 2006) عن دور «معهد الدراسات النسوية» فى خلق الهوية الجمعية).

البحث الواقعي

البحث الذي يستخدم جماعات المناقشة وتطوير النظرية

بحث: فيرهيرست (2006) بعنوان «وضع نظرية عن التقدم في السن والشيخوخة: الربط بين الصحة البدنية والسعادة والصحة العامة»، مقال منشور في مجلة: الصحة العامة النقدية، 15: 1»

عندما يتقدم الأفراد في السن يكون لهم أفكارهم - أو نظرياتهم الخاصة - المتعلقة بمعنى التقدم في السن. ويتناول هذا البحث كيف يقوم الأفراد العاديون (وليس «الخبراء») بالربط بين أفكارهم المتعلقة بصحتهم البدنية، وبسعادتهم، وبالصحة العامة من جهة، وبين أفكارهم وتصوراتهم عن التقدم في السن. وقد نفذ هذا البحث لحساب مؤسسة «هاجس الشيخوخة» Age Concern، وهي جمعية خيرية كبيرة مهتمة باحتياجات المسنين.

ماذا فعل الباحث؟

كان قد تم تدريب العاملين بهذه الجمعية الخيرية على أن يقوموا بإدارة جلسات جماعات المناقشة، التي عقدها هؤلاء الموظفون مع أفراد تتراوح أعمارهم بين 40 و80 سنة، مقسمين إلى أفواج يفصل بين كل فوج والآخر عشر سنين في العمر، وذلك في سبع مناطق من إحدى المدن في المملكة المتحدة. وقد تم اختيار المشاركين من خلال المكاتب المحلية لهذه الجمعية الخيرية على أساس السن. وهكذا كان كثير من أعضاء هذه الجماعات يعرفون بعضهم بعضاً من خلال بعض الأنشطة الأخرى.

النتائج

كانت الصحة عنصراً أساسياً في الطريقة التي كان يتناقش بها الأفراد ويبدون آراءهم عن التقدم في السن، وعن مدى النظر إلى المسنين الأصحاء باعتبارهم أهم دلالة من المسنين المتقدمين في العمر الزمناً (الذي يقاس بالسنوات)، وذلك لأن الصحة الجيدة تجلب السعادة لصاحبها. وقد ساهم في تمتع بعض المسنين بالصحة الجيدة توافر بعض عناصر لخدمات الصحية العامة كوسائل النقل والإسكان الجيد.

مزايَا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- تواضع الموارد المطلوبة وقلة الوقت الذي استغرقه العمل .
- ركز البحث على وجهات النظر والتصورات المشتركة (وليست الفردية) عن التقدم في السن .
- تكرر جماعة المناقشة المحاورات التي تجرى في كل يوم - وهي المحاورات التي يعبر فيها الأفراد «العاديون» عن أفكارهم المتعلقة بالعالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه .

3 - ملاحظة وتسجيل كيف تتفاعل الجماعة : هنا ينصب التركيز على الطريقة التي تتبعها الجماعة في مناقشة الموضوع المطروح: من الذي يشارك في المناقشة، ومن الذي يمسك بالزمام، وكيف يتم تطوير الحوار، وكيف يتم الاتفاق على اللغة وكيف يتم تعريف المفاهيم وتحديد ما حين مناقشة موضوع معين. وغالبا ما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة في البحث الذي يتناول القضايا الحساسة والمثيرة للتحدي. وكانت دراسة كيتزنجير (Kitzinger 1994) عن الصبيان المراهقين ومدى معرفتهم بمرض الإيدز (فيروس نقص المناعة البشرية) إحدى أوائل الدراسات التي استخدمت جماعات المناقشة بشكل واضح في دراسة ما يحدث داخل جماعة ما من تفاعل بين أعضائها، وكذلك عملية بناء المعنى. ويستعرض المثال المبين أدناه في برواز «البحث الواقعي» (وعنوانه استخدام جماعات المناقشة في دراسة التفاعل داخل الجماعة)؛ يستعرض بحثا أجري عن الشباب والسلوك الجنسي (هايد Hyde وآخرين، 2005)، إلا أنه يهتم -بصفة خاصة- بمدى محاكاة جماعة المناقشة نفسها للتفاعلات اليومية التي تدور داخل جماعة من المراهقين، وبالأُسئلة التي قد تطرحها هذه المحاكاة على الباحث.

البحث الواقعي

استخدام جماعات المناقشة في دراسة التفاعل داخل الجماعة

بحث هايد وآخرون (2005) بعنوان: «طريقة جماعة المناقشة: رؤية لبعض المقابلات التي أجريت مع جماعة مناقشة عن الصحة الجنسية عند المراهقين، منشور في مجلة: «العلوم الاجتماعية والطب»، 61: 2588 - 2599.

اهتم الباحثون بالتعرف على آراء المراهقين والمراهقات المتعلقة بالسلوك الجنسي والصحة الجنسية، بغية تطوير البرامج التعليمية الصحية التي من شأنها أن تساعد من هم في سن المراهقة على ممارسة سلوك جنسى مسئول وصحى. وكجزء من هذا العمل أراد الباحثون أن يستكشفوا: إلى أى مدى يعكس التفاعل الذى يجرى داخل جماعة المناقشة الحوار الدائر بين جماعتين من الرفاق، إذ إن هذه المحاورات التى يتبادلون فيها فكاهاتهم، وشنائمهم، وتلميحاتهم، وردودهم، وحساسياتهم، ودينامياتهم داخل الجماعة قد توفر للباحث رؤى ثاقبة جديدة فى «الموضوع محل البحث».

ماذا فعل الباحثون؟

تمت دعوة عدد من الفتيات تتراوح أعمارهن بين 14-16 سنة وعدد من الفتيان تتراوح أعمارهم بين 17-19 سنة، من تلاميذ عشر مدارس فى أيرلندا للمشاركة فى واحدة من 29 جماعة مناقشة (تقتصر كل جماعة على جنس واحد). بلغ عدد المشاركين 226 مراهقا ومراهقة. كان أعضاء كل جماعة يعرفون بعضهم بعضا، كما كانوا فى الغالب من نفس الصف الدراسى. استخدم دليل للمقابلة بغرض استشارة النقاش كما جرى تسجيل جلسات جماعات المناقشة، وقد تم تحليل البيانات باستخدام تقنيات «النظرية الموثقة» (فصل 8 باب 4) لتحديد الأفكار والموضوعات الرئيسية. وفى وقت لاحق للمقابلة قدم استبيان إلى كل مشارك على حدة، وكان يحتوى على أسئلة عن جماعة المناقشة هذه، وعمّا إذا كانت المناقشة انعكاسا «صادقا» للخبرات والآراء الحقيقية للمشاركين فيها. وجرى فيما بعد عملية تحليل إضافية للتفاعلات التى تمت داخل نطاق هذه الجماعة.

النتائج

قال معظم المراهقين والمراهقات - حينما سئل كل واحد منهم على حدة - إن المعلومات التى طرحت داخل جماعة المناقشة هذه كانت حقيقية فى معظمها، وذلك بالرغم من أن عدد الفتيات اللاتى كن يرين هذا الرأى كان أكبر من عدد الفتيان. ويذهب الباحثون - من واقع تحليلاتهم وخبرتهم - إلى أن جماعات المناقشة قد تكون «تصويرا صحيحا» للحوار الذى دار فى جماعة الرفاق، وأن من اللازم أن يكون الباحثون على وعى ودراية بالطرق التى قد يؤثر بها تكوين الجماعة على التباين والتنوع فى المناقشة، وأنه فى أثناء الحوار داخل جماعة المناقشة قد «يخرج» بعض الأعضاء عن موضوع النقاش، وقد «يطغون على الحوار»، كما أنهم قد يتبادلون المعلومات مع الآخرين. ووجد الباحثون أن الأعضاء كانوا قادرين على المشاركة فى مظاهر القلق والشكوك المتعلقة بالمسائل الجنسية، وأن بعض الأعضاء كانوا يعترضون على وجهات نظر الآخرين.

مزاياء استخدام جماعات المناقشة فى هذا البحث

- استطاع الباحثون أن يلاحظوا كيف يتفاعل المراهقون عند مناقشة موضوع البحث .
 - قد تكون جماعات المناقشة قد حاكت المحاورات التى تدور بين أعضاء الرفاق يوميا ، حيث إن المشاركين يعرف بعضهم بعضا .
 - كان بوسع المشاركين الاعتراض على المعلومات التى تطرح فى الحوار .
 - قد يكون المشاركون أكثر اطمئنانا مما يكونون عليه فى المقابلة التى تجرى بين الباحث والمبحوث ، وأكثر رغبة فى تبادل خبراتهم وآرائهم .
- ولكن هذا البحث شرع فى التساؤل عن مدى إمكان النظر إلى محتوى جماعات المناقشة هذه - أى إلى ما قاله الأفراد فيها - باعتباره صادقا أو حقيقيا أم لا .

4 - الاستشارة والتقييم : قد تستخدم جماعات المناقشة لاكتشاف المعلومات المتعلقة بما يتصوره الأفراد عن ظاهرة اجتماعية مفترضة أو موجودة فعلا . مثال ذلك تصورهم عن سياسة جديدة مقترحة ، أو عن خدمة عامة موجودة بالفعل ، أو عن حدث معين وقع فعلا . وعندما تستخدم جماعات المناقشة بهذه الطريقة ، يتم توليد المناقشة التى تدور حول هذه الظاهرة ويجرى حث المشاركين على التفكير فى المزايا والعيوب ، أى الجوانب الجيدة والجوانب السيئة لإحدى خدمات الرعاية الداخلية فى مؤسسات الإيواء أو للسياسة التى تحظر التدخين فى الأماكن العامة ، وذلك من خلال تبادل الآراء والخبرات والأفكار . كثيرا ما يشتمل هذا النوع من جماعات المناقشة على مهمة تضطلع بها الجماعة (انظر البحث أدناه) . ويستعرض برواز «البحث الواقعى» المذكور أدناه وعنوانه : «البحث التقييمى الذى يستخدم جماعات المناقشة» من تأليف بتلر Butler وأستبرى 2005 ، Astbury؛ يستعرض بحثا أجرى لتقييم الخدمات المقدمة للأطفال الذين يقدمون خدمات الرعاية للغير . وفى هذا التقييم تم استخدام جماعات المناقشة كجزء من توجه قائم على التعدد النهجى . وفى بعض الأحيان تستعمل جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد الذين قد يستبعدون من بحوث الاستشارة والتقييم لو لم يدعوا إلى جلسات جماعات المناقشة هذه . انظر على سبيل المثال دراسة كمبردج Cambridge وماكارثى (2001) McCarthy التى أشركت أفرادا يعانون من صعوبات فى التعلم ، فى تقييم «الفائدة المثلى» المرجوة من خدمات الرعاية الاجتماعية .

البحث التقييمي الذي يستخدم جماعات المناقشة

بحث: بتلر وأستبرى (2005) بعنوان: «الصغار مقدمو خدمات الرعاية. دراسة حالة تقييمية لمشروع كورنول للرعاية الصغار»، منشور في مجلة: «الأطفال والمجتمع»، 19: 292-303.

استخدمت تشكيلة متنوعة من الطرق المختلفة لجمع البيانات في تقييم هذا المشروع، ومن هذه الطرق: «عقد جلسات جماعة مناقشة مع المشاركين في تقديم خدمات الرعاية، وأعنى بهم الصغار والشباب الذين يقدمون... قدرا كبيرا من الرعاية بصورة منتظمة» (قانون مقدمي الرعاية، 1995، ص1). وقد تقرر الاستفادة بنتائج هذه الدراسة التقييمية في توجيه الخدمات المستقبلية المقدمة للرعاية صغار السن.

ماذا فعل الباحثان؟

جمع الباحثون إحصائيات قومية ومحلية وبيانات مستمدة من واقع متابعة المشروع، كما عقدت جلسة جماعة مناقشة مع سبعة من مقدمي الرعاية الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين 11 و 18 سنة، واثنين من الباحثين لإدارة الحوار.

النتائج

كانت الموضوعات الأساسية الكبرى المنبثقة مما دار في جماعة المناقشة تتمثل في أن مقدمي الرعاية الصغار كانوا يشعرون بما يلي:

● بالعزلة وبالوصمة.

● وبالتعرض لبعض المشكلات في المدرسة.

● وبافتقارهم إلى وقت فراغ للراحة.

● وبافتقارهم للتقدير أو الثناء عليهم.

كما تناولت جماعة المناقشة فيما لهذا المشروع وما لغيره من الخدمات من فوائد ونواحي قصور. ومع أن هذا المشروع كان فعالا كل الفعالية في دعم مقدمي الرعاية الصغار، فقد استطاع هذا البحث التقييمي أن يسلط الضوء على بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من التحسين، والتي منها مساعدة مقدمي الرعاية الصغار على الشعور بأنهم أقل عزلة مما هم عليه.

مزايا استخدام جماعات المناقشة في هذا البحث

- جمعت البيانات الكيفية جنباً إلى جنب البيانات الكمية.
- تمكن مقدمو الرعاية الصغار - الذين يكونون في عزلة أحياناً كثيرة - من أن يرووا حكاياتهم وينصتوا إلى حكايات الآخرين.
- تمكن مقدموا الرعاية صغار السن من اقتراح آراء تتعلق بإدخال تحسينات على مستوى الخدمة وأن يناقشوا هذه التحسينات.
- من الممكن التحقق من المعلومات التي جمعت بشكل غير رسمي بواسطة المشاركين في جماعة المناقشة.

5 - مراجعة معطيات سابقة: تُستخدم جماعات المناقشة أحياناً كجماعات مرجعية للباحث الذي يضطلع بتحليل البيانات التي تكون قد جمعت من خلال المقابلات أو الاستبيانات، أو تحليل بيانات جماعات مناقشة شائعة فعلاً. في هذه الحالة يعرض الباحث على جماعة المناقشة هذه تحليله وتفسيره لتلك البيانات، وبذلك يتحقق من تقبل المشاركين لتفسيراته والتأكد من أنها معقولة في نظرهم. وقد ذكر «بلور» Bloor أنه استخدم جماعات المناقشة لمناقشة النتائج المستخلصة من دراسته الإثنوجرافية عن الجمعيات العلاجية التي أجراها مع الموظفين العاملين بتلك الجمعيات (بلور وآخرون، 2001: 14). كما أن بالإمكان استخدام جماعات المناقشة في المواقف التي تكون فيها البيانات التي جمعت باستعمال طريقة أخرى، كطريقة الاستبيان المسحي مثلاً، قد أدت إلى نتائج غير متوقعة، أو إلى نتائج لا يمكن تفسيرها في ضوء البيانات المتاحة. وبهذا تتيح جماعة المناقشة للباحث أن يدرس حقيقة هذه النتائج مع تلك الجماعة، والتي قد تساعد الباحث على تفسير النتائج على نحو أفضل.

6 - تمكين أو إشراك المشاركين (المبحوثين): كذلك تستخدم جماعات المناقشة كوسيلة لإشراك الأفراد في مناقشة القرارات التي يُزمع اتخاذها (والتي قد تتناول إحدى الخدمات التي ينتفعون بها، أو تتناول المرافق الجديدة في الحي السكني الذي يعيشون فيه) ولإعطاء المشاركين في جماعة المناقشة إحساساً بأنهم «أصحاب» هذا البحث. وقد يكون هذا التصرف جزءاً من عملية استشارية أو تقييمية، إلا أنه ينطوي على تأكيد على أهمية المشاركين. وقد تتقابل أمثال جماعات المناقشة هذه أكثر من مرة على امتداد فترة من الزمن (فتلتقي مثلاً بوصفها «هيئة محلفين مدنية» - من المواطنين - أو بوصفها حلقة لمناقشة أمور تتعلق بالمستهلكين أو بالمنتفعين بالخدمات).

مواقع عقد جماعات المناقشة

يمكن عقد جماعات المناقشة فى مواقع أو ظروف كثيرة، بعضها «طبيعى» (أو موجود بالفعل)، حيث يعرف المشاركون فيه بعضهم بعضا من قبل ذلك، لأنهم - مثلا - يترددون على نفس النادي، أو يقيمون فى نفس الشارع، أو يذهبون إلى نفس المدرسة. وبعض هذه المواقع «اصطناعى»، أى يؤسس خصيصا لغرض تجميع البيانات. ومع نمو وتزايد وسائل الاتصال الحديثة - وبالذات الإنترنت - أصبح من الممكن عقد جماعة مناقشة إلكترونية (فصل 10) حيث لم يسبق للمشاركين فيها قط أن التقوا ببعضهم البعض وجها لوجه. بل إنه لم يعد من الصعب - فعلا - أن يكون المشاركون فى جماعة المناقشة موجودين فى أماكن شتى من العالم. ومن شأن مثل هذا الوضع أن يضيف بُعدا جديدا لنطاق المعلومات التى يمكن الوصول إليها بهذه الطريقة، نظرا لأن جماعة المناقشة الإلكترونية يمكنها أن تحقق اللقاء فى إطار هذه الجماعات بين أفراد لم يكن من الممكن أن يتفاعلوا بغير هذه الطريقة، كأولئك الذين ينتمون إلى ثقافات وقوميات مختلفة.

إن موضوع موقع عقد جماعة المناقشة يتعلق بما هو أكثر من مجرد المكان المادى. فالتفكير فى الموقع يعنى التفكير فى تكوين هذه الجماعة أيضا. لذلك يتعين علينا أن نفكر فى موضوع البحث وفى المواقع والسياقات التى يمكن استدعاء الأفراد وجمعهم فيها معا لمناقشة ذلك الموضوع. لذلك قد تشمل المواقع أو السياقات المعتادة لعقد جماعات المناقشة على ما يلى:

- مكان العمل: وفيه يلتقى المشاركون الذين يؤدون أنواعا معينة من العمل.
- مركز اجتماعى، أو مدرسة أو مبنى عام مشابه: وفيه يلتقى الأفراد الذين يقيمون فى الحى ويستفيدون بخدمة محلية معينة، أو جميعا ما، إلخ.
- جماعات من الأفراد ذوى الاهتمامات المشتركة قد يكونون، وقد لا يكونون، مقيمين فى نفس المكان أو الحى السكنى.
- المجتمعات الجغرافية الصغيرة: كالأفراد الذين يقيمون فى نفس المكان، أو الحى أو المدينة الصغيرة، وجميع بينهم اهتمام مشترك أو خبرات مشتركة تتعلق بهذه المنطقة.
- المجتمعات الصغيرة غير المرتبطة بمكان معين: أى الأفراد ذوو الاهتمامات أو الخبرات المشتركة ممن لا يلتقون - فى العادة - لقاء حسيا.

- الجماعة الإلكترونية: يمكن لجماعة المناقشة الإلكترونية أن تجمع من الأفراد معا من يكونون متقاربين أو متباعدين جغرافيا، كما يمكن أن تجمع أفرادا لهم خبرة معينة أو اهتمام معين له صلة وثيقة ببحثك (وهي الجماعة المكونة اصطناعيا)، أو يمكن أن تضم أفرادا يكون قد سبق لهم أن اشتركوا في نقاش إلكتروني (وهي الجماعة الطبيعية، أو قل الجماعة القائمة بالفعل) (انظر الفصل العاشر).

حجم جماعات المناقشة واختيار المشاركين فيها

ما - إذن - الحجم الذى ينبغي أن تكون عليه جماعة المناقشة؟ وكم عدد جماعات المناقشة التى ينبغي عليك تشغيلها؟

بحثك

- إن كنت تفكر فى استخدام جماعات المناقشة لتجمع البيانات لبحثك:
- فما حجم مجتمع البحث الذى تريد بحثه؟
- كم عدد المشاركين (البحوثين) الذين يمكنك الوصول إليهم (وكم منهم يمكن أن يوافق على المشاركة)؟
- إن كنت راغبا فى استخدام جماعات المناقشة فى جمع البيانات، فهل أنت فى حاجة لعقد جلسات جماعات مناقشة منفصلة بسبب الاختلافات فى الجنس، والعمر، والثقافة، وفى القوة ... إلخ؟
- ما الموارد المتوافرة لك للقيام بهذا العمل (مثال ذلك: الاعتمادات المالية، والأماكن، والمرافق، والمعدات ... إلخ)؟
- هل تستخدم طرقا أخرى لجمع البيانات إلى جانب طريقة جماعات المناقشة؟
- ما مقدار الوقت متاح لك لإنجاز هذا العمل؟

كثيراً ما تتأثر البحوث التى يجريها الطلاب، خاصة إذا كان طالباً جامعياً لم يتخرج بعد؛ كثيراً ما يتأثر بالقيود (التي ذكرنا بعضها منها قبل ذلك) وأحيانا ما يضطر إلى اتخاذ قرارات ذات طبيعة عملية. ويبدو لنا أنه ليس بالإمكان أن يزيد عدد أفراد جماعة المناقشة عن ثلاثة مشاركين، وبالمثل نرى أنه من الصعوبة إدارة النقاش فى جماعة يزيد عدد أفرادها عن 13 شخصا.

لعل أول شيء ينبغى عليك أن تتذكره أن أعضاء جماعة المناقشة لابد أن يكون لديهم قدر من الإلمام بالموضوع الذى يجرى بحثه. فلا جدوى من الجهد المبذول بغير ذلك. وفى معظم الحالات، تضم جماعات المناقشة مجموعات الأقران، أى الأفراد «المتكافئين» فى القدرات، والخبرات، والإنجازات، إلى آخر الأمور التى لها صلة بموضوع البحث. وبالإمكان توسيع هذا المفهوم الخاص بجماعة الأقران قليلا لى يضم أفرادا من نفس البقعة الجغرافية، ممن يشتغلون فى نفس المؤسسة، أو ممن تجمع بينهم خبرات متماثلة - (أسبرى 1995، Asbury). وبطبيعة الأمر قد ترغب فى تكوين جماعة مناقشة لا تكون مؤلفة من أقران، ولكن إن فعلت ذلك فسيُلمنك أن تهتم اهتماما خاصا بأن يكون لكل مشارك على حدة فرصة للإسهام فى المناقشة، خاصة إذا كان بعض أعضاء هذه الجماعة ينظرون إلى بعض الأعضاء الآخرين على أنهم أكثر أهمية، أو أرقى درجة فى البناء الهرمى للوظائف، أو أنهم يملكون قدرا أكبر من القوة.

كثيرا ما يوجه الانتقاد إلى بيانات جماعات المناقشة - خاصة ما كان منها ناجما عن عدد صغير من الجماعات التى تضم أعدادا ضئيلة من المشاركين - بأنها تنفق إلى الثبات المنهجي والقابلية للتعميم حين لا يحاول الباحث - فعلا - أن يحقق الثبات المنهجي والقابلية للتعميم بالمعنى الذى يُستعمل به هذان المصطلحان عند معالجة البيانات الكمية (فصل 3 باب 1، وفصل 4 باب 2). تذكر أن البيانات التى تجمعها من جماعات المناقشة هى بيانات كيفية وأنتك - فى العادة - ستختار المشاركين بناء على ما يتمتعون به من خبرة أو اهتمام يمكن أن يسهموا به فى مناقشة موضوع بحثك. يتم تكوين معظم جماعات المناقشة بالاعتماد على العينات العمدية (فصل 5 باب 2): وهى العينات التى تختار عن عمد لتضم أفرادا لديهم خبرة، أو موقف، أو رأى ما يتصل بموضوع بحثك. كما أنها قد تُختار أحيانا لتضم - عن قصد - أفرادا ذوى خبرات أو آراء يحتمل أن تكون مختلفة. يلزم الباحث أن يكون متنبها للتحيز المحتمل داخل هذه العينة، وأن يحاول التأكد من أن الآراء والخبرات المختلفة المتصلة بموضوع البحث قد أدرجت فى الجماعة. على أن هذا الوضع ليس ممكنا على الدوام، كما يشرح ذلك مورجان عندما يقول:

«إذا كان من شأن مصدر معين من مصادر تجميع المشاركين أن يفرض - بالفعل - قيودا على طبيعة البيانات المتاحة، فإن ذلك يفرض على الباحث الاختيار بين التصرف فى حدود هذه القيود، أو العثور على مصادر أخرى لتجميع المشاركين من شأنها تقليل هذه التحيزات» (مورجان، 1997).

من الأمور الأخرى التى ينبغى إدخالها فى الحساب عند اختيار المشاركين فى جماعة المناقشة، طبيعة ديناميات الجماعة التى تحدد الطريقة التى سوف تتصرف وفقا

لها هذه الجماعة. فمن النادر أن يستطيع الباحث التنبؤ بدقة بالطريقة التي وفقا لها سوف تعمل جماعة ما معا، خاصة إذا كان هؤلاء المشاركون مجهولين للباحث. وأيا ما كان الأمر، فإنك تستطيع من واقع خبرتك الشخصية ومعرفتك الوثيقة بموضوع بحثك أن تصل إلى تقدير التصرف الذي يترجح أن يحقق لك هدفك.

مثال ذلك أنه إن كان الموضوع متصلا بجانب ما من سلوك مرحلة المراهقة، كأن يكون متعلقا بالتدخين، أو المعرفة الجنسية، أو شرب الخمر في الحفلات الصاخبة، فإن إدارة جماعة مناقشة تضم كلا من المراهقين والمراهقات وأبائهم وأمهاتهم قد تمثل حُجرا على حرية المراهقين في الإسهام في النقاش، وقد يكون الآباء والأمهات أقل ميلا إلى التعبير عن الأمور التي تقلقهم. لهذا قد يكون من الأوفق تكوين جماعتى مناقشة منفصلتين، واحدة للمراهقين والمراهقات، وواحدة للآباء والأمهات، وبذلك تكونان أكثر فعالية في توليد البيانات المفيدة.

وبالمثل، قد توجد أعراف ومسلّمات ثقافية تتحكم فيما يمكن وفيما لا يمكن الإفصاح عنه داخل جماعة ما، الأمر الذي قد يعوق المشارك عن التعبير عن مكنون نفسه. ولا بد من إدخال هذه الأعراف والمسلّمات في الحسابان في بعض الحالات التي منها مثلا جمع الرجال والنساء معا في جماعة مناقشة، أو جمع أفراد ينتمون لإثنيات مختلفة، أو أفراد يعانون من بعض أنواع العجز البدني (فصل 5 باب 1).

جميل أن تستخدم جماعة موجودة بالفعل، وذلك بالرغم من أنك لا بد أن تكون متنبها إلى أن ديناميات الجماعة داخل جماعة يعرف فيها الأفراد بعضهم بعضا ستكون مختلفة عما هو عليه الحال في جماعة لا يعرف أفرادها بعضهم بعضا. وقد توجد علاقات قوة قائمة فعلا، وشخصيات مهيمنة، واختلافات في الرأي لا تكون متنبها لها (انظر المثال «3-5»).

جماعات المناقشة والقضايا الأخلاقية

يمكن القول بصفة عامة أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بجماعات المناقشة التي تجرى عن طريق المقابلة المباشرة وجها لوجه، هي نفسها نفس القضايا الخاصة بطرق البحث الاجتماعي الأخرى (هومان، 2004). وهي تدور حول: موضوع السلامة، والحفاظ على السرية ومجهولية الاسم، والموافقة عن علم (فصل 5 باب 1). وتوجد قضية خاصة فيما يتصل باستخدام جماعات المناقشة، وهي طريقة تناول البيانات الحساسة، أو السرية داخل الجماعة وبواسطة أعضاء الجماعة (جيبس، 1997، Gibbs)، وهو الأمر الذي سيكون موجودا دائما نظرا لوجود مشاركين متعددين. فقد يكون المشاركون في

الجماعة غير راغبين في الكشف عن المعلومات المتعلقة بهم لأعضاء الجماعة الآخرين . قد يكون هذا مزعجاً بصفة خاصة للمشاركين الذين يعرفون بعضهم بعضاً بالفعل ، أو الذين سيلتقون ببعضهم البعض مرة ثانية بعد جلسات جماعة المناقشة . ولا يمكن أن يضمن الباحث سرية البيانات التي تم الإفصاح عنها داخل الجماعة . وذلك إن كان لا يستطيع أن يسيطر - خارج نطاق الجماعة - على طريقة استخدام المعلومات التي كشف عنها داخل الجماعة . وأياً ما كان الأمر ، فإن بإمكان الباحث أن يطلب من المشاركين في الجماعة أن يحترموا الطبيعة السرية لكافة المعلومات التي تبادلوها داخل الجماعة ، وأن على الواحد منهم أن يحترم نفس هذه الرغبات لدى غيره من الأعضاء . وأفضل ما يُعالج به هذا الموقف أن يتأكد الباحث من أن المشاركين يدركون بوضوح ما المعلومات التي يمكن البوح بها خارج الجماعة ، هذا إن وجدت معلومة من هذا القبيل أصلاً . كما يلتزم الباحثون بواجبهم المتعارف عليه بالحفاظ على إخفاء أسماء المشاركين وعلى سرية المعلومات .

وهناك بعض القضايا الأخلاقية الأخرى التي يجب التنبيه لها فيما يتصل بجماعات المناقشة الافتراضية التي تنفذ على الإنترنت أو من خلال جماعات المناقشة التي تتم من خلال البريد الإلكتروني (الإيميل) (الفصل العاشر) .

الجوانب العملية

تجميع المشاركين في جماعة المناقشة

بعد اتخاذ القرار الذي يحدد حجم جماعات المناقشة التي تسعى إلى تكوينها ، وعدد أفراد كل منها ، وتركيبية كل جماعة؛ بعد ذلك سيكون عليك أن تفكر بشكل إبداعي تماماً في ابتكار طرق لتجميع الأفراد في جماعات المناقشة التي تريدها . وإليك بعض الأفكار في هذا الشأن :

١ - تحقق مما إذا كان يوجد جماعات قائمة بالفعل أو أماكن اجتماع من شأن الأفراد الذين تريد جمعهم أن يوجدوا فيها ، كناد للشباب ، أو مركز رعاية نهائية للمسنين ، أو مركز طبي ، أو مدرسة (للاجتماع بأولياء الأمور من الآباء والأمهات ، أو المدرسين ، أو الطلبة) ، أو أحد بيوت الإيواء ، أو مكان من أماكن العمل . وقد تكون قادراً على تعليق ملصق (تأكد إن كنت تحتاج إلى إذن مسبق بذلك) تطلب فيه متطوعين ، أو تواصل العمل فتتحدث عن بحثك مع مجموعة من الناس تطلب منهم التطوع للمشاركة في البحث . من المفيد لك في عملية تجميع المشاركين أن تكون قادراً على جمع جماعات المناقشة في هذا المكان : تحقق من هذه الإمكانية أيضاً .

٢ - كرة الثلج : اطلب من أوائل الأفراد الذين قبلوا المشاركة أن يزكوك أو يتصلوا شخصيا بمن يتوفر لديه - كذلك - اهتمام بموضوع البحث (فصل 5 باب 2) .

٣ - تحقق مما إذا كانت توجد جماعات قائمة بالفعل تلتقى بشكل منتظم في المراكز الاجتماعية ، أو دور العبادة ، أو في مكان العمل ، وما أشبه ذلك من الأماكن التي قد يرغب أعضاؤها في المشاركة في جماعة مناقشة كجزء من برنامج حياتهم العادي . من مزايا ذلك أنه سيتوفر لك - بصورة تلقائية - مكان للالتقاء بهذه الجماعة .

٤ - أعلن عن جماعات المناقشة التي تريدها ، كأن يكون ذلك في الصحف المحلية ، أو من خلال جماعات البريد الإلكتروني أو على مواقع الشبكة التي يترجح أن يستخدمها المشاركون المحتملون . واطلب من الأفراد أن يتصلوا بك ليزودوك بمزيد من المعلومات ، بحيث تستطيع وقتها أن تتحقق من توافر الشروط المطلوبة فيهم ، كما قد تستطيع التحقق من جماعات المناقشة التي تديرها وتحديد أيها ستكون الأنسب لهؤلاء المشاركين المحتملين .

من الأفكار الجيدة عادة أن تدعوا من الأفراد عددًا أكبر مما تحتاج إليه ، إذ من المحتمل أن لا يحضر بعض الأفراد . ولحث الأفراد على الحضور ، يحسن بك أن تعد نشرة ذات شكل جذاب تزودهم بكل ما يحتاجونه من معلومات .

المثال (1-5)

الدعوة إلى جماعة مناقشة

عزيزي المشارك في جماعة المناقشة

أشكرك على موافقتك على المشاركة في جماعة المناقشة هذه .

ما الذي تحتاج أن تعرفه عن بحثي:

أنا أقوم ببحث عن موضوع

كجزء من دراساتي في (كلية كذا ، أو جامعة كذا)

وحينما أكون قد انتهيت من هذا البحث فإن نتائجي سوف

وأدعوك إلى المشاركة في النقاش داخل جماعة مناقشة مع أفراد آخرين من

وذلك في يوم الساعة

في (العنوان)

سيستمر النقاش زمنًا قدره حوالي وسوف تقدم بعض المشروبات الخفيفة .

أرجو أن يحظى أعضاء الجماعة بفرصة طيبة لتبادل خبراتهم وآرائهم المتنوعة في هذا الموضوع المهم. تأكد أنه لن يتم الإفصاح عن هويتك الشخصية في أى شيء يكتب أو يسجل عن هذا البحث، كما أن ما سوف تقوله سيقى سرياً داخل الجماعة. إن كان لديك أى أسئلة حالاً أو فيما بعد فيمكنك الاتصال بى على هاتف رقم أو على البريد الإلكتروني أشكرك على مساعدتك، ولا شك أن مشاركتك محل تقدير. إننى أتطلع لرؤيتك. جاك (الاسم والتوقيع)

يبعث بعض الباحثين بخطابات للتذكير أو رسائل إلكترونية، أو يبعثون برسائل مكتوبة، أو يتصلون هاتفياً بالمشاركين فى وقت قريب من موعد انعقاد جماعة المناقشة. من الناحية العملية، يكون من الصعب فى كثير من الأحيان إقناع الأفراد بالاشتراك فى جلسات جماعة المناقشة ما لم يُعرض عليهم حافز ما. وقد يكون هذا الحافز مبلغاً صغيراً من المال، أو بعض قسائم التخفيض، أو فرصة الاشتراك فى سحب على إحدى الجوائز. وهناك بعض بدائل لهذه الحوافز - خاصة بالنسبة للباحثين ذوى الموارد المالية المحدودة - يمكن أن تشمل تقديم وجبات خفيفة أو تقديم قدر كبير من المعلومات، أو ربط اجتماع جماعة المناقشة ببعض الأنشطة الأخرى من قبيل الدعوة إلى حضور أمسية تقيمها إحدى المدارس للآباء والأمهات، أو حضور مناسبة على مستوى المجتمع المحلى، أو عرض مسرحى أو مشاهدة أحد المعارض، أو ربط جماعة المناقشة باجتماع لجماعة أو «شلة» قائمة بالفعل. وقد يحدث ذلك فى مركز رعاية خارجية، أو فى مكان لاجتماع سكان عقار ما، أو فى أحد نوادى الشباب.

أين ومتى؟

يتوقف تحديد مكان وزمان انعقاد جماعة المناقشة على من يكونون أعضاء هذه الجماعة وما إذا كان اللقاء سيتم وجها لوجه أم سيكون لقاء «افتراضياً» باستخدام واحدة من الإمكانيات الإلكترونية المتاحة على الشبكة (الفصل العاشر). وفى كلتا الحالتين لا بد أن تلتقى الجماعة فى زمان ومكان يناسبان المشاركين فى جماعة المناقشة. كما يمكن استبعاد بعض المشاركين المحتملين من المشاركة فى جماعة المناقشة فى ضوء اختيار الباحث للمكان والوقت (الذين قد لا يناسبانهم).

جماعات المناقشة المركزة

من المهم عند التخطيط لتكوين جماعة مناقشة أن يفكر الباحث في المشاركين، وذلك من حيث الأماكن التي يمكن أن تكون مريحة في نظرهم، ويكون من السهل عليهم الوصول إليها والشعور بأنها ملائمة لهم. مثال ذلك أن كثيرا من الناس قد يشعرون بالقلق إذا عقدت الجماعة في كنيسة، أو في مسجد، وقد تفضل بعض الجماعات أماكن مألوفة لها قريبة من بيوتها. ويفضل آخرون ما يوفره لهم المركز الاجتماعي للمدينة - كمكان لانعقاد جماعة المناقشة - من فرصة لعدم الإفصاح عن هوياتهم. وبالنسبة لبعض الجماعات، كالمسنين أو المصابين بعجز بدني مثلا، قد يتوجب مثلا توفير وسيلة مواصلات لنقلهم إلى مكان الاجتماع. فإن اتضح للمشاركين المحتملين أن الباحث لم يفكر في تلبية احتياجاتهم، فسيكون من المستبعد موافقتهم على الاشتراك في هذه الجماعة.

كذلك يعد توقيت انعقاد الجماعة على نفس القدر من الأهمية، فالجماعات التي تتعقد أثناء النهار سوف تستبعد - في الغالب - المداومين في وظائفهم، كما يمثل ذلك شكلا من أشكال التحيز (فصل 5 باب 2). أما لقاءات الجماعات التي تعقد في المساء فقد تحول هي الأخرى دون حضور الأفراد الذين لا يحبون الخروج من بيوتهم بعد الغروب بسبب الخوف من التعرض للجريمة أو بسبب عدم توفر وسائل المواصلات المناسبة. وقد يجد الأفراد الذين لديهم أطفال صغار أن عقد اللقاء خلال الساعات الأولى من المساء أمر عسير بسبب مواعيد إطعام الأطفال ومواعيد نومهم.

إن حجرة مضيئة جيدة التهوية بها مقاعد مريحة مرتبة في هيئة دائرة لتساعد الأفراد على الشعور بالارتياح والاسترخاء، كما أن من شأن تقديم مشروبات خفيفة أن يزيد من إضفاء جو ودي خال من التكلفة والرسميات. تأكد أن القاعة مجهزة تجهيزا جيدا قبل وصول أول مشاركون، وتأكد من أنك (وربما مساعدك في إدارة الجلسة) متأهبان للترحيب بالأفراد عندما يصلون، ولإعطائهم شارات لتعليقها مكتوب عليها أسماؤهم. وتأكد من وجود لافتات على كافة المداخل المؤدية إلى هذا المبنى تحدد مكان هذه القاعة. وعليك أن تقوم بتقديم الذين يحضرون متأخرين إلى بقية أعضاء الجماعة، وإتاحة الفرصة لهم للاشتراك في المناقشة في أقرب وقت ممكن. وإن كنت تستعمل أجهزة للتسجيل، أو سبورة ورقية(*)

(*) السبورة الورقية Flipcharts هي عبارة عن لوح خشبي - أو نحو ذلك - على هيئة سبورة، لا تثبت إلى الحائط ولكن ترفع على حوامل (ثلاثة أو أربعة). ويثبت على تلك السبورة في الجهة المواجهة للجمهور كمية من «أفرخ» الورق، تكون مهيئة لأن يكتب عليها المحاضر، وبعد أن يفرغ من صفحة قلبها إلى أعلى لتستقر خلف السبورة، ويجد مكانها صفحة جديدة خالية. وقد تكون الأوراق المثبتة على السبورة عبارة عن خرائط، أو أشكال، أو رسوم، أو إحصائيات... إلخ. تكون جميعها جاهزة لكي تستخدم في الشرح. وكلما فرغ من ورقة قلبها إلى أعلى لتستقر خلف السبورة. ويسمى البعض اللوحات القابلة. ولكن الترجمة التي أوردناها هي الأدق في التعبير عن طبيعة الدور التعليمي (والإيضاحي) لتلك الأداة. (الترجم)

(يتم قلبها للخلف بعد عرضها، لإظهار اللوحات الأخرى) أو غير ذلك من المعدات، فلا بد من تجهيز هذه الأشياء قبل حضور المشاركين. كما يتعين عليك أن تتدرب جيدا على استخدام هذه الأشياء (الفصل الثاني) بحيث لا يحدث أى تأخير في بدء الجلسة أو تطرأ أى مشكلة توقف المناقشة الدائرة بين أعضاء الجماعة. وتذكر دائما أن الأفراد المشتركين فى جماعات المناقشة يضحون بوقتهم ويتبادلون خبراتهم مع غيرهم لما فيه صالح بحثك.

جماعات المناقشة الإلكترونية

هذا مجال أخذ فى الاتساع أمام الباحثين الاجتماعيين (انظر «كنى» ، Kenny ، 2005) كما أنه يوجد عدد من الطرق والأساليب المختلفة التى يمكن استعمالها (تناول هذا الموضوع فى الفصل العاشر).

إدارة جماعات المناقشة

أولى السمات المميزة لجماعة المناقشة أنها كذلك بالضبط - أى إنها جماعة - وأنت بوصفك الباحث تعتبر (عادة) القائم على إدارة هذه الجماعة أيضا. وهذا معناه أنك مسئول عن هذه الجماعة، وبصفة خاصة عن تمكين الجماعة من الحديث عن موضوع بحثك وتحقيق التفاعل فيما بين أعضائها والتفاعل معك. وللقيام بهذا العمل عليك أن تكون ذا بصيرة نافذة تدرك بها ما يجرى داخل الجماعة وتتأكد - كذلك - من أنك قادر على جمع البيانات التى تساعدك فى الإجابة على أسئلة بحثك.

وقد وصف البعض دور المدير بأنه دور «منسق إيقاع الحركة»^(*) (بوكتا Puchta وبوتر 2004 ، Potter) بما يعطى الانطباع بأن دور المدير أو المنسق هو إيجاد طرق لتوجيه أعضاء هذه الجماعة للقيام بدورها كجماعة مناقشة على الوجه الأفضل. ثم إن جماعات المناقشة جماعات معنية بعملية الأداء (الدramي). ومهما قيل خلال النقاش، وسواء كان هذا الذى يقال وجهة نظر تطرح أو حكاية تروى، فإن ذلك يتم أمام جمهور من المستمعين، كما أن هذا الجمهور حافل بالمؤدين (الدramيين) الآخرين. إذ يرى علماء النفس الاجتماعى أن الأفراد - وسط الجماعة - لا يعرضون اتجاهاتهم الفردية المترسخة لديهم، وإنما يقومون بعرض ما لديهم من التقييمات والآراء والخبرات المتعلقة بسياق الموقف (وهو فى هذه الحالة : جماعة المناقشة هذه) وذات الصلة بالأفراد الذين يتفاعلون معهم (بوكتا وبوتر ، 2004). فجماعة المناقشة إنما تصمم لتمكين الأعضاء من القيام بذلك تحديدا.

^(*) ترجمنا هذا التعبير بتصريف محدود ليناسب السياق العربى، فالوصف المستخدم فى الأصل، والذى نصرنا فيه هو «منسق الأداء الحركى (فى الرقص) التفاعلى» أى : Facilitator (or moderator) in interactional choreography. (الترجم)

السمة المميزة الثانية لجماعات المناقشة هي أنها طريقة تفاعلية وليست مجرد طريقة لطرح نفس السؤال على كل شخص . ولا ريب أن الباحث هو الذى يتولى إدارة هذا التفاعل داخل الجماعة .

وهكذا يكون عليك - باعتبارك القائم على إدارة النقاش - أن تتأكد من:

- أن أعضاء الجماعة يتفاعلون مع بعضهم البعض .
 - وأن المناقشة تظل مركزة على موضوع بحثك .
 - وأنتك «لا تقود» المناقشة أو تؤثر عليها .
 - وأنتك متنبه لديناميات الجماعة ولطريقة شعور المشاركين بهذه الجماعة وما هو إحساسهم تجاهها .
- ويستخدم معظم القائمين على إدارة جماعات المناقشة نوعاً من «دليل الموضوع» (انظر قائمة المصطلحات فى نهاية الكتاب) لمساعدتهم فى القيام بهذا العمل .

ما دليل الموضوع؟

- هو مجموعة من الأسئلة أو النقاط الرئيسية أو الأسئلة المحفزة المقرر أن يغطيها الحوار داخل جماعة المناقشة أو أثناء المقابلة ، وأهم وظائفه:
- يساعد المنسق على تذكر القضايا أو الأسئلة التى تطرح ،
 - ويقترح طرقاً لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسئلة ،
 - ويذكر المنسق بأن يطرح أسئلة تفتيح الموضوع ويتابع التعليقات ،
 - ويشتمل على نوع من التقديم وطريقة لإنهاء اللقاء ،
 - يكفل تغطية نفس الموضوعات فى كل جماعة ، وذلك إذا كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك فى إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين .

يعتبر دليل الموضوع الوارد فى المثال (5-2) نموذجاً يتسم بالملامح التالية:

- قالب معين لتقديم وإنهاء جماعة المناقشة ، وذلك للتأكد من أن حديثك يغطى كافة المعلومات المهمة عن : الحفاظ على السرية ، وهدف البحث ، وما سيتم عمله بنتائج البحث وتسجيلاته ، وللتأكد من أنه تم تقديم الشكر للمشاركين على مشاركتهم .
- سؤال تمهيدى لحث الأفراد على الكلام: إذ يوجه السؤال الأول إلى كل مشارك تباعاً ، بحيث تتاح لكل واحد مبكراً فرصة لأن يقول شيئاً ما فى هذا النقاش .

- أربعة أو خمسة أسئلة عامة لتقديم الجوانب المختلفة للموضوع ، والتي تريد من الجماعة أن تناقشها .
- أسئلة متتابعة لتفتيح الموضوع (مثال ذلك : «كيف حدث ذلك؟» ، و«هل يمكنك أن تحكى لنا المزيد عن ...؟» ، و«ماذا تقصد بكذا .؟») . ومجموعة أخرى من الأسئلة المحفزة : (مثال ذلك : «ماذا تقول عن الأفراد الآخرين الذين يعيشون معك فى بيتك؟» و«ماذا تقول عن جيرانك؟») وذلك لحث الأفراد على الإفاضة بذكر المزيد من التفاصيل وعلى تبادل المزيد من الخبرات والأفكار (انظر الفصل الرابع الذى يحتوى على بعض أسئلة تفتيح الموضوع المفيدة فى إجراء المقابلات ، والتي يمكن استعمالها أيضا فى جماعات المناقشة) .
- أسلوب معين للأخذ بيد جماعة المناقشة إلى نهاية الحوار بتكليفهم بمهمة ما أو واجب معين (انظر لاحقا المزيد عن الأفكار الخاصة بالمهام أو الواجبات) .

المثال (2-5)

دليل موضوع لجماعة مناقشة عن : ما الذى يجعل من المكان «مكانا صحيا» لمن يعيش فيه؟

إثارة الجلسة

أشركم على الحضور . سوف تستغرق هذه الجلسة نحو ساعة ، وأى شيء تقولونه هنا سيكون سرىا بحيث إنه لن يتم الإفصاح عن هوية أى واحد منكم فى أى تقرير يكتب عن هذا الاجتماع . كما نرجوكم أن تحترموا سرية بيانات الآخرين بعد مغادرتكم هذا اللقاء . إننا نعمل مع أفراد آخرين فى «وستود» لنتعرف على تصورات الأفراد عما يجعل مكانا ما مكانا صحيا لمن يعيش فيه . ونحن نجرى حوارا مع جماعات من الأفراد مثل جماعتكم هذه ، وسوف يستفاد بالنتائج المستقاة من هذه الجماعات لمساعدة واضعى السياسات والموظفين المحليين على جعل «وستود» مكانا أرقى صحيا لمن يعيش فيه .

أود أن أبدأ برجاء لكل واحد منكم أن يقدم نفسه ، ويكفى فى ذلك أن يذكر اسمه ، ويتحدث عن المدة التى عاشها أو عمل أثناءها فى «وستود» وبعض الأشياء التى تحبها فى المعيشة فى هذه المدينة .

تابع بداية الجلسة	<p>١ - أود أن تبدأ الحديث عما يعنيه كون الإنسان متمتعاً بالصحة في نظرك، هل هو:</p> <p>الصحة البدنية الصحة العقلية الخلو من الأمراض أسلوب المعيشة</p> <p>• وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟</p>
منتصف الجلسة	<p>٢ - ما أنواع الأشياء التي تعتقد أنها مفيدة لصحتك في المنزل؟ في الحى السكنى الذى تعيش فيه؟ • وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟</p> <p>٣ - ما أنواع الأشياء التي ليست مفيدة لصحتك؟ في المنزل؟ في الحى السكنى الذى تعيش فيه؟ • وماذا عن غيرك من الأفراد الذين يعيشون معك؟</p> <p>٤ - ما الذى يمنعكم كوالدين من أن تعيشا حياة صحية؟ • ما الذى يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟</p> <p>٥ - ما الذى يمنع أطفالكم من أن يعيشوا حياة صحية؟ • ما الذى يمكن عمله لتغيير هذا الوضع؟</p>
النهاية	<p>٦ - أيمكنك أن تقترح أمرا واحدا من شأنه أن يحسن مستوى صحتك وسعادتك على نحو ملحوظ؟ (اجمع الإجابات على السبورة الورقية).</p> <p>٧ - أيمكنك أن تقترح أمرا واحدا من شأنه أن يحسن مستوى صحة وسعادة طفلك أو أطفالك على نحو ملحوظ؟ (اجمع الإجابات على السبورة الورقية).</p>

٨ - ما الأمور التي يمكن أن تجعل «وستود» مكانا أرقى صحيا لمن يعيش فيه؟
(اجمع الإجابات على السبورة الورقية).

● تحديد أولويات المهام ، حيث يطلب من كل شخص أن يحدد أعلى ثلاث أولويات في نظره ، ويؤشر عليها عن طريق لصق نجوم أمامها .

٩ - أتود أن تضيف أى شيء آخر؟

أشكركم على مشاركتكم في هذا النقاش . إننا نعتد عددا من جلسات النقاش مثل هذه الجلسة ، وسوف نقوم بعد ذلك بتبليغ نتائج جلساتنا للأفراد الذين يعيشون أو يعملون في هذه المنطقة في نهاية العام . أرجو أن تتقبلوا علبه الطعام الصحي المقدمة لكل منكم ، وقسائم التخفيض المقدمة كمكافأة للمشاركة في جماعة المناقشة .

تساعد هذه المهام - أو الواجبات - المشاركين على التفاعل والعمل معا ، كما توفر للأفراد فرصة للتعبير عن آرائهم . وإليك بعض الأفكار في هذا الشأن :

● **جماعات الهمس:** أثناء جلسة جماعة المناقشة ، اطلب من الأفراد أن يناقش كل اثنين منهم بعضهما في قضية ما ، ثم يناقش كل أربعة منهم في هذه القضية ، وذلك قبل مناقشة هذه القضية من جانب الجماعة بأسرها . فمن شأن ذلك أن يعين الحضور على تأمل الموضوع وإمعان النظر فيه قبل أن تتناول الجماعة بأكملها .

● **تحديد الأولويات:** ضع قائمة بكل الأفكار المختلفة التي ذكرها الأفراد في لوحة قلاية ، ثم اطلب منهم أن يحددوا أهم هذه الأفكار في نظرهم عن طريق سؤالهم أن يضعوا بطاقة لاصقة -كعلامة- أمام ما يرونه أهم فكرة ، أو ثانی الأفكار أهمية ، أو ثالث الأفكار أهمية ، فإن ذلك يعطى الأفراد فرصة التعبير عما يعتبر مهما في نظر كل واحد منهم .

● **تحديد الجماعة للأولويات:** قدم للجماعة مقدارا من قطع العملة الرمزية (غير الحقيقية: «الماركات») «لينفقوا منها على الخدمات الصحية لمختلف جماعات الأفراد ، مثلا . كيف سيوزعون هذا «المال» على وجوه الإتفاق ؟ فمن شأن ذلك أن يساعد الجماعة على أن يتفاعل أعضاؤها مع بعضهم البعض بأكثر مما يتفاعلون مع مدير اللقاء .

● **عوامل تحفيز المناقشة :** في أثناء انعقاد جلسة جماعة المناقشة ، قدم معلومة ما ، أو اطرَح قضية محل خلاف ، أو صورة ، أو اعرض فيلم فيديو قصيرا ، ثم اطلب منهم تعليقات مباشرة . فبإمكان ذلك أن يكون وسيلة لطرح الآراء المتعارضة ، أو تقديم

المعلومات التي قد لا تكون معروفة لجميع أعضاء الجماعة، أو بعض جوانب القضية التي قد لا يمكن طرحها إلا بهذه الطريقة.

بحثك

فكر في موضوع بحثك، ثم اشرح كيف تشجع الأفراد على التحدث عنه؟

تتصف جماعات المناقشة - بحكم طبيعتها - بأنها شديدة التنوع، كما أن الطريقة التي تناقش بها كل جماعة موضوع بحثك سوف تختلف تبعاً لتركيبية الجماعة، وما إذا كان الأفراد يعرف بعضهم بعضاً، وتبعاً لأنماط الخبرة التي يجلبها أولئك الأفراد إلى هذا اللقاء وعلى مدى تأثيرهم - كأفراد أو ربما كمجموعة إثنية أو نوعية (ذكور وإناث) - بموضوع البحث. وبصفتك القائم على إدارة اللقاء، يتعين عليك العمل مع هذه الجماعة لتمكين كل الأعضاء من الاشتراك فيها على الوجه الذي يرغبون فيه. كما أن عليك أن تتأكد من أن الأفراد يشعرون بالراحة النفسية والتقدير داخل المكان الذي تنعقد فيه جماعة المناقشة. وليس هذا بالأمر السهل دائماً، إذ يجب أن تكون جاهزاً لمساعدة الجماعة على أداء مهمتها بنجاح.

إذن فماذا يحدث لو أن :

- ... فرداً لم يشارك ؟
- ... أو دب الخلاف بين فردين ؟
- ... أو أصاب القلق والانزعاج أحدهم بسبب موضوع البحث ؟
- ... أو كذا، أو كذا ...

المثال (3-5)

إذن ماذا يمكن أن يحدث لو أنك تقوم بإدارة لقاء جماعة مناقشة، وأن النقاش أخذ يتطور بصورة جيدة تماماً ولكن ...

... بعد برهة تلاحظ أن شخصاً واحداً بعينه هو أول من يجيب - دائماً عندما تطرح سؤالاً على الجماعة، كما أنه يقاطع - أحياناً - غيره من الأفراد عندما يتحدثون، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة في هذه الحالة:

- اصرف نظرك عن هذا الشخص وانظر تجاه مشارك آخر ، داعيا إياه إلى أن يسهم في المناقشة .
- ارفع يدك قليلا في إشارة «ليتوقف» أثناء نظرك نحو مشارك آخر .
- قل : «لعلنا نستطيع الاستماع إلى شخص آخر الآن» .

..... بعد الدقائق القليلة الأولى ، تتبين أن ثلاثا من النساء الحاضرات يجلسن في صمت ولا يشاركن ، ثم يبدأ الكلام مع بعضهن في هدوء ملحوظ ، ويضحكن أحيانا ، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة للتصرف:

- انظر إليهن ، داعيا إياهن للاشتراك في النقاش .
 - وجه سؤالا بصورة مباشرة إليهن بالاسم .
 - ادعُهن ليتشاركن أفكارهن مع الجماعة .
- ... أثناء تطور النقاش ، تجد أن فردين يستحوذان على زمام الحوار ، ويتبنيان وجهتى نظر متعارضتين . وفى أثناء تطور الجدل ، والخلاف ، ينسحب الأعضاء الآخرون تاركين هذين الشخصين «يخوضان هذه المعركة للنهائية» . فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة في مثل هذه الحالة:

- قاطعهما قائلا : «حسنا ، يبدو لى أن (فلانا) يأخذ بوجهة نظر ما ، وأن (الآخر) يأخذ بوجهة نظر أخرى ، فما هى يا ترى وجهات نظر الآخرين؟
- ادع الحاضرين ، واحدا بعد الآخر ، أن يذكروا ما وجهة النظر الرئيسية عندهم ثم افتح باب المناقشة للآخرين .

... يبدى أحد الرجال ملاحظة تتصل بالمرأة تتسبب فى إزعاج بعض النساء الحاضرات فيعترضن عليه ويصفنه بأنه «متعصب ضد الجنس الآخر» ، وقد يتصدى أعضاء آخرون للدفاع عنه ، فماذا ستفعل؟

أفكار نافعة

- قاطع ذلك الشخص قائلا : «حسنا ، فى بعض الأحيان يقول البعض كلاما قد يزعج الآخرين ، كما قد يكون لهم أفكار مختلفة عما يُقبل قوله فى جماعة . هل

لى أن أقترح متابعة مناقشتنا عن (موضوع البحث) ونتفق على أننا جميعا سوف نراعى مشاعر أعضاء الجماعة الآخرين؟. هل يمكن أن أطمئن إلى أن طلبى هذا مقبول من كل واحد منكم؟»

● إذا لم يرغب بعض المشاركين فى متابعة النقاش مع الجماعة، فاسمح لهم بترك المكان وأخذ فترة راحة قصيرة قبل مواصلة النقاش.

... إحدى السيدات ظلت شديدة الهدوء طوال المرحلة الأولى من النقاش، وبعد ذلك - وحين تتوقف المناقشة - تبدأ فى رواية حكايتها الشخصية التى ترتبط بالموضوع الذى تناقشه هذه الجماعة. وهى قصة مؤلمة تدفعها إلى البكاء. يكون بعض أعضاء الجماعة شديدي التعاطف ويعبرون عن اهتمامهم بموضوع النقاش، والبعض الآخر يلوذ بالصمت. فماذا يمكن أن تفعل؟

أفكار نافعة

- أشكرها على روايتها لحكايتها.
- اقترح أخذ فترة راحة قصيرة قبل استئناف النقاش، وتحقق مما إذا كانت ترغب فى الاستمرار فى الجماعة أم لا.
- كن مستعدا بالمعلومات المتعلقة بمصادر المساعدة والمشورة التى يمكن تقديمها للمشاركين عندما يغادرون مكان اللقاء.

تسجيل جلسة جماعة المناقشة

الوضع الأمثل أن يتم تسجيل لقاء جماعة المناقشة باستعمال مسجل رقمي أو شريطي مناسب مع ميكروفونات صوتية تحيط بمكان الجلسة. من شأن ذلك أن يمكنك من تسجيل الأصوات المختلفة فى لقاء الجماعة بوضوح. إلا أن ذلك لا يكون فى الغالب ممكنا، كما أن الباحث قد يعتمد على مذكراته، وعلى قوائم الإجابات المدونة على اللوحات القلابة، وعلى الملاحظات التى يدونها بعد جلسة جماعة المناقشة مباشرة. وفى كل الأحوال يتعين إعداد تقرير مستوف بقدر الإمكان عن لقاء جماعة المناقشة فى أقرب وقت بعد انتهاء الجلسة. وسواء أكان ذلك من خلال نسخ التسجيل أم من خلال تجميع الملاحظات ومراجعتها وتدقيقها. لن يكون من الميسور دائما أن تلاحظ وتدون فى ملاحظاتك من الذى تحدث؟ وماذا قال؟ فى جماعة المناقشة، وذلك رغم أنه من المفيد لك أن تقوم بذلك قدر استطاعتك. (الفصل الثانى).

طبيعة بيانات جماعة المناقشة

البيانات التي يتم جمعها من جماعة المناقشة بيانات كيفية قد تشتمل على تسجيلات صوتية أو تسجيلات فيديو، أو على نسخ من تلك التسجيلات، أو من الملاحظات التي دونها مدير اللقاء ومساعدته (أو مساعدوه)، أو الملاحظات التي جمعت على إحدى اللوحات القلابة، أو من واقع نشاط جماعي بذل داخل جماعات المناقشة. ومع أنه من الممكن تحديد شخصيات مختلف المتحدثين في التسجيلات وفي الملاحظات المدونة، فإن ذلك قد لا يكون ميسورا دائما، لأنه يحدث أحيانا أن تغطي أحاديث الأفراد بعضها على بعض، أو لا يظهر جهاز التسجيل نطاق الأصوات بوضوح. ونظرا لأن تمييز «من الذى تحدث؟ وماذا قال؟» ليس ممكنا على الدوام، فليس بالإمكان تحليل هذه البيانات وفقا لما أسهم به كل فرد فيها على حدة، أو معالجة هذه البيانات معالجة كمية، مثلا: حسب عدد الأفراد الذين يؤمنون برأى معين. وعلى أية حال فإن جماعات المناقشة لا تستخدم في العادة لجمع الآراء أو الخبرات الفردية، إنما تستعمل في توليد البيانات التي تمثل تفاعل الجماعة.

وكما هو الحال مع طرق جمع البيانات الأخرى، فإن هذه البيانات التي جمعت خلال لقاءات جماعة المناقشة يتم تحليلها من حيث صلتها بطبيعة البيانات وأسئلة البحث. لهذا السبب قد يتم تحليل بيانات جماعة المناقشة باستعمال عدة طرق، منها مثلا: طرق الاستقراء التحليلي، أو طريقة «النظرية الموثقة»، أو طريقة تحليل الخطاب، أو تحليل المضمون (فصل 7 باب 4). ويبدأ كثير من الطلاب الباحثين هذه المهمة بتحليل موضوعي - أى تحليل للأفكار والموضوعات المتكررة الورود على السنة المشاركين - مستعينين بشكل بياني للبدء في تنظيم هذه البيانات (الفصلان 2 و 4 باب 4).

بحثك

مزايا طريقة جماعات المناقشة

- مفيدة على الخصوص للبحث الاستكشافى وفي توليد الأفكار والموضوعات.
- يمكن تمكين الأعضاء وإشعارهم بالتححرر من القيود.
- يمكن أن تجمع بين مزايا المقابلة والملاحظة.
- يمكنها توفير مكان مريح ويبعث على الشعور بالأمان، ولا يعوق التعبير، وربما تتيح دراسة بعض الجماعات في «أماكنها أو أوضاعها الطبيعية».

- توفر الوصول إلى فهم ديناميات الجماعة، وقد توضح بجلاء كيف يتوصل الأفراد إلى اتخاذ قراراتهم أو تحديد اختياراتهم.
- يمكنها أن تكون قليلة التكاليف نسبياً ومجزية اقتصادياً في نفس الوقت، إذ تزودك بمقادير كبيرة من الآراء أو المعلومات.
- من الممكن (في أغلب الأحوال) أن نتحقق بسرعة مما إذا كان يوجد إجماع على الرأي أو تعارض واختلاف.
- يمكن ربطها على نحو مقيد بالطرق الأخرى، كما أنها قد تعزز فاعلية هذه الطرق، ومن أمثلتها طريقة «المراجعة اللاحقة».
- تحقق نجاحاً ملحوظاً، خاصة مع الجماعات ذات التراث الشفاهي.
- هي طريقة مرنة: تسمح باستعمال النماذج والقوالب، والتقنيات المختلفة.
- تتصف بدرجة عالية من الصدق الظاهري، بمعنى أنها واضحة في الكشف عن القصد وعن المضمون، ولذلك يسهل على أي إنسان أن يفهمها. ومن ثم ستكون النتائج قابلة للتصديق (مارشال Marshall وروسمان Rossman، 2006؛ وميرتون، 1987).

أوجه قصور طريقة جماعات المناقشة

- يعتمد نجاح الجماعة في كثير من الأحيان على مهارة القائم بإدارة اللقاء.
- ليس للباحث إلا سيطرة محدودة على البيانات التي يتم توليدها من النقاش.
- يمكن أن تتأثر نتائج البحث بهذه الطريقة بسبب القصور في أن تؤخذ في الحسبان اعتبارات القوة النسبية، والأوضاع الاجتماعية، والقضايا الثقافية لأعضاء الجماعة، وما أشبه ذلك من أمور.
- قد يكون المكان الاصطناعي غير مريح «وغير طبيعي» بالنسبة للمشاركين في الجلسة.
- يمكن لتصرفات الشخصيات المسيطرة والشخصيات الخاضعة أن تؤثر في صدق البحث.
- قد يكون من العسير تسجيل بيانات جماعة المناقشة، لتعارض ذلك مع ما تتسم به طبيعة تلك البيانات من تداخل وتشابك.
- قد يكون رأي الجماعة مختلفاً عن آراء الأفراد، كما قد يكون من العسير الفصل بينهما.
- من الممكن أن تكون مكلفة، خاصة إذا لم يحضر المشاركون.

- لا يكون فى إمكان الباحث - عادة - إلا أن يطرح عددا قليلا من الأسئلة أو لا يعالج إلا عددا محدودا من الموضوعات .
- توجد مشكلات محتملة فيما يتصل بموضوع الحفاظ على سرية البيانات .
- كثيرا ما يكون من الصعب القيام بأكثر من مجرد تحديد الموضوعات الرئيسية (كروجر ، 1994) .
- قد تكون نتائج جماعة المناقشة غير قابلة للتعميم .

بحثك

اختبار جودة البحث : استخدام جماعات المناقشة

- هل يحتاج بحثك إلى آراء واتجاهات وتقييمات الجماعة أم إلى آراء واتجاهات وتقييمات الأفراد؟
- هل ترغب أن تقوم الجماعة بتوليد الموضوعات والأفكار؟
- هل ستساعدك البيانات التى تجمعها فى الإجابة على أسئلة بحثك؟
- هل ترغب (أو تحتاج إلى) قدر كبير من البيانات فى زمن محدد؟
- هل تعد تفاعلات الجماعة مهمة لمشروعك؟
- هل أدخلت فى اعتبارك ما يلى:
- كيف سيتم تكوين الجماعة؟
- أين ستعقدون الاجتماع؟
- كيف ستسجل الجلسات؟
- كيف «ستدير» لقاء الجماعة وأمورها؟
- ما إذا كنت تستطيع القيام بهذا العمل من غير مساعدة أو إرشاد؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Asbury, J. E. (1995) Overview of focus group research, *Qualitative Health Research*, 5: 414–20.
- Barbour, R. S. and Kitzinger, J. E. (1999) *Developing Focus Group Research*, London: Sage.
- Bloor, M., Frankland, J., Thomas, M. and Robson, K. (2001) *Focus Groups in Social Research*, London: Sage.
- Butler, A. H. and Astbury, G. (2005) 'The caring child: an evaluative case study of the Cornwall young carers project', *Children and Society*, 19: 293–303.
- Cambridge, P. and McCarthy, M. (2001) User focus groups and best value in services for people with learning disabilities, *Health & Social Care in the Community*, 9: 476.
- Davidson, R., Kitzinger, J. and Hunt, K. (2006) The wealthy get healthy, the poor get poorly? Lay perceptions of health inequalities, *Social Science & Medicine*, 62: 2171.
- Fairhurst, E. (2005) Theorising growing and being older: connecting physical health, well-being and public health, *Critical Public Health*, 15: 27–38.
- Finch, H. and Lewis, J. (2003) Focus groups, in J. Ritchie and J. Lewis (eds) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Gibbs, A. (1997) Focus groups, *Social Research Update*, 19.
- Grogan, S. and Richards, H. (2002) Body image: focus groups with boys and men, *Men and Masculinities*, 4: 219–32.
- Homan, R. (2004) Ethical considerations, in S. Becker and A. Bryman (eds) *Understanding Research for Social Policy and Practice*, Bristol: Policy Press/Social Policy Association.
- Huimbert, M. L., Chad, K. E., Spink, K. S., Mahajarine, N., Anderson, K. D., Bruner, M. W., Girolami, T. M., Odnokon, P. and Gryba, C. R. (2006) Factors that affect physical activity participation among high and low socio-economic status youth, *Qualitative Health Research*, 16: 467–83.
- Hyde, A., Howlett, E., Brady, D. and Drennan, J. (2005) The focus group method: insights from focus group interviews on sexual health with adolescents, *Social Science & Medicine*, 61: 2588–99.
- Kenny, A. J. (2005) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414–22.
- Kitziuger, J. (1994) The methodology of focus groups: the importance of interaction between research participants, *Sociology of Health and Illness*, 16: 103–21.
- Kreuger, R. A. (1994) *Focus Groups: A Practical Guide for Applied Research*, 2nd edn, London: Sage.
- Marshall, C. and Rossman, G. B. (2006) *Designing Qualitative Research*, London: Sage.
- Merton, R. K. (1987) The focussed interview and focus group: continuities and discontinuities, *Public Opinion Quarterly*, 51: 550–6.
- Merton, R. K. and Kendall, P. (1946) The focused interview, *American Journal of Sociology*, 51: 541–57.
- Morgan, D. L. (1997) *Focus Groups as Qualitative Research*, London: Sage.
- Morgan, D. L. and Spanish, M. T. (1984) Focus groups: a new tool for qualitative research, *Qualitative Sociology*, 7: 253–70.
- Munday, J. (2006) Identity in focus: the use of focus groups to study the construction of collective identity, *Sociology*, 40: 89–105.
- Puchta, C. and Potter, J. (2004) *Focus Group Practice*, London: Sage.
- Wong, S. H., De Jonge, A., Wester, E., Mol, S. S. I., Romkens, R. R. and Lagro-Janssen, T. (2006) Discussing partner abuse: does doctor's gender really matter? *Family Practice*, 23: 578–86.

الفصل السادس

الملاحظة

محتويات الفصل

- ما الذى يجب أن تلاحظه؟
- أنواع الملاحظة.
- تأثيرات الملاحظ (تأثير هوثورن) .
- الجوانب العملية.
- طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

مادام يوجد البشر ، توجد الملاحظة . فهى واحدة من الطرق الأولية ، كما أنها طريقة أساسية أكثر من غيرها ، والتي بها يجمع كل إنسان المعلومات عن العالم الذى يعيش فيه وعن عناصره الكثيرة المهمة التى يتألف منها . توفر الملاحظة للباحثين الفرصة لجمع البيانات أثناء توليدها فى العالم الواقعي ، كما توفر لهم - إن رغبوا فى ذلك - الفرصة ليكونوا جزءاً من تلك العملية كملاحظين مشاركين .

غير أن الملاحظة يمكن أن تكون معقدة تعقيداً شديداً ، وتشتمل على حواس أخرى غير حاسة البصر وحدها . فالبيانات المستمدة من الملاحظة قد تُجمع بواسطة أى حاسة من الحواس الخمس (البصر ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم) ، أو تجمع فى الواقع من خلال تضافر كل هذه الحواس معاً . (للاطلاع على مناقشة لتاريخ الملاحظة فى البحث ، انظر أدلر وأدلر ، 1998 Adler) .

لعل الملاحظة هي الطريقة الأكثر أساسية (وليست الطريقة الأبسط) لجمع البيانات: فالباحث يسجل ما يلاحظه. وفي البحث الاجتماعي تقدم الملاحظة في كثير من الأحيان بوصفها مرتبطة بالبيانات الكيفية. ومع ذلك فليس هذا هو حال الملاحظة في الواقع. فعلى المستوى البسيط يعتبر العد، وبصورة واضحة، أحد أشكال الملاحظة، كما أنه من الأصح ربط الملاحظة بتصميمات البحث الكمي.

ما الملاحظة؟

- 1 - جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية.
- 2 - هي فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية في العالم الواقعي، وتسجيل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التي تحدث بها. والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعي للملاحظة إلى: الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة.

ما الذي يجب أن تلاحظه؟

الملاحظة - إذن - هي مراقبة الأمور وهي تحدث، وهو ما يعطي انطبعا بأنها مهمة سهلة أو بسيطة كل البساطة. والواقع أنها - وللأسف الشديد - أشد تعقيدا من ذلك، ولهذا يتعين علينا أن نتساءل: «ما هذا الشيء الذي نلاحظه؟» قد تكون الإجابة على هذا السؤال واضحة، ولكنها ليست بالضرورة سهلة. فأنت تراقب (أو تنصت، أو ما شاكل ذلك) مراحل حدوث أى شيء تقوم ببحثه. فينبغي عليك أن تكون قادرا على أن تعرف متى تحدث هذه الأمور، وذلك لأنه سيتعين عليك تحديدها في سؤال (أو أسئلة) بحثك وفي تعريفاتك الإجرائية (فصل 4 باب 1).

في الحياة الواقعية تكون الملاحظة معقدة (وكثيرا ما تستهلك قدرا هائلا من الوقت).

فكر في هذا الموضوع . . .

إلى أى مدى تكون الملاحظة معقدة؟

تخيل أنك كلفت بتقدير درجة التزامم في مقهى اتحاد الطلبة في الجامعة الفلانية. ستجد العاملين بالمقهى متحمسين لمعرفة متى يشتد الزحام داخل المقهى، كما أن لديهم بعض الأفكار عما يتعين عمله في هذا الشأن. يوجد بالمقهى 45 مائدة وإجمالي 180 مقعدا.

كيف ستبدأ الملاحظة؟

لا شك أنك سوف تقوم بتخطيط مشروعك بحرص وعناية، وسوف تحدد بعض أسئلة البحث وتصوغ بعض التعريفات الإجرائية لهذه الأمور (فصل 4 باب 1). وهذه المهمة ليست بالأمر اليسير بالطبع، كما أن استكمال هذا الإعداد قد يحتاج لبعض الوقت (وربما يحتاج لشيء من المحاولة والخطأ) حتى تصوغ هذه التعريفات على الوجه الصحيح.

ماذا يمكن أن يكون تعريفك الإجرائي لكلمة «مزدحم».

كيف تجمع بياناتك؟

حسناً، إذا فرغت من صياغة التعريفات الإجرائية على الوجه الصحيح، فإن كل ما يتعين عليك عمله هو المراقبة (أى الرصد والملاحظة)، أليس كذلك؟ ثم إنك ستحتاج أيضاً إلى طريقة ما لتسجيل ما ستوصل إليه من نتائج (الفصل الثانى).

ما الذى سوف تراقبه وتسجله؟

ادخل فى حساباتك الجوانب العملية

من تلك الجوانب مثلاً:

- قد يكون من غير الممكن لشخص واحد أن يقوم بهذا العمل وحده، إذن فكم عدد الملاحظين الذين ستحتاج إليهم؟
- إلى أى مدى سيؤثر حضور ملاحظيك على العملية التى تقوم بمراقبتها؟ (على الأقل: يحتمل أن يشغلوا عدداً من المقاعد التى كان يمكن لرواد المقهى أن يشغلوها لولا حضوركم).
- هل لشكل المكان الذى يشغل المقهى أهمية معينة؟ هل سيؤثر هذا الشكل على الملاحظات؟
- كيف ستأكد من أنه لم يحدث تطابق جزئى فى ملاحظاتهم، أعنى بذلك: كيف ستكتشف أن كل ملاحظة مستقلة عن غيرها، وأن نفس البيانات لم يسجلها أكثر من ملاحظ واحد؟
- كم من الوقت يمكن للملاحظ أن يعمل بدون أن يصيبه الملل؟
- ما القضايا الأخرى التى قد تكون مهمة ولم يرد ذكرها هنا؟

بالإمكان تنفيذ أى نوع من أنواع الملاحظة (انظر ما يلي) إما بصورة ظاهرة (صريحة)، (حيث يعرف المشاركون أنه تجرى ملاحظتهم)، وإما بصورة مستترة (حيث لا يعرف المشاركون فى البحث أنهم واقعون تحت الملاحظة). ومن الواضح أن هذا الوضع يطرح بعض التساؤلات الأخلاقية التى لا بد من معالجتها قبل المضى قدما فى مشروعك (فصل 5 باب 1).

هل من المقبول أخلاقيا إجراء بحث عندما لا يكون لدى المشاركين علم بإجراء هذا البحث؟ لا توجد إجابة واضحة على هذا السؤال، إلا أن من طرق التفكير فيه أن تسأل نفسك عما إذا كان «بالإمكان» الحصول على هذه البيانات عن طريق الملاحظة الظاهرة، أم أنه ليس بالإمكان. فإن كانت الإجابة «نعم»، فإنه يصبح من غير المحتمل لبحث قائم على الملاحظة المستترة أن يكون سليما من الناحية الأخلاقية، أما إن كانت الإجابة «لا» فسوف يكون عليك أن تقرر ما إذا كان من الملائم أن تواصل المضى فى البحث أم لا، مع عمل تقدير للمخاطر التى يتضمنها ذلك العمل فى هذه الحالة. من ذلك مثلا (انظر البرواز أدناه بعنوان: «فكر فى هذا الموضوع»)، ماذا يحدث إن كنت قد بدأت مشروعاً للملاحظة المشاركة المستترة لعصابة إجرامية من مشجعي كرة القدم ثم كُشف أمرك؟ قد لا يحدث شيء واضح (بالرغم من أن هذه العصابة ستحرص حينئذ على ألا تمكنك من أن تكتشف شيئا مهما، مما قد يجعل نتائج بحثك غير مجدية)، إلا أنك تكون ساعتها قد وضعت نفسك فى موقف شديد الخطورة. لا خلاف على أن هذا المثال يمثل حالة متطرفة مستبعدة الحدوث، إلا أنه سيكون عليك دائما أن تدخل فى الحساب سلامتك الشخصية وسلامة مشاركيك (مبحوثيك) عند القيام بهذا النوع من البحث.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الملاحظة المشاركة المستترة

الانخراط وسط حثالة المجتمع

استخدم جون صجدن (2002 J. Sugden) الملاحظة المشاركة المستترة للتغلغل فى العصابات الإجرامية لمشجعي كرة القدم ولاكتشاف بعض المعلومات المذهلة المتعلقة بخلفية هذه العصابات وعلاقتها بالأنشطة الإجرامية وبيع بعض القوى الدافعة التى تكمن وراء العنف المرتبط بتشجيع كرة القدم. كان من غير المحتمل أن تُكتشف هذه المعلومات باستعمال الوسائل الظاهرة، إلا أن هذه العملية كانت تحمل مخاطر شخصية بالغة لهذا الباحث.

عصابات مانشستر

قام بيتر وولش (Walsh 2005) بنفس هذا العمل في كتابه المشار إليه ، حيث استخدم بعض الأفراد «كمصادر للمعلومات من داخل» بعض عصابات الإجرام العنيفة التي كانت تثير الرعب في مانشستر . ونلاحظ هنا أيضا أن احتمالات المخاطر التي كان يمكن أن تصيب الباحث ، كانت مرتفعة جدًا .

أقضى بضع دقائق تتأمل فيها قيمة هذا النوع من البحث ، خاصة عند موازنته بالمخاطر التي يتعرض لها الباحث (فكلا الكتابين يذكران بالتفصيل حالات من الضرب العنيف والقتل غير المشروع) .

أنواع الملاحظة

كثيرا ما يقسم الباحثون الملاحظة إلى نمطين متميزين : **الملاحظة البسيطة** (انظر قائمة المصطلحات) و**الملاحظة المشاركة** (انظر قائمة المصطلحات) ، مع النظر إلى الملاحظة البسيطة باعتبار أنها «علاقة بالغة الفقر» (الفقر بمعنى الضعف الواضح في العلاقة بين القائم بالملاحظة والطرف موضوع الملاحظة - المترجم) . ويرى أدلر وأدلر (1998) أن سبب ذلك أن للملاحظة المشاركة - خاصة - أساسا نظريا قويا في مبحث التفاعلية الرمزية^(*) ، حيث يشير إلى أن :

«يريد الملاحظون التفاعليون - عادة - أن يجمعوا البيانات من مبحوثهم أثناء تفاعلهم معهم» .

والواقع أن الملاحظة البسيطة أداة مفيدة أكبر فائدة في جمع البيانات ، ويمكن القول - على الأقل - إن المفاضلة بين هذين الأسلوبين أمر في غاية الصعوبة (انظر الشكل (1-6) أدناه) .

(*) التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism: نظرية أمريكية بارزة في علم النفس الاجتماعي تركز اهتمامها على طرق تكوين المعاني خلال عملية التفاعل . وهي تضع في المحل الأول من اهتمامها تحليل معاني الحياة اليومية ، عن طريق الملاحظة المباشرة ، وزيادة درجة الألفة الحميمة مع المبحوثين ، ثم تعتمد على ذلك في الوصول إلى فهم للأشكال الأساسية للتفاعل الإنساني . وعلى امتداد عقد الثمانينيات قدمت التفاعلية الرمزية تحليلات لمجموعة من الظواهر الجديدة ، وأصبحت أكثر دقة وإحكاما على المستوى النظري . (المترجم)

الملاحظة البسيطة

فى الملاحظة البسيطة لا يكون الباحث جزءا من العملية التى يجرى بحثها، بل يكون شخصا موضوعيا غريبا. وتقوم الملاحظة البسيطة (شأنها شأن جميع أنواع الملاحظة) بجمع البيانات الأولية الأصلية أثناء حدوثها فى الواقع. من الأهمية التأكيد من أن التعريفات الإجرائية (فصل 4 باب 1) المستخدمة لتحديد الوقائع المقرر ملاحظتها واضحة، والتأكد من أن الاستراتيجيات الملائمة موجودة فى موضعها الصحيح لتسجيل هذه البيانات.

الملاحظة المشاركة

الهدف الرئيسى للملاحظة المشاركة (والمجال الرئيسى الذى تختلف فيه عن الملاحظة البسيطة) هو اكتساب المعرفة الوثيقة المتعمقة عن جماعة الأفراد الذين يمثلون الباحثين موضوع الدراسة (وقد يكون موضوع هذا البحث محددا أشد التحديد، فيسعى لفهم بعض الممارسات الثقافية مثلا، وقد يكون ذا طابع عام كل العمومية)؛ وجمع هذه المعرفة فى المكان الطبيعى لحياة تلك الجماعة. وفى كثير من الأحيان تستمر الملاحظة المشاركة فترات زمنية طويلة (قد تصل أحيانا إلى سنوات). وقد نشأت الملاحظة المشاركة على يد علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وأعقب ذلك أن استخدمها علماء الإثنوجرافيا^(*). وقد انتشرت بصورة موسعة فى السنوات الأخيرة (انظر البرواز أعلاه بعنوان «فكر فى هذا الموضوع...»).

هناك ثلاثة أسباب رئيسية لاستخدام الملاحظة المشاركة:

- 1 - يؤكد البعض (انظر مثلا دى وولت De Walt، 2002) أن استخدام الملاحظة المشاركة يعنى أن الباحثين لا يحاولون فرض واقعهم الاجتماعى وتفسيراتهم الاجتماعية الخاصة بهم على العالم الاجتماعى الذى يقومون بدراسته ومحاولة فهمه.
- 2 - بإمكان الملاحظة المشاركة أحيانا أن تظفر بالوصول إلى مناطق لا يمكن فى العادة دراستها (انظر البرواز أعلاه بعنوان «فكر فى هذا الموضوع...»). ومع ذلك ينبغي عليك أن تنتبه إلى أن هذا النوع من الدراسة يرتبط فى بعض الأحيان ببعض المجازفات والمخاطر البالغة.

(*) راجع عن البحث الإثنوجرافى: إيمرسون وزملاؤه، البحث الميدانى الإثنوجرافى فى العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين، المركز القومى للترجمة، القاهرة، 2010. (الترجم)

3 - تحاول فهم سبب حدوث بعض ممارسات بعينها (والتي قد تكون ممارسات ثقافية مثلا، إلا أنها قد تشتمل - أيضا - على ممارسات عملية جارية فعلا) انظر مثلا: مايو Mayo، 1933)، وكيف نشأت تلك الممارسات وكيف تتغير بمرور الزمن .
يصف جولد Gold (1958) أربعة أساليب للملاحظة والتي يسميها: أسلوب المشارك الكامل أو الخالص، وأسلوب المشارك كملاحظ، وأسلوب الملاحظ كمشارك، وأسلوب الملاحظ الكامل أو الخالص .

● المشارك الكامل أو الخالص : في هذه الحالة سيحاول الباحث أن يصير عضوا كاملا العضوية في الجماعة التي يجري دراستها . ولتحقيق ذلك ينبغي أن يكون دوره كباحث مستترا على الدوام (أو قد يعرف أفراد الجماعة - أحيانا - أنهم موضوع للبحث، ولكنهم لا يعرفون الهدف الحقيقي لهذا البحث) . ويُعتقد أن من شأن هذه الطريقة أن توفر أدق البيانات لأن تصرفات الباحثين واستجاباتهم ستتم «بشكل طبيعي»، أعني بذلك أنهم سيتصرفون كما لو أنه لا يوجد باحث بينهم . يضاف إلى ذلك أن استخدام هذه الطريقة يمكن أن يتيح للباحث - أحيانا - النظر بالوصول إلى جماعات لم يكن لينفذ إليها بغير هذه الطريقة . ولكن لهذه الطريقة عيوبها أيضا : أشدها وضوحا أنه ليس بالإمكان دائما أن ينفذ الباحث إلى داخل جماعة ما بهذا الأسلوب (فكر مثلا في الباحثين البيض الذين يحاولون دراسة جماعة «من السود»، أو في النساء اللاتي يحاولن دراسة جماعة من الرجال . فهذان نموذجان بسلطان يوضحان هذه النقطة بجلاء) . أحيانا ما يعبر البعض عن قلقهم من أن الباحث سيفقد موضوعيته بتحويله إلى عضو بالجماعة وبسبب تبنيه لكافة قيمها وممارساتها (كما يسلم بذلك القائلون بهذا الرأي) . ويعد هذا، إلى حد ما، خطرا حقيقيا يتعين مواجهته في كل حالة على حدة .

البحث الواقعي

الملاحظة المشاركة : نموذج للتغلغل في المنظمات

بحث جى فينتن Vinten (1994) بعنوان: «الملاحظة المشاركة : نموذج للتغلغل في المنظمات»، منشور في : المجلة العلمية لعلم النفس الإداري 9(2): 30-39 .
في هذا البحث يناقش « فينتن » مجموعة من الأمثلة التي تبين بالتفصيل إلى أي مدى يمكن للملاحظة المشاركة المستترة أن تكون - أحيانا - الطريقة الوحيدة لاكتشاف سلوك ما . فهو يقدم وصفا تفصيليا لإقدامه - كباحث - على السرقة من مقر العمل، ولتظاهره بأنه ذو ميول جنسية مثلية لكي يتمكن من دراسة سلوك المثليين جنسيا،

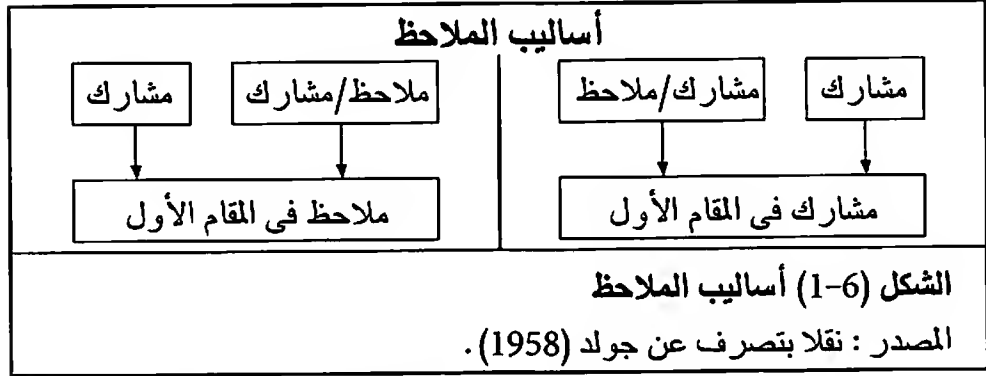
واقترافه بعض الممارسات غير المعتادة أو غير الملائمة في مكان العمل، وإقدامه على ممارسة مرعبة، بالتظاهر بأنه مريض في مستشفى للأمراض العقلية بهدف أن يتمكن من ملاحظة العلاج الطبي الذي يقدم لمرضى الفصام. (وهو يتنبه كذلك إلى أن استخدام الملاحظة كطريقة لجمع البيانات يتعرض للانتقاد في أحيان كثيرة، مع أنه يؤكد أنها طريقة فائقة الدقة والجدوى.

● **المشارك كملاحظ:** وهو يختلف عن وضع المشارك الكامل أو الخالص في أن الباحث يتخذ موقفا ظاهرا ويكشف لهذه الجماعة عن حضوره بينهم وعن دوره البحثي. تتشابه مزايا هذه العملية مع مزايا الأسلوب الأول، من حيث توافر الفرصة لدراسة جماعة ما داخل بيئتها الطبيعية. وبالنسبة للباحث لا توجد مشكلة أخلاقية خاصة بإثارة خداع الجماعة فيما يتعلق بدور الباحث. وتوجد بعض العيوب الأخرى التي لا توجد عادة في حالة الباحث الكامل أو الخالص: والمشكلة الأبرز وسط هذه العيوب أنه إن عرف الأفراد أنهم موضوع بحث، فمن الراجح عندئذ أن يتغير سلوكهم (انظر برواز «البحث الواقعي» أدناه).

● **الملاحظ (الباحث) كمشارك:** الآن يشرع الباحث في التخلي عن فكرة المشاركة في جماعة البحث كعضو من أعضائها، ويترجح أن تكون عملية جمع البيانات أكثر رسمية وتقنينا من وضع الاستراتيجيتين السابقتين. وتتمثل المزايا في أنها لا تتطلب -في الغالب- إلا قدرًا قليلا للغاية من الالتزام بوقت معين. كما أنها، من حيث المبدأ، تزيد من موضوعية الباحث لأنه يبعد نفسه عن هؤلاء الأفراد. وتتضمن عيوب هذه الاستراتيجية إمكانية عدم فهم الباحث للنفصيل بصورة وافية تماما، واحتمال أن تفوت الباحث مشكلات أخرى، فلا يتنبه لها لأنه لن يكون مدركا لأهميتها.

● **الملاحظ الكامل أو الخالص:** يمثل هذا النمط نقيض المشارك الكامل. ففي هذا الدور يحاول الملاحظ تحقيق الموضوعية الكاملة أو الخالصة، بأن يظل منفصلا عن الأنشطة التي تجري ملاحظتها ولا يشارك فيها. والوضع الأمثل هنا أن يبقى الباحث بعيدا عن أعين المبحوثين. وتتمثل المزايا التي ينسبها البعض إلى هذه الطريقة في أن الباحث سيكون محايدا وغير متحيز (بسبب عدم انخراطه في أنشطة الجماعة) وفي أنه لن يكون له تأثير -إلا قليلا- على الأفراد موضوع البحث. وتتمثل أوجه القصور، أساسا، في العيوب التي ذكرناها عن الملاحظ كمشارك. يضاف إليها أنه إن ظل الباحث -بالفعل- منفصلا انفصالا تاما عن الجماعة التي يلاحظها، فلن يستطيع الدخول في حوار مع أفراد الجماعة حتى يزيل مظاهر سوء الفهم.

والأفضل في رأينا أن نفكر في الأدوار الأربعة التي قال بها «جولد» بوصفها نقاطا أو تنويعات على متصل (ذى طرفين) وليس بوصفها مواقع منفصلة، فتمثل بذلك تشكيلة متنوعة لا نهائية من الأشكال المتغيرة الممكنة. يضاف إلى ذلك أن بإمكان الباحث أن يلاحظ نفسه (الملاحظة الذاتية)، مضيفاً بذلك نمطاً آخر من الملاحظة الممكنة.



يجدر بك أن تقضى دقائق قليلة تفكر في هذه الأنماط المختلفة من الملاحظة حتى تستطيع أن تقدر مدى فائدتها لمشروعك البحثي.

بحثك

آخذاً في الاعتبار أسئلة بحثك وتعريفاتك الإجرائية:

- ما البيانات التي تحتاج إلى أن تجمعها عن طريق الملاحظة؟
- كيف ستقوم بجمع هذه الملاحظات:
- هل بوصفك ملاحظاً بسيطاً؟
- أم بوصفك ملاحظاً مشاركاً؟

تأثيرات الملاحظ (تأثير هوثورن) (*)

لا مجال للشك في أن الأفراد إذا عرفوا أن سلوكهم موضع ملاحظة ورصد، فإن هذا السلوك سوف يتغير. فلدينا جميعاً خبرات تشهد بذلك. تأمل سلوك قائدى السيارات الذين شاهدوا سيارة الشرطة على جانب الطريق. لهذا يعد إحداث الملاحظ لتغييرات في الشيء

(*) ويعرف في تراث العلوم الاجتماعية باسم: «تأثيرات الباحث القائم بالتجربة أو القائم بالملاحظة». ويعنى الطرق التي يؤثر من خلالها الملاحظ أو القائم بالتجربة على نتائج التجربة أو الملاحظة، وذلك بسبب حضوره في أثناء قيامه بالتجربة أو بالملاحظة. ولعل أشهر مثال لهذا الظرف في علم الاجتماع هو التجارب التي عرفت باسم دراسات هوثورن التي أجراها إلتون مايو وزملاؤه. (المترجم)

الذى يقوم بملاحظته مشكلة لا يمكن تجاوزها بسهولة، كما يمكن أن تكون لها تأثيرات بعيدة المدى. وهناك من الشواهد ما يدل على أن بعض التغيرات فى السلوك تظل مستمرة حتى بعد أن تنتهى عملية الملاحظة (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه) وهو الأمر الذى يثير - مرة أخرى - قضية أخلاقية مفادها: هل يتوافق مع الأخلاق إجراء بحث عند وجود احتمال لأن يغير القيام بهذا البحث سلوك المشاركين تغييرا دائما؟

البحث الواقعى

تأثير هوثورون (أى تأثير السلوك بالملاحظة)

من العجيب أن تأثير هوثورون سُمى باسم مكان وليس باسم الشخص الذى اكتشفه. فقد استخدم «مايو» (1933) الملاحظة الظاهرة لبحث الأثر الذى تحدثه ظروف العمل على أداء العمال فى مصانع شركة وسترن إلكترونيك بمنطقة هوثورون الواقعة فى Cicero بولاية إلينوى (وهى إحدى ضواحي مدينة شيكاغو، فيما بين سنة 1927 وسنة 1932. كان «مايو» مهتما بمعرفة كثير من الملامح والسمات المميزة لمكان العمل هذا، مثل: الإضاءة، درجة الحرارة، الراحة، والأحوال النفسية كذلك.

ويمكن إيجاز النتيجة الرئيسية التى وصل إليها «مايو» على النحو التالى: «يؤدى المستخدمون عملهم بجهد أكبر، كما ترتفع إنتاجيتهم عندما يعرفون أنهم تحت الملاحظة». ولعل الأمر هنا لا يدعو للدهشة. كما اكتشف «مايو» - إلى جانب ذلك - أن هذه التغيرات فى الإنتاجية ظلت مستمرة حتى بعد انتهاء هذه الدراسة البحثية. كما ذهب إلى أن كون الموظفين موضوعات للدراسة أدى - فى حد ذاته - إلى جعلهم يشعرون شعورا أفضل، ويعملون بصورة أكثر إنتاجية بسبب اهتمام الملاحظ بهم.

الجوانب العملية

ثمة عدد من القضايا تتطلب التفكير فيها مليا قبل الشروع فى إجراء بحث قائم على الملاحظة:

اختيار العينة

من النادر أن يكون ممكنا أو ضروريا ملاحظة كل شئ طوال وقت الملاحظة. وربما يلتفت النظر أنك تستطيع تطبيق نفس إجراءات اختيار العينة على اختيار الأوقات والأماكن التى ستقوم فيها بالملاحظة، كما لو كنت تقوم باختيار أفراد للمشاركة فى مسح أو فى مقابلات شبه مقننة. كما أن اتجاهك فى اختيار العينة سيعتمد على طبيعة البيانات التى ستشرع فى جمعها.

المرحلة الأولى أن تقرر متى وأين يجرى الحدث الذى تقرر ملاحظته. ثم إنك ستحتاج - وأنت واضعا نصب عينيك أسئلة بحثك وتعريفاتك الإجرائية - لتحديد أى الأوقات وأى الأماكن التى ستدخلها ضمن عينتك. ويوجد فى هذا الشأن عدد من الاتجاهات التى قد تأخذ بها :

- فقد يكون اختيارك للعينة قائما على أساس البعد الزمنى لذلك الحدث، من هذا أن يكون عليك القيام بإجراء وتسجيل ملاحظة كل 15 دقيقة مثلا.
- وقد تكون مهتما بالطريقة التى يتغير بها الحدث الذى تلاحظه أثناء فترة زمنية معينة، ولهذا تختار توقيتا معيناً للقيام بالملاحظة ثم تستمر فى الملاحظة، وأنت تسجل التغيرات أثناء حدوثها.
- إن كنت ملاحظا مشاركا فقد لا يقضى لك القيام بالتسجيل فى توقيتات معينة، ولكنك تستطيع - وأنت واضعا نصب عينيك أسئلة بحثك - أن تدون الأحداث والأنشطة والتفاعلات التى لها أهمية عندك ثم تسجلها فى نهاية جولة الملاحظة.

فكر فى هذا الموضوع . . .

اختيار العينة فى مقهى اتحاد الطلبة

ما الاتجاه الذى سوف تأخذ به فى اختيار العينة؟

- فقد تلاحظ المقهى بأكمله كل 15 دقيقة على امتداد اليوم.
 - وقد تلاحظ المقهى بأكمله بصورة مستمرة لمدة ساعة فى الأوقات المعروفة عنها أن المقهى يكون فيها فى ذروة الازدحام، وتسجل تدفق الأفراد وحركتهم داخل المقهى (وقد يتطلب هذا الأمر اشتراك أكثر من ملاحظ واحد لتغطية المقهى بأكمله).
 - وقد تلاحظ كل عاشر شخص يدخل المقهى وتسجل خبرته، والمدة التى ينتظرها (قبل الحصول على مقعد)، وما يختاره من المقاعد، وعدد الأشخاص الذين كانوا معه . . . إلخ.
- هل يمكنك أن تفكر مليا فى اتجاهات أخرى قد ترى الأخذ بها؟

تسجيل البيانات

بنفس الطريقة التى قد تتبعها فى تصميم استبيان لجمع البيانات من شخص ما، أو فى تصميم دليل مقابلة لتأكد من أنك تغطى كل عناصر موضوع بحثك فى المقابلة التى تجريها؛ بنفس هذه الطريقة تحتاج إلى أن تصمم قالباً يمكنك أن تصوغ فيه ملاحظاتك.

وقد يتمثل هذا القالب في نموذج أو استمارة ، حيث تدل هذه الاستمارة على كل واقعة يتم ملاحظتها وفقا لعدد مرات حدوثها ، أو تتمثل في وصف تفصيلي ، أو في ملحوظة تدونها تذكر فيها ما يحدث أمامك - أى تذكر فيها ما تقوم بملاحظته (الفصل الثانى) . ينبغي أن يتيح لك تصميم هذا النموذج تسجيل كل واقعة بمقدار التفصيل الذى تحتاج إليه ، وأن يكون من السهل استيفاءه ، لأن من الراجح أن تقوم بتسجيل الحدث في موقعه الطبيعي .

الصدق

من الأمور الحاسمة في كافة البحوث أن تفهم ما تقوم ببحثه فهما صحيحا ، وأن تكون واثقا من أن عملياتك البحثية توصلك فعلا إلى البيانات التى أنت فى حاجة إليها . وهذا الأمر بالذات صعب فى الملاحظة . فثمة أشياء كثيرة جدا يمكنك أن تراها ، وتسمعها ، وتلمسها ، وتشملها . وهذا معناه أنك - بوصفك الباحث - لابد أن تكون أشد حرصا مما قبل على معرفة ما الذى يتوجب عليك أن تلاحظه . إن من السهولة البالغة أن يتشتت انتباهك بسبب الأحداث الهامشية ، مما ينتقص من صدق بحثك (فصل 1 باب 1) . ونحن نحثك على ألا تحاول جمع قدر أكبر بكثير عن الحاجة من المعلومات المختلفة عند قيامك بالملاحظة . إذ إن كثيرا من الباحثين يحاولون جمع أمثال تلك الملاحظات المتباينة (مثال ذلك أنهم قد يحاولون جمع الكلمات التى نطق بها الأفراد ، وأوضاعهم ، ولغة الجسد عندهم ، وتعبيرات الوجوه . . . إلخ) . وهذا أمر ليس بالمستحيل ، إلا أنه شديد الصعوبة أو يستهلك قدرا هائلا من الوقت . كما أنه سيلزمك أن تبتكر استراتيجيات خاصة للتسجيل حتى تستطيع التعامل مع هذه الكمية الضخمة من البيانات: ثم لا تنسى أنك لابد أن تحللها كلها فى مرحلة ما من مراحل البحث . إننا نلج عليك أن تلتزم الحرص الشديد .

التركيب والتعقيد

هذه القضية هي - إلى حد ما - جزء من القضية التى تناولناها أعلاه ، إلا أن كل البحوث القائمة على الملاحظة تتصف بالتعقيد واستهلاك الوقت . وكجزء من قضية تعقد البحث ، أمعن النظر فى مدى احتمال أن يتوجب عليك توظيف ملاحظين متعددين للعمل فى مشروعات معقدة أو ضخمة . (ولا يمثل ذلك مشكلة على الدوام ، فبإمكانك أن تنتفع بملاحظين متعددين فى ملاحظة نفس الظاهرة أو نفس الشخص ، وتستخدم هذا الأسلوب كنوع من «أسلوب التعدد المنهجي» لدعم صدق بحثك) .

كما أن عليك أن تدرك أنه من العسير على باحث واحد أن يلاحظ أكثر من شيء واحد (أو أكثر من شخص واحد) فى وقت واحد . وحتى بالرغم من أن بالإمكان التغلب على هذه الصعوبة جزئيا باستعمال التسجيل بكاميرات الفيديو ، فإن مثل هذه الصعوبات لن تختفى كلية ، كما أنها تتطلب إدارة يقظة لعملية الملاحظة .

طبيعة بيانات الملاحظة وأهميتها للتحليل

كما رأينا، يمكن للبيانات المستمدة من الملاحظة أن تتخذ مجموعة من الأشكال المختلفة ابتداءً من الأشكال المقننة وانتهاءً بالأشكال غير المقننة. وستعتمد أساليب التحليل التي تستخدمها على طبيعة البيانات التي جمعتها، كما أن هذه الأساليب قد تشمل على كل من الاتجاهات الكمية والاتجاهات الكيفية. فقد تكون مشغلا بمعالجة بيانات سبق لك أن أحصيت عددها (مثال ذلك: كم عدد المرات التي تقع فيها حادثة ما)، مع اشتغالك بمعالجة بيانات وصفية بصورة أكبر، وتتطلب هذه البيانات منك أن تقوم بتفسيرها كجزء من عملية التحليل. وعلى الملاحظ - كما هو الحال بالنسبة للباحث - أن يهتم بتدوين ملاحظاته عن المشاهدات التي لاحظها، بما في ذلك الملاحظات عن انطباعاته الشخصية عن الأمور التي يقوم بملاحظتها، والمشار التي يحس بها تجاهها، كلما كان ذلك مناسباً.

بحثك

مزايا استخدام الملاحظة

- تحدث في العالم الواقعي.
- يمكنها أن تزودنا بصور تفصيلية كاملة للظواهر الاجتماعية.
- تتصف البيانات بالثبات المنهجي، كما تتصف بدرجة عالية من الصدق (شريطة أن تكون التعريفات الإجرائية واضحة).
- في أغلب الأحيان تكون البيانات التي تُجمع باستعمال الملاحظة المشاركة بيانات في غاية الثراء والأهمية.
- لا يعتمد هذا الأسلوب على استخدام الكلمات التي نطق بها المشاركون بعينها، ولذلك لا يكون أمراً مهماً ما إذا كان المشاركون واضحين في الإفصاح بالكلمات.

عيوب استخدام الملاحظة

- قد يكون عسيراً تحديد ما يتعين ملاحظته وتسجيله.
- قد تكون مستهلكة لقدر هائل من الوقت.
- قد يصيب الضجر الباحثين ويفقدون الموضوعية.
- قد يكون التحدي الذي تفرضه محاولة «ملاحظة كل شيء» مثبطاً للهمة، وقد يؤدي إلى فقدان الملاحظ للدافعية.

- القضايا الأخلاقية، خاصة ما يدور منها حول استخدام الملاحظة المشاركة المستترة.
- في الملاحظة البسيطة قد تكون البيانات سطحية.
- تأثيرات الباحث (مثال ذلك: تأثير هوثورن).

بحثك

اختبار التحقق من جودة البحث: الملاحظة

- هل أدخلت في حساباتك القضايا الأخلاقية الكامنة في أسلوب الملاحظة المستترة؟
- كيف ستأكد من أن تظل (بوصفك الملاحظ) محافظا على موضوعيتك؟
- هل تعريفاتك الإجرائية واضحة (أى إنك تعرف ما الذى تحاول ملاحظته)؟
- هل لديك الوقت الكافى لتنفيذ هذه الملاحظة؟
- إن كنت تعمل مستترا ، فكيف ستظفر بالوصول إلى الجماعة المشاركة (المبحوثة)؟
- هل تدرك حقيقة النتائج التى تحدثها تأثيرات الملاحظ فى تغيير السلوك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Adler, P. A. and Adler, P. (1998) Observational techniques, in N. K. Denzin and Y. S. Lincoln (eds) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.
- De Walt, B. R. (2002) *Participant Observation: A Guide for Fieldworkers*, Walnut Creek, CA: Alta Mira Press.
- Denzin, N. K. and Lincoln, Y. S. (eds) (1998) *Collecting and Interpreting Qualitative Materials*, London: Sage.
- Ely, M. (1991) *Doing Qualitative Research: Circles within Circles*, London: Taylor & Francis.
- Gold, R. L. (1958) Roles in sociological field observations, *Social Forces*, 36: 217-23.
- Jorgensen, D. L. (1989) *Participant Observation: A Methodology for Human Studies*, Applied Social Research Methods Series, vol. 15, London: Sage.
- Mayo, E. (1933) *The Human Problems of an Industrial Civilisation*, New York: Macmillan.
- Sanger, J. (1996) *The Compleat Observer? A Field Research Guide to Observation*, London: Falmer Press.
- Sugden, J. (2002) *Scum Airways: Inside Football's Underground Economy*, Edinburgh: Mainstream Publishing.
- Vinten, G. (1994) Participant observation: a model for organizational involvement, *Journal of Managerial Psychology*, 9(2): 30-9.
- Walsh, P. (2005) *Gang War: The Inside Story of the Manchester Gangs*, London: Milo Books.

الفصل السابع

البيانات السردية

محتويات الفصل

- ما السرديات؟
- كيف يختلف البحث السردى عن غيره من البحوث الكيفية؟
- أساليب السرد .
- لماذا ترغب فى استعمال السرد .
- الجوانب العملية .
- البيانات السردية .
- معايير البحث السردى «الجيد» .
- مزايا البحث السردى و عيوبه .
- النتائج غير المتوقعة .
- المراجع و قراءات للاستزادة .

عن السياق

عادة ما يتم الربط بين السرد، الذى هو أسلوب لجمع البيانات وتحليلها، وبين البحث الكيفى، فضلا عن ارتباطه ارتباطا شديدا بالنموذج الفكرى التأويلى . وتبدو فكرة الإنصات إلى الحكايات التى يرويها الناس فكرة شيقة، كما تبدو -للهولة الأولى - سهلة الاستعمال إلى حد بعيد. ولكن الواقع أنها قد تكون شديدة التعقيد : فى جمع البيانات وفى مراحل التحليل.

لعل السرديات - وأعنى بها الحكايات - كانت ولا تزال موجودة بوجود البشرية . ومن المؤكد أنها تسبق الكتابة - تاريخيا - كوسيلة للتسجيل وحفظ التراث . كما أن كثيرا من المجتمعات لا تزال تستخدم هذه التواريخ الشفاهية فى عصرنا الحاضر . والسرديات

التى نعينها هنا تمثل الأساس الذى يقوم عليه البحث السردى ، الذى سوف نتناوله بشئ من التعمق فى هذا الفصل ، وهى فى الحقيقة نوع آخر مختلف عن السرديات المستخدمة كحكايات للتسلية.

ما : السرد؟

هو الوصف الذى يتناول تسلسلا لأحداث ماضية كما تبدو للراوى فى الوقت الحاضر ، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هذه الأحداث ، وحلها ، وصاغها فى صورة حكايات .

سبق أن استخدم السرد كبحت ، وليس كوسيلة للاحتفاظ بالسجلات ، فى بعض فروع العلم الاجتماعى ، وذلك على امتداد المائة سنة الماضية على الأقل . وكان أبرز هذه الاستخدامات فى مجال تحليل الكتابات الأدبية . وأيا ما كان الأمر ، يمكن القول أن تاريخ الاستخدام الحديث للسرد فى العلوم الاجتماعية يرجع إلى عشرينيات القرن العشرين (إليوت Elliot ، 2005 : 3) . وفى ستينيات القرن العشرين كتب الناقد الأدبى رائد علم العلامات (السيمولوجيا) الفرنسى رونالد بارت كلاما شهيرا عن أهمية السرد ، قال فيه : «إن السرديات التى عرفها العالم لا تقع تحت حصر . . فالسرد موجود فى كل عصر ، وفى كل مكان ، وفى كل مجتمع . . . فكل الطبقات ، وكل الجماعات البشرية لها سردياتها الخاصة بكل منها . . . فالسرد عالمى ، ومستمر عبر التاريخ ، ومنتشر عبر الثقافات » (بارت ، 1977) .

وعلى الرغم من هذا الدعم القوى ، فقد استغرقت فكرة البحوث السردية زمنا لتنتشر فى العلوم الاجتماعية كلها . إلا أن هذا الأسلوب فى جمع البيانات السردية وتحليلها قد ازداد ذيوعا وانتشارا خلال السنوات العشرين الماضية أو نحو ذلك . (ليبلش Lieblich ، وآخرون ، 1988) .

ما السرديات؟

السرديات حكايات من صنع الجماعة . والقصة (المسرودة) هى تصوير تسلسل لأحداث ماضية كما يراها الراوى الذى يحكيها فى الوقت الراهن ، وذلك بعد أن يكون ذلك الراوى قد عالجها وحلها وركبها فى صورة حكايات . ولمفهوم التصوير هذا أهمية بالغة ، فالسرديات ليست تسجيلات للأحداث ، بل هى تصورات ذهنية لسلسلة من

الأحداث. وهكذا يمكننا على المستوى الشديد البساطة أن نقرر أو نؤكد - في كثير من الأحيان - الوقائع المتعلقة بمناسبة معينة (فبالإمكان مراجعة سجلات الطقس للتأكد مما إذا كانت السماء قد أمطرت في ذلك الوقت أم لا ، مثلا). أما تحديد ما إذا كانت مسألة الطقس لها دلالتها في هذه الحكاية، فأمر يجب تركه للقاص والراوى .

كيف يختلف البحث السردى عن غيره من البحوث الكيفية؟

ثمة أمر غير مألوف إلى حد بعيد ولكنه مهم بالنسبة لهذا النمط من جمع البيانات؛ أمر لا يجعل هذا النمط مختلفا عن معظم الطرق الأخرى . وسبب ذلك أن البيانات التى نجمعها، والتى سنحللها فيما بعد، ليست تماما من نوع البيانات الأكثر ألفة لنا والتى لنا دراية بها أكثر من غيرها . فنحن هنا لسنا بصدد جمع «الوقائع» (وسيرد مزيد من الكلام عن هذه النقطة فيما بعد)، ولكن ما نقوم بجمعه فعلا هو الطريقة التى نظم بها المشارك (أو المشاركون) هذه المعلومات فى حكاية . ولهذا تكون هذه الحكاية (وكذلك عملية التنظيم - أو الصياغة - هذه) هى البيانات التى نجمعها .

فما - إذن - السردية أو القصة الشفهية؟ عندما طرحنا هذا السؤال قبل ذلك ، قدمنا إجابة بسيطة . ولكن الحقيقة أن هذا السؤال يحتاج فعلا إلى إجابة معقدة نوعاً ما . فالسرديات - فيما يتعلق بالبحث الاجتماعى - تعتبر على وجه العموم أكثر من مجرد حكاية بسيطة . فعادة ما نجد أن الراوى قد «عالج» هذه البيانات، أعنى بذلك أنه رتبها وفسر ما حدث ليصور هذه الأحداث كسلسلة من الأحداث الماضية، وذلك فى ترتيب زمنى مسلسل إلى حد ما، وبالصورة التى يراها الراوى فى الوقت الراهن . والشئ المعقد هنا هو أننا (رغم وعينا بأننا متهمون بهذه الحكاية) قد لا نهتم كثيرا - فى الحقيقة - «بالوقائع» ذاتها، اللهم إلا باعتبارها وسيلة لمقارنة وجهات نظر المشاركين بالأمر الثابتة التى نعلم أنها حدثت فعلا . بل إن بعض الفكرين - مثل فوكو(*) - يتماذى فى هذا

(*) ميشيل فوكو Foucault، M . (١٩٢٦ - ١٩٨٤): فيلسوف فرنسى شهير ينتمى لتيار ما بعد البنيوية ، كان أستاذا لتاريخ المذاهب الفكرية، ومارس تأثيرا عميقا على علم الاجتماع منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين . من أهم أعماله: «الجنون والحضارة» (١٩٦١)، و«ميلاد العيادة الطبية» (١٩٦٣)، و«النظام والعقاب» (١٩٧٥)، و«تاريخ السلوك الجنسى» (١٩٧٦).

وتعد هذه الدراسات الأربع الأكثر دراسات فوكو يسرا على الطلاب . ولكن لا توجد بين هذه الدراسات دراسة واحدة يمكن النظر إليها على أنها تاريخ يسير إلى الأمام فى تقدم . على العكس من ذلك، لقد استهدف فوكو توضيح التحولات الرئيسية فى صور «الخطاب» الذى أصبحت هذه الموضوعات تتشكل من خلاله: لكى يوضح كيف ترتب «النظم الجديدة للحقيقة» معرفتنا، وأنساق التصنيف التى نتبناها، ومعتقداتنا وممارساتنا. (المترجم)

الأمر إلى حد أن يقول: «لا وجود للوقائع، وإنما كل ما هنالك تأويلات فقط» (ميجل Megill، 1985). ويؤكد ريسمان Riessman أن هدفنا كباحثين هو:

«أن نعرف كيف يصفى المستجيبون (المبحوثون) فى المقابلات نوعاً من النظام على سبيل الخبرة المتدفق ليفهموا الأحداث والأفعال التى فى حياتهم. فهذا الاتجاه المنهجى يتناول بالفحص والدراسة الحكاية التى يرويها الإخبارى ويحلل الطريقة التى بها رُكبت وُجمعت أجزاؤها معاً، ويستكشف المصادر اللغوية والثقافية التى تستند إليها، كما يحلل الطريقة التى بها تتقع هذه الحكاية من يستمع إليها بأنها صحيحة». (ريسمان، 1993).

ونعتقد أنه قد يوجد قدر كبير من الخلط فى هذا الموضوع. إذ يبدو أن بعض الخبراء (انظر مثلاً برايمان Bryman، 2004: 322) يرون أن مقابلات تاريخ الحياة أو مقابلات التاريخ الشفاهى تولد لنا بيانات سردية. ولكننا لسنا مقتنعين بذلك تماماً، وذلك بسبب الخلاف حول طبيعة هذه البيانات. فإذا كان الأمر يتعلق فقط بالمعلومات (أو إذا أحببت أن تقول «الوقائع»)، فإن هذه البيانات ليست بيانات سردية. ولكن إذا كان الأمر متعلقاً بالطرق التى بها تنظم هذه البيانات وبهدف هذه الحكاية، فإن البحث حينئذ يكون بحثاً سردياً. ونرى أنه ينبغى على الباحثين دائماً أن يسألوا أنفسهم: «هل بالإمكان إخضاع البيانات المجموعة بالأساليب غير السردية للتحليل السردى؟» نحن لا نعتقد أن هذا الأمر جائز، بالرغم من أن رأينا هذا لا يعنى أن من المجال استخدام مضمون السرد فى التحليل.

والآن نتأمل: لماذا يرغب شخص ما فى أن يروى حكايته لنا؟ يرى كثير من المفكرين أن الأفراد يميلون إلى إضفاء نوع من النظام على خبراتهم لكى يتمكنوا من أن يفسروها ويفهموها على حقيقتها. إذن يتمثل هذا الرأى فى أننا نعلم - بالأساس - أن خبراتنا معقدة ومتشابكة، وأن الحكايات التى نصوغها هى التى تساعدنا على فهم هذه الفوضى. يقول «جى» Gee: «إن واحدة من الطرق الأساسية - ولعلها الطريقة الأساسية الوحيدة - التى يستطيع بها البشر فهم خبراتهم، هى أن تصاغ هذه الخبرات فى قالب سردي» (جى، 1985). والعبارة المؤكدة فى هذا النص وردت هكذا فى الكتاب (الأصلى)، كما يقول «أمبا» شيئاً قريباً من ذلك: «يقوم الأفراد بإضفاء المعنى على الخبرات المختلطة المشوشة ويحاولون «إقناع» الآخرين بوجهات نظرهم عن طريق رواية الحكايات» (أمبا Amba، 1998).

على أنه حتى لو وافقنا على أن الفهم (أو إضفاء المعنى) هو الغرض الرئيسى للقصة الشفاهية فى أغلب الأحوال، فإننا على يقين أن هناك علاوة على ذلك أسباباً أخرى

تجعل الأفراد يحكون قصصهم . وعلينا - كباحثين - أن ننتبه لبعض هذه الاحتمالات الأخرى ، لأن ذلك سيعزز فهمنا لحقيقة هذا الأمر .

وعلىنا أن ننتبه إلى احتمال أن يكون للأفراد دوافع مختلفة لرواية حكاياتهم . وهذا ليس بالأمر السيئ ، بل إنه قد يمثل نقطة قوة من نواح كثيرة . إلا أن الحال هنا شبيه بالحال في كثير جداً من نتائج البحوث ، حيث لا يرى أحد أى ضرر من إمعان النظر في دوافع الأفراد لرواية الحكايات ، والتي قد تشمل على :

- إقناع الآخرين .
- تبرير السلوك الماضي أو القرارات الماضية .
- التسوية العقلاني (أى تفسير المرء لسلوكه بأسباب معقولة أو مقبولة ، ولكنها غير صحيحة - المترجم) .
- تقديم تفسيرات للأحداث وتصورات لها .
- المضى قدماً على الطرق التى سلوكها والمفضية إلى تحقيق أغراضهم» (ريسمان ، 1993) .
- استثارة الشفقة أو الاهتمام (جرجن Gergen ، 1994) .

فكر فى هذا الموضوع . . .

سرديات الحفلة

اقرأ القصة الشفاهية القصيرة التالية . اختر لك خمسة مواضع فى هذه القصة لتقرر ما يجرى فيها (وستجد تفسيراتنا فى موضع لاحق من هذا الفصل) .

الباحث : «أحك لى عن هذه الحفلة» .

الراوي : «كانت حفلة مملة للغاية . كان المسنون جميعا يجلسون فى إحدى الحجرات ، وكانوا يتكلمون عن الحرب أو عن شيء ما . (1) كنت أرغب فى استعمال جهاز ألعاب الفيديو الخاص بى (البلاى ستيشن) ، ولكن والدى قال إن هذا تصرف يفتقر إلى اللياقة والتهديب . وأنا أسألك : هل هذا من العدل والإنصاف؟ (2) على أى حال ، ذهبت أبحث عن «جيسون» (تم تغيير الاسم) ، ولكنه كان يقوم بأداء بعض الواجبات الدراسية ولم يكن يرغب فى أن يزعجه أحد . لذلك رأيت أنه يمكننى أن أخرج وألعب بالكرة فى الحديقة . صدقتى أننى لم أتعمد كسر زجاج «صوبة» النباتات . ولكنى أريد القول إنه من الغباء الشديد

أن تقام هذه الصوبة في هذا المكان على أى حال (3). فلك أن تتصور أن أى شخص قد يركل الكرة فتخترق زجاج هذه الصوبة. لم يكن الخطأ خطئى، بل هو خطأ جدى أن أقام هذه الصوبة فى هذا المكان. المهم أننى قمت بإصلاح الكسر الذى حدث فى الزجاج باستخدام شريط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخبر به أى إنسان (4). وكيف كان لى أن أعرف أنه سيحدث صقيع فى تلك الليلة، وأن الزهور سوف تموت؟ إنى أتعجب ما الذى يتصور الناس أننى أعرفه عن العناية بالحدائق؟ (5).

- | | |
|---------|---------|
| ----- 1 | ----- 2 |
| ----- 3 | ----- 4 |
| ----- 5 | |

أساليب السرد

من الممكن تصنيف السرديات بطرق مختلفة تعكس أغراضها الأساسية، وهو الأمر الذى أشرنا إليه من قبل. وهذا التصنيف يبدو أكثر «علمية» من القائمة التى ذكرناها فى أول الكلام (قبل البرواز المعنون «فكر فى هذا الموضوع»)، ولذلك قد يكون أكثر فائدة فى الأوساط الأكاديمية. ونورد فيما يلى قائمة بالأساليب الممكنة للقصة الشفاهية. من المستبعد أن تشتمل أى قصة واحدة على جميع هذه الأساليب، ولكن الشائع أن تشتمل عدة قصص على العديد من هذه الأساليب.

مثال (1-7)

أساليب السرد

- الأسلوب التاريخى .
- أسلوب الأجندة الظاهرة .
- أسلوب الأجندة المستترة .
- أسلوب إضفاء الشرعية .
- أسلوب السعى للحصول على موافقة الباحث .
- أسلوب السعى للحصول على المعلومات .
- أسلوب إفشاء المعلومات .
- أسلوب الانتقاد .

فكر فى هذا الموضوع . . .

أسلوب السرد

عد إلى القصة الشفاهية القصيرة المذكورة فى البرواز السابق بعنوان «فكر فى هذا الموضوع»، ثم أجب : ما أسلوب السرد المتبع فى هذه القصة فى نظرك؟ ولماذا؟

لماذا ترغب فى استعمال السرد؟

يميل كثير من الناس لفكرة السرد (الرواية الشفاهية)، إذ يبدو الأمر سهلاً وممتعاً أن تجلس وتنصت إلى ما يحكيه الأفراد من روايات. ولا ريب أن هذه الاعتبارات ليست هى أهم أسباب اختيار طريقة لجمع البيانات. ومع ذلك فإنه إن كنت تريد مثلاً أن تعرف - عن طريق الاستماع للأفراد - كيف يفهمون عالمهم وكيف يتصورونه (انظر القائمة التى وردت فيما سبق)، وكنت مهتماً بعملية رواية الحكايات بجانب اهتمامك بالرواية نفسها - أى : إن كنت تريد اكتشاف الفروق بين «الواقع» و «الحقيقة» عند شخص ما - فى هذه الحالة تكون الرواية الشفاهية مناسبة لك. وهى عملية مثيرة للاهتمام فى كثير من الأحيان : فالطريقة التى بها يبدع الراوى حكايته أمر أسر جاذب، كما أن من الأمور التى سوف تستحوذ على اهتمامك أن تكتشف الأغراض التى رويت هذه الحكاية من أجلها. فالوقوف على وجهات نظر الأفراد ومدى ارتباطها بالعالم الاجتماعى أمر شيق دائماً، ويعمل على إثراء المعرفة فى كثير من الأحوال، ثم إنه مثير للاهتمام فى بعض الأحيان. ولعل أفضل سمة يتصف بها البحث السردى هى أنه، إن طبق بصورة ملائمة، يستطيع أن يكشف عما يراه الراوى مهما.

الجوانب العملية

بعض طرق جمع البيانات السردية

كثيراً ما يطلق على جمع البيانات السردية باسم «المقابلة السردية»^(*)، إلا أنها تسمية غير دقيقة تماماً. ويمكن أن تُفضى إلى الخلط والتشويش، لأننا قلنا قبل ذلك أن المقابلات فى حد ذاتها لا تقوم - بالضرورة - بجمع بيانات سردية، حتى بالرغم من أن هذا الإجراء (الذى يقوم بتنفيذه شخصان: أحدهما مصدر البيانات (المبحوث) والآخر هو من يستمع إليه (الباحث) يشبه المقابلة السردية ظاهرياً فقط (الفصل الرابع).

(*) Narrative Interview.

هناك طريقتان رئيسيتان لجمع البيانات السردية هما:

1 - طريقة عدم المقاطعة.

2 - طريقة المقاطعة (بأسلوب المقابلة).

فى كلتا هاتين الطريقتين يتم - فى العادة - تعريف المشاركين بموضوع البحث ، ويتوجب مناقشتهم فى بعض تفاصيل هذه العملية ، كما أن الترتيب المعتاد للمقاعد واستراتيجيات التسجيل يجب أن تجرى بصورة صحيحة . فضلا عن ذلك يعتمد الباحث - فى العملية الأولى (أى بطريقة عدم المقاطعة) - إلى استخدام عبارة واحدة أو سؤالاً واحداً ليبدأ جلسة جمع البيانات . وقد تكون هذه العبارة مثلا: « احك لى عن كذا . . » . وبعدها لا يقوم الباحث بأى عمل ، ويكتفى بالإنصات إلى المشارك وهو يروى حكايته ، دون أن يقوم بمقاطعته . من الواضح أنه يلزم أن يكون تصميم هذا البحث شاملا ومفصلا ، كما هو الحال دائما . ويتعين على الباحث أن يكون قد قرر ما إذا كانت الملاحظات المحفزة غير اللفظية (والى تسمى أحيانا المحفزات «غير المعجمية» ، ويرجع ذلك فى المقام الأول إلى أن المهمة - مثلا - صوت مسموع ولكنها لا تعد كلمة)؛ نقول يتعين على الباحث تقرير: ما إذا كانت المحفزات غير اللفظية مقبولة أم لا ، أو قرر ما سيفعله عندما يسأله الراوى سؤالاً مباشرا أثناء قص الحكاية . وفى لحظة ما ، ستنتهى الحكاية (ويحدث ذلك - غالبا - عندما يصل المشارك بحكايته إلى الوقت الحاضر) وتكون جلسة جمع البيانات قد انتهت .

تقوم هذه الطريقة - التى لا يقاطع فيه الباحث الراوى - على فكرة أن الحكايات «ذاتية الانتهاء» (أى تنهى نفسها بنفسها) ، وأعنى بذلك أنها تصل إلى نهايتها (عادة) عندما يصل بهاراويها إلى الزمن الحاضر ، أو عندما تحقق الهدف الذى رُويت من أجله . (انظر كونللى Connelly وكلاندينين Clandinin ، 1990 ، وريسمان ، 1993 ، وماثيوز ، 2001) . ويترتب على ذلك منطقيا أنه إن قوطعت الرواية الشفاهية (والمصدر الأرجح للمقاطعة فى هذه الحالة هو الباحث ، وذلك مادام أنه يكون حريصا على تجنب احتمال أن يذق جرس الهاتف ، أو يقتحم عليهما أحد الحجرة ، أو ما أشبه ذلك من الاحتمالات)؛ نقول إن قوطعت الرواية الشفاهية فإنها تنتهى ، وحتى لو بدا فى الظاهر أنها مستمرة ، فالحقيقة أنه بعد استئناف الحكى تبدأ رواية جديدة . ونعتقد أن أسباب حدوث ذلك أشد تعقيدا من أن نتناولها هنا بكل تفاصيلها ، كما أنه لا يوجد اتفاق عام على مدى أهمية التوقف أو الانقطاع فى قص الرواية الشفاهية .

أما فى حالة استخدام الباحث لطريقة «المقاطعة» ، فإنه سيسأل طلبا للإيضاح ، أو

لمزيد من التفاصيل، أو ربما للعودة إلى الموضوع من «مسار جانبي». ورغم أن هذا قد يعنى أن قدرًا كبيرًا من جلسة جمع البيانات ينصب على التركيز على الموضوع، وهو ما يترتب عليه تقليل المادة غير الجوهرية، مما يوفر جهد النسخ فيما بعد، فهذا هو الفارق البارز الذى يميز «طريقة المقاطعة» عن «طريقة عدم المقاطعة»، حيث يُترك الراوى ليحكى كما يحلو له. وقد تعنى طريقة «المقاطعة أن الراوى قد يقوم بإعادة صياغة حكايته باستمرار مستخدماً الأسئلة والتعليقات التى يوجهها إليه الباحث المقابل، باعتبارها محفزات تجعله يستفيض فى الكلام. وليس هذا بالأمر السيء بالضرورة، مع أنه من الواضح أن طريقة المقاطعة مختلفة تمامًا عن طريقة عدم المقاطعة، كما أنه يمكن أن تشر حكاية مختلفة اختلافاً كبيراً. مثال ذلك ما يحدث لو أن الراوى كان يسعى للحصول على الموافقة (انظر أعلاه) ويستخدم تعليقات الباحث فى قص روايته بنوع مختلف من التأكيد (بالتأكيد على معان أخرى تتفق مع تعليقات الباحث).

المواقع أو الأماكن

الموقع أو المكان (الفصل الثانى) الذى يجرى فيه بحثك أمر مهم، ومن المحتمل أن يكون عاملاً له شأنه فى نجاحك. لا ريب أن الراحة البدنية والنفسية للمشاركة يمكن أن تؤثر على إنتاجه لروايته الشفهية، ورغم وجود قضايا هامة أخرى، خاصة ما يتصل منها بالسلامة الشخصية (فصل 5 باب 1)، فإن هناك بعض الأمور الأساسية التى يمكن أن تجعل جمعك للبيانات السردية أكثر نجاحاً:

- تأكد من أن مشاركتك (المبحوث) يعرف من أنت وكيف يتصل بك (أو يتصل بمؤسستك، أو بالمشرع عليك).
- تأكد من أن لديك موافقة عن علم من جانب المبحوث (فصل 5 باب 1) وأنه يفهم الغرض من بحثك، وما الذى سيحدث لهذه البيانات.
- ابعث برسالة للمشاركين تعرفهم فيها ببعض المعلومات الأساسية قبل جلسة الاستماع إلى رواياتهم الشفهية (وقد تشمل هذه المعلومات تفصيلات تخص أمور الاتصال الشخصى، ومعلومات عن البحث، وما إلى ذلك).
- تأكد من أن المبحوث موجود فى المكان المناسب الذى يكون فيه مرتاحاً. وقد يعنى هذا أن تلتقى بالمشاركين (المبحوثين) فى محل إقامتهم، أو تسمح لهم باختيار مكان اللقاء. والهدف من ذلك أن يكون الراوى أكثر ارتياحاً، ومن ثم يكون أقوى رغبة فى التعاون.

- اجعل الحجرة التى تستعملها لجلسة الاستماع مريحة بقدر الإمكان ، ضع الكرسيين -الخاصين بك وبالراوى- قريبين من بعضهما بقدر الإمكان ، متقاديا بذلك أن تحدث مواجهة مباشرة مع الراوى .
- تحقق من أن المشاركين سعداء بتسجيل حكاياتهم ، وبين لهم كيفية إغلاق المسجل عندما يرغبون فى ذلك . حاول أن تكون معدات التسجيل ظاهرة للراوى .
- سواء كنت تستخدم أسلوب «المقابلة» (أى حيث يقاطع الباحث الباحث (البحوث) أو كنت تستخدم أسلوب «عدم المقاطعة» ، فتأكد من أن مبحوثك لديه الوقت ليقول كل شئ يريد أن يقوله .

المهارات

لا تختلف المهارات المطلوبة للبحث السردى - فى الحقيقة - عن المهارات المطلوبة للبيانات الكيفية الأخرى . ولكن الأمر الحاسم هنا هو التأكد من وضوح تصميم بحثك (أعنى أنه تصميم قائم على أسلوب مقاطعة الراوى ، أو قائم على أسلوب عدم مقاطعته) ومن التزامك بهذا التصميم .

البيانات السردية

من المعتاد فى أيامنا هذه تسجيل جلسات جمع البيانات السردية (وهو لفظ غير دقيق ، ولكننا نرى أنه أفضل من لفظ «المقابلات»)؛ يتم تسجيلها إما على أشرطة كاسيت أو على مسجل صوتى رقمى . أما ما يحدث بعد ذلك فيخضع - بالطبع - لتصميم البحث ولاستراتيجيته فى التحليل (انظر الفصلين 1 و 3 باب 1 ، وفصل 2 باب 4) . ولكن الباحث سيقوم - عادة - بنسخ التسجيل لإعداد البيانات للتحليل (الفصل الثانى) . وهذه عملية تستنفذ قدرا هائلا من الوقت ، وذلك بالرغم من أننا نعتقد أنه لا توجد طريقة أفضل من تلك الطريقة لانغماس الباحث فى البيانات . ويتمثل عيب هذه الطريقة -طبعاً- فى طول المدة التى تستغرقها هذه العملية الشاقة .

كن حذراً: فالبحث السردى يميل إلى الإطناب إلى حد ما . لأنه ما أن تعطى الأفراد فرصة للكلام حتى يستفيضون فى الكلام . وقد يعنى ذلك تضخم حجم المواد المطلوب نسخها . وعليك أن تنتبه لهذه الصعوبة المحتملة وأنت فى مرحلة التخطيط للبحث ووضع تصميمه ، وذلك لكى لا تقع فى فخ قلة الوقت المحدد فى جدولك لإنجاز هذا العمل بصورة صحيحة .

ونظراً لأن القرار المتعلق باختيار النمط الفعلى للتحليل سيكون قد اتخذ من قبل مرحلة التخطيط ، فلن نتعرض له هنا (فصل 5 باب 4) .

معايير البحث السردى «الجيد»

فى سياق استعراضنا فى الفصل (1) من باب (1) لطبيعة «البحث الجيد»، حددنا بعض المعايير التى يمكن استخدامها فى الحكم عليه. ولكن تواجهنا فى حالة البحث السردى مشكلة بسيطة. فالبحث السردى أقل اهتماما «بالوقائع»، ولكنه أشد اهتماما بالقصة الشخصية التى صاغها الراوى من هذه الوقائع. كما أن الأمور المتعارف عليها مثل الثبات المنهجي، والصدق، والقابلية للتعميم – والتى تعتبر من الخصائص المفيدة لبعض تصميمات البحث (فصل 1 باب 1) – ليست مفيدة دائماً فى الحكم على جودة البحث السردى (انظر مثلاً: كوخ Coch و هارنجتون Harrington، 1998). ونحن نرى أنه لا تزال توجد طرق مفيدة لتقييم جودة هذا النوع من البحوث، وأن بالإمكان إجراء هذا التقييم عن طريق فحص «الاتساق الداخلى» للحكاية (ونحن نميل للقول أنه يتعين – فى حالة تقييم البحوث ذات المستوى المتقدم – أن يجرى هذا التقييم فى ضوء المفهوم الأساسى للمنظور الفكرى «للحقيقة». وعمل التقييم استناداً إلى فكرتى كوخ و هارنجتون (1998) عن «المصادقية»، والثقة.

مزايا البحث السردى و عيوبه

مزايا الرواية الشفاهية

من أفضل ما يتصف به البحث السردى الجيد التنفيذ أنه يعطى المشاركين الفرصة «ليرووا حكاياتهم». وتوحى الخبرة باستخدام هذه الطريقة بأن هذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها هذا الأمر، أو على الأقل: المرة الأولى التى يكون فيها الباحث المنصت راغباً ومهتماً بهذا النوع من البحث. كما أن رواية القصة تتيح للمشاركين أن يحددوا اختياراتهم بل وتشجعهم على ذلك، وعلى صياغة التعريفات، سواء ما كان منها متعلقاً بأنفسهم أو متعلقاً بالأحداث التى يقومون بوصفها. وبإمكان ذلك أن يساعدهم على الإحساس بأنهم شركاء فى هذا البحث، وبالإحساس – بناء على ذلك – بدورهم فيه. وكثيراً ما يبدو هذا الإحساس بصورة جلية فعلاً فى عمق البيانات المجموعة وفى طبيعتها التى تميزها عن سواها من البيانات.

بحثك

«الأمومة المبكرة والنساء السود»: المشاركة فى المعلومات

كتبت آن فونيكس Phoenix عن اتجاهات الناس إزاء الأمهات السود حديثاً السن (1984) وهن يروين حكاياتهن المتعلقة بالتعصب العنصرى الصريح الذى تعرضن له. ومن الملامح البارزة لهذه الحكايات الشفاهية أنها تقدم بأسلوب يوحى

بأن هؤلاء الراويات يعتقدن أنه - إن تشاركن معلوماتهن هذه مع أحد - فإن هؤلاء الآخرين سوف يستخدمون تلك المعلومات في التخفيف من وطأة هذه المشكلة عليهن.

لا شك أن هذا الاتجاه ينطوى على بعض المزايا لنا، نحن الباحثين أيضا. فالبحث السردى يتسم بأنه متعدد التخصصات، كما أنه يتيح لنا فرصة التوصل إلى فهم مواقف متعددة في نفس الوقت. فقد وجد ماثيوز (2001) في ثنايا رسالته للدكتوراة أن المشاركين يميلون، في كثير من الأحيان، للكلام عن القضايا الحساسة المتعلقة «بالعرق»، و«العنصرية» في ظل تشكيلة متنوعة من المواقع والظروف الاجتماعية والمهنية، مما أدى به إلى التوصل إلى مفاهيم واستبصارات لم يكن من الممكن الوصول إليها بغير هذه الطريقة. (كما كان هذا يعنى أن هناك حاجة لمراجعة مجموعة من المسلمات التي صاغها الباحث، وهو الأمر الذي يشكل أساس فائدة القصة الشفاهية للبحث الاستكشافي). كذلك يكاد يكون من المستحيل أن يتفادى الباحث وضع نفسه في موقف الراوى. فهذا الوضع التأملى النقدى يساعد على تحديد موقع الباحث كجزء من العملية البحثية (ماسون 1996، Mason).

كما أن الطرق المختلفة التي يمكن بها للبحث السردى أن يصل إلى المعلومات الحساسة، تتسم هي الأخرى بالأهمية. وقد استخدم ورد (2005) Ward الحكاية الشفاهية للوقوف على تواريخ حياة السحاقيات، كما استطاع دايتوت Daiute وتيرنيسكى Turniski (2005) أن يتوصل إلى فهم حكايات الشباب في فترة ما بعد الحرب في كرواتيا. وكانت هذه الحكايات معقدة، ومؤثرة في النفس ومؤلة بحيث كان من العسير الوصول إلى فهمها وتحليلها باستخدام طريقة أخرى (انظر برواز «البحث الواقعي» أدناه).

البحث الواقعي

حكايات الشباب عن الصراع والتطورات في فترة ما بعد الحرب في كرواتيا [هذا نص مستخلص من رواية شفاهية حقيقية، يوضح أن بإمكان الروايات الشفاهية أن تكون مثيرة للمشاعر، بل قد تكون فاجعة ومربكة للذهن. وهو أمر يلزم الباحثين أن يتنبهوا إليه].

بدأ هذا الصراع بيني وبين صديقتي لأنها كذبت على. لقد أصابني الروع. كانت من قومية مختلفة، ولكني لا أعيا بهذا أبدا لأننا جميعا بشر من لحم ودم، كما أن من حقنا أن نعبر عن آرائنا. بينما كنا ذاهبين إلى Suncokrit (اسم مكان) عائدين من

المدرسة حكّت لى أمور ارهية عنى وعن عائلتى أثارتنى فعلا إلى حد أننى شرعت فى البكاء . لم أشأ أن أقول لها شيئا رغبة منى فى أن ألطف من حدة الموقف . إلا أن الخلاف بيننا لم يتوقف . ثم قدفتنى بكرة من الثلج فأصابتنى فى عيني . أحمرت عيني وأحسست بالآلم . غادرت المكان متوجها للبيت ، وحكيت كل شىء لأمى . كانت أمى فى غاية الغضب وأرادت أن تستدعى جدتها ، إلا أننى طلبت منها أن تنتظر حتى تعود والدتها من «جفوزد» Covozd (اسم المدينة) .

فى اليوم التالى ذهبت إلى المدرسة ، وبينما كنت أستعد لحضور الحصة الدراسية طلبت منى مدرسة الفصل أن أتى لأكلمها . كنت مندهشة لأننى لم أكن أعلم سبب رغبته فى أن ترانى . ولكن كانت «صديقتى» قد شكنتنى إلى مدرسة الفصل . سألتنى المدرسة لماذا شتمت والدته صديقتى الصربية ، ولماذا أقول أمور سيئة ضد الصرب . شرعت فى البكاء وحاولت أن أبين لها أن ذلك ليس حقيقيا ، وأنه لا يهمنى ما إذا كان إنسان ما بلقانى ، أو رومانى ، أو أفريقى ، أو صربى ، أو كرواتى ، أو من البوسنة ، أو كان أبيض اللون ، أو شعره طويلا أو أنفه كبيرة . . . المهم عندى فقط أن يكون شخصا طيبا . لا يهمنى شكله الذى يبدو به ، المهم أن يكون ذا قلب طيب . (دايوت وتيرنيسكى ، 2005 ، 218) .

عيوب الرواية الشفاهية وأوجه قصورها

عندما يروى المبحوثون حكاياتهم فإنهم يقومون بنوع من المجازفة المحفوفة بالخطر ، وذلك لأنهم «يكشفون» أو يفضحون أنفسهم للباحث ، مما يجعلها فى نهاية الأمر مكشوفة لكل من يقرأ هذا البحث . صحيح أنه لن يتم التعريف بشخصياتهم فى أى تقرير ، إلا أن نفوسهم تنطوى رغم ذلك على إحساسات بهشاشة موقفهم لا بد من أخذها فى الحسبان . قد يشغل بال بعض الأفراد أن الباحث سيرى أن حكاياتهم محرّجة أو سخيفة . وقد يزعم غيرهم أنهم إن صرحوا بأنهم ارتكبوا عملا إجراميا ، فقد تتخذ ضدهم الإجراءات القانونية (وهذه قضية أخلاقية بارزة ينبغى مناقشتها مع أحد المشرفين على الدراسة فى مرحلة مبكرة حتى يكون اتجاه الباحث إزاء أى قضية تشبه تلك القضية اتجاها متسقا منهجيا ومتفقا مع التشريعات التى تنظم هذه الأمور . وفى وقتنا الحالى يؤدى أى إفصاح عن عمل إرهابى أو عن جريمة تقع تحت طائلة قانون الأطفال إلى إلزام الباحث بإبلاغ الشرطة بذلك) . وقد تناولنا هذه القضايا بمزيد من التفصيل فى فصل (5) باب (1) .

كثيرا ما يفاجأ الباحثون المبتدئون بهذه الأمور التى يرويها المبحوثون لهم . ومن المعتاد أن تسمع من المبحوثين عن مخالفات قيادة السيارات ، وعن تعاطى العقاقير

المحظورة، وغير ذلك من أمثال تلك الأمور. ويعتبر الاستعداد لهذا أمراً مهماً، وقد ناقشناه تفصيلاً في فصل (5) باب (1)، مع ما يتصل به من القضايا المتعلقة بالقوة.

في كثير جداً من الأحيان يشعر الراوى بشيء من الانزعاج والقلق من أن الباحث قد «استولى» على حكايته، وأنها - بذلك - لم تعد ملكاً له. وليس واضحاً ما إذا كان الأفراد يرون هذا الوضع شيئاً على طول الخط أم لا. ويذهب بعض الخبراء إلى أن هذا الإفضاء بالحكاية الشفافية قد يمثل تجربة لتحرير النفس (أتكنسون Atkinson وآخرون، 1993، 443؛ زيمباردو Zimbardo، 1988، 469)، إلا أننا نرى أنه ينبغي النظر إلى هذا الرأي بحذر. إذ ينطوى مثل هذا الموقف على مشكلة من نوع خاص مفادها أن الباحثين كثيراً ما ينظرون إلى الباحثين باعتبارهم «خبراء». والغالب أن يسعى الباحثون إلى الحصول على رأى الباحثين في مضمون ما حكوه لهم من روايات شفاهية (يحدث مثل هذا في البحوث الكيفية الأخرى). وتوجد أسباب محتملة كثيرة لهذا، ابتداء من حاجة الباحثين إلى إخفاء مشروعية على تصرفاتهم السابقة، وانتهاء بالحصول على مشورة طرف ثالث فيما يتعلق بالمستقبل. ومع أنه من العسير ألا يجيب الباحث عن هذه الأسئلة وألا يستجيب لهذه المطالب، فإنه ينبغي عليه دائماً أن يأخذ حذره حتى لا يجيب (على الأسئلة) ولا يستجيب (للمطالب) بصورة غير ملائمة.

النتائج غير المتوقعة

كثيراً جداً ما يحدث في البحث السردى أمر غير مألوف نوعاً ما. إذ إن من الخبرات الشائعة أن تتوصل - وبغض النظر عن بؤرة اهتمام بحثك - إلى نتائج غير متوقعة. من أسباب ذلك أن طبيعة البحث السردى لا يمكن التحكم فيها أبداً، أو على الأقل لا يتحكم فيها الباحث عادة بمثل ما يتحكم في بعض الطرق الأخرى (فصل 1 باب 3). فمن المؤكد أن طبيعة البحث السردى شديدة المرونة - وحتى بالرغم من وجود تركيز واضح للاهتمام - وذلك لأن الراوى هو الذى يتحكم في مجريات هذا البحث، وعلى نحو يفوق مقدار تحكم الباحث. غير أن قضية الاختيار تحظى بأهمية بالغة، كما هو شأن معظم عمليات جمع البيانات الكيفية (انظر باب 1 وباب 4).

وهكذا يحتمل أن يوجد في إحدى الحكايات قدر من المادة الداعمة، التى يكون أحياناً متفرقة لا رابط يجمعها. إلا أن تلك المادة قد تكون عظيمة الفائدة، على نحو لم يخطر لك أبداً على بال.

البحث الواقعي

بعض النتائج غير المتوقعة في أحد البحوث الصحية

عندما كنت أدرس الخبرات الصحية للأفراد الذين ينتمون إلى أعراق مختلطة (ماتثوز Matthews، 2001)، كنت أستخدم طريقة لجمع الروايات الشفاهية قائمة على عدم المقاطعة، مما يعني أنني كنت اكتفى بالجلوس والإنصات، فقد كانت هذه الطريقة لا تسمح لي بالمقاطعة. وقد انتفعت إحدى المبحوثات بهذه الجلسة في الكشف عن تاريخ خبرات الإيذاء البدني والنفسي التي تعرضت لها. كانت هذه الخبرة مرعبة وموجعة، ولا شك عندي في أنك تستطيع أن تتخيل ذلك. كما أنها أثارت عددا من القضايا بالنسبة لي، وهو ما لم أكن أتوقع أن يحدث على الإطلاق. على أنه اتضح - بعد التغلب على هذه العقبة الأولية - أن جلسة جمع البيانات كانت هي الشيء المفيد في الواقع لشروعي، وذلك لأنها فتحت عددا من الأبواب التي لم يسبق لي مجرد التنبه لوجودها. وهي أمور ذات صلة بمشكلة القوة في العلاقات الأسرية التي لها بُعد إنثي.

من المهم في كل البحوث التي تتناول الناس أن تهيأ نفسك بقدر الإمكان لغير المتوقع. مثال ذلك أنه يتوجب عليك أن تبلغ الشرطة عن أنشطة معينة (وهي أمور - مثل إيذاء الأطفال - تقع تحت طائلة أحكام قانون الأطفال لسنة 2004، والممارسات التي تخضع لقانون الإرهاب لسنة 2006). فإلى أي مدى يمكن أن يؤثر ذلك على بحثك؟

بحثك

مزايا البحث السردى

- الحكاية / الراوى أمر محورى.
- يتيح الفرصة لرواية الحكاية.
- يمكن للراوى أن يمارس الاختيار.
- الرواة «يملكون» رواية الحكاية.
- يستطيع هذا البحث التوصل إلى بعض التأويلات وإلى «فهم الأمور المهمة».
- يصل إلى معلومات قد لا تكون متاحة في مكان آخر.
- يصل إلى معلومات حساسة.
- قادر على أن يوصلك إلى بعض المعلومات «غير المعروفة».
- يخدم البحث الاستكشافى على نحو ممتاز.

- لا يحتاج إلى فهم مسبق للقضايا .
- لا يوجد فيه أسئلة محفزة ، ولا توجد فيه مقاطعة .
- يجمع مقادير «وافرة» من البيانات .
- نطاق البيانات التي يمدك بها متسع .

عيوب البحث السردى

- يتطلب توفر الرغبة عند المبحوثين فى رواية حكاياتهم .
- قد يتعذر الوصول إلى الرواة .
- الرواة «يفضحون» أنفسهم .
- بمجرد أن يحكى الراوى قصته يفقد ملكيته لها .
- قد يكون السرد تنقيسا للراوى عن متاعبه النفسية ، وهذا الأمر قد يكون ميزة أو عيبا .
- يؤثر بعض القضايا الأخلاقية المتعلقة بإفشاء الراوى للأسرار .
- يكون من الصعب تحليل الرواية الشفاهية (أحيانا) .
- هل يهم وضع «الحقيقة» فى مواجهة «الواقع»؟
- الاختيار ، أى ضرورة الانتقاء بغرض التحليل .
- لا مجال للكلام (مع الراوى) ، وهو ما يعنى لا مجال للمراجعة اللاحقة .
- لا يوجد وقت أو مجال لتطوير العلاقة بين الباحث والراوى .
- قد ينظر المبحوث للباحث بوصفه خبيرا .
- صعوبات تحقيق الفهم المتبادل .
- أعمال نسخ التسجيلات تستغرق وقتا طويلا جدا ، وتتولد عنها مقادير ضخمة من البيانات .
- قد تشمل الحكاية الشفاهية على بعض المضامين التى لا صلة لها بموضوع البحث .

بحثك

اختبار جودة البحث : السرد

- هل أنت مهتم بالوقائع أم بالتأويلات؟
- هل تريد جمع المعلومات التى قام المبحوث بمعالجتها (أى إعادة ترتيبها وتكييفها بما يناسب غرضه)؟
- هل تريد معرفة مدى اتصال الحكاية بالواقع؟

- هل تهتم بالأسباب الكامنة وراء إنشاء (أو صياغة) هذه الحكاية؟
- هل تبحث عن معلومات «غير مألوفة» أو من العسير الوصول إليها؟
- هل فكرت في طريقة التعامل مع المحتوى غير المتوقع؟
- هل أدخلت في حساباتك طريقة معالجة كميات ضخمة جداً من البيانات؟

فكر في هذا الموضوع...

حكاية الحفلة

هناك تفسيرات عديدة محتملة للرواية الشفاهية. وفيما يلي بعض تفسيراتنا:
الباحث: «احك لي عن الحفلة».

الراوي: كانت حفلة مملة للغاية. كان المسنون جميعاً يجلسون في إحدى الحجرات، وكانوا يتكلمون عن الحرب أو عن شيء ما. (1) كنت أرغب في استعمال جهاز ألعاب الفيديو الخاص بي (البلاي ستيشن)، ولكن والدي قال إن هذا تصرف يفتقر إلى اللياقة والتهديب. وأنا أسألك: هل هذا من العدل والإنصاف؟ (2) على أي حال، ذهبت أبحث عن «جيسون» (تم تغيير الاسم)، ولكنه كان يقوم بأداء بعض الواجبات الدراسية ولم يكن يرغب في أن يزعبه أحد. لذلك رأيت أنه يمكنني أن أخرج وألعب بالكرة في الحديقة. صدقني أنني لم أتعهد كسر زجاج «صوبية» النباتات. ولكنني أريد القول أنه من الغباء الشديد أن تقام هذه الصوبية في هذا المكان على أي حال (3). فلك أن تتصور أن أي شخص قد يركل الكرة فتخترق زجاج هذه الصوبية. لم يكن الخطأ خطئى، بل هو خطأ جدى أن أقام هذه الصوبية فى هذا المكان. المهم أنني قمت بإصلاح الكسر الذى حدث فى الزجاج باستخدام شريط لاصق، ولم أكن أرى أن الأمر يستحق أن أخبر به أى إنسان (4). وكيف كان لى أن أعرف أنه سيحدث صقيع فى تلك الليلة، وأن الزهور سوف تموت؟ إنى أتعجب ما الذى يتصور الناس أنني أعرفه عن العناية بالحدائق؟ (5).

(1) قد لا يكون لذلك التعبير صلة «بالوقائع» التى كان الأفراد يتكلمون عنها. ولكنه أسلوب شخص ما فى وصف خبراته.

(2) هذه الجملة محاولة لاستدراار الشفقة على (ما يفترض أنه) معاملة سيئة.

(3) هذا سلوك تبريرى، فالخطأ خطأ شخص آخر.

(4) فى هذه اللحظة يقوم المبحوث بالتسوية العقلانى لتصرفه، فقد كان الأمر حادثة طفيفة لا تستحق انزعاج الناس.

(5) نلاحظ فى هذه المرة مزيداً من التسوية العقلانى لتصرفه واستثارة الشفقة.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Abma, T. A. (1998) Storytelling as inquiry in a mental hospital, *Qualitative Health Research*, 8: 821-38.
- Atkinson, R. L., Atkinson, R. C., Smith, E. E. and Bem, D. J. (1993) *Introduction to Psychology*, 11th edn, Fort Worth, TX: Harcourt Brace Jovanovich.
- Barthes, R. (1977) Introduction to the structural analysis of narratives, in *Image-Music-Text*, Glasgow: Collins.
- Bryman, A. (2004) *Social Research Methods*, Oxford University Press.
- Clandinin, D. J. and Connelly, F. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.
- Connelly, F. M. and Clandinin, D. J. (1990) Stories of experience and narrative inquiry, *Educational Researcher*, 19: 2-14.
- Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.
- Daiute, C. and Turniski, M. (2005) Young people's stories of conflict and development in post-war Croatia, *Narrative Inquiry*, 15(2): 217-40.
- Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.
- Gee, J. P. (1985) The narrativization of experience in the oral style, *Journal of Education*, 167: 9-35.
- Gergen, K. J. (1994) *Realities and Relationships: Soundings in Social Construction*, Cambridge, MA: Harvard University Press.
- Koch, T. and Harrington, A. (1998) Reconceptualising rigour: the case for reflexivity, *Journal of Advanced Nursing*, 28(4): 882-90.
- Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.
- Mason, J. (1996) *Qualitative Researching*, London: Sage.
- Matthews, R. N. (2001) Mixed ethnicity, health and healthcare experiences, Department of Social Policy and Social Work, University of Birmingham.
- Megill, A. (1985) *Prophets of Extremity: Nietzsche, Heidegger, Foucault, Derrida*, Berkeley, CA: University of California Press.
- Miller, R. L. (2000) *Researching Life Stories and Family Histories*, Sage: London.
- Phoenix, A. (1994) Early motherhood and Black women, in M. Wilson (ed.) *Healthy and Wise: The Essential Health Handbook for Black Women*, London: Virago.
- Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.
- Ward, N. J. (2005) Social exclusion and mental wellbeing: lesbian experiences, University of Birmingham.
- Zimbardo, P. G. (1988) *Psychology and Life*, 12th edn, New York: HarperCollins.

الفصل الثامن

الوثائق

محتويات الفصل

- مجالات البحث الاجتماعي التي يناسبها استخدام الوثائق .
- أنواع الوثائق .
- استدامة الوثيقة وطول عمرها .
- الوصول إلى الوثائق .
- السياق .
- طرق التفسير والتحليل .
- المراجع وقرارات للاستزادة .

عن السياق

يتناول هذا الفصل استخدام الوثائق في البحوث الاجتماعية. وسنحاول خلاله التعريف بالأشياء التي تعتبر وثائق ونقدم تعريفا لها. ثم نناقش استخدام الوثائق كمصدر وفير للبيانات ، في نفس الوقت الذي نشير فيه إلى احتمال صعوبة الوصول إليها أحيانا وصعوبة تفسيرها (أو تأويلها). ومع ذلك يمكن أن تكون الوثائق عظيمة الفائدة إلى حد بعيد. فإن كنت تستخدم الوثائق في بحثك ، فنوصيك بمراجعة الفصل (٢) من الباب (٢) ، وكذلك الفصل (٩) من الباب (٣) .

تقتضى طبيعة المادة التي نناقشها فيما يلى أن يتناول هذا الفصل كلا من جمع البيانات و«تحليل» البيانات، وذلك على الرغم من أننا سنعالج موضوع التحليل بصفة عامة بمزيد من التفصيل فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

لعل تحليل الوثائق أو التحليل الوثائقي كان معروفا منذ اختراع الكتابة على أيدي السومريين وسكان جنوب ما بين النهرين (دجلة والفرات) نحو سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد (انظر موقع www.ancientscripts.com/sumerian.htm) ومن المؤكد أن المؤرخين استخدموا التحليل الوثائقي منذ عرف علم التاريخ، كما كان يلقي على الدوام رواجاً وقبولاً فى البحوث الاجتماعية.

ولخدمة أهداف هذا الفصل، افترضنا أن معظم الوثائق (انظر قائمة المصطلحات) المستخدمة ستكون حديثة نسبياً. وعلى هذا لم نتوغل فى مناقشة قضايا الترجمة من الإنجليزية القديمة التى كتب بها تشوسر Chaucer^(*) قصائده إلى الإنجليزية المعاصرة. فإن ذلك يمثل مجموعة مختلفة من القضايا والصعوبات التى ليس لدينا متسع للخوض فيها واستكشافها.

ما: الوثيقة؟

من العسير تعريف الوثائق، إلا أننا نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها سجلات مكتوبة عن أفراد وأمر تتولد من خلال الممارسات الحياتية، ووفقاً لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل: الفيلم السينمائي، وشريط التسجيل الصوتي، وفيلم الفيديو... إلخ. ولكن يُستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهي.

قد تكون الصورة التى تتبادر إلى أذهان معظمنا عندما نفكر فى الوثائق هى صورة حزمة من الأوراق، التى قد تكون مضمومة إلى بعضها بدبوس أو محفوظة داخل ملف. وليس هذا سوى جزء فقط من الحقيقة، وسنعود إلى مناقشة هذا الموضوع بمزيد من التفصيل فيما بعد فى سياق هذا الفصل.

(*) جيفرى تشوسر Geoffrey Chaucer (١٣٤٢-١٤٠٠) شاعر إنجليزي، يعد أبرز الشعراء الإنجليز قبل عهد شكسبير، وأكبر شاعر هزلى فى تاريخ الأدب الإنجليزي كله. عمل فى خدمة الدولة وعُهد إليه بأداء بعض المهام الدبلوماسية فى الفلاندر، وفرنسا، وإيطاليا. وقد مكنته رحلاته هذه من الاطلاع على الأدبين الفرنسي والإيطالي. أشهر آثاره: «حكايات كانتربري»، التى شرع فى وضعها حوالى العام ١٣٨٦ ولم يقدر له أن ينمها. (الترجم)

مجالات البحث الاجتماعي التي يناسبها استخدام الوثائق

الوثائق «ظواهر اجتماعية»، بمعنى أنه يتم إنتاجها، وتبادلها، واستعمالها بطرق ينظمها المجتمع. وهي مع ذلك ليست تصويراً صريحاً للطرق الروتينية المتبعة في المنظمات، أو لعمليات اتخاذ القرار. إنما هي تنشيء وتؤسس لأنواع معينة من التصورات في حدود أعرافها الخاصة بها. لهذا لا ينبغي استخدام المصادر الوثائقية كبدايل لغيرها من أنواع البيانات. (أتكينسون وكوفي، في سيلفرمان Silverman، ١٩٩٧، ٤٧).

كل وثيقة تم إنتاجها أو كتابتها بواسطة شخص معين، وفي سياق محدد، ومن أجل غرض بعينه. ولكن محتويات الوثيقة لا تصير واقعا أو حقيقة مجرد أنها دونت. قد تكون بؤرة الاهتمام في البحث الاجتماعي منصبة على المحتوى الفعلي داخل الوثيقة، إلا أنه من الملائم أيضا أن تنصب على فهم ودراسة سبب وكيفية إنتاج الوثيقة في شكل معين وفي سياق محدد.

إن استعمال الوثائق في البحث شبيه جدا باستعمال الطرق الأخرى لجمع البيانات. وأهم فارق بين الوثائق والطرق الأخرى هو أن البيانات الموجودة في الوثائق، نظرياً على الأقل، تدون في شكل ثابت نهائي بمجرد كتابتها. والواقع أن هذا قد لا يصدق على الوثائق تماماً، إذ ليس خافياً أن يحاول المؤلفون «إعادة كتابة» التاريخ. للاطلاع على مناقشة لهذه النقطة انظر سوثجيت Southgate، ٢٠٠١. ولعل أشهر الأمثلة على ذلك ما نجده في المؤلفات التي تتناول الحروب والتي تكتب في أغلب الأحوال دائماً على أيدي المنتصرين، كما أنها تميل إلى التعمية فتقدم صورة براقعة خادعة تغطي على عيوبهم بينما تبرز عيوب المنهزمين. تُعد بعض الوثائق «الإلكترونية» (انظر أدناه) أقل في دقتها مما قد نتصوره عنها في الوهلة الأولى، كما أنها في أغلب الأحيان عرضة للحذف و/أو التغيير على يد المؤلف أو على أيدي الآخرين. ورغم ذلك، فإن بالإمكان الاتفاق على أن معظم الوثائق يمكن أن تزودنا بسجل ذي شكل محدد لأمر حدث في وقت معين.

يمكن للوثائق أن تحتوى على أصناف مختلفة من البيانات، وذلك بناءً على نَظْمِها، وغرضها، ووسيلتها. وبإمكان الوثائق أن تستوعب أطراف الحياة الاجتماعية، كما أنها قد تشمل - رغم طول القائمة - على سبيل المثال ما يلي:

- فقرات الأخبار (والتعليقات).
- البيانات الرقمية (الإحصاء السكاني، والمسوح).
- البيانات الكيفية (التقارير ونتائج المشروعات البحثية).

- الوثائق السياسية (الوثائق الحكومية وغيرها من الوثائق «الرسمية»).
 - المعلومات الشخصية والتفصيلات المتعلقة بها (المذكرات اليومية، أو الخطابات أو قوائم المشتريات).
 - المعلومات التاريخية.
 - المادة البصرية (الأفلام السينمائية، أو الصور الفوتوغرافية أو أفلام الفيديو).
 - المادة السمعية (المسموعة).
 - المواد «الأخرى» (انظر فيما بعد).
- بطبيعة الأمر، فإن الوثائق لا تقتصر على صنف واحد من البيانات، كما يمكن أن نصادف كثيرًا من أشكالها المختلفة في وثيقة واحدة.

لماذا تُستعمل الوثائق؟

- ١ - لأن الوثائق مُتاحة بسهولة في كثير من الأحيان، كما أن بإمكانها أن تشمل مقادير كبيرة من المعلومات.
- ٢ - لأن الوثائق ثابتة وتقدم «لقطة» لأحد جوانب الحياة في لحظة زمنية معينة.
- ٣ - تعتبر الوثائق، لسبب لا يقل أهمية عن الاعتبارين السابقين - أكثر من مجرد مصدر للبيانات، إذ إن بالإمكان دراسة الوثائق في حد ذاتها باعتبارها «ميدانًا» من ميادين البحث (بريور، ٢٠٠٣، ٢٦).
- ٤ - الوثائق منتج من صنع المجتمع: وهذا معناه أنها تدلنا على ما هو أكثر من مجرد البيانات والمعلومات التي تشتمل عليها.
- ٥ - يمكن للوثائق أن تكون عزيمة الفائدة في الحصول على البيانات التي تُجمع باستخدام طرق البحث المتعددة: أعنى بذلك أنها مفيدة فيما يتعلق بالوصول إلى فهم أدق للبيانات التي سبق جمعها للبحث من مصادر مختلفة.

أنواع الوثائق

عمدنا - من باب التيسير - إلى تقسيم الوثائق إلى مجموعتين رئيسيتين: مجموعة الوثائق «المكتوبة» ومجموعة الوثائق «الأخرى». لم يكن هذا قرارًا سهلاً، إذ إن بعض الوثائق «الأخرى» تحتوى - لا محالة - على كلمات. وأياً ما كان الأمر، فإننا نرى أن كل إنسان يفهم جيداً فكرة الوثيقة «المكتوبة»: كالمفكرة اليومية، ومحاضر اللجان، والسجلات الرسمية، وما شابه ذلك.

ومع ذلك يوجد هنا نوع من التشابك والتعقيد. فعلى امتداد معظم فترات التاريخ الحديث، كانت السجلات «المكتوبة» تتكون من شكل ما من أشكال الكتابة على الورق (ونحن ندرج تحت هذا المفهوم: المطبوعات وما كتب على الآلة الكاتبة). ومع ذلك، فإنه منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، أصبح يزداد بسرعة الاحتفاظ بالسجلات، إما في شكل إلكتروني (في ذاكرة الحواسيب الآلية وفي مشغلات الأقراص)، وإما في شكل لا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة الحاسب (مثل السي دي. روم - أى الأقراص المدمجة للقراءة فقط، والدي فى دي. روم - أى الأقراص متعددة الاستعمالات للقراءة فقط، ومشغلات الفلاشات، ومحركات الذاكرة memory sticks، وبطاقات الذاكرة... إلخ). وهذا ما نقصده بالتشابك والتعقيد، إلا أننا نرى أنه من الأفضل - فى الأغلب الأعم - تجاهل هذا التغير فى النماذج، وأن أيسر طريقة لفهم هذه الوثائق هى تركيز تفكيرنا فى الوسيط الذى وضعت فيه. ومن ثم يمكن النظر إلى الوثيقة الورقية المناظرة لها، ببرنامج لمعالجة الكلمات بنفس الطريقة التى ننظر بها إلى الوثيقة الورقية المناظرة لها، أو يمكن النظر إلى الصورة الرقمية بوصفها صورة فوتوغرافية. ولا يخلو ذلك من بعض القضايا الإشكالية المتعلقة باستدامة الوثيقة، وطول عمرها، وإمكانية الوصول إليها، وهى الأمور التى سنناقشها لاحقاً. كما توجد عدا ذلك قضايا أخرى تتعلق بأمن البيانات الإلكترونية التى تناولنا بعضها بالمناقشة فى الفصل (٥) من الباب (١).

وهناك عدد من الطرق المختلفة، أو أساليب التنظيم المختلفة، التى يمكن استخدامها لتنظيم الوثائق، إلى جانب التقسيم الثنائى البسيط إلى «مكتوبة» و «أخرى» الذى عرضناه من قبل (والمضمن فى المجموعة الأولى من طرق التنظيم المذكورة أدناه). ونعتقد أن أفضل أساليب التنظيم هى ما يلي:

١ - أسلوب تنظيم الوثائق حسب الوسيط: أى نوع الوثيقة والمادة المصنوعة منها (والتي يندرج تحتها - اليوم - الأشكال الإلكترونية غير المادية، كالإنترنت).

٢ - أسلوب تنظيم الوثائق حسب المصدر: لماذا وضعت الوثيقة، ومن وضعها؟

٣ - أسلوب تنظيم الوثائق حسب الغرض منها: وهذا النمط أحياناً ما يكون هو نفسه نمط التقسيم حسب «المصدر» (ولكن ليس على الدوام. انظر أدناه): وهو الأسلوب الذى يشمل الأرشفة (أى الحفظ فى سجلات) ونقل المعلومات. وتشمل هذه الأنماط ما يلي:

● الوسيط رقم (١)

- الوسيط الورقى: المكتوب باليد / أو المطبوع.
- الوسيط الإلكتروني: ذاكرة الحاسب، والأقراص المدمجة للقراءة فقط (دي فى دي) والأقراص متعددة الاستعمالات للقراءة فقط، والفلاشات... إلخ.

● الوسيط رقم (٢)

- الصور الفوتوغرافية (بما فيها الصور الفوتوغرافية الرقمية).
 - الفيلم السينمائي.
 - الفيديو (الشريط، أو القرص، أو الذاكرة الصلبة).
 - السمعي (الشريط، أو القرص، أو الذاكرة الصلبة).
 - الكتابات الرسمية (كاللوحات التذكارية، وأحجار الأساس - للمنشآت - والكتابات المكتوبة على المباني... إلخ).
 - كتابات أخرى (كالشعارات المكتوبة على الملابس، والنقوش الجدارية، وشواهد القبور... إلخ).
 - وسائل الإعلام الجماهيرية (الصحف، والمجلات، والتلفزيون، والإذاعة... إلخ).
 - الإنترنت.
- (هذه قائمة ليست شاملة، كما أن من الممكن بسهولة جعلها أكثر تعقيداً بلا داع).

● المصدر رقم (١)

- المصدر الأولي: وثائق كتبها الفرد/أو الأفراد الذين شاهدوا أو شاركوا في الأحداث الموصوفة في الوثيقة.
- المصدر الثانوي: وتشمل تقارير شاهدها أو سجلها آخرون (عدا المشاركين فيها).
- ومن الممكن أيضاً أن يكون لدينا:
- المصدر الثلاثي: توليفات معقدة قائمة على الوثائق الثانوية وغيرها من البيانات.

● المصدر رقم (٢)

- المصدر الشخصي: وثائق كتبها أفراد عاديون (لا يتولون منصبا أو عملا عاما).
- المصدر الرسمي: وثائق كتبتها «مؤسسات» كالحكومات، والشركات، والمنظمات عابرة القوميات (كالجمعيات الخيرية، مثل مؤسسة «أوكسفام» Oxfam البريطانية)، والمؤسسات فوق القومية (كالاتحاد الأوروبي، أو الأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلسي).
- المصدر التاريخي: وهي الوثائق التي وضعت خصوصا لتسجيل «التاريخ» (وهناك خلاف حول وجود هذه الفئة، حيث يرى البعض أنها تندرج ضمن فئة الوثائق «الشخصية»، أو الوثائق «الرسمية». وقد أدرجناها هنا بقصد الاستيفاء).

● الغرض: بعض الأغراض هي نفسها المذكورة في فقرة المصدر رقم (٢) التي سبقت الإشارة إليها ، أعنى بذلك الغرض الرسمي أو التاريخي . والغرض الرئيسي الآخر من وضع الوثائق هو جعل المعلومات متاحة للآخرين . وفي بعض الأحيان تكون هذه الوثائق فرعا من الوثائق «الرسمية» ، فتسمى حينئذ «أرشيفا» . والأرشيفات في العادة عبارة عن كميات ضخمة من البيانات المخزنة وفق بعض الأساليب المنظمة لتيسير البحث عنها والوصول إليها .

وفيما يلي مثالان على هذه الأرشيفات:

● أرشيف الملاحظة الشامل:

(www.sussex.ac.uk/librarymassobs)

● أرشيف البيانات الكيفية Qualidata :

(www.essex.ac.uk/qualidata)

تكاد جميع الأرشيفات الحديثة تكون قائمة على أساس الكمبيوتر . في حين تقوم الأرشيفات الأقدم - عادة - على الورق . وينطوي هذا التقسيم على دلالات واضحة فيما يتصل بمدى إمكان الوصول إلى الأرشيفات والبحث فيها .

فكر في هذا الموضوع . . .

موضوع للتأمل

من غير المحتمل أن يكون الغرض الأصلي لإنشاء الوثيقة هو نفس الغرض الذي يحرك بحثك (وإن كان الغرض الأصلي للبحث قد يكون مجهولا في الحقيقة) . ومن شأن ذلك أن يجعل من الصعب (أو ربما المستحيل) أحيانا استخدام الوثيقة في بحثك .

سيقرر معظم الباحثين أي نمط ، أو أي مجموعة من الأنماط ، هي الأكثر ملاءمة لمشروعهم ، وذلك في ضوء ما يحاولون اكتشافه أو التعرف عليه ، وعلى تصميم بحثهم (الباب الثاني) . وأيا ما كان الأمر ، فإن ثمة قضايا أخرى يتوجب أخذها في الاعتبار .

استدامة الوثيقة وطول عمرها

لا شيء يبقى مستمرا على الدوام . وتصدق هذه الحقيقة على الوثائق بصفة خاصة . فالوثائق الورقية هشة ، وقابلة للاحتراق ، وعرضة للتدمير أو التلف بفعل الماء والحشرات . وبعض أنواع الحبر تبهت بمرور الزمن أو بسبب تعرضها للضوء .

وتتعرض الوثائق للضياع ، أو لوضعها فى غير أماكنها الصحيحة ، أو للإخفاء أو للتدمير (الذى يكون متعمدا أحيانا) . بل إن وسائل الاتصال التى تبدو أدوم بقاء - كالأقراص المدمجة مثلا - تتحلل بمرور الزمن .

إن عمر وسائل الاتصال المغناطيسية (وتشتمل هذه الوسائل على الأشرطة الصوتية والأوعية الموضوعة فيها) ، وأشرطة الفيديو وأوعية حفظها ، وأقراص الكمبيوتر المرنة ... إلخ) نقول إن عمر هذه الوسائل المغناطيسية محدود ، كما أن مدة صلاحية معظمها تقدر بنحو ٣٠ سنة (بوجارت Bogart ، ١٩٩٥) . ومعلوماتنا عن الوسائل البصرية (مثل السى دى روم ، والدى فى دى ، وما أشبه ذلك) أقل من ذلك على الرغم من أن صانعيها يزعمون أن مدة صلاحيتها تتراوح ما بين ٥٠ سنة ، و ٢٠٠ سنة (ماركين Marken ، ٢٠٠٤) . وتتحلل أشرطة الأفلام السينمائية بمعدلات مختلفة تبعا لنوعية المادة المصنوعة منها وتبعا للطريقة التى تخزن بها . ولو توفرت لها ظروف مناسبة فقد يكون ممكنا أن تظل صالحة لمدة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ سنة .

إلا أن بعض الوثائق أسرع زوالا من غيرها . فالخطابات الشخصية قد تدمر عقب قراءتها أو يتم التخلص منها بعد وفاة صاحب البيت وبيع ما لا حاجة إليه من تراثه . وكثيرا ما يدمر الشخص يومياته (المفكرات اليومية - أو اليوميات) فى نهاية السنة . إلا أن هناك وسيلة واحدة أصبحنا معتادين على أنها أقصر الوسائل عمرا: وهى الإنترنت . قد يطول عمر بعض الوثائق المنشورة على الإنترنت لفترة تقدر بالسنوات ، ولكن بشرط أن تظل بلا تغيير أو بلا حذف . بل إن مواقع الشبكة التى قد نعتقد أنها دائمة (مثل موقع ويكيبيديا) . تتعرض للتغير - فى الواقع - طوال الوقت لأنها تتعرض دائما للتحديث ولعمليات التحرير (أى التنقيح والتعديل والتغيير) . وهناك بعض الوثائق التى لا تعمر سوى لمدة يوم واحد تختفى بعده فى اليوم التالى . لهذا السبب يتوجب على الباحثين أن يتعاملوا مع هذه المصادر بحرص وعناية ، كما ينبغى عليهم أن يسجلوا تاريخ اليوم الذى طالعوا فيه هذه الوثائق .

الوصول إلى الوثائق

كثيرا ما يكون الوصول إلى الوثائق أمرا عسيرًا . وواضح أن الدخول على الإنترنت شرط لا بد منه بالنسبة للوثائق الموجودة على الشبكة جميعًا ، ولكن بعض شروط الوصول الأخرى أقل وضوحا من ذلك . وبعض السجلات الحكومية متاحة للجمهور (كشهادات الميلاد ، وعقود الزواج ، وشهادات الوفاة ، وبعض سجلات الإحصاء السكانى ، والوصايا الموثقة) ، إلا أنه لا بد فى أغلب الأحيان من دفع رسوم للاطلاع عليها . وقد كفل القانون حرية المعلومات (الصادر عام ٢٠٠٠) لكل إنسان

حرية الوصول إلى الوثائق التي تنشرها طائفة عريضة من جهات الاختصاص في بريطانيا: كالحكومة المركزية والحكومات المحلية، ووزارة الصحة، والجامعات، والمدارس. إلا أن هناك قائمة طويلة من الجهات المستثناة من هذه الممارسة، فلا تنشر وثائقها على الشبكة. (للاطلاع على مزيد من التفاصيل انظر موقع: www.justice.gov.uk/guidance/foi-exemptions-about.htm).
وجدير بالملاحظة أن بعض الوثائق الرسمية في المملكة المتحدة تظل سرية بموجب «قاعدة الثلاثين سنة» التي استحدثها قانون السجلات الحكومية (الصادر سنة ١٩٥٨). لذلك قد يتعذر في كثير من الأحيان بحث الموضوعات الحساسة في نفس الوقت الذي تكون فيه محل اهتمام الناس.

وغالبا ما تكون المشكلة المتعلقة بتحديد أماكن وجود الوثائق (وهي مشكلة ليس لدينا حل لها يمكن الاعتماد عليه) هي توفر العلم بوجودها أساسا. وإن كان من الواضح أنه يمكن دفع المال لبعض الشركات المتخصصة لتحديد لك أماكن وجود الوثائق، إلا أن هذه العملية مكلفة جدا، كما أن الأرجح أنها تفوق قدرات معظم الطلاب الباحثين، إن لم يكونوا كلهم. كذلك يمكن أن يكون البحث على الإنترنت مفيدا في هذا الصدد، وذلك فضلا عن مجرد التوجه بالسؤال إلى الجهات التي يحتمل أن يكون لديها معلومات عما إذا كانت تحتفظ بالمعلومات التي تحتاج إليها أم لا. والأرجح أن الاستراتيجية الدؤوبة المتعددة الشعب هي أنجح الاستراتيجيات في هذا الشأن.

السياق

نظراً لأن الوثائق هي أشياء من صنع المجتمع، فإن السياق الذي يتم وضعها فيه يصبح أمراً مهماً. لذلك يتوجب على الباحثين أن يطرحوا مجموعة من الأسئلة عند استعمالهم للوثائق حتى يستطيعوا أن يفهموا أقصى ما يمكنهم فهمه عن هذا السياق (انظر البرواز بعنوان «بحثك» الوارد فيما بعد).

الأصالة (أو الصحة)

من الواضح أن تحديد ما إذا كانت وثيقة ما أصيلة أم مزيفة، أمر مهم (حتى لو كان بحثك معنياً بوثائق مزيفة، فمن الأهمية - مع ذلك - أن تكون على دراية بأصولها الحقيقية).
ليس ممكناً على الدوام أن تحكم على أصالة الوثائق، إذ إن هناك بعض الحالات الشهيرة التي ارتكبت فيها أخطاء في هذا الصدد (انظر برواز «البحث الواقعي» على الصفحة التالية). ونحن نرى أن الأسلوب الأفضل في هذا الصدد أن تتسلح بقدر معتدل من الشك، خاصة إذا كنت تتصور أنك قد اكتشفت أمراً بالغ الأهمية. ونعتقد

- على وجه العموم - أن بالإمكان التأكد من أصالة معظم الوثائق الرسمية (رغم أن هذا الوضع أيضا يتغير بمرور الزمن وبوصول نظم حكم جديدة . حيث أصبح من الصعوبة البالغة أن تتأكد من صحة بعض الوثائق الصادرة عن حكومة ألمانيا الشرقية السابقة مثلا) . وأيا ما كان الأمر ، فإن احتمال اكتشاف الطالب الباحث لتزوير الوثائق أو تزييفها هو - في اعتقادنا - احتمال ضعيف جدًا .

البحث الواقعي

يوميات هتلر

في سنة ١٩٨٣ نشرت مجلة ألمانية أجزاء مما زُعم أنه يوميات أدولف هتلر . وقد دفعت هذه المجلة مبلغا ضخماً من المال للحصول على هذه الوثائق ، كما أن بعض المؤرخين البارزين اعتبروها وثائق أصيلة (صحيحة) . غير أنه اتضح فيما بعد - يقينا - أنها مزورة ، كما ثارت شكوك في تواطؤ أحد المؤرخين في هذه الخديعة [فقد كانت هذه اليوميات مكتوبة بحبر حديث على ورق معاصر . وقد أدين هذا المزور لاحقا ، وقضى نحو أربع سنوات في السجن تنفيذاً لحكم أصدرته المحكمة بحقه] .

لماذا تعتقد أنه كان من السهل تماما إقناع الناس بأن هذه اليوميات أصيلة؟

مشكلات تتعلق بالوثائق والإحصائيات الرسمية

- رغم أننا لا نريد إعطاء الانطباع بأن الحكومات وغيرها من المصادر الرسمية تعمل على تضليل قراء وثائقها ، فإن هناك بعض القضايا الخلافية التي تستحق أن نفكر فيها :
- من المؤلف أن تتغير التعريفات بمرور الزمن ، وكثيرا ما يكون هذا هو حال الوثائق الرسمية . من ذلك مثلا ، أن الأسماء التي تطلق على الفئات «العرقية» تتغير بشكل ملموس بمرور الزمن . فمجموعة الناس الذين كانوا يُعرفون في وقت مضى باسم مجموعة «أبناء جزر الهند الغربية» قد يُعرفون حاليا باسم «أبناء الكاريبي الأفارقة» أو «السود» (وتختلف هذه المسميات في البلاد الأخرى كذلك . من هذا أن المجموعة الإثنية التي أسميناها هنا مجموعة أبناء الكاريبي الأفارقة تعرف عادة في الولايات المتحدة باسم «الأمريكيين السود» (الأمريكيين الأفارقة) . كذلك تغيرت طبيعة اللفظ الأساسي : «العرق» وكثيرا ما أصبح يستعمل (وهو أمر خطأ في رأينا) كمرادف للفظ «الإثنية» والعكس بالعكس .
 - المؤلف في المملكة المتحدة حدوث تغيير في الحدود الإدارية . فقد تغيرت حدود الأقاليم في إنجلترا تغيرا ملحوظا في سنة ١٩٧٤ مع استحداث أقاليم «جديدة» . ثم

حدثت تغييرات أخذت تتلاحق منذ ذلك التاريخ . وهذا التغير فى الحدود الإدارية للأقاليم يجعل من الصعوبة البالغة مقارنة المعلومات الواردة فى بعض الوثائق ، وذلك لمجرد أن الأشياء التى تشير إليها قد تغيرت ، وإن كانت ولا تزال تحتفظ أحياناً بنفس الاسم .

● أحياناً ما تكون الوثائق الرسمية «خطأ» لأسباب غير مألوفة . شاهد ذلك أنه من المحتمل أن الحالات الأولى للوفيات الناجمة عن الإصابة بمرض الإيدز فى المملكة المتحدة قد حدثت فى أواخر سبعينيات القرن العشرين . ولكن المؤكد أنه قد تم تسجيل عدد من الوفيات الراجعة إلى هذا السبب فى أوائل ثمانينيات القرن العشرين . إلا أن البعض يعتقد أن عدداً كبيراً من الوفيات الناجمة عن مرض الإيدز قد سُجلت خطأ باعتبار أنها راجعة إلى أسباب أخرى (وهو مرض الالتهاب الرئوى ، كما هو معهود فى هذه الحالات) . وليس واضحاً ما إذا كان هذا الخطأ راجعاً إلى:

- جهل الأطباء الذين صدقوا على شهادات الوفاة .
- أو أن ذلك كان جزءاً من عملية لإخفاء السبب الحقيقى لهذه الوفيات .
- أو أنه كان هو عين الحقيقة ، لأن الأفراد الذين يعانون من مرض الإيدز غالباً ما يموتون بسبب ما يرتبط به من إصابات العدوى .

إن وجهة النظر التى نحاول التدليل عليها هنا هى أنه من المهم أن نعرف أقصى ما يمكنك معرفته عن أى موضوع قبل أن تتصدى لإصدار حكم عليه .

فكر فى هذا الموضوع . . .

اطرح الأسئلة التالية عن البيانات المجموعة وفقاً لكل من السيناريوهين الباحثين التاليين:

(أ) من المؤلف ؟

(ب) ما الذى يحاول المؤلف قوله؟

(ج) إلى من يتوجه المؤلف بكلامه؟

(د) لماذا كُتب هذا التقرير؟

(هـ) ما الذى يسعى المؤلف إلى تحقيقه؟

١ - افترض أن بحثك الذى يتناول طريقة تواصل الشباب مع بعضهم البعض فى المملكة المتحدة فى العقد الأول من القرن الواحد والعشرين شمل - كجزء

من عملية جمع البيانات- عينة من الإعلانات الشخصية المأخوذة من موقع على الإنترنت (أو فى إحدى الصحف) مخصص للشباب والشابات الراغبين فى تحديد مواعيد للقاءات عاطفية .

٢- افترض أن بحثك الذى يتناول طرق تقديم الأحزاب السياسية نفسها للجمهور كان يشمل - كجزء من عملية جمع البيانات - دراسة متعمقة للبيانات الحزبية لكل الأحزاب الرئيسية المشاركة فى الاقتراع .

بحثك

أسئلة ينبغى أن تطرحها على نفسك عند استخدام الوثائق فى البحث

- ما مصدر هذه الوثيقة؟
- هل الوثيقة أصيلة؟ هل يمكننى أن أثق بها؟
- ما عمر الوثيقة؟
- من الذى كتب الوثيقة؟
- ما الذى كان يحدث فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حينما وضعت هذه الوثيقة؟
- لماذا ظلت هذه الوثيقة باقية (أو لماذا تم الحفاظ عليها)؟
- هل لهذا السياق المحيط بإنتاج الوثيقة تأثير على الثبات المنهجى لهذه البيانات وعلى دقتها؟
- ماذا كان غرض الوثيقة؟
- مَنْ كان الجمهور المستهدف أصلاً بهذه الوثيقة؟
- هل الغرض الأصلي للوثيقة يجعلها غير ملائمة لبحثى؟
- ما أهمية الوثيقة لبحثى؟
- هل أنا على بينة من احتمال تَغْيِير الحدود (الإدارية) والتعريفات منذ وضع هذه الوثيقة؟

طرق التفسير والتحليل

يمكنك أن تطرح أسئلة عن الوثائق بنفس الطرق التي قد تتبعها في طرح أسئلة عن مبحثك، كما أن طبيعة البيانات التي تجمعها قد تكون كمية أو كيفية. وكما هو الحال في الطرق الأخرى لجمع البيانات، فإن نقطتي البدء تتمثلان في: أسئلة البحث والتعريفات الإجرائية. ومن واقع هذه الأسئلة والتعريفات يمكن صياغة مجموعة من الأسئلة التي توجه لكل وثيقة على حدة، كما أنه قد يكون مفيداً تصميم نموذج يمكن تسجيل البيانات فيه. قد تكون البيانات كمية، بمعنى - مثلاً - كم عدد المرات التي استعملت فيها كلمات معينة، أو عبارات، أو مفاهيم معينة؟ أو قد تكون ذات طبيعة كيفية أوضح؟ وعندها نتساءل: ما الأفكار التي تم التعبير عنها في الوثيقة؟ وما الاتجاه الأساسي للوثيقة؟ أو قل: ما «الخطة» أو الأجندة الأساسية للوثيقة؟

هناك عدة طرق لتفسير وتحليل الوثائق وبياناتها. وأبسط هذه الطرق هي قراءة الوثيقة لاستخلاص المعلومات. ومع ذلك، فإن بالإمكان تطبيق معظم أشكال التحليل الأخرى على محتويات الوثائق، وهو ما سوف نتناوله بمزيد من التفصيل في الباب الرابع من هذا الكتاب.

بحثك

مزايا استخدام البيانات الوثائقية

- الوثائق متاحة بسهولة، كما أنها تحتوي في غالب الأحيان على كميات ضخمة من المعلومات.
- يمكن استخدام الوثائق في البحث المتعدد الأدوات لمعالجة البيانات المجموعة من مصادر أخرى.
- تتسم بيانات بعض الوثائق بأنها طويلة العمر، وبذلك يمكن بحثها على امتداد الزمن.
- تفيد الوثائق في تزويد البحث بمعلومات عن السياق الذي وضعت فيه.

عيوب استخدام البيانات الوثائقية

- قد تُفقد الوثائق أو يُغيّر فيها شيء.
- قد تتغير التعريفات المستخدمة في الوثائق بمرور الزمن.
- الأشياء التي تشير إليها الوثائق وترتبط بها (كالأقاليم الإنجليزية مثلاً) قد تتغير دلالتها عبر الزمن.
- قد تكون الوثائق مضللة إذا لم تكن الظروف المحيطة بإنتاجها معروفة معرفة تامة.

بحثك

اختبار جودة البحث: الوثائق

- هل تدرك حقيقة مصدر وثائقك؟
- هل أنت واثق من أصالتها (صحتها وحجيتها)؟
- هل تدرك حقيقة الغرض الأصلي للوثائق ، وما إذا كان بالإمكان ، بسبب هذا الغرض ، أن تكون مفيدة لبحثك أم لا؟
- هل تغيرت التعريفات والمصطلحات منذ كتابة الوثيقة؟ هل تستطيع أن تعالج نتائج هذا التغير؟
- هل يمكن دراسة بيانات الوثيقة باستخدام طرق أخرى لجمع المادة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bogart, J. W. C. (1995) *Magnetic Tape Storage and Handling: A Guide for Libraries and Archives*, Washington, DC: National Media Laboratory.
- Marken, A. (2004) CD and DVD longevity: how long will they last? *Audioholic Magazine* available online at www.audioholics.com/education/audio-formats-technology/cd-and-dvd-longevity-how-long-will-they-last (last accessed 21 August 2009).
- Prior, L. (2003) *Using Documents in Social Research*, London: Sage.
- Silverman, D. (1997) *Qualitative Research: Theory, Method and Practice*, London: Sage.
- Southgate, B. C. (2001) *History: What and Why? Ancient, Modern and Postmodern Perspectives*, 2nd edn, London: Routledge.
- University of Liverpool and The Wellcome Trust (2008) *Understanding Epidemics* available online at www.liv.ac.uk/geography/research_projects/epidemics/HIV_intro.html (last accessed 21 August 2009).

الفصل التاسع

المصادر الثانوية للبيانات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات الثانوية .
- الإحصائيات الرسمية .
- استخدام البيانات الثانوية .
- الجمع بين البيانات الأولية والثانوية .
- طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

يتناول هذا الفصل المصادر الثانوية للبيانات . ولكنه لا يتناول على وجه التحديد تحليل هذه الأنواع من البيانات ، لأننا نعالج هذا الموضوع في موضع آخر ، وبالتحديد في الباب الرابع من هذا الكتاب .

يمكن تقسيم مصادر البيانات ، وبصورة ملائمة ، إلى فئتين (للاطلاع على التعريفات والأنماط الأخرى انظر فصل 3 باب 1):

1 - البيانات الأولية: وهى البيانات التى نجمعها (أى: الباحث أو أحد أعضاء فريق البحث) بصورة مباشرة .

2 - البيانات الثانوية: وهى البيانات التى يجمعها شخص آخر (والذى لا يكون عضواً فى مشروعنا البحثى) .

ويقصر هذا الفصل على معالجة المصادر الثانوية ، ويركز بصفة خاصة على «البيانات التى تُصدرها المنظمات والهيئات» وعلى «الإحصائيات الرسمية» .

إن البهجة العظيمة في الاشتغال بمصادر البيانات الثانوية قد ترجع إلى أن شخصاً ما غيرنا قد قام من قبل بهذا العمل من أجلنا ! للأسف الشديد ، ليس هذا هو الحال دائماً .

ففى كل يوم يتم تسجيل مقادير ضخمة من البيانات فى تشكيلة مختلفة من الأماكن . شاهد ذلك أن قدرًا كبيراً من حيواتنا تُعدُّ مادة للتسجيل شبه الرسمى ، (ونقول شبه الرسمى ، لأن من الراجح أن البيانات التى ستكون قادرين على الوصول إليها بيانات ليس فيها ذكر للأسماء بشكل ما ، وذلك بقصد ألا يكون ممكناً التعرف على هويات الأفراد) .

وعلى الرغم من أن البعض قد يظن فى بداية الأمر أن معظم البيانات المتاحة للاستخدام الثانوى بيانات رقمية (وأنه من الأرجح ، لهذا السبب ، أن تكون عبارة عن نتائج بحوث كمية أو عملية جمع البيانات) . ولكن الأمر ليس كذلك بالضرورة ، كما أن البيانات الكيفية الشاملة المتعلقة بمجالات موضوعات كثيرة تكون متاحة هى الأخرى للاستخدام كبيانات ثانوية . شاهد ذلك أن مجالس البحوث التى تمويلها الحكومة فى المملكة المتحدة تشترط أن توضع البيانات التى تُجمع بالاستفادة بدعمها فى أرشيف بيانات المملكة المتحدة (www.data-archive.ac.uk) وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس (2009) حيث تكون متاحة بسهولة ليستعملها الباحثون الآخرون .

ما: البيانات الثانوية؟

هى البيانات التى يستخدمها الباحث وتكون قد سبق أن أنتجها غيره من الباحثين .

طبيعة البيانات الثانوية

تشتمل السجلات الرسمية (والتي تكون فى الغالب وثائق أيضاً) على: وقائع المواليد ، وحالات الزواج ، والوفيات؛ وسجلات الدخول والجمارك الخاصة بوزارة الصحة وبالمملكة (فى بريطانيا)؛ وأعداد المقبولين بالجامعات ، والتعدادات السكانية ، والملفات الحاسوبية الوطنية للشرطة ، وما شاكل ذلك . والغالب تماماً فى هذه الأيام أن تخزن المعلومات فى ملفات حاسوبية تكون متاحة للمستفيدين المرخص لهم بذلك . ومن الواضح أن هذه المعلومات تمثل قدراً عظيماً من المعلومات الشخصية . وقد أحدثت الإنترنت ثورة حقيقية فى إمكانية الوصول إلى البيانات الثانوية . فالمعلومات - المتعلقة بما لا يزيد عن عشر سنوات مضت - والتي لم تكن متاحة إلا فى صورة مطبوعة أو على أقراص كومبيوتر أصبحت متاحة الآن لأى إنسان قادر على الدخول على الإنترنت . يُضاف لذلك ، أن

المزيد من المعلومات التفصيلية مُتاحة على الإنترنت بتكلفة رخيصة تماما. شاهد ذلك أنه من الممكن الآن الوصول إلكترونيا إلى النتائج الخاصة بتعداد السكان لسنة 1911، وهي عملية كان يمكن أن تستغرق قدرا هائلا من الوقت لو نفذت على الورق.

البحث الواقعي

مصادر البيانات الثانوية

الأرشيفات الوطنية (والمتاحة على موقع www.nationalarchives.gov.uk تاريخ آخر دخول على الموقع 21 أغسطس 2009) هي الأرشيف الرسمي لحكومة المملكة المتحدة. يعود تاريخ هذه السجلات إلى ما يقرب من ألف سنة، كما أن قدرًا عظيمًا منها قد تم رقمته (حفظه بالنظام الرقمي) (بما في ذلك سجل الأراضي وملاكها الذي أعد في عهد وليام الفاتح، والمسمى Domesday Book)، كما أنه متاح على الإنترنت. أما بالنسبة للباحث الاجتماعي فيشتمل هذا الأرشيف على كل من البيانات الثانوية والبيانات الوثائقية.

وتشتمل المشروعات الحديثة على الرسوم البيانية للتعدادات السكانية ابتداء من سنة 1871، والأفلام السينمائية، والملصقات الخاصة بالخدمات الصحية العامة ابتداء من القرن العشرين، وتشتمل على تاريخ خدمة المرأة في الجيش، وتاريخ السجون، وأرشيفات مستمدة من وثائق دور إيواء الفقراء ووثائق اتحاد الخاضعين لقانون الفقر.

وتقوم بجمع المعلومات أيضًا منظمات أخرى كثيرة (كالشركات الكبيرة، والجمعيات الخيرية، والمعاهد التعليمية، والمنظمات الشبابية وما أشبه ذلك). ويمكن القول على وجه الإجمال أن هذه المجموعة من البيانات التي تقدمها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية توصف بأنها «بيانات مؤسسات». وقد احتفظنا بهذه الفئة من البيانات منفصلة عن «الإحصائيات الرسمية/ وغير الرسمية» لأسباب ستوضح لنا لاحقا. ولا شك أن بيانات المؤسسات مصدر وفير للمعلومات المتنوعة.

بحثك

مزايا استخدام بيانات المؤسسات

- يمكن أن تكون أحجام العينات كبيرة جدًا من حيث العدد ومن حيث النسبة (شاهد ذلك أن التعداد السكاني يفترض فيه أن يكون بنسبة 100 في المائة من سكان المملكة المتحدة).

- الغالب على هذه البيانات أن تكون منظمة تنظيمًا جيدًا ، كما أن بالإمكان البحث فيها باستعمال الحواسيب المختلفة .
- قد تكون طريقة رخيصة جدًا لجمع البيانات (المعلومات الخاصة بالتعداد السكاني ، مثلاً ، متاحة على الإنترنت لأي جامعة ، ولكثير من الباحثين الآخرين ، وبدون مقابل عادة . وتُوجد بالمثل مصادر أخرى كثيرة للبيانات الشاملة متاحة للجميع ، منها: موقع أرشيف بيانات المملكة المتحدة (www.data-archive.ac.uk/) وهو موقع يستحق الزيارة فعلاً ، ولو للتعرف على أنواع البيانات المتاحة فقط .
- من الممكن الجمع بين البيانات الأولية والثانوية للظفر بمزيد من العمق والإدراك الثاقب .
- أحياناً ما يكون بالإمكان استعمال البيانات الثانوية لإجراء بحث تتبعي (طولي) لم يكن يتيسر إجراؤه بغير تلك البيانات (ولكن انظر التحذير الوارد في بروتاز «بحثك» بعد التالي ، عن المشكلات المحتملة مع استخدام الإحصائيات الرسمية) .
- قد يكون ممكناً ربط عدد من الدراسات السابقة لاستخلاص نتائج جديدة . وهذا الإجراء قد يكون مفيداً - بصفة خاصة - في البحوث الدولية المقارنة .

بحثك

مشكلات استخدام بيانات المؤسسات

- قد لا تكون السجلات محفوظة بصورة جيدة أو مضبوطة : وقد يرجع ذلك في جزء منه إلى اعتبار المحافظة على السجلات عملاً متدنّي المكانة ، كما أنه إذا لم تكن السجلات مكتوبة أصلاً بشكل جيد ، بواسطة الأطباء^(*) أو المسؤولين الحكوميين مثلاً ، فإن القائم بحفظ السجلات (ومن يعتمدون على هذه السجلات لاحقاً) قد لا يستطيعون فهمها على الوجه الصحيح . وقد تستعمل فيها لغة اصطلاحية فنية أو مهنية لا تكون مفهومة للباحث .
- لا يستطيع الباحث أن يقدر مدى دقة السجلات أو يتحكم فيها ، لذلك يكون من المهم أن يتوافر لديه إدراك صحيح للطريقة التي بها تم إعداد هذه السجلات .

(*) بسبب ما هو مشهور عن رداءة خط اليد بين أغلب الأطباء . (المترجم)

- يمكن أن تضيع الملفات خاصةً النسخ المخطوطة (المكتوبة بخط اليد) للبيانات المنقولة من ميكرو فيلم أو من ذاكرة الحاسب. وقد يعود سبب هذا الضياع إلى حادث عارض، كما قد يكون متعمداً أيضاً. وقد يكون ضياع الملفات هذا مساعداً للخطأ الخفية للقائم على حفظ السجلات.
- من الأهمية البالغة معرفة أسباب حفظ هذه السجلات، ومعرفة الظروف المحيطة بجمع هذه المعلومات.
- بيانات المؤسسات قد لا تزودك بالمعلومات التي تحتاج إليها.
- التعريفات المستخدمة قد لا تكون واضحة بما فيه الكفاية أو لا تكون مفيدة لبحثك.
- لا يتوافر لك سيطرة على جودة البيانات، وغالباً لا يتوافر لك أى طريقة للحكم عليها.

البحث الواقعي

البيانات الثانوية وأخلاق عالم الأعمال

فى سنة 1998 أشار كريستوفر كاوتون Cowton إلى أنه، ورغم وجود قدر كبير من الأبحاث الجارية فى موضوع أخلاق عالم الأعمال، فإن أغلبها لا يستخدم إلا البيانات الأولية. ولهذا قام كاوتون بدراسة كل من طبيعة ومدى وفرة البيانات الثانوية فى هذا المجال، وانتهى إلى نتيجة مفادها أن الباحثين كانوا يجهلون مزايا استخدام البيانات الثانوية (يلاحظ كاوتون أن الميزة الأساسية لاستخدام البيانات الثانوية هى رخص التكاليف). ولكنه توصل كذلك إلى أنه ثمة مزايا لاستخدام بيانات جمعت لتحقيق هدف محدد فى الماضى عند المقارنة بالوقت الحاضر.

ذهب كاوتون فى نتيجته النهائية إلى ما يلى:

يبدو الأمر - كقاعدة عامة - وكأن الباحثين ليسوا على المستوى الذى ينبغى أن يكونوا عليه من حيث الوعي بالإمكانيات الواعدة للبيانات الثانوية فى تقديم رؤى قيمة عميقة لحقائق طائفة متنوعة من القضايا بأسلوب يتسم بالتكلفة المنخفضة. ويرى ستينورات (1984) مثلاً أن الأفراد والمؤسسات لا يستفيدون الاستفادة الكاملة من ذلك الكم الهائل من المعلومات الثانوية المتاحة لهم. وربما يرجع ذلك إلى الانفجار الهائل للمعلومات الذى تحقق فى السنوات الأخيرة. ومن الأسباب الأخرى لاستثمار البيانات الثانوية بدرجة أقل مما ينبغى أن العلماء الاجتماعيين يتجهون عندما يبدوون العمل فى مشروع بحثى للتفكير على أساس جمع بيانات جديدة (كاوتون، 1998، 431).

الإحصائيات الرسمية

تجمع الحكومات كميات ضخمة من البيانات، وتقدم تحليلات لها. وللإحصائيات الرسمية كثير من الخصائص التي تماثل خصائص بيانات المؤسسات: فهي توفر عينات كبيرة بتكلفة زهيدة ويسهل الوصول إليها. كما أنها تنزع إلى تكرار إنتاجها بمرور الزمن، مما يسمح بدراسة العمليات الجارية بالفعل في الوقت الحاضر.

وأيا ما كان الأمر، فإن استخدام الإحصائيات الرسمية يمكن أن يثير بعض المشكلات. فمما يهم الباحث أن يتذكر أن الأغراض الرئيسية للإحصائيات الرسمية هي تعريف الحكومة بنوعية أدائها وبحالة أداء المجتمع وتطوراته. وهكذا يتم إنتاج الإحصائيات الرسمية للتعبير عن الحاجة إلى تغيير سياسة أو تنفيذ سياسة ما، أو لتقديم معلومات لمتابعة الأداء ولخدمة الإدارة. على أنه يمكن النظر - أيضا - إلى الإحصائيات الرسمية كجزء من حماية العملية الديمقراطية. معنى ذلك أن بالإمكان أن يستعملها الجمهور في الحكم على ما إذا كانت الحكومة تقوم بعملها بصورة جيدة في تقليص قوائم الانتظار لدخول المستشفيات مثلا. وهذا معناه أن الدورين اللذين وصفناهما قبل ذلك يكونان في صراع مباشر: فالحكومة قد لا ترغب في الكشف عن المعلومات لأنها قد تتسبب في إثارة «حملات صحفية» ضدها. والساخرون سيذهبون إلى أن البيانات قد تم التلاعب بها لتقديم «أخبار سعيدة»، وإلى أن المعلومات المثيرة للخلاف يتم إبقاؤها طي الكتمان. ومع ذلك، فقد تظل هذه البيانات موجودة حتى يقوم باحث حي الضمير بالكشف عنها. ولعل الأمل الأشد إشكالية من ذلك أن الباحث الذي يرغب في استخدام المعلومات المجموعة في الإحصائيات الرسمية ليست له أي سيطرة على السياق الذي جمعت فيه هذه البيانات و/أو على تصميم الأسئلة والتعريفات المستخدمة في إنتاجها.

بحثك

بعض المشكلات المحتملة عند استخدام الإحصائيات الرسمية

1 - الطريقة التي تصور بها الحكومة هذه المعلومات - بجانب الأسئلة الدقيقة التي تطرحها - قد لا تكون متطابقة تطابقا دقيقا مع الأسئلة/ أو المعلومات التي تريدها أنت. وقد يعنى هذا أنه يتوجب عليك أن تعدل أو تنقح تعريفاتك الإجرائية لتتطابق مع البيانات المتاحة. وقد يقتضى الأمر أن تقوم بعمليات التقييم، أو الحساب أو الاستدلال من واقع هذه المعلومات.

2 - قد تتعرض بعض البحوث لمشكلات منهجية رئيسية. من ذلك مثلاً انه معروف يقيناً الآن أن حوالي مليون فرد ليسوا موجودين في التعداد السكاني للمملكة المتحدة لسنة 1991. وكان هذا التعداد قد أجرى في وقت قريب من وقت فرض «ضريبة المجتمع المحلى» (والمقصود بها ضريبة الاقتراع)، وهكذا اعتقد بعض الناس أنهم إن لم يسجلوا في التعداد السكاني فلن يتوجب عليهم دفع هذه الضريبة.

استخدام البيانات الثانوية

هناك قضيتان لا بد من التصدى لهما حين يرغب الباحثون في استخدام البيانات الثانوية. الأولى أنه يلزمك أن تعرف ما إذا كانت هذه البيانات موجودة أصلاً أم لا. من المحتمل أن يلجأ الطلاب الباحثين إلى استخدام أحد محركات البحث على الإنترنت كخطوة أولى، والأرجح أن يوفق باستخدام هذه الاستراتيجية. إلا أن الموقف قد يكون أشد صعوبة إذا كانت المعلومات التي يُبحث عنها قديمة أو لم تنشر «بصفة رسمية». ولعل أفضل نهج للعمل في هذه الحالة أن تحاول مناقشة عملية البحث عن تلك البيانات مع «خبير» ذي دراية (كأن يكون محاضراً أو مدرساً جامعياً، أو ممثلاً لإحدى الشركات العاملة في هذا المجال المختص، أو مع أمين مكتبة).

بمجرد أن تتأكد من أن المعلومات التي أنت بحاجة إليها موجودة على الأرجح (ولا ريب أن اكتشاف أنها غير موجودة هو في حد ذاته نتيجة بحثية مهمة)، وعندها تكون المهمة التالية هي تحديد مكانها والوصول إليها. ويبين لك المثال رقم (9-1) بعض الخطوات الأولى المفيدة في هذا الشأن.

مثال (9-1)

بوابات الإنترنت

● Directgov (وهو موقع الشبكة الحكومي الرسمي المتاح للمواطنين): «مدخل سهل للوصول إلى الخدمات العامة التي تستخدمها، وإلى المعلومات التي تحتاج إليها، والتي تقدمها حكومة المملكة المتحدة».

<http://direct.gov.uk/en/index.htm>/Directgov. 2008

● أرشيف بيانات المملكة المتحدة: مجموعة من البيانات المستمدة من دراسات الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في المملكة المتحدة، مع بعض وصلات بالآرشفات الأخرى.

UK Data Archive: www.data-archive.ac.uk/

● Intute: «خدمة إلكترونية مجانية توفر لك الوصول إلى أفضل مصادر الشبكة في مجال التعليم والبحث، والتي تم تقييمها وانتقاؤها بمعرفة شبكة من المتخصصين في هذه الموضوعات

www.intute.uk/socialsciences/ (Intute، 2008)

● Europa: «بوابة الاتحاد الأوروبي» (Europa، 2008)
<http://europa.eu>.

كما يوجد العديد من قواعد البيانات المتخصصة في موضوعات محددة، والتي قد تكون مفيدة لك. وينبغي أن تكون مكتبة جامعتك أو كليتك قادرة على مساعدتك في هذا الشأن.

بحثك

هل سيفيد بحثك من استخدام مصادر البيانات الثانوية؟

فكر في هذه الاحتمالات :

- سيؤدي إلى زيادة كبيرة في حجم عينتك (فصل 5 باب 2).
- سيجعلك أقدر على مقارنة الفترات الماضية بالوقت الراهن.
- يتيح لك استخدام بيانات بنوعية ممتازة ورخصة التكاليف.
- يتيح لك الجمع بين البيانات الأولية والثانوية، الأمر الذي يثرى بحثك.

الجمع بين البيانات الأولية والثانوية

تبدو فكرة الجمع بين البيانات الأولية والثانوية جذابة لكثير من الباحثين. والواقع أن معظم المشروعات البحثية ستقوم بهذا الجمع بقدر معين، إذ من المعتاد أن تحدد سياق المشروع عن طريق استعراض الدراسات السابقة، وإيراد البيانات التي تمثل خلفية للمشروع. وقد تكون هذه البيانات إحصائيات قومية متصلة بموضوع البحث، أو تكون بيانات مستمدة من الماضي تبين إلى أي مدى تغيرت طبيعة مجال البحث.

غير أنه بوسع الباحثين كذلك أن يستخدموا البيانات الثانوية كتكملة للبيانات التي سيجمعونها هم أنفسهم. وتختلف أسباب ذلك، إلا أنها قد تشمل ما يلي:

- الوصول إلى مقدار كبير من البيانات أو إلى حجم عينة كبير.
- البحوث التتبعية (الطولية): التي يحاول أصحابها في الغالب الاستفادة من البحوث السابقة لتوسيع المدى الزمني لمشروعهم الذي يقومون به.

فإذا نُفذ هذا الجمع بين نوعي البيانات بنجاح ، فينبغي على الباحث حينئذ أن يطرح على نفسه سؤالين :

1 - هل الأسئلة والسياقات والتعريفات متوافقة؟ هذه هي الصعوبة التي أشرنا إليها من قبل . لذلك يصبح من المهم أن تعرف أن الأسئلة المطروحة والتعريفات المستخدمة في جمع البيانات الثانوية متوافقة مع البحث الجاري تنفيذه . فإن لم يكن ذلك التوافق متحققاً ، فربما كان من المستحيل - حينئذ - أن تستخدم كلا نوعي البيانات . ومع ذلك تستطيع البيانات الثانوية أن توفر - رغم هذا - البيانات المتعلقة بخلفية المشروع والبيانات المتعلقة بسياقه والتي ناقشناها من قبل ، مادام أن الاختلافات بين طبيعة كلا نوعي البيانات مذكورة بوضوح .

2 - هل العينات متوافقة؟ عادة ما يكون حجم العينة مسألة غير مهمة ، إلا إذا كنت تسعى إلى استخلاص أحكام عامة من النتائج . ومع ذلك قد يكون اختيار العينة وطبيعة تكوينها على قدر كبير من الأهمية: فإن كانت العينة الأصلية قد جمعت في مدينة كبرى ، فمن المستبعد حينئذ أن تكون النتائج مفيدة لبحث يجري تنفيذه في بيئة ريفية (وإن كانت هذه النتائج يمكن أن تكون مفيدة في المقارنة بطبيعة الأمر) . كذلك إذا كانت العينات ممثلة لجماعات عمرية ، أو لجماعات إثنية ، أو لجماعات دينية مختلفة ، أو عينات لجماعات مختلفة - في الواقع - من بعض النواحي الجوهرية؛ فإن البيانات السابقة (أي القديمة) قد لا تكون حينئذ مفيدة في التحليل الثانوي .

ويتوجب على الباحث دائماً أن يعالج هاتين القضيتين بطريقة نقدية ، وذلك ليتفادى التوصل إلى نتائج مضللة ، لمجرد أنه توافر لديه ثروة من البيانات التي يبدو أنها ذات صلة ببحثه .

طبيعة البيانات الثانوية وتأثيراتها على التحليل

يمكن أن تظهر البيانات الثانوية - كما رأينا - في أشكال كثيرة مثل أشكال البيانات الأولية ، وهي تتطلب - بصفقتها هذه - المعالجة والتحليل باستخدام أساليب التحليل الملائمة . فبعض البيانات الثانوية تكون قد جرى تحليلها قبل ذلك ، كما أنه ليس من الميسور دائماً الرجوع إلى البيانات «الخام» الأصلية . فإذا كان الأمر كذلك ، فعلى الباحث حينئذ أن يعي تماماً الطرق التي تعرضت بها تلك البيانات للتغيير والتعديل أثناء عملية التحليل . كما يتوجب عليه أن يقدر ما إذا كانت هذه البيانات لا تزال مفيدة له في معالجة أسئلة بحثه أم لا .

البحث الواقعي

استخدام البيانات الثانوية

بحث كرونك (Cronk ، وسار فلا 1997) بعنوان: «تعاطي الخمر، والتدخين، وغير ذلك من تعاطي المخدرات بين شباب الريف والمدن الصغيرة والمدن الكبرى: تحليل ثانوي لعملية رصد مجموعة البيانات المستقبلية»، منشور في: المجلة الأمريكية للصحة العامة 87 (5) ص ص 764-760.

قامت كريستين كرونك وبول سار فلا (1997) بدراسة البيانات التي جمعت عن تعاطي المخدرات، والخمر، والتدخين لدى طلبة السنوات النهائية في المدارس الثانوية بالولايات المتحدة عن الفترة من سنة 1976 - 1992. (تذكر أن طلبة السنوات النهائية في المدارس الثانوية تتراوح أعمارهم عادة بين 16 سنة و 18 سنة، وأنه بالنسبة لمعظم ولايات الولايات المتحدة يكون السن الأدنى المسموح فيه بشراء الخمر وتعاطيه 21 سنة. كما أن أغلب الولايات تحدد السن الأدنى للتدخين بـ 18 سنة.

قام الباحثان بدراسة مجموعات ضخمة من البيانات المتوافرة وقت إجراء البحث، وانتهيا إلى أنه على الرغم من أن تعاطي هذه المواد بين طلبة السنوات النهائية في المدارس الثانوية الريفية كان مختلفا عن نظرائهم من طلبة المدارس الثانوية الحضرية، فإن أنماط التعاطي أصبحت في الحقيقة متماثلة في سنة 1992. لم يكن من الممكن إجراء مثل هذا البحث بدون استخدام مصادر البيانات الثانوية.

بحثك

تحذير

عند استخدامك لأي بيانات لم تجمعها بنفسك، فمن اللازم دائما أن تسأل عن المصدر الذي أخذت منه هذه البيانات، وعن يريد لك أن تصل إليها، ولماذا، ثم لماذا هي متاحة في الوقت الراهن؟.

ولكن المؤكد - على أية حال - أن البيانات الثانوية مهمة، فمن اليسير الوصول إليها، كما أن من السهل - في كثير من الأحيان - تكييفها لتحقيق أغراض أخرى. إنها مصدر مهم من مصادر البحث.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Cowton, C. J. (1998) The use of secondary data in business ethics research, *Journal of Business Ethics*, 17(4): 423-34.
- Cronk, C. E. and Sarvela, P. D. (1997) Alcohol, tobacco, and other drug use among rural/small town and urban youth: a secondary analysis of the monitoring the future data set, *American Journal of Public Health*, 87(5): 760-4.
- Hakim, C. (1982) *Secondary Analysis in Social Research*, London: Allen & Unwin.
- Huston, P. and Naylor, D. (1996) Health services research: reporting on studies using secondary data sources, *Canadian Medical Association Journal*, 155(12): 1697-709.
- Mort, D. (ed.) (2006) *Sources of Non-Official UK Statistics*, 6th edn, Aldershot: Gower.
- Office for National Statistics (2000) *Guide to Official Statistics*, www.statistics.gov.uk/downloads/theme_compendia/GOS2000_v5.pdf (also available in hard copy from Palgrave Macmillan).
- Reed, J. (2006) Secondary data in nursing research, *Journal of Advanced Nursing*, 17(7): 877-83.

الفصل العاشر

جمع البيانات باستخدام الاتصال عبر الحاسب الآلى

محتويات الفصل

- الاتصال بواسطة الحاسب الآلى .
- استخدام الحاسب فى جمع البيانات .
- لماذا نختار الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات؟
- الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب .
- المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب .
- جماعات المناقشة التى تستخدم الاتصال عبر الحاسب .
- الملاحظة على الإنترنت .
- اختيار العينات وتجميع المشاركين فى حالات: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة الإلكترونية .
- القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب فى البحث الاجتماعى .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

نتناول هذا الفصل استخدام الحواسيب والإنترنت فى جمع البيانات البحثية . وهذا مجال أخذ فى النمو بوتيرة متسارعة ، ويتعرض للتغير المتواصل ، وقد يبدو الأمر عجيبياً أنه - وحتى سنة 1998 - لم تكن الأسر التى يمكنها الدخول على الإنترنت تزيد عن 9% من مجموع الأسر . أما الآن - فى سنة 2009 - فقد تجاوزت هذه النسبة 70% من الأسر (إدارة الإحصائيات القومية ، 2009/أ ، 2009/ب) . لقد أدى استخدام الحواسيب فى جمع البيانات وفى الاتصال إلى تغيير العالم الذى نعيش فيه . فأصبحنا اليوم نستطيع إجراء مشروعات بحثية فى الأماكن النائية التى لا نستطيع تحمل تكاليف زيارتها ، بل نستطيع أن نعالج هذه البيانات بأساليب وطرق لم يكن يتخيلها أحد فى تسعينيات القرن العشرين .

أدى هذا الوصول السهل (نسبياً) للأفراد والبيانات إلى توسيع نطاق البحث الاجتماعي بشكل هائل، إلا أنه يقتضى كذلك أن نقوم - كباحثين اجتماعيين - بتطوير تقنيات جديدة للتحكم فى هذه التشكيلة المتنوعة من البيانات، وذلك لكى تظل نتائج بحوثنا على مستوى عال من الجودة.

تنصب بؤرة اهتمام هذا الفصل على الاتصال باستخدام الحاسب والانتفاع بالإنترنت فى البحوث.

لا شك أن ظهور الإنترنت وما صاحبها من أنظمة الاتصال - التى منها البريد الإلكتروني، وغرف الدردشة، ومواقع التدوين - قد وفر إمكانيات جديدة واعدة للباحثين الاجتماعيين. وتندرج هذه الفرص فى أربع فئات هى:

1 - يمكنك الآن كباحث اجتماعي أن تصل إلى مجال من المعلومات أوسع بكثير مما كان قبل ذلك. ويشتمل هذا المجال على: الكتب، والمجلات العلمية، والتقارير البحثية، والصحف، والإحصائيات، وما أشبه ذلك. كما يتيح لك هذا المجال الوصول إلى المعلومات المتعلقة بموضوع بحثك، والتى يمكنك أن تستمدّها من بعض المواقع التى منها - مثلاً - مواقع المؤسسات على الشبكة، وجماعات المناقشة للمساعدة الذاتية، والمواقع التى تقدم المشورة لجماعات معينة من الأفراد، أو لأفراد يعيشون خبرة مشتركة، كخبرة الشيوخوخة مثلاً، أو خبرة الوالدية، أو خبرة الإصابة بمرض معين. تستطيع هذه المواقع أن تساعدك فى تطوير ما تجمعه بهدف استعراض التراث العلمى المنشور عن موضوعك، وفى التفكير فى أسئلة بحثك والقضايا المرتبطة بها. وقد تناولنا هذا الاستخدام للإنترنت فى فصل (2) باب (2) وفصل (9) من هذا الباب.

2 - قد نحتاج لدراسة بيئة الإنترنت نفسها: كيف «يتكلم» الأفراد مع بعضهم البعض فى البيئة الافتراضية لغرفة دردشة أو للمقهى الإلكتروني؟ وما أنواع القضايا التى تثار فى الرسائل الإلكترونية أو فى جماعات المناقشة التى تلتقى على الشبكة، وكيف يناقش الأفراد هذه القضايا؟ وما نوع البيئة الافتراضية التى ينشئها مستخدمو الإنترنت؟ وكيف يقدمون أنفسهم فى بيئة يندر أن يوجد فيها لقاء مباشر وجها لوجه؟

البحث الواقعي

دراسة طريقة استخدام الأفراد للإنترنت

دراسة هيلير Hillier وهاريسون (Harrison 2007) بعنوان: «بناء الشباب لواقع أخف قيودا من واقعهم الذي يعيشونه: الشباب يمارسون عرض مفاتنهم على أمثالهم في الجنس على الإنترنت»، منشور في: مجلة السلوك الجنسي، العدد (10)، ص ص 82-100.

تناول بحث هيلير وهاريسون بالدراسة طريقة استخدام الشباب للإنترنت «كفضاء» يمارسون فيه جوانب مختلفة من حياتهم الاجتماعية والجنسية.

3 - تمارس الإنترنت وغيرها من التكنولوجيا الجديدة تأثيرا كبيرا على الطريقة التي نحيا بها معا، وتتفاعل وننظم عالمنا الاجتماعي. وهو أمر يمثل - في حد ذاته - موضوعا للبحث. شاهد ذلك أن برنامج الجمعية الإلكترونية التابعة لمجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية (في بريطانيا) هو برنامج كبير للبحوث الأكاديمية (مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية = ESRC، 2007)، يقوم بدراسة تأثير التكنولوجيا الرقمية - خاصة الإنترنت - بقصد تعريف صناعات السياسات وممارسي المسؤولية العامة في مختلف قطاعات المجتمع. وقد انتهى هذا المشروع في أكتوبر 2007، ولكن موقعه على الشبكة لا يزال موجودا، كما تجد وصلات للمشروعات التي نفذاها البرنامج على الموقع التالي:

www.york.ac.uk/res/e-society/projects.htm

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009).

كما يهيئ الإنترنت الفرص لاستخدام بعض طرق جمع البيانات، كالاستبيانات الإلكترونية، أو المقابلات عبر البريد الإلكتروني، أو جماعات المناقشة الافتراضية.

فكر في هذا الموضوع...

الإنترنت والبحث الاجتماعي

هناك أربع طرق رئيسية لاستخدام الإنترنت في البحث:

- 1 - الوصول إلى المصادر «التراث المنشور عن الموضوع» (فصل 2 باب 2).
- 2 - دراسة الإنترنت نفسها والبيئات التي تنشئها.
- 3 - دراسة تأثير الإنترنت على المجتمع.
- 4 - جمع البيانات: الاتصال عبر الحاسب.

سوف يركز هذا الفصل - في المقام الأول - على الفقرة رقم (4) في البرواز السابق ، وهى : استخدام الاتصال عبر الحاسب (انظر قائمة المصطلحات في نهاية الكتاب) ، واستخدام أدوات الاتصال عبر الإنترنت فى جمع بيانات البحث الاجتماعى . وتشتمل هذه الفقرة ، بطبيعة الأمر ، على جمع البيانات بقصد مساعدتنا على استكشاف المسائل التى أثارناها فى الفقرتين رقم (2) ورقم (3) فى البرواز السابق .

ما : البحث الاجتماعى الإلكتروني؟

البحث الاجتماعى الإلكتروني هو جمع البيانات بواسطة الحاسب ، كما يقوم -بالطبع- بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات ، والتى منها مثلا: الاستبيانات ، والمقابلات ، وجماعات المناقشة ... إلخ ، بحيث تكون صالحة للاستخدام فى بيئة افتراضية إلكترونية .

ولكن لاحظ أن استخدام الاتصال بواسطة الحاسب فى جمع البيانات ليس بالضرورة أفضل طريقة لاكتشاف الكيفية التى يستخدم بها الأفراد الإنترنت . فالمقابلات المباشرة التى تتم بين الباحث والمبحوث وجها لوجه ، أو جماعات المناقشة يمكن أن تقدم بالفعل -ولو فى أقل تقدير- إسهاما مفيدا فى دراسة سلوك التعامل على الإنترنت . وإذا كنا نبحث طرق جمع البيانات التى تستخدم الإنترنت فسوف يتعين علينا أيضا أن ندخل فى اعتبارنا الدراسات التى أجريت على طريقة استخدام الأفراد للإنترنت ، وطريقة تصرفهم أثناء ذلك . لهذا سنقوم هنا - فى المقام الأول - بدراسة استخدام الأدوات المعتمدة على الحاسب فى جمع البيانات ، والتى ستمكننا من دراسة السلوكيات والإدراكات الحسية البشرية بوجه عام .

بحثك

كلمة تحذير

من مشكلات كتابة فصل مثل هذا الفصل أن تكنولوجيا المعلومات ، والحواسب الآلية ، وغيرها من وسائل الاتصال (كالهواتف المحمولة) تتغير باستمرار . كما يجرى طول الوقت العمل على إدخال خدمات جديدة وطرق جديدة للمرة الأولى لخدمة مهام الاتصال . ويعنى هذا أن كثيرا مما يكتب الآن قد يبدو عتيقا إلى حد ما فى الوقت الذى تقرأه فيه . ولذلك ستقتصر مهمتنا فى هذا الفصل على محاولة تسليط الضوء على ما هو متاح الآن من الطرق الأساسية فى جمع البيانات باستخدام الإنترنت ، وعلى القضايا التى عليك أن تدخلها فى اعتبارك عندما تقوم بتقرير ما إذا

كنت ستستعمل طريقة معينة، كما نقدم لك بعض نقاط الانطلاق التى تبدأ بها بحثك .
والأمر الواضح فى نظرنا - حال كتابة هذا الفصل - أنه من المرجح أن يواصل
الاتصال بواسطة الحاسب نموه وقوته، وأن الباحثين الاجتماعيين سوف يتزايد
اهتمامهم باستخدام ما يوفره هذا الاتصال الحاسوبى من أدوات لجمع البيانات .

علينا قبل النظر فى الطرق المختلفة لجمع البيانات، أن نلقى نظرة إلى بعض ما تتميز
به الإنترنت من سمات تؤهلها لأن تكون مفيدة للباحثين الاجتماعيين .

الاتصال بواسطة الحاسب الآلى

البريد الإلكتروني

أصبح الاتصال بين فردين أو أكثر عبر البريد الإلكتروني واحدا من الأساليب الأثرة
لبقاء الأفراد على اتصال ببعضهم البعض . وهذا الاتصال - فى جوهره - نمط اتصالي
قائم على نصوص مكتوبة يبعث الرسائل فوراً (أو يكاد يكون كذلك) من حاسب لحاسب
آخر . هنا لا تشكل المسافة قضية ذات شأن، كما أن الرسالة سيتم تلقيها على الجانب الآخر
من العالم بنفس سرعة تلقى رسالة من الغرفة المجاورة . وحينئذ يتعين على المتلقى فتح
هذه الرسالة وقراءتها قبل الإجابة عليها، أو إرسالها للآخرين . ذلك أن بالإمكان إرسال
رسالة واحدة من البريد الإلكتروني إلى عدد من المتلقين فى نفس الوقت .

ومن الممكن إرفاق رسالة البريد الإلكتروني نفسها ببعض الملفات التى يتم توليدها
من جهاز الحاسب . وقد تكون هذه الملفات وثائق نصية (أى مكتوبة)، وصوراً
فوتوغرافية، ولقطات تلفزيونية، وبرامج حسابات^(*)، وما أشبه ذلك . كما أن رسالة
البريد الإلكتروني قد تحتوى على وصلات إضافية كثيرة بمواقع الشبكة أو ببعض
عناوين البريد الإلكتروني الأخرى .

ويتعين على كل من يستخدم البريد الإلكتروني أن يكون لديه عنوان بريد
إلكترونى، وهو العنوان الذى تزودهم به الجهة التى توفر خدمات الإنترنت^(**) . كما
يلزمه أن يعرف العنوان البريدى الإلكتروني للشخص الذى يتراسل معه إلكترونياً .
ولا يوجد فى وقتنا الحاضر قواعد بيانات قومية أو دولية تحتوى على جميع عناوين
البريد الإلكتروني . ومع ذلك، فإن معظم المؤسسات الكبيرة - كالجامعات - تنشئ
دليلاً خاصاً ببريدها الإلكتروني .

(*) برامج الحسابات Spreadsheets : هى برامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة . (المترجم)

(**) ISP - Internet Service Provider .

جماعات المناقشة على البريد الإلكتروني - القوائم

توفر جماعة المناقشة التي تستخدم البريد الإلكتروني فرصة «الدرشة» للأفراد ذوي الاهتمام المشترك معتمدين في ذلك على إمكانيات البريد الإلكتروني العادية. فقد يكونون مشغولين بالبحث في نفس المجال، أو يكونون مهتمين بنفس الهواية أو يشجعون نفس الفرقة الموسيقية. يشترك كل شخص في قائمة البريد الإلكتروني هذه (وعادة ما يكون هذا الاشتراك مجانياً)، وعن طريقها يتلقى جميع الرسائل البريدية التي يبعث بها أعضاء هذه الجماعة. وفي بعض الأحيان تقوم هذه الجماعات عادة بطرح قضية معينة للمناقشة، كما نجد في أحيان أخرى أن نشاطها ينصب بالأساس على تبادل المعلومات. ويكون أحد أفراد الجماعة مسئولاً عن مراقبة الرسائل البريدية الإلكترونية، وقد يستطيع - أو لا يستطيع - إيقاف بث وتوزيع رسائل البريد الإلكتروني التي تعتبر غير مناسبة أو مزعجة، وذلك تبعاً للطريقة التي أعدت بها قائمة الجماعة هذه.

ويمكن بسهولة بالغة إعداد قائمة بريد إلكتروني تضم مجموعة من الأفراد عن طريق إضافة عناوينهم كلها إلى كل عنوان من عناوين أعضاء الجماعة الموجودين في قائمة البريد الإلكتروني. ومع هذا، فإنه عندما تنضم هذه القائمة بالتنوع، وتكون الجماعة متطلعة لضم أعضاء جدد إليها، فقد تعتمد على جهاز خادم Server يستعمل برنامجاً مثل برنامج «ليست سيرف» LISTSERV لإعداد هذه القوائم. في هذه الحالة قد يتم ضم بعض الأعضاء الجدد عن طريق رسائل البريد الإلكتروني الموجهة إليهم، أو من خلال الإعلان على أحد مواقع الشبكة. إن كنت ترغب في المزيد من المعلومات المفصلة، فجرب الدخول على موقع الشبكة www.lsoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm . LISTSERV

(وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009)

من الأمور المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن «النقاش» بين الأفراد الذين يستخدمون طريقة جماعة المناقشة على البريد الإلكتروني يعتبر «اتصالاً غير متزامن أو لا متزامن» (انظر قائمة المصطلحات). وهذا التعبير معناه أن أعضاء هذه الجماعة الذين يشاركون في النقاش لا يكونون بالضرورة جالسين جميعاً إلى حواسيبهم الآلية في نفس الوقت. فقد يجيب العضو على إحدى رسائل البريد الإلكتروني أو ينضم إلى المناقشة في أي وقت.

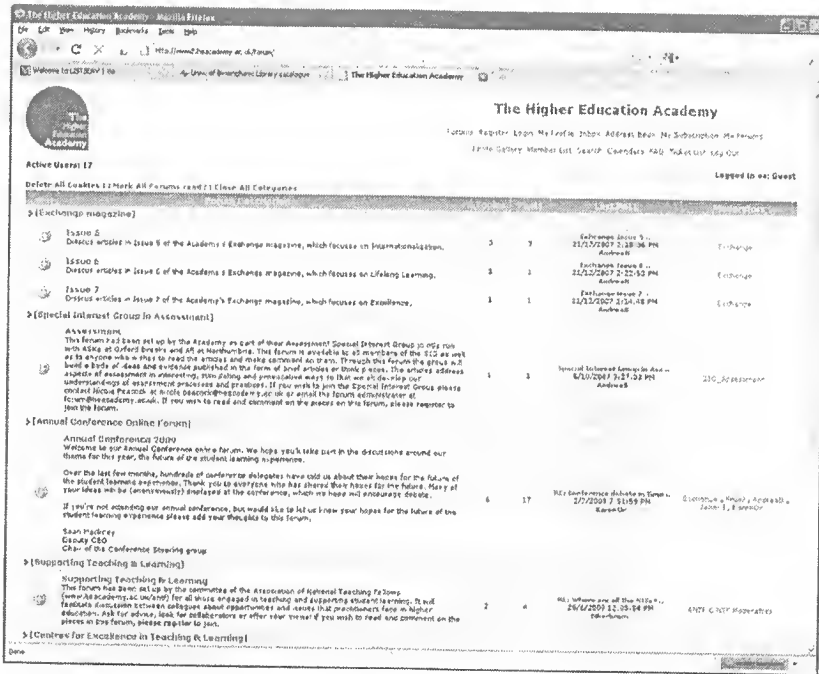
جماعات المناقشة على مواقع الشبكة

تنقسم هذه الجماعات إلى فئتين متميزتين. أولاً: هناك جماعات مناقشة على الشبكة (تسمى أحياناً «منتديات») تشبه جماعات المناقشة على البريد الإلكتروني، إلا أن

مناقشاتها تدور على أحد مواقع الإنترنت على الشبكة. وقد يعنى هذا أنها تكون متاحة لأن يطلع عليها المشاركون بدون الحاجة إلى تسجيل عنوان لبريد إلكترونى. ومع ذلك فإن الكثير من مواقع الشبكة تطلب - بالفعل - من المشاركين المحتملين أن يسجلوا عناوين بريدهم الإلكتروني قبل السماح لهم « بإرسال » الرسائل. لاحظ أن هذه الجلسات النقاشية تكون جلسات لا متزامنة أيضا. وأحيانا ما يتم تنظيم هذه المناقشات تحت موضوعات مختلفة، وغالبا ما يختار هذه الموضوعات التنظيم المشرف على مواقع الشبكة. وقد يتيح ذلك للمشاركين أن يساهموا فى المناقشات التى تهمهم بشكل خاص، أو يتيح لهم أن يحددوا بأنفسهم مسار المناقشة الذى يريدونه.

إلى جانب ذلك توجد «غرف الدردشة» (انظر قائمة المصطلحات). وهى عبارة عن مناقشات تجرى فى ذات الوقت، أو قل هى حوار أو اتصال متزامن (انظر قائمة المصطلحات). وفيها يستطيع المشاركون «الدردشة» من خلال الرسائل النصية التى يراها جميع أعضاء الجماعة الآخرون المشاركون فى ذات الوقت، وذلك بمجرد أن تكتب هذه الرسائل (وأحيانا ما يراها المشاركون أثناء كتابتها). أما الرد على الرسالة فيمكن أن يكون فوريا، وقد يأتى من أكثر من عضو واحد من أعضاء الجماعة. من السهولة البالغة أن تنشئ غرفة الدردشة الخاصة بك. ويكفى أن تقوم ببحث سريع على الإنترنت لكى تجد عدداً من المواقع التى تتيح لك إنشاء مثل هذه الغرفة، كما أن بوسعك أن تقصر غرفة الدردشة التى تنشئها على من تدعوهم إلى المشاركة عن طريق البريد الإلكتروني. كما أن بعض الجهات التى توفر خدمات الإنترنت توفر إمكانية التراسل الفورى (مثل موقع MSN Yahoo) وإمكانية عقد المؤتمرات التى يمكن فيها لعدد من الأفراد أن «يدرشوا» مع بعضهم إلكترونيا.

وهذا الوضع أخذ فى الاتساع والتعاظم مع تزايد استعمال كاميرات الشبكة والتوصيلات الصوتية بين الحواسيب الشخصية. والأرجح أن يستطيع الباحثون الاجتماعيون فى المستقبل الانتفاع بشكل متزايد بهذه الإمكانيات (ومع أن عقد المؤتمرات عن طريق الاتصال التليفونى ظل، بطبيعة الحال، ممكنا لسنوات كثيرة، فإن عقد المؤتمرات الإلكترونية على الشبكة أصبح فى أيامنا هذه ميسورا لمزيد من الأفراد). هذا ويمكن تحميل برمجيات عقد المؤتمرات، كما تتوفر منها حاليا حزم مجانية تتيح لك القيام بإعداد وتنظيم المؤتمرات التى تريد تنظيمها. ونؤكد مرة أخرى أن قيامك ببحث سريع على الإنترنت سيعرفك على عدد من المواقع التى توفر هذه الخدمات (وبعضها مجانى)، على الرغم من أن هذه الخدمات موجهة أساسا إلى مؤسسات قطاع الأعمال أكثر مما هى موجهة إلى الباحث الاجتماعى الفرد.



شكل رقم (10-1): منتدى جماعات المناقشة على مواقع الشبكة - أكاديمية التعليم العالي.

المصدر : أكاديمية التعليم العالي / www2.heacademy.ac.uk/forum/

تم التصريح بالنشر

اليوميات، والمدونات، ومواقع الشبكة

هناك مجموعات ضخمة من المادة منشورة على الإنترنت، ابتداء من يوميات أفراد عاشوا في الماضي والتي كانت محفوظة في شتى الأرشيفات وانتهاء بالمدونات وهي مفكرات يومية أو تعليقات معاصرة يقوم السياسيون، والمشاهير، والأفراد العاديون بنشرها على الشبكة بصفة يومية. والمادة المنشورة بهذه الطريقة متاحة بسهولة لأي مستخدم للإنترنت، كما أن بعضها قد يكون مرتبطاً ببعض جماعات المناقشة، أو يتوافر لها الفرص للتواصل بين كتابها وقراءها. مثال ذلك أن كثير من أعضاء البرلمان (البريطاني) مدونات (بمن فيهم رئيس الوزراء)*. كما أن أعضاء البرلمان من حزب المحافظين يساهمون في المدونة المسماة «المدونة الزرقاء لحزب المحافظين».

(*) ورد في الأصل اسم رئيس الوزراء وقتها: جوردون براون واسم موقعه (وتاريخ آخر دخول عليه ٢٠٠٩/٨/٢١) (<http://gordon-brown.blogspot.com>) (المترجم)

(تاريخ آخر دخول على الموقع 21/8/2009)

البحث الواقعي

استعمال الإنترنت

في أوائل سنة 2007 قُدر أن نسبة 62% من سكان المملكة المتحدة كانوا يستعملون الإنترنت (انظر موقع)

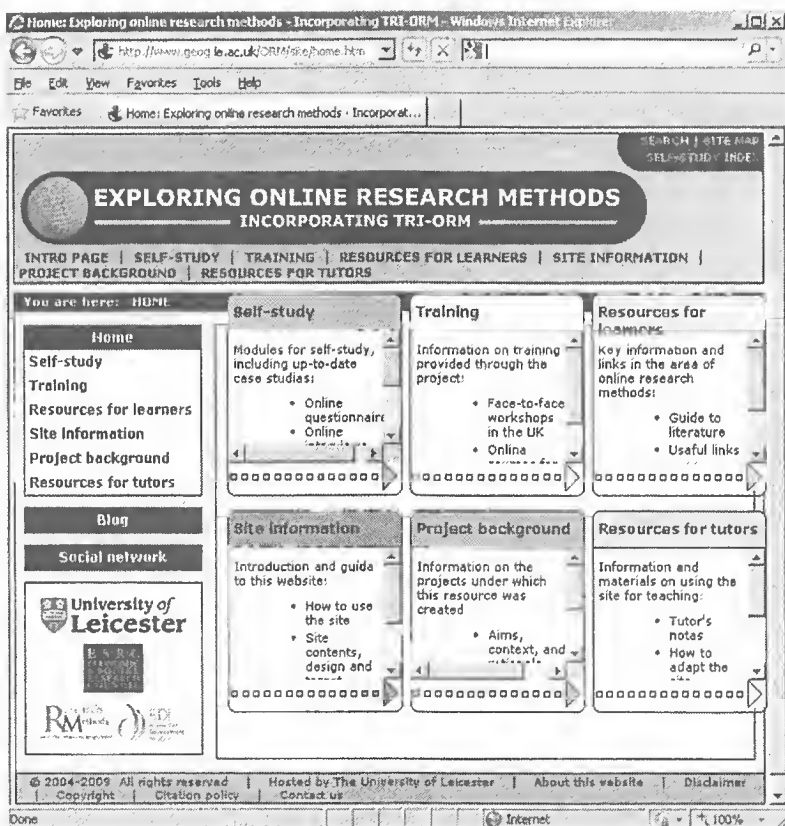
www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu

(آخر دخول عليه بتاريخ 14/8/2009) ثم ارتفعت هذه النسبة بما يقارب 218 % خلال الفترة من سنة 2000 حتى سنة 2008.

استخدام الحاسب في جمع البيانات

هناك من الشواهد ما يدل على استخدام الباحثين الاجتماعيين للحواسيب الآلية في جمع البيانات ابتداء من أوائل تسعينيات القرن العشرين فصاعدا (فريكر Fricker وشونلاو 2002، Schonlau، مان Mann وستيورات 2000، Stewart). وكان كل واحد من أولئك الباحثين يستخدم التقنيات والتكنولوجيا المتاحة آنذاك والمتوافقة مع سياق البحث. ونظرا لتزايد أعداد الباحثين الذين اكتسبوا تلك الخبرة وتقاسموا فيما بينهم، فقد قام بعضهم بإجراء البحوث التي تعلت من شأن طرق جمع البيانات هذه ومن إمكانيات الانتفاع بها في مختلف سياقات البحث الاجتماعي وفي ظل مختلف النماذج الفكرية (انظر على سبيل المثال: فريكر وشونلاو، 2002، وروستر Roster وآخرين، 2004، وستيورات وويليامز، 2005). وكما هو الحال في المجالات الأخرى للبحث الاجتماعي، فإن المؤسسات التي تقوم بدراسات السوق قد لعبت دورا حاسما في تطوير طرق استخدام الإنترنت في جمع البيانات، إلا أنه توجد الآن أعداد متزايدة من الدراسات الأكاديمية التي نفذت باستخدام التقنيات الإلكترونية لجمع البيانات.

في سنة 2004 رعى «مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية» مشروعا للتدريب على البحث عنوانه «استكشاف طرق البحث الإلكترونية في بيئة تدريب افتراضية». اشتمل المشروع على تصميم مجموعة من الدروس الخصوصية الإلكترونية لمساعدة الباحثين الاجتماعيين على استخدام الطرق الإلكترونية في جمع البيانات (انظر موقع www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm : وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21/8/2009).



شكل رقم (10-2): استكشاف طرق البحث على الشبكة

المصدر: قسم الجغرافيا، جامعة لايسستر (www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.html)

وقد أسس مجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية مشروعاً آخر هو «المركز الوطني للعلوم الاجتماعية الإلكترونية» (على موقع: www.ncess.ac.uk) وكان آخر دخول عليه في 21/8/2009 والذي أنشأ صفحة تفاعلية على الشبكة تورد بالتفصيل نتائج البحوث الجارية تنفيذها.

من الواضح أن قدرة الباحث الاجتماعي على استخدام الإمكانيات البحثية التي توفرها الشبكة - والتي أوضحناها فيما سبق - ستعتمد على عدد من الأمور:

- 1 - المعرفة والمهارة الشخصية للباحث في استخدام تكنولوجيا المعلومات.
- 2 - أن يتوفر للباحث جهاز الحاسب والبرمجيات التي تمكنه من تنفيذ البحث، فضلاً عن الموارد المالية إن كان الأمر يقتضى تحمل تكاليف مالية.

3 - كما ستعتمد قدرة الباحث على ما إذا كان متوفرا لدى المشاركين المحتملين في البحث
الإمكانات التكنولوجية المطلوبة والمهارة المناسبة لاستخدامها أم لا .

وهذا الأمر الثالث هو أكثرها جميعا أهمية . فمع أن الباحث قد يكون قادرا على تطوير معرفته بتكنولوجيا المعلومات ومهارته الشخصية في استخدامها ، وتوفر له التكنولوجيا اللازمة ، فإن المشاركين في البحث لن يستطيعوا المشاركة - وربما يكونون غير راغبين فيها - إن لم تتوفر إمكانية الدخول السهل على البريد الإلكتروني وعلى الإنترنت ، ولم تكن لديهم ألفة باستخدام هذه التكنولوجيا . ولا ريب أن هذا الوضع قد يؤدي إلى استبعاد جماعة من الأفراد لها أهميتها بسبب استخدام هذه الطريقة في جمع البيانات . ورغم أن استخدام الإنترنت أخذ في التزايد بسرعة ، كما أنه يغطي اليوم قطاعات عريضة ومتنوعة من السكان ، فإنه ما زال يوجد في مجال استخدام الإنترنت قدر من التباين في صفات الأفراد المتعلقة بالتعليم ، والعمر ، والنوع ، والثروة . . إلخ ، الأمر الذي قد يؤدي إلى وجود تحيز ظاهر في عينة المستجيبين . ونظرا لأن استخدام الحواسيب الآلية ، وخاصة الإنترنت ، أخذ في الانتشار ، فالأرجح أن يصبح هذا الوضع أقل إشكالية بالنسبة للباحثين الاجتماعيين .

ولا ريب أن مجرد إمكان استخدام هذه التكنولوجيا لا يعني أن هذا الاستخدام سيكون أكثر الطرق ملاءمة لجمع البيانات .

لماذا نختار الاتصال عبر الحاسب في جمع البيانات؟

إذن فما عساها أن تكون بعض الأسباب التي تدعو لاختيار الاتصال عبر الحاسب في جمع البيانات؟

1 - لأنه رخيص التكلفة . فمعظم الخدمات التي سلفت الإشارة إليها مجانية ، أو أن الباحث قد يستطيع - على الأقل - الحصول عليها مجانا ، لأنه - مثلا - قد سبق له أن دفع ثمن توصيلة الإنترنت فائقة السرعة (البرود باند) ، أو أنه يستطيع استخدامها مجانا بصفته طالبا في إحدى الجامعات ، أو لأنه يعمل في مكان معين يوفر له ذلك . وليس مطلوباً أن يكتب الاستبيان المرسل بالبريد الإلكتروني في صورة مطبوعة على الورق ، أو يرسل عبر البريد (العادي) ، أو ينشر . كما أنه لا يتوجب على الباحث أن يتجول في مختلف أحياء المدينة ليجري عشرين مقابلة يلتقى فيها بالمشاركين وجها لوجه . ويستطيع المشاركون في جماعة مناقشة افتراضية أن يشاركوا فيها من بيوتهم بدون الحاجة إلى استخدام وسائل المواصلات ، أو تدبير من يقوم برعاية أطفالهم ، وبدون أن يتكلف الباحث مصاريف الوجبات الخفيفة أو المشروبات التي تقدم للمشاركين . ولكن لاحظ أنه قد توجد بعض التكاليف التي

يتحملها المشارك في البحث والذي لا يتوافر له وصول سهل لحاسب آلي ، وربما يتعين عليه الانتقال إلى مكتبة عامة أو دفع تكاليف الخدمة بأحد مقاهي الإنترنت .

2 - يمكن دعوة المشاركين - المنتشرين على نطاق جغرافي واسع - إلى المشاركة من مختلف أنحاء الوطن أو من أى مكان حول العالم مادام يتوافر لهم إمكانية الوصول إلى هذه التكنولوجيا . ويمكن لهذا الوضع أن يفتح الباب أمام إجراء الدراسات المقارنة ، التى تشتمل على استعمال عينات أكبر عددًا ، وعلى جمع البيانات على امتداد فترة من الزمن ، أو على عدة مراحل .

3 - قد يكون الاتصال عبر الحاسب ملائمًا بصفة خاصة عند القيام بدراسة جماعات معينة من الناس . نذكر منها على سبيل المثال:

(أ) الأفراد الذين يعجزون عن مقابلة الباحث أو مقابلة غيرهم من المشاركين لسبب من الأسباب . فقد يكون المانع لدى بعض الأفراد هو شدة الانشغال فحسب . وبالنسبة لأمثال تلك الجماعات قد تكون الفرصة المحددة الوقت للمشاركة من بيوتهم أو من مكان عملهم (فى المقابلات الافتراضية مثلاً) بمثابة حافز يشجعهم على المشاركة .

البحث الواقعى

دراسة الأفراد غير القادرين على المشاركة بأشخاصهم

بحث بوكير (Bowker وتوفن 2004) بعنوان: «استخدام الوسيط الإلكتروني (الإنترنت) فى تحليل الخطاب التعلق بالأفراد ذوى العجز البدنى» ، منشور فى: «مجلة الحاسب فى العلوم الاجتماعية» ، العدد (22) ص ص 228-241 . قام بوكير وتوفن بدراسة الخبرات الإلكترونية لأفراد ذوى عجز بدنى باستخدام المقابلات عبر الإنترنت .

بحث أوكونور (O'Connor ومادج 2001) بعنوان: «أهميات الفضاء الإلكتروني: مقابلات إلكترونية متزامنة باستخدام برامج عقد المؤتمرات» ، منشور فى مجلة: «البحث الاجتماعى على الشبكة» ، العدد (5) .

قام أوكونور ومادج بجمع البيانات من أهميات الواضعات باستخدام طريقة جماعة المناقشة عبر الإنترنت .

(ب) من الأرجح أن تتقبل بعض الجماعات مناقشة موضوعات حساسة أو أقل قبولا لدى المجتمع باستعمال الاتصال عبر الحاسب وليس بطريقة المقابلة وجها

لوجه ، وذلك نظرًا لما يوفره التفاعل عبر الإنترنت من الحفاظ على إخفاء هوية أفراد هذه الجماعات .

(ج) قد يتضاءل - أو يستحيل - احتمال أن تستجيب بعض الجماعات لباحث له سمات مرئية معينة كتلك المتعلقة بالفئة العمرية ، أو فئة النوع ، أو الانتماء الإثني . أما على الإنترنت ، فلا تظهر هذه السمات بوضوح . كما أنه قد يكون بإمكانك أن تخفى هويتك ، رغم أن هذا التصرف يتسبب فعلا في إثارة بعض القضايا الأخلاقية (فصل 5 باب 1) . إن جمع البيانات عبر الإنترنت يوفر - بالفعل - إمكانية تقليص الأثر الذي يحدثه الباحث على الإجابات التي يحصل عليها .

4 - قد يكون استخدام الحاسب طريقة مفيدة يُنتفع بها عندما يأتي مشاركون محتملون من مجتمع بحث خفي أو غير منظور (انظر قائمة المصطلحات) ، أعني بذلك: الجماعات التي يتعذر تحديد هويات أفرادها ، كتجار المخدرات مثلا .

البحث الواقعي

اكتشاف مجتمعات البحث الخفية

بحث كومبر (1997 Coomber) بعنوان: «استخدام الإنترنت في البحوث المسحية» ، منشور في مجلة «البحوث السوسيولوجية عبر الإنترنت» ، العدد (2) . استهدفت دراسة كومبر تجار العقاقير المحظورة الذين يجلبونها عبر الحدود الدولية . دراسة سكوت (2004 Scott) بعنوان : «دراسة الخجل: هل هو تضارب في المصطلحات؟» ، منشور في : «مجلة البحوث الكيفية» ، العدد (4) ص ص 91 ، 105 . استخدمت دراسة سكوت طريقة المقابلة المباشرة وطريقة الاتصال عبر الحاسب في التحدث إلى الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم خجولين .

يعد الإنترنت بمثابة مصدر للمجتمعات الافتراضية (انظر قائمة المصطلحات) وبيت لها: وهي جماعات من الأفراد الذين يلتقون بغيرهم ممن لهم نفس الخبرات أو السمات الشخصية بصورة افتراضية على الشبكة وليس وجهًا لوجه . فإن كنت تقوم بدراسة جماعات من ذلك النوع ، فإن الإنترنت قد تكون هي أنسب مكان للعثور على مشاركين في بحثك ، كما أنها ربما تكون أيضا المكان المناسب لجمع بياناتك .

5 - إن كان بحثك يدور حول الإنترنت نفسها: كيف يستخدم الأفراد الإنترنت ، وكيف تقوم جماعات معينة بمناقشة القضايا في غرف الدردشة ... إلخ ، فربما يتعين عليك أن تجمع بعض بياناتك - على الأقل - عبر الشبكة .

6 - يمكن لهذه البيانات أن تكون في صورة نص مكتوب . وهذا معناه أنه لا يلزم نسخ المقابلة، أو أن الاستبيان يمكن تحميله مباشرة في حزمة إحصائية، أو في برنامج حسابات كمبيوترى^(*)، أو في قاعدة بيانات بغرض التحليل دون الحاجة إلى نسخ هذه البيانات من الاستبيان (وهذا النسخ مصدر محتمل لوقوع الباحث في الخطأ).

سوف ندخل في اعتبارنا أربع طرق لجمع البيانات إلكترونياً، تعتمد كل طريقة منها على الإمكانيات المتاحة حالياً لمعظم مستخدمي الحواسيب الآلية. أما بالنسبة لطرق البحث المباشرة (انظر قائمة المصطلحات)، فإن دور الباحث في جمع البيانات يختلف، وذلك على الرغم من أنه سيكون من النادر أن يلتقى بالبحوثين لقاء مباشراً. كما أن البيانات التي يتم جمعها قد تكون بيانات مقننة، أو شبه مقننة، أو غير مقننة.

بحثك	ملحوظة مهمة
نفترض هنا أن معظم الطلاب سيكونون على دراية بالإجراءات والحزم القياسية للحاسب، ولكننا لا نتوقع أن يكون الطلبة مبرمجين (مصممي برامج) مهرة ومتمرسين، أو قادرين على تصميم مواقع على الشبكة. فإن كنت تتمتع بهذه المهارات، فمن المحتمل أنك ستكون قادراً على استخدام طرق جمع البيانات هذه بصورة أسهل وعلى نحو أكثر فعالية. أما إذا لم تكن بمثل هذه المهارة، فإننا نرى مع ذلك، أنه بإمكان الطالب ذي الدراية المتوسطة باستخدام الحاسب الآلى، والبريد الإلكتروني، والإنترنت أن يستفيد من الطرق المذكورة في جمع البيانات. وبالنسبة لمن يهتمون بالجوانب الأكثر دقة وتخصصاً، في مجال تصميم المسح الذي ينفذ على الشبكة مثلاً، فهناك بعض المراجع التي تشير إلى مصادر لتقديم المشورة في هذا المجال، وقد أوردناها في فقرة المراجع وقراءات للاستزادة في نهاية هذا الفصل.	

الاستبيانات المسحية باستخدام الاتصال عبر الحاسب

يمكن لاستبيانات المسح الاجتماعي أن توزع وتُستوفى إلكترونياً (على الشبكة) بسهولة بالغة، وذلك بثلاث طرق على الأقل :

1 - إن كانت لديك عناوين البريد الإلكتروني للأفراد الذين ترغب في إدراجهم في عينة بحثك، فبإمكانك أن تقتصر فحسب على إرسال الاستبيان بالإيميل محتويًا على

(*) Spreadsheet وهو برنامج لمعالجة واسترجاع بيانات رقمية مجدولة. (المترجم)

الأسئلة مكتوبة فى صلب رسالة البريد الإلكتروني هذه . حينئذ يستطيع المستجيب أن يدق الزر الخاص بالإجابة على لوحة مفاتيح الحاسب ، ويضيف إجاباته على تلك الأسئلة ، ثم يعيد الرسالة إليك .

ولكن يعيب هذه الطريقة بعض نواحي القصور . فالبريد الإلكتروني حالياً ليس له نفس أدوات التحرير والتنسيق الشكلى التى تتميز بها برامج معالجة الكلمات مثلاً . وهذا يعنى أنك لا تستطيع تقديم الاستبيان بنفس درجة الوضوح والجاذبية التى يتصف بها الاستبيان الذى تقدمه برمجية أخرى . وعلى العموم يتوقع الأفراد أن تكون رسائل البريد الإلكتروني مختصرة تماماً ، مع إمكان رؤية محتواها كله داخل شاشة واحدة . ذلك أن هذه الرسائل الإلكترونية قد يُعرض عنها المشاركون بسبب مظهرها الخارجى وطولها الواضح .

2 - من البدائل الأخرى للطريقة السابقة: أن تبعث إلى مستجيبك المحتمل برسالة بريد إلكترونية ترفق بها استبياناً . وإليك الطريقة التى يعمل بها هذا البديل :

(أ) تقوم بتصميم استبيانك الإلكتروني (انظر قائمة المصطلحات) مستعملاً برنامج معالجة كلمات به صناديق (أو براويز) للكتابة بداخلها وجداول وبرنامج لتصميم «النموذج» ، وذلك مثل برنامج «مايكروسوفت ورد» (وبهذا البرنامج إمكانيات لإنشاء النماذج باستعمال حزم «فورمز» Forms (أى النماذج) واسمها التجارى (Word 2003) أو حزمة «المطور» Developer والمسماة تجارياً (Word 2007) والتى يمكن للمستجيبين أن يملؤها - حينئذ - إلكترونياً (فصل 2) .

(ب) تقوم بتخزين أو حفظ النموذج وتبعثه بالبريد الإلكتروني كخطاب مرفق إلى مستجيبك المحتملين .

(ج) يقوم المستجيبون بفتح هذا الخطاب المرفق ويجيبون على الأسئلة .

(د) يقوم المستجيبون بحفظ استبياناتهم المستوفاة مستعملين اسم ملف مختلف تكون قد أعطيته لهم من قبل (أو قد يقومون - إن رغبوا فى ذلك - بطبع الاستبيان من على الحاسب وإعادته إليك بالبريد العادى) .

(هـ) يقومون بالإجابة على رسالتك الإلكترونية ويرفقون بها الملف المحفوظ .

(و) تستطيع حينئذ أن تفتح الخطاب المرفق وتسجل إجاباتهم ، أو تنقل هذه البيانات مباشرة باستعمال برنامج ما ، فتضعها فى برنامج حسابات كومبيوترى أو فى قاعدة بيانات .

ولهذه الطريقة مزاياها وعيوبها . فبإمكانك أن تقدم استبياناً إلكترونياً أكثر جاذبية وأيسر استيفاء باستعمالك الإمكانيات الكاملة للبرنامج الذى تستخدمه . ويمكن لهذا البرنامج أن يحتوى على إمكانيات ، مثل صناديق الكتابة (انظر قائمة المصطلحات) التى يمكن لمستجيبك أن يكتب فيها إجاباته . كما يمكن أن تستخدم صناديق الإجابة (انظر قائمة

المصطلحات). ويمكنك أيضا أن تستوفي قوائم الإجابات المحتملة (انظر قائمة المصطلحات) (فصل 2). وحسب مهارتك يمكنك بهذه الطريقة أن تصمم استبيانًا جذابًا وسهل الاستيفاء.

ولكن هل تستطيع أن تفترض أن مستجيبك على دراية كافية بهذه البرامج الكمبيوترية وإبرفاق الوثائق بالرسائل الإلكترونية؟ كما أن بعض المستجيبين قد يكونون غير راغبين أو غير قادرين على قبول رسائل البريد الإلكتروني ذات الخطابات المرفقة لأنهم يخافون من فيروسات الحاسب التي تنتشر كثيرا بهذه الطريقة. وقد يساعد على مواجهة هذه المشكلة أن تبعث للمستجيبين برسالة إلكترونية تمهيدية تُعلمهم فيها بأن رسالة إلكترونية بها رسالة مرفقة سوف تصل إليهم، وأن تزودهم في سياقها بتعليمات واضحة عن استيفاء الاستبيان وإعادته إليك.

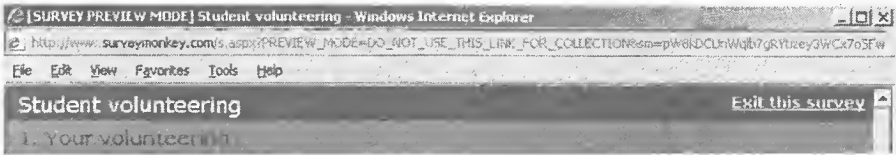
3 - واستطرادا في هذا الاتجاه نقول: إن كان لديك هذه المهارات واستطعت أن توفر لنفسك هذه الموارد، فإنك تستطيع أن تصمم استبيانًا إلكترونيًا على أحد مواقع الشبكة. وقد يكون هذا الموقع موقعًا شخصيًا، أو موقعًا تابعًا لإحدى المؤسسات، أو قد يكون موقعًا يستعمله مجتمع البحث الذي تستهدفه (بتصريح من مدير الشبكة). فمن الممكن تصميم استبيان على الشبكة باستعمال برمجية قياسية لمعالجة الكلمات. وإذا كنت على دراية كافية بالتقنيات التي منها تقنيات «الماكرو» macro (التي يمثل فيها أمر كومبيوترى واحد سلسلة من العمليات) فستكون قادرًا على تصميم نموذج يتضمن عمل مراجعات على البيانات أثناء إدخالها، كما يحدث مثلًا عندما يدخل المستجيب تاريخ ميلاد لا يتطابق مع عمره، فيقوم البرنامج بلفت نظر الباحث إلى هذا الخطأ. أو أن يشمل تصميم نموذجك على «تنبيهات» reminders تلفت انتباه الباحث في حالة عدم إجابة المشارك على بعض الأسئلة. ويمكن تقديم الأسئلة للمستجيبين واحدًا واحدًا، كما أن بإمكان الباحث أن يفرز الأسئلة التي يراد تسريبها لجماعات معينة من المستجيبين وينحيا جانبًا فلا تظهر لغيرهم. فإن لم تكن تتمتع أنت نفسك بهذه المهارات، فلك أن تعلم أن هناك عددًا من مواقع الشبكة التي يمكن أن تساعدك على إعداد الاستبيان وتزودك بوصلة على الشبكة يمكن أن توجه مستجيبك إليها. مثال ذلك: اذهب إلى موقع Smart Survey (المسح الذكي) وبيانه كالتالي www.smart-survey.co.uk (تاريخ آخر دخول 21/8/2009) وابحث فيه عن عينة من المسوح التي يحويها هذا الموقع. ويقوم موقع Survey Monkey (أدوات المسح) وبيانه كالتالي www.surveymonkey.com (تاريخ آخر دخول 21/8/2009)؛ يقوم بمعظم ما يقوم به الموقع السابق. ويسمح كلا هذين المصدرين بالاستخدام المجاني (وإن كان في حدود ضيقة) لموقعيهما وبرمجياتهما، كما أن لهما تعليمات معينة بخصوص الاستخدام. ويبين شكل (3-10) جزءًا من مسح التطوع

بين الطلاب الجامعيين . وهو يوضح كيف ينبغي أن يظهر الاستبيان للطالب الذى يجيب على الأسئلة .

فإن كنت قادراً على إدخال هذه الطريقة فى الحسبان باعتبارها طريقة لجمع البيانات ، فعليك أولاً أن تفكر فى كيفية عثور مستجيبك على هذا الاستبيان (بإمكانك أن تبعث إليهم بالبريد الإلكتروني (الإيميل) رسالة تعرفهم بتوصيلة للشبكة أو تتحصل على توصيلة من موقع على الشبكة يستعمله مجتمع بحثك المستهدف فتضعها على موقعك على الشبكة ، أو تقصر الدخول إلى استبيانك على مستخدمى موقع معين من مواقع الشبكة يكون استبيانك موضوعاً فيه .

ولأن التكنولوجيا تتطور ، وصار هناك المزيد والمزيد من الناس الذين يستخدمون البريد الإلكتروني والإنترنت كوسيلة رئيسية للاتصال ، فمن الأرجح أن يتزايد استخدام الاستبيانات الإلكترونية فى مجال البحث الاجتماعى ، كما سيكون ممكناً تقييم فعالية استخدام هذه الوسيلة بهذه الطريقة . وقد أجريت دراسات قليلة العدد تتناول مقارنة المسوح المنفذة بالحاسب بالاستبيانات التى تنفذ بصورة مباشرة (بحضور الباحث والمشارك وجها لوجه) والاستبيانات الهاتفية والاستبيانات البريدية . وإليك بعض نتائج هذه الدراسات :

● قد تختلف طريقة استجابة الأفراد باختلاف وسائل الاتصال المستخدمة فى جمع البيانات . مثال ذلك أن فريكر Fricker وجد أن استبيانات المقابلة المباشرة تؤدى على الأرجح إلى الحصول على إجابات مقبولة اجتماعياً بدرجة أكثر من الاستبيانات الإلكترونية التى يستوفىها المشارك بنفسه (فريكر وشونلاو ، 2002) .



فيما يلى بعض الأسئلة عن نشاطك التطوعى الذى قمت به أثناء السنة الدراسية الثانية:

1 - ما اسم المؤسسة التى تطوعت للعمل بها أثناء السنة الدراسية الثانية؟

▲	----- شغل البرنامج
▼	----- بهدوء

2 - كيف عرفت بهذه الفرصة للتطوع لخدمة هذه المؤسسة؟

(√) موقع من مواقع الشبكة .

() وكالة تطوع .

() اتحاد الطلاب .

() العيد

() اتصالاتك الشخصية

() سبق لك العمل بهذه المنظمة

() طرق أخرى (حددها من فضلك)

3 - كيف قمت بالاتصال الأول مع هذه المؤسسة؟

() خطاب

(√) بريد إلكتروني (إيميل)

() هاتف

() نموذج طلب تطوع .

() زيارة للمؤسسة .

() طرق أخرى (حددها من فضلك) .

4 - هل كان عليك أن تقوم بأى تدريب قبل أن تبدأ التطوع؟

(√) نعم

() لا

5 - فى حالة الإجابة بـ«نعم» على السؤال رقم (4):

ما نوع التدريب الذى تلقينته؟

▲ الصحة والسلامة - العمل مع الأطفال

▼ -----

شكل (10-3): مسح إلكتروني

- قد يرغب بعض المستجيبين في ترك بعض الأسئلة أو عدم استكمال الاستبيان عندما يقومون باستكمالهم إلكترونياً (روستر وآخرون، 2004).
- قد لا تكون معدلات الإجابة كافية بالقدر المطلوب (روستر وآخرون، 2004).
- كما أنه قد يكون عسيراً - إن لم يكن مستحيلاً - جمع عينة ممثلة (انظر قائمة المصطلحات) (انظر أدناه، وكذلك فصل 5 باب 2).

المقابلات باستخدام الاتصال عبر الحاسب

المقابلة وسيلة تفاعلية لجمع البيانات للبحث الاجتماعي. ومع أنها قد تتخذ الشكل البسيط للسؤال والإجابة، فإننا نتوقع - في العادة - أن تزود المقابلة الباحث بالفرصة التي تجعله أكثر تدخلاً في المقابلة، كما تجعله يستخدم هذا التفاعل كوسيلة لجمع البيانات. ومن الممكن النظر إلى درجة تقنين المقابلة باعتبارها خطأ متصلاً (فصل 1)، يبدأ بالاستبيان المباشر المقتن ويستمح حتى ينتهي بالمقابلة غير المقتنة التي فيها يتحكم شريك البحث (المبحث) في عرض البيانات إلى حد بعيد. ورغم أن الباحث لا يكون له وجود حسي في المقابلات الإلكترونية، فإنه يستطيع - مع ذلك - أن يكون أداة البحث (انظر قائمة المصطلحات) الأساسية، مثلما عليه الحال في المقابلات المباشرة وجها لوجه. كما يستطيع أن يسعى باحثاً عن توليد البيانات عن طريق إيجاد الطرق التي تشجع طرف المقابلة (المبحث) على «الكلام».

إلى أي مدى - إذن - يكون بالإمكان إعادة إنتاج سمات المقابلة المباشرة باستعمال البريد الإلكتروني والإمكانات الموجودة على الإنترنت؟
هناك بالأساس نمطان مختلفان للمقابلة الإلكترونية هما:

- 1 - نمط المقابلة المتزامنة: حيث يقوم الباحث والمبحث «بالتحدث معاً» إلى بعضهما في نفس الوقت. وعادة ما يجري هذا النمط من المقابلة داخل غرفة للدردشة أو باستعمال برنامج كمبيوترى للتراسل أو لعقد الاجتماعات إلكترونياً. والمقابلة المتزامنة أقرب شبهة بالمقابلة المباشرة وجها لوجه. كما أن بإمكان الباحث أن يعد لهذه المقابلة بطريقة مشابهة للإعدادات للمقابلة المباشرة. ويتم ذلك عن طريق إعداد دليل مقابلة واستخدام الأسئلة المحفزة وأسئلة تفتيح الموضوع.
- 2 - نمط المقابلة غير المتزامنة: حيث لا يشترط بالضرورة أن يكون الباحث والمبحث على اتصال ببعضهما في نفس الوقت، كما أن بالإمكان ألا يرد أحدهما على الآخر فوراً. ومن المعهود أن يتم تنفيذ هذا النمط من المقابلة باستعمال البريد الإلكتروني أو باستعمال برنامج للبراسلات.

ويمكن القول إن بناء مناقشة تفاعلية إلكترونية، سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أو غير متزامنة، يعد أمراً حافلاً بالتحديات. فبينما توفر المقابلة المتزامنة الفرص لتتبع إجابات المبحوث وتشجيعه على أن «يروى حكايته»، فإن بإمكان المقابلة غير المتزامنة أن تصبح سلسلة من الأسئلة والأجوبة. ولمعالجة هذا العيب قد يكون مفيداً أن تبعث بسؤال أو سؤالين إلى الشخص الذى تجرى معه المقابلة مرة واحدة، ثم تجيب مباشرة على رسالته التى بها إجاباته، بدلا من أن تكتفى بمجرد إرسال السؤال التالى. فهذا التصرف يمكن الباحث الذى يجرى المقابلة من تفصيل الأسئلة على المقاس المناسب لأجوبة الشخص المبحوث. كما يمكنه من توليد قدر من النقاش، معطيا بذلك مزيداً من «مذاق» المقابلة شبه المقتنة (بامبتون Bampton، وكاوتون Cowton، 2002).

ومن شأن المقابلة غير المتزامنة أن تعطى المستجيبين مزيداً من الوقت للتفكير فى إجاباتهم أو فى جمع البيانات، وهو أمر ليس سيئاً بالضرورة. فالمستجيبون يسعدهم أن يكونوا غير خاضعين للضغط الذى يفرض عليهم الرد فوراً، مثلما هو الحال فى المقابلة المتزامنة المباشرة. ورغم ذلك تثار هنا مشكلة تتمثل فى أن المبحوثين قد يحتاجون إلى ما يحثهم على الإجابة، كما أنه لا يكون من الواضح دائماً سبب عدم إجابة شخص ما على سؤال معين. وقد يكون من المناسب فى مثل هذه الحالات إرسال التنبيهات أو رسائل التذكير اللبقة (التى يبعث بها الباحث إلى المستجيب ويذكره فيها بالأسئلة التى لم يجب عليها)، ولو أنه قد ينظر إليها أيضاً بوصفها أداة ضغط للاستمرار فى المقابلة. لذلك ينبغى أن تشتمل المادة التمهيدية التى تقدم للمبحوثين على إشارة لطول الفترة التى يحتمل أن يستغرقها إجراء المقابلة والمجالات الرئيسية المقرر تغطيتها فى النقاش.

ولا ريب أن بإمكان الباحثين أن يجرؤوا عدداً من المقابلات غير المتزامنة عن طريق البريد الإلكتروني فى نفس الوقت. كما أن هذا التصرف قد يكون مفيداً، لأن البيانات التى تجمع من إحدى المقابلات يمكن أن توضع داخل أسئلة تطرح فى مقابلة أخرى، فتكون بذلك عملية من عمليات الإثراء المتبادل (بامبتون وكاوتون، 2002).

ومن الواضح أن إدارتك لمقابلة ما (سواء أكانت متزامنة أم غير متزامنة) وأنت بعيد عن الطرف الآخر فى المقابلة خبرة شديدة الاختلاف عن خبرة المقابلة المباشرة، لأن التفاعل البشرى يشتمل على ما هو أكثر من الكلمات المنطوقة أو المكتوبة. لذلك فإن المقابلة التى تجرى عن طريق البريد الإلكتروني أو الإنترنت تفتقر إلى المفاتيح الحسية للغة الجسد، ونبرة الصوت، ومظاهر الانفعال التى يستطيع الباحث أن يتفطن إليها، ويلاحظها، ويستجيب لها فى حالة المقابلة المباشرة. ولا ريب أنه لا بد من أن نلاحظ كذلك

أن هذه المفاتيح ليست متاحة للمبحوث أيضا، وأن هذا قد يعنى ضالة تأثير الباحث الذى يجرى المقابلة على البيانات التى تجمع داخل نطاق المقابلة. ولكن تبين لبعض الباحثين أن من الصعوبة البالغة بناء الألفة والثقة داخل نطاق المقابلة بدون مثل هذه المفاتيح المرئية (انظر على سبيل المثال أورجاد 2005 ، Orgad). ووجد بعض الباحثين أن المقابلة عن بُعد تستطيع المساعدة فى الحث على تحقيق قدر غير قليل من التفاعل الشخصى بين الباحث والمبحوث (انظر على سبيل المثال كيفيتيس 2005 ، Kivits، وأوكونور ومادج، 2001)، بفضل ما تتضمنه هذه الاتصالات من معلومات عن شخصك وعما تقوم به من عمل، وذلك لأن هذا يساعد المبحوث على المشاركة الجادة فى الحوار بدلا من مجرد الاقتصار على الإجابة على الأسئلة. وأيا ما كان الأمر، فإن الأفراد - وكما هو الحال فى الاستبيانات الإلكترونية - قد يكونون أكثر استعدادا لتقديم إجابات تعتبر أقل قبولا من جانب المجتمع، أو لمناقشة القضايا الحساسة بصراحة أكبر عبر الشبكة.

للبريد الإلكتروني والرسائل النصية عبر الشبكة لغاتها الخاصة بها، وهى تتضمن طرقا لمعالجة ما تفكر إليه من مفاتيح مرئية للفهم متاحة فى المقابلة المباشرة. وقد استحدث مستخدمو الشبكة أيقونات معبرة عن الانفعالات (أيقونات انفعالية Emoticons - انظر قائمة المصطلحات) وغيرها من التعبيرات النصية المكتوبة ليتغلبوا على هذه المشكلة، كما أن الباحثين قد يجدون أنفسهم فى حالات كثيرة يستخدمون هذه الأيقونات والتعبيرات.



ومن مزايا إدارة المقابلات إلكترونيا أن البيانات تكون فى صورة نص مكتوب فى نفس وقت المقابلة، ومن ثم لا توجد حاجة لتسجيلها ونسخها. ويمكن قص ولصق Copy & Paste بيانات المقابلة داخل برامج تحليلية أو داخل وثيقة منفذة ببرنامج لمعالجة الكلمات تمهيدا لتحليلها.

جماعات المناقشة التى تستخدم الاتصال عبر الحاسب

تعمل جماعات المناقشة على جمع مجموعة من الأفراد معا، لكى يتحدثوا عن موضوع من موضوعات البحث، وهو أمر يمكن - بطبيعة الحال - تحقيقه بشكل افتراضى حيث لا يكون الأفراد موجودين فى نفس المكان المادى. وكما هو الحال فى المقابلات الإلكترونية، يمكن عقد جماعات المناقشة الإلكترونية بشكل متزامن أو غير متزامن، رغم أننا نميل فى العادة إلى توقع أن تكون جماعة المناقشة متزامنة، حيث يكون جميع المشاركين حاضرين

فى نفس الوقت وعلى اتصال ببعضهم ، ويستعملون غرفة دردشة موجودة من قبل أو تنشأ خصيصا لهم ، أو يستعملون برنامجا لعقد الاجتماعات إلكترونيا .

بحثك

جماعات المناقشة الإلكترونية

بحث كينى (2004) (Kenny) بعنوان: «التفاعل فى الفضاء الإلكتروني : جماعة مناقشة إلكترونية»، منشور فى : مجلة التمريض المتقدم ، العدد (49)، ص ص 422-414 .

استخدم «كينى» برنامج WebCT (وهو برنامج يستخدم كوسيلة تدريس فى جامعات كثيرة ويشتمل على إمكانيات لعقد جماعات مناقشة وتنظيم غرف الدردشة ، كما يعرف هذا البرنامج بوصفه بيئة تعلم افتراضية) لعقد جماعة مناقشة افتراضية لا متزامنة بين الطالبات اللاتى يدرسن التمريض .

انظر أيضا أوكونور ومادج (2001): «أمهات الفضاء الإلكتروني: إجراء المقابلات المتزامنة الإلكترونية باستخدام برامج عقد الاجتماعات أو المؤتمرات» ، منشور فى : مجلة البحوث السوسولوجية الإلكترونية ، العدد(5) .

وقد انتفع أوكونور ومادج بحزمة برامج لعقد الاجتماعات ، وهى متاحة مجانا للتحميل على الحواسيب؛ انتفعا بها فى إدخال آباء وأمهات جدد فى جماعة مناقشة إلكترونية متزامنة .

ستيورات (Stewart وويليامز 2005) (Williams)، «دراسة بعض مجتمعات البحث الإلكترونية: استخدام جماعات المناقشة الإلكترونية فى البحث الاجتماعى» ، منشور فى مجلة : البحوث الكيفية ، العدد (5)، ص ص 395 - 416 .

تقدم هذه الدراسة رؤية عامة مفيدة لاستخدام جماعات المناقشة الإلكترونية فى البحث ، وذلك بالاعتماد على مثالين - جماعة مناقشة لا متزامنة وجماعة مناقشة متزامنة عقدتا فى بيئة تصويرية ثلاثية الأبعاد .

وكما هو الحال فى جماعات المناقشة المباشرة ، يمكن للباحث أن يعد دليل موضوعات يحتوى على بعض الأسئلة المحفزة (وهى كلمات وعبارات لحث المشاركين على الإفاضة فى الكلام) مما يساعد على تركيز النقاش ، وذلك فى حالة قيام الباحث بدور الميسر . ويذهب بعض الباحثين المتمرسين إلى أنه قد يكون مفيدا أن يتوافر للباحث أسئلة ومحفزات مكتوبة من قبل ليقوم بقطعها وصلها حسب الحاجة واستخدامها أثناء انعقاد جماعة المناقشة ، وذلك بالرغم من أن الميسر سيكون - بطبيعة الأمر - متجاوبا مع البيانات التى يسهم بها المشاركون .

كذلك يمكن إدارة جلسة نقاش لا متزامنة تضم أعضاء جماعة مناقشة يستطيع كل المشاركين فيها أن يقرأوا ما كتبه الآخرون وأن يدلوا بإجاباتهم فى أى وقت، وقد توجد فترات يتواصل فيها أكثر من عضو من الأعضاء، ولكن ليس كلهم، تواصلًا إلكترونيًا (على الشبكة) ويساهمون بآرائهم فى نفس الوقت. والوضع الأمثل أن تشكل جماعة المناقشة للحديث عن موضوع بعينه، كما ينبغي أن تكون طبيعة موضوع النقاش معلنة بوضوح. فى هذه الحالة يترجح أن يكون للميسر دور يزيد عن مجرد كونه ملاحظًا، لأنه لا يقدر أن يظل طوال الوقت موجودًا بشخصه على الخط للتجاوب مع المتحاورين، وذلك رغم أنه قد يكون من الضروري أن يقوم ببث النشاط فى النقاش أحيانًا بطرحه أسئلة جديدة، أو بإدلائه بتعليقات أو إجابات على ما كتبه الأعضاء.

فكر فى هذا الموضوع...

جماعات المناقشة الافتراضية

- قد يكون عسيرًا جمع كل الناس على الشبكة فى وقت واحد، كما أن من المحتمل أن يضطر الباحث إلى إجراء نوع من التفاوض عن طريق البريد الإلكتروني أو عبر الشبكة لضمان أن تكون أوقات النقاش ملائمة للمشاركين.
- من الممكن أن يكون تبادل بعض البيانات الاجتماعية - الديموجرافية (السكانية) فى بداية انعقاد الجماعة مفيدًا فى التغلب على تحفظ الأعضاء وفى بدء الحديث بينهم، كما أنه يوفر معلومات مفيدة عن خلفياتهم الاجتماعية. كما يمكن لهذا التبادل للبيانات أن يدعم المناقشة إن كان الباحث مستعدًا لأن يتبادل مع أعضاء الجماعة بعض البيانات عن نفسه أيضا.
- نظرا لعدم وجود مفاتيح تواصل مرئية يراها الباحث على وجوه المشاركين فتساعده على مواصلة الكلام، فقد يكون من المفيد أن تقضى بعض الوقت، إما قبل تعرف أعضاء الجماعة على بعضهم وإما أثناء ذلك، وأنت تكتشف الطرق المختلفة التى يعبر بها المشاركون عن أنفسهم، كأن يستعملوا - مثلا - أيقونات انفعالية (أى صورًا دالة على مواقفهم الانفعالية) (انظر قائمة المصطلحات) أو لغة متفقا عليها عبر الشبكة أو لغة خاصة بجماعة ثقافية ما.
- ومن شأن بعض الأفراد أن يفكروا ويكتبوا مشاركاتهم على نحو أبطأ من غيرهم، كما أنك - كميسر - تحتاج إلى أن تنتبه للأفراد الذين يبدو عليهم دائما أنهم غير مواكبين للنقاش، وأن تحرص على أن تشعرهم بأنك تتلقى رسائلهم أو ترد عليهم بشكل ما.

- بوصفك الميسر ، فلن تعرف ما إذا كان المشاركون هم أنفسهم من يقولون أنهم مشاركون ، كما أنك لن تعرف هل يوجد معهم أفراد آخرون أو هل توجد أنشطة أخرى تجرى ممارستها في هذه الأثناء ، مما قد يشتت انتباههم ، أم لا .
- من السهل أن تؤثر الخروج من جماعة مناقشة افتراضية ، إما قبل انعقاد الجماعة أو في أثناء انعقادها ، وذلك بمجرد قيامك بإغلاق سجلها . فهل ستعرف متى يحدث ذلك ، وهل ستعرف لماذا يحدث ذلك ؟ إن هذا التصرف أسهل كثيرا من مغادرتك لمكان انعقاد جماعة مناقشة تلتقي فيه بالمشاركين وجها لوجه .
- ثم ماذا عن فترات الصمت ؟ بصفتك ميسرا ، ماذا تستنتج من لحظات التوقف عن الرد قبل أن تبدأ الإجابات في الوصول إليك ؟

الملاحظة على الإنترنت

تتيح لك الإنترنت إمكانية هائلة وفرصة عظيمة للملاحظة كمشارك في غرف الدردشة أو في جماعات المناقشة ، أو بوصفك «مترصدا خفيا» ، وأعني به الشخص الذي يراقب أو يلاحظ غرفة دردشة أو جماعة مناقشة بدون المشاركة في هذا النشاط . وبالنسبة للباحث الاجتماعي ، تتوفر الفرصة لجمع البيانات المطلوبة لأسئلة البحث والتي تتعلق بالطرق التي بها يستخدم الأفراد الإنترنت ، والطرق التي يتبعونها في مناقشة القضايا على الإنترنت ، والقضايا التي يثيرها المشاركون . وعادة ما تكون البيانات المجموعة في شكل حوارات مكتوبة تجري بين المشاركين . وقد يتم اختيار المشاركين بقصد جمع مادة عن مجموعة بعينها من الأفراد ، وقد يتم اختيار أحد مواقع الشبكة على امتداد فترة من الزمن . ويوصى بعض الباحثين بملاحظة إحدى غرف الدردشة أو «رصدها خفية» كمرحلة تمهيدية قبل تجميع المشاركين في الاستبيانات ، أو المقابلات ، أو جماعات المناقشة .

إن القضايا الرئيسية التي تهكم هنا - إن كنت تفكر في جمع البيانات بهذه الطريقة - إنما تتعلق بأخلاقيات البحث ، كما تتعلق بدورك كباحث مشارك أو باحث «يرصد خفية» ما يدور في جماعة ما . وتشبه هذه القضايا - في جوهرها - القضايا التي تثيرها الملاحظة المباشرة التي تقوم بها كمشارك ، والتي تسمى ملاحظة «العالم الحقيقي» ، أو القضايا التي تثيرها الملاحظة المستترة (انظر فصل 5 باب 1 ، والفصل 6 من هذا الباب) . كما يميل كثير من الباحثين الاجتماعيين المتمرسين إلى الموافقة على أن تجمع البيانات كملاحظ بدون إخبار الأفراد الذين تقوم بملاحظتهم في بعض المواقف . والحقيقة أن هذا الرأي مفاده أنك إن أخبرت الأفراد الذين تقوم بملاحظة سلوكهم بهذا الأمر ، فإنك تجازف بتغيير هذا السلوك أو تجازف بتعريض نفسك للعجز التام عن الاستمرار

فى جمع البيانات لأنه لا يتوافر لديك الموافقة عن علم ، والتى يعطيك إياها المشاركون فى بحثك (انظر فيما بعد للاطلاع على المزيد من مناقشة القضايا الأخلاقية فى البحث باستعمال الاتصال عبر الحاسب).

اختيار العينات وتجميع المشاركين فى الاستبيانات ، والمقابلات ،

وجماعات المناقشة الإلكترونية

يمكن لقوائم الإنترنت والبريد الإلكتروني أن تستخدم كمصادر معلومات عن المشاركين فى البحث ، وذلك فى كل من عملية جمع البيانات عبر الشبكة أو جمع البيانات باستعمال وسائط أخرى خارج الشبكة.

المثال (10-1)

اختيار جمع البيانات عبر الشبكة أو خارجها

يحتاج الباحث الطالب إلى دراسة الطريقة التى يتبعها الطلاب الذين يدرسون العلوم الاجتماعية فى اختيار مهنتهم فى المستقبل ، وفى اختيار اللجوء إلى استخدام قسم العلوم الاجتماعية (الذى هو واحد من طلبته) لتجميع المبحوثين .

يمكن الاستفادة بدليل البريد الإلكتروني الخاص بالقسم الذى يدرس به الطالب باعتباره مجتمع البحث الذى تستخرج منه عينة عشوائية (وقد تكون مقسمة تبعاً للسنة الدراسية أو النوع) . بعد ذلك يمكن الاتصال بالطلاب عن طريق إرسال خطابات إليهم ، أو الحديث معهم بالهاتف ، أو إرسال بريد إلكترونى لهم يدعوهم للمشاركة فى أحد البحوث .

يمكن أن يتم جمع البيانات عن غير طريق الشبكة ، وذلك فى مقابلات مباشرة يتم تنظيم مواعيدها بالبريد الإلكتروني (الباب الأول) ، أو يمكن جمع البيانات إلكترونياً باستعمال استبيان إلكترونى أو جماعة مناقشة إلكترونية ، مع توجيه الطلاب - داخل رسالة البريد الإلكتروني - إلى أحد مواقع الشبكة (الباب الثانى) .

جدول رقم (10-1): طريقتا جمع البيانات إلكترونياً ولا إلكترونياً

تجميع المشاركين بطرق غير إلكترونية	جمع المعلومات لا إلكترونياً	جمع المعلومات إلكترونياً
أ	ب	
ج	د	

ويمكن كبديل لذلك أن توضع على موقع الشبكة الخاص بالقسم العلمي صفحة بيانات تفصيلية (وصلة) تشتمل على معلومات عن البحث أو عن عنوان البريد الإلكتروني للباحث ، ويطلب من الطلاب أن يضغطوا على «الماوس» للدخول على هذه الصفحة إن كانوا راغبين في المشاركة في البحث . ونلاحظ مجدداً أنه يمكن إجراء جمع البيانات بطرق غير إلكترونية من خلال المقابلات المباشرة أو جماعات المناقشة (الباب الثالث) أو قد يوجه الطلاب إلى أحد الاستبيانات الإلكترونية أو يرسل إليهم استبيان إلكتروني بالبريد الإلكتروني (الباب الرابع).

نحن هنا مشغولون بالقضايا التي تدور حول موضوع اختيار العينة وتجميع المشاركين في البحث إلكترونيا (انظر فصل 5 باب 2 للاطلاع على مناقشة وافية لاختيار العينة). هيا بنا نفكر في عملية التجميع بالنسبة للحالة (ج) (أي جمع البيانات بطرق غير إلكترونية، والحالة (د) (أي جمع البيانات إلكترونيا) عند تجميع المشاركين إلكترونيا، في المثال رقم (1-10) المذكور أعلاه. فمن هم الذين يمكن إدراجهم في البحث ومن هم الذين يمكن استبعادهم منه؟

1 - في هذا المثال، من المرجح تماما أن يتوافر لمعظم الطلاب الوسيلة والمهارات اللازمة للتمكن من زيارة موقع القسم العلمي على الشبكة.

2 - ولكن إن لم يكن مطلوبا من الطلبة أن يقوموا بزيارة هذا الموقع، كأن تكون هذه الزيارة واجبا دراسيا عليهم إنجازها، فمن النادر أن يقوم بعض الطلبة بتسجيل أسمائهم والدخول عليه.

3 - من يقومون بزيارة الموقع قد يسجلون أسماءهم لتحقيق غرض خاص جداً ويفوتهم الحصول على صفحة البيانات التفصيلية (عن البحث وكذلك البريد الإلكتروني للباحث).

4 - قد يتصور طلبة آخرون أن هذا البحث شيق، فيدقون الماوس ليطلبوا الحصول على صفحة البيانات التفصيلية وحينئذ يكتشفون أنه يتوجب عليهم أن يبعثوا برسالة بريد إلكترونية إلى الباحث الطالب، أو يتوجب عليهم أن يستوفوا كتابة معلومات مفصلة عن أنفسهم فيقرون -من فورهم- ألا يزعموا أنفسهم بهذا البحث لأن عليهم واجبا دراسيا يجب أن ينجزوه في بحر ساعات قليلة.

5 - أما أولئك الذين يقومون - فعلا - باتخاذ الخطوة الأولى في المشاركة في البحث عن طريق إرسال رسالة إلكترونية أو كتابة المعلومات في الخانات المخصصة لها على طلب الاشتراك قد يكتشفون وقتها أنهم مطالبون بالمشاركة في جماعة مناقشة وأنه ليس لديهم الوقت لذلك، أو يبدؤون ملء الاستبيان ثم يتشتت انتباههم بسبب وصول رسالة مكتوبة إليهم أو بسبب صديق يتصل بهم تليفونيا.

6 - وهكذا قد تكون الاستجابة قليلة بشكل لافت ، أمّا ما هو أكثر من ذلك : فهو أن الطالب الباحث لن يعرف السبب الذى جعل الآخرين لا يستجيبون . وسيكون الأفراد الذين يشاركون فعلا عبارة عن مجموعة منتقاة ذاتيا ، حتى وإن يكن هذا الانتقاء من بين مجتمع بحث معروف ومحدد الهوية .

تسببت طريقة التجميع فى تقديم أنماط بعينها من التحيز (فصل 5 باب 2) داخل العينة ، مما يعنى ضمنا أنه لا يمكن النظر إلى هذه العينة باعتبارها عينة ممثلة ، إلا أن بالإمكان النظر إلى البيانات المجموعة من هذه العينة باعتبارها - رغم ذلك - بيانات «دالة» على جماعة الأفراد التى استخرجت منها هذه العينة .

فى هذه الحالة يكون مجتمع البحث الذى استخرجت منه العينة معروفا . وفى كثير من الحالات التى يتم فيها تجميع المستجيبين إلكترونيا يكون من المتعذر مجرد تقدير الحجم الذى قد يكون عليه حجم مجتمع البحث . من ذلك مثلا أنه لو تم جمع المستجيبين من أحد المواقع الموجودة على الشبكة ، والتى يستخدمها أفرادا مهتمون بفرقة موسيقية معينة ، فمن المستبعد أن نجد طريقة لمعرفة عدد الأفراد الذين زاروا هذا الموقع أو عدد الذين اهتموا بالمشاركة فى البحث . ومرة أخرى نقول إن هؤلاء المستجيبين يتم اختيارهم ذاتيا ، وإنه بدون وجود دافع ما لديهم للمشاركة ، فالأرجح أن تسفر هذه العملية فى نهاية الأمر عن عينة صغيرة الحجم . ولن يعرف الباحث ما إذا كان الذين استجابوا له ممثلين لجمهور المعجبين بهذه الفرقة الموسيقية أو ممثلين لمن يستخدمون هذا الموقع بعينه .

هل هذه الطريقة فى البحث «جيدة بما فيه الكفاية» ؟

علينا أن نفكر مليا فيما إذا كانت توجد طرق أخرى لتجميع المشاركين فى البحث مع مراعاة عامل الزمن ، والموارد ، وإمكانية الوصول إلى مجتمع البحث ، وكذلك مراعاة طبيعة البيانات التى يحتاج الباحث لأن يجمعها - فقد تكون هذه أفضل وسيلة متاحة للعثور على مشاركي بحث لهذه الدراسة وقد تكون «جيدة بما فيه الكفاية» .

وقد رأينا فيما سبق أن استخدام الإنترنت فى العثور على مجتمعات البحث الخفية قد يعنى أن بالإمكان تنفيذ دراسة لا يمكن تنفيذها بغير هذه الطريقة . كما قد يزداد احتمال استجابة بعض جماعات الأفراد إن كانوا يستطيعون المشاركة باستعمال الاتصال عبر الحاسب وليس الاتصال المباشر . وقد يكون هذا بالذات هو ما يحدث عندما نكون بصدد دراسة بعض الموضوعات الحساسة .

القضايا الأخلاقية المرتبطة باستخدام الاتصال عبر الحاسب في البحث الاجتماعي

يثير القيام بأى بحث اجتماعى بعض القضايا الأخلاقية، لأن البحث الاجتماعى يتناول البشر والمعلومات المتعلقة بهم، وظروفهم، ومشاعرهم وآرائهم، كما تنشأ علاقة اجتماعية بين الباحث والشخص موضوع البحث بوصفه كائناً إنسانياً مماثلاً. وقد سبق أن شرحنا هذه القضايا وألقينا الضوء على معالمها (فصل 5 باب 1)، ولذلك سوف نقتصر هنا على الإشارة إلى عدد من القضايا التى تثار فى مجال الاتصال عبر الحاسب.

الموافقة عن علم (فصل 5 باب 1)

إذا كان التفاعل بين الباحث والباحثين قد تم إلكترونياً، فكيف يستطيع الباحث أن يتأكد من أن البحوث تتوافر لديه كل المعلومات اللازمة لتقديم موافقته على المشاركة فى البحث عن علم؟ وكيف يستطيع الباحث معرفة أن المشارك قد وافق بدون توقيعه على إقرار بذلك أو بدون تأكد من ذلك نابع من اللقاء المباشر وجهاً لوجه؟

يمكن إتاحة المعلومات الكاملة عن البحث على مواقع الشبكة ومن خلال البريد الإلكتروني، كما ينبغي أن تحتوى على بريد إلكترونى للاتصال الشخصى أو عنوان بريدى للمستجيبين الذين يرغبون فى متابعة البحث بالأسئلة والتعليقات. ويمكن إعطاء الأشخاص الذين يحتمل أن يشاركوا فى البحث فرصة لأن يبعثوا برسالة بريد إلكترونى بالموافقة أو أن يدقوا «الماوس» عند ظهور صندوق خاص بالموافقة على الشاشة بين رغبتهم فى المشاركة. ويذهب البعض إلى أنه حيث يقوم الباحثون باختيار أنفسهم، فإن هذا يعد - فى حد ذاته - شكلاً من أشكال الموافقة على المشاركة عن علم. إلا أن مسئولية الباحث تقتضى أن يستوثق من أنه قد تم تنبيه المشارك إلى كل المعلومات المتعلقة بالبحث. لاحظ أيضاً أن المشاركين لديهم اختيارات أسهل للانسحاب عندما يتم الاتصال عبر الحاسب - فهم يستطيعون ببساطة ألا يجيبوا وأن يخرجوا من التسجيل فى البحث.

السرية، وتجهيل الهوية، والخصوصية (فصل 5 باب 1)

عندما يجرى استخدام الاتصال عبر الحاسب فى جمع البيانات، قد لا يكون المستجيبون معروفين إلا من خلال عنوان بريد إلكترونى أو ربما عن طريق اسم مستخدم يختاره المستجيب نفسه. وربما يكون بعض المشاركين قد قاموا - قبل ذلك - بإخفاء هويتهم بشكل ما داخل غرفة الدردشة أو داخل جماعة المناقشة، وقد يكون لكل منهم واحدة أو أكثر من «الهويات الافتراضية». وقد لاحظ تشو Cho ولاروز (Larose 1999) أن من الشائع استخدام الهويات الزائفة - على الإنترنت، ونحن

نرى أنه يجب على الباحث أن يفكر في سبب حدوث ذلك . فهذا في حد ذاته يمكن أن يزودنا بالقدر المنشود من إخفاء هوية المبحوث وضمان عنصر السرية أثناء جمع البيانات وأثناء كتابة أى تقرير عن البحث . وأياً ما كان الأمر ، فإن الإنترنت ساحة عامة ، وحتى لو كان بالإمكان أن نضع أيدينا على بعض البيانات المستمدة من غرف دردشة خاصة أو رسائل بريد إلكترونية شخصية ، أو تلك التى تغاضى عنها الآخرون فى هذه الغرفة ، أو التى تم تمريرها للآخرين ، فلا بد أن يستوثق الباحث من اتخاذ الحيلة البالغة لضمان السرية .

إذا اشترك عدد من الأفراد فى جماعات مناقشة متزامنة أو غير متزامنة ، مثلاً ، فلا بد أن يفهم هؤلاء الأعضاء بوضوح أن كل المشاركين سيقروون رسائلهم وربما سيكونون قادرين على تمييز عناوين رسائل البريد الإلكتروني التى يبعث بها الآخرون . فإن كانت هذه الغرفة غرفة عامة للدردشة ، فإن البيانات التى يجرى حينئذ جمعها تكون بيانات عامة بالفعل . كذلك تعتبر بيانات عامة تلك المادة المستمدة من المدونات ومواقع الشبكة الشخصية التى ينبغى الإشارة إليها كمادة معلنه للجمهور . ومعروف أن لبعض غرف الدردشة وجماعات المناقشة شروطها المتعلقة بالخصوصية ، فعليك أن تستوثق من أنك تلتزم بهذه القواعد والأعراف المتبعة .

الخداع (فصل 5 باب 1)

فى التفاعلات التى تجرى أثناء الاتصال عبر الحاسب بين الباحث والمبحوثين ، قد يكون للباحث ، وكذلك للمبحوثين ، هوية افتراضية . لذلك لا يمكن للباحث أن يتأكد بشكل قاطع أبداً من عمر ، أو جنس ، أو إثنية مبحوثيه على الشبكة (هيو سن Hewson وآخرون ، 2003) . كما لا يكون المبحوثين على يقين أبداً من هوية الباحث . فإن كنت تشارك فى غرفة دردشة أو ترصدها خفية ، فقد تسعى عامداً لخداع أعضاء هذه الجماعة لكى تستطيع ملاحظتها وجمع بياناتها . وقد يعتبر بعض الباحثين هذا التصرف تصرفاً غير أخلاقى ، كما يتعين عليك أن تفكر - بعناية - فى سائر القضايا التى ينطوى عليها هذا التصرف وأن تناقشها مع مشرفك العلمى ، ومع لجنة أخلاقيات البحث (فى كليتك أو جامعتك) قبل مباشرتك لمثل هذا الخداع .

حتى لو كان الباحث صريحاً وواضحاً فيما يتعلق بموضوع البحث ، فإن المبحوثين سيقفون مواقف الإدراك البصرية ، التى تتوفر تلقائياً فى المقابلة أو جماعة المناقشة المباشرة ، وهى المفاتيح التى قد تساعد على تقرير ما إذا كانوا سيشاركون أم لا ، أو تقرير ما يقال وما لا يقال ، وما إذا كانوا يتقنون بالباحث أم لا . وقد يكون مفيداً ، خاصة فى جماعة مقصورة على مشاركى البحث فقط ، وضع صورة فوتوغرافية للباحث ، مثلاً ، مع تزويد المبحوثين بمعلومات عن خلفية البحث وكذلك معلومات عن خلفية الباحث .

وأيا ما كان الأمر ، فلا بد كذلك من الحرص على التأكد من كفاءة سلامتك الشخصية ، كما أن عليك أن تفكر بعمق في النتائج التي يمكن أن تترتب على إفصاحك عن معلومات تتعلق بشخصيتك لأفراد مجهولين لك على موقع من مواقع الشبكة متاح للجميع .

بحثك

الخصوصية في مسح الإنترنت

قام تشو (Cho ولا روز (Larose 1999) بدراسة موضوع الخصوصية في المسوح الاجتماعية التي تجرى على الإنترنت . وقد تناول البحث هذه القضية انطلاقاً من منظور دراسة العلم الاجتماعي للخصوصية ، في محاولة لفهم ما يتسم به البحث المسحي عبر الإنترنت من وضع فريد للخصوصية . فالباحثون الذين يجرون المسوح الاجتماعية الإلكترونية يرتكبون من الانتهاكات المتعددة للخصوصية المادية ، والمعلوماتية ، والنفسية ما يمكن أن يكون أكثر حدة من الانتهاكات التي ترتكب عند استخدام طرق المسح التقليدية . كما أن مسح الإنترنت تنتهك حرمة الخصوصية الثقافية للمجتمعات الإلكترونية ، وهو شكل من أشكال انتهاك الخصوصية يندر أن يواجهه الباحثون في حالة استعمال طرق المسح التقليدية .

وقد توصل الباحثان إلى هذه النتيجة من واقع تحليل ما يقرب من 15 دراسة مسحية أجريت على الإنترنت نفذها باحثون أكاديميون على امتداد فترة 12 سنة (وقد أجرى أحد هذه المسوح في سنة 1986 ، وهو ما ينبغي - فعلاً - أن ينظر إليه كعمل رائد في هذا المجال ، نظراً لأن هذا التاريخ كان تاريخاً مبكراً جداً لإجراء البحث باستعمال البريد الإلكتروني!).

يختم الباحثان مقالتهما بتقديم بعض التوصيات النافعة في تحسين مستوى معدلات الاستجابة للمسح الإلكتروني ، والتي تتضمن ما يلي:

- قدم للمشاركين حوافز ، كشهادات استحقاق لمنحة (وقد تكون المنحة كبيرة إن كان يتوافر لك اعتماد مالي ، إلا أن كثيراً من الدارسين لا يفعلون ذلك؛ لأن هذا التصرف يثير بعض القضايا الأخلاقية ، أيضاً) .
- اجمع البيانات المعروضة على امتداد صفحة الشبكة ، فهذا أيسر بالنسبة للمشارك ، لأن في هذا التصرف ، عادة ، قدراً من الجهد أقل مما هو موجود ، مثلاً ، في اضطراره للإجابة عن طريق البريد الإلكتروني .

- استعمل فى المسوح التى تقوم بها خيارات تحوى إجابات متعددة .
- حاول أن تبدو ذا مصداقية . فإن كان بإمكانك الانتفاع بموقع الشبكة الخاص بكليتك / أو جامعتك كأساس للمسح الذى تقوم به ، فإن هذا التصرف جدير بأن يعد تصرفا «واقعيًا» و «مفيدًا» .
- خذ فى الاعتبار موضوع الأمن . لا تتوقع من المشاركين أن يقدموا لك معلومات حساسة إن كنت لا تستطيع أن تؤمن هذه المعلومات فى المستقبل من اطلاع بعض الأطراف الخارجية عليها .
- ونقترح عليك أيضا أن تدخل فى حسابات القضايا الأخلاقية التى ناقشناها فى الفصل 5 من الباب 1 .

صدق البيانات المجموعة إلكترونيا

مع أن نفس القضايا المتعلقة بصدق البيانات تنطبق على كل من البيانات المجموعة إلكترونيا (الفصلين 3 و4 باب 1) والبيانات التى تجمع بالطرق الأخرى ، فإن مجهولية الهوية على الإنترنت وإمكانية مغادرة المشارك لموقع البحث بسهولة بدون أى لقاء مباشر مع الباحث أو مع المشاركين الآخرين يمكن أن يعنى أن من السهل على المستجيبين أن يكذبوا على الباحث ، أو يضللوه ، فى أقل تقدير . ومع أن بالإمكان إدراج أدوات المراجعة فى داخل الاستبيان الإلكتروني (وهى أساليب التحقق من أن الإجابات متسقة منطقيا مع بعضها وليس بينها تعارض أو تناقض) ، فقد يكون من العسير على الباحث أن يكشف أوجه التضارب فى الإجابات ، أو أن يستكشف أعماق روايات المستجيبين خلال المقابلات الإلكترونية أو جماعات المناقشة الإلكترونية ، حيث يكون بوسع المستجيب أن ينسحب بكل بساطة من البحث . وكما هو الحال مع معظم طرق جمع البيانات الأخرى ، يظل بالإمكان دائما أن تكون هذه البيانات المجموعة بمثابة تحريف متعمد للواقع الاجتماعى الذى يزعم أنها تمثله . كذلك يجب على الباحث أن يتنبه لهذا الاحتمال ، وفى نفس الوقت الذى يدرك فيه جيدا أن إخفاء الهوية على الإنترنت قد يترتب عليها أن يحرص بعض المستجيبين على تقديم قدر من خبراتهم وأرائهم أكبر مما يمكن أن يقدموه فى اللقاءات المباشرة وجهًا لوجه .

إتيكيت النت (آداب التعامل اللائق على الشبكة)

لا يزال الاتصال عبر الحاسب ممارسة جديدة نسبيا وإن كانت آخذة فى التطور بسرعة ، وهى قادرة على تجاوز الحدود القومية والحدود الثقافية ، حتى إنه ليس من الواضح تماما ما هو القانونى والمقبول عند التواصل إلكترونيا . وأن ما كان الأمر ،

فإنه يجرى حالياً تطوير موثيق السلوك وتطوير القواعد فى كثير من مجالات التعامل الإلكتروني، والتي تهدف أساساً للحيلولة دون استخدام لغة بذيئة، أو مهينة، أو مثيرة للغضب. وتشتمل هذه الموثيق على النصائح الخاصة بالممارسة القويمة داخل مختلف سياقات التعامل الإلكتروني. عليك أن تقوم بمراجعة بعض الأمثلة على الشبكة. راجع دليلاً مفيداً هو دليل المستخدم ليستسيرف LISTSERV على الموقع التالى: www.Isoft.com/manuals/1.8d/userindex.htm (وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس 2009). كما يمكنك إلقاء نظرة على دليل ألبيون Albion على الموقع التالى: www.albion.com/netiquette وقد تم آخر دخول عليه بتاريخ 21 أغسطس سنة 2009، وتأكد من أنك على دراية بنوع دليل الإتيكيت (آداب التعامل) على الشبكة الذى يخص البيئة التى تجمع منها بياناتك.

بحثك

إتيكيت الشبكة للباحثين الاجتماعيين

- ينبغي ألا تشتمل الرسائل واللافتات التى تظهر فى رسائل البريد الإلكتروني الخاصة أو فى غرف الدردشة العامة؛ ينبغي ألا تشتمل على لغة بذيئة، أو مهينة، كما ينبغي أن تراعى منع مشاركى البحث إن استخدموا مثل تلك اللغة.
- كن مقدراً تماماً لثقافة مبحثك المتعلقة بما تستعمله أنت من اللغة، والدعابة، والأسلوب.
- حاول استعمال «لغة» مبحثك - أيقوناتهم العاطفية، واختصاراتهم، وجملهم الموجزة، إلى آخره - ولكن لا تفعل ذلك إلا إذا كنت متأكداً أنك لا تستبعد - بذلك - أفراداً قد لا يفهمون ما تقوله.
- احرص على احترام خصوصية رسائل البريد الإلكتروني الخاصة - خاصة عندما تبعث برسائل إلكترونية أو ترد عليها داخل جماعة مناقشة تستخدم هذه الرسائل الإلكترونية.
- كن شديد التنبه لما هو متاح لمبحثك من مهارات ووسائل تتعلق بإمكان الوصول إلى الحواسيب والبرمجيات.
- راجع على الدوام رسائلك ولافتاتك فيما يتصل بمحتواها، ولغتها، و«أسلوبها العام» - فمن السهل أن «تبدوا حادة» أو تبدوا متجاوبة.
- تجنب أن تبعث برسائل جماعية يمكن أن ينظر إليها كأنها معلبات (أى: موحد الصياغة لا تراعى الفروق بين المشاركين).

بحثك

- مزايا استخدام الاتصال عبر الحاسب في جمع بيانات للبحث الاجتماعي
- مفيد في البحث الذي يشتمل على أفراد متباعدين جغرافيا عن بعضهم البعض أو عن الباحث .
- مفيد في البحث الذي يتعامل مع مجتمعات بحث خفية .
- مفيد في البحث الذي يضم جماعات من الأفراد لا يستطيعون أن يلتقوا وجها لوجه .
- قد يكون من الأسهل كفالة تجهيل الهوية وضمان السرية .
- يشعر بعض الأفراد بأن مناقشة القضايا الحساسة أو الشخصية إلكترونيا أسهل من مناقشتها في المواجهة بصورة مباشرة .
- قد يكون «تأثير الباحث في المبحوثين» ، وهو التأثير الناجم عن صفاته الشخصية المرئية، كالعمر ، أو الجنس ، أو الإثنية مثلا ، أقل في حالة الاتصال إلكترونيا .
- ربما يقل احتمال أن يقدم المستجيبون إجابات تحظى بدرجة عالية من القبول الاجتماعي .
- من الممكن للاتصال عبر الحاسب أن يكون أرخص تكلفة من طريقة الاتصال الورقي (من خلال الاستبيانات) أو طريقة الاتصال المباشر ، وذلك في حالة ما إذا كان الباحث والمبحوثون لديهم وسيلة اتصال رخيصة أو مجانية عبر الحاسب .
- لا تحتاج المقابلات أو جماعات المناقشة إلى تسجيلها ونسخها .
- إن كان لديك المهارة والوسائل الخاصة بالاتصال عبر الحاسب فقد تكون قادرا على نقل بيانات ما تقوم به من مسح اجتماعي أو مقابلة مباشرة وإدخالها في برنامج تحليلي كمبيوترى (كبرنامج إكسل Excel ، أو الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية أو «إن فيفو» NVivo^(*)).

(*) الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS : هي أشهر حزم برامج الكمبيوتر وأكثرها استخداما بين علماء الاجتماع الأكاديميين. وقد تم تطويرها في الولايات المتحدة بواسطة بعض علماء الاجتماع من أجل تقديم عدد من التسهيلات، مثل الجدولة، والتحليل المتعدد المتغيرات، وجميع اختبارات الدلالة الإحصائية التي تناسب بيانات المسح بالعينة. وكانت الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS قد وضعت في الأصل لاستخدام الحاسبات الآلية الكبيرة، وحتى عقدين مضيا كانت أحدث نسخة من هذه الحزمة (واسمها SPSS-X) هي الوحيدة التي تصلح للاستخدام على مثل هذه الحاسبات الآلية الكبيرة. وإن كانت قد صدرت مؤخرا نسخة للاستخدام على الحاسبات الشخصية ماركة آي بى إم IBM-PC وتعرف باسم (SPSS-PC+)، وقد اكتسبت شهرة واسعة تدريجيا. ونلاحظ أن الذين يقومون ببحوث السوق، ويحتاجون إلى نتائج من نوع التقارير، وكذلك الباحثين الذين يتعاملون مع إحصاءات المسوح والتعداد الضخمة التي تتم لصالح الحكومات يلجأون في العادة إلى لغات برامج وحزم أكثر كفاءة وأكثر قوة. وقد بدأ علماء الاجتماع يهجرون تدريجيا الحزمة الإحصائية=

- تتوفر للجميع على الإنترنت تشكيلة كبيرة من البيانات الشخصية والاجتماعية ، بما فيها من مناقشات تجرى فى غرف الدردشة وفى المدونات .
- عادة ما تكون البيانات فى صورة مكتوبة بالفعل ، ومن ثم فلا حاجة لنسخها .
- عيوب استخدام الاتصال عبر الحاسب فى جمع بيانات البحث الاجتماعى
- لا بد أن يتوافر للباحث والمبـحثين المهارات والوسائل اللازمة للانتفاع بالاتصال عبر الحاسب .
- قد تستبعد بعض جماعات الأفراد من البحث لعدم توافر هذه المهارات والوسائل لهم ، مما يؤدى إلى أن تكون العينة متحيزة .
- يقل احتمال الوصول إلا عينة ممثلة إذا كان المبـحثون هم الذين اختاروا أنفسهم إلكترونيا .
- لن يعرف الباحث إلا معلومات قليلة ، أو لن يعرف شيئا ، عن الأفراد الذين لا يشاركون أو الذين يتركون البحث قبل استيفائه .
- تفتقر المقابلات وجماعات المناقشة الإلكترونية إلى مفاتيح التواصل المرئية ، ونبرة الصوت والتعبيرات عن المشاعر ، وهى الأمور التى غالبا ما تكون موجودة فى حالة جمع البيانات مباشرة .
- قد تزداد صعوبة التأكد من أن المشاركين قدموا موافقتهم على الاشتراك فى البحث عن علم .
- قد لا يكون المبـحثون نفس الأشخاص الذين يقولون أنهم هم ، بمعنى أنه قد يدعى المبـحثون لأنفسهم شخصيات لا تمثل حقيقتهم الفعلية .
- لابد للباحثين الراغبين فى الملاحظة أو فى «الترصد خفية» على الإنترنت أن يدخلوا فى حساباتهم ما يتضمنه هذا التصرف من قضايا أخلاقية عند جمع البيانات بدون أن يحصلوا من المبـحثين على موافقتهم الدالة على علمهم بذلك .

=العلوم الاجتماعية ويقولون على حزم أقوى منها وأسهل فى الاستخدام. انظر باللغة العربية: عبد الحميد عبد اللطيف، استخدام الحاسب الألى فى مجال العلوم الاجتماعية، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠. (المترجم)

بحثك

اختبار جودة البحث: جمع البيانات عبر الحاسب

- هل البيانات التي يمكنك أن تجمعها «جيدة» بما فيه الكفاية؟
- ألا يضيرك عدم رؤيتك للمشاركين؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره؟)
- هل يقلقك أن يستغل كثير من مستخدمي الإنترنت هويات زائفة؟ (هل لذلك تأثير على صدق البحث وإمكانية تكراره).
- إذا كانت معدلات الاستجابة منخفضة بشكل واضح، فهل من الأمور المهمة أنه قد لا يتوافر لك طريق لاكتشاف سبب هذا الانخفاض؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bampton, R. and Cowton, C. J. (2002) The e-interview, *Forum Qualitative Social Research*, 3.
- Bowker, N. and Tuffin, K. (2004) Using the online medium for discursive research about people with disabilities, *Social Science Computer Review*, 22: 228-41.
- Cho, H. and Larose, R. (1999) Privacy issues in internet surveys, *Social Science Computer Review*, 17: 421-34.
- Coomber, R. (1997) Using the internet for survey research, *Sociological Research Online*, 2.
- ESRC (2007) E-society – Innovative Academic Research on the Digital Age, available online at www.york.ac.uk/res/e-society/projects.htm (accessed 21 August 2009).
- ESRC Virtual Online Research Methods Modules, www.geog.le.ac.uk/ORM/site/home.htm (accessed 21 August 2009).
- Fricker, R. D. and Schonlau, M. (2002) Advantages and disadvantages of internet research surveys: evidence from the literature, *Field Methods*, 14: 347-67. Available from www.websm.org/uploadi/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).
- Hewson, C., Yule, P., Laurent, D. and Vogel, C. (2003) *Internet Research Methods*, London: Sage.
- Hillier, L. and Harrison, L. (2007) Building realities less limited than their own: young people practising same-sex attraction on the internet, *Sexualities*, 10: 82-100.
- Higher Education Academy (2009) www2.heacademy.ac.uk/forum/ (accessed 15 August 2009).
- Internet World Stats (2009) Internet Usage in European Union, available online at www.internetworldstats.com/stats9.htm#eu (accessed 12 December 2009).
- Johns, M. D., Chen, S. S. and Hall, G. J. (eds) (2004) *Online Social Research: Methods, Issues, and Ethics*, New York: Peter Lang.
- Kenny, A. J. (2004) Interaction in cyberspace: an online focus group, *Journal of Advanced Nursing*, 49: 414-22.

- Kivits, J. (2005) Online interviewing and the research relationship, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.
- Madge, C. (2006) Online Questionnaires, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/questionnaires/quescontents.htm (accessed 22 February 2007).
- Madge, C. (2006) Online Research Ethics, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/ethics/ethcontents.htm (accessed 22 February 2007).
- Mann, C. and Stewart, F. (2000) *Internet Communication and Qualitative Research*, London: Sage.
- O'Connor, H. (2006) Online Interviews, available from www.geog.le.ac.uk/ORM/interviews/intcontents.htm (accessed 22 February 2007).
- O'Connor, H. and Madge, C. (2001) Cyber-mothers: online synchronous interviewing using conferencing software, *Sociological Research Online*, 5.
- Office for National Statistics (2009a) Statistical Bulletin: Internet Access 2009, available online at www.statistics.gov.uk/pdfdir/iah0809.pdf (accessed 12 December 2009).
- Office for National Statistics (2009b) Historical Households with Access to the Internet dataset, available online at www.statistics.gov.uk/StatBase/Product.asp?vlnk=5672_ (accessed 12 December 2009).
- Orgad, S. (2005) From online to offline and back: moving from online to offline relationships with research informants, in C. Hine (ed.) *Virtual Methods: Issues in Social Research on the Internet*, Oxford: Berg.
- Roster, C. A., Rogers, R. D., Albaum, G. and Klein, D. (2004) A comparison of response characteristics from web and telephone surveys, *The International Journal of Market Research*, 46. Available from www.websm.org/uploadi/editor/advantages%20and%20disadvantages%20of%20internet%20research%20surveys.pdf (accessed 21 August 2009).
- Scott, S. (2004) Researching shyness: a contradiction in terms? *Qualitative Research*, 4: 91–105.
- Stewart, K. and Williams, M. (2005) Researching online populations: the use of online focus groups for social research, *Qualitative Research*, 5: 395–416.

الباب الرابع

تحليل البيانات

- الفصل الأول : بدء التحليل
- الفصل الثانى : معالجة البيانات.
- الفصل الثالث : التحليل الإحصائى .
- الفصل الرابع : تحليل الموضوعات .
- الفصل الخامس : تحليل السرد .
- الفصل السادس : تحليل الخطاب .
- الفصل السابع : تحليل المضمون .
- الفصل الثامن : النظرية الموثقة .
- الفصل التاسع : استخدام الحاسب فى تحليل البيانات .
- الفصل العاشر : وماذا بعد؟ استخلاص النتائج .

الفصل الأول

بدء التحليل

محتويات الفصل

- ملامح التحليل .
- فكرة موجزة عن النتائج .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

لا يكفى أن تتوافر لك بعض أسئلة البحث وتجمع بعض البيانات (حتى حينما تكون على فهم ودراية بالنظرية التى تستند إليها فيما تفعله) . فالبيانات التى تجمعها تعد بمثابة المادة الخام للإجابات التى ترد على أسئلة بحثك ، ولكن هذه الأسئلة لا تستطيع - للأسف الشديد - أن تجيب عن نفسها ، ولذلك يتعين عليك أن تباشر بنفسك المرحلة التحليلية لبحثك . يقدم هذا الفصل مفهوم التحليل كتمهيد للتقنيات التحليلية المفصلة التى سوف نستفيض فيها فى الفصول التالية .

الخبر السعيد هنا هو أنك قد بدأت بالفعل تحليلك!

فالتحليل (انظر قائمة المصطلحات) يبدأ بمجرد تفكير الباحث فى مشروع بحثه . لهذا عندما تكتمل عمليات تصميم المشروع وتخطيطه ، لابد أن تكون خطة التحليل وعملياته قد أصبحت واضحة (انظر الباب الثانى) . وتكون لهذا الأمر أهمية ملحوظة فى حالة استخدام بعض الطرق المعينة فى جمع البيانات (انظر الباب الثالث) لأن طريقة جمع البيانات ترتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاه التحليلى الذى تختاره . من ذلك مثلا أن بيانات المقابلة المقننة لا يمكن عادة تحليلها باستعمال الطرق السردية (فصل 7 باب 3) .

وهكذا يبدو واضحا أن عملية جمع البيانات أمر على جانب كبير من الأهمية. ومع ذلك، ليست القضية الأساسية هي مجرد الجمع وحسب. فالمرء لا يمكنه، عقلا، أن يقتصر على جمع البيانات وتقديمها كبحث (رغم أن الأفراد كثيرا ما يفعلون ذلك، وعادة ما يكون ذلك التصرف مؤديا إلى نتائج غير محمودة). فبيانات البحث ليست مفسرة لنفسها بنفسها ولا تتحدث (أبدأ!) عن نفسها؛ لأن التحليل أمر لا بد منه.

ولما كانت مشروعاتنا البحثية تقوم بجمع البيانات (فصل 3 باب 1) فمن الطبيعي أن نتكلم عن تحليل البيانات. غير أن تحليل البيانات ليس شيئا أحاديا أو عملية أحادية، بل الأصح أنه مجموعة من الطرق التي يمكننا تطبيقها على البيانات التي جمعناها بهدف رسم صورة لها، وتأويلها، وشرحها وتقييمها (وقد لا نقوم بكل هذه الأمور، (انظر فصل 4 باب 1). ويمكننا أيضا استخدام بعض هذه العمليات عنها نكون بصدد استخراج الأنماط الموجودة في البيانات (كأن يكون لمشاركين مختلفين خبرات متشابهة، مثلا) واستعمالها في الإجابة على أسئلة بحثية، وفي اختبار فروضنا. كما يستخدم التحليل، أحيانا، في تغيير شكل البيانات حتى يصبح من الميسور فهمها بصورة أوضح (أو ربما ليفهمها عدد أكبر من الأفراد). إن كل علم - اجتماعيا كان أم غير اجتماعي - يستخدم تحليل البيانات، كما أنه يستخدم في المبيعات، والإدارة العامة، وقطاع الأعمال، وفي صنع السياسة.

ويحاول هذا الباب من الكتاب إلقاء الضوء على تقنيات مختلفة للتحليل وكيفية تطبيقها عمليا. ومع ذلك، وبصرف النظر عن عمليات تحليل البيانات التي تستخدمها، فثمة بعض الملامح التي تشترك فيها كلها.

ملامح التحليل

يهدف تحليل البيانات إلى رسم صورة لمضمون وسمات البيانات التي جمعتها في مشروعك البحثي، ومناقشتها، وتقييمها، وشرحها. وتسمى هذه المرحلة (أو: هذا الفصل في الرسالة العلمية) عموما «نتائج» البحث. لاحظ أنه لا ضرورة لأن يكون لديك فصل مستقل للنتائج، وإن كان كثير من الباحثين يفعلون ذلك. ويقوم غيرهم بربط فقرة النتائج بالمناقشة. وأخيرا ينبغي أن يقودنا التحليل إلى خاتمة البحث.

إن أهم ملمحين تشترك كل طرق التحليل في الاتصاف بهما هما أن هذه الطرق:

1 - منهجية: أي إن كل وحدة بيانات في المشروع (سواء أكانت دراسة حالة، أو شخصا، أو حدثا، إلى آخره) يجب أن تعالج بنفس الطريقة.

2 - شاملة: أي إن جميع البيانات التي جمعت لهذا المشروع تكون متضمنة في التحليل .
وثمة ملمح ثالث لطرق التحليل يتعين النظر إليه بصورة مستقلة ، رغم أنه بنفس أهمية الملحقين الأولين وهو كما يلي:

3 - تذكر أنك مهتم بالإجابة على أسئلة بحثك (أو ربما تقوم باختبار أحد الفروض) .
ونحن نؤكد على أهمية الحرص على الإجابة على أسئلتك لأنه يكاد يحدث في كافة المشروعات البحثية أن يتم اكتشاف أمور كثيرة مثيرة للاهتمام ، ولكنها لا تتصل بسؤال البحث (وعليك ألا تتجاهل هذه الاكتشافات ، ولكن يجب ألا تفقد التركيز على بؤرة اهتمام المشروع الذي تقوم به ، وألا تسمح لنفسك أن يصرفها شيء عن قصد) (انظر مثلاً فصل 7 باب 3) .

كيف تبدأ تحليلك ؟

ترسم الفصول التالية (من الثالث حتى التاسع) صورة لمجموعة من تقنيات التحليل المختلفة التي قد تستعملها ، ومع ذلك يحسن بك أن تقول كلمات قليلة عن الفكرة العامة للتحليل وكيف ستشرع في هذه العملية .

1 - فكر فيما قمت بعمله: تذكر أن هذا مشروع بحثي محدد وأنتك ظلت تجمع البيانات لتجيب على السؤال (أو الأسئلة) التي فكرت فيها في مرحلة مبكرة للغاية .

2 - ارجع إلى أسئلة بحثك: من الأهمية أن تذكر نفسك بأسئلة بحثك وبتعريفاتها الإجرائية وكيف قمت بتوظيفها (فصل 4 باب 1) . فإن لم تفعل ذلك ، فإنك تجازف بفقدان بؤرة الاهتمام في البحث ، وبذلك تهدر وقتك وجهدك .

3 - كرر مراجعتك لخطة بحثك: لا ريب أن خطة بحثك ينبغي أن تكون دائماً في بالك . ورغم ذلك ، لا يضيرك أن تعاود النظر إليها ، وأن تتأكد أنك تتابع الإطار العام الذي استقر رأيك عليه (الباب الثاني) .

4 - تذكر: هدف البحث أن يرسم صورة للبيانات ، ويناقشها ، ويقدم تأويلها ، ويشرحها ، ويقيمها ، وأن يصل إلى خاتمة للبحث .

5 - راجع: أعد النظر في تصورك للعملية التي ستستخدمها للتحليل الفعلي للبيانات:

• التحليل الإحصائي (فصل 3) .

• تحليل الموضوعات (فصل 4) .

• تحليل السرد (فصل 5) .

- تحليل الخطاب (فصل 6).
 - تحليل المضمون (فصل 7).
 - النظرية الموثقة (فصل 8).
 - استخدام الحاسب في تحليل البيانات (فصل 9).
- 6 - أقرأ الفصل التالي لكى تضمن أنك تجهز بياناتك للتحليل الذى ستقوم به .

فكرة موجزة عن النتائج

كلنا نطمح إلى أن يقوم بحثنا بتغيير العالم . إذ يوجد إحساس هائل بالإنجاز فى اكتشاف شيء جديد وهام ، وقد يكون شيئا يجعل العالم مكانا أفضل مما هو عليه . ولكن مما يؤسف له أن أمثال تلك الاكتشافات قليلة العدد وتقع فى فترات متباعدة . لذلك من المناسب أن نتذكر أنه :

- حتى إن لم تكتشف أى شيء جديد ، فسوف ينجح بحثك فى توسيع نطاق المعرفة عن طريق تعزيزك للعمل الذى قام به آخرون قبل ذلك .
- لا تنزعج إن لم تكتشف أى شيء . فعدم اكتشاف حدث ما قد يكون بنفس أهمية اكتشافه تماما . إذ إن معرفة ما لا يحدث فى العالم الاجتماعى يساوى فى الأهمية معرفة ما يحدث بالفعل .

غالبا ما يكون التحليل أكثر أجزاء المشروع البحثى إرضاء للنفس وإشعارا لها بالإنجاز . ففيه شعور بالإثارة لأنك فهمت ، أخيرا ، مالبيناتك من دلالات (كما يوجد فيه ، عادة ، شعور بالراحة النفسية لأن عملك له معنى وفائدة) كما أن فيه شعورا بالإنجاز نظرا لدخول المشروع مراحله النهائية .

بحثك

قائمة مراجعة بدء التحليل

هل ...

- فكرت بعناية فيما يجب عليك عمله لكى تتمكن من بدء التحليل؟
- هل رجعت إلى سؤال بحثك أو فرضه للتأكد من أنهما واضحا فيما يتصل بما يتوجب عمله؟ (فصل 4 باب 1 ، فصل 1 باب 2).

- هل راجعت تفاصيل التقنية التى تستعملها؟ (الفصول من الثالث حتى التاسع من هذا الباب).
- هل راجعت تعريفاتك الإجرائية حتى تعرف ما الذى تبحث عنه فى البيانات. (فصل 4 باب 1)
- هل راجعت تفقد خطة مشروعك لتذكر نفسك بالاستراتيجية التحليلية التى وضعت خططها؟ (فصل 1 وفصل 6 باب 2).
- هل تذكرت أن هدف التحليل هو الوصول إلى نتيجة للبحث؟ (الفصل العاشر من هذا الباب)

المراجع وقراءات للاستزادة

- Cramer, D. (2003) *Advanced Quantitative Data Analysis*, Buckingham: Open University Press.
- Miles, M. B. and Huberman, A. M. (1994) *Qualitative Data Analysis: An Expanded Sourcebook*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثانى

معالجة البيانات

محتويات الفصل

- طبيعة البيانات ومعالجتها.
- الإعداد لتحليل البيانات.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

إنه أمر طيب أن تكون قد فرغت من جمع البيانات، إلا أن جمع البيانات، فى حد ذاته، ليس سوى مرحلة واحدة من مراحل هذه العملية. والآن سيتوجب عليك أن تبدأ معالجة البيانات التى جمعتها حتى يمكنك استخدامها للعثور على أجوبة أسئلة بحثك أو لا اختبار فروضك.

يبحث هذا الفصل كيفية البدء فى معالجة بياناتك. ونحن نوصيك بقراءة هذا الفصل قبل الرجوع إلى الفصول الخاصة بتقنيات التحليل المحددة فى هذا الباب، وهى:

- الفصل الثالث : التحليل الإحصائى.
- الفصل الرابع : تحليل الموضوعات.
- الفصل الخامس : تحليل السرد.
- الفصل السادس : تحليل الخطاب.
- الفصل السابع : تحليل المضمون.
- الفصل الثامن : النظرية الموثقة.
- الفصل التاسع : استخدام الحاسب فى التحليل.

المهم أنك فرغت من جمع بياناتك ، والآن عليك أن تقوم بمعالجة هذه البيانات حتى تكون قادرا على استخدامها للإجابة على أسئلة بحثك أو اختبار فروضك . وتعنى معالجة البيانات عددا من الأمور:

- 1 - فهى تعنى التأكد من أن البيانات مكتملة .
 - 2 - وتعنى الوصول إلى أن تعرف بياناتك حق المعرفة ، فتصبح - حقا - على دراية تامة بما وصلت إليه من بيانات .
 - 3 - وتعنى نجاحك فى تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك لتكون قادرا على أن تجد ما تريده عندما تحتاج إليه .
 - 4 - وتعنى أيضا تنظيم بياناتك بطريقة من شأنها أن تساعدك على الاستفادة منها فى خدمة بحثك .
 - 5 - وتعنى أن تصمم خطة التحليل التى ستسير على نهجها من أول البحث حتى نهايته ، كما يمكنها تزويدك بالأساس الذى تبنى عليه سجلا كاملا لعمليات التحليل .
- وهناك عدد من الطرق لمعالجة البيانات ، يعتمد بعضها على نمط البيانات التى تعالجها ، كما يفيدك بعضها الآخر فى معالجة مجموعة من مختلف أنماط البيانات . وحتى إن كانت بياناتك كمية كلها أو كيفية كلها ، فإننا نرى أنك ستجد من المفيد لك أن تستوفى قراءة هذا الفصل كله ، أو معظمه .

طبيعة البيانات ومعالجتها

حاولنا فى الفصل الثالث من الباب الأول إلقاء نظرة على طبيعة البيانات . وأشرنا فى حينه إلى أن البيانات التى يمكننا جمعها وتحليلها كباحثين اجتماعيين يمكن أن تتسم بالصفات التالية:

- أن تكون مكتوبة أو منطوقة أو غير لفظية .
- وأن تكون منصبة على الوقائع أو القيم .
- وأن تكون بياناتك مقننة / أو شبه مقننة / أو غير مقننة .
- وأن يكون لها مضمون ومعنى (أى هدف وقصد) .
- وأنه يقوم بإنتاجها فرد أو جماعة .
- وأن تكون بيانات تأملية ينتجها الباحث الاجتماعى نفسه .
- وأن تكون بيانات أولية قام الباحث بجمعها ، أو بيانات ثانوية تم إنتاجها لغرض آخر .

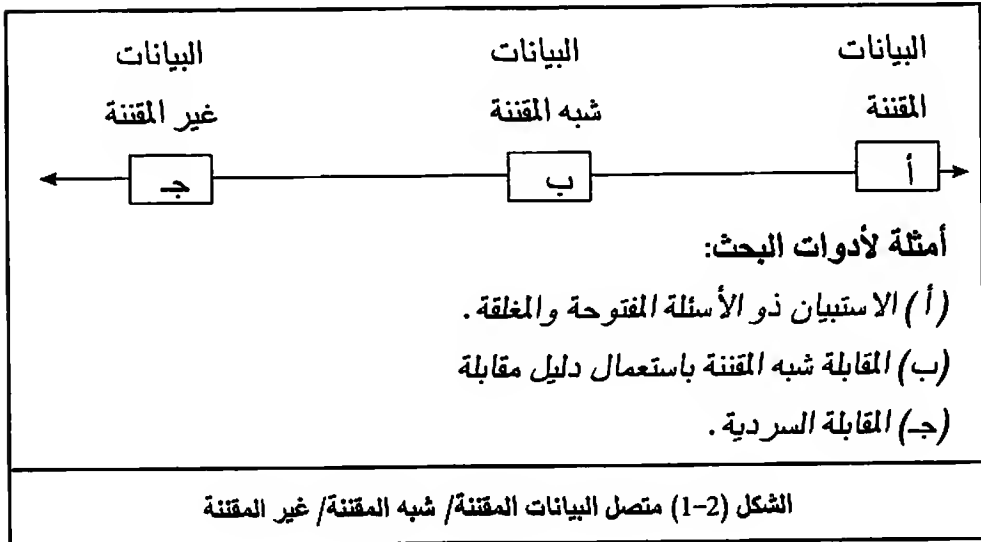
واستعرضنا في الباب الثالث عدداً من الطرق المختلفة لجمع البيانات والتقنيات التي يمكن استخدامها للتأكد من أن البيانات تمثل تعبيراً دقيقاً عن الواقع الاجتماعي الذي ندرسه، وأنها ستفيد في الإجابة عن أسئلة بحثنا أو اختبار أحد الفروض.

والآن يتوجب عليك أن تدخل في حساباتك طبيعة البيانات التي جمعتها من حيث مدى قدرتك على معالجتها للإجابة على أسئلة البحث المذكورة. والقضايا الرئيسية التي يتوجب علينا أن ندخلها في اعتبارنا هنا هي قضية: ما إذا كانت بياناتك مكتملة وذات ثبات منهجي، وقضية: كيف يمكنك البدء في تنظيم هذه البيانات حتى تستطيع استخدام مختلف تقنيات التحليل لمساعدتك في استكشاف وتفسير الظاهرة الاجتماعية التي تقوم بدراستها. من المفيد ابتداءً أن تفكر وفقاً لما إذا كانت البيانات التي جمعتها بيانات مقننة/ أو شبه مقننة/ أو غير مقننة، لأن ذلك يؤثر على أساليب التحليل التي سوف تتبناها في معالجة بياناتك.

البيانات المقننة

المعتاد أن يتم جمع البيانات المقننة باستعمال استبيان أو نموذج آخر مقنن يطرح مجموعة من الأسئلة التي تتعلق بفرد ما أو موقف معين. وتتسم البيانات المقننة بالخصائص الأساسية التالية:

- (أ) توجه نفس الأسئلة لكل مشارك أو لكل حالة.
- (ب) وتقتضي الأصول أن توجد مجموعة مشتركة من الإجابات لكل سؤال.



تقتضى طبيعة البيانات المقننة أن تكون أساليب التحليل الأشيع استعمالاً قائمة على أساس إحصاء عدد الحالات التى لها سمات معينة أو إجابات معينة. وتعتمد التقنيات الإحصائية المتاحة لك استخدامها على اتساق الأداة التى استخدمتها فى جمع البيانات. ويعنى ذلك بعبارة أخرى أن: هذه البيانات قد تم جمعها بطريقة موحدة بالنسبة لكل المشاركين أو لكل الحالات.

البيانات شبه المقننة وغير المقننة

فى حين يندر - بل يكاد يستحيل - ألا يقوم الباحث أو المشارك بتقنين البيانات، فإنه توجد درجات مختلفة من تقنين البيانات على امتداد متصل (فصل 1 باب 3) يبدأ بالبيانات المقننة وينتهى بالبيانات غير المقننة.

وعادة ما تتصف البيانات التى يتم جمعها باستخدام الطرق شبه المقننة وغير المقننة إلى حد ما؛ عادة ما تتصف بالسمات التالية:

(أ) قد لا تصاغ الأسئلة دائماً بنفس الطريقة، كما قد تستعمل أشكال مختلفة من أسئلة المتابعة وتفتيح الموضوع والأسئلة المحفزة (وهى العبارات التى تشجع المشارك على الاستفاضة فى الكلام) التى تستخدم بما يناسب كل موقف على حدة.

(ب) تتباين وتتنوع الإجابات التى تقال رداً على الأسئلة.

(ج) غالباً ما تدون الإجابات التى تقال رداً على الأسئلة من واقع كلمات المشاركين (أو أفعالهم).

(د) قد تختلف البنية العامة للبيانات من حالة لحالة، من ذلك مثلاً أن الأسئلة قد تطرح وفق ترتيب مختلف، وقد لا يتم الإجابة على بعض الأسئلة فى كل حالة.

إن طبيعة البيانات شبه المقننة تقتضى أن تكون أساليب التحليل المتاحة لك قادرة على معالجة البيانات التى تتسم بالتنوع، وكثيراً ما تكون شاملة ومصوغة فى تشكيلة متنوعة من القوالب. يضاف إلى ذلك أنه يجب أن يتيح لك أسلوب التحليل معالجة البيانات بنفس الصورة التى جمعت فيها، مثل الكلمات كما نطق بها المشارك أثناء المقابلة. وغالباً ما تسمى هذه البيانات بالبيانات الخام (انظر قائمة المصطلحات).

الإعداد لتحليل البيانات

تقدم هذه الفقرة عدداً من التقنيات التى ستفيدك وأنت تستعد لتحليل بياناتك، وذلك فى كل حالة تسعى فيها لإعداد البيانات المقننة والبيانات شبه المقننة.

عليك أن تكون على اطلاع تام على البيانات

قد يبدو غريباً إلى حد ما أن يقال إنك ستكون «غير مطلع» على بيانات بحثك الذي تقوم به أو لست على ألفة بها. ومع ذلك، فإن العملية البحثية نفسها يمكن أن تستغرق شهوراً قليلة في الحد الأدنى، فوق أنها يمكن أن تكون على جانب كبير من التعقيد، وذلك بسبب ما يحدث من أمور مختلفة بشكل متزامن. ولا ريب أنك تواجه في حياتك أموراً من هذا القبيل أيضاً. يضاف إلى هذا أنك قد تجد - كذلك - أن تصورك الخاص لدراستك البحثية يتطور، أو ربما يتغير، أثناء الوقت الذي تشتغل فيه بالقراءة وجمع البيانات، والبدء في معالجة هذه البيانات.

إذا كنت قد جمعت بياناتك باستعمال نموذج مقتن، فربما تكون قد تصرفت بهذا الشكل بدون أي لقاء شخصي مباشر (كاللقاء وجهاً لوجه) مع المشارك أو مع موقف الحالة. في هذه الحالة قد تكون تواقاً إلى الاطلاع على الإجابات التي تصل إليك في الردود الأولى، ولكنك قد تجد، رغم ذلك، أنه كلما يصل إليك المزيد من الردود، يقل الوقت المتاح لك كما يقل ميلك لقراءة كل رد على حدة، وهكذا يمكن أن يكون حماسك الطبيعي (أو افتقارك لهذا الحماس!) عاملاً مؤثراً على عملية معالجة البيانات.

وفي مقابل ذلك، فإنك إن كنت قد جمعت بياناتك بنفسك مستعملاً، مثلاً، طريقة المقابلة، أو جماعات المناقشة، أو الوثائق، فقد تشعر أنك تعرف - بالفعل - بياناتك معرفة جيدة لأنك كنت حاضراً أثناء جمعها. إلا أنك قد تجد، مع ذلك، أنه كلما أجريت المزيد من المقابلات أو قرأت المزيد من الوثائق، قلت قدرتك على تمييز كل واحدة منها عن الباقي، كما أن النقاط المهمة التي وضعت يدك عليها في المقابلة الأولى قد طواها النسيان كلما أضيف إليها المزيد والمزيد من البيانات.

من الأهمية أن تعاود الاطلاع على بياناتك عندما تبدأ تحليلك، كما يوجد أمران ستجد أنهما مفيدان لك، سواء أكانت بياناتك مقننة أو شبه مقننة هما:

1 - استوف قراءة جميع الاستبيانات، والنصوص المنسوخة (أي: المنقولة من تسجيل صوتي، مثلاً، إلى نص مكتوب) وملاحظاتك الميدانية عن البحث (أما في حالة ما إذا كنت قد سجلت مادة تليفزيونية أو مادة صوتية مسموعة، فعليك أن تقوم بمعاودة مشاهدة المادة المصورة تليفزيونياً ومعاودة الاستماع للمادة المسموعة) حتى يتوافر لك إحساس جيد بما هو موجود لديك.

2 - اكتب مذكرات موجزة (انظر فصل 2 باب 3، والفصلين 4 و 8 من هذا الباب) لنفسك وأنت تقرأ، مع الاهتمام بكتابة ملاحظات عن:

(أ) أى شىء ترغب فى العودة إليه أو مراجعته ، مثال ذلك: المعلومات الناقصة ، أو حالات عدم الاتساق أو الكتابة المستغلقة التى تتعذر قراءتها ، أو التسجيل الصوتى الذى يتعذر سماعه بوضوح .

(ب) التعليقات ، والإجابات ، والتلميحات الشيقة (عندما تقول لنفسك: هذا شىء مثير للانتباه!) دونها لترجع إليها لاحقاً .

(ج) التحليل الذى ترغب فى القيام به ، والأسئلة التى تريد أن تدخلها فى اعتبارك ، والجدول التى ترغب فى إعدادها ، والعلاقات التى ترغب فى استكشافها .

تأكد من أن بياناتك مكتملة ومسجلة تسجيلاً دقيقاً

قبل أن تبدأ معالجة بياناتك يلزمك أن تتأكد من أنها مكتملة ودقيقة بقدر الإمكان . فحتى البحث المعد إعداداً فى غاية الجودة والمصمم تصميمًا كاملاً قد يتعرض لبعض المشكلات الصغيرة المتعلقة باستيفاء البيانات ودقتها ، لهذا يجب أن تكون فى هذه المرحلة متنبهاً للمشكلات المحتملة ولكيفية مواجهتها . فى أثناء قراءتك لبياناتك من أولها لآخرها بقصد إعادة الاطلاع عليها وإدراكها من جديد ، قد تجد بعض صور التضارب أو عدم الاتساق ، أو تكتشف نقص بعض المعلومات . حينئذ ، يتوجب عليك أن تراجع بياناتك من أولها لآخرها بعناية ، وأن تتخذ بعض القرارات المتصلة بما يتعين عليك عمله . وتحاول الفقرات الفرعية التالية أن تتناول معظم المواقف التى يغلب أن تواجهها فى مشروعك البحثى .

مراجعة الاستبيانات

محددات الهوية

يحتاج كل استبيان أو حالة إلى محدد هوية متفرد . يحدث أحياناً أن يُختار هذا المحدد قبل جمع البيانات عن طريق ترقيم الاستبيانات أو النماذج قبل استخدامها . فإن لم يتم هذا الاختيار ، فينبغى حينئذ إعطاء محدد هوية لكل مصدر من مصادر البيانات فى هذه المرحلة . وقد يحتوى محتوى محدد الهوية نفسه على بعض المعلومات . مثال ذلك ، أن جميع الاستبيانات الواردة من أفراد يعيشون فى لندن قد تبدأ برقم (1) (فترقم هكذا: 101 ، 102 ، 103 ، إلى آخره) وتبدأ الاستبيانات المتلقاة من برمنجهام برقم (2) (فترقم هكذا: 201 ، 202 ، 203 ، إلى آخره) . فمن شأن ذلك أن يسهل تحديد وتصنيف المكان الذى أتت منه الاستبيانات ، كما أن يأخذ بعين الاعتبار ، مثلاً ، تحليل هاتين المجموعتين من الاستبيانات بصورة مستقلة .

كذلك ينبغى فى هذه المرحلة إزالة أى معلومات يمكن أن تكشف هوية أى فرد ، أو أى جماعة أو أى مؤسسة بالاسم . (فصل 5 باب 1) . وغالباً ما يحتفظ الباحث بهذه المعلومات

لتمكنه من الرجوع إلى مبحوثيه (فى حالة ما إذا رغب ، مثلا ، فى ضمهم إلى بحث تال ، أو ليخبرهم أنهم قد فازوا بجائزة إن كان يستخدم نوعا من أنواع سحب الجوائز لتشجيع الأفراد على المشاركة فى البحث) . ولضمان تحقق السرية وإخفاء الهوية ، لابد من الاحتفاظ بأى معلومات تدل على هوية الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات بمعزل عن البيانات نفسها ، مع إمكان ترقيمها بنفس محدد الهوية المذكور بحيث يستطيع الباحث (والباحث وحده) أن يضاهى المعلومات المحددة للهوية بهذه البيانات .

ما العمل مع الأسئلة أو المعلومات الناقصة؟

توجد ثلاثة أسباب رئيسية لاحتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة .

جدول (1-2) : أسباب احتمال عدم الإجابة على أحد الأسئلة .

المشكلة	التصرف
١- ربما يكون هذا المبحث قد تم استبعاده (فصل ٣ باب ٣) من هذا الجزء من الاستبيان عند طرح سؤال سابق .	فى هذه الحالة يكون المبحث على حق فى عدم إجابته على هذا السؤال ، كما يمكن حينئذ - تسجيل إجابة من النوع المسمى «لا ينطبق» .
٢ - ربما لم يجب المبحث على هذا السؤال (خطأ أو عمدا)	فى هذه الحالة يتوجب إثبات أن المبحث لم يجب على السؤال ، والغالب أن يستعمل كود ٩٩ (انظر أدناه) . إن لم يجب على هذا السؤال عدد كبير من المبحوثين ، فينبغى عليك النظر فى الفقرة ٣ أدناه .
٣- قد يكون السؤال ، أو التعليمات المصاحبة له ، قد صيغت فى عبارة ملتبسة المعنى ، أو بأسلوب غير صحيح أو غير لائق ، الأمر الذى أدى إلى قيام عدد ملحوظ من المبحوثين بإغفال هذا السؤال .	فى هذه الحالة يتوجب عليك التفكير فيما إذا كنت ستتمكن من استخدام الإجابات على تلك الأسئلة فى تحليلك أم لا ، وذلك لأن صدق هذه البيانات (فصل ٣ باب ١ ، فصل ٣ باب ٣) يكون محل شك فى هذه الحالة .

ما العمل مع الإجابات الجزئية أو المبتسرة؟

إن حدث أن أجاب المبحث على أسئلة استبيان أو نموذج بيانات بصورة جزئية ، فربما يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب ، كما يكون عليك أن تمنع النظر فى النقاط التى ذكرناها أعلاه ، والتفكير فى احتمال وجود أسباب أدت إلى غياب المعلومات

بالنسبة لقسم كبير من الاستبيان . قد يكون السبب راجعاً إلى أن طول الاستبيان حال دون مشاركتي بحثك والإجابة عليه بالكامل ، أو أنهم لم يكونوا راغبين في الإجابة على سؤال معين أو إلى قسم معين من الاستبيان لأنه يتناول - مثلاً - موضوعاً حساساً ، ولهذا قرروا ألا يجيبوا على الاستبيان بعد هذه النقطة (وذلك بالرغم من أنك قد لا تعرف أبداً لماذا حدث هذا- وهو أحد الإحباطات الكبرى التي يمكن أن تواجهها أثناء إجراء البحث الاجتماعي!). ويتوقف نوع تصرفك في هذه البيانات على ما يلي:

- عدد الحالات .

- الأسباب الممكنة لعدم استكمال بعض الإجابات .
 - مدى إمكان استخدام هذه البيانات ، فقد تستخدمها في الإجابة على جزء من أسئلة بحثك . وفي هذه الحالة يجب عليك أن توضح ، عند كتابة تقرير بحثك ومناقشة نتائجك ، أن هذا هو وضع هذه البيانات .
- عند هذه المرحلة سيكون عليك أن تقرر: إما أن ترفض بعض الاستبيانات التي لم يتم الإجابة عليها بشكل كامل ، أو أن تضمن المعلومات الجزئية في تحليلك .

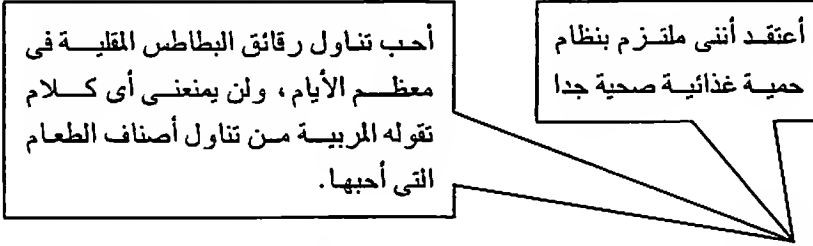
البيانات غير المتسقة

ستجد أحياناً أن المعلومات التي قدمها أحد الباحثين في استبيان أو مقابلة ، مثلاً ، تتسم بالتضارب أو عدم الاتساق . وقد يحدث ذلك مع البيانات المتعلقة بالواقع والبيانات المتعلقة بالقيم ، وقد يتعذر على الباحث أن يقرر ماذا يفعل إزاء هذا الوضع . من ذلك مثلاً أن يدلي أحد الباحثين بأن تاريخ ميلاده هو سنة 1990 ، ولكنه يُسجل أيضاً أن عنده أطفالاً مولودين سنة 2000 . يمكن أن يرجع هذا النمط من التضارب إلى عدد من الأسباب . فقد يكون أحد تاريخي الميلاد المتقدمين (أو كلاهما) غير صحيح ، أو ربما قرئ خطأ أو سمع خطأ . أو ربما أساء المشارك فهم السؤال وسجل أشقاءه وشقيقاته ممن يعيشون معه باعتبارهم أبناءه ، أو ربما كان يقصد أطفال شريك حياته (من زيجة أخرى سابقة) .

كما هو الحال في تعاملك مع المعلومات الناقصة ، سيكون عليك هنا أن تمنع النظر في الأمور التالية:

- هل بالإمكان مراجعة هذه البيانات بطريقة ما (ربما عن طريق الرجوع إلى أسئلة أخرى وردت عنها إجابات تحتوي على معلومات عن هؤلاء الأطفال ، أو عن طريق الاتصال بالبحوث شخصياً .
- ما مدى حدوث أشكال مشابهة من التضارب في إجابات أخرى ، من عدمه؟
- ما مدى إمكان الاستفادة بهذه البيانات في بحثك ، من عدمه؟

وقد تتبين أيضا أن بعض الباحثين قد قدموا لك إجابات تبدو لك متضاربة، ولكنها كانت إجابات على أسئلة تطلب منهم رأيا أو حكما قيميا. فقد يقول أحد الباحثين مثلا:



مثل هذا الأمر مثير للانتباه ولا شك. ومع أن هاتين العبارتين تبدوان متضادتين، فإنه يتعين على الباحث أن يمعن النظر في كيفية فهم الباحث للأسئلة التي طُرحت عليه، ناهيك عن إمعان النظر فيما هو أهم: وهو كيف يمكن تأويل هذه الأجوبة؟ كما ينبغي على الباحث أن يفتش عن الأنواع الأخرى من الآراء المشابهة، والمختلفة التي يطرحها المشاركون.

مراجعة المقابلات المسجلة وجماعات المناقشة والنصوص المدونة

محددات الهوية

يمكن أن تتنوع البيانات الكيفية، ومن الممكن أن تقوم، مثلا، بجمع عدد من مختلف أنماط البيانات المتعلقة بشخص معين، أو موقف معين (بما في ذلك ملاحظاتك الشخصية). ستجد من المفيد أن يكون لديك نظام واضح لتحديد الهوية، حيث يعطى كل مصادر بيانات محدد خاص للهوية. كما يمكنك أن تأخذ في الاعتبار ما إذا كنت ستضمن في محدد الهوية هذا بعض المعلومات التي إما أن تدل عن مصادر البيانات (كأن تضع نظاما يشير إلى جنس المشارك، فنقول مثلا $1F, 2F, 3F$ ، للدلالة على الأنثى). وكذلك نقول: $1M, 2M, 3M$ ، للدلالة على الذكر).

وإما أن تقوم هذه المعلومات بتوضيح كيفية ارتباط المصادر المختلفة للبيانات. مثال ذلك أنه قد يكون لديك عدد من المقابلات الفردية وجماعة مناقشة، وبعض الوثائق، بجانب ملاحظاتك الشخصية التي استخرجتها من كل مؤسسة من ثلاث مؤسسات، وملاحظاتك الشخصية التي استخرجتها من كل مجموعة من الوثائق، كما يمكن تحديد هوية كل مجموعة من الوثائق بوضع بادئة حرفية (أبجدية) لها، أو بادئة رقمية، وعلامة تدل على نمط البيانات، فيكون محدد الهوية 3 ج ن يعنى بالتفصيل كما يلي: 3 (المؤسسة

رقم 3)، ج ن (جماعة مناقشة)؛ ويكون محدد الهوية 3 و 4 معناه بالتفصيل هكذا: 3 معناها (المؤسسة رقم 3) ومعناها (مصدر البيانات : وثيقة)، 4 معناها (الوثيقة رقم 4) .

عندما يكون لديك كميات ضخمة من البيانات الكمية، التي يجب معالجتها، فمن الأهمية - غالبا - أن تكون قادرا على معرفة مصدر هذه البيانات بسهولة، وإذا كنت تستخدم برنامج حاسب لمساعدتك في معالجة هذه البيانات فسيكون بوسعك أن تربط بسهولة محدد الهوية هذا (و9 أى : الوثيقة رقم 9) بأى بيانات موجودة داخل هذا المصدر من مصادر البيانات (انظر الفصل التاسع) .

أما بالنسبة لاستيفاء الإجابة (على أسئلة الاستبيانات مثلا)، فينبغى عليك أيضا أن تتأكد من ربط المعلومات المتعلقة بمتى وأين جمعت البيانات وبمن جمعها بكل مصدر من مصادر البيانات. **مراجعة السجلات**

إن كنت قد نفذت بنفسك طرقا لجمع البيانات مثل المقابلات، وجماعات المناقشة، والملاحظة، فالغالب أنك ستكون متنبها للمشكلات المحتملة في تسجيل البيانات المباشرة وبشكل فوري. ومن المستصوب هنا بعد كل جلسة جمع بيانات أن تخصص وقتا لمراجعة عملية التسجيل (سواء أكان تسجيلا سمعيا أم بصريا أو قلميا، أم كان متمثلا في ملاحظاتك الخاصة). وحين يقوم شخص آخر بجمع البيانات أو تزويدك بها (كما يحدث مثلا حين يقوم شخص آخر بإدارة جماعات مناقشة، أو حين يقوم المشاركون بتدوين مذكرات يومية)، فإنه ينبغى عليك حينئذ أن تتأكد من أنك تخصص لنفسك وقت لمراجعة هذه البيانات من حيث الاستيفاء والدقة بمجرد تلقيك لها قدر الإمكان.

الجدول (2-2): مراجعة السجلات

المشكلة	التصرف
التسجيل الناقص أو المتعذر سماعه	<p>حدد أولا حجم المشكلة:</p> <ul style="list-style-type: none"> ● إن كان قدر كبير من التسجيل غير صالح للاستخدام أو ناقص أصلا، فانظر إن كان من الممكن جمع هذه البيانات مرة ثانية. ● إن كانت الملاحظات التي كتبها الباحث (وذاكرته) حاضرة، فانظر هل يمكن ملء فجوات التسجيل ببيانات مأخوذة من الملاحظات ويجب تمييز هذه البيانات بصفتها هذه بأنها مأخوذة من الملاحظات، فى أى نسخة مدونة من واقع هذا التسجيل). ● فكر فى مقابلة مصدر هذه البيانات (كالمبحوث الذى تمت مقابلته مثلا) لتراجع معه البيانات الناقصة وتستكملها. <p>تأكد من أن هذه المشكلة لن تحدث فى جلسات جمع البيانات فى المستقبل، وذلك بمراجعتك لمعدات التسجيل وأوضاعها (فصل ٢ باب ٣).</p>

<p>عدم وجود ملاحظات عند الباحث، أو وجود ملاحظات غير دالة أو غير مفهومة.</p>	<p>ابدأ بتحديد حجم المشكلة:</p> <ul style="list-style-type: none"> ● فكر في إعادة كتابة الملاحظات ومراجعة أى تسجيل آخر أو استشارة ذاكرتك. ● فكر في مقابلة مصادر هذه البيانات (كالمبحوث الذى تمت مقابلته مثلا) لتراجع معه البيانات الناقصة.
<p>احرص على ألا يحدث هذا فى الحالات القادمة، وذلك عن طريق تحسينك لمهاراتك فى تدوين الملاحظات (فصل ٢ باب ٣) وتخصيصك لوقت ما بعد كل جلسة جمع بيانات لاستكمال ملاحظاتك.</p>	

تنظيم بياناتك

بدء تنظيم البيانات الكمية

البيانات المقننة هى بالضبط : تلك البيانات المقننة من قبل وفقا للطريقة التى سبق أن جمعت بها . لذلك ، قد يوجد قليل من الجهد الإضافى الذى يتعين عليك بذله حتى تجعلها جاهزة لعملية التحليل . وقد لا تزيد هذه العملية عن كونها إحصاء لعدد الأفراد الذين قدموا كل إجابة لكل سؤال ورد فى الاستبيان ، أو إحصاء عدد مرات حدوث واقعة معينة أو عدد مرات استعمال كلمة معينة .

بحثك

فى هذه المرحلة ينبغي عليك أن تمنع النظر فيما إذا كنت ستستعمل حزمة برمجيات لمساعدتك فى التحليل ، إذ إن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلا فى إدخال البيانات وتحضيرها للتحليل (فصل 9 من هذا الباب) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن أبسط عمليات التحليل تحتاج إلى وصف واضح لما يجرى إحصاؤه وحسابه . وإذا كان التحليل يتطلب عمليات إحصائية أكثر تعقيدا ، فمن الأهمية أن تكون قادرا على أن تميز بوضوح تلك البيانات التى بدأت بها . ولكى تكون قادرا على عمل ذلك يتوجب عليك أن تلقى نظرة فاحصة على كل مجموعة من الإجابات التى أجيب بها على أحد الأسئلة ، أو على كل نشاط قمت بتسجيله (كمقابلة أو جماعة مناقشة مثلا) ، وأن تخصص له اسما مميز له . وعادة ما يسمى هذا الاسم «متغيرا» ، والسبب فى ذلك أن لكل سؤال مجموعة من الأجوبة المختلفة أو المتنوعة . فالمتغير هو الاسم الذى يطلق على تلك المجموعة من الأجوبة .

العرف المؤلف هنا أن تبدأ بإعطاء أسماء «متغيرات» لكل سؤال من الأسئلة التي لديك إجابات عنها، أو لكل نشاط من الأنشطة التي أحصيتها.

المثال رقم (1-2)

المتغيرات والأكواد

اسم المتغير	الكود		
الجنس	١	<input type="checkbox"/>	ذكر
	٢	<input type="checkbox"/>	أنثى
العمر	١	<input type="checkbox"/>	١٦ - ٢٥
	٢	<input type="checkbox"/>	٢٦ - ٤٥
	٣	<input type="checkbox"/>	٤٦ - ٦٥
	٤	<input type="checkbox"/>	أكثر من ٦٥

عندما تفكر فيما تأكله في يوم عادي، فهل يمكنك أن تقول إن غذاءك يعتبر
(ضع علامة في الصندوق المناسب):
الغذاء

صحي جدا	صحي بدرجة معقولة	لا هو صحي ولا غير صحي	غير صحي إلى حد ما	غير صحي للغاية
١	٢	٣	٤	٥

لا ريب أن بإمكانك أن تقوم بتقييم المتغيرات : المتغير رقم 1، والمتغير رقم 2، وهكذا، إلا أن بعض الأفراد يجدون أنه من المفيد استعمال أسماء للمتغيرات مثل : العمر، الجنس، إلى آخره، لتذكيرهم بما يعنيه المتغير أو بما يتصل به من موضوعات.

سوف يوجد بالنسبة لكل متغير مجموعة من الأجوبة أو السمات: وهذه المجموعة هي البيانات التي ستحتاج إلى معالجتها، وهكذا تحتاج كل إجابة أو سمة إلى قدر من التحديد. وعند معالجة البيانات المقننة يسمى هذا العمل توكيدا، وذلك لأن «الكود (أى: محدد هوية) يضاف إلى كل إجابة ويرتبط بها» (انظر قائمة المصطلحات).

وعادة ما يستعمل نظام للترقيم في توكيد أو ترميز الإجابات، وذلك كما هو مبين في نموذج الاستبيان أعلاه. بالنسبة لكل اسم متغير ستوجد قائمة من الأكواد والأجوبة أو السمات التي تمثلها. وبالنسبة لكل متغير، يمكن إحصاء عدد الأفراد الذين أعطوا كل إجابة وهذا يسمى التكرار (انظر قائمة المصطلحات) - أى عدد المرات - التي أعطيت بها كل إجابة على حدة.

الأكواد المتعددة

يمكن لبعض الأسئلة أن تستفسر عن أكثر من إجابة واحدة (انظر المثال رقم 2-2). في هذه الحالة يوجد أكثر من متغير واحد مرتبط بالسؤال. وبإمكانك أن تعتبر كل واحد من الأطعمة المذكورة في القائمة متغيراً، وتعطى الكود (1)، لكل متغير عليه علامة تدل على اختيار المشارك لهذا النوع من الطعام، أو تعطيه الكود (2)، إذا لم يكن عليه علامة الاختيار. حينئذ يمكنك إحصاء عدد الأفراد الذين يأكلون - على سبيل المثال - رقائق الحبوب أكثر من مرتين في الأسبوع.

المثال (2-2)

سؤال متعدد الأكواد

أى هذه الأطعمة تأكله أكثر من مرتين فى الأسبوع؟
(ضع علامة على الأطعمة التى ينطبق عليها هذا الكلام)

اسم الكود	الكود ١ أو ٢	رقائق الحبوب
حب		
خ		الخبز
ف ط		الفاكهة الطازجة
خ ط م		الخضروات الطازجة/ المجمدة
ب		الببيض
ل		اللحم
س		السماك

توجد طريقة أخرى للتعامل مع الأسئلة التى لها عدد من الأجوبة، ويمكن لهذه الطريقة أن تكون مفيدة عند تكويد الأسئلة المفتوحة (انظر فيما بعد)، فى هذه الحالة يتم تخصيص عدد من المتغيرات - كـ «الرأى 1»، «الرأى 2»، «الرأى 3» - إلى آخره - لسؤال معين. وتستعمل نفس مجموعة الأكواد مع كل متغير من المتغيرات كما هو مبين فى المثال (رقم 2-4).

استحداث متغيرات جديدة

أثناء تخطيطك وتطويرك لتحليلك قد تجد أنك بحاجة إلى استحداث متغيرات جديدة عن طريق ربط بعض الأجوبة باثنين أو أكثر من الأسئلة، أو عن طريق ضم الأجوبة التي أجيب بها على سؤال واحد. فبإمكان هذا الإجراء أن يساعدك على استكشاف العلاقات القائمة بين الأسئلة المختلفة وعلى تطوير تحليلات أشد تعقيدا. من المعتاد أن يكون للمتغيرات الجديدة مجموعة من الأكود التي تحدد الطريقة التي يتم بها ربط البيانات المأخوذة - في بعض الحالات - من سؤالين أو أكثر (انظر المثال رقم (2-3)).

يمكن أن تجد أبسط شكل للمتغير الجديد حيث يتم تجميع أو ربط الأسئلة التي أجيب بها على سؤال واحد بهدف تبسيط التحليل. مثال ذلك، أنه ربما تكون قد سألت المشاركين أن يذكروا أعمارهم بالسنوات، ولكنك لا ترغب في تحليل سائر بياناتك تبعا للأعمار المحسوبة بالسنوات الفردية (أي المحسوبة سنة سنة)، لذلك يلزمك أن تستحدث متغيرا جديدا يضم هذه الأعمار داخل فئات عمرية مختارة لتعكس اهتمامك بأوجه الاختلاف أو أوجه التشابه بين أفراد كل فئة أو مجموعة عمرية.

فكر في هذا الموضوع

يمكنك ضم الأجوبة الواردة في المثال رقم (1-2) الذي عرضناه فيما سبق. فالمتغير المسمى «الغذاء» يمكن تبسيطه عن طريق ربط الكود رقم (1) بالكود رقم (2)، وربط الكود رقم (4) بالكود رقم (5)، لإعطاء متغير أبسط يبين ما إذا كان الأفراد يرون أنهم يتناولون غذاء «صحيا» أو غذاء غير «صحي».

المثال رقم (2-3)

استحداث متغير جديد

لنفترض أنك رغبت في معرفة ما إذا كان الرجال يأكلون غذاء أكثر صحية مما تأكله النساء، ولكنك كنت إلى جانب ذلك تشك في مدى وجود اختلافات في الطريقة التي يأكل بها الأفراد في المراحل المختلفة من حياتهم. قد يكون مفيدا أن تستحدث متغيرا جديدا يربط متغير الجنس بمتغير العمر كالتالي:

الاسم الجديد للمتغير = «جنس / عمر» GENAGE

الأكواد

- الرجال / من سن 16 - 25 سنة = 1
 الرجال / من سن 26 - 45 سنة = 2
 الرجال / من سن 46 - 65 سنة = 3
 الرجال / فوق سن 65 سنة = 4
 النساء / من سن 16 - 25 سنة = 5
 النساء / من سن 26 - 45 سنة = 6
 النساء / من سن 46 - 65 سنة = 7
 النساء / فوق سن 65 سنة = 8
 غير مبين = 9

يمكنك بعد ذلك البدء في استكشاف ما إذا كان الرجال والنساء ذوو المجموعات العمرية المختلفة، مثلاً، يرون أنهم يتناولون غذاء صحياً «أم لا» عن طريق استحداثك لتبويب مزدوج بسيط للمتغيرين جنس/عمر × الغذاء GENAGE x DIET

العمر والجنس كمتغيرين مضروبين في متغير الغذاء (%)	صحي جداً	صحي بدرجة معقولة	لا هو صحي ولا غير صحي	غير صحي إلى حد ما	غير صحي للاغاية
الرجال: من سن 16-25 سنة من سن 26-45 سنة من سن 46-65 سنة فوق 65 سنة إجمالي الرجال					
النساء: من سن 16-25 سنة من سن 26-45 سنة من سن 46-65 سنة فوق 65 سنة إجمالي النساء					
الإجمالي الكلي					
غير مبين					

تكويد الأسئلة المفتوحة

يحتوى كثير من أدوات جمع البيانات المقننة أو نماذجها على أسئلة مفتوحة (فصل 3 باب 3). وهذه الأسئلة ليس لها مجموعة من الأجوبة المحددة سلفاً، بل هي تتيح للمشاركة أن يقدم أجوبته الشخصية، والتي تكتب غالباً بنفس الكلمات التي نطق بها المشارك

شخصيا. لكي تكون قادرا على معالجة هذه البيانات مستعملا التحليل الإحصائي (والذي يعتمد على القدرة على إحصاء عدد الأفراد الذين قالوا شيئا ما أو عملوا عملا ما)، يجب تصنيف البيانات المأخوذة من أجوبة الأسئلة المفتوحة إلى أنماط مختلفة حتى يمكن تطبيق أحد الأكواد على كل نمط منها. وغالبا ما تحتوي الإجابة على أكثر من فكرة أو حكم، وبذلك يخصص لها أكثر من كود واحد، كما أن الأسئلة تكون لهذا السبب متعددة الأكواد.

في المثال رقم (2-4) الوارد أدناه، سيتم تخصيص مجموعة من المتغيرات - والتي منها مثلا المتغير المسمى INFL1 (الدال على وجود عنصر واحد من عناصر التأثير على اختيار المشارك للغذاء)، والمتغير المسمى INFL2 (الدال على وجود مؤثرين اثنين على اختيار الغذاء، والمتغير المسمى INFL3 (الدال على وجود 3 مؤثرات على اختيار الغذاء)؛ نقول: سيتم تخصيص مجموعة من المتغيرات لتسمية هذه العوامل المؤثرة على اختيار الغذاء)، كما أن من خصص لأجوبتهم كود واحد (كالإجابة G) سيكون لهم كود واحد يخصص للمتغير المسمى INFL1 (الدال على وجود عامل واحد مؤثر على اختيار الغذاء)، بينما من خصص لأجوبتهم كودان أو أكثر (مثل الإجابة 'A') سيكون لهم كودان يخصصان للمتغير، INFL2 أو ثلاثة أكواد تخصص للمتغير INFL3 إلى آخره. (أي إن كل كود سيعطى رقما مماثلا لعدد المتغيرات التي تؤثر على اختيار المشارك لنوع الغذاء).

المثال رقم (2-4)

تكويد الأسئلة المفتوحة

إليك بعض الأسئلة التي أجيب بها على هذا السؤال :
ما الأشياء التي تؤثر على ما تتناوله من غذاء؟

الأكواد	
١ ، ٢	(أ) أذهب إلى محلات العروض الخاصة للأغذية للحصول على أرخص العروض التي أقدر على دفع ثمنها في العادة، ولكنني أراجع - بالفعل - بعض الأمور : مثل ما يحتوي عليه الغذاء من السكر، كما أن من عادتتنا تناول الكثير من الفاكهة. حينما يكون لديك أطفال تكون هذه الأمور هامة .
٦	
٣	(ب) ليس لدى وقت كثير للتفكير في هذا الموضوع ، لذلك أكتفى بالنظر إلى ما في الثلاجة أو أذهب لتناول البطاطس المقلية.

٩	(ج)
٧	(د) أرى - فى الواقع - أن هذا الأمر المؤثر فى اختيارى للغذاء هو الطريقة التى رببت بها. فقد كانت أمى تطبخ طعاما جيدا على الدوام، كما كانت تطبخ لحما وخضروات، لذلك أحاول أن أفعل نفس الشيء.
١ ، ٨	(هـ) أنا نباتى، كما أنتى حريص جدا فيما آكله - فلا بد أن يكون طعاما عضويا إن أمكن (*). كما أنى أتناول مقادير كبيرة من الخضروات.
(*) الطعام العضوى هو ذلك الذى لم تستخدم فى زراعته مخصبات كيميائية، أو منشطات نمو، أو مضادات حيوية، أو مبيدات الآفات الزراعية (المترجم).	
٤	(و) يتوقف الأمر على ما أشعر به - فأحيانا أشعر باشتهاء الطعام المطبوخ، وأحيانا لا أشعر بذلك فأذهب لتناول طعام جاهز من المطاعم. وأحيانا يبلغ الشعور بالتعب الشديد حدا لا يسمح لى بإزعاج نفسى بهذا الأمر.
٨	(ز) يبين لى دينى ما يمكننى وما لا يمكننى أن أتناوله من غذاء، لهذا يجب على الالتزام بتلك الأوامر.
٥	(ح) زوجى - فهو الذى يطبخ الطعام لى.
٦ ، ١	(ط) أرى أنه من الأهمية حقا أن يتناول الأطفال غذاء صحيا، لذلك فأنا أحرص على أن يتضمن غذاؤهم مقادير كبيرة من الفاكهة والخضروات، وأراقب ما تحتويه أغذيتهم من دهون وسكر، كما أننى لا أسمح بالمشروبات الفوارة.

بعد القراءة الشاملة لجميع الأجوبة التى وردت على هذا السؤال يتم صياغة مجموعة من الأكود لتشتمل على معظم الإجابات. ويمكن لهذه المجموعة من الأكود أن تبدو هكذا:

1 - إشارات عابرة للغذاء الصحى الذى يحتوى على السكر، والدهن، والملح، والفاكهة، والخضروات.

2 - تكلفة الطعام - البحث عن أرخص طعام.

3- الوقت.

4 - المشاعر تجاه طهو الطعام / الطعام.

5- شخص آخر يطهو الطعام .

6- صحة الأطفال .

7- عادات الأسرة .

8- الأديان أو المعتقدات الأخرى .

9- لا إجابة .

هذه الأكواد موجودة بالعمود الأيمن - هل توافق عليها؟ هل لديك مقترحات أخرى لتكويد هذه البيانات؟

حالات التكرار

بعد مراجعتك لبياناتك والبدء فى تنظيمها عن طريق تخصيص أسماء المتغيرات والأكواد، تكون أصبحت مستعداً لتخطيط تحليلك . وأياً ما كان التحليل الإحصائى (انظر فصل 3) الذى تفكر فى استعماله ، فالمناسب لك أن تبدأ بوضع بعض جداول التكرار ، حتى تعرف بالنسبة لكل متغير ، عدد ما قدم من كل إجابة أو كل كود . حينئذ يمكنك أن تلقى نظرة أولية على الطريقة التى بها يتم توزيع الإجابات التى أجيب بها على أسئلتك : فى المثال المذكور أعلاه ، كم عدد الموجودين فى كل مجموعة عمرية؟ وكم عدد من يرون أنهم أصحاء؟ وما إلى ذلك . فى هذه المرحلة ستكون قادراً على تمييز توزيعات الإجابات المثيرة للانتباه ، مما قد ترغب فى استكشافها إلى مدى أبعد من ذلك .

الجدولة المزدوجة

أثناء اختبارك لجداول التكرار وأنت مستحضر فى ذهنك لأسئلة بحثك ، يكون من المناسب لك أن تبدأ فى بحث العلاقة القائمة بين المتغيرات المختلفة . هذا هو الموضوع الذى يدور حوله التحليل الإحصائى ، كما أننا عالجناه بمزيد من التعمق فى الفصل 3 من هذا الباب . ومع ذلك فلكى تبدأ تحليلك ، فإنك قد تحتاج إلى أن تسجل فى قائمة أى جداول بسيطة أو جداول مزدوجة ستحتاج مستقبلاً إلى أن تصنعها لتساعدك على استكشاف تلك العلاقات (انظر المثال رقم 2-3) . ونحن - فى العادة - نشير باستعمال الحروف الاستهلاكية الكبيرة : «الكابيتال» إلى الجدول الذى يبين العمر ، مثلاً ، بكلمة (AGE) وحسب النوع بكلمة (GEN) كما نشير إلى جدول العمر والنوع بكلمتى (GENAGE) من حيث صلتها بالغذاء ، باستعمال كلمة (DIET) .

بحثك

العلاقات والجداول المزدوجة

فى أثناء تفكيرك فى سؤال بحثك الخاص ، سجل فى قائمة أى علاقات بين المتغيرات قد ترغب فى استكشافها مستقبلاً ، وذلك عن طريق وضع جدول مزدوج .

المتغير «كذا»	من حيث صلته بـالمتغير «كذا»	ما سبب احتمال أن تكون هذه العلاقة بين هذين المتغيرين مثيرة للانتباه؟

إن كنت تخطط لاستعمال حزمة برمجيات إحصائية (كحزمة SPSS مثلاً) أو استعمال نوع خاص من البرامج الحاسوبية للحسابات مثل برنامج الإكسل Excel ، فإننا نرى أن تقرأ الآن أيضاً الفصل التاسع من الباب الرابع ليساعدك فى إعدادك للبيانات وفى تخطيطك للتحليل بهدف تحقيق أفضل استعمال فعال لهذه الحزم (ثم ينبغى عليك أن تعود إلى هذه الفقرة من جديد) .

بدء تنظيم البيانات الكيفية

البيانات الكيفية التى تعد غير مقننة إلى حد ما (أو شبه مقننة) يتم جمعها بأساليب مختلفة ومتنوعة وفى حالتها الخام كما هو معهود فى شأنها - أعنى بذلك أنها تسجل بنفس الطريقة التى نطقت بها أو كتبت به أو لوحظت بها أثناء جمعها . وبجانب ذلك ، فإن معظم طرق تحليل البيانات التى تستعمل فى معالجة البيانات شبه المقننة تتطلب الاحتفاظ بهذه البيانات فى حالتها الخام أثناء المراحل الأولى من عملية التحليل على الأقل . ويجب أن يضمن أى تنظيم أولى للبيانات الكيفية ، مثلاً ، توافر هذين الأمرين :

- أن يسهل على الباحث دائماً الوصول إلى البيانات الخام .
- وأن يستطيع الباحث العثور على أى بيانات معينة بسهولة .

نقترح عليك فى هذه الفقرة طريقة أولية أساسية يمكنك اتباعها فى تحليل بياناتك الكيفية: تسمية بياناتك «بأسماء أو عناوين محددة»، وإنشاء دليل أو فهرست، وبعد ذلك يجرى البدء فى القيام بنوع من التأكيد الأولى، أو قل التصنيف الأولى لبياناتك. ونقترح أن تقوم بعد ذلك بتطوير مجموعة من الأشكال البانية التى ستساعدك فى إدراك مدى ارتباط الأجزاء المختلفة من بياناتك ببعضها.

تسمية بياناتك «أو: عنونتها»

كما رأينا، فإنه عندما تجمع بياناتك الكيفية فقد تنتهى إلى جمع مقدار كبير تماما منها، وإلى جانب الحرص على أن لكل مصدر بيانات رقمه الذى يميزه، فمن المفيد كذلك أن ترقم صفحات كل مصدر بيانات، وأن ترقم - فى بعض الحالات - كل فقرة، أو كل سطر من سطور النص المكتوب، أو كل مصدر بيانات سمعى أو مصور بالفيديو على هيئة لقطات أو مشاهد. سوف يمدك هذا الترقيم بعد ذلك بمصدر مرجعى دقيق ترجع إليه بحثا عن جزئية بعينها من البيانات أو وحدة معينة من تلك البيانات. وحينما تشتغل بمعالجة البيانات الكيفية، فكثيرا ما يتوجب عليك أن ترجع إلى نفس الكلمات أو العبارات التى استعملها مصدر بياناتك، سواء أكان مقابلة، أو جماعة مناقشة، أو وثيقة، أو سلسلة من اللقطات أو المشاهد المصورة بالفيديو فعلا. وسوف يساعدك على القيام بهذا العمل أن يكون لديك بيان دقيق يبين رقم الصفحة ورقم السطر أو عداد الفيديو الدال على مكان وجود الكلمات أو العبارات المطلوب الرجوع إليها.

بحثك

فى هذه المرحلة ينبغي أن تمنع التفكير فيما إذا كنت ستستخدم حزمة برمجيات حاسوبية لتساعدك فى تحليلك، أم لا، وذلك لأن كل حزمة سيكون لها طرق مختلفة قليلا فى إدخال البيانات وإعدادها للتحليل (انظر الفصل التاسع).

عندما تصبح على دراية جيدة ببياناتك ستبدأ فى تقدير حجم جزئيات أو وحدات البيانات التى ستقوم بمعالجتها، كما سيمكنك بناء نظامك الترقيمى وفقا لذلك. فإن كنت تستخدم برمجية حاسوبية لمساعدتك فى معالجة بياناتك فستجد أن معظم الحزم تقدم تشكيلة متنوعة من طرق عنونة أو تسمية بياناتك (انظر فصل 9). وإن كنت تقوم بعملك على الورق أو باستعمال حزمة معالجة كلمات، فإن بإمكانك حينئذ أن تضيف الأرقام المرجعية لوحدة البيانات بنفسك.

إنشاء فهرست

من طرق بدء تنظيم البيانات إنشاء نظام فهرسة يمكن تطبيقه على البيانات الخام . ويقتصر عمل الفهرس على أنه يضع فى قائمة جميع الموضوعات وأنماط البيانات المختلفة التى قد توجد فى كل مقابلة ، وجماعة مناقشة ، ووثيقة وما إلى ذلك ، ثم يخصص رمزا أو علامة دالة (وعادة ما يكون هذا الرمز رقما أو توليفة حروف أو كود لوني) للكلمات أو العبارات ، أو الجمل أو اللقطات والمشاهد المصورة الموجودة فى البيانات التى تحتوى على وحدة من نوع معين .

إن كنت تستعمل حزمة برمجيات حاسوبية لمساعدتك فى تحليل بياناتك فستجد أن معظم الحزم بها تقنية تتيح لك إنشاء نظام فهرسة (انظر فصل9) . وإن كنت تستعمل معالج كلمات فإن بإمكانك أن تستخدم بعضا من نفس تقنيات البحث هذه فى العثور على البيانات ، وبإمكانك أن تستخدم نظامك الخاص بك والمكون من رايات وعلامات للفت الانتباه لتمييز الأنماط المختلفة للبيانات . وإن كنت تعمل على الورق ، فبإمكانك حينئذ أن تستخدم الأقلام الملونة ، أو العلامات الملونة للفت الانتباه ، أو الرموز الملونة . والواقع أنه لا يوجد أسلوب «صحيح» أو أسلوب «خطأ» فى مباشرة هذا العمل - إذ عليك أن تختار نظاما يعمل لصالحك .

من الأهمية أن تنتبه إلى أن الفهرسة ليست مماثلة للتكويد . فالفهرس يخبرك - فحسب - بالمكان الذى يمكن أن توجد فيه البيانات وينبغى أن يمكنك من العثور بسرعة على نفس نوع البيانات فى كل مصدر من مصادر بياناتك . والفهرس الأساسى يمكن إنشاؤه باستعمال العناوين الرئيسية أو الأسئلة التى سبق أن استعملتها فى دليلك الخاص بالموضوعات (انظر فصل 4 و5 من باب 3) . ويمكن تدقيق هذا الفهرس بعد ذلك والتوسع فيه عندما تتمكن من تحديد جوانب معينة للموضوع ، أو أفكار جديدة أو نقاط تستدعى الاهتمام تعلم أنك ستحتاج للرجوع إليها وللتعمق فى التفكير فيها أثناء قيامك بعملية التحليل .

بعد المثال (2-5) والوارد أدناه مقطعاً موجزاً من مقابلة متخيلة مع أم شابة كجزء من بحث كان يدرس تصورات الناس ومفاهيمهم عن «الطعام الصحى» .

المثال (2-5)	
مقطع من مقابلة شبه مقننة (مفهرسا)	
الفهرس	
	الباحثة: إذا، عند التفكير فى الطعام الذى تتناولينه فى أسبوع عادى ، ما الأمور التى تؤثر على ما تقرر ين تناوله من طعام؟

المستجيبة: حسنا ، يهيا لى أننا جميعا نتأثر بشيء من الروتين فى عاداتنا فى تناول الطعام - فكما تعرفين ، يحدث كثيرا فى كل أسبوع هذا الأمر ، وهو أن نتناول الكارى (وهو بهار هندى أصفر اللون) فى إحدى الأمسيات ، ونتناول السمك فى أمسية أخرى ، ونتناول اللحم المشوى ، كالعادة ، فى نهاية الأسبوع . كانت أمى تقدم اللحم المشوى دائما فى أيام الأحاد ، وكانت فى الواقع طاهية بارعة ، لذلك أحاول أن أفعل مثل ما كانت تفعل . وذلك بالرغم من أنها لم تقدم أبدا أطعمة كالكارى والمكرونة بطبيعة الأمر لأن معظم الناس لم تكن تتناول هذا النوع من الطعام فى تلك الأيام . والواقع أن كثيرا من الأطعمة التى نأكلها فى أيامنا هذه مختلفة عما كنت أكله وأنا طفلة ، فالأطعمة تطهى الآن بشكل مختلف حيث تستعمل الزيوت النباتية التى هى صحية أكثر من الدهون الحيوانية ، مثلا ، كما أننا لا نتناول وجبات إفطار ضخمة مثل لحم الخنزير والبيض إلا فى الإجازات . إلا إننى تعلمت شيئا واحدا - بالفعل - من أمى وهو كيف أطهو الأطعمة الأساسية ، لذلك فإننى غالبا ما أطهو وجبات من لحوم الدجاج ولا أشتري وجبات جاهزة .

الباحثة: هل يوجد أى شيء آخر يؤثر على ما تأكلينه؟

المستجيبة: أعتقد أن الوقت عامل مهم . فحينما يكون الزوجان يعملان خارج المنزل ، فلا يتوافر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك - فهذه الأصناف من الطعام نأكلها كثيرا ، ولكن إذا أردنا تناولها فإننا نميل إلى شرائها . إننى أحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت لأندمج فى طهو الطعام فعلا ، إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية فى برامج التلفزيون . كل ما أتمناه أن يتوافر لى الوقت والطاقة لأجرب إعداد بعض الأطعمة الجديدة .

ثم إن الأمر الآخر هو محاولة تشجيع الأطفال على تناول طعام متوازن - أو على الأقل يأكلون مقادير أقل من الحلويات ورقائق البطاطس المقلية . أنا أشعر فعلا أنه ينبغي الإقلال من الإعلانات التلفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتلفزيون - فقد أصبح من العسير ألا نستجيب لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شيئا تعرضه الإعلانات ويوجد على رفوف السوبر ماركت . إن القائمين على برامج التلفزيون يقومون بعرض بعض البرامج الجيدة

6 فعلا والتي تتناول أنظمة الغذاء الصحية ثم تكون جميع الإعلانات التي
5 تعرض في الفاصل عن بعض أنواع الأطعمة التي ينبغي ألا يتناولها
6 الأطفال . أو على الأقل ينبغي أن تكون هذه الأطعمة أحد مصادر المتعة
وليس شئنا نتناوله يوميا . أنا نفسي أحب تناول قطعة شيكولاتة أحيانا
3 خاصة إذا كنت أشعر بشيء من الاكتئاب أو الإجهاد ولكني أحاول ألا
5 أتمادى في ذلك في أغلب الأحيان .

الباحثة : هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشتريه منه؟

المستجيبة: أوه ، لا شك في ذلك طبعاً ، فلا بد ، أن تكوني ميسورة الحال
لتشتري بعض قطع اللحوم المتميزة أو تشتري الفطائر الباهظة الثمن .
3 ولكن الوضع ليس هكذا بالضبط ، فأنا أبحث دائماً عن العروض الأرخص
ثمناً : «اشتر واحدة وخذ الأخرى مجاناً» ، كما أننا نحفظ بالأطعمة في
2 الفريزر إن لم نتناولها . وهذا معناه أحياناً أن نوعية السلعة مختلفة ، كما
تعلمين ، وهو سبب بيع هذا الطعام بسعر أرخص في ذلك الأسبوع . وأنا
2 في الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلاً من شراء الفاكهة
والخضروات من السوبرماركت - ينبغي على أن أفكر في نوع الأطعمة
التي أستطيع الحصول عليها بسعر أرخص وأنا في مرحلة الاستعداد
للتسوق . كل ما في الأمر أنه لا يتوافر لي الوقت اللازم ، فلا بد أن تكون
الظروف مواتية ، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه من محل
واحد .

من الممكن أن تكون هذه الدراسة قد صممت في المملكة المتحدة في أوائل القرن
الواحد والعشرين مع ظهور المخاوف والاهتمامات الصحية والاجتماعية الحالية بسبب
المستويات المتزايدة للبدانة بين السكان واستهلاك الأطعمة الجاهزة . لذلك يمكن لدليل
الموضوعات أن يشتمل على الأسئلة التالية:

- أيمكنك أن تخبرني عن نوعيات الطعام التي تناولتها في الـ 24 ساعة الأخيرة؟
- أيمكنك أن تخبرني عن أحوال أسرتك: من الذين يعيشون معك ، ومن الذي يتولى
شراء الطعام ، ومن الذي يعد الطعام؟
- إذا فكرنا في أحوال أسبوع عادي ، ما الأمور التي تؤثر على اختيار الطعام الذي
تشتريه وعلى الوجبات التي تعدها؟

● إلى أى مدى يعتبر الطعام مهما فى نظرك؟ لماذا وكيف يعد مهما فى نظرك؟

● ما تصورك «للطعام الصحى»؟

وقد يحتوى الفهرس على الموضوعات التالية:

1 - معلومات عن الأسرة .

2 - أمثلة من الطعام الذى جرى تناوله فعلا .

3 - العوامل المؤثرة على الطعام الذى تشتريه الأسرة .

4 - العوامل المؤثرة على الطعام الذى تعده الأسرة .

5 - أهمية الطعام .

6 - التصور الذهنى للطعام الصحى .

إن الفهرس لا يميز بين أنماط المعلومات المختلفة أو الأفكار أو الآراء المختلفة المتعلقة بكل موضوع ، ولكنه يكتفى بلفت نظرك إلى وجود بعض البيانات التى قد تحتاج لإمعان النظر فيها عندما تبحث مستقبلا قضية معينة .

بدء التكويد

أثناء اشتغالك بالفهرسة يغلب أن تصبح أكثر تنبها لجوانب فى بياناتك تحتاج أن تتعمق فى استكشاف معالمها وأن تخضعها لمزيد من التحليل الدقيق . أحرص أثناء الفهرسة على تدوين هذه الجوانب أو الموضوعات المتضمنة فى بياناتك ، والتى تريد استكشاف معالمها ، ولاحظ الطرق المختلفة التى تتبع فى مناقشة أو عرض موضوعات معينة فى كل مصدر من مصادر البيانات . وينبغى عليك أيضا أن تستحضر فى ذهنك أسئلة بحثك (فصل 4 باب 1) وأن تواصل البحث عن العبارات ، والحكايات ، والخبرات ، والآراء الموجودة فى هذه البيانات ، والتى قد تساعدك على فهم أسئلة بحثك والإجابة عليها .

إن ما تكتبه لنفسك من ملاحظات ومذكرات موجزة سريعة يوفر لك الأساس لبدء تكويد بياناتك أو تصنيفها . أيا ما كان الأسلوب التحليلى الذى تستخدمه ، فإن شيئا من التكويد الأساسى - أو شيئا من تحديد وتجميع المادة المتعلقة بموضوع ، أو رأى ، أو خبرة ما - سيوفر لك منطلقا تبدأ منه التكويد .

ومع ذلك ، فإنه يتعين عليك - مبدئيا - أن تحدد ما الذى تبحث عنه؟ وما الذى يهكم فى هذه البيانات؟ وأن تجعل نفسك على دراية وحسن معرفة بمجموعة البيانات المتعلقة

بذاك الموضوع ، وذلك قبل اللجوء إلى استخدام نوع من التوكيد الاستكشافى للبدء فى تفسير هذه البيانات بصورة تجريبية مبدئية.

فى المثال المبين أعلاه قد تبدأ بإلقاء نظرة أدق على العوامل المؤثرة على الأفراد حينما يقررون نوع الطعام الذى يشترونه ويعدونه. فى أثناء قراءتك الشاملة لكافة مصادر بياناتك ربما تبدأ فى العثور على بعض الموضوعات الأساسية المتكررة التى تتبلور أمام ناظريك ، كما يمكنك أن تبدأ فى تمييزها عن طريق تطوير نوع من التوكيد الأساسى لهذه البيانات. ينبغى عليك أن تنظر إلى هذا الأمر على أنه مجرد حركة ينتقل بها فهرسك إلى مستوى أبعد مدى ، وأنه بداية لتحديد بعض الموضوعات الموجودة فى بياناتك ، والتى تحتاج إلى أن تتعمق فى استكشافها فى تحليلك .

وكما هو الحال مع الفهرسة ، فإن من المفيد البدء بتمييز الموضوعات الأساسية عن طريق استعمال نظام للتوكيد وإعطاء كل موضوع اسماً . وفى مثالنا المذكور قمنا بتحديد مجموعة أولية من الأكواد المتعلقة بالعوامل المؤثرة على شراء الطعام وإعداده . لاحظ أن كل كود معرف تعريفاً واضحاً وأن هذا التعريف يحاول أن يصف كل البيانات التى يجب إدراجها ضمن التعريف . إذا بدأت فى العثور على بيانات لا تتماشى مع هذا التعريف فقد تحتاج إلى التفكير فى استحداث كود جديد ليتلاءم مع هذه البيانات - أو قد تحتاج إلى تعديل تعريفك حتى يتم إدراج هذه البيانات فيه . هنا تكون قد بدأت فى المعالجة الفعلية للبيانات وفى التفكير فى طريقة تفسيرك لها .

المثال (2-6)

الأكواد

جدول رقم (2-3): أمثلة من الأكواد

اسم الكود	التعريف
تأثير الأسرة ذات الأطفال (ت أ ط) (ICF)	الإشارة إلى الأسرة ذات الأطفال بوصفها عاملاً مؤثراً سلباً أو إيجاباً على اختيار الطعام الذى يتقرر شراؤه و / أو إعداده .
وسائل الإعلام - سلبى (و إ س) (IMN)	الإشارة إلى وسائل الإعلام التى تؤثر على اختيار الأطعمة التى تعتبر غير صحية .
وسائل الإعلام - إيجابى (و إ!) (IMP)	الإشارة إلى وسائل الإعلام التى تؤثر على اختيار الطعام الذى يعتبر صحياً .

الوقت - وشراء الطعام (و - ش ط) (ITB)	الإشارة إلى الوقت أو نقص الوقت ، الذى يؤثر على اختيار ما يُشترى من الطعام .
الوقت - إعداد الطعام (و - إ ط) (ITP)	الإشارة إلى الوقت ، أو نقص الوقت ، الذى يؤثر على اختيار ما يعد من الطعام .

المثال رقم (2-7)

الكود	مقطع من مقابلة شبه مقننة (تكويد أولى)
	الباحثة: إذا، عند التفكير فى الطعام الذى تتناولينه فى أسبوع عادى ، ما العوامل التى تؤثر على ما تقرر ين تناوله من الطعام ؟
ت أ ط (TCF)	المستجيبة: حسنا، يهيا لى أننا جميعا نتأثر بشيء من الروتين فى عادتنا فى تناول الطعام . فكما تعرفين ، يحدث كثيرا فى كل أسبوع هذا الأمر ، وهو أن نتناول الكارى (وهو بهار هندى أصفر اللون) فى إحدى الأمسيات ، و نتناول السمك فى أمسية أخرى ، و نتناول اللحم المشوى ، كالعادة ، فى نهاية الأسبوع - كانت أمى تقدم اللحم المشوى دائما فى أيام الأحاد ، وكانت فى الواقع طاهية بارعة ، لذلك أحاول أن أفعل مثل ما كانت تفعل . وذلك بالرغم من أنها لم تقدم أبدا أطعمة كالكارى أو المكرونة بطبيعة الأمر لأن معظم الناس لم تكن تتناول هذا النوع من الطعام فى تلك الأيام . الواقع أن كثيرا من الأطعمة التى نأكلها فى أيامنا هذه تختلف عما كنت أكله وأنا طفلة - فالأطعمة تطهى الآن بشكل مختلف حيث تستعمل الزيوت النباتية التى هى صحية أكثر من الدهون الحيوانية ، مثلا ، كما أننا لا نتناول الآن وجبات إفطار ضخمة مثل لحم الخنزير والبيض إلا فى الإجازات . إلا أننى تعلمت شيئا واحدا - بالفعل - من أمى وهو كيف أطهو الأطعمة الأساسية ، لذلك فإبنى أقوم فى أغلب الأحوال ، بطهى وجبات من لحوم الدجاج ولا أشتري وجبات جاهزة .
ت أ ط (TCF)	الباحثة: هل يوجد أى شيء آخر يؤثر على ما نأكلينه؟
و إ ط ITP	المستجيبة: أعتقد أن الوقت عامل مهم . فحينما يكون الزوجان يعملان خارج المنزل ، فإنه لا يتوافر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الكعك - فهذه الأصناف من الطعام لا نأكلها كثيرا ، ولكن إذا أردنا تناولها ، فإننا نميل إلى شرائها . إننى أحب أن يتوافر لدى المزيد من الوقت لأندمج

و!!
IMP

و!س
IMN

فى طهو الطعام فعلا - إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية فى برامج التليفزيون - كل ما أتمناه أن يتوافر لى الوقت والطاقة لتجربة بعض لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شينا تعرضه الإعلانات وموجود أصناف الطعام الجديدة .

ثم إن الأمر الآخر هو محاولة جعل الأطفال يأكلون طعاما متوازنا - أو على الأقل يأكلون مقادير أقل من الحلويات ورقائق البطاطس المقلية ، أنا أشعر فعلا أنه ينبغي الإقلال من الإعلانات التليفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية أثناء مشاهدة الأطفال للتليفزيون - فمن العسير جدا ، ألا نستجيب لهم بعد أن يكونوا قد شاهدوا شينا تعرضه الإعلانات وموجود على رفوف السوبرماركت . إن القائمين على برامج التليفزيون يقومون بعرض البرامج الجيدة فعلا والتي تتناول أنظمة الغذاء الصحية ثم تكون الإعلانات التي تعرض فى الفاصل عن تلك الأطعمة التي ينبغي ألا يتناولها الأطفال . أو على الأقل يمكن أن تكون هذه الأطعمة أحد مصادر المتعة وليست شيئا نتناوله يوميا . أنا نفسى أحب تناول قطعة شيكولاتة أحيانا ، خاصة إذا كنت أشعر بقليل من الاكتئاب أو الإجهاد ولكنى أحاول - غالبا - ألا أتمادى فى ذلك .

الباحثة: هل تؤثر تكلفة الطعام على ما تشتريه منه؟

المستجيبة: أوه لاشك فى ذلك طبعا ، فلا بد أن تكونى ميسورة الحال لتشتري بعض قطع اللحوم الممتازة أو تشتري الفطائر الباهظة الثمن . ولكن الأمر ليس بهذا الوصف تماما ، فأنا أبحث دائما عن العروض الأرخص ثمنا : "أشتر واحدة وخذ الأخرى مجانا" ، كما أننا نحفظ بالأطعمة فى الفريزر إن لم نتناولها . وهذا معناه أحيانا أن لدينا مستوى مختلف من الجودة ، كما تعلمين ، ولهذا يباع هذا الطعام بسعر أرخص فى ذلك الأسبوع . وأنا فى الواقع مطالبة بالذهاب إلى محل بيع الخضروات بدلا من شراء الفاكهة والخضروات من السوبرماركت . ينبغي على أن أفكر فى نوع الأطعمة التي أستطيع الحصول عليها بسعر أرخص إن كنت أستعد للتسوق . كل ما فى الأمر أنه لا يتوافر لى الوقت اللازم - فلا بد أن يكون الوقت متاحا ، حتى يحصل المرء على كل شيء يريد شراءه تحت سقف واحد .

استخدام الرسوم البيانية

بعد أن تبدأ استكشاف معالم بياناتك باستعمال نوع من التوكيد الأولى ، ربما تحتاج إلى التحرك بهذا التوكيد إلى مدى أبعد بواسطة إنشاء رسم بيانى ذى بعدين . وهذا النمط من الرسم البيانى أو الإطار الذى نقدمه هنا مبنى على طريقة «الإطار» فى

تحليل الموضوعات الأساسية ، وهى الطريقة التى شرحها بالتفصيل ريتشى ولويس (2003) (انظر الفصل الرابع ، للوقوف على مزيد من التفاصيل) . وأيا ما كان الأمر ، فإننا نشعر أن بالإمكان أن يكون هذا الرسم البيانى طريقة أولية يفيدك الأخذ بها أيا ما كانت طريقتك فى التحليل ، لأنك تستطيع من خلال استعمال الرسم البيانى :

(أ) تستطيع إدراك نطاق المادة المتعلقة بموضوع معين داخل أى مصدر بيانات .

(ب) وتستطيع أن تقارن ما يقوله أحد مصادر البيانات (كأحد المشاركين مثلا) عن هذا الموضوع بما تقوله المصادر الأخرى .

والمعتاد أن يكون لكل رسم بيانى موضوع أساسى أو قل إنه يغطى جانبا من موضوع بحثك ، كما أنك قد تحتاج لإنشاء عدد من الرسوم البيانية فى بداية الأمر لمساعدتك على استكشاف معالم بياناتك . وفى مثالنا المذكور نستعمل الموضوع الأساسى المتمثل فى السؤال : «ما الذى يؤثر على الأفراد عندما يختارون الطعام الذى يشترونه ويعدونه؟» . وقد يكون لدينا أيضا رسم بيانى يركز على موضوع «تصورات الأفراد عن الطعام الصحى» .

بإمكانك أن تعد رسما بيانيا بطرق كثيرة ، ابتداء بالفكرة البسيطة الخاصة باستخدام صحيفة كبيرة من الورق مرسوم عليها شبكة ، (أى شكل بيانى ذو أعمدة وصفوف متقاطعة) ، وانتهاء بالطريقة الأكثر تعقيدا والمتمثلة فى استخدام الجداول وكشوف الحسابات على حاسبك لتوفر لك هذا الرسم البيانى . من واقع المثال المبين فى الجدول رقم (4-2) أدناه سترى ضمن قائمة مكتوبة أسفل هذا الرسم البيانى مصادر البيانات العديدة (والتي تضم فى هذه الحالة : مقابلات ، وجماعات مناقشة ، ووثيقة) ، كما توجد على امتداد قمة الرسم البيانى الأكواد المختلفة التى حددناها .

فى هذه الشبكة يمكنك أن تدخل شواهد أساسية (أى : جملا أو عبارات مقتبسة على سبيل الاستشهاد بها) ، تستخرجها من مصادر بياناتك ، وملخصات للمسائل التى أثارها المستجيبون ، ومعلومات واقعية عن مصدر البيانات هذا . لاحظ أنك قد تحتاج إلى أكثر من صحيفة ورقية واحدة لكل رسم بيانى إن كان لديك من مصادر البيانات عدد أكبر من أن تناسبه بسهولة صحيفة ورقية واحدة . قد تكون بعض الصناديق التى فى هذه الشبكة فارغة نظرا لعدم وجود مادة مناسبة لها فى مصدر البيانات ذاك . ستجد أن من المفيد فى هذه المرحلة أن تضيف رقم الصفحة ورقم السطر أو الفقرة لأى مقتبسات تدرجها ، حتى تكون قادرا على العثور بسهولة على هذه المواد الخام وعلى النظر إلى تلك الشواهد داخل سياقها الأصلى .

فكر في هذا الموضوع . . .

الرسوم البيانية

ألق نظرة على امتداد الجدول رقم (2-4)، لترى ما العوامل المؤثرة التي حددها كل مصدر من مصادر البيانات؟، وكيف تم وصف ومناقشة هذه العوامل المؤثرة؟ ثم انظر أدنى كل عمود لترى كيف قامت هذه المصادر المختلفة للبيانات بوصف ومناقشة كل عامل مؤثر من هذه العوامل.

اكتب بعض الملاحظات عن كل واحد من هذه الأعمدة، مميز الأي تشابهات أو اختلافات في النقاط التي أثارها الباحثون في كل مصدر من مصادر البيانات.

إن كنت تخطط لاستخدام حزمة برمجيات للتحليل الكيفي (كحزمة إن فيفو NVivo) فإننا نرى أن نقرأ الآن الفصل التاسع من هذا الباب لمساعدتك في إعداد بياناتك وتخطيط تحليلك لتحقيق أقصى درجات الانتفاع الفعال بهذه الحزم.

بحثك

البدء في التحليل

سواء أكنت تعالج بيانات كمية أو كيفية فأنت الآن متأهب للدخول فعلا في عملية التحليل. ومن المستصوب في هذه المرحلة أن تقوم بثلاثة أعمال :

1 - أن تعيد تفقد أسئلة بحثك. فكر في الطريقة التي بها ستمكنك بياناتك من الإجابة على أسئلة بحثك أو اختبار فروضك.

2 - خطط تحليلك : ضع قائمة بالمهام التي ستقوم بأدائها في أول الأمر. وقد تحتوي هذه القائمة على مجموعة من جداول التكرار والجداول المزدوجة، أو قد تتمثل هذه القائمة في تطوير مجموعة من الرسوم البيانية.

3 - احتفظ بسجل أو قائمة بكل العمليات التحليلية التي تقوم بتنفيذها وأضف بجانب كل عملية ملاحظاتك الشخصية عما اكتشفته أو تعلمته من جدول معين، أو اختبار إحصائي أو رسم بياني إحصائي معين. ينبغي أن يحتوي سجلك على أي متغيرات جديدة تستحدثها أو أكواد تحددها مع ذكر تعريفاتها.

قائمة المراجعة	✓
هل بياناتك كاملة؟	
هل تعرف بياناتك؟	
هل قررت كيف تنظم بياناتك بحيث تستطيع العثور على ما تريد العثور عليه؟	
هل خططت تحليلك؟	

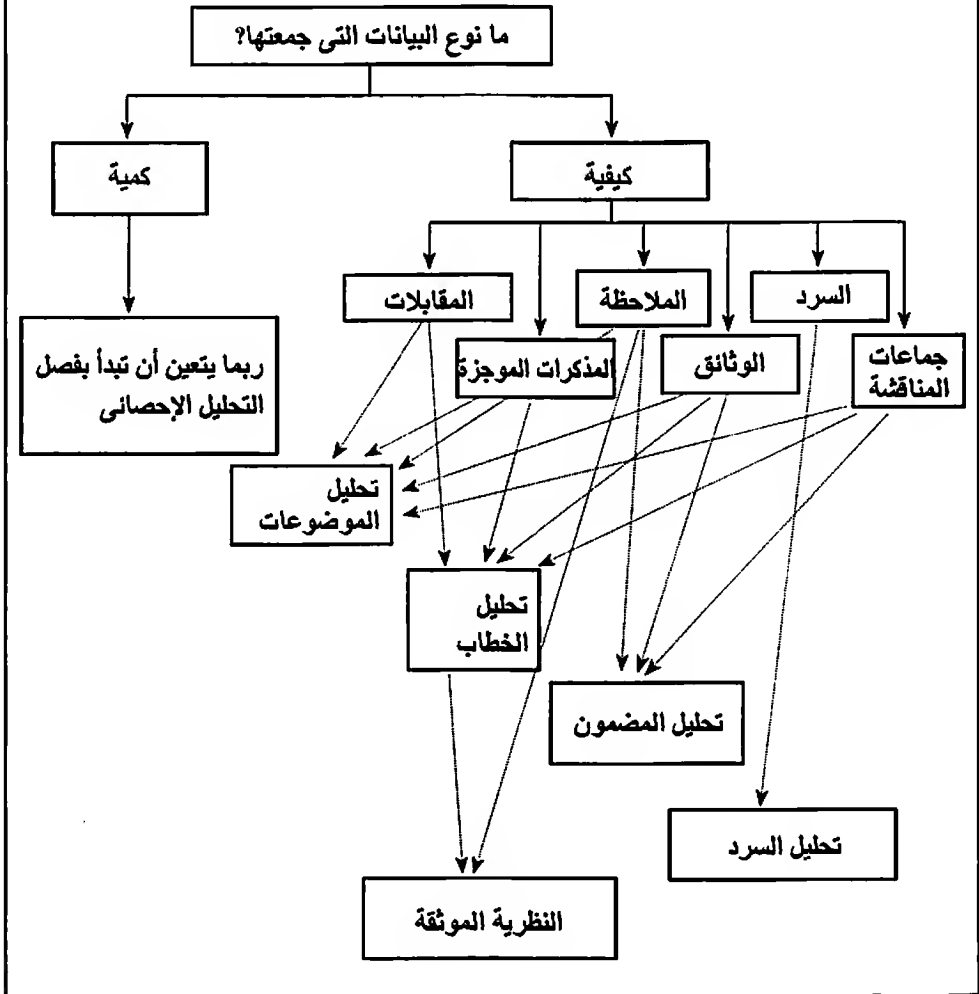
جدول رقم (2-4) : العوامل المؤثرة على اختيارات الأفراد عند شراء الطعام وإعداده

التكلفة	الوقت	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	نمط الأسرة	مصدر البيانات [المميز]
«أنا أبحث دائما عن العروض الأرخص ثمنًا ... وهذا مناه أحيانًا أن لدينا شيئًا مختلفًا ، كما تلمسني ، إذا كان هذا الطعام يباع بسعر أرخص ... في ذلك الأسبوع الفاكهة والخضروات ... يمكنني الحصول على الطعام الأرخص ثمنًا إن كنت أستخدم التسوق . كل ما في الأمر أنه لا يتوافر لي الوقت اللازم - فلا بد أن تكون الظروف مواتية، الحصول على كل شيء تحت سقف واحد ملحوظة : الصلة بين الوقت والتكلفة	أعتقد أن الوقت عامل مهم : فحينما يكون الزوجان كلاهما يعملان خارج المنزل ، فإنه لا يتوفر لهما وقت كثير ليعدا طعاما كالحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد القطائر أو الكعك ... إنني أحب أن يتوافر لي المزيد من الوقت لأندمج في طهي الطعام فعلا - إذ توجد في هذه الأيام أفكار كثيرة للعناية في برامج التلفزيون - كل ما أنصاه أن يتوافر لي الوقت والطاقة لتجربة بعض الأطعمة الجديدة.	«... ينبغي الإكثار من الإعلانات التلفزيونية عن الحلويات والوجبات الخفيفة غير الصحية على التلفزيون أثناء مشاهدة الأطفال له...»	إنهم يقومون بمرض بعض البرامج الجيدة فعلا والتي تصرف «بالأغذية الصحية».	كانت أمي تقدم اللحم المشوي دائما في أيام الأحد، وكانت في الواقع طاهية بارعة لذلك أحاول أن أفعل مثل ما كانت تفعل.	والدان + طفلان	المقابلة رقم ١

التكلفة	الوقت	المؤثرات السلبية	التأثيرات الإيجابية	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	نمط الأسرة	مصدر البيانات [المميز]
عندما لا يتوافر لك وقت كثير فإنه لا تستطيعين - في الواقع - أن تحصلي الشعور بالقلق البالغ من مسألة تكلفة الطعام - كل ما في الأمر أنك تحارلين شراء أفضل ما يمكنك شراءه . ملحوظة : الصلة بين الوقت والتكلفة .	هذا هو العامل المؤثر في نظري، في حالة اشتغالي أنا وزوجي خارج المنزل لا يتوافر لنا وقت كثير في الواقع . إنني أشعر بالذنب، بالرغم من أنه ينبغي علي أن يكون لدي وقت لطهو الطعام لطفلي .	إن ما يجعلني أصاب بالاكتئاب فعلا هو تلك الإعلانات التي تدعو لتناول الحلويات والمياه الغازية في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون .	أنا أقرأ كل المجلات وأشاهد جميع برامج التلفزيون - إنني أحبذ - إلى حد ما - الطعام الصحي .	إننا نذهب دائما إلى والدته لتناول عشاء الأحد - لطها أفضل وجبة نتناولها طوال الأسبوع .	والدان + طفل واحد	القابلة رقم ٢
أنا أم عزبة، لذلك لا يتوافر لدي قدر كبير من المال ، ولكنني أعرف كيف أعد وجبة صحية جيدة من عناصر رخيصة الثمن .	في الواقع أنا أستمع بطهو الطعام وأنا أرى أنه نوع من الهواية . ملحوظة : هل تتعلق هذه العبارة باستخدام الوقت؟	إن ما يجعلني أصاب بالاكتئاب فعلا هو تلك الإعلانات التي تدعو لتناول الحلويات والمياه الغازية في أثناء مشاهدة الأطفال التلفزيون .	أنا أقرأ كل المجلات وأشاهد جميع برامج التلفزيون - إنني أحبذ - إلى حد ما - الطعام الصحي .	أذكر كم كنت أمتنع كثيرا بما تطهوه أمي وبالجلوس حول المائدة كل مساء ونحن نتحدث ونأكل - هذا ما أريده لأطفالي .	أم + طفلين	القابلة رقم ٣
كانت التكلفة أهم عامل مؤثر في اختيار الطعام .	كان الوقت ثاني أهم العوامل المؤثرة على اختيار الطعام .	يوجد دائما شيء غير مناسب لك - فأنت نصابين بالضجر من كثرة ما يقال لك أنك لا يمكنك أن تأكلي هذا الطعام ، إن هذا يجعلك قلقة مضطربة .	ممنهم هؤلاء الأمهات شاهدين برامج جامي أوليفر ويرين أنه ينبغي تقديم وجباته في سائر المدارس .	لدى بعضهن ذكريات عن الوجبات العائلية، بينما تذكر أخريات تناولهن الطعام أثناء مشاهدة التلفزيون أو تناول كل عضو في العائلة طعامه بغير ده .	جميع أفراد الجماعة أمهات عزوبات لهن أطفال دون الخامسة من العمر .	جماعة مناقشة رقم ١

رقم الوثيقة	مصدر البيانات [المميز]	نمط الأسرة	عوامل تأثير الأسرة على الأطفال	التأثيرات الإيجابية لوسائل الإعلام	المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام	الوقت	التكلفة
١	كتيب أصدرته وزارة الصحة عن الأطفال والطعام الصحي.	جميع أعضاء الجماعة من الآباء الذين يعيشون مع زوجاتهم ولهم أطفال دون الخامسة من العمر.	كان بعض الآباء يشعرون أن زوجاتهم لم يكن طاهيات جيدات كأمهاتهم. تذكر معظمهم أنهم كانوا يطالبون بتناول الخضروات ، وكان بعضهم يشعرون بأنهم لا يريدون أن يكونوا شديدي التزم مع صفارهم في شأن الطعام.	«في هذا الكتيب اب نهدف إلى تزويدك بمعلومات واضحة عما هو مفيد لطفلك ولك - وهذه المعلومات تستند إلى الدليل الصحي والعلمي».	«كثير جداً من برامج طهو الطعام ، تكثف زوجتي بالجلوس إلى التلفزيون ومشاهدتها - وهي لا تطهو أبداً أي وجبة من هذه الوجبات»	«التجول في الأسواق معناه قضاء نصف يوم الإجازة في التسوق»	الطعام الجيد يتكلف - بالفعل - أحياناً ثلثاً أكثر قليلاً ، ولكنه يستحق هذه التكلفة حتى نعرفي أن طفلك سيكون وهو يتناول الطعام الذي يفيد . . .».

اختيار أساليب التحليل



تبين الخطوط المكونة من شُرْط بعض تقنيات التحليل التي من الممكن تطبيقها على بياناتك. أرجو أن تتذكر أن هذه التقنيات ليست إلا خطوطاً إرشادية عامة - فتقنيات جمع البيانات التي تستخدمها تعتبر خاصة بمشروعك وحده.

(*) هذا الرسم البياني يفرق بين البيانات الكمية والكيفية. والهدف من ذلك هو التوضيح فحسب! (إذ إن البيانات المستمدة من الملاحظة، مثلاً، قد تكون كمية وكيفية أيضاً).

المراجع وقراءات للاستزادة

- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Seale, C., Gobo, G., Gubrium, J. F. and Silverman, D. (2007) *Qualitative Research Practice*, London: Sage.
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثالث

التحليل الإحصائي

محتويات الفصل

- تحليل البيانات الكمية .
- استعمال التحليل الإحصائي لتلخيص بياناتك ووصفها .
- تطوير التحليل .
- استخدام التحليل الإحصائي في معالجة أسئلة البحث .
- اختبار العلاقات : اختبار باستعمال كاي تربيع .
- اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون .
- التحليل الإحصائي كعملية .
- عرض نتائج التحليل الإحصائي .
- المراجع وقرءات للاستزادة .

عن السياق

- يمكننا التحليل الإحصائي من :
- تلخيص البيانات التي جمعناها ووصف هذه البيانات .
 - وصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا على تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا .
 - استكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات .
- في هذا الفصل سنمعن النظر في كل ملمح من هذه الملامح التي يتصف بها التحليل الإحصائي من حيث صلتها بعملية معالجة وتحليل البيانات بهدف المساعدة في الإجابة على أسئلة البحث .
- نقترح أن تقرأ الفصل الثاني من هذا الباب قبل قراءة هذا الفصل .

فى هذا الفصل نقدم تقنيات التحليل الإحصائى التى تمكنك من فحص البيانات الكمية التى جمعتها. ونظراً لتطور البحث الاجتماعى، وخاصة ما تم منه باستعمال كل من المسوح الاجتماعية الواسعة النطاق والتى تهدف لاكتشاف ما يفكر فيه الناس وما يعملونه، من جهة، وما قامت به الحكومة وغيرها من المنظمات من جمع وتحليل للبيانات بهدف توفير المعلومات اللازمة لصناعة القرار السياسى ولتطوير الخدمات وتقسيمها من جهة أخرى؛ نقول: نظراً لذلك تم تطوير التقنيات الإحصائية للمساعدة فى فهم البيانات المجموعة. وقد أصبح التحليل الإحصائى ميسراً من خلال تكنولوجيا المعلومات والاستعمال المتنامى للحواسيب الآلية فى عد وحساب الإحصائيات المعقدة المتعلقة بمقايير ضخمة من البيانات التى من شأن عدها يدوياً أن يكون عملاً شاقاً ومستنفذاً للوقت.

ورغم أن التقنيات الإحصائية معقدة أحياناً، فإنها لا تعدوا أن تكون أدوات تساعدنا فى معالجة البيانات التى جمعناها بطريقة منهجية. وهذه التقنيات لا تقوم بالتحليل نيابة عنا، وإنما هى تزودنا ببعض الطرق البسيطة، وكذلك بعض الطرق المعقدة، لفحص ومعالجة بياناتنا. إذ تعتمد هذه التقنيات الإحصائية - فعلاً - على النظريات والصيغ الإحصائية، كما أن كثيراً من دارسى البحث الاجتماعى لا يملكون المعرفة والمهارات فى الرياضيات اللازمة للفهم والاستعمال الكاملين للتقنيات الأكثر تعقيداً.

بحثك

مع أن حزم البرمجيات الحاسوبية، والتى منها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS (فصل 9) توفر - بالفعل - للدارسين وسيلة الاستفادة بالتقنيات الإحصائية بدون أن يكون لديهم الاستيعاب الكامل للنظرية الرياضية التى تركز عليها هذه التقنيات، فإنه ينبغى عليك أن تتنبه إلى أن من الضرورى أن تتفهم جيداً هدف كل تقنية إحصائية حتى تكون قادراً على استخدامها استخداماً فعالاً، وعلى ما هو أهم من ذلك: وهو أن تفسر هذه النتائج.

إن ما نحاول القيام به هنا هو إطلاعك على مجموعة من الطرق الأساسية للمعالجة الإحصائية لبياناتك تتناسب مع كثير من البحوث ذات النطاق الصغير، وإرشادك للأساليب الأكثر تعقيداً إن كنت ترغب فى الانتقال بدراسك التى تجريها فى هذا المجال إلى مدى أبعد من ذلك. إننا نطلعك على استعمال حزم البرمجيات، التى منها الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية فى الفصل 9 من هذا الباب، كما سنشير إلى هذه الحزم فى هذا الفصل أيضاً.

ما الإحصائيات؟

1 - هي «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)

وفى البحث الاجتماعى ينطبق مفهوم الإحصائيات على البيانات المقننة القابلة للعد والحساب أو المعبر عنها فعلا بعبارات عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمارة (فصل 3 باب 3)

2 - «هى أى سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية).

وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائى من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما (فصل 5 باب 2) بوصف هذه التقنيات الأساس الذى يقوم عليه جمع البيانات فى كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هى سمات العينة التى يمكن عدّها، مثال ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التى يقرؤون جريدة الديلى ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «ممتاز».

كلا التعريفين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير فى إجراء تحليل إحصائى.

سوف تشتمل معظم البحوث الاجتماعية التى ستطلع عليها وتنتفع بها على شىء من التحليل الإحصائى للبيانات. فالمسوح ذات النطاق الكبير، والتعدادات السكانية والبحوث التى تستخدم الاستبيانات المقننة أو الاستمارات فى جمع البيانات تتلاءم مع تحليلها إحصائيا لأن البيانات مجموعة داخل قالب مقنن سبق تجهيزه لهذا الغرض. وينصب التأكيد هنا على حساب عدد الإجابات المختلفة التى أجيب بها على كل سؤال، وعلى النتائج التى يتم - فى العادة - عرضها فى جداول وخرائط ورسوم بيانية. إن أنسب استعمال للتحليل الإحصائى هو فى البحث الذى يجمع البيانات المستمدة من عينة احتمالية لمجتمع بحث معروف، حيث يمكنك تطبيق تقنيات التحليل الإحصائى على هذه العينة ثم تستخلص استقرائيا، أو تعمم نتائجك لتطبق على مجتمع البحث بأكمله، وليس على هذه العينة فقط. وأيا ما كان الأمر فإن كثيرا من هذه التقنيات تعتبر مناسبة كذلك لنوع المشروعات البحثية الاجتماعية الصغيرة النطاق، والتى يقوم بها الطلاب وغيرهم وليست قائمة على أساس عينة احتمالية بل تجمع البيانات المقننة من مجموعة حالات ممثلة باستعمال طريقة مناسبة لاختيار العينة، كطريقة العينة الحصىة مثلا. (فصل 5 باب 2).

ما الدلالة الإحصائية؟

الدلالة الإحصائية أو المعنوية الإحصائية هي حكم يتعلق بمدى رجحان النتيجة الملحوظة، ليس إلا. وهي لا تضمن أن شيئا مهما أو حتى شيئا له معناه قد عثر عليه. (هايس، 1993، ص 68).

1 - يتم تصميم اختبارات الدلالة الإحصائية لاستعمالها مع البيانات التي تجمع من عينة مأخوذة من مجتمع بحث ما. وعادة ما يتم اختيار هذه العينة لتمثل مجتمع بحث محددا تمثيلا إحصائيا. والهدف الرئيسي لاختبار الدلالة الإحصائية هو توفير مقياس يقيس مدى احتمال أن العلاقات الموجودة في البيانات المستمدة من هذه العينة سوف توجد أيضا في مجتمع البحث الأوسع نطاقا. ومن شأن هذا الاختبار أيضا أن يبين مدى الاحتمال الإحصائي لأن تكون العلاقات القائمة بين البيانات الموجودة في العينة غير موجودة في مجتمع البحث الأوسع نطاقا.

يجب على الباحث أن يحدد ما هو مستعد لقبوله من مستوى الخطر المائل في كون بيانات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع في مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطر الذي يشيع استعماله أكثر من غيره هو: احتمال $0.05 >$ ، أو 5% احتمال أن العلاقات الموجودة في بيانات العينة لن توجد في مجتمع البحث الكبير.

ولا ريب أننا لا نستطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر، أو لا تعتبر، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5%، إلا أننا نستطيع بواسطة إمعان النظر في مستوى الاختبار الإحصائي أن نتوصل إلى شيء من الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التي من شأنها أن توجد في مجتمع البحث الأكبر.

2 - تستعمل الدلالة الإحصائية كذلك لبيان احتمال أن تكون نتيجة معينة مثل كاي تربيع، قد حدثت مصادفة. ففي المثال الخاص بكاي تربيع في موضع لاحق من هذا الفصل، طرحنا فرضا صفريا بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين. فإن وجدنا أن هذه النتائج ذات دلالة إحصائية أمكننا حينئذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى. والمستوى المقبول للدلالة الإحصائية، والذي يستعمله معظم الباحثين الاجتماعيين هو ح (احتمال). $5.0 >$ أى: احتمال 5% لعدم وجود علاقة بين المتغيرين.

من الملائم كذلك أن يعتمد الباحثون الاجتماعيون على أبحاث غيرهم، لذلك يتعين عليهم أن يكونوا قادرين على قراءة وفهم التقنيات الإحصائية التي يستعملها غيرهم من الباحثين. وسوف يساعدك هذا الفصل في فهم بعض التقنيات التي يستعملها الباحثون الآخرون وفي الوصول إلى فهم أفضل لنتائج بحوثهم.

بحثك

الاتجاهات الاجتماعية

يُنشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعية» كل عام (وهو الآن متاح للجمهور وتم آخر دخول عليه في سبتمبر 2009، على موقع www.socialtrends.gov.uk). يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية. وتقدم البيانات في شكله من القوالب - كالجداول، والخرائط والرسوم البيانية - ويوفر موجز للنقاط الرئيسية ذات الأهمية في هذه البيانات الأساس الذي تقوم عليه المناقشة. من خلال قراءة تلك التقارير تستطيع اكتساب فهم للبيانات الإحصائية والطريقة التي يمكن أن تعرض بها في أفضل صورة.

تحليل البيانات الكمية

إن أي تحليل للبيانات الاجتماعية يزيد عن مجرد كونه تلخيصا للبيانات التي سبق جمعها. فالتحليل (انظر قائمة المصطلحات) هو عملية معالجة للبيانات بهدف تلخيص وبيان وتفسير هذه البيانات في ضوء أسئلة البحث أو فرض المشروع البحثي. وتحليل البيانات الكمية عملية (انظر قائمة المصطلحات) تجري في ثلاث مراحل. وتعد كل مرحلة من هذه المراحل مهمة لأننا نعمل بهدف الوصول إلى مجموعة من النتائج التي ستساعدنا في الإجابة على أسئلة بحثنا أو في اختبار أحد الفروض.

يمكننا التحليل الإحصائي للبيانات من:

- تلخيص البيانات التي جمعناها ووصف هذه البيانات.
- ووصف ملامح البيانات بطرق تساعدنا في تمييز الجوانب ذات الصلة بأسئلة بحثنا.
- واستكشاف واختبار العلاقات القائمة بين المجموعات المختلفة من البيانات.

وسوف نصحبك في هذه الفقرة على امتداد مراحل هذه العملية ونحن نبحث الطريقة التي يتطور التحليل وفقا لها. سوف نستعمل بعض البيانات المتخيلة والمستمدة من استبيان عن التواصل الاجتماعي عبر شبكات الكمبيوتر في أجزاء من هذه الفقرة. يمكن أن

يستعمل هذا الاستبيان في جمع بيانات عن الطريقة التي يتبعها الأفراد في عقد اللقاءات الاجتماعية والحفاظ على الاتصال بالأصدقاء والأسرة، كما يهتم الباحث بصفة خاصة بما إذا كان الرجال والنساء مختلفين في الطرق التي يتبعونها في هذا الشأن أم لا، ومهتم كذلك بما إذا كان السن مرتبطا باستعمال الوسائل المختلفة للاتصال أم لا. نقدم أولا جزءا مستخلصا من هذا الاستبيان التخلي، وبه أسماء المتغيرات ملحقة بكل سؤال/ متغير.

فكر في هذا الموضوع . . .

تذكير: في الفصل 2 من هذا الباب، قدمنا بعض السمات الأساسية للطريقة التحليلية في معالجة بياناتك.

البيانات المقتنة

السمتان الأساسيتان للبيانات المقتنة هما:

- (أ) أن الأسئلة تكون هي هي نفسها لكل مشارك أو لكل حالة؛
- (ب) وأنه توجد، نموذجيا، مجموعة مشتركة من الأجوبة لكل سؤال.

المتغيرات واستحداث متغيرات جديدة

- المتغير هو مجموعة أجوبة على سؤال ما.
- يمكن استحداث متغيرات جديدة من واقع البيانات عن طريق جمع الأجوبة التي أجيب بها على متغير أو أكثر من متغير، مثل السن/الجنس.
- يبين عدد مرات تكرار كل متغير مقدار ظهور كل إجابة أو ترميز أعطيت لكل متغير.
- تبين الجداول المزدوجة العلاقة بين متغيرين أو أكثر داخل قالب جدولي.

الأكواد

الأكواد هي الأسماء أو محددات الهوية المعطاة لكل إجابة من الأجوبة الموجودة في مجموعة متغير ما. سوف نستعمل هذه الأكواد في هذه الفقرة، كما أنك قد ترغب في الرجوع إلى الفصل 2 من هذا الباب.

المثال (1-3)

استبيان التواصل عبر الشبكات الاجتماعية

اسم المتغير

النوع

☐

أنثى

☐

ذكر

1 - هل أنت

2 - أى مجموعة عمرية يقع سنك فيها؟

	١٦-٢٤ سنة
	٢٥-٤٤ سنة
	٤٥-٦٤ سنة
	٦٥ سنة فما فوق

المجموعة العمرية

وقت الفراغ

3 - أى هذه الأنشطة تشارك فيها أثناء وقت فراغك؟

(الرجاء وضع علامة على كل الأنشطة التى تنطبق على حالتك)

تلفزيون	مشاهدة التلفزيون
موسيقى	الاستماع للموسيقى
النت	الإنترنت (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)
أصدقاء/ أسرة	قضاء الوقت مع الأصدقاء/ الأسرة
حانة	الذهاب إلى الحانات/ النوادي
العاب رياضية	الألعاب الرياضية/ أنشطة التدريبات
ألعاب الكمبيوتر	ممارسة ألعاب الكمبيوتر

4 - ما مدى تكرارية استخدامك للإنترنت فى

وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)؟

	كل يوم
	من ثلاثة أيام إلى ستة فى الأسبوع
	يوما أو يومين فى الأسبوع
	أقل من مرة فى الأسبوع
	لا أستخدامه إطلاقا

5 - ما عدد الساعات التي تقضيها كل أسبوع ، تقريبا ، في استخدام الإنترنت؟

ساعات النت

--- ساعة

6 - ما الطرق التي أنت معتاد على اتباعها في الحفاظ على الاتصال بأصدقائك المقربين أو أسرَتك (بخلاف من يعيشون مثلك في نفس المنزل)؟

(الرجاء وضع علامة على الطرق التي تنطبق على حالتك) (كود متعدد)

شخصيا	المقابلة الشخصية
التليفون	المكالمة التليفونية
نص	إرسال رسالة مكتوبة
إيميل	البريد الإلكتروني
خطاب	الخطابات البريدية
اتصال النت	الإنترنت ، مثال ذلك : غرفة الدردشة ، وموقع التواصل الاجتماعي ، مثل الفيس بوك ، والرسائل الفورية ، والتويتر .

6 «أ») إن كنت استخدمت الإنترنت بالأمس للانتفاع بغرفة دردشة ، أو موقع تواصل اجتماعي ، أو رسائل فورية ، أو تويتر وما أشبه ذلك - فكم دقيقة قضيتها في هذا النشاط بالأمس .

(الرجاء إعطاء إجابتك لأقرب 15 دقيقة (أى : أقرب ربع ساعة)

وقت التواصل على النت

الدقائق	الساعات
----	-----

7 - أتميل إلى وصف نفسك باعتبار أنك :

(الرجاء وضع دائرة حول الرقم الذي ينطبق على حالتك) اجتماعي

اجتماعي جدا	اجتماعي إلى حد معقول	لا اجتماعي ولا غير اجتماعي	غير اجتماعي إلى حد ما	غير اجتماعي تماما
١	٢	٣	٤	٥

الأنماط المختلفة للبيانات الكمية

قدمنا في الفصل الثاني من هذا الباب فكرة المتغير باعتبار أنه تلك المجموعة من فئات أو أكواد البيانات المتصلة بسؤال واحد أو بمعلومة واحدة: لذلك، فإنه في الاستبيان الخاص بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، في السؤال الأول («هل أنت ذكر أم أنثى؟»)، يكون المتغير هو «النوع». وتشكل المتغيرات الأساس الذي يقوم عليه التحليل الإحصائي، إذ إن البيانات التي نعالجها هي مجموعة الإجابات أو الأكواد المتصلة بكل متغير على حدة، ونحن الآن نركز على دراسة وبحث هذه البيانات. يوجد عدد من الأنماط المختلفة للمتغير، كما أن بإمكانك أن تستخدم تقنيات مختلفة بأساليب مختلفة مع كل نمط على حدة، لذلك يتوجب علينا أن تميز بينها. ويصف الجدول رقم (3-1) الأنماط الرئيسية الأربعة للمتغير.

الجدول رقم (3-1) الأنماط الأربعة الرئيسية للمتغيرات

نمط المتغير	الوصف التفصيلي
متغير النسبة	متغير النسبة هو متغير يكون فيه الفرق بين كل إجابة أو فئة متماثلاً، كما يوجد فيه صفر مطلق على المقياس. من الممكن إجراء عملية الضرب وعملية القسمة (أي: تكوين النسب أو المعدلات) بين قيم المتغيرات. في هذا المثال يتساءل المتغير المسمى «نت وقت فراغ» ^(١) int time عن متغير نسبي، وذلك لأن كل الإجابات عبارة عن وحدات لساعة واحدة، لذلك فإن من يقول إنه استخدم الإنترنت لمدة عشر ساعات يكون قد استخدمها ضعف المدة التي استغرقها من استعمالها لمدة خمس ساعات، كما أن من الممكن لأحد المشاركين ألا يستعمل الإنترنت إطلاقاً - أي إن عدد الساعات هنا صفر.
متغير الدورة/أو الفترة	متغير الدورة/أو الفترة مماثل لمتغير النسبة في كون الفرق بين كل واحدة من الإجابات أو الفئات متماثلاً، إلا أنه لا يوجد به صفر مطلق. مثال ذلك، أن مقياس فهرنهايت ومقياس سلسيوس لدرجات الحرارة فيهما درجتان مختلفتان للصفر.

(١) المتغير الذي تظهر كل إجاباته في صورة وحدات مكونة من ساعة واحدة وتكراراتها هو المتغير المسمى «ساعات النت» inthours، وليس «نت وقت الفراغ» inttime. (المترجم)

متغير الرتبة	<p>متغير الرتبة هو المتغير الذى يمكن فيه وضع الفئات أو الأكواد في رتب متفاوتة - أعنى بذلك أن بالإمكان أن نقول أن فئة أو كودا أكبر أو أهم من فئة أخرى أو كود آخر. إلا أن الفرق بين كل اثنتين من الفئات ليس متماثلا. ففي السؤال رقم ٧ يعتبر المتغير المسمى «اجتماعى» متغير رتبة بسبب وجود نظام رتب لفئات الأجوبة - فالشخص «الاجتماعى جدا» يعتبر أكثر اجتماعية من الشخص «الاجتماعى إلى حد معقول» (ولكنه ليس بالضرورة ضعفه، في صفة الاجتماعية). وبالمثل، فإن المتغير «المجموعة العمرية» يعتبر متغير رتبة، إذ إن الأفراد الموجودين في الفئة رقم ٢ (ما بين ٢٥-٤٤ سنة) يعتبرون أكبر سنا من أفراد الفئة رقم ١ (ما بين ١٦-٢٤ سنة)، كما أن هاتين الفئتين ليستا متماثلتين في الحجم. والكود الرقعى المخصص للأفراد من حيث مدى اتصافهم بالاجتماعية يعكس نظام الرتب الخاص بهذه الفئات.</p>
المتغير الاسمى	<p>المتغير الاسمى هو مجرد مجموعة من الأسماء. بعبارة أخرى، لا ترتبط مجموعة فئات هذا المتغير ببعضها البعض من حيث الكمية. يعتبر الكود التعدد «وقت الفراغ» متغيرا اسمياً حيث لا تزيد كل إجابة عن ذكر اسم النشاط، كما أن أى نشاط ليس أكثر أهمية أو أضخم من أى نشاط آخر. يتم تخصيص إجابتين اثنتين، أو كودين اثنين فقط لعدد كبير تماما من المتغيرات، مثل: ذكر/ أنثى، نعم/ لا. وتعرف هذه المتغيرات بالمتغيرات الثنائية. فى معظم المواقف يمكننا النظر إلى هذه المتغيرات باعتبارها نمطا معيناً من المتغير الاسمى، إذ إن الأجوبة تكون مختلفة ولكنها ليست مرتبة تبعا لدرجة الأهمية.</p>

استعمال التحليل الإحصائى لتلخيص بياناتك ووصفها

بوصفك باحثا، لابد أن تتصرف كوسيط بين البيانات التى جمعتها والأفراد الذين سيهتمون بما توصلت إليه من نتائج. ويتمثل دورك فى معالجة البيانات الخام وفى تقديم تفسير لهذه البيانات فى شكل يلخصها ويظهر مدى ارتباطها بأسئلة بحثك. وتكون الأولوية عند معظم الباحثين هى العثور على طرق لتلخيص البيانات - ومع ذلك، فإن قارئك لن يرغب فى معظم الأحوال فى قراءة كل استبياناتك من أولها لآخرها ليعرف أحوال مستجيبك.

ولمساعدتك على القيام بهذا العمل، سنقدم عددا من الطرق التى تتبعها فى النظر إلى بياناتك وفى استخدام ما يسمى كثيرا بالإحصائيات الوصفية. وهى إحصائيات تلخص البيانات التى سبق لك أن جمعتها فيما يتصل بكل متغير، وذلك فى ضوء:

- تكرار ظهور كل إجابة أو كود.
- وكيفية توزيع هذه الأجوبة على هذه الأكواد.
- والإحصائيات الموجزة: والتي منها مثلاً: المتوسطات، والوسائط (جمع وسيط)، والنواتج، والنسب المئوية.

وقد ذهبنا في الفصل 2 من هذا الباب إلى أنك تستطيع أن تبدأ استكشاف معالم بياناتك بالنظر إلى الكيفية التي تتوزع وفقاً لها أجوبة أسئلة بحثك أو أكوادها - وبتعبير آخر، كم عدد الحالات التي سجلت لكل كود على حدة؟ ويمكن لهذه الحقيقة أن تعرض في جدول تكرارى، وهو الذى يعد نقطة البداية فى تحليلك (وقد أدرجنا مثالا لجدول تكرارى فى المثال رقم (2-3). حينئذ يمكنك أن ترى «شكل» بياناتك، وأن تصف أو تلخص البيانات ذات العلاقة بكل متغير باستخدام أشكال بيانية بسيطة مع بعض الإحصائيات الوصفية.

وصف العينة

من المفيد أن تبدأ بوصف الخصائص التى تتسم بها عينتك أو حالاتك. قد يشتمل هذا الوصف، مثلاً على سلسلة من الرسوم البيانية أو الجداول التكرارية التى تظهر ما فى هذه العينة من توزيعات العمر، ومستويات الدخل والنوع. كثيراً ما تستخدم الأعمدة البيانية البسيطة لتبين توزيع خصائص عينتك فى صورة مرئية - تستطيع حزم البرمجيات مثل SPSS وإكسل مساعدتك فى القيام بهذا العمل (انظر فصل 9)؛ سيساعدك ذلك فى التعرف على ملامح عينتك حتى تستطيع البدء فى استكشاف العلاقات القائمة بين هذه الخصائص من جهة والمتغيرات الأخرى من جهة أخرى.

المثال رقم (2-3)

وصف العينة

فى المثال الخاص بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية قد تحتاج لأن تبدأ باستكشاف الفروق فى التواصل عبر الشبكات الاجتماعية بين المستجيبين الذكور والإناث، وكذلك بين المجموعات العمرية المختلفة. ابدأ باكتشاف توزيع عينتك عبر الفئات العمرية وفقاً للنوع، وذلك حتى تتمكن من التحقق مما إذا كانت توزيعات الذكور والإناث تختلف باختلاف السن من عدمه.

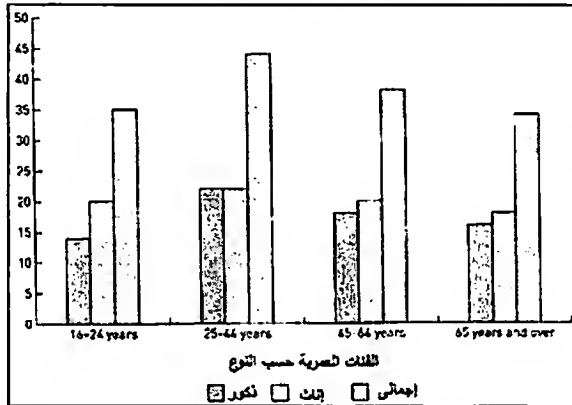
جدول رقم (3-2) : مستجيبو التواصل عبر الشبكات الاجتماعية موزعين تبعاً للمجموعة العمرية والنوع (أ)

النسبة المئوية الإجمالية	الإجمالي	النسبة المئوية للإناث	عدد الإناث	النسبة المئوية للذكور	عدد الذكور	المجموعة العمرية
22.6%	34	25%	20	20%	14	16-24 سنة
29.3%	44	27.5%	22	31.4%	22	25-44 سنة
25.3%	38	25%	20	25.7%	18	45-64 سنة
22.6%	34	22.5%	18	22.9%	16	65 سنة فأكثر
99.8%	150	100%	80	100%	70	الإجمالي

هذا أمر لافت للنظر

يصف المثال رقم (3-2) توزيع عينة من 150 فرداً. تضم هذه العينة عدداً من النساء أكبر قليلاً من عدد الرجال، كما يوجد عدد أكبر من الرجال والنساء في المجموعات العمرية الوسطى الواقعة بين 25-44 سنة وبين 45-64. يعد التوزيع العمري للذكور والإناث مختلفاً اختلافاً طفيفاً حيث يوجد، مثلاً، 20% من الذكور فقط في المجموعة العمرية الأصغر مقارنة بنسبة 25% من الإناث. ونظراً لأن أحد أهداف تحليلنا هو بحث الفروق بين الرجال والنساء وبحث المجموعات العمرية المختلفة فيما يتصل بخبراتهم بالتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، فإنه يتوجب علينا أن نتوقف ونفكر في الدلالات الضمنية لتحليلنا لهذه الفروق.

يمكن عرض هذه البيانات في رسم بياني مكون من أعمدة يظهر توزيعات العمر المختلفة للرجال والنساء والإجمالي في هذه العينة.



الشكل رقم (3-1): مستجيبو التواصل عبر الشبكات الاجتماعية موزعين تبعاً للمجموعة العمرية والنوع.

قد نسأل أنفسنا عما إذا كانت توجد حالات في المجموعة الصغرى كافية لأن يمكننا من القول بأن إجاباتهم تمثل بالفعل هذه المجموعة أم لا . في هذه الحالة فإن المجموعة الصغرى هي مجموعة الرجال الواقعة أعمارهم بين 16-24 سنة ، وعددهم 14 حالة . والمجموعتان الكبيرتان هما مجموعة الرجال الواقعة أعمارهم بين 25-44 سنة ومجموعة النساء الواقعة أعمارهن بين 25-44 سنة وكل واحدة من المجموعتين تتكون من 22 حالة . ونظراً لأن هذا بحث ذو نطاق محدود ، فمن المستبعد أننا سنكون قادرين على معالجة هذا الوضع بالحصول ، مثلاً ، على المزيد من الحالات .

عند هذه المرحلة من التحليل ينبغي أن نسجل هذه الفروق وأن نحفظ بها في أذهاننا ونحن نواصل المضي قدماً في التحليل . وقد نفكر لاحقاً في جمع المجموعات العمرية في مجموعتين بدلاً من أربع مجموعات ، منشئين بذلك مجموعتين بكل واحدة منهما عدد أكبر من الأفراد .

المثال رقم (3-3)

استعمال النسب المئوية

تبين النسبة المئوية كل قيمة في جدولك التكرارى باعتبارها جزءاً من هذا المقدار الكلى (فى حالة أن الكلى يساوى 100%). يتم استخراج النسبة المئوية على النحو التالى:

$$100 \times \frac{\text{عدد الحالات فى الفئة}}{\text{العدد الإجمالى للحالات}}$$

مثال ذلك أن النسبة المئوية للرجال الذين فى المجموعة العمرية من 16-24 سنة تساوى:

$$20\% = 100 \times \frac{14 (\text{عدد الرجال فى تلك المجموعة العمرية})}{70 (\text{العدد الإجمالى للرجال})}$$

ويمكن أن يكون تحويل ما فى بياناتك الخام من توزيعات تكرارية إلى نسب مئوية مفيداً لك فى هذه المرحلة ، إذ إن هذا سيمكنك من مقارنة المجموعات ذات الأحجام المختلفة . فى المجموعة العمرية من 25-44 سنة يوجد 22 رجلاً و 22 امرأة . إلا أن العدد الإجمالى للرجال يبلغ 70 رجلاً ، والعدد الإجمالى للنساء 80 امرأة ، وبهذا يشكل 22 رجلاً نسبة مئوية أكبر ، أو قدراً أكبر نسبياً ، من إجمالى الرجال - هو 31.4% - بينما تشكل 22 امرأة نسبة 27.5% من إجمالى عدد النساء . ماذا يكون لو احتجنا إلى معرفة توزيع الرجال والنساء فى كل مجموعة عمرية؟

يمكن استعمال نفس الجدول ولكن تستخرج النسب المئوية على أساس المجموعات العمرية (الموجودة في كل صف) وليس في كل عمود (حيث توجد مجموعتنا النوع). لاحظ أن النسبة المئوية الكلية (وهي 100 %) موجودة في العمود الأيمن في هذه الحالة. بحساب النسب المئوية لكل مجموعة عمرية يمكننا أن نرى أن توجد نسبة مئوية من النساء أعلى من نسبة الرجال في كل مجموعة عمرية، وذلك بصرف النظر عن المجموعة العمرية الواقعة بين 25-44 سنة والتي يمثل الرجال 50 % منها وتمثل النساء 50 % منها. وهذا أمر متوقع لأنه يوجد في هذه العينة عدد من النساء أكبر من عدد الرجال. ومع ذلك يظهر حساب النسب المئوية أيضا أن أصغر المجموعات العمرية سنا تتألف من 58.8 % من النساء (حاصل قسمة 20 امرأة في هذه المجموعة على إجمالي أفراد المجموعة وهو 34، مضروبا في 100) بجانب أصغر مجموعة رجالية عددا (وهي 14 فراد). لا بد من تدوين ذلك واستحضاره في الذهن عند إمعان النظر في الخصائص والسمات الأخرى لهذه المجموعة العمرية.

جدول رقم (3-3) مستجيبو التواصل عبر الشبكة الاجتماعية موزعين تبعا للمجموعة العمرية والنوع (ب)

النسبة المئوية للإجمالي	الإجمالي	النسبة المئوية للإناث	عدد الإناث	النسبة المئوية للذكور	عدد الذكور	المجموعة العمرية	هذه النسبة لافتة للنظر
100%	34	58.8%	20	41.2%	14	16-24 سنة	
100%	44	50%	22	50%	22	25-44 سنة	
100%	38	52.6%	20	47.4%	18	45-64 سنة	
100%	34	53%	18	47%	16	65 سنة فأكثر	
100%	150	53.3%	80	46.7%	70	الإجمالي	

بحثك

اختبار جودة البحث

- كن حذرا عند استعمال النسب المئوية إذا كان الإجمالي أقل من 20 حالة لأن من المحتمل أن تكون الأرقام في كل فئة قليلة. قد تعكس الفروق الكبيرة في النسب المئوية الفروق الخاصة بحالة واحدة فقط أو حالتين. فكر في ضم الفئات لإنشاء مجموعات أكبر حجما.

- تحقق من أن النسب المئوية تصل في مجموعها إلى 100 % (أو قريبا من ذلك) . عند حساب النسب المئوية يكون من الممارسات الشائعة أن تقرب هذه النسب إلى درجة عشرية واحدة أو إلى أقرب عدد صحيح - لذلك عندما تجمع النسب المئوية إلى بعضها فقد لا تكون 100 % على وجه الدقة ، وذلك كما في الجدول الوارد في المثال رقم (3-2) (حيث بلغ إجمالي النسب المئوية 99.8 %) .
- تأكد دائما أنك تعمل على أساس الإجمالي الصحيح باعتباره 100 % ، وتحقق من اتجاه النسب المئوية في الجداول المزدوجة - الصفوف أو الأعمدة؟
- عند كتابتك لتقرير عن نتائجك اذكر دائما ما الذي ترتبط به هذه النسب المئوية ، فاذكر ، مثلا ، أن 20 % من جميع الرجال في العينة كانوا من المجموعة العمرية الواقعة بين 16-24 سنة .

شكل التوزيع

يمكن للوحة الأعمدة البيانية وللمدرجات التكرارية أن تساعدنا في تصوير شكل توزيع القيم لكل متغير من متغيراتنا ، كما أنها تعد أسلوبا فعالا في تلخيص بياناتنا وفي مساعدتنا على تمييز ما في بياناتنا من ملامح لافتة للنظر أو مخالفة للشائع أو المتوقع . في المثال رقم (3-4) سنستعمل البيانات المستخرجة من الاستبيان المتعلق بمدى تكرارية استخدام الرجال والنساء الذين شملتهم العينة للإنترنت ، سنستعملها في إمعان النظر في توزيعات المتغير المسمى «وقت النت» Inttime .

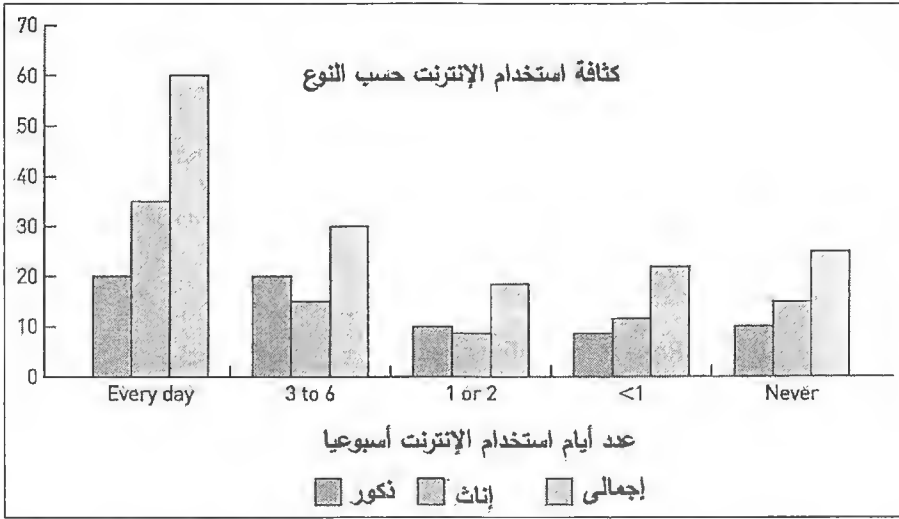
ما المدرج : التكرارى؟

المدرج التكرارى هو رسم بياني يظهر معدل تكرار متغير النسبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة . يتركز كل عمود في المدرج التكرارى حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التى يمثلها (انظر المثال رقم (3-5) للاطلاع على نموذج للمدرج التكرارى .

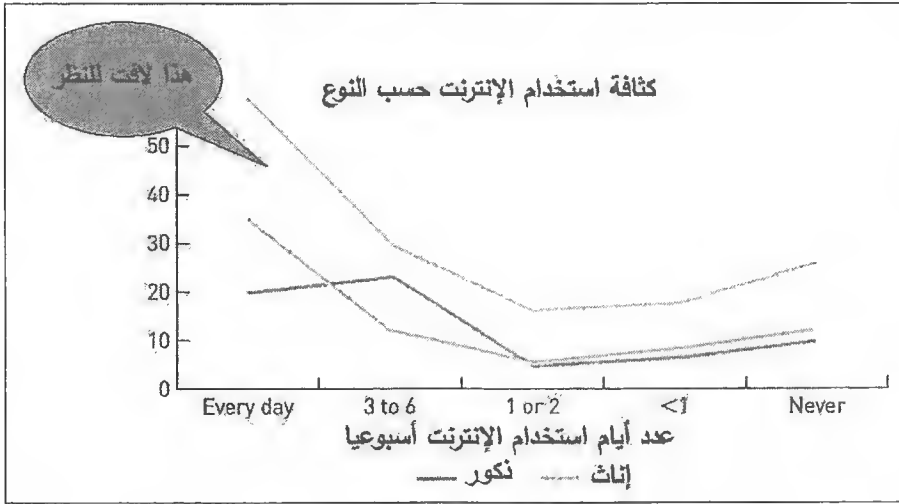
المثال رقم (3-4)

شكل التوزيع

سؤال - 4 : ما مدى تكرار استخدامك للإنترنت في وقت فراغك (بخلاف ألعاب الكمبيوتر)؟ وقت النت Inttime



شكل رقم (2-3): كثافة استخدام الإنترنت تبعاً للنوع : لوحة أعمدة بيانية



الشكل رقم (3-3): كثافة استخدام الإنترنت تبعاً للنوع : رسم بياني خطي

إذا وصلنا النقاط الوسطى لكل عمود من الأعمدة المتشابهة اللون، فإننا نستطيع أن نرى هذا الشكل بصورة أكثر وضوحاً. يبين الخط الممثل للأرقام الإجمالية (أي الخط الواصل بين النقاط الوسطى لأعمدة الأرقام الإجمالية) أن عدد الإجابات تكون في أعلى مستوى لها عند الطرفين: أي عند طرف «كل يوم» وطرف «لاتماماً». وأياً ما كان الأمر، فإننا إذا نظرنا إلى قيم الرجال وقيم النساء كل على حدة، فإننا نستطيع أن نرى أن شكل التوزيع بالنسبة للرجال والنساء يختلف اختلافاً واضحاً.

فى هذه المرحلة قد تتسبب نتيجة كهذه فى إثارة مزيد من الأسئلة:

- هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرار استخدام الإنترنت؟
- هل تعنى هذه النتيجة أن النساء يقضين وقتا أكثر فى استخدام الإنترنت؟
- هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء فيما يتصل بطريقة قضاء وقت الفراغ؟

من شأن استخدام الجداول والرسوم البيانية - كما فى هذا المثال - أن يمكننا من رؤية الطريقة التى تتوزع وفقا لها الإجابات على أسئلتنا، عبر مجموعة من القيم المتصلة بالمدى - ابتداء من أقل قيمة وانتهاء بأعلى قيمة - والمتصلة بالموقع الذى تتركز فيه معظم الأجوبة. فمقارنة شكل البيانات الخاصة بالمجموعات المختلفة كالمجموعات العمرية أو المجموعات الجنسية مثلا، يمكن أن تكون طريقة مفيدة للبدء فى تمييز الفروق اللافتة للنظر بين هذه المجموعات.

المتوسط (الوسط الحسابي)، والوسيط، والمنوال

ثمة طرق أخرى لتلخيص البيانات قد تستخدم فى التعرف على الفروق القائمة بين المجموعات أو الفئات المختلفة. يعد المتوسط (الوسط الحسابي)، والوسيط، والمنوال، طرقا لتلخيص البيانات المتعلقة بمتغير واحد فى قيمة واحدة، فى كل حالة تتعلق هذه القيمة بقيمة مركزية لهذه البيانات، ومن هنا تسمى هذه الطرق أحيانا بمقاييس النزعة المركزية (انظر قائمة المصطلحات)

● المتوسط أو الوسط الحسابي يقدم متوسطا لكل القيم، ويمكن حسابه باستخراجه من بيانات النسبة أو بيانات الفترة.

● الوسيط (انظر قائمة المصطلحات) هو النقطة الوسطى فى مجموعة من البيانات، ويمكن استخدامه فى بيانات الرتبة، والفترة، والنسبة.

● المنوال (انظر قائمة المصطلحات): يمكن استخدام المنوال مع أى بيانات تضم بيانات اسمية nominal، وهو يشير إلى القيمة الأكثر شيوعا.

مع أن بالإمكان استخدام أى من هذه الطرق فى المراحل المبكرة للتحليل، فإن من المهم أن ننظر أيضا بإمعان فى الطريقة التى تنشئت بها البيانات حول المتوسط، أو الوسيط، أو المنوال - لذلك تأكد من أنك تأخذ فى الحسبان شكل التوزيع «انظر المثال رقم (3-4)» ومدى القيم (أى الفجوة بين أدنى قيمة وأعلى قيمة).

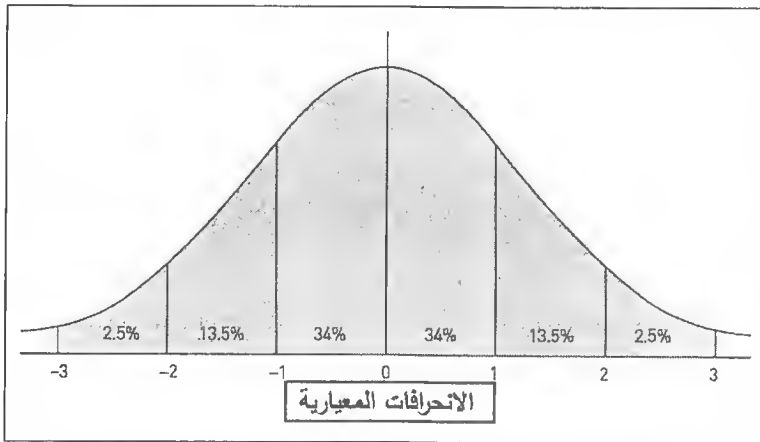
ما هو التوزيع الاعتدالى؟

يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». (وقد ناقشنا موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون خصائص العينات المسحوبة من مجتمع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا).
فى البحث الاجتماعى الفعلى، نادرا ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماما، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

مثال ذلك :

- إذا قست أطوال عينة ممثلة لأطفال من نفس السن، فبإمكانك أن تتوقع أن معظم أطوال الأطفال ستجتمع حول نقطة مركزية، مع وجود أطفال قليلى العدد أطوالهم قصيرة نسبيا وأطفال قليلى العدد طوال جدا.
- النتائج التى يحققها الطلبة فى الاختبارات أو الدرجات التى يحصلون عليها فى الامتحانات يتوقع غالبا أن تتوزع بهذه الطريقة، مع وجود طلبة قليلين حاصلين على درجات عالية جدا أو درجات منخفضة جدا.

فى التوزيع الاعتدالى تكون قيم المتوسط، والوسيط، والمنوال موجودة كلها عند النقطة المركزية. وتكون بعض التوزيعات ملتوية Skewed، بمعنى أن لها طرفا أو ذيل أطول من الطرف الآخر أو الذيل الآخر، كما أن المتوسط، والوسيط، والمنوال سيكونون مختلفين فى قيمهم.



الشكل رقم (3-4) المنحنى الناقوسى الشكل مبينا الانحرافات المعيارية

ما الانحراف المعياري؟

الانحراف المعياري مقياس لتشتت الحالات حول المتوسط (الوسط الحسابي). حين تتوزع البيانات في توزيع اعتدالي، حيث يقع ما يقرب من ثلثي قيم البيانات الموجودة داخل نطاق انحراف معياري واحد موجود على كل جانب من جانبي المتوسط، ويقع 95 % من القيم داخل انحرافين معياريين من المتوسط.

ويحسب الانحراف المعياري على النحو التالي :

الانحراف المعياري =

$$\sqrt{\frac{\text{المجموع الكلي (لانحرافات كل قيمة لكل حالة عن المتوسط)^2}{\text{عدد الحالات}}}$$

أو

$$\sqrt{\frac{\text{مج(س - م)}}{ن}}$$

(حيث مج = مجموع، س = القيمة العددية، م = المتوسط، ن = عدد الحالات)

المتوسط (المتوسط الحسابي)

يحسب المتوسط (الوسط الحسابي) بتجميع كل القيم ثم قسمتها على عدد الحالات. ويمكن القيام بهذا الحساب على طريق استخدام جداول تكراري، كما في المثال رقم (3-5). يعطى المتوسط قيمة وسطى للمتغير، كما أن بالإمكان أن يكون مفيدا في هذه المرحلة في عقد المقارنة بين متوسطي مجموعتين - كالرجال والنساء مثلا - من أجل التعرف على الفروق التي قد تكون مهمة. وأيا ما كان الأمر، فإن المتوسط لا ينبئك بكل شيء عن مدى القيم (نطاق القيم) أو كيف تتوزع هذه القيم. فقد يكون لتوزيعات مختلفة عن بعضها جدا نفس المتوسط. مثال ذلك، حين نحسب مجموعتين من درجات الامتحانات (ولتكن امتحان علم الاجتماع و امتحان علم النفس مثلا) بالنسبة لمجموعة من 50 طالبا، فقد يكون كلا المتوسطين 60 %. ومع ذلك، فإن درجات الطلبة في امتحان علم الاجتماع قد تتراوح من 50 % إلى 70 %، بينما قد تتراوح درجات امتحان علم النفس من 10 % إلى 90 %. في هذه الحالة نحتاج إلى إلقاء نظرة على شكل هذا التوزيع وحساب الانحراف المعياري لمساعدتنا على أن نفهم - بصورة أفضل - هذه الفروق القائمة بين هاتين المجموعتين من درجات الامتحان.

فكر فى هذا الموضوع . . .

مقارنة المتوسطات

فى كلتا الحالتين المذكورتين سابقا، قد يكون لأعضاء هيئة التدريس الذين يضعون هذين الامتحانين مبرر ما للاهتمام بنطاق الدرجات. فقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظر فيما إذا كان هذا الامتحان قد وضع فى مستوى يراود منه التمييز بين الطلبة «المجدين» والطلبة «العاديين»، وذلك لأن سائر الطلبة حاصلون على علامات تقع داخل نطاق 20 %. وقد يهتم أساتذة علم الاجتماع بالنظر - أيضا - فيما إذا كان من قاموا بتصحيح الامتحان قد استفادوا تماما من نطاق الدرجات ولم يميزوا - بشكل فعال - بين من يستحقون تقدير «جيد» ومن يستحقون تقدير «جيد جدا» مثلا.

وقد ينشغل أساتذة علم النفس بالطلبة الذين يستحقون الرسوب بينما حاز غيرهم من الطلبة درجات عالية جدا. وربما لم يساعد مستوى التدريس ونمط الطلبة الضعاف على التعلم، فى نفس الوقت الذى جاء فى صالح الطلبة الذين يتمتعون بقدرات خاصة فى هذا الموضوع أو فى هذا النمط من الامتحانات.

للوصل إلى فهم أفضل لهذه الدرجات تم حساب الانحرافات المعيارية لكل مجموعة:

بالنسبة لدرجات علم الاجتماع، وجد أن الانحراف المعيارى = 5.883217

بالنسبة لدرجات علم النفس، وجد أن الانحراف المعيارى = 17.54644

ومن واقع هذين الانحرافين المعياريين نستطيع أن نقول :

● كانت درجات علم النفس مشتتة حول المتوسط الذى قدره 60 % بصورة أكثر اتساعا من تشتت درجات علم الاجتماع التى كانت، وكما نتوقع، متجمعة حول المتوسط.

● لو أن : درجات علم النفس كانت موزعة توزيعا اعتداليا، لكان 68 % منها واقعة داخل (60-17.54644) أو قل واقعة بين 53 % و 77 %، بمعنى أن 95 % منها تكون واقعة بين 60 ± 35 (وهو ما يساوى تقريبا 2 × الانحراف المعيارى) أو قل واقعة بين 25 % ون 95 %.

● كانت درجات علم النفس موزعة على امتداد هذا النطاق (أو المدى) وليست متجمعة فى شريط ضيق حول المتوسط مع وجود عدد قليل من القيم المتطرفة.

المثال رقم (3-5)

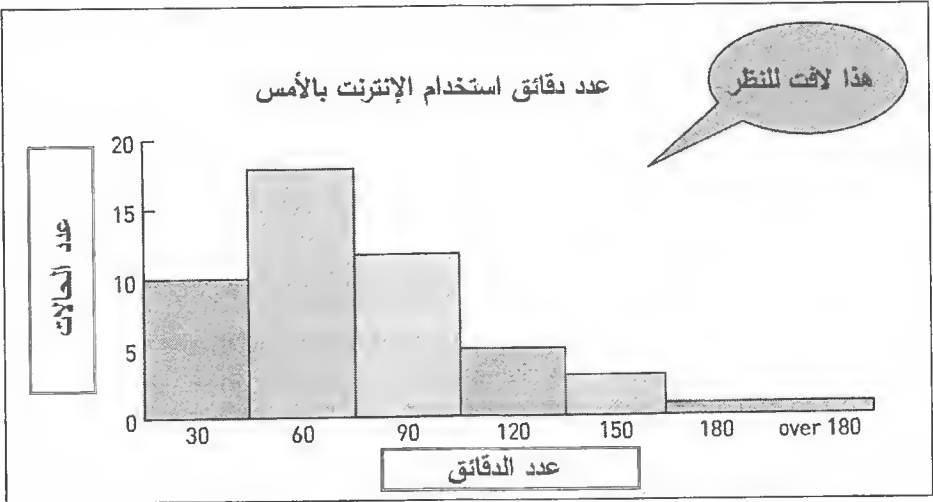
حساب المتوسط، والوسيط، والمنوال

(سؤال 6/أ) إن كنت استخدمت الإنترنت بالأمس للتردد على غرفة دردشة أو موقع تواصل اجتماعي، أو إرسال رسائل فورية أو تويتر وما أشبه ذلك:

- فكم عدد الدقائق التي قضيتها في هذا النشاط بالأمس؟

الرجاء إعطاء إجابتك منسوبة إلى أقرب 30 دقيقة (أي نصف ساعة)

أجاب على هذا السؤال خمسون شخصا.



الشكل رقم (3-5): حالات استخدام الإنترنت في التواصل وفقا لعدد الدقائق التي قضاها المستجيبون في هذا النشاط.

يبين هذا المدرج التكراري أن التوزيع ملتو حيث له ذيل طويل في اتجاه اليمين

حساب المتوسط

الجدول رقم (3-4): حالات استعمال الإنترنت فى التواصل الاجتماعى تبعا لعدد الدقائق التى تقضى فى هذا النشاط - حساب المتوسط .

عدد الدقائق س	عدد المستجيبين م	م س (عدد الدقائق × عدد الأفراد)
30	10	300
60	18	1080
90	12	1080
120	5	600
150	3	450
180	1	180
أكثر من 180 (الإجابة المعطاة = 300)	1	300
الإجمالى	50	3990

$$\text{المتوسط} = \frac{\text{م س إجمالى}}{\text{م}} = \frac{3990}{50} = 80 \text{ دقيقة}$$

المتوسط فى هذه الحالة هو القيمتان الوسطيان (القيمة رقم 25، والقيمة رقم 26، من بين 50 قيمة) واللذان ستكونان كلتاهما 60 دقيقة. والنوال هو القيمة الأكثر شيوعا وهى أيضا 60 دقيقة.

فى هذه الحالة يكون المتوسط متأثرا بعنصر خارجى - والمتمثل فى وجود قيمة متطرفة هى 300 دقيقة - والتى تضخم المتوسط. أما الوسيط والنوال فليسا متأثرين بهذه الحالة المفردة.

الوسيط

الوسيط هو القيمة الوسطى لتوزيع ما. وتعبير آخر: سيوجد فى هذا التوزيع عدد من الحالات المتساوية فوق الوسيط وتحت. فإن كان عدد الحالات فرديا، يكون الوسيط هو القيمة الوسطى (الواقعة فى أوسط هذه الحالات)، وإذا كان عدد الحالات زوجيا (كما فى هذا المثال) فإن قيمة الوسيط تقع فيما بين القيمتين الوسطيتين.

المنوال

المنوال هو القيمة الأكثر شيوعاً في التوزيع ، ليس إلا . في مثالنا هذا ، تكون 60 دقيقة هي الوقت الأكثر شيوعاً . ممن الممكن أن يتوافر لنا توزيع به نقطتان منواليتان أو أكثر . مثال ذلك ، أن في المثال رقم (3-4) كان من الممكن أن يوجد من الأفراد الذين لا يستخدمون الإنترنت أبداً عدد مماثل لمن يستخدمونها كل يوم ، ولكن لهذا التوزيع حينئذ نقطتان منواليتان .

الرُّبِيعات ، والخميسات ، والعشيرات

يمكن استخدام جدول توزيع تكرارى متجمع (انظر قائمة المصطلحات) لوصف نفس البيانات المتعلقة بمقدار الوقت الذى يقضى في استخدام الإنترنت في التواصل الاجتماعى بطريقة مختلفة . سترى من واقع هذا الجدول أننا ، عند حساب التوزيع التكرارى المتجمع ، مضطرون لإعادة التعبير عن استخدامنا للإنترنت بكلمات مناسبة وللتفكير في هذا الأمر في ضوء عدد الأفراد الذين استخدموا الإنترنت لمدة 30 دقيقة أو أكثر ، ولمدة 60 دقيقة أو أكثر ، وهكذا .

جدول رقم (3-5) جدول توزيع تكرارى متجمع

عدد الدقائق	عدد الأفراد	النسبة المئوية من الإجمالى
30 أو أكثر	50	100 %
60 أو أكثر	40	80 %
90 أو أكثر	22	44 %
120 أو أكثر	10	20 %
150 أو أكثر	5	10 %
180 أو أكثر	2	4 %

هذا أمر لافت للنظر

بمقدورنا أن نستخدم جدول توزيع تكرارى متجمع لتقسيم الحالات بطرق مختلفة . مثال ذلك ، أننا بعد أن رأينا أن 44 % من عينتنا استخدموا الإنترنت في التواصل الاجتماعى لمدة 90 دقيقة أو أكثر في اليوم السابق ، فإن باستطاعتنا أن نقسم عينتنا إلى مجموعتين (أى : فئتين) : مجموعة من استخدموا الإنترنت في التواصل الاجتماعى لمدة أقل من 90 دقيقة (مستفيدون مُقلون) .

ومجموعة من استخدموها لمدة 90 دقيقة أو أكثر (مستخدمون مُكثرون) ويمكننا حينئذ أن نستعمل هذا المتغير في استكشاف ما إذا كانت توجد فروق بين المستخدمين المكثرين والمستخدمين المقلين أم لا . يقوم المثال المذكور في البرواز المعنون «البحث

الواقعي» الوارد أدناه على أساس مستويات الدخل الأسري للمستجيبين ، كما أنه يقسم هذا التوزيع للمستجيبين إلى خمس مجموعات ، تمثل كل واحدة منها 20 % من العينة . في هذه الحالة يكون إجمالي العينة (100 %) مقسما إلى خمس مجموعات بناء على مستوى الدخل - وتسمى كل مجموعة مكونة من 20 % خميسا (أى : خُمس) (انظر قائمة المصطلحات) . كما أن بالإمكان تقسيم العينات إلى أربع مجموعات (هى الرُبيعات) (انظر قائمة المصطلحات) أو إلى عشر مجموعات (هى العُشيرات) (انظر قائمة المصطلحات) . بالإمكان كذلك أن نستخدم الخُميسات ، والرُبيعات ، والعُشيرات كأساس لمتغيرات جديدة يمكن استعمالها بعد ذلك فى تحليل لاحق كما فى مثال «البحث الواقعي» التالى:

البحث الواقعي

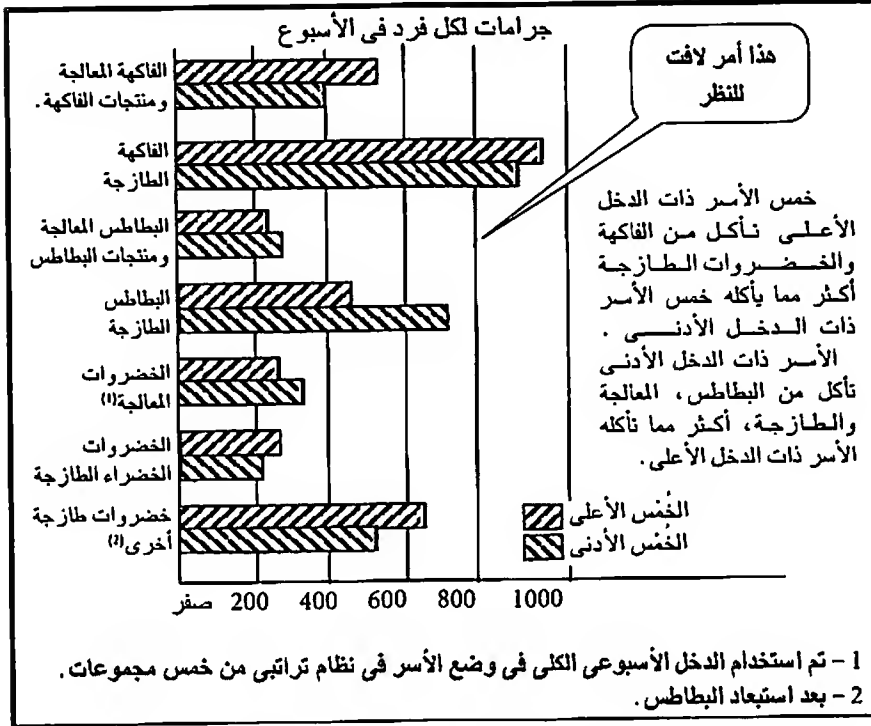
استخدام الخُميسات

كثيرا ما تقوم التقارير الحكومية والتقارير البحثية بتقسيم عيناتها إلى أربع مجموعات (أى رُبيعات) أو خمس مجموعات (أى خُميسات) وفقا للدخول الأسرية للمستجيبين . بهذه الطريقة يتشكل متغير جديد يمكن بعدها استخدامه فى مقارنة إجابات الأفراد داخل كل مجموعة من مجموعات مستوى الدخل .

إن دخول جميع المستجيبين موضوعة فى قائمة مكتوبة على أساس الرتبة . فالعشرون فى المائة من المستجيبين ذوى الدخل الأقل موضوعون فى فئة مستقلة - وهى فئة خُميس القاع (أو الخُميس الأدنى) ، والعشرون فى المائة التالون موضوعون فى الخُميس الرابع ، والتالون فى الخُميس الثالث . . وهكذا ، وصولا إلى الخُميس الأعلى المتكون من العشرين فى المائة من الأفراد ذوى الدخل الأعلى .

اشتمل العدد 38 من التقرير الحكومى السنوى «الاتجاهات الاجتماعية Social Trends (الصادر سنة 2008) على رسم بياني يستخدم الخُميس الأدنى والخُميس الأعلى فى مقارنة هاتين المجموعتين فيما يتصل باستهلاكهما لمواد غذائية مختلفة بالجرام فى الأسبوع . تمكنتنا هذه المقارنة من إدراك مقدار ما تتناوله الأسر ذات الدخل الأعلى والأسر ذات الدخل الأدنى من كل نوع من أنواع المواد الغذائية .

استهلاك الفاكهة والخضروات وفقا لتقسيم الأسر على أساس الدخل⁽¹⁾،
المملكة المتحدة 2006/2005



الشكل رقم (3-6): استهلاك الأسرة للفاكهة والخضروات وفقا لتقسيم الأسر على أساس الدخل، 2006/2005.

المصدر: مكتب الإحصاءات القومية (2005) «الاتجاهات الاجتماعية» عدد 38، الشكل رقم 9، الفصل 7، ص 98. المادة الخاضعة للقانون الملكي لحق النشر تم استنساخها بإذن من الجهة المشرفة على هذا البحث، وهي: مكتب معلومات القطاع العام بموجب شروط «رخصة كليك يوس» Click-Use Licence

تطوير التحليل

تسببت المرحلة الأولية للتحليل، حتى الآن، في إثارة بعض الأسئلة التي من الممكن التوسع في إلقاء الضوء عليها (انظر إلى الفقرات المكتوب فيها «هذا أمر لافت للنظر» كنقطة انطلاق). والآن حان الوقت لعمل ما يلي:

(أ) فكر في استحداث متغيرات جديدة أخرى تجمع متغيرين أو تربط بين فئات مختلفة في إطار بعض المتغيرات. فلو كان لديك ، مثلا ، فئات داخل متغير واحد به عدد قليل من الحالات ، فإنه ينبغي عليك أن تفكر فيما إذا كان بالإمكان جمع فئتين لغرض التحليل. ولعلك تفكر أيضا في استحداث متغيرات جديدة تقوم على أساس توزيع عينتك على متغير أو أكثر من متغير ، مثال ذلك ، أن تستعمل الخميسات أو الربيعات كما في المثال المأخوذ من تقرير «اتجاهات اجتماعية» العدد 38.

(ب) ضع قائمة بالجداول المزدوجة وأشكال الانتشار ، والرسوم البيانية على شكل أعمدة ، والتي تحتاج إليها الآن لتساعدك في الإجابة على الأسئلة التي أثرت . وسوف نقدم بعض الاقتراحات في هذا الصدد في المثال رقم (3-6) التالي:

المثال رقم (3-6) تطوير التحليل (أ)

ما الذى يتعين عمله بعد ذلك	أسئلة تظهر حتى الآن من واقع الأمثلة
كون جدولا مزدوجا يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يجمع الفئة العمرية والنوع من جهة وتكرارية استخدام الإنترنت من جهة أخرى - وهو متغير : وقت النت inttime .	هل توجد فروق بين المجموعات العمرية المختلفة من حيث تكرارية استخدام الإنترنت؟
كون جدولا مزدوجا يظهر العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يضم المجموعة العمرية والنوع من جهة والمتغير الجديد - وهو «ساعات النت» inthours مقسمة على الجنسين .	هل تقضى النساء وقتا فى استخدام الإنترنت أكثر مما يقضيه الرجال؟
كون جدولا مزدوجا لظهار العلاقة بين المتغير (الجديد) الذى يضم الفئة العمرية والنوع من جهة والمتغير المتعدد الأكواد المسمى وقت الفراغ ، مبينا للنسب المئوية لكل فئة جنسية / عمرية تشارك فى كل نشاط من هذه الأنشطة .	هل توجد فروق أخرى بين الرجال والنساء من حيث طريقة قضاء وقت فراغهم؟

<p>استحدثت متغيرا جديدا لمن سبق لهم أن استخدموا الإنترنت في التواصل الاجتماعي في اليوم السابق، استحدث هذا المتغير بحيث يضم فئتين: المستخدمين المكثرين (لمدة ٩٠ دقيقة فأكثر في استخدام الإنترنت) والمستخدمين القليلين (أقل من ٩٠ دقيقة).</p>	<p>هل يختلف الأفراد المكثرون من استخدام الإنترنت في التواصل الاجتماعي؛ هل يختلفون في نواح أخرى عن القليلين في استخدامه؟</p>
<p>كون جدولا مزدوجا لإظهار العلاقة بين المتغير (الجديد) الذي يضم الفئة العمرية والجنس والمتغير المتعدد الأكواد «الاتصال» مبينا للنسب المئوية لكل فئة جنسية/عمرية تستخدم كل طريقة من طرق الاتصال مع أصدقائها وعائلاتها.</p>	<p>اسئلة أخرى قد تظهر لنا في هذه المرحلة: ما الوسائل التي يستخدمها الرجال والنساء من الفئات العمرية المختلفة في الحفاظ على اتصالاتهم بالأصدقاء والعائلة؟</p>
<p>ألقى نظرة على المتغير المتعدد الأكواد، المسمى «وقت الفراغ»، وفكر في أى الأنشطة التي يمكن اعتبارها اجتماعية (وهي الأنشطة التي تشتمل على اتصال ما بين الأفراد) وضع جداول مزدوجة لكل نشاط من هذه الأنشطة تبعا للجنس (والسن).</p>	<p>هل يتوافر للنساء من أنشطة وقت الفراغ «الاجتماعية» ما يزيد على أنشطة الرجال؟</p>
<p>كون جدولا مزدوجا لإظهار العلاقة بين المتغير المسمى «اجتماعي» والمتغير المسمى «اتصال». يمكن بعد ذلك أن تضع جدولا مزدوجا للعلاقة بين المتغير «اجتماعي» والمتغير المسمى «النوع». إن وجدت فروق بين الرجال والنساء من حيث رؤيتهم لأنفسهم كاجتماعيين، أمكن حينئذ استحداث جدول مزدوج مستقل للعلاقة بين المتغير «اجتماعي» والمتغير «اتصال» عند الرجال، وجدول آخر مثله للعلاقة بين هذين المتغيرين عند النساء، وذلك بغرض البحث عن الفروق الناجمة عن اعتبارات النوع.</p>	<p>هل يستعمل الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيين جدا؛ هل يستعملون طرقا معينة للحفاظ على الاتصال بأصدقائهم وعائلاتهم؟</p>

بحثك

قائمة المراجعة

	هل استخرجت المعدلات التكرارية لسائر متغيراتك؟
	هل ألقيت نظرة إلى «شكل» البيانات وأنت تبحث عن المتغيرات التي تهلك بعينها؟
	هل قمت بحساب قيم المتوسطات والوسائط ، والنوالات بطريقة مناسبة؟
	هل فكرت في استحداث متغيرات جديدة؟
	هل دونت في ملاحظاتك ما استخرجته حتى الآن من أمور لافتة للنظر؟

عند هذه المرحلة من تحليلك ، قد يكون من المفيد لك أن تكتب تقريراً موجزاً عن النتائج التي توصلت إليها حتى الآن . وفيه يمكنك تلخيص بيانات عينتك وتحديد أى نتائج لافتة للنظر يتعين عليك أن تتابعها . وربما يستعمل هذا التقرير بوصفه الجزء الأول من القسم الخاص بالنتائج التي توصلت إليها ، والذي تكتبه فى تقريرك النهائى أو رسالتك الجامعية .

من واقع استبيانك أو نموذجك لجمع البيانات ، ضع قائمة بأى متغيرات جديدة ترى الآن أنها ستكون مفيدة فى تحليلك .

اسم المتغير الجديد	المتغيرات المستخدمة لتكوين المتغير الجديد	كيف يتكون المتغير الجديد	سيساعدنى المتغير الجديد فى ...

من واقع أى أسئلة أثارها تحليلك حتى الآن - ومن واقع أسئلة بحثك - ضع قائمة بالجدول المزدوج الذى يمكنك تصميمها والتي من شأنها أن تساعدك مستقبلاً فى الاستكشاف والفهم .

المتغير الأفقى	المتغير الرأسى	هذا الجدول المزدوج سيساعدنى فى ...

استخدام التحليل الإحصائي في الإجابة على أسئلة البحث

بعد تلخيص البيانات عن طريق إمعان النظر في المعدلات التكرارية وتوزيع قيم كل متغير، يمكنك القيام بأمرين هما: العودة إلى أسئلة بحثك لتبدأ في تركيز تحليلك على جوانب البيانات التي سوف تساعدك في معالجة هذه الأسئلة، وإمعان النظر في الأسئلة التي كانت مطروحة في المرحلة الأولى. ولعلك ستحتاج، للقيام بذلك، إلى إمعان النظر في متغيرين أو أكثر معا. ويسمى بحث متغيرين معا (انظر قائمة المصطلحات) .. ويسمى تحليل ما يزيد على متغيرين معا: «التحليل المتعدد المتغيرات» (انظر قائمة المصطلحات).

رأينا حتى الآن مثالا لهذا التحليل في فصل 2 باب 4 حيث استحدثنا متغيرا جديدا (والمسمى السن والنوع AGESEX) جامعين بين فئتي العمر والنوع في متغير واحد. ويمكن لهذا المتغير الجديد بعد ذلك أن يستخدم من حيث صلته بمتغير ثالث (وهو المتغير المسمى «وقت الفراغ» في المثال المذكور) بهدف بحث تبين هذا المتغير الثالث تبعاً للمتغير الجامع لمتغيري السن والنوع معا.

الجدولة المزدوجة

إن أفضل طريقة لاستكشاف العلاقات القائمة بين المتغيرات والبدء في تمييز الجوانب اللافتة للنظر هي أن تصمم مجموعة من الجداول المزدوجة. وقد سبق أن أكدنا (فصل 2 باب 4، وفصل 4 باب 4)، أن بالإمكان تخطيط تحليل البيانات الكمية في مرحلة مبكرة من البحث، وذلك قبل جمع البيانات، كما أن بالإمكان إعداد قائمة بما هو محتمل من الجداول المزدوجة المهمة نتيجة استخدام أداة جمع البيانات (كالاستبيان، مثلا، أو غيره من استمارات جمع البيانات). وبعد أن تمنع النظر فيما لديك من جداول التكرار والمتغيرات المستحدثة، قد ترغب في هذه اللحظة في أن تضيف لقائمتك جداول مزدوجة أخرى ترى الآن أنها ستكون مهمة ومفيدة.

تقدم الجداول المزدوجة البيانات المأخوذة من متغيرين في جدول واحد مما يتيح لك الوقوف على ما هو موجود في داخل هذه البيانات من أوجه تشابه أو اختلافات لافتة للنظر. وكما رأينا من قبل، فإن النسب المئوية تستخدم كثيرا لتسهيل هذا الأمر عندما نبحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الجماعات ذات الأحجام المختلفة. ففي مثالنا الذي يستعمل المتغير المصمم حديثا والذي يضم فئتي العمر والنوع معا، نستطيع أن نضم ثلاثة متغيرات — وهي: العمر، والنوع ووقت الفراغ (السؤال الثالث). وحقيقة الأمر في الواقع، أن متغير «وقت الفراغ» نفسه يتكون من سبعة متغيرات. ويعد «وقت الفراغ» متغيرا متعددًا من حيث أن كل شخص يستطيع أن يضع علامات على سبعة من أنشطة وقت الفراغ. كما يعد كل واحد من هذه الأنشطة — كذلك — متغيرا منفصلا يمكن أن يُعطى ترميزة بـ «نعم» أو «لا».

فكر في هذا الموضوع . . .

ما الذى يمكنك أن تتعلمه من الجدولة المزدوجة؟

يسين الجدول رقم (3-6) الأعداد ، مع إيراد النسب المئوية داخل الأقواس ، وذلك بالنسبة لكل فئة عمرية اشتركت في كل نشاط من أنشطة وقت الفراغ .

• أى هذه الأنشطة هو الأكثر شيوعاً؟ وأيهما الأقل شيوعاً؟

• أى هذه الأنشطة الذى يظهر أشد الاختلافات بين النساء والرجال؟ وبين الفئات العمرية المختلفة؟

• ضع دائرة حول أى أرقام تثير دهشتك أو تجد أنها لافتة للنظر بصفة خاصة .

• حاول كتابة ملخص لهذا الجدول فيما لا يزيد عن خمس جمل .

الجدول رقم (3-6): جدول مزدوج لفئة العمر والنوع تبعا لنمط نشاط وقت الفراغ

العمر والنوع تبعا لأنشطة وقت الفراغ	مشاهدة التلفزيون	الاستماع للموسيقى	الإنترنت (فيما عدا ألعاب الكمبيوتر)	مع الأصدقاء والعائلة	في الحانات والنادي	الألعاب والتمارين الرياضية	ألعاب الكمبيوتر	الإجمالي فى كل فئة
الذكور من 16-24 سنة	10 (% 71)	8 (% 57)	12 (% 86)	10 (% 71)	8 (% 57)	8 (% 57)	10 (% 71)	14 (% 100)
الذكور من 25-44 سنة	16 (% 73)	16 (% 73)	18 (% 82)	12 (% 55)	12 (% 55)	14 (% 64)	14 (% 64)	22 (% 100)
الذكور من 45-64 سنة	16 (% 88)	10 (% 55)	12 (% 67)	12 (% 67)	10 (% 55)	6 (% 33)	6 (% 33)	18 (% 100)
الذكور من 65 سنة فأكثر	16 (% 100)	4 (% 25)	6 (% 38)	14 (% 88)	8 (% 50)	4 (% 25)	2 (% 13)	16 (% 100)
إجمالي الذكور الذين يمارسون الأنشطة	58 (% 83)	38 (% 54)	48 (% 69)	48 (% 69)	38 (% 54)	32 (% 46)	32 (% 46)	70 (% 100)
الإناث من 16-24 سنة	18 (% 90)	16 (% 80)	18 (% 90)	20 (% 100)	14 (% 70)	10 (% 50)	4 (% 20)	20 (% 100)
الإناث من 25-44 سنة	16 (% 73)	14 (% 64)	16 (% 73)	14 (% 64)	8 (% 36)	14 (% 64)	4 (% 18)	22 (% 100)
الإناث من 45-64 سنة	16 (% 80)	10 (% 50)	10 (% 50)	16 (% 80)	10 (% 50)	8 (% 40)	4 (% 20)	20 (% 100)
الإناث من 65 سنة فأكثر	16 (% 88)	4 (% 22)	8 (% 44)	12 (% 67)	4 (% 22)	8 (% 44)	صفر (صفر %)	18 (% 100)
إجمالي الإناث اللاتي يمارسن الأنشطة	66 (% 83)	44 (% 55)	52 (% 65)	62 (% 78)	36 (% 51)	40 (% 57)	12 (% 15)	80 (% 100)
إجمالي من منهم من 16-24 سنة	28 (% 82)	24 (% 71)	30 (% 88)	30 (% 88)	22 (% 65)	18 (% 53)	14 (% 41)	34 (% 100)
إجمالي من منهم من 25-44 سنة	32 (% 72)	30 (% 68)	34 (% 77)	26 (% 59)	20 (% 45)	28 (% 63)	18 (% 41)	44 (% 100)
إجمالي من منهم من 45-64 سنة	32 (% 84)	20 (% 53)	22 (% 58)	28 (% 74)	20 (% 53)	14 (% 37)	10 (% 26)	38 (% 100)
إجمالي من منهم 65 سنة فأكثر	32 (% 94)	8 (% 24)	14 (% 41)	26 (% 76)	12 (% 35)	12 (% 35)	2 (% 6)	34 (% 100)
إجمالي كل من يمارسون الأنشطة	124 (% 83)	82 (% 55)	100 (% 67)	110 (% 73)	74 (% 49)	72 (% 48)	44 (% 29)	150 (% 100)

ملاحظة : تم تقريب النسب المئوية إلى أقرب عدد صحيح . بعض النسب المئوية قائمة على أساس إحصائيات أقل من 20 فرداً ، لذلك ينبغي التعامل معها بحذر . النسب المئوية محسوبة بالنظر إلى إجمالي كل فئة على حدة ، مثال ذلك ، أن 90 % من النساء الواقعة أعمارهن بين 16-24 سنة يشاهدن التلفزيون في أوقات فراغهن . لا تصل النسب المئوية إلى 100 % على امتداد الصفوف لأن هذا المتغير ذو أكواد متعددة ولأن كل فرد على حدة قد يمارس أكثر من نشاط واحد .

اختبار العلاقات : الاختبار كاي تربيع

الاختبار باستعمال كاي تربيع اختبار يمكن استخدامه للحكم على ما إذا كان الفرق بين قيمتي متوسطي عينتين دال إحصائياً (ونعني بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة) . ويمكن استخدامه لمقارنة المتغيرات الاسمية أو متغيرات الرتب ، كمتغير الذكر والأنثى مثلاً . وسوف نستخدم هذا الاختبار لاختبار الدلالة الإحصائية للبيانات الواردة في الجدول المزدوج الوارد في المثال رقم (7-3) . في هذا المثال تتمثل العيتان في مجموعة الرجال ومجموعة النساء .

المثال (7-3)			
إلى أى مدى يعتبر الرجال والنساء أنفسهم اجتماعيين؟			
الجدول رقم (7-3) تصورات الأفراد لدى كونهم اجتماعيين ، تبعا للنوع			
تصورات الأفراد لدى كونهم اجتماعيين تبعا للنوع	الرجال	النساء	الإجمالي
اجتماعي جدا	10 (% 14.3)	25 (% 31.3)	35 (% 23.3)
اجتماعي إلى حد معقول	20 (% 28.6)	30 (% 37.5)	50 (% 33.3)
لا اجتماعي ولا غير اجتماعي	15 (% 21.4)	8 (% 10)	23 (% 15.3)
غير اجتماعي إلى حد ما	20 (% 28.6)	12 (% 15)	32 (% 21.3)
غير اجتماعي تماما	5 (% 7.1)	5 (% 6.3)	10 (% 6.7)
الإجمالي	70 (% 100)	80 (% 100)	150 (% 100)

هذا امر لافت للنظر

يتضح من هذا الجدول المزدوج أن ما يقرب من ثلث النساء فى عينتنا يرين أنفسهن اجتماعيات جدا بالمقارنة بنسبة 14.3 % فقط من الرجال . وأن أقل من نصف الرجال (43 %) يرون أنفسهم اجتماعيين إلى حد معقول أو اجتماعيين جدا . وهكذا يبدو واضحا تماما من هذا الجدول المزدوج أن النساء أشد من الرجال ميلا لأن يرين أنفسهن اجتماعيات . ولكن هل يمكننا أن نقول إن العلاقة بين هذين المتغيرين: متغير «الاجتماعى» ومتغير «النوع» علاقة دالة؟

بعد الاطلاع على هذا الجدول المزدوج يمكننا القول بأن لدينا فرضا بحثيا مفاده أن النساء أكثر من الرجال ميلا لأن يرين أنفسهن اجتماعيات .

للبحث عن الدلالة الإحصائية نقدر فرضا صفريا (أو سلبيا) بأنه لا توجد علاقة بين النوع وتصورات الأفراد عن أنفسهم كاجتماعيين - أى إن هذين المتغيرين مستقلان عن بعضهما .

يقوم الاختبار باستعمال كاي تربيع على أساس قياس مدى اختلاف القيم التى تمت ملاحظتها (من واقع البيانات التى تم جمعها) ، عن تلك القيم التى يمكن توقعها لو أن هاتين الفئتين أو المجموعتين (وهما فى هذه الحالة الرجال والنساء) كانتا متماثلتين فيما يتصل بالمتغير «اجتماعى» . والفرض الصفري يقول إنه لن يوجد فرق . فإن رفض الفرض الصفري فإن الفروق بين الرجال والنساء تكون - حينئذ - دالة إحصائيا .

كاي تربيع = مجموع القيم (الملاحظة فعلا - المتوقعة)² ÷ البيانات المتوقعة

حيث تكون القيم الملاحظة هى بياناتك .

(لا يُنصح باستخدام اختبار كاي تربيع حينما تكون القيم الملاحظة أو المتوقعة المذكورة فى خانات الجدول أقل من 5 . وإن وجدت أعداد أقل فمن المستصوب ضم بعض الفئات كما سنفعل هنا . سيتم تجميع البيانات داخل ثلاث فئات ، هى: (1) اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول؛ (2) لا اجتماعى ولا غير اجتماعى؛ (3) غير اجتماعى إلى حد ما أو غير اجتماعى تماما) .

تُستخرج كل قيمة متوقعة على حدة عن طريق (ضرب إجمالى الصفوف الأفقية إجمالى العمود) ويقسم الإجمالى الكلى : أى إن إجمالى الصفوف للفئة المسماة اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول (وهو 85) يُضرب فى إجمالى العمود للرجال (وهو 70) ويقسم الحاصل على الإجمالى الكلى (وهو 150) فنكون النتيجة = 39.7 .

كاي تربيع = 5.59 + 4.88 = 10.47

الجدول رقم (3-8): اختبار العلاقات باستخدام كاي تربيع

الإجمالي	الرجال (الملاحظ - المتوقع) ² الملاحظ			النساء (الملاحظ - المتوقع) ² الملاحظ			
	الملاحظ	المتوقع		الملاحظ	المتوقع		
85	30	39.7	2.37	55	45.3	2.08	اجتماعى جدا/ اجتماعى إلى حد معقول
23	15	10.7	1.73	8	12.3	1.50	لا اجتماعى ولا غير اجتماعى
42	25	19.6	1.49	17	22.4	1.30	غير اجتماعى تماما أو غير اجتماعى إلى حد ما
150	70		5.59	80		4.88	الإجمالي

بعد ذلك يتم تدقيق نتيجة هذا الحساب تبعا لحجم هذا الجدول - أى تبعا لعدد الفئات فى كل متغير من المتغيرات على حدة (مجموعة «الاجتماعى» بها 3 فئات، ومجموعة «النوع» بها فئتان). ومن هذا الحساب تستخرج درجات الحرية (انظر قائمة المصطلحات). فى حالتنا هذه توجد درجات حرية كالتالى: $(1-2)(1-2) = 2$: أى درجتان للحرية.

إذن، فهل هذه الدرجة من الحرية دالة إحصائيا؟ بمقدور جداول كاي تربيع (والتي يمكن أن تجدها فى معظم الكتب الدراسية) أن تدلنا على ما إذا كانت هذه الدرجة من الحرية دالة إحصائيا أم لا. وفى حالتنا هذه تدلنا جداول كاي تربيع (ذات الفرعين أو ذات الذيلين two-tailed) أنه فى حالة وجود درجتين للحرية تكون قيمة كاي تربيع التي تزيد عن 9.21 دالة إحصائيا عندما يكون مستوى الاحتمال $0.01 =$ وهذا معناه أنه يوجد احتمال مقداره أقل من واحد فى المائة أن تكون هذه النتيجة قد حدثت مصادفة، وأن الفرق بين النساء والرجال فى هذه الحالة دال إحصائيا، وأن الفرض الصفري مرفوض.

لاحظ أن جميع حزم البرمجيات الإحصائية الحاسوبية، والتي منها (SPSS) PASW ومايكروسوفت إكسل مثلا، بها وظائف يمكنك من حساب كاي تربيع.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الاختبارات الإحصائية - دراسة إضافية

يمكن استخدام اختبار كاي تربيع مع عيّنتين اسمية أو رتبية. تشمل الاختبارات الأخرى التي يمكن تطبيقها على الأنماط المختلفة من البيانات، على ما يلي:

جدول رقم (3-9) الاختبارات الإحصائية

تحليل التباين المسمى أنوفا 'ANOVA	يمكن استخدام هذا الاختبار بتطبيقه على المتغيرات الاسمية للتحقق من الفروق القائمة بين فئتين أو أكثر (أى : مجموعتين أو أكثر).
الاختبار الزوجى التائي (للدلالة الإحصائية للفروق بين متوسطين أو مجموعتين)	يمكن استخدامه لمقارنة الفروق الموجودة بين متغيرات النسبة أو الفترة لمجموعتين زوجيتين . .
اختبار ويلكوكسون لإشارات الرتب	يمكن استخدامه لمقارنة البيانات النسبية أو الدورية التي ليس لها توزيع اعتدالي.

الأشكال البيانية للتشتت

كجزء من تحليلنا نقوم بالبحث عن العلاقات القائمة بين المتغيرات - وهو ما يعنى بعبارة أخرى ، نحن مهتمون بالتعرف على ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أو أكثر أن يتباينا أو تتأثر علاقة كل منهما بالآخر بطريقة يمكن ملاحظتها وقياسها. وقد تكون العلاقات القائمة بين المتغيرات علاقات سببية/ أو علية (انظر قائمة المصطلحات) إذا كانت قيمة أحد المتغيرين تتسبب فى إحداث قيمة معينة فى المتغير الآخر فى حالات كثيرة أو فى بعض الحالات على الأقل . ويندر فى البحث الاجتماعى أن نكون متأكدين من وجود علاقة سببية ، إلا أن ظهور علاقة ما أو ارتباط ما بين اثنين أو أكثر من المتغيرات قد يحثنا على الاستكشاف بحثا عن الأسباب الممكنة لهذه العلاقة . لاحظ أنه ليس واضحا - على الدوام - تحديد ما المتغير الذى يعتمد على الآخر ؟

ما : المتغير المستقل؟

المتغيرات المستقلة هى متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها ، مثال ذلك ، أن سن المستجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة .

المتغير التابع

المتغيرات التابعة يمكن أن تتباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات - المستقلة - الأخرى ، كما أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات ، مثال ذلك ، أن إحساس المستجيب بصحته الشخصية قد يكون مرتبطا بسنه .

ونحن نكرر هنا مثالا لبرواز (عن العلاقات) سبق أن قدمناه فى الفصل 4 باب 1 ، الذى يبحث مسألة طبيعة العلاقات بين البيانات فيما يتصل ببلورة أسئلة البحث . وكثيرا ما تشتمل أسئلة البحث على أسئلة عن العلاقة المحتملة بين متغيرين ، ونحن هنا نركز الاهتمام على إحدى طرق البدء بتمييز تلك العلاقات المحتملة بين متغيرى فترة أو متغيرى نسبة عن طريق إنشاء شكل بيانى للتشتت (انظر قائمة المصطلحات) .

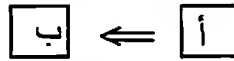
ويوضح لنا الشكل البيانى للتشتت بكل جلاء ما إذا كان من الممكن لمتغيرين أن يكونا مرتبطين ببعضهما ، ولدى هذا الارتباط .

المثال رقم (3-8)

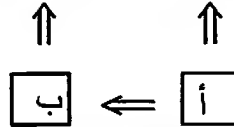
العلاقات

العلاقات السببية (العلية)

كثيرا ما تعرض العلاقة السببية فى شكل بيانى كالتالى :



مثال ذلك ، أن بإمكاننا أن نؤكد أن زيادة ما فى القراءة المركزة ينتج عنها الحصول على درجات أعلى فى الامتحانات للطلبة الجامعيين . ويمكن أن نبين هذه العلاقة بهذا الشكل :

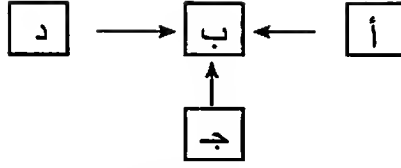


هنا تتسبب زيادة ما فى «أ» - وهى القراءة المركزة - فى إحداث زيادة ما فى «ب» - أى : درجات الامتحانات .

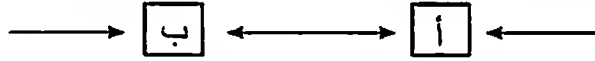
علاقات الارتباط

ومع ذلك ، فإنه بالرغم من وجود علاقة إحصائية بين القراءة المركزة المتزايدة ودرجات الامتحانات المرتفعة ، فقد لا نستطيع إثبات أن «أ» يتسبب فى إحداث «ب» . وقد يرجع ذلك لعدد من الأسباب :

1 - توجد أسباب كثيرة لحصول طالب ما على درجات امتحان مرتفعة ، كما أن من العسير إثبات أن القراءة المركزة وحدها هى التى سببت هذه الدرجات المرتفعة .



2 - يحتمل أن يكون الطلبة الذين يؤدون الامتحان بصورة جيدة هم أنفسهم الطلبة الذين يجدون أن القراءة المركزة تناسب طريقتهم في الاستذكار .



3 - وقد يكون لعامل ثالث تأثير فعال ، إذ يؤثر على كل من مقدار القراءة المركزة وعلى درجات الامتحان المرتفعة . مثال ذلك ، أنه قد يكون لبعض الطلبة أستاذ توقع أن يقوم طلبته بالقراءة المنتظمة قبل حضور السمينارات ، ووضع أسئلة الامتحانات . وكان يرى أنهم يستعملون هذه القراءات كمراجعة للمنهج الدراسي .



المثال رقم (3-9)

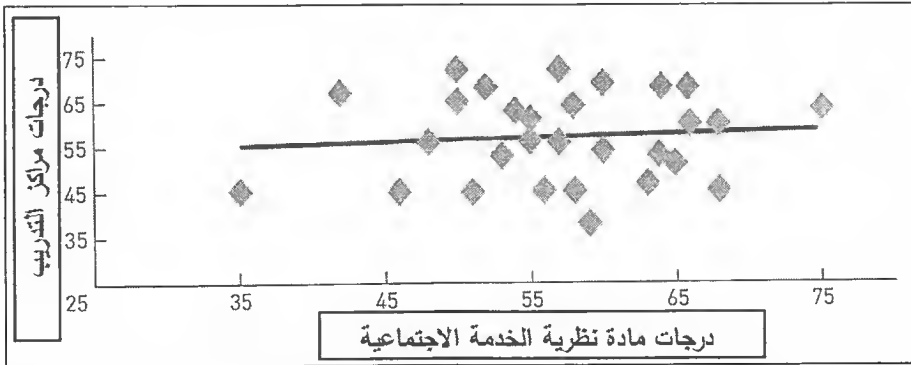
الأشكال البيانية للتشتت

(أ)

الطلبة الذين يتدربون ليكونوا أخصائيين اجتماعيين مهنيين ، يحصل كل واحد منهم على درجتين : الدرجة الأولى عن امتحانهم في مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» ، والدرجة الأخرى عن أدائهم في مركز التدريب العملي . بإمعان النظر في حالة كل طالب من مجموعة الطلبة على حدة نتساءل : أ توجد علاقة ما بين هاتين الدرجتين ؟ وهل الطلبة الذين يحصلون على درجات مرتفعة في امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» يحصلون كذلك على درجات مرتفعة عن أدائهم في موقع التدريب العملي ؟

● يتم تحديد مكان لكل زوجين من العلامات على شكل بياني للتشتت (أو للانتشار) . ويمثل بعلامة مميزة . بإمكاننا أن نرى بمجرد إلقاء نظرة عامة على توزيع هذه العلامات المميزة ، أن الطلبة الحاصلين على درجات منخفضة في امتحان مادة «نظرية الخدمة الاجتماعية» حصلوا أيضا على درجات منخفضة في موقع التدريب العملي .

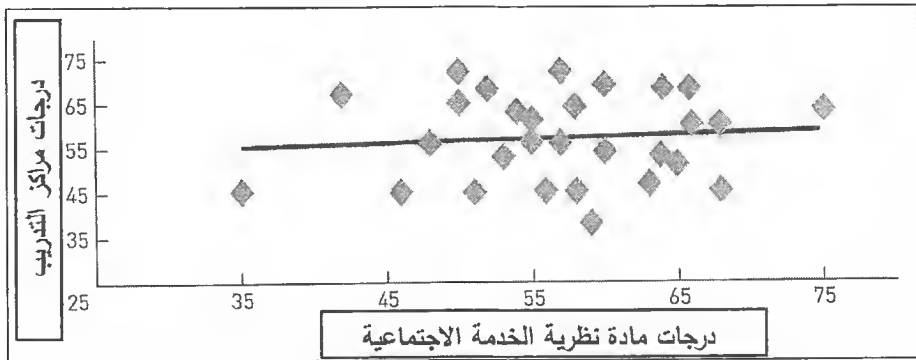
- يكون الخط الممدود بين هذه العلامات الميزة هو خط أفضل مطابقة - فهذا الخط يقع أقرب ما يمكن من كل تلك العلامات - أو أن الفرق بين كل علامة وهذا الخط أصغر ما يمكن .
- يشير انحدار هذا الخط إلى اتجاه العلاقة بين هذين المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد الآخر كذلك .
- يمكننا أن نرى أنه توجد بعض العلامات على مسافة ما من الخط . هذه العلامات هي الحالات النائية المتطرفة أو الحالات التي لا تتفق كثيرا مع هذا الاتجاه العام .



الشكل رقم (3-7): شكل بياني لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملي (أ)

(ب)

إليك الشكل البياني لتشتت درجات فوج آخر من الطلبة . فما الذي يبينه هذا الشكل البياني للانتشار؟



الشكل رقم (3-8): شكل بياني لتشتت درجات مادة نظرية الخدمة الاجتماعية ودرجات التدريب العملي (ب)

اختبار العلاقات : معامل الارتباط - معامل ارتباط بيرسون

استخدمنا شكلا بيانيا للانتشار بهدف تقديم صورة مرئية للارتباط الممكن بين متغيرين نسبيين . يعد معامل الارتباط (انظر قائمة المصطلحات) هذا قيمة إحصائية توفر لنا مقياسا لقوة واتجاه هذه العلاقة . يقوم هذا الارتباط على أساس انطباق خط مستقيم على هذه البيانات «انظر مثال رقم (9-3)» ، وعلى الفرق بين كل قيمة على حدة والمتوسط الحسابي لمجموعة القيم . ويحسب باستعمال المعادلة التالية:

$$r = \frac{\text{مجم}(\bar{س} - \bar{ص})(\bar{ص} - \bar{ص})}{\sqrt{\text{مجم}(\bar{س} - \bar{س})^2 \text{مجم}(\bar{ص} - \bar{ص})^2}}$$

حيث س ، ص هما قيمتا المتغير (س) والمتغير (ص) على التوالي ، بينما $\bar{س}$ ، $\bar{ص}$ هما المتوسطان الحسابيان للمتغير (س) والمتغير (ص) على التوالي .

تعد هذه المعادلة الخاصة بحساب معامل الارتباط معقدة تماما ، كما أنها تعتمد على مفاهيم إحصائية تقع خارج نطاق هذا الكتاب . ومع ذلك ، فإن بالإمكان اعتبار هذا الحساب طريقة لقياس مقدار اختلاف كل قيمة عن متوسط كل الحالات الشاملة لكلا المتغيرين ، ولتقدير مدى إسهام كلا المتغيرين في إحداث ذلك التباين عن هذا المتوسط - أى تقدير مدى اعتبار هذا التباين مرتبطا بهذين المتغيرين على نحو ما .

وتكون نتيجة هذه المعادلة قيمة تتراوح بين -1 ، +1 .

● تدل النتيجة -1 (ناقص واحد) على وجود علاقة سلبية كاملة بين المتغيرين - وهو ما يعنى بعبارة أخرى : أنه كلما ازداد أحد المتغيرين نقص الآخر .

● تدل النتيجة +1 على وجود علاقة إيجابية كاملة بين المتغيرين - بمعنى أنه عندما يزداد أحد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك .

● النتيجة التى مقدارها صفر تدل على عدم وجود علاقة إحصائية بين المتغيرين - مما يعنى بعبارة أخرى ، عدم وجود نمط يمكن التعرف عليه للعلاقة بين المتغيرين .

يندر - بالطبع - أن تكون نتيجة هذا الحساب -1 ، أو صفر ، أو +1 تماما . ويظهر اقتراب النتيجة من -1 ، أو صفر ، أو +1 مقدار قوة هذه العلاقة .

فى المثاليين المعروضين فى صورة أشكال بيانية للانتشار ، فى المثال رقم (9-3) ، يكون معاملا الارتباط كما يلى :

(أ) معامل الارتباط (ر) يساوى +0.701. وهذا يدل على :

● وجود علاقة إيجابية - فعندما يزداد أحد المتغيرين يزداد المتغير الآخر كذلك ، كما يدل على :

● وجود علاقة قوية - أى إن كثيرا من الحالات قريبة من خط أفضل مطابقة لهذا التوزيع .

(ب) معامل الارتباط (ر) يساوى +0.074 وهذا يدل على :

● وجود علاقة إيجابية ضعيفة جدا بين المتغيرين - أى لا يوجد دليل على أن هذين المتغيرين مرتبطان ببعضهما .

بحثك

تذكر أن معامل الارتباط يبين العلاقة الإحصائية بين مجموعتين من البيانات . ويستطيع الباحث أن يستخدم هذه العلاقة للبحث عن الأسباب الممكنة لأن تكون المتغيرات ، أو لا تكون ، مرتبطة ببعضها ، ولكن معامل الارتباط لا يقوم وحده بإظهار أنه توجد علاقة فعلية .

لاحظ أن جميع حزم البرامج الكومبيوترية الإحصائية ، والتى منها SPSS ومايكروسوفت إكسل مثلا ، لديها وظائف تمكنك من حساب معامل الارتباط - أى معامل ارتباط بيرسون ، المعبر عنه بحرف «ر» .

فكر فى هذا الموضوع ..

معاملات الارتباط : دراسة أخرى

يستخدم معامل ارتباط بيرسون ، والمعبر عنه بحرف «ر» بتطبيقه على أزواج متغيرات الفترة أو النسبة .

توجد معاملات ارتباط أخرى يمكن استخدامها فى معالجة أنماط مختلفة من البيانات ، بما فيها البيانات الواردة فى الجدول رقم (3-10) ، المذكور فيما بعد .

جدول رقم (3-10) : معاملات الارتباط

معامل ارتباط بيرسون «ر»	يمكن استخدامه على أزواج لتغيرات الرتبة (ذات الدرجات) أو حينما يكون أحد المتغيرات رتبيا والآخر دوريا أو نسبيا.
معامل فاي	يمكن استخدامه على المتغيرات الثنائية.
معامل «في» V لكرامر	يمكن استخدامه على المتغيرات الإسمية ليبدل على قوة الارتباط (وليس على اتجاهه).
معامل جاما	يمكن استخدامه مع متغيرات الرتبة.

يمكن حساب درجة العلاقة الإحصائية القائمة بين مجموعات المتغيرات باستعمال تقنيات التحليل متعدد المتغيرات ، كتحليل الانحدار المتعدد والتحليل العاملي .

التحليل الإحصائي كعملية

قدمنا التحليل الإحصائي بوصفه عملية وليس بوصفه سلسلة من التقنيات . وكما هو الحال مع أى طريقة تحليلية ، يعد التحليل الإحصائي طريقة للاشتغال بالبيانات بهدف تمكين الباحث من استكشاف أسئلة البحث التى سبق طرحها والإجابة عليها ، ومن عرض نتائجه على جمهوره (فصل 1 باب 5) . والعملية التى نعرض لها هنا تتناسب مع الأبحاث الصغيرة التى تشتمل على بيانات كمية جمعت من عينة من الحالات . وعلى الرغم من أن معظم التحليلات الإحصائية تبدأ بالإحصاءات الوصفية ثم تمضى قدما خلال البيانات للبحث عن العلاقات بين متغيرين أو أكثر ، فإن هذه العملية لا تكون دائما بهذه الصورة المباشرة . فعندما يتطور تحليل ما وتكشف ملامحه بالتدرج ، يكون بالإمكان ظهور أفكار جديدة تتعلق بالبيانات ، كما أن الباحث ، وبالرغم من أنه عند اشتغاله بالبيانات الكمية المقننة لا يمكنه أن يضيف شيئا إلى البيانات أو يعيد تفسيرها ، فإنه يستطيع اختبار كل التفسيرات والأفكار الممكنة عن طريق الاشتغال بهذه البيانات ومعالجتها بطرق مختلفة . ففي المثال الذى استخدمناه فى هذه الفقرة ، دفعتنا النتيجة التى تقول إن النساء أكثر من الرجال ميلا لأن يصفن أنفسهن بأنهن اجتماعيات؛ دفعتنا للرجوع إلى البيانات المتعلقة بأنشطة وقت الفراغ والتفكير فيما إذا كان بالإمكان أن تكون هذه الأنشطة مرتبطة بما لدى مستجيباتنا من تصورات عن نزعتين الاجتماعيتين أم لا ، كما دفعتنا هذه النتيجة إلى التفكير فيما إذا كان الإحساس بالنزعة الاجتماعية مرتبطا أيضا بوسائل الاتصال المستخدمة فى الحفاظ على التواصل مع الأصدقاء والعائلة ، أم لا .

من المستصوب أن تحتفظ بسجل يومية يمكنك أن تدون فيه جميع التحليلات التي تقوم بها، وجميع المتغيرات التي تنشئها، وسائر النتائج اللافتة للنظر. أضف إلى هذه الأمور أفكارك الخاصة بجانب «الأمر التي يتعين القيام بها فيما بعد».

المثال رقم (3-10)

تطوير التحليل (ب)

في المثال رقم (3-7) أظهر الجدول المزدوج الجامع للمتغير «اجتماعي» والمتغير «النوع» (كما أظهر اختبار كاي) أن النساء اللاتي في العينة كن أميل إلى اعتبار أنفسهن اجتماعيات أكثر من اعتبار الرجال أنفسهن اجتماعيين. ونظراً لأن أسئلة بحثنا تعنى بالشبكات الاجتماعية والاتصال بين الأصدقاء والعائلة، فقد نفكر في هذا الوقت في البحث بمزيد من التعمق في مدى اختلاف الأفراد الذين يصفون أنفسهم بأنهم اجتماعيون؛ مدى اختلافهم في الاتصال بالأصدقاء والعائلة بالمقارنة يصفون أنفسهم بأنهم غير اجتماعيين. وإن بإمكاننا أن نقوم بهذا العمل على عدة مراحل.

الجدول رقم (3-11): تطوير أسئلة البحث باستخدام الجداول المزدوجة

الأسئلة التي تظهر من واقع التحليل حتى الآن بجانب أسئلة البحث	ما الذي يتعين عمله فيما بعد؟
هل يقومون أيضاً بالمزيد من الأنشطة الاجتماعية في وقت فراغهم؟ هل يستخدمون أيضاً أشكالاً معينة من الاتصال؟ هل يقضون وقتاً أطول في استخدام الإنترنت في التواصل الاجتماعي؟	صمم جداول مزدوجة للمتغير «اجتماعي» تبعا لكل متغير من المتغيرات الأخرى.
هل الرجال الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين/ غير اجتماعيين يتصرفون بطرق مشابهة لطرق النساء اللاتي يعتبرن أنفسهن اجتماعيات/ غير اجتماعيات؟	استحدث متغيراً جديداً يجمع بين «الاجتماعي» و«النوع». ثم صمم جدولا مزدوجا للمتغير الجديد تبعا لكل متغير جديد من المتغيرين أعلاه.
هل توجد أيضا فروق أو اختلافات عمرية فيما يتعلق بالاجتماعية (بالنزعة الاجتماعية)؟ وهل النساء اللاتي يعتبرن أنفسهن اجتماعيات أرجح أن يكن قادمات من فئات عمرية معينة؟ وماذا عن الرجال في هذه الجزئية؟	صمم جدولا مزدوجا لمتغير يجمع بين فئتي العمر والنوع معا وبين متغير «الاجتماعي».

بالاعتماد على النتائج المستخرجة من الجداول المزدوجة، سيكون بإمكاننا:

- وصف أكثر الأنشطة شيوعاً وأكثر أشكال الاتصال شيوعاً بين الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم اجتماعيين / غير اجتماعيين، وتحديد أوجه الشبه والاختلاف.
 - وتقدير ما إذا كانت توجد فروق بارزة بين الرجال والنساء فيما يتصل بوجه الشبه والاختلاف، أم لا.
 - وتقدير ما إذا كان السن عاملاً يجب تتبعه بالدراسة إلى مدى أبعد من حيث ارتباطه بالأنشطة الاجتماعية والاتصال.
- في مشروع بحثي كامل، قد ترتبط هذه المجموعة من الأسئلة بجزء صغير من البيانات التي جمعت، كما يجب إدخال العوامل الأخرى في الحساب أيضاً في هذا الوقت.

عرض نتائج التحليل الإحصائي

بعد أن تطور تحليلك الإحصائي يلزمك حينئذ أن تقدم هذا التحليل لجمهورك (الباب 5) بطريقة توضح بجلاء كيف اشتغلت ببياناتك، وما الذي انتهيت إليه من نتائج، وكيف ساعدك هذا التحليل في الإجابة على أسئلة بحثك. وكما اقترحنا في موضع سابق من هذا الفصل، فإن من المفيد أن تكتب تقريراً، عن تحليلك المبدئي لأن ذلك قد يزودك بالجزء الأول من نتائجك. وانطلاقاً من هذا الجزء يتعين عليك حينئذ أن تبين مستعملا الجداول والرسوم والأشكال البيانية المستمدة من بياناتك، كيف طورت تحليلك. يجب أن تبين كيف توصلت إلى نتائجك - أي أن تروي قصة العملية التحليلية التي قمت بها. فإن حالت قيود الحيز دون التعبير عن ذلك في تقريرك أو في رسالتك العلمية، فإن بإمكانك أن تدرج هذه القصة كملحق في بحثك. إن توضيحك لكيفية اشتغالك بالبيانات، وكيفية تفسيرك لها على الأخص، جزء لا يتجزأ من صميم تقريرك أو رسالتك العلمية لأنه يوفر لك نوعاً من التأكد من أن تحليلك وتفسيراتك صادقة ويمكن أن يعتد بها. بعد تقديمك لنتائجك وتحليلك، يكون من الملائم أن تركز مناقشتك على النتائج الأساسية وعلى الطريقة التي تجيب بها هذه النتائج - بشكل ما - على أسئلة بحثك أو إلقاء الضوء عليها.

بحثك

إذا كنت تشتغل ببيانات كمية وتقوم بتحليل إحصائي لها، فحاول أن تتبع هذه الخطوات:

- 1 - نظم بياناتك باستخدام أسماء وأكواد للمتغيرات.
- 2 - أنشئ أى متغيرات جديدة ترى أنك ستحتاج إليها.
- 3 - صمم جداول تكرارية لكل متغير من متغيراتك.
- 4 - صف العينة فى ضوء خصائصها الأساسية التى ستستخدمها فى التحليل كالتنوع والنوع مثلاً.
- 5 - انظر إلى شكل البيانات بحثاً عن متغيرات أساسية.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

- 6 - ضع قائمة بالجدول المزدوجة وأشكال الانتشار البيانية المطلوبة وقم بتصميمها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

- 7 - قم بالمراجعة بحثاً عن العلاقات أو الارتباطات الموجودة بين المتغيرات مستعملاً الأشكال البيانية للانتشار، والنسب المئوية، والاختبارات الإحصائية الملائمة.
- 8 - ضع قائمة بالأسئلة التى أثارها التحليلات حتى هذه اللحظة، وبالطريقة التى ستتبعها فى الإجابة عليها.
- 9 - ضع قائمة بالجدول المزدوجة والأشكال البيانية للانتشار، ونفذها.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

- 10 - ابحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين المجموعات (أو الفئات) وابحث عن البيانات التى من شأنها أن تساعدك فى تفسير هذه الاختلافات والتشابهات.

سلط الضوء على النتائج اللافتة للنظر

- 11 - أعد مراجعة أسئلة بحثك للتأكد من: هل ساعدك هذا التحليل فى الإجابة على أسئلة بحثك؟

بحثك

اختبار جودة البحث

فى هذه المرحلة من العملية البحثية ينصب اهتمامك بالأساس على صدق تفسيراتك وشفافية تحليلك .

- هل تحققت من أن نتائجك دقيقة على امتداد عمية التحليل كلها؟
- هل راجعت فهمك الشخصى للنتائج مع أشخاص آخرين؟
- يمكنك أن تبين للآخرين كيف قمت بهذا التحليل؟
- هل نتائجك مفهومة فى ضوء الأبحاث والنظريات الأخرى فى هذا المجال؟
- يمكنك أن تبرر أى دعاوى تدعيها بخصوص قابلية تعميم نتائج بحثك على مجتمع البحث الذى أخذت منه هذه العينة؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS14, 15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.
- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Hays, W. (1993) *Statistics*, 4th edn, New York: Holt, Rinehart & Winston.
- Hinton, P. R. (2004) *Statistics Explained: A Guide for Social Science Students*, Hove: Routledge.
- Social Trends 38 (2008) www.statistics.gov.uk/downloads/theme_social/Social_Trends38/Social_Trends_38.pdf (accessed 21 August 2009).
- Wright, D. B. and London, K. (2009) *First (and Second) Steps in Statistics*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الرابع

تحليل الموضوعات

محتويات الفصل

- الاشتغال بالبيانات الكيفية.
- ما تحليل الموضوعات؟
- عملية التحليل.
- عرض تحليل الموضوعات.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

من الممكن استعمال تشكيلة متنوعة من الطرق والأساليب في معالجة البيانات الكيفية: وأكثر هذه الطرق شيوعاً (على الأقل في بداية العمل) طريقة تحليل الموضوعات التي تمكنك من تمييز الموضوعات أو القضايا الرئيسية الماثلة داخل البيانات، واستعمال البيانات التي جمعتها لبلورة وتدقيق هذه الموضوعات، والبحث عن الصلات الموجودة داخل هذه البيانات، وتمييز الأنماط والبحث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف داخل الحالات: بين أفراد كل فئة أو نمط، وفيما بين الفئات أو الأنماط المتعددة.

الرجاء قراءة فصل 2 باب 4، قبل قراءة هذا الفصل..

الاشتغال بالبيانات الكيفية

يبدأ تحليل البيانات الكيفية من لحظة الانتهاء من تطوير سؤال بحثنا، وبدء التفكير في المفاهيم التي نشتغل بها واختيار عينة حالاتنا. يعد الاشتغال بالبيانات الكيفية عملية تنتقل بين جمع البيانات الاجتماعية، والاشتغال بها، والتأمل فيها على امتداد البحث كله، من أوله لآخره. وباعتبار أن الباحث هو الأداة الرئيسية لجمع البيانات، فإنه

يكون على اتصال مباشر لا ينقطع بالبيانات التي يجرى جمعها وعامل على التفكير فيها . ونظرا لأن تحليل البيانات الكيفية يعتمد إجمالاً على ما يقدمه الباحث من تفسيرات للبيانات الخام ، فإن هذه العملية تبدأ بمجرد البدء في جمع البيانات . وهذا هو السبب في أننا نوصيك بالاحتفاظ بدفتر يوميات للبحث يمكن أن يكون بمثابة سجل شخصي لأفكارك وملاحظاتك وتأملاتك أثناء كل من فترة جمع البيانات وفترة تحليل البيانات . ونلاحظ أنه في بعض المشروعات البحثية يمضي جمع البيانات وتحليلها معا في نفس الوقت ، وذلك مع ما يتم إدخاله من حالات إضافية بهدف ضمها إلى التحليل عندما تبرز الموضوعات المتكررة أو الأفكار من داخل البيانات مثلاً (انظر بخاصة فصل 8 باب 4) . ومع ذلك فإن المعهود في معظم المشروعات البحثية المحدودة النطاق أن توجد فترات مخصصة لجمع البيانات يعقبها فترات لتحليل البيانات .

يمكن للبيانات الكيفية أن تتخذ أشكالا عديدة ، كما أنها بيانات غير مقننة نسبياً . ولكي نستوثق من أن تحليلنا موثوق به وشفاف (واضح) في نظر الآخرين ، فإننا نحتاج إلى طرق تحليلية تكون:

- منهجية وشاملة : إذ يتعين أن يتبع التحليل مجموعة من الإجراءات ، كما يتعين تطبيق نفس هذه الإجراءات على كل الحالات وكل البيانات .

- موثقة : عادة ما تكون البيانات المجموعة في حالتها الخام - أعني بذلك أنها تكون في الصورة التي قيلت بها أو كتبت بها ، كما يتوجب علينا أن نكون قادرين على الرجوع إلى هذه البيانات في حالتها الخام على امتداد عملية التحليل من أولها لآخرها .

- دينامية : لا يمكن تخطيط عملية التحليل بأكملها في بداية البحث ، لأن الأفكار والقضايا «تنبثق» كجزء من عملية المعالجة ، لذلك يتوجب أن تكون هذه الطرق في حد ذاتها دينامية ومرنة ، وتدخل في حساباتها حدوث بعض التغييرات .

- متاحة وميسورة الفهم: يتعين أن تكون التفسيرات التي يقدمها الباحث وطريقة استخدام هذه التفسيرات في تطوير التحليل متاحة للجميع أن يطلعوا عليها ، وقابلة لأن يفهموها .

في فصل 2 باب 4 ، بدأنا الحديث عن عمليات تنظيم ومعالجة البيانات الخام التي تكون في العادة مرتبطة بالطرق الكيفية في جمع البيانات ، وذلك عن طريق إنشاء فهرس لمساعدتنا في العثور على التفاصيل الصغيرة للبيانات المتعلقة بموضوعات معينة أو بموضوعات لها أهمية خاصة في نظرنا . وبعدها بدأنا في تحديد بعض الأكواد أو الفئات التي يمكن استخدامها لمساعدتنا في البحث عن قطاعات البيانات التي كنا نرغب في معالجتها ، كما أننا تناولنا المادة المتعلقة ببعض الموضوعات المختارة أو بعض

المجالات ذات الأهمية فعرضناها في جداول ورسوم بيانية . والآن تطور هذه العملية التي بدأنا هناك فنبحث مسألة معالجة الأفكار الأساسية أو الموضوعات الأساسية التي يمكن تمييزها داخل هذه البيانات .

ما تحليل الموضوعات ؟

تحليل الموضوعات (انظر قائمة المصطلحات) «هو عملية تفصيل وتصنيف وإعادة ربط مختلف عناصر البيانات قبل القيام بالتفسير النهائي لها» (جربيش 2007 ، Grbich ، ص16) .

إن معالجة البيانات الكيفية أمر يتعلق ، أساسا ، بتفسير ما ذكره مبحوثونا من عبارات ، وحكايات ، وأحكام ، وتفسيرات وفهمها فهما سليما . ونحن نبدأ هذه المعالجة بكل ما ذكره كل مستجيب من كلمات ونضعها جنباً إلى جنب كلمات المستجيبين الآخرين ، أو يتم ترتيب مضامين مجموعة من الوثائق بجانب بعضها لتمكنا من :

● وصف البيانات .

● الوصول إلى معنى البيانات عند الشخص الذي قدمها .

● استكشاف البيانات بحثاً عن المعاني .

● البحث عن العلاقات القائمة بين الأجزاء المختلفة من البيانات .

● التفسير (بصورة مؤقتة غير نهائية) للتشابهات والاختلافات والعلاقات الواضحة .

على امتداد العملية التحليلية ، من أولها لآخرها ، يتعين علينا التحقق التام من صحة تفسيراتنا وتصوراتنا في ضوء مقابلتها بكل دفعة من دفعات البيانات المتعاقبة .

تحليل الموضوعات عبارة عن عملية ، أى طريقة لمعالجة البيانات تقوم بعملها انطلاقاً من البيانات الخام – أى البيانات اللفظية أو البيانات المرئية التي جمعناها – وتستمر على اتصال مباشر بتلك البيانات الخام حتى النهاية . وهذه سمة هامة تتسم بها طرق معالجة البيانات الكيفية ، إذ إنه ، وبالرغم من أن هذه البيانات لا بد من تفسيرها ، وتلخيصها وتصنيفها ، لا بد لنا أن نكون «على اتصال مباشر» بالبيانات الخام أو قل : لا بد أن نكون «راسخين الأقدام» فيها لا نبارحها بحال . بهذا الشكل ، فإن تقنياتنا التحليلية لا بد أن تمكنا من الرجوع إلى البيانات الخام في بعض الأوقات على امتداد هذه العملية ، وذلك للتحقق التام من صحة تفسيراتنا ، وللنظر إلى هذه البيانات بطرق مختلفة ، والبدء في الربط بين الأجزاء المختلفة للبيانات الموجودة في داخل كل حالة (في هذه الفقرة سنستخدم لفظ "حالة" للدلالة على كل مجموعة بيانات ، مثل : كل مقابلة ، وكل جماعة مناقشة ، وكل وثيقة ، وكل حدث تمت ملاحظته) .

تتم معالجة البيانات وهى فى صورة «نتف» (مكتوبة عادة) من البيانات التى قد تكون كلمات مفردة، أو عبارات، أو جمل أو فقرات. ومع أن بالإمكان أن تقسم بياناتك إلى نتف قبل معالجتها، فإن ما هو أكثر شيوعا وفائدة أن تقسم البيانات حسب الحاجة إلى ذلك، وأن تنتفع بالفهرس وبأنظمة التكويد فى تحديد ما فى البيانات من نتف لها دلالتها أو معناها.

عملية التحليل

بينا لك فى الفصل 2 باب 4 كيف تنظم البيانات:

- 1 - عن طريق إنشاء فهرس - وهو أسلوب للعثور على البيانات عندما تحتاج إلى ذلك.
 - 2 - وعن طريق استحداث بعض الفئات الأولية أو الأكواد الأولية المرتبطة ببعض الموضوعات أو القضايا التى استطعت أن تحددها أثناء قيامك بعملية تذكير نفسك بالمعلومات والبيانات حتى تكون على دراية ووعى بها.
 - 3 - عن طريق وضع رسوم وجداول موجزة لتساعدك فى النظر إلى البيانات بطريقتين:
(أ) طريقة للنظر إلى مجموعة بيانات مأخوذة من حالة واحدة.
(ب) طريقة للنظر إلى كل فئة من فئاتك الأولية وتتبعها عبر حالاتك.
- عند هذا الحد ستكون على وعى ودراسة تامتين بالبيانات، وقد تتوصل إلى أفكار تتعلق بالموضوعات أو القضايا التى تأخذ فى الكشف والظهور.

ما الموضوعات الأولية؟

قبل أن تبدأ تحليلًا للموضوعات قد يكون لديك بعض الأفكار المتعلقة بنمط البيانات التى أنت بسبيلك إلى الاهتمام بها. سوف تنبثق هذه الأفكار من واقع أسئلة بحثك، واختيار عينتك، ومن نفس عملية جمع البيانات. والآن تبدأ فى معرفة أنواع الأمور التى يتكلم عنها الأفراد أو التى يكتبون عنها، ويتوافر لديك إحساس بالقضايا التى تعتبر مهمة ولو فى نظر بعض المستجيبين على الأقل، كما أنك تحتاج أن تستكشف هذه القضايا إلى مدى أبعد عن طريق طرح أسئلتك الاستكشافية عن بياناتك:

- ما الذى يقولونه عن ؟

- ما السبب الذى قد يجعلهم يقولون أن ؟

- ما الذى قد يعنون من قولهم ؟

الآن أصبحت تتحرك بالفعل داخل المرحلة التالية، كما أن من المهم خاصة أن تسجل تصوراتك وأفكارك الشخصية فى هذه المرحلة لأنك شرعت فعلا فى تفسير البيانات. والخام، وبدأت فى فهم روح البيانات، وفى طرح المزيد من الأسئلة عن هذه البيانات.

إن ما تقوم به من فهرسة أولية، وتكويد ووضع للبيانات في صورة رسوم وأشكال بيانية يجب أن يركز على الموضوعات التي بدأت الآن في تحديدها، كما أن الرسوم والأشكال البيانية تساعدك - بصفة خاصة - في التركيز على هذه الموضوعات بمعالجتها بمزيد من التفصيل، لأنك تستطيع أن تربط مجموعة البيانات المتعلقة بموضوع معين ببعضها البعض.

المثال رقم (4-1)

الموضوعات الأولية

ستعتمد هذه الفقرة على المثال المستخدم في فصل 2 باب 4 (إن لم تكن قرأت فصل 2 باب 4 منذ مدة قريبة، فإن الوقت الحالي سيكون مناسباً للرجوع لهذا الفصل قبل الاسترسال في قراءة هذا الفصل).

استعمل هذا المثال بيانات مستمدة من بحث خيالي يدرس مدركات الأفراد الحسية وتصوراتهم عن «الطعام الصحي» في المملكة المتحدة في القرن الواحد والعشرين. وقد تم إدراج البيانات المستمدة من المقابلات، وجماعات المناقشة، والوثائق في شكل بياني أولي لخص المصادر المختلفة للبيانات تحت موضوعات أولية هي: الوقت، والتكلفة، وتأثير الطفولة/العائلة، وتأثير وسائل الإعلام. (انظر الجدول رقم (4-2) في الفصل 2 من هذا الباب).

إن كنت وضعت شكلاً بيانياً موجزاً يشتمل على أجزاء ذات أهمية خاصة مستخرجة من كل حالة، فأنت الآن قد تحتاج إلى وضع أشكال بيانية أكثر تفصيلاً للموضوعات التي تنبثق من الشكل الموجز الأولي. مثال ذلك، وفي الشكل البياني الذي طورناه في فصل 2 باب 4، أثيرت قضية «الوقت» في معظم الحالات ولكنها أثيرت بطرق مختلفة من حيث صلتها بأفكار الأفراد عن الطعام الصحي، وعند هذه المرحلة يبدو أن موضوع «الوقت» يصبح جديراً بالمزيد من الإيضاح. من الممكن أن يقال إن «الوقت» واحد من الموضوعات الأولية الجوهرية في هذه المرحلة من التحليل. وقد يكون الأمر التالي الذي يتعين القيام به هو إعداد رسم بياني أكثر تفصيلاً يركز على «الوقت» - حيث يستعمل بعض الأفكار المستخلصة من تلك البيانات كعناوين لأعمدة هذا الشكل البياني. يبين المثال رقم (4-2) إحدى الطرق التي بها يمكن القيام بهذا العمل.

المثال رقم (4-2)

شكل بياني لموضوع «الوقت»

الجدول رقم (4-1): شكل بياني لموضوع «الوقت»

الإحساسات تجاه الوقت	الطعام الصحي والتسوق وقت طهو الطعام	أسباب أولويات اختيارات الوقت	
إننى أسلم بأن الوقت أمر مهم . وأحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت .	لا يوجد وقت كاف لإعداد أطعمة كاللحوم المشوية إلا فى نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الحلوى ...	حينما يكون كلا الزوجين يعملان خارج المنزل ، فإنه لا يتوافر لهما وقت كثير ليقوما ب ...	المقابلة رقم 1
هذا هو العامل المؤثر فى نظرى ، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل لا يتوافر لنا وقت كاف فى الواقع . إننى أشعر بالذنب رغم أنه ينبغى على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى .		هذا هو العامل المؤثر فى نظرى ، ففى حالة انشغالى أنا وزوجى خارج المنزل ...	المقابلة رقم 2
		فى الواقع أنا استمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية .	المقابلة رقم 3
		كان الوقت ثانى أهم العوامل المؤثرة على اختيار الطعام .	جماعة المناقشة رقم 1

جما عة المناقشة رقم 2	أنا أستمتع فعلا بطهو الطعام لذلك نقوم به بالتناوب أنا وزوجى .. وهو لا يشكل عبئا كبيرا، فهو لا يحدث كل يوم .	التجول فى الأسواق معناه قضاء نصف الإجازة نهاية الأسبوع فى التسوق .	إنه لا يشكل عبئا كبيرا، فهو لا يحدث كل يوم .
الوثيقة رقم 1		ليس من الضروري أن يحتاج إعداد وجبه مكونة من عناصر طازجة إلى وقت طويل .	

هذا جدول مقترح لمساعدتنا فى استكشاف بعض التعليقات التى طرحت وتناولها بمزيد من التفصيل . وبطبيعة الأمر ، سيكون من المحتمل وجود مزيد من البيانات ، وفى هذه الحالة سيكون من المستصوب أن نعود إلى بياناتنا الخام التى قد يكون لها حينئذ مكان مناسب توضع فيه داخل الفئات الجديدة للجدول . إن عودتنا إلى هذه البيانات مع تركيزنا على مفهوم «الوقت» ، وعلى الطريقة التى تم الحديث بها والكتابة عنها داخل كل حالة؛ نقول : إن عودتنا إلى هذه البيانات بهذه الصورة سيساعدنا فى النظر إلى هذه البيانات بطريقة معينة - كما لو كانت هذه النظرة من خلال عدسات ملونة - كما أن من الراجح أن يبرز المزيد من البيانات المتصلة بموضوع «الوقت» بمرور الوقت . وقد نجد أيضا أننا بحاجة إلى إضافة أعمدة إلى الجدول الذى وضعناه - أو ، وفى مقابل ذلك ، قد نقرر أن مفهوم «الوقت» ليس شديد الأهمية كما بدا لنا فى أول الأمر ، وأن هذا الجدول ربما يحتاج إلى إعادة تصميم .

قد توجد جداول أو أشكال بيانية أخرى يتعين تطويرها : فى هذا المثال ، ربما نبحث عن جدول أو شكل بياني يعبر عن كل موضوع من الموضوعات الأولية الأخرى ، وهى : تأثير وسائل الإعلام على اختيار الأفراد للطعام ، وتأثيرات مرحلة الطفولة والعائلة على الطعام ، وتكلفة الطعام .

تفسير البيانات

وأنت تشرع الآن في تفسير البيانات يكون مهما أن تسجل هذه العمليات التي تخوض خلالها أثناء تطويرك للفئات . وعلى نهج المثال المذكور في ريتشي ولويس (2003)، نقترح أن يتم ذلك على مراحل (لاحظ أننا، في المثال المذكور أدناه، أضفنا بيانات مستمدة من مقابلتين أخريين).

المرحلة رقم 1: أقرأ البيانات الخام ثم دون تفسيرك لها بصورة نهائية – أى : معنى ما يقال في هذا المقام بعبارات ذات طابع عام .

المرحلة رقم 2: ألق نظرة فاحصة إلى تفسيراتك بتتبعها عبر جميع الحالات .

المرحلة رقم 3: حدد الفئات التي تقع في المستوى التالي من مستويات التصور العقلي والتي تدرج ضمن تفسيراتك .

من الأمور اللافتة للنظر أننا، في فصل 4 باب 1، ألقينا نظرة فاحصة إلى موضوع وضع التعريفات والمفاهيم الإجرائية (ويعد «الوقت» أحد هذه المفاهيم) مما أدى إلى حصولنا على تعريفات إجرائية، يمكننا أن نستعملها ونقيسها أو نميزها عندما تكون ماثلة في بياناتنا . والآن نحن نعمل في الاتجاه المعاكس لأننا نبحث عما يعنيه مفهوم «الوقت» في نظر مبحثينا في ضوء الطريقة التي يتكلمون بها أو يكتبون بها عن الطعام الصحى . فكلما فهم تعطينا مجموعة من أمثلة الطريقة التي بها يتفاعل الوقت مع الطعام الصحى . كما أننا، ونظرا لاهتمامنا بكيفية فهم وإدراك الأفراد لخبرتهم هذه وكيفية تعبيرهم عنها، نحتاج لاستكشاف الطرق المختلفة لشعور الأفراد «بالوقت» من حيث صلته بالطعام الصحى . ولساعدتنا في القيام بهذا العمل، يتم تحديد عدد من الفئات المتعلقة بالطريقة التي بها يتفاعل الوقت والطعام الصحى .

فكر في هذا الموضوع . . .

قدمنا في المثال رقم (3-4) بعض التفسيرات لتلك البيانات، واقترحنا بعض الفئات التي سنحتاج إلى التعمق في استكشافها، فما رأيك فيها؟ هل ستكون تفسيراتك مختلفة؟ هل تستطيع أن تميز أى فئات أخرى سيكون من المهم استكشافها؟

المثال رقم (4-3)

تفسير وتحديد فئات الموضوعات

الجدول رقم (4-2): تفسير وتحديد فئات الموضوعات

الموضوع الأول:	الوقت	التفسير الأولي	فئات الموضوعات
المقابلة رقم 1	<p>«أعتقد أن الوقت عامل مهم . حينما يكون الزوجان كلاهما يعملان خارج المنزل ، فإنه لا يتوافر لهما وقت كاف ليعدا طعاما كاللحوم المشوية إلا في نهاية الأسبوع . كما لا يوجد وقت لإعداد الفطائر أو الحلوى ... إننى أحب أن يتوافر لى المزيد من الوقت لأندمج فى طهو الطعام فعلا - إذ توجد فى هذه الأيام أفكار كثيرة للغاية فى برامج التلفزيون - كل ما أتعناه أن يتوافر لى الوقت والطاقة لتجربة بعض الأطعمة الجديدة» .</p>	<ul style="list-style-type: none"> ● ينظر إلى طهو الطعام باعتباره مستنفدا للوقت . ● بعض أنواع الطهو تستغرق وقتا كبيرا . ● من المرغوب فيه توافر المزيد من الوقت . ● يمكن لطهو الطعام أن يكون استخداما ممتعا للوقت . 	<ul style="list-style-type: none"> ● طهو الطعام يستغرق وقتا . ● طهو الطعام يمكن أن يكون أمرا ممتعا .
المقابلة رقم 2	<p>«هذا هو العامل المؤثر فى نظرى ، ففى حالة اشتغالى أنا وزوجى خارج المنزل ، لا يتوافر لنا وقت كثير فى الواقع . إننى أشعر بالذنب ، بالرغم من أنه ينبغي على أن يكون لدى وقت لطهو الطعام لطفلى» .</p>	<ul style="list-style-type: none"> ● أدوار العمل تؤثر على الوقت المتاح . ● ولا واحد من الزوجين لديه وقت للقيام بأداء دور طهو الطعام . ● الشعور بالذنب فى حق الطفل . هل طهو الأم الطعام للطفل - معناه أنها أم صالحة؟ 	<ul style="list-style-type: none"> ● أدوار العمل/ الأسرة . ● طهو الطعام مرتبط بالوالدية «الصالحة» .

الموضوع الأول:	الوقت	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
المقابلة رقم 3	« فى الواقع أنا أستمتع بطهو الطعام - وأنا أرى أنه نوع من الهواية». ملحوظة: هل تتعلق هذه العبارة باستخدام الوقت؟	① طهو الطعام استخدام ممتع للوقت - يمكن أن يكون من أنشطة وقت الفراغ.	● يمكن أن يكون طهو الطعام ممتعاً/ نشاط لقضاء وقت الفراغ/ يتم تحضيره بغرض قضاء الوقت فيه.
المقابلة رقم 4	«أعتقد أن بإمكانى طهو طعام صحى بسرعة- فى مسألة أن تكون منظماً وأن تختار أطعمة بسيطة، وهذا أمر ليس شديد التعقيد».	● يمكن لطهو الطعام أن يكون سريعاً وبسيطاً. ● الطعام الصحى مسألة تتعلق بتنظيم الوقت	● الطعام الصحى مرتبط بالتنظيم وباختيار الأصناف المقدمة. ● الوقت يرتبط باختيار الطعام والأصناف المقدمة.
المقابلة رقم 5	«فى الواقع أنا لست مهتمة بطهو الطعام وما يشبهه من أمور - كل ما فى الأمر أنه ليس شيئاً أرغب فى قضاء الوقت فيه. أنا أعلم أنه ينبغى على طهو الطعام، ولكن كل ما فى الأمر أنتى لست هذا الشخص المناسب».	● ليست المسألة مسألة أولوية وقت. ● الشعور بالذنب، الضغط-ممن؟	● تمنيات بطهو الطعام - الشعور بالذنب؟ ● أولويات الوقت.

المصدر: بتصرف نقلاً عن: ريتشى ولويس (2003، ص 240) حقوق الطبع 2003 محفوظة لدار نشر سيدج. مصرح بالنشر.

فكر فى هذا الموضوع . . .

الاشتغال بالوثائق

أنت الآن تقوم ببحث الطرق التى يتبعها الأفراد فى العثور على أفراد آخرين يقيمون معهم علاقة تواصل فى المملكة المتحدة فى القرن الواحد والعشرين، ثم إن أحد مصادر بياناتك هو مجموعة من الإعلانات الشخصية المنشورة فى جريدة قومية. يمكن النظر إلى كل إعلان من هذه الإعلانات باعتباره وثيقة صغيرة، لذلك اسأل نفسك أولاً:

(أ) من كاتب هذا الإعلان؟
 (ب) ما الذى يحاول كاتب الإعلان قوله؟
 (ج) إلى من يتحدث كاتب الإعلان؟
 (د) لماذا كتب هذا الإعلان بهذه الطريقة؟
 (هـ) ما الذى يسعى الكاتب إلى تحقيقه؟
 ابدأ بعد ذلك بتناول الوثائق عن طريق التدوين السريع الموجز لتفسيراتك
 وللفئات الممكن استخلاصها.

جدول رقم (4-3) : البدء فى تفسير الموضوعات ووضع فئاتها . (الإعلانات الشخصية الواردة هنا منقولة بتصرف عن ركن «أشقاء الروح» SoulMates بجريدة الجارديان).

فئات الموضوعات	التفسير الأولي	الإعلانات الشخصية
		1- أنا صاحب مهنة محترمة، لأزال فى صحة جيدة، وأنا سليم جسمياً ونفسياً، كما أتنى وسيم على نحو فيه شيء من الجلالة. تشمل اهتماماتى: رياضة المشى، والموسيقى، وطهو الطعام.
		2- مدرسة جميلة تبحث عن رجل وسيم ذى بنية متينة لينقاسما حلوى الشيكولاتة.
		3- لا تتفاض عنى - أنا إنسان ودود، منبسط وعملى، أتمتع بقدر يسير من الرومانسية، أبحث عن شقيق للروح عمره ما بين 35 و 50 سنة.
		4- أنا مجنون بشكل طفيف وأبحث عن شخص ذى طبيعة خاصة ليشاركنى هذه الحياة المجنونة.
		5- أنا شخص عطوف، وحساس ولست مملاً، أبحث عن شخص يشاركنى تناول القهوة والطوى.
		6- أنا مليئة بالحيوية والنشاط، شقراء، ذات قلب شاب، أبحث عن فتى مخلص أنيق حاصل على شهادة GSOH، السن غير مهم.
		7- أنا فى حالة طيبة ولى قلب عطوف، أبحث عن علاقة ناضجة مع شخص تزيد سنه عن 40 سنة يشاركنى شغفى بالفنون الإبداعية.
		8- أنا عاطفية، شقراء، 40 سنة، أبحث عن فتى وسيم ممتاز لا يبحث عن الحب.

الإعلانات الشخصية	التفسير الأولى	فئات الموضوعات
9- أنا هادئ الطباع ، بل ورائع ، أود أن أنقسم الوقت ، وأتمنى أن أنقسم الوقت ، وأتمنى أن أنقسم ما هو أكثر من ذلك ، مع سيدة رائعة الجمال سنها دون الأربعين .		
10 - أنا محام ، سنى 35 سنة ، أبحث عن امرأة ذات جمال لا يقاوم ، واثقة بنفسها ، ذكية ، جديرة بالحب ، من أجل اقتسام الحب والوقت والترويح عن النفس .		

البحث عن العلاقات فى البيانات

الآن وقد استكشفنا معالم مفهوم "الوقت" من حيث صلته بالطعام الصحى قلعلنا سنحتاج إلى إلقاء نظرة فاحصة إلى الموضوعات الأولية الأخرى وإلى كيفية ارتباط كل واحد منها بالآخر . بهذا الشكل ، يمكن تنفيذ جداول وأشكال بيانية مشابهة ، وطرح تفسيرات وفئات مشابهة ذات صلة ، فى مثالنا هذا ، بتأثيرات الطفولة ، وبوسائل الإعلام ، وبالتكلفة .

قد يكون مفيداً أن تكتب تقريراً وصفياً عن بياناتك يركز على أساس هذا المستوى من التفسير الذى بلغته عند هذه المرحلة ، لأن هذا التقرير يمكن أن يزودك بأساس لنتائجك . ومهمة التقرير الوصفى أن يبرز ما توصلت إليه من نتائج حتى هذه اللحظة ، وهو :

- أن بعض الموضوعات الأولية قد تم تحديدها .

- ويتضح من واقع هذه البيانات أن لكل موضوع على حدة مجموعة طرق يرتبط وفقاً لها بالموضوع المحورى (وهو موضوع الطعام الصحى فى هذا المثال) .

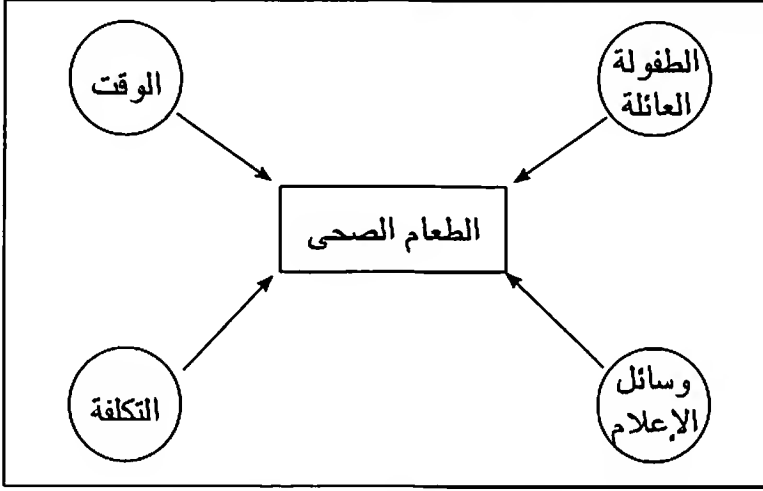
أنت الآن بحاجة للمضى فى تأمل الطرق التى بها تترابط الموضوعات الرئيسية مع بعضها ولاستكشاف أوجه التشابه والاختلاف الممكنة بين حالاتك .

ومن المفيد لكثير من الباحثين أن يفكروا فى العلاقات التى بين الموضوعات والفئات بأسلوب الجداول والأشكال البيانية ، كما توجد طرق متنوعة للقيام بهذا العمل . يتوافر لأغلب حزم برامج الكمبيوتر الخاصة بتحليل البيانات الكيفية طريقة ما لاستكشاف البيانات باستعمال الأشكال البيانية .

أبسط طريقة للبدء هو أن تصمم مخططاً أو ترسم خريطة تحدد فيها مواقع موضوعاتك بالنسبة لبعضها. من شأن هذا أن يبدأ في صورة شكل بسيط عن طريق ربط كل موضوع بالقضية المحورية للبحث.

المثال رقم (4-4)

خريطة أساسية للموضوعات الأولية



الشكل رقم (4-1): خريطة الموضوعات الأولية المرتبطة بالطعام الصحي

الآن يمكنك أن تضيف المزيد إلى الفئات الرئيسية أو إلى الموضوعات الفرعية التي تأخذ في الظهور، والمتصلة بكل موضوع من الموضوعات الأولية. في المثال رقم (4-5) الوارد أدناه يتم تكويد هذه الموضوعات الفرعية بألوان مختلفة تشير للموضوعات الأولية. من المحتمل أن تتولد هذه الفئات أو قل هذه الموضوعات الفرعية من واقع تفسيراتك وفئاتك الخاصة. وفي أثناء قيامك بتجميع هذه الموضوعات الفرعية حول كل موضوع أولى على حدة، فكر في مدى احتمال ارتباطها بالموضوعات الأولية الأخرى. حاول أن تقلبها على مختلف أوجهها لتساعدك في استكشاف شتى الاحتمالات. فإن ألقيت نظرة فاحصة على ما لديك من أشكال بيانية أو على قائمة بكل البيانات التي لديك عن كل فئة على حدة، فسوف تبدأ في رؤية روابط ممكنة - أو قل: أوجه اشتراك وتشابه.

تبدأ هذه العملية فى الظهور بشكل معقد تماما ، إلا أن الشكل يبدأ فى الكشف عن بعض الروابط اللافتة للنظر . مثال ذلك أنه لو ألقينا نظرة فاحصة على الفئات المحيطة بموضوع «الوقت» لأمكننا أن نرى أنها قد انتظمت بحيث تكون على مقربة من الفئات ذات الارتباط بموضوع (أ) الطفولة وتأثيرات العائلة و(ب) موضوع التكلفة . وهذا يوحى بأنه يوجد طريقتان مختلفتان فى الواقع يتم التحدث عن موضوع «الوقت» بهما . (أ) فى إحدى هاتين الطريقتين يُتخذ نقص «الوقت» كحيلة ، أو ذريعة ، ويُنظر إلى الطعام الصحى باعتباره مكلفا من حيث الوقت والمال كليهما . وقد تم تمييز هذه الفئات بحرف (أ) فى هذا الشكل البيانى بالتفصيل التالى :

● الوقت :التسوق بحثا عن الطعام الصحى يستهلك الوقت .

● التكلفة : شراء الطعام الصحى أمر مكلف .

ملاحظة سريعة : كلا هذين الموضوعين يرتبطان بتوفر الموارد .

(ب) الطريقة الأخرى للتحدث عن الوقت تكون من حيث ارتباطه بأدوار العمل وأدوار الأسرة ، ومن حيث توفير الوقت لطهو الطعام (للآخرين ، خاصة للأطفال ، كما هو فى بعض الحالات) . وقد تكون هذه الطريقة مرتبطة بالخبرات التى ترجع للطفولة ، والأفكار المتعلقة بالوالدية وتوقعات الأدوار . قد يوجد هنا فروق بين الجنسين (الذكور والإناث) . وفى مقابل ذلك ، قد توجد رابطة بين التوقعات المنتظرة من كون المستجيب «أبا صالحا» أو من كون المستجيبة «أما صالحة» من جهة ، وما تبثه وسائل الإعلام من رسائل تتعلق بالتأثيرات الضارة لبعض أنماط الطعام من جهة أخرى . وهذه الفئات التى يمكن الربط بينها قد رمزنا لها بحرف(ب) فى هذا الشكل البيانى .

وضع خريطة للموضوعات والفئات



- تأثيرات الطفولة والعائلة : الوالدية الصالحة/ توقعات أدوار النوع الاجتماعي . المقارنات «بالأم» .
- وسائل الإعلام : الأطعمة غير الصحية ضارة .
- الوقت : أدوار العمل/ الأسرة / النوع .

ملاحظة سريعة: قد ترتبط هذه الموضوعات الفرعية جميعها بموضوع يتعلق بالتوقعات المنتظرة من الأفراد (قد يكون هؤلاء الأفراد هم الوالدين بصفة خاصة، أو الأمهات تحديداً؟) وبالتوقعات المرتبطة بتوفير الطعام الصحي للآخرين، وبالشعور بالذنب المرتبط بعدم الوفاء بهذه التوقعات . يبدو أن هذا الموضوع يتسم بالأبعاد التالية : أدوار النوع ، أولويات الوقت ، الضغوط المنبعثة من داخل النفس (كالحساس الذاتي بتأثيرات الطفولة) والضغوط الآتية من خارج النفس (أى: من وسائل الإعلام) فيما يتصل بتوفير الطعام الصحي للآخرين .

باشتغالنا بهذا الشكل البياني بهذه الطريقة مع الرجوع المستمر للبيانات الخام لاختبار صحة التفسيرات ، فإننا نرى بصورة مؤقتة أن بإمكاننا الانتقال من هذه الموضوعات الأولية إلى موضوعات أربعة عامة ذات مستوى أعم وأعلى قد تساعدنا في تفسير كيف يحدد الأفراد اختياراتهم المتعلقة بتناول الطعام . هذه الموضوعات العامة الأربعة هي تلك التي بينا كل واحد منها في قطاع من قطاعات هذا الشكل البياني ، كما أنها ترتبط أساساً بالعلاقة القائمة بين اثنين أو ثلاثة من الموضوعات الأولية ، كما أنها مظلة باللون الغامق في هذا الشكل البياني:

وهذه الموضوعات الأربعة العامة هي :

الطعام الصحي والطهو مرتبطان ببعضهما .

الموارد المحدودة لكل من الوقت والمال .

الوفاء (أو عدم الوفاء) بالتوقعات الخاصة وتوقعات الآخرين .

تحديد الاختيارات في حالة الموارد المحدودة والمعلومات المتضاربة .

عند هذا الحد قد نشعر بأننا قمنا بقفزات كبيرة من البيانات إلى مجموعة من الأحكام . وهذا معناه أن الوقت حان للعودة لمراجعة البيانات حتى نعرف ما إذا كانت هذه الأحكام تستوعب - بصورة ملائمة - تلك البيانات التي سبق لك أن جمعتها أم لا ، وللنظر مرة ثانية من خلال عدسات هذه الأحكام .

المثال رقم (4-6)

المراجعة في ضوء البيانات الخام

بالنسبة لكل موضوع عام ، ضع قائمة بالموضوعات الفرعية أو فئات الموضوعات المرتبطة بذلك الموضوع العام . ثم:

فى داخل كل حالة على حدة

ابحث عن نماذج للفئات داخل المجموعة الكاملة للبيانات بالنسبة لهذه الحالة ، وانظر ما إذا كان هذا الموضوع العام متسقاً فى ضوء هذه الحالة .

● بالنسبة لبعض الحالات قد يكون لموضوع معين ارتباط طفيف بهذه الحالة أو ربما لا يرد لهذا الموضوع ذكر أصلاً . وهذا أمر لا بأس به ، فكل حالة ستكون مختلفة عن الحالات الأخرى .

● سوف يختلف الموضوع بالنسبة للحالات المختلفة . مثال ذلك ، أن بعض الأفراد قد يعطى الأولوية لطهو الطعام الصحى لأطفالهم - جزئياً - لأنهم لم يحصلوا على طعام صحى عندما كانوا أطفالاً ، وقد يشعر غيرهم بأنهم مذنبون نظراً لأنهم لا يعطون الأولوية لطهو الطعام ، وذلك بسبب أن أمهاتهم كن يطهين الطعام لهم ، ولهذا فهم ينتظرون توقعات لأفعال تصدر عنهم . إن هذه الاختلافات مثيرة للاهتمام كما أنها تعتبر نتائج رئيسية بالنسبة للبحث .

من واقع كل الحالات

ألق نظرة فاحصة على البيانات التى ترتبط بكل فئة فى جميع الحالات وتحقق مما إذا كان يوجد أى حالات لا "تناسب" مع هذا الموضوع العام ، وأمعن النظر فيما إذا كان هذا الموضوع العام يجب تعديله أم لا .

● من شأن ذلك أن يساعدك فى توضيح مجموعة البيانات المدرجة داخل كل موضوع .

● قد يساعدك ذلك على تمييز أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين الحالات .

لدينا الآن إطار نبحث فى داخله عن أوجه التشابه والاختلاف بين حالتنا . فبإمكانك مثلاً ، أن تلقى نظرة فاحصة إلى مدى اختلاف الرجال عن النساء من حيث الطريقة التى يتكلمون بها عن كل موضوع من تلك الموضوعات العامة . مثال ذلك :

● هل يميل الرجال إلى تأكيد أهمية جوانب مختلفة، أو هل لديهم تصورات مختلفة عن «الوقت»؟

● هل النساء اللاتي لديهن أطفال يزداد احتمال أن يتحدثن عن التوقعات المتعلقة بطهو الطعام والطعام الصحي أكثر من النساء اللاتي ليس لديهن أطفال؟

قد توجد تشابهات واختلافات أخرى تكون قد لاحظتها أو فكرت فيها أثناء اشتغالك بالبيانات، والآن حان الوقت لاستكشافها إلى مدى أبعد. بإمكان هذا الاستكشاف أن يفضي إلى تفسيرات (مؤقتة غير نهائية) للاختلافات أو للعلاقات الخاصة بين بعض الأمور.

لعلك تفكر أيضا في تطوير نوع من عمليات الترميز typology - والترميز في الواقع طريقة لتقسيم حالاتك إلى مجموعات مترابطة وفقا لمجموعة من الخصائص. وبالنسبة لتحليل الموضوعات تشير هذه الخصائص إلى موقعها من هذه الموضوعات. ومن طرق استكشاف الأنماط الممكنة في المثال المذكور أن تحدد موقع كل حالة من هذه الحالات ضمن الموضوعات العامة الأربعة، فتتظر أى هذه الحالات متشابهة ثم تتظر فيما إذا كان يوجد تشابهات أخرى بين هذه الحالات من عدمه. فإن تبينا - على وجه الإجمال - وجود تشابهات واختلافات بين المجموعات قائمة على أساس النوع والأطفال، فقد نتوصل إلى ترميز بسيط يرتبط بالجنس والأطفال على النحو التالي:

- رجال لديهم أطفال.
- رجال ليس لديهم أطفال.
- نساء لديهن أطفال.
- نساء ليس لديهن أطفال.

من جانب آخر، قد نجد أن بإمكاننا تطوير ترميز يعتمد على الموضوعات العامة الأربعة وفقا للأسس التالية:

- 1 - الطعام أمر مهم بصرف النظر عن الوقت والتكلفة؛ الاستمتاع بطهو الطعام؛ الصحة أعلى قدراً.
- 2 - اختيارات الأفراد للأطعمة لا بد أن تتم في إطار قيود ضابطة، إلا أنهم سيحاولون بذل جهدهم لطهو الوجبات الصحية نظراً للتوقعات المنتظر منهم القيام بها.
- 3 - المشاعر الناجمة عن الضغط والإحساس بالتقصير، أو العجز عن تحقيق الإنجاز المطلوب بشأن الطعام الصحي.
- 4 - لا اهتمام أو انشغال بأن يكون الطعام صحياً، فالوقت والتكلفة هما العاملان الحاسمان.

لا ريب أنك ملزم بالاختبار الشامل لأحد الترميمات حتى تعرف إن كان العمل به مجديا (بدرجة أو بأخرى) فيأتى بنتيجة مع كل حالة من حالاتك، إلا أن هذا الترميم يمكن أن يمثل ركيزة للمناقشة التى ستوردها فى تقرير بحثك أو رسالتك العلمية.

فكر فى هذا الموضوع

لنفترض أننا كنا نقوم بالبحث عما لدى الأفراد من مدركات حسية وتصورات تتعلق بالطعام الصحى، وكان هذا البحث ينفذ لصالح جهة حكومية ترغب فى الحث على تناول الطعام الصحى بين السكان فى المملكة المتحدة. يزودنا هذا المثال الخاص بتحليل الموضوعات ببعض المفاتيح المتعلقة بالأسباب التى تجعل الناس يقبلون، أو لا يقبلون، على تناول الطعام الصحى، كما قد تتوافر لنا بعض الأفكار المتعلقة بالطريقة التى بها يمكن تشجيعهم: بناء على هذا المثال، ما المشورة التى تود تقديمها لمسئول حكومى يفكر فى القيام بحملة إعلانية للحث على تناول الطعام الصحى؟

عرض تحليل الموضوعات

بعد أن تُطور تحليلا للموضوعات، يتعين عليك وقتها أن تعرضه لجمهورك بطريقة من شأنها أن تبين كيف تعاملت مع بياناتك، وما الذى انتهيت إليه من نتائج، وكيف ساعدك هذا التحليل فى الإجابة عن أسئلة بحثك. وقد سبق أن أشرنا فى هذا الفصل إلى أن من المفيد أن تكتب تقريراً عن التحليل الأولى للموضوعات لأن هذا سيكون بمثابة الجزء الأول من نتائجك. وفى ثنايا هذا التقرير يتعين عليك أن تبين، ربما عن طريق استعمال الأشكال البيانية (انظر قائمة المصطلحات) وبعض الاقتباسات الحرفية المختارة (أى: بعض الجمل والعبارات التى صدرت من المستجيبين، وبنفس حروفها وألفاظها، بدون تصرف) من واقع بياناتك، وكيف تم تطوير فئات موضوعاتك، وأخيراً كيف تعاملت مع هذه الفئات لتنتج موضوعات عامة، وربما لتقدم نوعاً ما من الترميم. ذلك أن قيامك ببيان كيفية معالجتك لهذه البيانات، وكيفية تفسيرك لها بصفة خاصة، يعد جزءاً جوهرياً من تقرير بحثك أو رسالتك العلمية لأنه يوفر نوعاً من التحقق من أن تحليلك موثوق به وأن تفسيراتك صحيحة يعتد بها. وقد تحتاج إلى أن تدرج بعضاً من هذه البيانات فى ملحق ترفقه بتقريرك أو رسالتك العلمية إن كانت اعتبارات الحيز تحول دون ذكرها تفصيلاً فى المتن. بعد عرضك لنتائجك وتحليلك، يكون من الملائم أن تتركز مناقشتك على الموضوعات العامة، وعلى أى عمليات ترميم، وعلى الطريقة التى تقوم بها هذه الموضوعات العامة والترميمات بالإجابة، بشكل ما، على أسئلة بحثك وإبداء الملاحظات بشأنها.

بحثك

إن كنت تعالج بياناتك مستخدماً تحليلاً للموضوعات ، فحاول اتباع نفس خطوات العملية التي استخدمناها في هذا المثال ، هي :

- 1 - نظم البيانات .
- 2 - حدد بعض الموضوعات الرئيسية الأولية .
- 3 - استكشف هذه الموضوعات مستخدماً للجداول والرسوم البيانية .
- 4 - دون تفسيراتك .

راجع باستخدام البيانات

- 5 - قارن هذه التفسيرات من واقع جميع الحالات .
- 6 - طور فئات الموضوعات التي يمكن وضع بياناتك فيها .

راجع باستخدام البيانات

- 7 - استخدم شكلاً بيانياً لمساعدتك في التصور الشامل للعلاقات الممكنة بين هذه الفئات .

راجع باستخدام البيانات

- 8 - اختبر هذه العلاقات من أولها لآخرها بالرجوع إلى البيانات والنظر إليها من خلال عدسات مختلفة .
- 9 - ابحث عن الموضوعات العامة التي تشتمل على العلاقات التي قمت بتحديددها .

راجع باستخدام البيانات

- 10 - عد إلى بياناتك مراراً لثري ما إذا كانت الموضوعات العامة شاملة أم لا .
- 11 - استخدم الموضوعات العامة في استكشاف البيانات و ابحث عن التفسيرات الممكنة للعلاقات .

راجع باستخدام البيانات

- 12 - ابحث عن التشابهات والاختلافات الموجودة بين الحالات ، و ابحث عن البيانات التي تساعد على تفسير هذه الاختلافات والتشابهات .
- 13 - هل بدأ يتبلور نوع من التنميط ؟
- 14 - عد إلى أسئلة بحثك - هل ساعدك هذا التحليل في الإجابة على أسئلتك ؟

بحثك

اختبار جودة البحث

فى هذه المرحلة من العملية البحثية ينبغي أن تكون مشغولا أساسا بصحة أو مصداقية تفسيراتك وبشفافية تحليلك .

- هل راجعت تفسيراتك باستعمال البيانات على امتداد عملية التحليل من أولها لآخرها؟
- أيمكنك أن تبين للآخرين كيف اتخذت قراراتك بشأن موضوعاتك وكيف قمت بتعريف تلك الموضوعات؟
- أيمكنك أن تبين كيف قررت أن تصنف «نتف» البيانات؟
- هل تعتبر نتائجك وتفسيراتك معقولة فى ضوء البحوث والنظريات التى تتناول هذا المجال؟ وهل هذه النتائج والتفسيرات ذات مصداقية؟

المراجع وقراءات للاستزادة

Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.

Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.

Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.

الفصل الخامس

تحليل السرد

محتويات الفصل

- النسخ (أي: النقل من وسيلة إلى أخرى).
- التحليل
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

قدمنا في الفصل 7 باب 3 وصفا للروايات الشفاهية باعتبارها حكايات تمت صياغتها اجتماعيا، وبيننا كيفية جمع هذا النوع من البيانات. والآن ننتقل إلى دراسة موضوع كيف يمكن تحليل هذه البيانات واستخدامها في البحث الاجتماعي.

تذكر أن ما نحاول تحليله هنا ليس بالضرورة وقائع قصة ما، بل الأصح النهج أو الطريقة التي رتب بها راوى القصة، أي (القاص/ أو الراوى) الأمور التي يريد الحديث عنها.

«القصة الشفاهية تصوير لسلسلة من الأحداث الماضية كما تبدو للراوى فى الوقت الحاضر، وذلك بعد أن تكون قد عُولجت، وحُللت، ورُكبت فى هيئة حكايات. لهذا يحظى مفهوم «التصوير» هذا بأهمية بالغة، فالروايات الشفاهية ليست سجلات للأحداث، إنها تصورات ورؤية لسلسلة من الأحداث». (فصل 7 باب 3).

ويمكن القول بصورة عامة أن عملية تحليل الرواية الشفاهية تنقسم إلى ثلاثة أقسام (انظر، على سبيل المثال، ريسمان، 1993، 2008) أو (ليبليش وآخرين، 1998). وهذه الأقسام هي:

1 - القص (أي: حكاية القصة) (فصل 7 باب 3).

2- النسخ/ التنظيم، أى تحويل القصة من كلام مسموع إلى كلام مكتوب (فصل 2 باب 3، وفصل 2 باب 4).

3 - التحليل (فهم البيانات واستخراج النتائج).

نقترض فى هذا الفصل أن الخطوة رقم (1) أعلاه قد استوفيت، ولذلك ننتقل إلى خطوة النسخ.

النسخ (أى : النقل من وسيلة إلى أخرى)

بعد أن تجمع بياناتك الشفاهية (والتي تكون فى شكل تسجيل صوتى عادة) فإن المرحلة الأولى للتحليل هى أن تنسخ (أى : تنقل) هذا الصوت إلى وثيقة معالجة كلمات . وهذه خطوة جوهرية لابد منها فى هذا التحليل (بالرغم من أن كثيرا من تقنيات التحليل الكيفى الأخرى تلجأ إلى عملية النسخ، فإنه ليس من اللازم دائما أن تقوم بهذا العمل). وغنى عن القول إن النسخ عملية مستهلكة جدا للوقت، إلا أنها مهمة لسببين رئيسيين (سبق أن تناولنا هذين السببين بمزيد من التفصيل فى فصل 2 باب 4) وهما:

1 - الوصول إلى معرفة بياناتك بشكل أوفى .

2 - إعداد القصة للتحليل: ومن الأمور الحيوية على وجه الخصوص أن تبقى القصة موجودة كشئ يمكن النظر إليه كوحدة متكاملة.

نود أن نؤكد على أهمية التفكير فى هاتين المسألتين معا؛ فمعرفة بياناتك ولطريقة تنظيمها وترتيبها أمر مهم لعملية تحليل الرواية الشفاهية. أما انتفاعك بشخص آخر غيرك لنسخ هذه البيانات فيعد (أ) أمرا مكلفا دائما، و (ب) قد يكون محفوقا بالمخاطر. ويلاحظ ريسمان فى هذا الصدد قائلا:

«فى المرحلة المبكرة من دراسة أجريناها عن موضوع الطلاق، عندما عادت زميلتى فى البحث لمراجعة دقة النصوص المنسوخة، اكتشفت وجود أصوات وكلمات موجودة فى شريط التسجيل لم تظهر فى النص المنسوخ على الآلة الكاتبة. وعندما سئلت عن ذلك الموظفة التى قامت بنسخ التسجيل الصوتى إلى نص مكتوب ردت على سؤالنا أنها نحت كل ما هو بعيد عن الموضوع جانبا، أى الكلام الذى «لم يكن ردا على سؤال من الباحث». ومع ذلك فإن تلك الأمور التى تبدو غير ذات صلة بالموضوع تمثل السياق الجوهري الذى لا غنى عنه للتفسير، كما أن هذه الأصوات والكلمات البعيدة عن موضوع السؤال كانت، وعلى نحو غير نادر، روايات شفاهية، أى إنها لب الموضوع». (ريسمان، 1993، ص 57).

عندما يتم نسخ الروايات الشفاهية، يكون من الممكن الانتقال إلى المرحلة التالية: وهى مرحلة التحليل.

التحليل

يمكن القول في الواقع أن التحليل قد يبدأ فعلا في مرحلة مبكرة للغاية من البحث ويستمر خلال مرحلة النسخ. إلا أنه يصبح الآن أكثر تنظيماً.

المرحلة الأولى لتحليل الرواية الشفاهية هي القراءة. وتتم القراءة من أجل الفهم التام للحكاية (وأنت بطبيعة الأمر قد قمت بقراءة هذه الحكاية عندما كنت تقوم بعملية النسخ. ومع ذلك، فإننا نعتقد أن قراءة مستقلة للنص بعد أن تم نسخه عمل مفيد). ولا ريب أنه يتعين عليك أن تقرأ سائر الحكايات التي جمعتها - وهذا يستغرق وقتاً كبيراً بطبيعة الحال. يوجد عدد من الأساليب التي يمكن استخدامها في تحليل الروايات الشفاهية (انظر ريسمان، 2008، على سبيل المثال)، ويعد بعضها مماثلاً للتقنيات المستخدمة في تحليل الأنماط الأخرى من البيانات الكيفية (الباب 4). وتفيدنا هنا - بصفة خاصة - تقنية «تحليل الموضوعات» التي يمكن أن تأتي بنتائج جيدة.

البحث الواقعي

تحليل بعض الروايات الشفاهية لقصص حياة مراهقين مضطربي السلوك

قام ساندerson وماكو (Sanderson and McKeough 2005) بدراسة لعشرين شاباً تقع أعمارهم بين 16 و 21 سنة ممن يعيشون في الشوارع بلا مأوى. كان قصد الباحثين أن يتعرفوا على قصص حياة المشاركين بحثاً عن دليل يثبت أن ما مروا به من خبرات سلبية قبل ذلك هي التي أدت إلى أوضاعهم الحالية.

كانت جلسات جمع البيانات السردية تدار بينما كانت القصص تسجل على شريط تسجيل صوتي في جلسات من النوع الذي يتبع فيه أسلوب تدخل الباحث باستعمال الأسئلة والتعليقات المحفزة. وقد تم تحليل البيانات باستعمال مزيج من تقنيات تحليل الموضوعات وتحليل المضمون (فصل 7 باب 4).

انتهى هذا البحث إلى نتيجة مفادها أنه توجد مؤشرات قوية على أن المعاملة السلبية السابقة هي التي أدت إلى المشكلات السلوكية التي يعاني منها المبحوثون وإلى معيشتهم في الشارع. كما انتهى الباحثان إلى أن البحث السردى كان طريقة فعالة - بصفة خاصة - في الوصول إلى مجتمع البحث هذا، وكذلك في الحصول على بيانات مفيدة للبحث.

من تقنيات التحليل الخاصة التى تمكنك من الوقوف على الطريقة التى يتم وفقاً لها صياغة الرواية الشفاهية تقنية التحليل البنائى للرواية الشفاهية . وهى فحص لطريقة صياغة الرواية الشفاهية من أجل تحقيق مقاصد الراوى . ويمكن القول إن أكثر أسباب حكاية القصص شيوعاً هى (انظر فصل 7 باب 3):

- إقناع الآخرين .
- تبرير السلوك الماضى أو القرارات الماضية .
- التسويغ التبريرى (وليس الحقيقى أو المنطقى) .
- تقديم تفسيرات أو تصورات معينة للأحداث .
- انطلاق رواة الحكايات الشفاهية فى سبلهم الخاصة الموصلة لغاياتهم الخاصة .
- إثارة الشفقة أو الاهتمام .

فى التحليل البنائى للرواية الشفاهية ، تقرأ القصة فى أثناء البحث عن الطرق التى بها حاولت الراوية أن تعرض قضيتها . من الممكن القيام بذلك بأساليب كثيرة ، إلا أنك قد تبحث عن أمثلة يستخدم فيها الراوى أموراً مثيرة للشفقة أو حججاً ذات منطق قوى ليضمك إلى جانبه بأسلوب عقلى . ويستحق هذا الأمر أن تعاود تفقد قائمة «أساليب الحكايات» (المذكورة أدناه) والمثال الذى قدمناه فى فصل 7 باب 3 ، وذلك لأنهما يعطيان بعض المؤشرات الدالة على أصناف الأمور التى يتعين عليك البحث عنها عند استخدام التحليل البنائى .

المثال رقم (5 - 1)

أساليب الحكايات

- أسلوب التأريخ .
- أسلوب الأجندة الصريحة .
- أسلوب الأجندة المستترة .
- أسلوب السعى إلى إضفاء الشرعية .
- أسلوب السعى إلى الحصول على موافقة الباحث .
- أسلوب البحث عن المعلومات .
- أسلوب الإفصاح عن المعلومات .
- أسلوب الانتقاد .

كما هو واضح فى الأمثلة الواردة فى "البحث الواقعى" أدناه، يكون من الملائم أن يعتمد تحليل السرد على مجموعة من التقنيات والطرق الخاصة بمعالجة البيانات. بجانب ذلك يقوم الباحث بالنظر الفاحص إلى الرواية الشفاهية وهى تحكى، كما يقوم بترصد الإشارات التى توحى بها الطريقة التى تجرى وفقا لها صياغة المادة السردية وقت روايتها، كما يترصد السبب الذى جعل هذه الرواية تصاغ بهذه الطريقة. لهذا يكون من الملائم عند عرض النتائج ومناقشتها أن ينصب الاهتمام على: كيف آل أمر كل رواية شفاهية على حدة إلى أن تصاغ بهذه الطريقة، وكيف يتجلى ذلك فى القصة نفسها من خلال الأسلوب الذى تستخدم به مفاهيم التحليل الموضوعاتى ولغة التحليل الموضوعاتى فيما يقدمه الباحث من توصيفات وتفسيرات.

البحث الواقعى

تحليل رواية شفاهية لاستعمال الوالدين الدواء التكميلى أو البديل فى علاج الأطفال المصابين بمتلازمة داون (أى:المونغولييين).

قام بروسينج Prussing وآخرون (2005) بعقد جلسات لجمع بيانات سردية (من الروايات الشفاهية) مع 30 عائلة لديها أطفال مصابون بمتلازمة داون، ملقنين نظرة فاحصة إلى مسألة استخدام هذه العائلات للعلاج التكميلى والبديل (المسمى CAM سى. إيه. إم).

ما الذى قام به الباحثون؟

تناول هذا المشروع الطريقة التى صاغ بها الوالدان هوياتهم كوالدين «صالحين» طوال الرواية الشفاهية. تراوحت مدة جلسات جمع بيانات الروايات الشفاهية من 45 دقيقة إلى 3 ساعات (بمتوسط 90 دقيقة) وأجريت باستعمال طريقة تدخل الباحث (فصل 7 باب 3) فى جمع البيانات السردية. وقد تم نسخ هذه الروايات الشفاهية وحلت باستخدام طريقة تحليل الموضوعات.

وجد الباحثون أن الوالدين «كانوا يستخدمون استراتيجيات السرد التى من خلالها صاغوا تعريفاتهم الخاصة (لمتلازمة داون) كما أكدوا التفرد الشخصى الجوهري لأطفالهم ولأنفسهم» (بروسينج وآخرون، 2005، ص 590).

فى نفس الوقت، تحصل الباحثون على بيانات مفيدة عن استعمال المشاركين للعلاج المسمى CAM (سى إيه إم)، وعن الطرق التى أوصلتهم للإيمان بأن هذا العلاج قد ساعدهم فى حياتهم.

ومن الأمور المثيرة للاهتمام، أن الباحثين وجدوا أيضا أن المشاركين حكوا قصصهم بطرق اشتملت على معظم أساليب الحكايات (فصل 7 باب 3) الشائعة فى الروايات الشفاهية.

•المراجع وقراءات للاستزادة•

- Grbich, C. (2007) *Qualitative Data Analysis: An Introduction*, London: Sage.
- Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.
- Ritchie, J. and Lewis, J. (2003) *Qualitative Research Practice: A Guide for Social Science Students and Researchers*, London: Sage.
- Clandinin, D. J. and Connelly, E. M. (2000) *Narrative Inquiry*, San Francisco: Jossey-Bass.
- Czarniawska, B. (2004) *Narratives in Social Science Research*, London: Sage.
- Elliot, J. (2005) *Using Narrative in Social Research: Qualitative and Quantitative Approaches*, London: Sage.
- Josselson, R. and Lieblich, A. (1999) *Making Meaning of Narratives in the Narrative Study of Lives*, London: Sage.
- Lieblich, A., Tuval-Mashiach, R. and Zilber, T. (1998) *Narrative Research: Reading, Analysis and Interpretation*, London: Sage.
- Prussing, E., Sobó, E. I., Walker, E., and Kurtin, P. S. (2005) Between 'desperation' and disability rights: a narrative analysis of complementary/alternative medicine use by parents for children with Down syndrome. *Social Science & Medicine*, 60: 587-98.
- Riessman, C. K. (1993) *Narrative Analysis*, London: Sage.
- Riessman, C. K. (2008) *Narrative Methods for the Human Sciences*, London: Sage.
- Sanderson, A. and McKeough, A. (2005) A narrative analysis of behaviourally troubled adolescents' life stories. *Narrative Inquiry*, 15(1): 127-60.

الفصل السادس

تحليل الخطاب

محتويات الفصل

- ما الخطاب؟
- الخلفية النظرية.
- ما تحليل الخطاب؟
- استخدامات تحليل الخطاب.
- المراجع وقرارات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل موضوع تحليل الخطاب ، وهو تقنية تركز نظريا على أساس النزعة التصورية الاجتماعية (فصل 2 باب 1) . ويناقش الفصل تلك النظرية الأساسية وطبيعة «الخطاب» ، كما يصف بالتفصيل التقنيات المستخدمة في تنفيذ هذا النوع من التحليل .
ونقترح عليك أن تبدأ بقراءة فصل 2 باب 4.

ما الخطاب؟

تعد محاولة تعريف الخطاب (انظر قائمة المصطلحات) أمر إشكالياً لأن هذا المصطلح مثير للجدل ومختلف عليه ، وقابل لتعريفات وتفسيرات واستعمالات كثيرة مختلفة . يستخدم علماء اللغة هذا المصطلح للإشارة إلى وحدة الحديث التي تزيد عن جملة واحدة . إلى جانب ذلك ، ينظر كثير من النقاد إلى الأدب باعتباره خطابا . وبالمثل ، فإن بالإمكان أيضا أن يعد الحوار بين فردين أو أكثر خطابا ، كما أن هذا المصطلح تستعمله جماعات عدة بدءا من العلماء الاجتماعيين ووصولاً إلى وسائل الإعلام ، وقد تحول

بسبب ذلك إلى مصطلح يجمع بين المزيد من الغموض والمزيد من الانتشار . ويقول ميلز عن هذا المصطلح :

«أصبح عملة شائعة التداول في تشكيله متنوعة من التخصصات العملية مثل : النظرية النقدية ، علم الاجتماع ، اللغويات ، الفلسفة ، علم النفس الاجتماعى وكثير من المجالات الأخرى ، وقد بلغ من الرواج حدا بات معه يستخدم ، فى كثير من الأحيان ، من غير أن يعرّف ، كما لو كان استعماله معرفة مشتركة لدى كافة» . (ميلز ، 1997 ، ص 1).

وهناك مفكرون آخرون يستخدمون هذه الكلمة بشكل مختلف : فالبعض يشترطون أن يكون الخطاب طويلا ، والبعض يشترطون أن يكون حوارا ذا اتجاهين (جينة وذهابا بين فردين على الأقل) وهو المعنى الذى يقترب بشكل ملحوظ من الجذر اللاتينى للمصطلح ، وهو كلمة discursus ، والذى يمكن ترجمته «بالحركة من وإلى»؛ كما يستعمله فوكو كطريقة لمناقشة المناطق المتداخلة بين التخصصات التى لا يمكن أن يناقش فيها من المفاهيم إلا القليل .

وقد سلطنا مسارا أكثر بساطة . ورعاية لأهداف هذا الفصل يتم تعريف الخطاب بأنه «نص» ، سواء أكان منظوقا أو مكتوبا .

الخلفية النظرية

يستخدم تحليل الخطاب أساسا فى البحث الكيفى ، وهو يركز نظريا على أساس النزعة التصورية الاجتماعية . والنزعة التصورية الاجتماعية نظرية معقدة ، كما أننا ، ورغم أن الحيز المتاح لهذه الفقرة لا يسمح بمناقشة هذا المصطلح بالتفصيل ، فإننا نريد أن نبرز المسلمات الأساسية فيه :

● الحقيقة تصور اجتماعى : إن المنحى العلمى القائل بأن بالإمكان دراسة العالم دراسة كمية وأن الأشياء التى يمكن قياسها هى وحدها الأشياء «الحقيقية»؛ هذا المنحى مرفوض لأن اللغة والوجود الاجتماعى هما اللذان يشكلان المقولات العقلية التى بها يمكن إنجاز مثل هذا التحليل . لذلك يكون إحساسنا بالحقيقة ، بدوره ، إحساسا من صنع المجتمع الذى نعيش فيه .

● لا يمكن للأفراد أبدا أن يكونوا موضوعين تماما : مهما بذلنا من الجهد فى المحاولة ، فنحن من صنع مجتمعنا ، ونحن نحمل معنا «أمتعتنا الاجتماعية» فى صورة المعايير والمسلمات . وهذا معناه ، حتما ، أن الباحثين لا يبدؤون بحثهم من نقطة الصفر ، بل إن لديهم مجموعة من المعتقدات ، والقيم ، والتوقعات التى تؤثر على أى بحث يقومون به .

ما تحليل الخطاب؟

لا يوجد تعريف واضح وحيد لتحليل الخطاب . وأيا ما كان الأمر ، فإن جميع تحليلات الخطاب قائمة على «النصوص» ، بالرغم من أن هذا اللفظ نفسه مختلف عليه . ونحن ننوئ أن نستعمله بمعنى «الكلمات المنطوقة أو المكتوبة ، والموجودة فى أى وسيلة اتصال» . وهذا يعنى أننا نرى أن بالإمكان تطبيق تحليل الخطاب على المحاورات ، والخطابات ، ورسائل البريد الإلكتروني ، وبرامج التلفزيون ، والوثائق ، والسجلات وعلى كثير من الأشياء الأخرى . ونحن نرى أنه ينبغى استعماله كمصطلح شامل بقدر الإمكان .

كثيرا ما يستخدم تحليل الخطاب عند دراسة الموضوعات اللغوية وفى علم اللغة ، كما أنه شائع فى علوم اجتماعية كثيرة ، بما فيها علم الاجتماع وعلم السياسة .

عند تحليل خطاب أو تقرير ، قد يكون الباحث معنيا بفحص نمط اللغة الجارى استعماله ، وأنواع الأفكار التى يركز عليها النص وكيفية تجلى تلك الأفكار فى هذه اللغة . وقد استعمل بعض الباحثين تحليل الخطاب فى دراسة الطريقة التى بها تتطور الأفكار وتتغير عبر الزمن أو بين البيئات الثقافية المختلفة - ويتعبير آخر ، كيف يتم تشكيل الأفكار اجتماعيا من خلال الطريقة التى بها يتصور الأفراد العالم الاجتماعى المحيط بهم ، وبها يتحدثون عنه ويشعرون به .

فكر فى هذا الموضوع . . .

بعض أنواع الخطاب عن «الخضر»

إن قدر لك أن تقرأ التقارير الصحفية عن المنظمات البيئية (والتي منها ، مثلا ، منظمة «أصدقاء الأرض») فى سبعينيات القرن العشرين ، فمن الراجح أن تجد فيها أوصافا لمن يؤيدون هذه المنظمات بأنهم غرباء الأطوار نوعا ما ، وأنهم من الأقليات «التي تدافع عن الطبيعة لتحميها» ، كما ستجد أن الأفكار المتعلقة بالاحتباس الحرارى والتغير المناخى ، محل سخرية واستخفاف ، فى كثير من الحالات .

هل أصبح مثل هذا «الخطاب» مختلفا فى وقتنا هذا؟ وكيف تغير هذا الخطاب؟

يُجمل جى Gee وصف طبيعة تحليل الخطاب عندما يقول:

«خلاصة الموضوع أن تحليل الخطاب يعد طريقة للاشتغال برسالة إنسانية مهمة . تتمثل هذه الرسالة فى التفكير بمزيد من العمق فى المعانى التى نضيفها على ما ينطق الناس به من كلمات من أجل أن نجعل أنفسنا أفرادا أفضل وأكثر إنسانية ، ولنجعل العالم مكانا أفضل وأكثر إنسانية (جى ، 2005) .

من الواضح إذا أن تحليل الخطاب طريقة قائمة على اللغة أو طريقة لغوية للتحليل الكيفي.

استخدامات تحليل الخطاب

توجد اتجاهات عديدة ذات طبيعة متخصصة في تحليل الخطاب. ونحن لا ننوي مناقشتها بالتفصيل هنا، بيد أنه توجد موضوعات في فقرة «المراجع وقراءات للاستزادة» من شأنها أن تمد من يرغبون في معرفة هذه الاتجاهات بمعلومات فيها مزيد من التفصيل. وتتضمن هذه الاتجاهات المتخصصة ما يلي:

● التحليل النقدي للخطاب^(*).

● دراسات الخطاب الاجتماعية المعرفية.

● تحليل الخطاب السياسي.

● الدراسة السيكلوجية للخطاب.

● تحليل المحاورات.

من الطرق الأخرى لتصور هذا الموضوع أن تمعن التفكير في أنواع الخطاب التي يمكن تحليلها باستعمال طريقة تحليل الخطاب. وتشتمل هذه الأنواع على ما يلي:

● أشكال الخطاب التي تجرى في مواقع اجتماعية معينة، مثال ذلك، أنماط الخطاب المستخدمة في تنبؤات الطقس أو في التدريس بالمدارس.

● المحاورات غير الرسمية بين الأفراد، سواء أتمت بصورة مباشرة وجها لوجه أم عبر نظام اتصال إلكتروني.

● المحاورات/الاتصالات الرسمية، كالمناقشة بين الطبيب والمريض مثلاً.

● النصوص الدائمة وشبه الدائمة، كالرسائل البريدية أو الصحف.

● دراسة «شكل» الخطاب، وهو ما أسماه فوكو «تكوينات الخطاب» discursive formations (هول، 1997).

ونعتقد أن بالإمكان استخدام تحليل الخطاب على مستويين متميزين بالنسبة للباحث الطالب. يتعلق المستوى الأول من هذين المستويين بالطلبة الذين يستخدم تخصصهم الأكاديمي تحليل الخطاب بصورة روتينية بطرق ذات صلة بتخصصهم (كالتحليل

(*) CDA= Critical Discourse Analysis.

الغوى (مثلا) بوصفه واحدا من الطرق الرئيسية التى بها يجمع البيانات ويعالجها . وهذا مستوى تخصصى تماما ، كما أنه يقع خارج نطاق هذا الكتاب . وأيا ما كان الأمر ، فإننا نقدم قائمة بأسماء عدد من الكتب المفيدة التى يمكنها أن تضيف إلى الدرس التفصيلى الذى يتيح لك معهدك العلمى .

يتضح المستوى الثانى لتحليل الخطاب حينما يريد الطلبة الذين يدرسون تخصصات أخرى أن يستخدموا تحليل الخطاب ليساعدهم فى الإجابة على بعض الأسئلة البحثية بالذات وفى الاشتغال بالوثائق بصفة خاصة . فإن كنت تفكر فى تناول بعض أنماط الخطاب المكتوبة أو المنطوقة ، فإن استعمالك لتحليل الخطاب سوف ينطوى بلا شك على بعض المزايا المحتملة ، وكذلك على بعض العيوب ، وهو ما يفرض عليك أن تكون على وعى بها .

ويصلح تحليل الخطاب للتطبيق على معظم موضوعات البحث وعلى معظم الظروف البحثية ، كما أنه يمكن أن يزودك بمنظور جديد تستطيع أن تستخدمه عند تحليل البيانات . من ذلك - على وجه الخصوص - إمكانية الكشف عن المعانى «الخفية» فى النص من خلال طرح أسئلة مختلفة عن النص . ويعتمد تحليل الخطاب على التقنيات الألسنية وعلى غيرها من الأساليب والطرق القائمة على أساس اللغة . وهذا معناه أن تحليل الخطاب لا يقتصر على كونه ذا تخصص لغوى أو ذا تخصص نصى ، بل يضم إلى ذلك كونه ذا تخصص ثقافى أيضا . مثال ذلك ، أنه لا توجد ، فى العادة جدوى واضحة من محاولة القيام بتحليل خطاب لنص مترجم ، لأن التغييرات التى تقرضها عملية الترجمة (وكذلك التغييرات التى يقوم بها المترجم نفسه) سوف يستعصى علينا معرفتها أو فهمها . بالإضافة إلى ذلك ، فإن تحليل نص ترجمة باحث من خلفية ثقافية مختلفة سيكون مشكوكا فى مصداقيته . ومع ذلك ، فإن كنت تدرس ظاهرة اجتماعية داخل سياق لغوى وثقافى معين وكنت مهتما بطريقة صياغة الأفكار المتعلقة بها صياغة اجتماعية من قبل الأفراد الذين يكتبون عنها ويتحدثون بشأنها ، حينئذ يستطيع تحليل الخطاب أن يمكنك من استخدام بياناتك فى دراسة هذه الظاهرة .

فكر فى هذا الموضوع . . .

اقرأ المقالة الافتتاحية فى أى صحيفة (إن أردت أن تكون ممتازا وتقوم بتحليل مقارن ، فاختر صحيفتين لهما خلفيتان سياسيتان متعارضتان - كصحيفة الصن Sun وصحيفة الجارديان مثلا) .

عالج المقالة الافتتاحية باعتبارها نصا ، وحاول أن تفهم وتحلل استعمال اللغة داخلها . اسأل نفسك :

1 - ما نوع اللغة المستعملة (مثلاً، هل هي لغة انفعالية، أم عقلية، أم لطيفة التعبير، إلى آخره)؟ فكر في سبب استعمال هذا النوع من اللغة.

2 - ما الذى تستهدفه كلمات هذه المقالة؟ فكر في طريقة توصيل هذا النص.

3 - ما متوسط أعمار قراء هاتين الصحيفتين اللتين اخترتهما؟ (استخدم واحدة من المعادلتين المذكورتين أدناه لحساب هذا العمر).

معادلتا حساب العمر القرائي:

$$(أ) \text{ معادلة التنبؤ: العمر القرائي } = 25 - \frac{ن}{10}$$

حيث (ن) تساوى عدد الكلمات ذات المقطع الصوتى الواحد فى فقرة مكونة من 150 كلمة.

$$(ب) \text{ مؤشر التشوش : العمر القرائي } = \frac{2}{5} \left(\frac{100}{ن} + \frac{1}{ل} \right)$$

حيث أ = عدد الكلمات فى الفقرة .

ن = عدد الجمل فى الفقرة .

ل = عدد الكلمات المكونة من مقطعين صوتيين أو أكثر (تجاوز النهايتين «ed» و «ing»)

هل للإجابة عن السؤال رقم 3 أهمية فى تحليل الخطاب؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Gee, J. P. (2005) *An Introduction to Discourse Analysis*, London: Routledge.
Hall, S. (1997) The work of representation, in S. Hall (ed.) *Representations: Cultural Representations and Signifying Practices*, London: Sage.
Jorgenses, M. W. (2002) *Discourse Analysis as Theory and Method*, London: Sage.
Macgilchrist, F. (2008) *Discourse analysis*, available at www.discourse-analysis.de/
Mills, S. (1997) *Discourse*, London: Routledge.
Titscher, S. (2000) *Methods of Text and Discourse Analysis*, London: Sage.
Wetherell, M. (2001) *Discourse as Data: A Guide for Analysts*, London: Sage.
Wetherell, M., Taylor, S. and Yates, S. J. (eds) (2001) *Discourse Theory and Practice: A Reader*, London: Sage.
Woofit, R. (2005) *Conversation Analysis and Discourse Analysis: A Comparative and Critical Introduction*, London: Sage.

الفصل السابع

تحليل المضمون

محتويات الفصل

- ما تحليل المضمون؟
- كيف يستخدم تحليل المضمون؟
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

تحليل المضمون تقنية تستخدم في تحليل النصوص (ولو أن النصوص تسمى -عادة- «رسائل» في هذه التقنية). لتحليل المضمون أوجه تشابه مع تحليل الخطاب، إلا أنه يميل لأن يكون أكثر دقة في التطبيق. من الناحية التاريخية، استخدم تحليل المضمون، غالبا، في الدراسات الأدبية والإعلامية، إلا أنه أداة مرنة يمكن استخدامها في كثير من فروع العلم الاجتماعي.

ما تحليل المضمون؟

تحليل المضمون: تقنية تطبق في العادة، وليس حصريا، على البيانات «النصية» (أو الرسائل): إلا أن بالإمكان أيضا استخدامها مع بعض الأشكال الأخرى للبيانات، مثل تحليل الصور ذات الأشكال البيانية (ستملر 2001، Stemler). ويتفق معظم المحللين على أن هذا التحليل لا يمكن استخدامه إلا مع البيانات الثابتة، أعنى بها البيانات التي لا تكون قصيرة الأمد. ويعد تحليل المضمون - في جوهره - تقنية للتعرف على الفئات التي تشتمل عليها البيانات ولتركيزها في فئات أقل عددا حتى يكون من الأسهل فهمها. وبتعبير آخر، يبحث تحليل المضمون عن وجود الكلمات (أو العبارات أو المفاهيم) في نص ما ويحاول فهم معانيها وعلاقاتها ببعضها البعض. وهكذا يمكنك أن تتصور تحليل

المضمون باعتباره طريقة لاكتشاف الأنماط المتكررة في البيانات ، والتي تعزز فهمنا للظواهر الأساسية التي يتناولها النص . في مبدأ الأمر ، عادة ما كان ينظر إلى تحليل المضمون باعتبار أنه يبحث عن معدل تكرار ورود كلمات معينة في النص - ومن شأن هذه الكلمات المختارة أن تعتمد على التعريفات الإجرائية وأسئلة البحث ، بطبيعة الأمر (فصل 4 باب 1) . ويرتكز هذا الاهتمام بمعدل تكرار استخدام كلمات معينة على أساس الفكرة التي تذهب إلى أن الكلمات أو العبارات التي تستخدم أكثر من غيرها يكون من الراجح أنها أهم الكلمات أيضا . لا يزال إحصاء عدد الكلمات أمرا مهما ولكن ، نظرا لأن الأزمنة تغيرت ، ونظرا لأن القدرة على إحصاء عدد مرات ورود الكلمات في نص ما باستعمال الكومبيوتر قد أصبحت أكثر شيوعاً ، فقد اتسعت هذه التقنية لتدخل في اعتبارها تحليل المعاني والدوافع بمزيد من التفصيل كذلك .

ما تحليل المضمون؟

1 - «أى تقنية للقيام بالاستنتاجات عن طريق التحديد الموضوعي والمنهجي لبعض السمات الخاصة للرسائل» (هولستي 14 ، 1969 ، Holsti) .

2 - «التحليل المنهجي ، الموضوعي ، الكمي لخصائص الرسالة (نويندورف 1 ، 2005 ، Neuendorf) .

يمكن النظر إلى ما في تحليل المضمون من جزء خاص بإحصاء عدد بعض الكلمات باعتباره طريقة كمية ، إلا أن هذه العملية يكن أن تتناول ما هو أكثر من إحصاءات أعداد الكلمات ، كما أن كثيرين (انظر ستملر ، 2001 ، مثلا) يرون أن قوة هذه العملية ترجع إلى عمليات التصنيف والتكويد الدقيقة للبيانات بغرض التحليل (فصل 2 باب 4) . يصف فيبر (1990 ، 37) الفئات باعتبارها «مجموعة من الكلمات التي لها معنى متشابه أو دلالات ضمنية متشابهة» . ويلاحظ أنه يتعين أن تكون هذه الكلمات سهلة التمييز وأن ترتبط بمفهوم واحد فقط . ومن المهم التأكيد على أن إنشاء أكواد وفئات دقيقة المقياس ودقيقة التعريف يؤثر على عملية التحليل بنفس الطريقة التي تؤثر بها التعريفات الإجرائية (فصل 4 باب 1) على الصدق والثبات المنهجي عند جمع البيانات . فالغموض سيكون كارثة على البحث . (سبق لنا مناقشة موضوع التكويد في موضع سابق من هذا الكتاب: انظر مثلا فصل 2 باب 4 ، وفصل 4 باب 4) .

يكون تحليل المضمون مفيداً بصفة خاصة في تحديد الاتجاهات العامة والتغيرات التي تحدث بمرور الزمن ، خاصة في الأدب (فصل 2 باب 2) ، كما يكون مفيداً أيضا في بحث موضوعات كالتغيرات في الرأي العام (خاصة الطريقة التي يتم بها التعبير عن هذه التغيرات في وسائل الإعلام) .

كيف يستخدم تحليل المضمون ؟

يمكن استعمال تحليل المضمون لتحليل أى نص . وبسبب هذه المرونة ، يستعمل فى كثير من فروع العلوم الاجتماعية . ومع ذلك ، فإن موطنه ، من الناحية التاريخية على الأقل ، كان فى الدراسات الإعلامية وما يرتبط بها من مجالات .

إن تفصيل تحليل المضمون أعقد من أن يكون بالإمكان الخوض فيه هنا . إن كنت تخطط لاستعمال هذه التقنية ، فإننا نوصيك بكتاب نويندورف (2005) باعتباره كتاباً شاملاً موجهاً للطالب الجامعى .

فكر فى هذا الموضوع . . .

فى المؤتمرات السياسية الحزبية ، يقوم الصحفيون أحياناً بتحليل خطبة زعيم الحزب فى ضوء عدد المرات التى تستعمل فيها كلمة أو عبارة معينة - مثل كلمة «جديد» أو كلمة «فرص» أو كلمة «مسئوليتى» - والتى تستخدم أكبر عدد من المرات .

ما رأيك فيما يمكنك أن تتعلمه من تحليل لطرق استخدام كلمة معينة أو عبارة معينة فى هذا السياق ؟

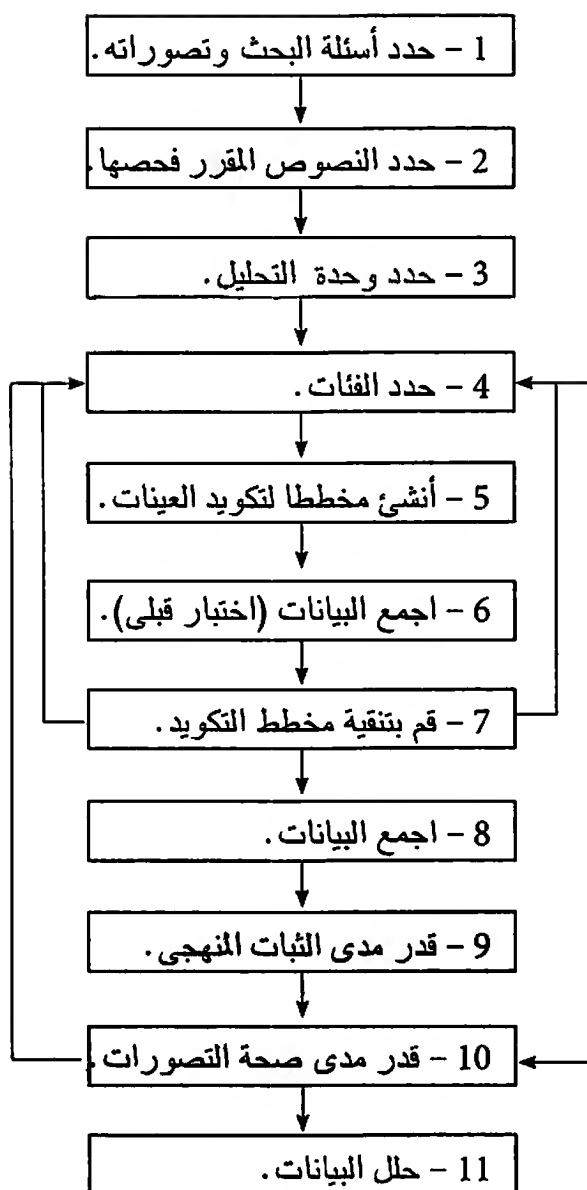
البحث الواقعى

تحليل المضمون فى أبحاث القيادة

كتب إينش Insch وآخرون (1997) مقالاً يناقش استخدام تحليل المضمون عند القيام بالبحث عن القيادة (يحتوى المقال على تعريفات مفيدة واقتراحات منهجية كذلك) . من الأمور اللافتة للنظر إلى حد ما ، أن هذا المشروع يستخدم تحليل المضمون فى دراسة تحليل المضمون .

وجد أصحاب هذا المقال أنه يوجد عدد من الدراسات البحثية السابقة التى استخدمت تحليل المضمون فى دراسة موضوع القيادة فى البحث ، كما أنهم قاموا بتحليل مضمون لهذه الدراسات . ورغم أن نتائجهم تعد غير قاطعة إلى حد ما ، فإن العملية التى طوروها لتوجيه أنفسهم - والباحثين فى المستقبل - خلال مثل هذا التحليل تعتبر مفيدة جداً ، حتى وإن كانت لا تصل إلى ما نتوقعه .

ونحن نعيد تقديم «أسلوبهم المقترح» (إينش وآخرون ، 1997 ، 8) فيما يلى :



الشكل رقم (7-1) : استخدام تحليل المضمون

المصدر: بتصرف نقلاً عن إينش جي إس، مورجيه، أى. وميرفى إل. دى. (1997): تحليل المضمون في القيادة: أمثلة، إجراءات، واقتراحات للاستخدام في المستقبل، مجلة القيادة، 8 (1) 25-1. النشر بتصريح من شركة Elsevier المحدودة.

يمكن لتحليل المضمون أن يكون تقنية فعالة تبلغ مدى أبعد مما يبلغه الإحصاء البسيط لعدد الكلمات . ولو طبق بصورة ملائمة ، فإن تقنياته الشكلية يمكن أن تكون دقيقة وقوية .

بحثك

مزايا تحليل المضمون

- يعد طريقة مرنة بشكل معقول بحيث يمكن تطبيقها على معظم أشكال البيانات ، وخاصة البيانات غير المقتنة (فصل 3 باب 1) . وهو مفيد في تحليل البيانات الإعلامية على وجه الخصوص .
- إذا نفذ مشروع تحليل المضمون بطريقة سليمة ، وتم تكويده بصورة جيدة ، وصممت فئاته تصميمًا جيدًا ، فلا بد حينئذ أن يكون من السهل تكراره .
- نظرًا لأن من الممكن استخدام تحليل المضمون بتطبيقه على أى بيانات ، فمن السهولة تطبيقه على مجموعة من الوثائق (كالمجلات ، مثلاً) ، كما أنه ، لهذا السبب ، يستطيع توفير مقياس ما للتغير الاجتماعي على امتداد الزمن (التحليل الطولي «التتبعي») (هولستى ، 1999) .

عيوب تحليل المضمون

- ينظر البعض إلى تحليل المضمون - وبسبب اعتماده الجزئى على التقنيات الآلية ، كتقنية عد الكلمات - ينظرون إليه باعتبار أنه يميل نحو نموذج فكرى وضعى (فصل 2 باب 1) ومن ثم لا يعتبر مناسباً للبحث الكيفى على الدوام .
- بإمكان الاختيار غير السليم للفئات أو الأكواد أن يقلل من درجة الصدق والثبات المنهجى .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Berelson, B. (1952) *Content Analysis in Communication Research*, Glencoe, IL: Free Press.
- Holsti, O. R. (1969) *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities*, Harlow: Addison-Wesley.
- Insch, G. S., Moore, J. E. and Murphy, L. D. (1997) Content analysis in leadership: examples, procedures, and suggestions for future use, *Leadership Quarterly*, 8(1): 1-25.
- Krippendorff, K. (1980) *Content Analysis: An Introduction to its Methodology*, London: Sage.
- Neuendorf, K. A. (2005) *The Content Analysis Guidebook*, London: Sage.
- Stemler, S. (2001) An overview of content analysis, *Practical Research, Assessment & Evaluation*, <http://PAREonline.net/getvn.asp?v=7&n=17> (accessed August 2009).
- Weber, R. P. (1990) *Basic Content Analysis*, 2nd edn, London: Sage.

الفصل الثامن

النظرية الموثقة

محتويات الفصل

- كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟
- تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة.
- التصنيف والكتابة.
- الملخص.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

من وجوه كثيرة ، تعد النظرية الموثقة « مجرد طريقة أخرى » من طرق جمع البيانات والتحليل ، على نحو ما بينا في فصل 3 باب 2. ومع ذلك ، فإن لها من الشهرة الفائقة - خاصة في الولايات المتحدة - ما جعلنا نقرر أنها تستحق فصلا يخصصها وحدها .

ونحن نوصيك بأن تنظر إلى هذا الفصل بمقدار ما من الشك نظراً لأن لدينا بعض مظاهر القلق الشديد من هذه الطريقة ككل . وأياً ما كان الأمر ، فإننا مقتنعون بأن هذه العمليات المحددة - المتضمنة في إجراءات هذه النظرية - يمكن أن تفيد في أشكال كثيرة من البحث ، حتى وإن كانت لا يمكن أن تقود إلى توليد نظريات .

أشرنا في فصل 3 باب 2 إلى أن الادعاء « الكبير » الذي تذهب إليه النظرية الموثقة هو أن البحث الاجتماعي لا نظري a theoretical ، وأن النظرية تتبثق (أو « تُبنى ») من داخل البيانات أثناء تنفيذ العملية . كما أوضحنا أن هذا الإدعاء ليس محل قبول من جانب كل الباحثين . لذلك ، ورغم أن النظرية الموثقة تبدو عملية بسيطة في ظاهرها ، فإننا نريد أن نذكرك بأنها ليست بنفس الوضوح الذي تبدو عليه في أول الأمر ، كما أن من الشائع لهذه العملية أن يتم تغييرها بحيث يتم استبعاد عنصر « بناء النظرية » منها .

(انظر فصل 3 باب 2).

ويلاحظ لاروسا (2005، ص 41) فى هذا الصدد أنه :

«الملاحظ عمليا، أن كثير من الباحثين قد عمدوا إلى تبنى شكل محور من التحليل القائم على النظرية الموثقة معتمدين على الطرق التى تقدمها، ولكن بدون بناء نظرية موثقة بمعنى الكلمة».

وهذه هى خبرتنا أيضا: فنحن نجد أن هذه «العمليات» مفيدة لأنها مقننة، إلا أننا نعانى صعوبات تتعلق بالقدر الأعظم من الأسس النظرية التى تقوم عليها. ويلخص دى (1999، ص 23) كثيرا من هذه المشكلات عندما يقول :

«هنا أمر يدعو إلى السخرية- وربما يكون نوعا من المفارقة- : وهو أن منهجية بحث قائمة على أساس «التفسير» يتضح فى النهاية أنه من العسير تفسيرها».

ويبدو لنا (ولكثير من الباحثين) أن أهم انتقاد موجه إلى النظرية الموثقة هو الزعم ضمنيا أن بالإمكان إجراء البحث بدون أساس نظرى (انظر فصل 2 باب 1). ونحن لا نتصور أن هذا ممكن بأى طريقة معقولة.

عادة ما تركز الانتقادات الأخرى الموجهة للنظرية الموثقة على وصفها «بالنظرية»، وذلك على أساس أن ما تقدمه هذه النظرية ليس «نظرية». ونحن نرى، صراحة، أن هذا الانتقاد عسير الفهم للدرجة التى يتعذر علينا متابعتها هنا. فإن كنت ترغب فى الاطلاع على مناقشة حديثة لهذا الانتقاد ولغيره من الانتقادات، فإننا نقترح أن تطلع على مقال توماس وجيمس، الذى نشر سنة 2006، بعنوان: «إعادة اختراع النظرية الموثقة: بعض الأسئلة عن النظرية، والأساس المنطقى، والاكتشاف».

كما يتساءل النقاد عن طبيعة «الأساس المنطقى» وطبيعة التوثيق فى البحث، ولهم كذلك تحفظات على مدى صلة هذه المفاهيم بالبحث وعلى أهميتها أيضا. ويذهب النقاد عموما إلى أن عملية النظرية الموثقة تحاكي تقاليد البحث التجريبية فى العلوم الطبيعية لدرجة زائدة عن الحد، ولهذا السبب تكون غير مناسبة للاستخدام فى البحث الاجتماعى.

كانت النقطة الأخيرة فى شرحنا السابق للنظرية الموثقة هى القول بأن كثيرا من الباحثين يستخدمون هذه الطريقة بدون الموافقة على ما فيها من جانب يتعلق بتوليد النظرية. ويرجع سبب هذا جزئيا، على الأقل، إلى أن كثيرا من الباحثين لا يشعرون أن ما فى هذه الطريقة من توثيق، (أيا ما كان معنى هذه الكلمة) يعد ميزة ذات شأن.

كيف تختلف النظرية الموثقة عن غيرها من طرق التحليل؟

لا يوجد اتفاق حقيقى بشأن الفلسفة التى تركز عليها النظرية الموثقة، فالبعض يقولون إنها تفصل النظرية عن البيانات، بينما يرى غيرهم إنها تجمع بينهما. ولا شك من الناحية العملية، أن جمع البيانات وتوليد النظرية والتحليل أمور تتم كلها بشكل متزامن. (وبطبيعة الأمر، يميل معظم الباحثين الاجتماعيين إلى القول بأن جمع البيانات والتحليل كثيرا ما يكونان متلازمين، إلا أنهما ليس بهذا الوضوح دائما) (انظر فصل 3 باب 2 للاطلاع على مناقشة للسلمات الرئيسية لهذه العملية).

تنفيذ التحليل باستعمال النظرية الموثقة

يمكن جمع البيانات بغرض تحليلها باستعمال النظرية الموثقة بعدة طرق مختلفة. ويمكن القول على وجه العموم أن هذه التقنية تستعمل مع البيانات الكيفية فقط، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب حقيقى يمنع الاستفادة بها فى البحوث التى تستخدم الطرق المختلطة. وفى حدود معرفتنا لا يستخدم الباحثون الكميون هذه الطريقة.

يبدأ البحث القائم على النظرية الموثقة حينما تكون موجودا فى موقع البحث. وبوصفك الباحث يكون دورك هو محاولة فهم العمليات التى يجرى حدوثها والطرق التى يتصرف بها الفاعلون المختلفون أثناء ذلك. وأكثر الطرق التى يشيع فيها استخدام النظرية الموثقة هى: المقابلات والملاحظة، وذلك بالرغم من عدم وجود سبب يمنع الاستفادة بها مع طرق البحث الكيفية الأخرى. بعد نهاية كل جلسة جمع بيانات (وأيا ما كانت الطريقة المستخدمة)، تسجل «النتائج» (وهذه النتائج قد تكون بيانات، أو قضايا أساسية، إلى آخره) وتستخدم فوراً كجزء من عملية المقارنة المستمرة (انظر قائمة المصطلحات) التى تعتبر - إلى جانب التأكيد (انظر قائمة المصطلحات) وتسجيل الملاحظات (أى: استخدام المذكرات السريعة الموجزة - انظر قائمة المصطلحات)؛ تعتبر عناصر محورية فى عملية التحليل. وسوف نقوم فى بادئ الأمر بعقد المقارنة بين البيانات المأخوذة من مصادر مختلفة (والتي قد تضم، بطبيعة الأمر، الدراسات السابقة والنتائج الإمبريقية كذلك). والادعاء هنا أنه مع استمرار هذه العملية سوف تظهر النظرية بحيث يصبح من الممكن حينئذ مقارنة البيانات والنظرية. وهذا الزعم محل اعتراض وخلاف، ولكن لا شك أن العمليات المستخدمة عمليات مفيدة، كما أن المقارنة المستمرة، مثلا، تكون فى كثير من الأحيان طريقة ناجحة جداً لتحديد الموضوعات الأساسية والفئات المختلفة. ويذهب بعض مؤيدى هذه العملية إلى أنه ينبغي أن تسجل المقارنات التى يتم إجراؤها مع البيانات، وأن تستخدم كأكواد (انظر أدناه). فى

نفس الوقت ، يسعى الباحثون للتعرف على الحالات السلبية (أى الحالات التى تبدو أنها تتعارض مع النظرية الآخذة فى الظهور أو تقوم بتفنيدها) (انظر قائمة المصطلحات). فى حالة العثور على مثل هذه الحالات فإن ذلك سيعد مؤشرا يدل على ضرورة القيام بمزيد من البحث (الذى سيعدل ، بدوره ، النظرية الآخذة فى الظهور) ، ويدل على أن البحث لم يصل بعد إلى مرحلة تشيع البيانات (انظر قائمة المصطلحات).

يقع التأكيد وكتابة المذكرات السريعة الموجزة فى صميم التحليل القائم على النظرية الموثقة . وهناك كتب كثيرة تتناول هذه العملية بالتفصيل ، ولهذا لا ننوى الخوض فيها هنا . ولكننا سنعمد - بدلا من ذلك - إلى تسليط الضوء على السمات الأكثر أهمية ودلالة ، لكى يستطيع القراء أن يتابعوها بمزيد من التفاصيل - فيما بعد - إن كانوا فى حاجة لذلك . ونحن نرى - على وجه الخصوص - أن هاتين العمليتين مفيدتان جدا لأنواع كثيرة من التحليل الكيفى ، وأنه لا ينبغى بالضرورة أن ينظر إليهما باعتبارهما تخصصان النظرية الموثقة وحدها .

المذكرات الميدانية

تحت الدراسات القائمة على النظرية الموثقة الباحثين على تدوين المذكرات الميدانية أثناء إجراء البحث . وتستعمل هذه المذكرات فيما بعد لتوفير السياق للتحليل (انظر برواز «البحث الواقعى» أدناه).

التكويد (أو الترميز)

التكويد عملية تستخدم فى الكثير من أنماط التحليل المختلفة ، بيد أنها تستخدم بصورة أكثر شيوعا فى البحوث الكيفية . وبالرغم من أن التكويد متعدد الاستعمالات جدا ، فإن فكرة التكويد ، فى جوهرها ، هى وضع علامة على جزء من البيانات يكون «لافتا للنظر» لكى يمكن العثور عليه مرة ثانية لإجراء المزيد من الدراسة عليه . فكر بهذه المناسبة فى استخدام علامة للفت النظر (كالأسهم ونحوها) لتؤكد أهمية نص ما لكى : (أ) تبرز أهميته و(ب) أن تعثر عليه مرة ثانية عندما تحتاج لذلك . يمكن استخدام التكويد بعدة أساليب مختلفة ، مثال ذلك ، أنك قد ترغب فى ملاحظة جميع مرات حدوث واقعة أو ظاهرة معينة ، أو قد تريد تسليط الضوء على شىء ما لمقارنته بشىء آخر . فى النظرية الموثقة تعد من الأغراض الرئيسية للتكويد : العثور على «الفئة الأساسية» (تستعمل النظرية الموثقة كلمة «الفئات» وكلمة «الموضوعات الأساسية» بصورة متبادلة ، فيأتى أحدهما محل الآخر ويدل عليه .

توجد ثلاثة أنماط من التكويد فى النظرية الموثقة . فهناك التكويد المفتوح ، والتكويد المحورى ، والتكويد الانتقائى .

● التأكيد المفتوح (انظر قائمة المصطلحات): هو المرحلة الأولى من التأكيد، وهو قائم — حسبما يرى جلاسر Glaser وشتراوس (1967) — على مبدأ «إظهار ما بداخل البيانات» كخطوة أولى في تمييز الموضوعات والفئات. والواقع أن هذا التأكيد يتعلق بتحديد ووصف الظواهر محل البحث، وبإعطائها أسماء مناسبة. فإن كان هذا مفيداً لك، يمكنك أن تتصور هذه الأسماء بوصفها لافتات (أو بطاقات تمييز) تكون في العادة في صورة أسماء (وهي الأشياء التي يجري وصفها) أو أفعال (وهي العمليات التي يجري وصفها). ومع ذلك فسيكون من الأهمية أيضاً أن تحدد خصائص هذه الأكواد المبدئية التي سيتم وصفها باستعمال الكلمات الدالة على الصفات والكلمات الدالة على الأحوال والظروف، وذلك بقصد أن نعرف حجم الأمور التي نقوم باكتشافها، وشكلها، ومدة بقائها، ومعدل تكرارها وأهميتها إلى آخره. وعادة ما تكون الأكواد المفتوحة ذات طابع عام. وعلى الرغم من أنها تعد في كثير من الأحيان أوصافاً مادية محددة للوقائع، فإنه من المهم (بالنسبة للنظرية الموثقة على الأقل) أن يكون لديك أكواد مجردة أيضاً لأن هذه الأكواد هي التي تنتج النظرية بصورة أفضل.

● التأكيد المحوري (انظر قائمة المصطلحات): هو المرحلة الثانية من عملية التأكيد وهو يتعلق بربط الأكواد ببعضها البعض. وهو أمر لا يمكن القيام به إلا عن طريق التفكير، ويكون أفضل تنفيذ له، في أغلب الأحيان، عن طريق الجمع بين التفكير الاستنتاجي والتفكير الاستقرائي. ويرى بعض الباحثين أن من الأسهل إنشاء مصفوفة لمقارنة مختلف العناصر والسمات.

● التأكيد الانتقائي (انظر قائمة المصطلحات): هو الجزء الأخير من نظام التأكيد، وهو عملية اختيار «فئة مركزية» أو قل «فئة أساسية»، ثم ربط كل ما عداها من الأكواد والموضوعات والفئات الأخرى بها. وتوجد في النظرية الموثقة مسلمة تقول بوجود فئة مركزية دائماً.

ومع استمرار العمل في البحث، يتزايد حجم العينة بسبب ما يسميه جلاسر وشتراوس «الاختيار النظري للعينة» (انظر قائمة المصطلحات) (إلا أنه شبيه بالمعينة العمدية) (انظر قائمة المصطلحات). لا يقتصر غرض هذه المعينة النظرية على زيادة حجم العينة، بل يهدف كذلك إلى زيادة ما فيها من تنوع واختلاف حتى يمكن اكتشاف خصائص أخرى ومختلفة مستقبلاً. وحينما يصبح من المتعذر الحصول على بيانات جديدة عن الفئات التي حددتها (وخاصة البيانات المتصلة بالفئة المركزية لبحثك) يُقال حينئذ أننا قد وصلنا إلى حالة تشبع بالبيانات. في هذه اللحظة تتوقف عن إضافة المزيد من البيانات عن هذه الفئة وتنتقل إلى القيام بالتصنيف. وأياً ما كان الأمر، وقبل أن نتطرق إلى هذا الموضوع، فإن ثمة عملية أخرى ينبغي أن نكون قائمين بتنفيذها في نفس وقت قيامنا بعملية التأكيد، ألا وهي عملية «تدوين المذكرات السريعة الموجزة».

المذكرات السريعة الموجزة

غالباً ما يتم إغفال فكرة كتابة الملاحظات السريعة الموجزة للبحث ، حتى بالرغم من أنها طريقة رائعة لتسجيل المشاعر ، والأفكار والروابط المحتملة ، إلى آخر هذه الأمور التي نلتقي بها مصادفة عند القيام بالبحث . والفكرة الأساسية هنا هي أن تسجل ملاحظاتك (أو أياً ما تريد تسميتها) بطريقة تربطها بالبيانات . وليس من الضروري أن يكون هذا الربط ربطاً حسياً (رغم أنه قد يكون كذلك) ، فإنه مع الاستخدام الواسع الانتشار للحاسب يكون من اليسير تماماً ربط الملفات المختلفة أو استخدام نوع ما من المؤشرات لإظهار أن ملحوظة ما تعد ذات دلالة بالنسبة لمسألة معينة . يقول جلاسر (1998) إن تدوين الملاحظات السريعة النظرية (انظر قائمة المصطلحات) هي المرحلة الجوهرية في النظرية الموثقة (حتى هذه اللحظة لا بد أن تكون قد لاحظت أن مخترعى هذه العملية يرون أن كل جزء من أجزائها يعتبر في الأعم الأغلب جوهرياً بشكل ما) ، ويلاحظ في هذا الصدد قائلاً:

«الملاحظات السريعة الموجزة هي التدوين التنظيري للأفكار المتعلقة بالأكواد الأساسية وبالعلاقات المكونة تكويداً نظرياً ، وذلك عندما تظهر هذه الأكواد والعلاقات أثناء تكويد ، وجمع وتحليل البيانات ، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة» .

يقول مؤيدو النظرية الموثقة إن كتابة الملاحظات السريعة الموجزة يعد أمراً له أهمية خاصة في المراحل الأولى من المشروع البحثي عندما يكون الباحث بصدد صياغة المفاهيم وتحديد الأحداث والوقائع التي ستكون أساساً للبحث .

يمكن للملاحظات السريعة الموجزة أن تظهر في أي قالب ، إلا أن وظائفها الرئيسية في حالة استخدام النظرية الموثقة تتمثل في:

- تشارك في عملية المقارنة المستمرة المشار إليها قبل ذلك .
- تتيح لك أن تسجل الأفكار (والأفكار «النظرية» على وجه الخصوص) التي تتراءى لك وأنت تشارك في هذه العملية .

حتى هذه المرحلة كانت عمليتنا المختلفة التي نقوم فيها بجمع البيانات وتكويدها وكتابة الملاحظات السريعة الموجزة تتم بشكل مترامن ، كما أنها ، وباستعمال المعاينة النظرية ، تكون قد أفضت إلى ما نرجوه لها من تشبع البيانات (انظر أعلاه) . والآن يمكننا مواصلة العمل بالانتقال إلى عمليتي التصنيف والكتابة .

البحث الواقعي

الملاحظات الميدانية والمذكرات الموجزة في النظرية الموثقة

يُناقش مونتنجورى وبيللى (2007) استخدام الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجزة في دراسة قائمة على النظرية الموثقة تتناول الأمهات المصابات بمرض عقلى حاد. وقد انتهى الباحثان إلى أن هذه العملية ذات أهمية حيوية لطريقة النظرية الموثقة، وإلى أنها أيضا ذات قيمة أساسية في الدراسات المشابهة التي تستخدم طرقا كيفية أخرى. ميز الباحثان، بصفة خاصة، بين طبيعة وغرض الملاحظات الميدانية من جهة، والملاحظات السريعة الموجزة من جهة أخرى، مشيرين إلى أن الأولى عبارة عن تسجيلات للخبرات الفعلية للباحث، وأن الثانية معنية بتطور النظرية الموثقة.

قدم الباحثان عددا من الأمثلة عن الاختلافات بين الملاحظات الميدانية والملاحظات السريعة الموجزة، ونحن ننقل فيما يلى وجهين من أوجه الاختلاف حتى تكون قادرا فيما بعد على فهم هذه الاختلافات فهما متكاملتا.

الملاحظات الميدانية

فى ردها على ما قدمته من توضيح بجهودها فى «حماية» أطفالها، تقاطعنى بروك Brooke برد فيه إصرار قائلة: «لارىب فى ذلك». ثم تبكى وتنظر فى شرود. وتضيف بصوت ذى نبرة منخفضة قائلة إن أطفالها أسوياء، ثم تحدد معنى قولها هذا قائلة: «إنهم أسوياء إلى الحد الذى يمكن أن تكون عليه الحالة السوية فى هذه اللحظة». المرض «يسبب كارثة». يحدث شىء من التوقف. أشعر بالقلق يساورنا كلينا. تقوم بروك بعد ذلك بتغيير مجرى الحوار باستخدام ألفاظ تصف بها أطفالها مثل أنهم «محبون للمرح»، و«حسنو التربية للغاية»، و«متوازنون بصورة جيدة».

الملاحظات السريعة الموجزة

يبدو على إحدى الأمهات (وهى بروك) أمارات الحذر حين ينتابها الخوف من أن يكون مرضها قد أذى أطفالها عن غير قصد منها. (هذه ملاحظة ميدانية كتبت فى شهر يناير، فى السطور رقم 140-143 من النص المنسوخ). قد يظهر هذا الحذر حمايتها «لنفسها كأم» (سطور رقم 254-258 من النص المنسوخ). إن جهود الأم «لحماية» صغارها تتكشف حقيقتها فى حالة المرض. (سطور 15-17 من النص المنسوخ). فى نظر بروك والأخريات من المشاركات السابقات، يجب ألا يتسبب

مرضهن في الإضرار بصغارهن. تبدى الأمهات انفعالات الحزن والشعور بالذنب لأنهن عاجزات عن حماية أطفالهن من المرض. وهن يسعين للحصول على التوجيه فيما يتصل بكيفية حماية صغارهن عندما يكون مرضهن شديدا. وهن يعرفن عددا قليلا من النماذج الإيجابية للأدوار (سطر 69).

التصنيف والكتابة

عملية التصنيف واضحة تماما: فالأمور التي اكتشفناها، بجانب المذكرات السريعة الموجزة والملاحظات الميدانية يتم تصنيفها في تتابعات منطقية تجعل النظرية البازغة جلية واضحة. وتمثل الطريقة التي بها يتم تصنيف تلك المكونات الإطار العام للتقرير النهائي للبحث. وأيما ما كان الأمر، فإن واضعى النظرية الموثقة يذهبون إلى أنه لا توجد طريقة وحيدة لا بد منها لتصنيف مكونات البحث في سياق متتابع لتحقيق أفضل النتائج. كما يرون بأنه من الممكن القيام بهذا العمل باستخدام طرق مختلفة مع نفس البيانات. ونحن نرى، من حيث المبدأ، أن هذه فكرة جيدة. ومع ذلك، فإنه، عمليا، لا يوجد في العادة وقت كاف لاستعمال أكثر من سياق تتابع واحد في التحليل.

البحث الواقعي

طرق بحث النظرية الموثقة والبحوث الكيفية عن الأسرة

قام رالف لاروسا (2005) بإمعان النظر في استخدام النظرية الموثقة في بحوث الأسرة. يقول في المستخلص الذي كتبه عن ورقته هذه :

«من بين الطرق الكيفية المختلفة التي يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى نظريات في مجال الأسرة، تعد طرق بحث النظرية الموثقة، والتي طورها بارنى جلاسر وأنسلم شتراوس، هي الطرق الأكثر شيوعا . . . وهدفى هنا أن أقدم تفسيراً مركزاً لطرق البحث في النظرية الموثقة، ولكنه رغم ذلك تفسير شامل، وهو تفسير أرجو أن يجد الباحثون أن من السهل فهمه وتوظيفه».

وقد قام لاروسا في هذا البحث بدراسة الجوانب المختلفة لإجراءات النظرية الموثقة، كما أنه، ورغم حكمه عليها بأنها مفيدة، يشعر بأنها بلغت من التعقيد والصعوبة حدا يجعل من غير الممكن فهمها فهما حقيقيا من قبل جميع الباحثين. وهو يشارك غيره القلق من أن طرق بحث النظرية الموثقة قد لا تنتج النظرية فعلا، كما يرى أن هذه العملية يمكن تبسيطها إلى درجة كبيرة.

وفى ختام بحثه يقرر قائلاً: «تعد طرق بحث النظرية الموثقة مجموعة قيمة من الإجراءات الخاصة بالتفكير نظرياً فى المواد المكتوبة، إلا أنه قد يكون من الصعب فك شفرتها (أى : كشف غموضها، وتوضيحها)». وهو يلاحظ أيضاً أهمية طرق بحث النظرية الموثقة لأنها: «تؤكد على محورية اللغة فى الحياة الاجتماعية، وأهمية الكلمات بوصفها مؤشرات، ودلالة المقارنات الإمبيريقية والنظرية، وقيمة التفكير فى كيفية ربط المتغيرات ببعضها، وآليات وجماليات الصياغة التى تأخذ فى التبلور لمسار أحداث وحكمتها».

المخلص

- تدعى النظرية الموثقة أنها نظرية متميزة، إلا أن هذا الادعاء محل خلاف لأن الخبراء لا يوافقون على ذلك. ونحن نتخذ موقفاً مفاده أن بعض ملامح هذه النظرية مفيدة وبعضها الآخر غير مفيد، وذلك على النحو المبين أدناه:
- × الفكرة التى تذهب إلى أن النظرية تنبثق من (أو يتم توليدها بواسطة) البحث غير المنطلق من نظرية معينة. والواقع أنه لا يوجد اتفاق على نوع مثل هذه النظرية.
 - × طبيعة ما تتصف به النظرية الموثقة من سند حقيقى صادق.
 - √ يمكن لهذه التقنية أن تكون مفيدة جداً، خاصة بسبب ما فيها من :
 - عمليات ومفاهيم المقارنة المستمرة.
 - التكويد.
 - المذكرات السريعة الموجزة / الملاحظات الميدانية.
 - البناء الواضح.

بحثك

إلى أى مدى تعد النظرية الموثقة مفيدة؟

تعد كثير من العمليات المستخدمة فى النظرية الموثقة قابلة للاستعمال وعظيمة الفائدة، فى الأنظمة الأخرى لجمع البيانات وتحليلها. وتشتمل هذه العمليات، بصفة خاصة، على ما يلى:

- المقارنة المستمرة: مقارنة البيانات المستمدة من مصادر مختلفة ومن أماكن وأوقات مختلفة لادعم التحليل، وذلك جنباً إلى جنب البحث عن الحالات السلبية.

- التكويد: العملية (المشهورة) «بوضع علامات» على ، أو تمييز البيانات لإعدادها للتحليل فيما بعد ، إلا أن هذه العملية تتشعب في هذه الحالة إلى ثلاثة أبعاد مفيدة (التكويد المفتوح ، والمحوري ، والانتقائي). يمكن اعتبار هذه الطريقة طريقة تنابعة في التكويد.
- المذكرات السريعة الموجزة: هي طرق لتسجيل البيانات ، والتفكير فيها وتحليلها (وهذه المذكرات تشبه دفتر يوميات البحث الذي تناولناه في موضع آخر من هذا الكتاب).
- التشعب بالبيانات: وهو مفهوم مهم يذهب إلى أنه توجد طرق بها يمكن للباحث أن يتأكد من أنه قد تم إنجاز القدر الكافي من البحث. (الحقيقة ، أن ما يقوله هذا المفهوم هو أنك إذا ظلت تجد نفس البيانات ، وإذا كنت لا تكتشف أى شيء جديد ، فقد وصلت إذا إلى حالة التشعب ، كما أن عملية جمع بيانات بحثك تكون قد اكتملت).
- البناء الواضح: هو هذا الأسلوب شديد التدقيق في بناء البحث ، وتنفيذه ، وتسجيله – وهو مصدر إلهام نافع لنا جميعًا.

المراجع وقراءات للاستزادة

- Charmaz, K. (2006) *Constructing Grounded Theory: A Practical Guide Through Qualitative Analysis*, London: Sage.
- Dey, I. (1999) *Grounding Grounded Theory: Guidelines for Qualitative Inquiry*, San Diego, CA: Academic Press.
- Glaser, B. G. (1994) *More Grounded Theory Methodology*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- Glaser, B. G. (1998) *Doing Grounded Theory: Issues and Discussions*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- Glaser, B. G., and Strauss, A. (1967) *The Discovery of Grounded Theory: Strategies for Qualitative Research*, Mill Valley, CA: Sociology Press.
- LaRossa, R. (2005) Grounded theory methods and qualitative family research, *Journal of Marriage and Family*, 67: 837–57.
- Montgomery, P. and Bailey, P. H. (2007) Field notes and theoretical memos in grounded theory, *Western Journal of Nursing Research*, 29: 65–79.
- Scott, K. W. (2004) Relating categories in grounded theory analysis: using a conditional relationship guide and reflective coding matrix, *The Qualitative Report*, 9(1) (March): 113–26.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1990) *Basics of Qualitative Research: Grounded Theory Procedures and Techniques*, London: Sage.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (eds) (1997) *Grounded Theory in Practice*, London: Sage.
- Strauss, A. L. and Corbin, J. M. (1998) *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*, London: Sage.
- Thomas, G. and James, D. (2006) Re-inventing grounded theory: some questions about theory, ground and discovery, *British Educational Research Journal*, 32(6): 767–95.

الفصل التاسع

استخدام الحواسيب في تحليل البيانات

محتويات الفصل

- ما الذى يمكنك عمله بالحواسيب؟
- التحليل الإحصائى .
- تحديد المتغيرات وإدخال بياناتك باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).
- إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال (SPSS).
- استخدام (SPSS) فى عرض النتائج فى قوالب وأشكال مختلفة.
- برامج التحليل الكيفى .
- مصادر البيانات وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
- التكويد وبرنامج «إن فيفو» NVivo .
- استخدام المذكرات الموجزة فى برنامج NVivo .
- المراجع وقرارات للاستزادة .

عن السياق

سواء أكانت بياناتك مقننة أو شبه مقننة ، وسواء كانت مكتوبة أو منطوقة أو مرئية ، فإن تحليلها عبارة عن عملية لمعالجة هذه البيانات والاشتغال بها بغرض تقديم نتائجك والإجابة عن أسئلة بحثك واختبار فروضك . ونلاحظ أنه حتى بالنسبة للمشروعات البحثية الصغيرة تتراكم كميات وفيرة من المادة العلمية وأعنى بها البيانات نفسها ، وملاحظات الباحث ، والملاحظات على التراث المنشور عن الموضوع والأبحاث الأخرى وما شابه ذلك . ولا بد أن يكون من السهل الوصول إلى هذه النماذج كلها فى كل وقت والاعتماد عليها أثناء القيام بالتحليل ، وتستطيع الحواسيب أن تكون مفيدة فى عمليات معالجة البيانات وفى

التحليل نفسه أيضا .

ونتناول في هذا الفصل البرامج الحاسوبية التي صممت خصوصا لمساعدة الباحثين الاجتماعيين في تحليل بياناتهم ، كما نسلط الضوء على برامج أخرى قد تكون مستعملا لها يوميا ، ذلك أنها تتسم بإمكانيات مميزة ، قد تكون مفيدة في تحليل بياناتك .

ما الذي يمكنك عمله بالحواسب ؟

معروف أن معظم برامج الحاسب مصممة لتمكينك من الاشتغال بأصناف معينة من المادة البحثية - كالنصوص المكتوبة أو أفلام الفيديو ، أو الصور الفوتوغرافية أو المسموعات (الحوارات ، والمقابلات مثلا) - باستعمال مجموعة من الطرق المحددة بدقة . معنى ذلك - بتعبير آخر - أن طبيعة البرامج أن تكون مصممة لاستعمالها مع أنماط معينة من المادة ولتمكينك من تنفيذ مجموعة موحدة قياسيا من إجراءات التعامل مع تلك المادة . وهناك برامج حاسوبية تساعدك في كل جزء من أجزاء العملية التحليلية ، بعض هذه البرامج مصمم خصوصا لتحليل بيانات البحث الاجتماعي وبعضها الآخر لها استعمالات أوسع نطاقا ولكنها تشتمل على وظائف وإمكانات تعتبر مفيدة للباحث الاجتماعي .

والخلاصة أن برامج الحاسب يمكن أن تساعدك في :

- تنظيم مادتك كلها .
- الحفاظ على بياناتك وغيرها من المادة البحثية في قوالب وأشكال معنونة بشكل موحد .
- تساعدك في حفظ البيانات في شكل يسهل الوصول إليه والاستفادة منه .
- تنفيذ تشكيله متنوعة من الإجراءات التحليلية الخاصة بنوع بياناتك .
- تمكينك من تطوير تحليلك بطرق مناسبة .
- عرض نتائجك في قوالب أو أشكال تكون واضحة وقابلة لأن يفهمها الآخرون .
- بالإضافة لهذه المقومات والإمكانات الأساسية ، يمكن لاستعمال برامج الحاسب أن :
 - تساعدك في إمعان النظر في تحليلك وفي تدوين الملاحظات عليه .
 - تحتفظ بدفتر تسجيل / سجل لنشاطك التحليلي كله .
 - تتيح للآخرين الاطلاع على العمليات التحليلية التي أتممتها من أولها لآخرها .

ملحوظة : لا تستطيع برامج الحاسب أن تقوم بالتحليل نيابة عنك - أنت وحدك الذى تستطيع تطوير التحليل ، وتفسير نتائجك وعرض ما توصلت إليه من نتائج.

التحليل الإحصائي

حزم برامج الحاسبات الخاصة بتحليل بيانات البحث الاجتماعى

توجد حزم برامج حاسبات عديدة من شأنها أن تساعدك فى تنظيم ، وتحليل وعرض البيانات العددية ، والحزم الأكثر استعمالاً من جانب الباحثين الاجتماعيين هى «الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية» SPSS ، والتي أنتجتها شركة IBM. (*) تستعمل أقسام علمية جامعية كثيرة هذا البرنامج ، وتتيحه بعض الأقسام لطلبتها مجاناً . وتشتمل بعض مقررات طرق البحث الاجتماعى على تعليم لاستعمال هذه الحزمة ، وقد يتوافر لك إمكانية الحصول على دورات تدريبية على هذه الحزمة داخل جامعتك ، أو كليتك ، أو مكان عملك . من الأمور المشتركة فى معظم البرمجيات التى من هذا النمط ، أن بالإمكان تحميل نسخ تجريبية منها على حاسبك والاستفادة بدروس خصوصية فيها على موقع الشركة على الشبكة (www.spss.com/uk/statistics). كما أن هناك عدداً من الكتب عن التقنيات الإحصائية تبين تفاصيل استخدام برنامج SPSS ، وبعضها مناسب خصوصاً للعلماء الاجتماعيين ، وهى مدرجة ضمن قائمة المراجع بنهاية هذا الفصل.

ستتمكنك هذه الحزمة من أن :

- تنشئ المتغيرات (وأسماء المتغيرات وأوصافها التفصيلية).
- تدخل بياناتك فى صورة أو قالب كشف حساب كمبيوترى .
- تراجع بياناتك للتحقق من القيم المفقودة ، أو البيانات المتعارضة مثلاً .
- تنشئ متغيرات جديدة مستعملاً لمتغير أو اثنين أو أكثر من متغيراتك الأصلية .
- تنشئ إحصائيات تبين معدلات التكرار وإحصائيات وصفية (كالمتوسط ، والوسيط ، والنوال ، والانحراف المعياري ، والنسب المئوية ، إلى آخره) لكل متغير من متغيراتك .
- تصمم الجداول المزدوجة .

(*) أصبحت شركة IBM مالكة لحزمة SPSS منذ أكتوبر 2009 .

- تطور تحليلات معقدة مستعملا لمجموعة شاملة من التقنيات الإحصائية التي منها كاي تربيع، والارتباطات، والتحليلات المتعددة المتغيرات، وغيرها من التقنيات.
- تعرض نتائجك في رسوم وأشكال بيانية يمكن إدراجها في وثيقتك النهائية، أو تقرير بحثك، أو رسالتك الجامعية.

سوف نبين هنا بعض السمات الأساسية بإطلاعك على لقطات لشاشة الحاسب - مأخوذة من برنامج SPSS - لمساعدتك في تقرير ما إذا كان ينبغي عليك استعمال هذه الحزمة في دعم تحليل بياناتك، أم لا. لاحظ أن لقطات الشاشة مأخوذة من SPSS 017.0.^(*)

تحديد المتغيرات وإدخال بياناتك

باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS

في الفصل 2 باب 4، أوضحنا كيف أن كل مجموعة من الإجابات التي أجيب بها على سؤال ما أو كل نشاط تم تسجيله يسمى «متغيرا» كما يمكن إعطاؤه «اسم متغير». في برنامج SPSS يتم إنشاء قائمة بكل المتغيرات في الصفحة المسماة «مشهد المتغيرات» (انظر لقطة الشاشة رقم «9-2»). وتجد كل متغير مكتوبا في القائمة مع معلومات عن نمطه، وعما إذا كان متغيرا اسميا، أم خاصا بالترتبة، أم النسبة، وما إلى ذلك، واسمه (أى: العنوان الدال عليه) والقيم (أو الأكواد) المرتبطة به. كما يتم إعطاء كل قيمة عنوانا أو اسما. يمكن استعمال العناوين في الجداول أو الرسوم البيانية المستخرجة من البيانات، مما يجعل من السهل فهمها. في هذا المثال، يعطى الكود (1) العنوان «نعم». بعد ذلك يتم إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة من حالات بياناتك في الصفحة المسماة «مشهد البيانات» (لقطة الشاشة رقم «9-1»). هنا يمثل كل سطر حالة مختلفة، ويمثل كل عمود متغيرا أعلاه اسم المتغير الخاص به. يتم إدخال الأكواد أو القيم الخاصة بكل متغير لكل حالة في هذه الشبكة.

يمكن إنشاء المتغيرات التي تجمع عددا من قيم المتغيرات أو قيم المجموعات أو الفئات باستخدام برنامج SPSS. في هذا المثال (لقطة الشاشة رقم «9-3») يتم تصنيف المتغير المسمى «الإقامة» (أى: مدة إقامة المستجيب في المدينة التي جرى بها البحث بالسنوات) والذي قد تكون له قيم تقع بين 1 و 100؛ يتم تصنيف هذا المتغير إلى مجموعات، مدى

(*) لقطات الشاشة المأخوذة من برنامج SPSS منقولة بتصریح من شركة SPSS المحدودة (المملكة المتحدة).

كل منها خمس سنوات . يتم اختيار المتغير الأصلي المسمى «الإقامة» ثم تخصص له مجموعة قيم جديدة (رقم واحد من سنة حتى نهاية 5 سنوات ، ورقم (2) من 6 حتى آخر 10 سنوات وهكذا) منشئين بذلك .

يمكن تحديد اسم لكل متغير

كل سطر حالة مستقلة

يتم إدخال الأكواد أو القيم الخاصة بكل متغير في الشبكة

لقطة الشاشة رقم (9-1) : إدخال بياناتك باستخدام برنامج SPSS.

يتم إدراج كل متغير باسمه والعنوان الدال عليه ويعطى لكل القيم المرتبطة بالمتغير عنواناً

Value Labels

Value: 5
Label: 5
OK

لقطة الشاشة رقم (9-2) : إنشاء قائمة بالمتغيرات في برنامج SPSS



لقطة الشاشة رقم (9-3): إنشاء متغيرات جديدة عن طريق التقسيم إلى مجموعات داخل أحد المتغيرات باستخدام برنامج SPSS

متغيراً جديداً اسمه «فترة مدة الإقامة». وباستعمال طريقة مشابهة لذلك ، يمكن الجمع بين بيانات مأخوذة من متغيرين اثنين (كأن يكونا متغير «السن» age ومتغير «الجنس» gender ، مثلاً) لإنشاء متغير جديد نسميه «سجنس» genage (فصل 2 باب 4).

إنتاج مجموعة من الإحصائيات باستعمال SPSS

عندما يتم إدخال البيانات الخاصة بكل حالة على حدة ويتم إنشاء أى متغير جديد ، يمكن تنفيذ مجموعة كبيرة من العمليات الحسابية. وتكون المرحلة الأولى لمعظم التحليلات الإحصائية هي إنتاج إحصائيات لمعدلات التكرار وإحصائيات وصفية ، والتي منها مثلاً المتوسط ، والوسيط ، والمنوال ، والانحراف المعياري (فصل 3 باب 4) الخاص بالمتغيرات الأساسية. في لقطة الشاشة رقم (9-4) ، اختار الباحث قائمة بمتغيرات مطلوب عنها إحصائيات معينة. ويظهر مخرج هذه العملية - أو النتيجة - في شكل جدول تكراري لكل متغير على حدة.

يتم إنتاج الجداول المزدوجة (فصل 3 باب 4) عن طريق اختيار المتغيرين وتحديد المتغير الذي يكون في صفوف الجدول والمتغير الذي يكون في الأعمدة. يمكن عمل إحصائيات إضافية باستعمال الزر الخاص بالإحصائيات ، كما أن بالإمكان عرض الجدول الناتج عن ذلك في عدد من القوالب أو الأشكال التي تشتمل - كما هو مبين في لقطة الشاشة رقم (9-5) - على شكل لوحة الأعمدة البيانية.

وتوضح لقطة الشاشة رقم (9-6) مجموعة كبيرة من التحليلات الإحصائية التي يمكن عملها، بدءًا من إعداد قائمة تنازلية. بعد اختيارك لتقنية إحصائية معينة، فإن مجموعة من الصناديق (التي تظهر لك على الشاشة) تمكنك من إدخال المتغيرات والمعلومات الأخرى المطلوبة لتنفيذ التحليل.

اختر المتغيرات التي تريدها.
اختر الإحصائيات التي تريدها.
النتائج

Frequencies

Variable(s): Sex (gender), Age Group (agegrp), Place to live (place), Volunteer (volunteer)

Frequencies: Statistics

Percentile Values: ☒ Quantiles, ☐ Cumulative, ☐ Percentile(s):

Central Tendency: ☒ Mean, ☒ Median, ☒ Mode, ☐ Sum

Dispersion: ☐ Std. deviation, ☐ Variance, ☐ Range, ☐ Minimum, ☐ Maximum, ☐ S.E. mean

Distribution: ☐ Skewness, ☐ Kurtosis

Frequencies

Sex

	Frequency	Percent	Valid Percent	Display
Male	15	75.0	75.0	75.0
Female	5	25.0	25.0	25.0
Total	20	100.0	100.0	

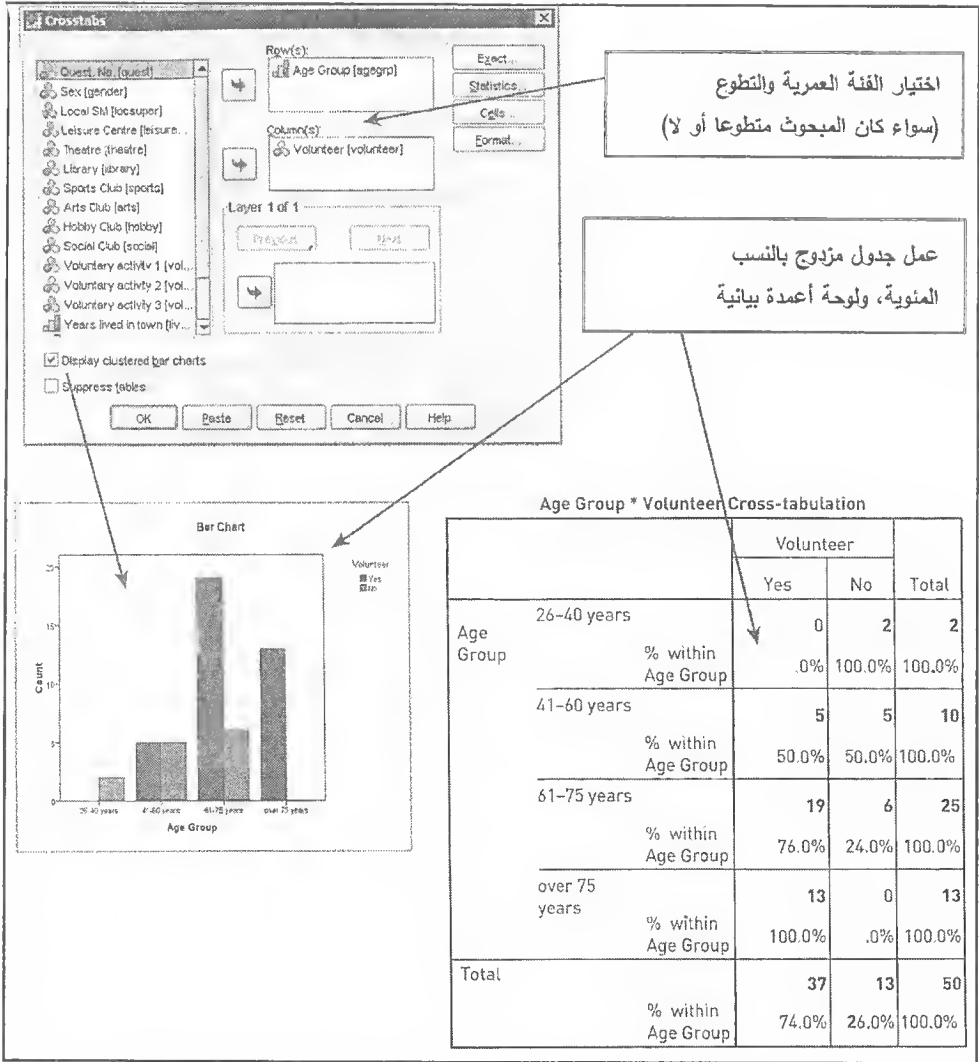
Age Group

	Frequency	Percent	Valid Percent	Display
16 to 20 years	4	20.0	20.0	20.0
21 to 25 years	6	30.0	30.0	30.0
26 to 30 years	5	25.0	25.0	25.0
31 to 35 years	5	25.0	25.0	25.0
Total	20	100.0	100.0	

Place to live

	Frequency	Percent	Valid Percent	Display
Urban	15	75.0	75.0	75.0
Rural	5	25.0	25.0	25.0
Total	20	100.0	100.0	

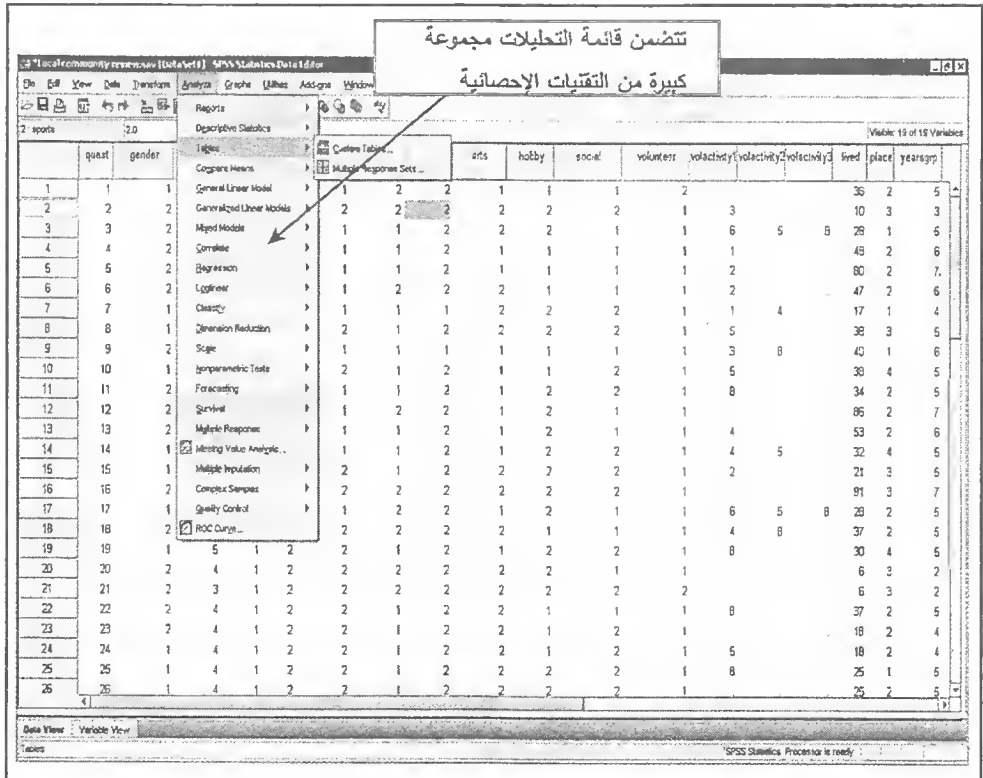
لقطة الشاشة رقم (9-4): إنتاج إحصائيات لمعدلات التكرار وإحصائيات وصفية لمجموعة مختارة من المتغيرات باستخدام SPSS.



لقطة الشاشة رقم (5-9): إنتاج جداول مزدوجة باستخراجها من اثنين أو أكثر من المتغيرات باستخدام SPSS .

استخدام SPSS في عرض النتائج في قوالب وأشكال مختلفة

يمكن عرض نتائج التحليلات الإحصائية بمجموعة من الطرق مستعملين، مثلاً، برنامج «صانع الأشكال البيانية» Chart Builder كما هو موضح في لقطة الشاشة رقم (9-7). بعد أن يتم اختيار المتغيرات المطلوب إدراجها في التحليل، يمكن عرض النتائج في مجموعة مختلفة من القوالب والألوان التي يختارها الباحث من برنامج «جاليري» Gallery (الخاص



لقطة الشاشة رقم (6-9) مجموعة كبيرة من التقنيات البسيطة والمعقدة يمكن استخدامها في SPSS .

بالإخراج الفني أو الجمالي لهذه القوالب والأشكال البيانية. يمكن وضع لافتات أو بطاقات ترميز وعناوين للشكل البياني الناتج بحيث يكون جاهزاً للعرض في وثيقة. يمكن للصورة النهائية هذه أن تخزن بهدف إدراجها في وثيقة إلكترونية (تكتب باستعمال معالج للكلمات) أو في شريحة عرض .

يمكن استعمال حزمة مثل SPSS على مستويات كثيرة . فقد يستعملها بعض الباحثين لمجرد إدخال ومعالجة بياناتهم المأخوذة من أحد الاستبيانات ، مثلاً ، وإنتاج المعدلات التكرارية ، والإحصائيات الوصفية والجداول المزدوجة لمساعدتهم على تطوير تحليلهم وعرض نتائجهم . وبوسع غيرهم استخدام ما توفره هذه الحزم من تقنيات إحصائية معقدة التي لولاها لكان العد اليدوي للبيانات والأرقام أمراً يستغرق وقتاً طويلاً ، إن لم

يكن مستحيلا أصلا. وكما هو واضح من لقطات الشاشة هذه، فإن حزمة SPSS تعتبر سهلة الاستخدام تماما للمستفيد، ولكن إن لم تكن قد استخدمت هذا النمط من البرامج فينبغى أن تتوقع قضاء بعض الوقت قبل أن تصبح على دراية وألفة بهذه العمليات الأساسية بحيث تكون قادرا على معالجة بياناتك الخاصة بكفاءة.

بدائل حزمة البرامج الإحصائية

إذا لم يكن:

- متاحا لك الوصول إلى حزمة برامج إحصائية...
- لديك وقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة...
- لديك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات...

فإن كان بإمكانك أن تقوم بأداء بعض الأشياء المطلوبة باستخدام حزمة إحصائية اعتمادا على حزمة برامج محاسبية مثل مايكروسوفت إكسل Microsoft Excel. ونظرا لأن هذه البرامج غير مصممة للتحليل الإحصائي خصوصا، فإنه لا يتوافر فيها بعض ما ذكرناه من إمكانيات عظيمة الفائدة يتسم بها برنامج SPSS - كالقدرة على تعريف المتغيرات ووضع علامات مميزة أو بطاقات ترميز لها مثلا - كما أنها بالذات ليست سهلة كل السهولة في اكتشاف معدل تكرار القيم بشأن متغير ما أو إنتاج الجداول المزدوجة. وأيا ما كان الأمر، فإن حزمة البرامج المحاسبية يمكن أن تفيدك في:

- إدخال البيانات المأخوذة من كل حالة في أعمدة المتغيرات التي تم تسميتها.
- إجراء العمليات الحسابية للقيم الإحصائية الوصفية لكل متغير، كالتوسطات مثلا.
- إجراء العمليات الحسابية للقيم الإحصائية الأكثر تعقيدا، مثل كاي تربيع، والارتباطات وكثير غيرها من القيم الإحصائية المستخرجة من متغيرين أو أكثر.
- عرض البيانات في أشكال ورسوم بيانية داخل وثيقتك النهائية (رسالتك الجامعية أو تقريرك البحثي).

سترى من واقع لقطة الشاشة رقم «8-9») إن بالإمكان إنتاج صفحة بيانات أو كشف بيانات مشابه «لمشهد البيانات» (Data View) الذي ينتجه برنامج SPSS، حيث يخصص صف لكل صفحة وعمود لكل متغير. وأيا ما كان الأمر، فإن أسماء المتغيرات مجرد أسماء - إذ ليس لها أى قيم مرتبطة بها

يمكن إدخال البيانات في كشف يخصص صفًا لكل حالة وعمودًا لكل متغير

مجموعة كبيرة متنوعة من التقنيات الإحصائية التي يمكن استخدامها من واقع جدول الصيغ وقائمة المهام

هنا يتم حساب عدد الناس في كل فئة عمرية من واقع متغير الفئة العمرية في العمود

Formula result = 2

Help on this function

OK Cancel

C

هنا يتم حساب عدد سنوات الإقامة في المدينة من واقع القيم في العمود

Formula result = 36.16

Help on this function

OK Cancel

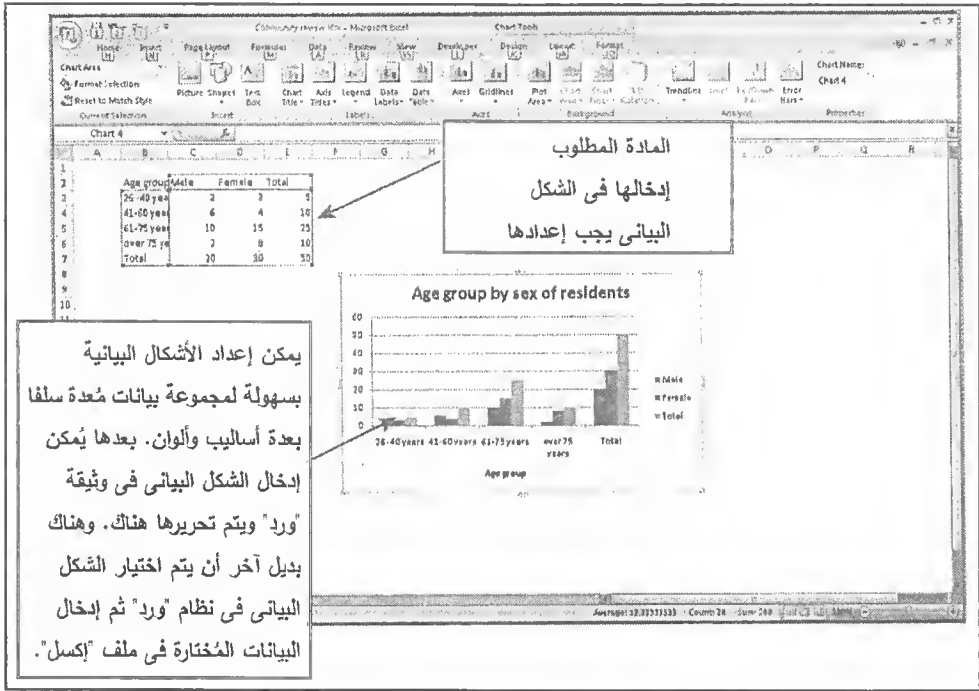
P

لقطة الشاشة رقم (8-9) : كشف البيانات في برنامج إكسل

كما أن برنامج إكسل ليس لديه الإمكانيات لإنشاء متغيرات جديدة. وتحتوى قائمة «الوظيفة الإحصائية» (الموجودة فى إكسل) على مجموعة من التقنيات الإحصائية التى يمكن تنفيذها على هذه البيانات. لاحظ أنه فى إكسل يتم تعريف كل خانة فى شاشة البيانات تبعاً للحرف الذى يسمى به العمود، ورقم السطر، كما أن كل تقنية إحصائية، يتم تنفيذها على الخانات التى يضمها صندوق «خلاصات الوظائف» Function Arguments على النحو المبين فى الشكل. وكما هو واضح فى أمثلة لقطات الشاشات هذه، يتم حساب متوسط عدد سنوات إقامة المستجيبين فى هذه المدينة باستعمال القيم المأخوذة من العمود (أ) (وهو عمود المتغير - الإقامة). ويشتمل العمود المذكور على الحالات التى تبدأ من الخانة رقم (2) من العمود (أ) حتى الخانة رقم (26) من العمود (أ) - أى : القيم الموجودة فى العمود أ.

بالإمكان استخدام إكسل فى إنتاج الأشكال البيانية والجدول التى تكون جاهزة لأن تدرجها فى وثيقتك. ومع هذا، وخلافاً لبرنامج SPSS، فإنك عندما تستعمل إكسل ستحتاج عادة إلى أن تعد هذه البيانات بنفسك. ففى المثال الموجود فى لقطة الشاشة رقم (9-9)، تم - قبل ذلك - إعداد البيانات المقرر إدخالها فى هذا الشكل البيانى، كما أن القيم التكرارية الموجودة فى كل خانة قد سبق عدّها وإدخالها فى هذا الجدول قبل أن يكون بالإمكان إنشاء شكل بيانى من واقع هذه البيانات. تتوافر تشكيلة مختلفة من أنواع الأشكال البيانية والألوان، كما يسهل وضع لافتات أو بطاقات ترميز على الشكل البيانى وعنوانته وربطه بوثيقة من وثائق «مايكروسوفت ورد» Microsoft Word، أو بشريحة عرض من شرائح «مايكروسوفت باور بوينت» Microsoft PowerPoint.

رغم أن إكسل لا يتوافر فيها ما هو موجود فى برنامج SPSS والحزم الإحصائية الأخرى من الوظائف وسهولة الاستخدام، فإن بإمكانها أن تساعدك فى معالجة بياناتك وفى إنشاء الأشكال والرسوم البيانية، وهو الأمر الذى من شأنه أن يساعدك (وقراءك) فى فهم البيانات. فإن كنت على دراية ومعرفة بإكسل من خبرة سابقة، فمن المرجح حينئذ أن تكون قادراً على تكيف إمكانياتها ووظائفها لتناسب مع متطلباتك كباحث اجتماعى. فإن لم تكن على دراية ومعرفة بإكسل فلا بد حينئذ من أن تمعن التفكير فيما إذا كنت راغباً فى قضاء بعض الوقت فى تعلم استعمال هذه الحزمة. ونظراً لأن البرامج الحاسوبية (التى منها إكسل) تستخدم فى كثير من مجالات الحياة، فقد يكون إتقان بعض الوقت فى تعلم هذه المهارة القابلة للنقل أمراً جديراً بالاهتمام به إلى حد كبير.



لقطة الشاشة رقم (9-9) : إنشاء الأشكال والرسوم البيانية

برامج التحليل الكيفي

في الأيام الأولى للبحث الاجتماعي الذي كان يقوم بجمع ومعالجة البيانات الكيفية أو البيانات الخام، كانت عملية التحليل تستغرق وقتا طويلا. وكان المؤلف حينها أن تكتب النصوص المنسوخة والملاحظات (التي يدونها الباحث) على الآلة الكاتبة وأن يكون لها عدد من الصور الكربونية. وكان يتم تكويد هذه النصوص المنسوخة، باستعمال أقلام مختلفة الألوان مثلا، ثم كان يتم تقطيع هذه الصفحات (بالمعنى الحرفي للكلمة) إلى «نُتف من البيانات». بعد ذلك يمكن لنتف البيانات المجموعة من تتبع الحالات المكوّدة بنفس الطريقة أن تلتصق فوق صفحة جديدة من الورق أو فوق صفحة رسم بياني لتمكين الباحث من البحث عن أوجه التشابه، وعن العلاقات الممكنة وما إلى ذلك. ومن الطرق الأخرى للتحليل قديما الاحتفاظ بنظام فهرسة قائم على استعمال البطاقات حيث يكتب الكود على كل بطاقة. وكانت الإحالات التي تشير إلى النقاط أو المسائل الموجودة في حالة معينة أو في وثيقة معينة استعمل فيها هذا الكود؛ كانت هذه الإحالات تسجل على هذه البطاقة حتى يستطيع الباحث أن يعثر بسهولة على البيانات المكوّدة ذات الصلة. كان من الممكن أيضا أن تشمل البطاقة على مقتبسات (أي

جمل وعبارات مكتوبة بنفس الصيغة التي نطقها بها المستجيبون) مأخوذة من البيانات المرتبطة بهذا الكود. وكان المؤلف استخدام أفرخ الورق الكبيرة الحجم لإنتاج أشكال بيانية أو رسوم بيانية توضح العلاقات القائمة بين الأكواد والبيانات.

ويمكن القول من نواح كثيرة أن ما هو متاح حالياً من برامج للمساعدة في تحليل البيانات الخام أو شبه المقننة أو غير المقننة لا تقوم إلا بما يزيد قليلاً عما كان الباحثون يقومون به في الماضي بطريقة يدوية. ومع ذلك، فإن استعمال البرامج العامة مثل مايكروسوفت ورد أو استعمال حزمة مصممة لأغراض خاصة مثل إن فيفو NVivo بمقدوره أن يجعل هذه العملية أكثر فعالية وكفاءة، كما يمكن الباحث من معالجة البيانات بصورة دقيقة وإبداعية.

حزم الحاسبات المصممة خصوصاً لتحليل البيانات الكيفية

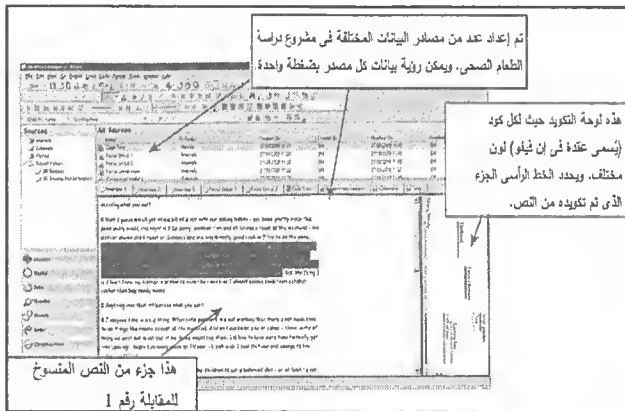
على امتداد السنوات العشرين الماضية تم تصميم عدد من حزم البرامج المخصصة للمساعدة في تحليل البيانات الكيفية. تطورت هذه البرامج تطوراً كبيراً بالتوازي مع نمو الطرق المختلفة في تحليل البيانات الكيفية ومع تزايد نطاق مصادر البيانات التي يجري إدراجها في البحوث الاجتماعية في وقتنا الحاضر. والبرامج التي تحظى بأوسع قدر من الاستعمال هي «إن فيفو. www.qsrinternational.com/products__nvivo.aspx» (www.qsrinternational.com/products__nvivo.aspx)، وقد تم آخر دخول على الموقع في 30 أغسطس 2009). وسنحاول فيما يلي أن نتأمل بعض الأمثلة المستمدة من هذه الحزمة. من نماذج الحزم الأخرى حزمة برامج «أتلستى» ATLASTi، وموقعها هو www.atlasti.com، وقد تم آخر دخول على الموقع في 29 أغسطس 2009) وحزمة إثنوجراف www.qualisresearch.com (www.qualisresearch.com)، وقد تم آخر دخول على الموقع في 29 أغسطس 2009).

إن معظم حزم البرامج هذه :

- تتيح لك أن تستجلب مصادر بياناتك أو تنشئها - وهذه المصادر قد تكون نصوصاً منسوخة من تسجيلات المقابلات، أو وثائق، أو تسجيلات صوتية أو بالفيديو، أو من مذكرات ميدانية.
- تتيح لك أن تفحص (تقسم) بياناتك إلى نُتف أو وحدات صغيرة بأساليب متنوعة؛
- تشتمل على أنظمة تكويد أو فهرسة.
- تبحث عن وتسترجع وحدات البيانات باستعمال كود معين.
- تيسر على عمليات البحث المعقدة إنشاء روابط بين وحدات البيانات.
- تبحث عما في النص من خيوط رابطة بين مكوناته؛ وأنماط متكررة، وكلمات، وعبارات.
- لديها القدرة على ربط المذكرات الموجزة بالوثائق أو الأكواد.

- يمكنها إحصاء عدد مرات ورود الأكواد، والكلمات ... إلخ، في مصدر البيانات؛
- لديها القدرة على إنتاج الخرائط، والشبكات، والأشكال البيانية التي تصور الروابط القائمة بين الأكواد والبيانات.

إن مشروع «تحليل البيانات الكيفية بمساعدة الحاسب» (أو مشروع «كاكداس»^(*)) بجامعة صرى Surry المملكة المتحدة) يقوم بانتظام بتقديم المشورة والتوجيه في شأن اختيار واستعمال مجموعة الحزم المتاحة، كما أنه إن كنت تفكر في استعمال أى من هذه الحزم، فمن المستصوب أن تراجع مواقع تلك الحزم على الشبكة <http://caqdas.soc.surrey.ac.uk/>، وقد تم آخر دخول على الموقع في (26 أغسطس 2009)، وأن تراجع كذلك المراجع والقراءات المقترحة في نهاية هذا الفصل. كما هو الحال مع البرامج الإحصائية، فإن النسخ التجريبية لمعظم الحزم الحاسوبية المصممة خصوصا لتحليل البيانات الكيفية، قابلة للتحميل على حاسبك، كما أن معظمها يحتوى على دروس خصوصية وعلى بعض النماذج لمساعدتك على تعلم طريقة الاستخدام الأمثل لهذا المنتج www.qsrinternational.com/products_nvivo.aspx، وقد تم آخر دخول عليه في 30 أغسطس 2009. ونلاحظ مجدداً، أنه يمكن - كما هو الحال بالنسبة للبرامج الإحصائية - استخدام برامج الحاسب المصممة لتحليل البيانات الكيفية على مستويات مختلفة، فالبعض قد يستخدمون برامج تحليل البيانات الكيفية أساسا كوسيلة لإدارة وفهرسة كميات كبيرة من البيانات الخام أو لتكويدها؛ بينما يتابع بعض الباحثين هذا النهج فيحرصون على الانتفاع بالمزيد من تقنيات البحث، والتكويد ورسم الخرائط المعقدة والأكثر تقدما لمساعدتهم في البحث عن التفسيرات المتضمنة في ثنایا البيانات أو في تطوير رؤية نظرية.



لقطة الشاشة (9-10): مصادر البيانات في مشروع إن فيفو NVivo

(*) CAQDAS = Computer Assisted Qualitative Data Analysis .

وستحاول الصفحات التالية إلقاء الضوء على الخطوات الأولى لاستخدام برنامج إن فيفو NVivo في بدء تحليل البيانات الخاصة بالطعام الصحي ، والمستخدم في الفصل الرابع من هذا الباب . لاحظ: أن لقطات الشاشات مأخوذة من برنامج «إن فيفو 8 NVivo8»^(*).

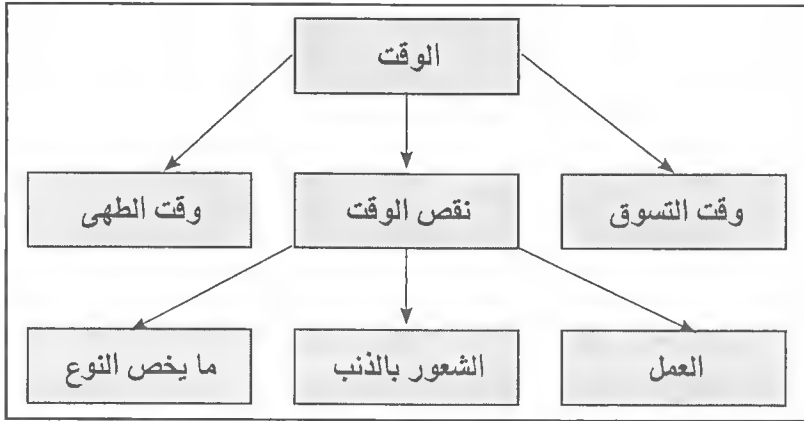
مصادر البيانات وبرنامج إن فيفو NVivo

يمكن إدخال مجموعة من الأنماط المختلفة لمصادر البيانات في برنامج إن فيفو كما يمكن الاشتغال بها داخل هذه البرمجية . ومن هذه المصادر: النصوص المكتوبة للمقابلات وجماعات المناقشة (فصل 2 من هذا الباب) والصور الفوتوغرافية ، والمادة المرئية والسمعية . وبالإمكان أيضا ضم بعض الوثائق من خارج الشبكة (في هذا المثال وفي لقطة الشاشة رقم (10-9) ، تم ضم كتيب حكومي) . ونلاحظ هنا أنه على الرغم من أن نص الوثيقة لم ينقل ، فإن بالإمكان إدراج الأكواد والمذكرات السريعة الموجزة المطبقة على نص الوثيقة ، ومن ثم يصبح من الممكن إدراجها في التحليل . ومن بدائل ذلك ، أن تصور الوثيقة وتنقل كصورة فوتوغرافية . بعد ذلك يتم عمل قائمة بجميع مصادر البيانات المرتبطة بالمشروع البحثي ، بحيث يكون من السهل الوصول إليها بالضغط على الأزرار التي تم تسميتها . في الجزء الأوسط من الشاشة يوجد النص المنسوخ لمصدر البيانات الجاري معالجتها .

التكويد وبرنامج إن فيفو NVivo

يبين الجانب الأيمن من الشاشة التكويد الذي تم تطبيقه على مصدر البيانات هذا . ويكون لكل كود (فصل 2 وفصل 4 من هذا الباب) أو كل نقطة الالتقاء كما يسمى في برنامج إن فيفو) لون مختلف ، كما أن كل سطر من السطور الملونة في جزء الشاشة الخاص بالتكويد تقابل ذلك المقطع من النص الموجود في مصدر البيانات والذي تم تكويده . بعد ذلك يتم عمل قائمة للأكواد ، حيث يرفق بكل كود التعريف المرتبط به . يمكنك برنامج إن فيفو من إنشاء الأكواد والاشتغال بها بطريقتين مختلفتين . أولهما طريقة نقط الالتقاء الحرة التي كثيرا ما تستخدم في مبدأ الأمر كأسلوب لتمييز جميع البيانات التي قد تكون مرتبطة بفكرة معينة أو مفهوم معين . وبعد أن يتطور التحليل ويتم تقسيم الأكواد أو ضمها معا بطرق مختلفة ، وتبدأ العلاقات التي بين الأكواد في الظهور ، يكون من المفيد ترتيب نقط الالتقاء تلك في نسق واحد متدرج . حينئذ يتم تنظيم الأكواد أو نقط الالتقاء في بنية شجرة متدرجة انطلاقا من الجذر ، ولها عدد من المستويات المتدرجة ، كما هو مبين في الشكل (1) من هذا الفصل .

(*) تم نشر لقطات الشاشات الخاصة ببرنامج إن فيفو NVivo بتصريح من شركة QSR International Pty المحدودة . وإن فيفو علامة تجارية ومسجلة ، صممها وطورتها شركة كيو إس آر إنترناشيونال (www.qsrinternational.com) .



الشكل رقم (9-1) تنظيم الأكواد في هيئة شجرة.

يتم تعريف الأكواد ثم تستخدم في توكيد مختلف أقسام البيانات. وفي برنامج إن فيفو أنواع مختلفة من الأكواد، منها العقد الحرة، والعقد الشجرية (المتدرجة).

تستخدم العقد (الأكواد الحرة) في بداية التحليل حيث لم يكن قد اتضح بعد جدوى الأكواد أو مدى ارتباطها.

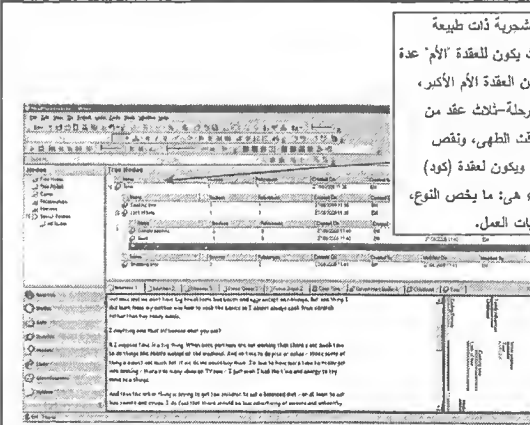
لقطة الشاشة رقم (9-11): استخدام الأكواد (نقاط الالتقاء) في برنامج إن فيفو.

في المثال المذكور في لقطة الشاشة رقم (11) و (12) من هذا الفصل يتم تمييز ثلاثة جوانب مختلفة أو ثلاث أفكار مختلفة تتعلق بكود «نقص الوقت» وردت في البيانات، ولهذا السبب يتم تخصيص أكواد مختلفة لها عند المستوى التالي - في برنامج إن فيفو تسمى هذه الأكواد نقاط الالتقاء «الأبناء» (أي الأكواد الفرعية أو الصغيرة) لنقطة الالتقاء «الأم» (أي الكود الرئيسي): «نقص الوقت».

استخدام المذكرات الموجزة فى برنامج إن فيفو NVivo

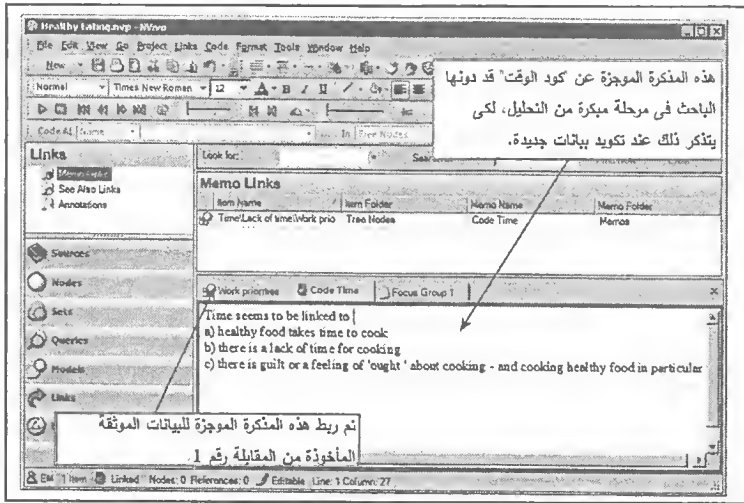
تتيح معظم برامج التحليل الكيفى - بما فيها برنامج إن فيفو - إرفاق الملاحظات أو المذكرات الموجزة (فصل 4) بالبيانات الجارى معالجتها، وذلك بعدة طرق. يمكن لهذه المذكرات أن تحتوى على تذكيرات للباحث، وملاحظات على الطريقة التى تم بها تعريف كود معين، وبعض الأفكار اللافتة للنظر التى انبثقت من خلال البيانات، وما إلى ذلك. فى برنامج إن فيفو تعطى كل مذكرة موجزة علامة مميزة أو عنوانا كما يمكن أن ترفق بأحد الأكواد، أو بمقطع معين من النص موجود فى مصدر أو أكثر من مصادر البيانات، أو بمصدر محدد من مصادر البيانات. بعد ذلك يمكن تنقيح كل مذكرة موجزة أو الإضافة إليها مع اضطراد التحليل، وبخاصة فى استكشاف بعض الحقائق والعلاقات. كما يمكن أيضا تكويد تلك المذكرات باستخدام نفس هذه الأكواد بوصفها مصادر البيانات.

أصبحت الطبقات الأحدث صدورًا للبرامج، مثل إن فيفو، تركز على جعل واجهة المستخدم (أى: شاشة الحاسب التى تظهر عليها البيانات فى صور مختلفة) واضحة وسهلة الاستخدام. ورغم أن لقطات الشاشة تبدو معقدة، ورغم أن بعض المصطلحات غريبة نوعا ما، فإن المؤكد أن عملية إدخال مصادر البيانات وتطوير التكويد الأساسى واضحة تمام الوضوح. ويتوقف استخدام هذه البرامج بمستوى أكثر تعقيدًا على درجة تعقد بياناتك وعلى قدرتك على التعامل مع الأفكار والعلاقات المعقدة، وهى عملية تعتبر شاقة إذا نفذت على الورق كما هو حالها إذا نفذت بمساعدة هذا النوع من البرامج. فإن لم تكن استخدمت برامج من هذا النوع قبل ذلك، فإنه ينبغي عليك أن تقضى بعض الوقت لتجعل نفسك على دراية وألفه بهذه البرامج وللعمل من خلال بعض الأمثلة السابق تنفيذها بهذه البرامج قبل معالجة بياناتك الخاصة.



تكون العقد (الأكواد) الشجرية ذات طبيعة شجرية (متدرجة)، حيث يكون للعقدة الأم عدة عقد أصغر. ويمثل الزمن العقد الأم الأكبر، ويكون لها -فى تلك المرحلة- ثلاث عقد من المستوى الثانى هى: وقت الطهي، ونقص الوقت، ووقت التسوق. ويكون لعقدة (كود) نقص الوقت ثلاثة أبناء هى: ما يخص النوع، والشعور بالذئب، وأولويات العمل.

لقطة الشاشة رقم (9-12) نقاط الالتقاء الشجرية فى برنامج إن فيفو.



لقطة الشاشة (9-13) استخدام المذكرات الموجزة في برنامج إن فيفو

بدائل برامج تحليل البيانات الكيفية

إن لم:

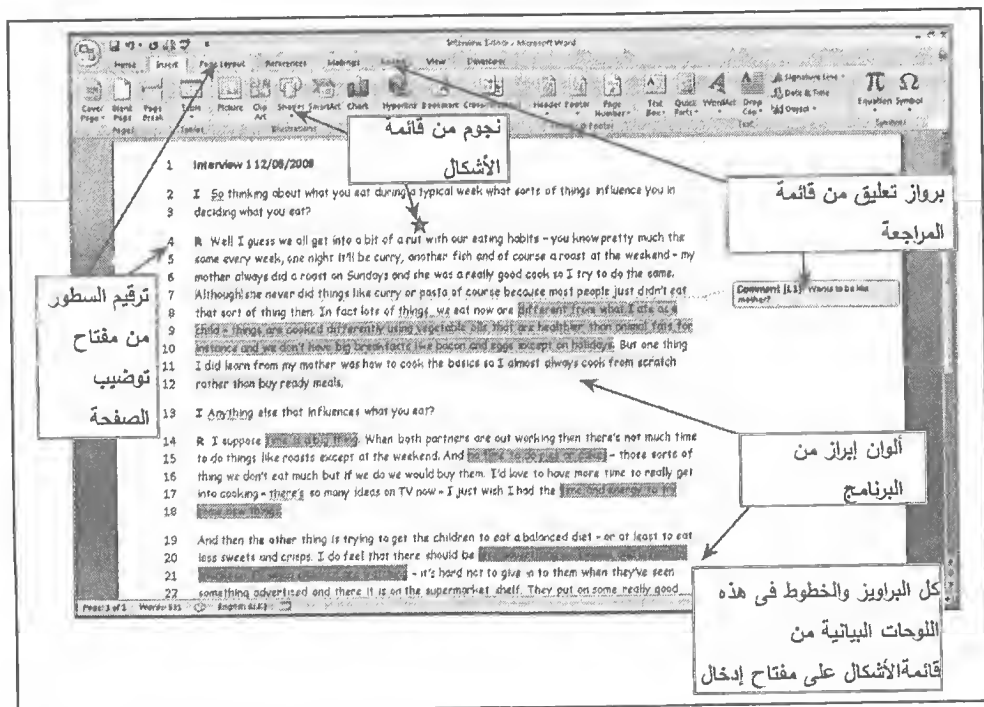
- يتوافر لك الوصول إلى حزمة لتحليل البيانات الكيفية...
- يتوافر لك الوقت لتعلم طريقة استخدام مثل هذه الحزمة...
- يتوافر لك عدد كبير من الحالات أو مقدار كبير من البيانات...

فقد يتعين عليك التفكير في الطريقة التي بها تستطيع استخدام إحدى الحزم؛ كحزمة مايكروسوفت ورد»، والتي تكون على دراية ومعرفة بها، وذلك لمساعدتك في إدارة عملية معالجة البيانات الكيفية.

باستعمال حزمة «مايكروسوفت» تستطيع:

- أن تنقل أو تلخص كل بياناتك المكتوبة.
- وأن تستعمل ما في هذه الحزمة من خاصية «أرقام السطور» في ترقيم كل سطور مادتك المكتوبة.
- وأن تنظم بياناتك بتقسيمها إلى نُتف من البيانات؛ باستخدام الوظيفة المسماة «جدول» Table وما توفره من أشكال.
- وأن تبرز أجزاء من النص المكوّد مستخدماً ما هو مختلف ألوانه من حروف الطباعة، أو الأشكال الطباعية الخاصة بإبراز النص، أو الرموز، أو أحجام الحروف.

- وأن تضيف الملاحظات أو المذكرات الموجزة مستعملا ما في هذه الحزمة من وظيفة إسمها: «التعليق» Comment.
- وأن تنشئ أشكالا بيانية مستخدما الوظيفة المسماة «جدول».
- وأن تقص تُنفّ البيانات المكودة وتلصقها معا داخل صفحة جديدة أو داخل لوحة بيانية.
- وأن تنتفع بالإمكانية المسماة «اعثر على» Find في العثور على الكلمات أو العبارات الموجودة في وثيقتك.
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «أشكال» Shapes في إنشاء العروض البيانية للروابط الموجودة بين الأكواد (انظر فصل 4 من هذا الباب ، على سبيل المثال).
- وأن تستخدم الإمكانية المسماة «التأشير» Book-marking للإشارة إلى بعض الملامح المميزة الموجودة في النص ، والإمكانية المسماة الإحالة Cross-reference لربط الفقرات الموجودة في أجزاء مختلفة من الوثيقة.



لقطة الشاشة (9-14) استخدام برنامج مايكروسوفت ورد في تسليط الضوء على إحدى المقابلات وتكويدها.

فكر فى هذا الموضوع

البيانات البصرية (أو المرئية)

معظم حزم البرامج التى تساعدك فى إنتاج صور فوتوغرافية أو لقطات مرئية (فيديوهات) مزودة فى داخلها بإمكانيات يمكن أن تكون مفيدة لباحث اجتماعى يشتغل بالبيانات البصرية الرقمية، بما فيها إمكانية أن :

- ترتب أو تنظم الصور الفوتوغرافية .
 - وتغير الألوان أو تضيف بعض المؤثرات إلى مقاطع صغيرة من إحدى الصور الفوتوغرافية .
 - وتقسم المادة الفيديوية إلى قطاعات صغيرة، وأن تضع لها بطاقات تمييز وأن تعيد تنظيمها .
 - وتلحق أو تضيف إحدى المذكرات الموجزة لصورة فوتوغرافية أو صورة فيديوية .
- كما أن بالإمكان إضافة بطاقات التمييز للصور الفوتوغرافية، وذلك كما فعلنا مع لقطات الشاشات التى فى هذا الفصل .

ستكون قدرتك على استعمال هذه المجموعة الكبيرة من الإمكانيات المتاحة على معظم حزم برامج معالجة الكلمات أمرا ذا قيمة عظيمة بالنسبة لك، ولا يقتصر ذلك على نطاق مشروعك البحثى الاجتماعى فقط، بل إنه سوف يشمل جوانب كثيرة من دراستك ومن حياتك اليومية. فلا أقل من أنك ستكون قادرا على استعمال هذه الإمكانيات فى عرض تقريرك البحثى ورسالتك العلمية (باب 5) وفى إنتاج التكاليف الدراسية الأخرى .

بحثك

✓	هل ينبغي أن تستعمل برامج الحاسب لمساعدتك فى تحليلك؟
	هل تستعمل حاسبا بصفة يومية؟
	هل تستعمل أيا من أنواع البرامج التالية بانتظام؟
	معالج كلمات، مثل ورد.
	الكشف المحاسبى، مثل إكسل.
	قاعدة البيانات، مثل أكسس.

هل أتاحت لك فرصة التعامل المنتظم مع أى واحد من أنماط البرامج التالية؟	برامج التحليل الإحصائى ، مثل : برنامج (SPSS) PASW الإحصائى ومينيتاب Minitab
	برامج تحليل البيانات الكيفية ، مثل إن فيفو ، إثنوجراف ، أطلس تى .
هل تعتبر نفسك مستخدماً كفواً للحاسب ؟	
هل تستمتع بالعمل على الحاسب ؟	
هل عندك وقت لتعلم كيفية استخدام البرامج الجديدة؟	

فكر فى بياناتك :

- ما أنماط البيانات التى سوف تعالجها ؟
 - ما القالب الذى تظهر فيه بياناتك — استبيانات ، نصوص منسوخة ، فيديو ، مذكرات ؟
 - كم عدد ما لديك من حالات البيانات (كالمقابلات ، والاستبيانات وما أشبه ذلك) ؟
 - ما نمط ومستوى التحليل الذى تخطط للقيام به ؟
- اقرأ عن تقنيات تحليل البيانات ذات الصلة (من فصل 3 إلى فصل 8 من هذا الباب)
واقراء هذا الفصل قبل أن تتخذ قرارك .

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bazeley, P. (2007) *Qualitative Data Analysis with NVivo*, 2nd edn, London: Sage.
- Bryman, A. and Cramer, D. (2008) *Quantitative Data Analysis with SPSS 14, 15, and 16: A Guide for Social Scientists*, London: Routledge.
- Field, A. (2009) *Discovering Statistics Using SPSS*, 3rd edn, London: Sage.
- Lewins, A. and Silver, C. (2007) *Using Software for Qualitative Data Analysis: A Step-by-Step Guide*, London: Sage.
- Lewins, A. and Silver, C. (2009) Choosing a CAQDAS package. University of Surrey, CAQDAS, available from <http://caqdas.soc.surrey.ac.uk/PDF/2009> (accessed 29 August 2009).
- Richards, L. (2005) *Handling Qualitative Data: A Practical Guide*, London: Sage.

الفصل العاشر

ثم ماذا بعد؟ استخلاص النتائج

محتويات الفصل

● محتويات الخاتمة.

عن السياق

أيما ما كان الفرع الذى تنتمى إليه من فروع العلم الاجتماعى أو أيما ما كان نمط المشروع الذى قمت بتنفيذه، فإن استخلاص النتائج من بحثك هو أهم جزء فى هذه العملية، كما يعد - من بعض النواحي - أصعب الأجزاء. إن كتابة خاتمة بحث أمر يزيد كثيرا عن مجرد تلخيص عملك ونتائجك، كما أنها خطوة حاسمة فى تأكيد أن عملك قد تم تنفيذه بجدية.

أشرنا فى الفصل (1) من هذا الباب، إلى أن التحليل هو العملية التى بها يتم وصف بياناتك، ومناقشتها، وتفسيرها، وتقييمها، وشرحها، وبها يتم الوصول إلى نتيجة ما. وحتى هذه اللحظة، فإنك ستكون قد قمت بالتعمق فى بياناتك بتفصيل دقيق، وناقشت وشرحت ما كان يحدث عندما كنت تجمع هذه البيانات، وسلطت الضوء على الأمور التى :

(أ) تعد لافتة للنظر، (ب) والتى تجيب على أسئلة بحثك. وفى هذا الفصل نأتى إلى الجزء النهائى من التحليل وهو: كتابة الخاتمة.

الهدف الإجمالى لأى خاتمة هو الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك، بجانب أنها تقدم تأملا نقديا لهذا المشروع البحثى وللإسهام الذى يضيفه إلى القضية التى تم بحثها واستقصاؤها. إذ لا بد أن تجيب خاتمة البحث على السؤال القائل : «ثم ماذا بعد؟» والذى من الراجح توجيهه بهدف تقييم عملك، ومن الراجح كذلك أن يشير إلى ما فى عملك من أوجه القوة وأوجه القصور، كما أنه قد يزودنا برؤية نقدية لدورك كباحث (انظر باب 5، وبخاصة فصل4).

فكر فى هذا الموضوع . . .

السؤال : « ثم ماذا بعد؟ »

تخيل أنك تقرأ عملاً للمرة الأولى ، وأن مهمتك هي أن تحكم على قيمته .

عندما تصل إلى النهاية ، وتكون قد فرغت من قراءة النتيجة ، ينبغي أن تسأل

نفسك : « ثم ماذا بعد؟ »

● ما الذى حققه هذا البحث؟

● هل أجاب على الأسئلة التى طرحها ليجيب عليها؟

● هل هو بحث «جيد»؟

● هل قصر هذا البحث فى الإجابة على بعض أسئلتك؟

المسألة ببساطة ، هى أنه يتعين عليك أن تكتب عما تعنيه النتائج التى انتهت إليها وعن مدى انطباقها على العالم الاجتماعى . وبوصفك دارساً ، يمكن للنتيجة التى تكتبها فى تقرير بحثك أن تكون أيضاً فرصة لإظهار أنك قد أدركت طبيعة البحث الاجتماعى ، كما يمكنها أن تبين مدى انطباق نتائجك على العالم الاجتماعى الكبير ، ومدى تأثيرها عليه .

فى كثير من الأحيان ، يبدو أن من العسير كتابة نتائج البحث ، وربما يرجع ذلك إلى شعورك بأنك قلت بالفعل كل شئ فى الفصل الخاص بالنتائج والفصل الخاص بمناقشة البيانات . ومع ذلك فإن هذين الفصلين لا يعدان نتائج ، بل مجرد خطوتين على هذا الطريق .

ويمكن القول - بصورة عامة - إن الخاتمة ينبغي أن تكون موجزة بقدر الإمكان (ولكن لا تختصرها إلى الحد الذى يتعذر عنده فهمها بوضوح) ، وذلك فى نفس الوقت الذى تستمر فيه فى أداء المهام الضرورية التى سبق أن بينها فيما سبق . ولعل أهم شئ هنا أن تتذكر أنه لا ينبغي أبداً أن تدخل مادة جديدة فى صلب الخاتمة التى تكتبها . وكقاعدة عامة ، فإن كل ما تناقشه هنا ينبغي أن يكون قد سبق ذكره قبل ذلك ، كما ينبغي أن تكون الاقتباسات المنقولة عن الآخرين والموجودة فى الخاتمة قليلة جداً ، إن لم تكن منعدمة . توصى بعض المصادر أن تختتم عملك بذكر قول مقبوس مناسب تنقله عن كاتب من الرواد فى مجالك : ونحن نشدد فى التوصية بعدم فعل ذلك ، على أساس أن هذا العمل هو عملك أنت وينبغي ألا يحتاج - فى هذه المرحلة - إلى الدعم من الآخرين . والأهم من كل هذا : ألم يكن ذاك هو الأمر الذى كانت تدور حوله مراجعة التراث المنشور عن الموضوع (فصل 2 باب 2) .

نحن نرى أنه يوجد شرك خطير يقع فيه كثير من الدارسين غير الحذرين . وهو ميلهم ، وهم يكتبون خاتمة البحث ، إلى التعميم انطلاقاً من نتائج غير قابلة للتعميم (انظر خصوصاً فصل 5 باب 2) . وهذا أمر يمكن فهمه ، فقد قمت بعمل شاق وطويل في مشروعك هذا وتريد أن تعظم من أهميته بالنسبة للعالم (وربما للشخص الذى يعطى الدرجات للتكليف الدراسى الذى تقوم به) . ولكن المعروف أن معظم مشروعات الطلاب تكون عيناتها صغيرة الحجم (فصل 5 باب 2) بحيث يكون من المحتمل ألا تعكس خواص هذه العينة الصغيرة خواص مجتمع البحث بصدق وأمانة . وهذه ، بطبيعة الأمر ، ليست مشكلة فى حد ذاتها ، فالصعوبات لا تظهر إلا عندما يفهم ضمناً أن النتائج التى تم التوصل إليها من خلال مقابلة خمسة من المدرسين الذين يعملون بمدارس وسط مدينة برمنجهام ، مثلاً ، قابلة للتعميم على كافة المعلمين الذين يعملون بمدارس المملكة المتحدة (وأنت ستكون قد أدركت فى هذه المرحلة من البحوث أنه ليس صحيحاً من نواح كثيرة القول بأن خبرات المدرسين الذين يعملون فى مدينة كبيرة متنوعة السكان تماثل خبرات المدرسين الذين يعملون ، مثلاً ، فى إحدى الجزر النائية^(*) . ومع ذلك ، فإننا نرى بالفعل أن من المهم مناقشة هذه القضايا فى خاتمة بحثك حتى يستطيع الباحثون فى المستقبل (وكذلك الشخص الذى يقوم بتقدير عملك) أن يتبينوا حقيقة ما أنجزته من عمل .

بحثك

الخاتمة

أمعن النظر فى السؤال الذى يقول: «ثم ماذا بعد؟» وفى خاتمة بحثك:

- ما الذى فعلته؟
- ما مدى جودته فى أداء مهمته؟
- ما الذى اكتشفت أنه :
- مهم؟
- جديد؟
- مماثل لما توصلت إليه نتائج البحوث الأخرى فى هذا المجال؟
- أضاف شيئاً إلى فهمنا للطريقة التى يعمل بها العالم الاجتماعى؟
- ما مدى احتمال أن ينتفع الآخرون بعملك أو أن يتوسعوا فيه؟

(*) وردت فى المتن الإشارة إلى جزيرة مول Mull إحدى جزر الهبرايدز Hebrides الواقعة فى المحيط الأطلنطى غربى اسكتلندا . (المترجم)

محتويات الخاتمة

ينبغي لمحتويات خاتمتك، بطبيعة الأمر، أن تعكس مشروع بحثك، كما أن كل خاتمة هي عمل فريد منقطع النظير. ومع ذلك، فإننا نقترح فيما يلي محتويات تقرير بحثي نموذجي أو محتويات خاتمة رسالة جامعية.

1 - لخص عملك: يعد هذا الجزء من خاتمة بحثك عاما تماما (البند رقم 3 فيما بعد أكثر تحديدا) كما ينبغي أن يكون موجزا قدر الإمكان. فكل ما عليك في الخاتمة هو أن تذكر القارئ بما سبق لك أن قمت به من عمل وبالطريقة التي أنجزته بها.

2 - ما الذي تعلمته؟ هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك؟

3 - من الطبيعي أن تقوم الخاتمة بتلخيص ما تعلمته من البحث، أو اكتشفته في أثناء قيامك به. فإن كنت تختبر فرضا، فسيكون محتملا أن تحاول تقييم مدى نجاحك في ذلك. تذكر أنه حتى لو لم يُكتشف شيء جديد في مشروعك، فإن ذلك يعد في نفس الوقت نتيجة بحث قيمة محتملة (فالأمر غير الموجودة قد تكون بنفس أهمية الأمور الموجودة!).

4 - ما أوجه القوة ونواحي الضعف في بحثك؟ بافتراض تكرار القيام بهذا المشروع، فما التغييرات التي كنت ستجريها؟ من حسن التصرف دائما أن يقوم الباحث بتقييم مشروعه ككل تقييما نقديا، وأن يناقش ما يخص هذا المشروع من أوجه قوة ونواحي ضعف. فقد يؤدي ذلك إلى الدخول في مناقشة عن الطريقة التي قد يتبعها الباحثون مستقبلا في إعادة تصميم وإعادة تعريف هذه العملية.

5 - ما فوائد بحثك؟ (هذا البند مرتبط بالنقطة التالية كذلك) هذه فكرة مفيدة أن تشير إلى ما (ومن) سينتفع بهذا البحث ولماذا؟

6 - ما الاقتراحات التي يمكن طرحها (بشأن التغييرات في السياسة أو الممارسة، مثلا)؟ فإن كان للبحث تطبيق عملي، فقد يحتاج الباحث إلى طرح بعض الاقتراحات الخاصة بالسياسات أو بالتطبيق مستقبلا. مثال ذلك، أنه إن كان هذا مشروعا بحثيا يتعمق في دراسة أوقات انتظار الركاب الجالسين في مكتب قطع التذاكر لركوب القطار، فقد تُطرح اقتراحات تدور حول نظام معدل للانتظار.

7 - ما الذي يجب عمله في المستقبل؟ يكاد يكون لكل المشروعات البحثية بعض الأسئلة التي تركتها بلا إجابة (أو قد تجيب، في الواقع، على أسئلة جديدة). لذلك تعد

الإشارة إلى الاتجاهات التى تسلكها البحوث التى قد تجرى فى المستقبل عملا مفيدا للباحثين الآخرين ، كما أنها تدل على أنك أصبحت قادرا على التفكير وراء نطاق الحد النهائى الواضح لمشروع بحثى معين (انظر فصل 4 باب 5).

8 - التأمل النقدي فى المشروع البحثى ككل : رغم أن بعض هذا التأمل قد مورس فى البند رقم 3 أعلاه ، فلا يزال من المفيد تقييم إجمالى المشروع وأن تمعن النظر فى الأمور التى تحققت بشكل جيد وفى تلك الأمور التى تحققت بشكل أقل جودة . ويمكن لهذا التأمل النقدي أيضا أن يكون هو المجال الذى فيه تمعن النظر فى بعض الأسئلة الأوسع نطاقا ، مثال ذلك : أيمكنك أن تستخرج أحكاما عامة من عملك هذا؟ هل يمكن أن تحصل على نتائج مطابقة (أو مشابهة) فى منطقة جغرافية مختلفة؟ هل كان الوصول إلى المعلومات والبيانات عسيرا أم يسيرا؟

9 - التأمل الشخصى : (ليس هذا على الدوام أمر سليما ، إلا أنه يمكن أن يكون مفيدا فى بعض المواقف ، كالتأمل ، مثلا ، فى الأثر الذى تكون قد أحدثته كفرد ذى صفات خاصة على البحث). يناقش كثير من الباحثين الاجتماعيين تأملاتهم الشخصية فى المشروعات التى يضطلعون بها . وقد يتخذ هذا الأمر أشكالا كثيرة ، كما قد لا يكون مناسباً لكل الظروف . تشتمل الأسئلة المشتركة التى يتعين على الباحث أن يأخذها فى اعتباره ما يلى :

(أ) ما الأثر الذى أحدثه كشخص ذى شخصية مميزة على هذا البحث؟

(ب) ماذا كانت خبراتى الشخصية كباحث وما الذى تعلمته منها؟

(ج) ماذا كانت إحساساتى وأنا أنفذ هذا المشروع ، وإلى أى مدى قد يؤثر ذلك على الطريقة التى أقيم بها النتائج؟

كما قلنا قبل ذلك ، لا توجد صيغة واحدة لكتابة نتائج البحث . والواقع أن نقطة نهاية كل مشروع بحثى تتسم دائما بأنها فردية ولا نظير لها . فإن من شأن بعض جوانب البحث أن تكون مهمة فى بعض الظروف المختلفة ، ويتوقف ذلك ، عادة ، على نوع قضايا البحث أو أسئلته التى تجرى معالجتها . وأيا ما كان الأمر ، فإنك إن استحضرت فى ذهنك تلك النقاط التى ذكرناها قبل ذلك واستعملت قائمة المراجعة المبينة أدناه ، فبإمكانك أن تكون واثقا من أن نتائجك ستشتمل على كل المعلومات المناسبة (انظر الباب الخامس).

بحثك

قائمة مراجعة الخاتمة

✓	هل أجبت على السؤال القائل « ثم ماذا بعد؟ »
✓	هل أجبت على سؤال (أو أسئلة) بحثك / أو بينت أنك قد اختبرت فرضك؟
✓	هل ذكرت ما تعلمته من مشروعك؟
✓	هل شرحت نتائجك وطريقة تفكيرك واستدلالك؟
✓	هل شرحت كيف يساهم مشروعك في إثراء المعرفة / أو الفهم الأكاديمي؟
✓	هل ناقشت أوجه القوة ونقاط الضعف؟
✓	هل ناقشت كيف تؤثر نتائجك على العالم الاجتماعي؟
✓	هل ذكرت فوائد بحثك (أو التي يمكن الاستفادة بها في رسم السياسة وفي التطبيق العملي مثلاً)؟
✓	هل فكرت في البحوث المستقبلية (باب ٥، فصل ٤)؟
✓	هل تأملت مدى نجاح مشروعك بطريقة نقدية؟
✓	هل تأملت في دورك كباحث؟
✓	هل فسرت أسباب وجود نتائج غير متوقعة؟
✓	هل فكرت فيمن سيقراون نتيجة بحثك (الباب الخامس)؟
✓	هل أدرجت معلومات جديدة في هذه الخاتمة؟
✓	هل أصدرت أحكاماً عامة بطريقة غير مناسبة؟

لا يمكن لقائمة المراجعة هذه، والمقدمة كمثال، أن تدخل في حسابها جميع المتغيرات التي قد تكون موجودة في مشروع بحثك. ومع هذا، فإن استطعت أن تعلم بعلامة «صح» أو بعلامة «خطأ» أمام سائر الصناديق المناسبة، فمن المحتمل حينئذ أن تكون في وضع جيد لكتابة خاتمة بحثك.

الباب الخامس

عرض البيانات والتقارير

الفصل الأول : أهمية الجمهور المتلقى للبحث .

الفصل الثاني : كتابة البحث : التقارير والرسائل العلمية .

الفصل الثالث : عرض البيانات .

الفصل الرابع : النشر والبحوث المستقبلية .

الفصل الأول

أهمية الجمهور المتلقى للبحث

محتويات الفصل

- الجمهور والوضوح .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

على امتداد هذا الباب ، وهو أقصر أبواب الكتاب ، نحاول جاهدين تزويدك بالأدوات المطلوبة لاستيفاء مهمة بحثك ، إذ لا يكفي أن تنفذ بحثاً جيداً فحسب . بل حتى لا يكفي أن تكتشف شيئاً جديداً تماماً أو تفسر أمراً لم يكن مفهوماً قبل ذلك . وسبب هذا واضح: إذ يتوجب عليك أن تعرف العالم ببحثك . وعلى امتداد هذا الباب الخامس سنناقش كلا من قضية «كيف تكتب موضوعاً عن عملك» ، وقضية «لماذا تكتب» ، كما نناقش ما قد يكون أشد أهمية من ذلك ، وهي قضية : «لمن تكتب هذا الكلام»؟

ورغم أنه من الواضح أن محتوى عملك هو العنصر الأكثر أهمية ، فمن الضروري أيضاً أن تفكر في الطريقة التي ستبعتها في تقديمه للناس . وبنقاش هذا الباب المختصر ما يتعلق بأهمية «جمهورك» ويقدم بعض الأمثلة البسيطة . نبدأ بأهمية الجمهور ، ثم نواصل النقاش بالتعرض لاستراتيجيات كتابة البحث ، وعرض البيانات ، وأخيراً لنشر بحثك .

إن عرض بياناتك ، وكتابة تقريرك ، أو إعداد رسالتك الجامعية هو الخطوة الأخيرة في مشروعك البحثي . فقد بلغت المرحلة التي فيها يتم اختتام عملك كله و«نشره» (قد يكون ذلك من أجل إنجاز رسالتك العلمية للتخرج ، ولكن العملية تظل هي نفسها بصرف النظر عن المستوى العلمي الجامعي الذي تعمل فيه) . لهذا ، فإن من الأهمية أن تفكر في سبب كون هذه المرحلة من البحث مهمة للغاية .

إن لم تعرّف العالم، فواضح إذن أن عملك سيظل مجهولا. وقد حدث ذلك تقريبا لتشارلز داروين ونظريته عن التطور (انظر المثال 1-1). كما حدثت وقائع مماثلة أحدث، من أمثلتها نشر «التقرير الأسود عن المظالم في مجال الصحة» في سنة 1980 (انظر برواز «فكر في هذا الموضوع...» فيما يلي). تصور مدى ما قد يكون عليه عالمك من اختلاف لو أن بحثك لم ينشر.

من المهم، إذن، أن تكتب عملك في صورته النهائية وأن «تنشره» (فإن كنت طالبا فقد يكون مهما جدا لمستقبلك أن تستوفي تكليفاتك الدراسية وتقدمها لأستاذك). وسوف نتناول عملية الكتابة في الفصل 2 من هذا الباب، ولكننا هنا نحاول أن نطرح مسألة خاصة التي مفادها أن «الجمهور مهم».

إننا لا نبالغ في تأكيد أهمية منظور الجمهور. فهم الأفراد الذين سيحكمون على قيمة عملك (وقد يكونون الأفراد الذين يتحكمون في مستقبلك!). اعرف جمهورك؛ وحاول أن تكتشف كيف يفكرون، وكيف ينظرون إلى موضوع بحثك، وما خبرتهم المتعلقة بالقضايا ذات الصلة وكيف سيستجيبون على الأرجح. فإن استطعت وقتها أن تأخذ كل هذه الجوانب في الاعتبار عند كتابتك، فسوف تتفادى الوثائق المزعجة ذات اللغة الطنانة التي ربما يكون بعضها معتادا عليها.

إن التركيز على احتياجات قراء بحثك واتجاهاتهم لن يساعدك فقط في إيضاح ما تبحثه من نقاط، بل سيمكنك أيضا من أن تفهم مادتك فهما أفضل؛ فلا توجد طريقة لتفهم عملك الشخصي أفضل من أن تحاول جعله مفهوما للآخرين.

المثال (1-1)

تشارلز داروين وكتابه «عن أصل الأنواع» الخلفية

قام تشارلز داروين ببحوثه الميدانية عن التطور بين سنة 1831 وسنة 1836 في رحلته البحثية الثانية على السفينة الملكية بيجل Beagle، وهي الرحلة التي اشتملت على الجزء الأكبر من ساحل أمريكا الجنوبية، وجزائر الفوكلاند وجزائر جالاباجوس. واستكمل بحثه النظري عن التطور في سنة 1845 تقريبا وكتب مسودة الكتاب النهائي في نفس الوقت تقريبا. ومع ذلك فإن الكتاب لم ينشر إلا سنة 1859.

لماذا إذن أمضى داروين 28 سنة من غير أن يعرف العالم باكتشافاته؟

اتضح أن السبب الرئيسي كان يرجع إلى أن نفوذ الكنيسة المسيحية في بريطانيا في ذلك الزمن كان قويا جدا، وأنه كان من الخطورة أن ينظر إلى نظرية كنظرية داروين على أنها تحد للنظام الاجتماعي، وعلى أنها هرطقة بسبب ما فيها من إنكار دور الإله كمقدر وخالق.

إذا لما نشر الكتاب أصلا؟

الواقع أن داروين كان يرغب في الحصول على الاعتراف بعمله. فقد أصبح على وعى بأن علماء آخرين كانوا يعملون بأفكار مماثلة (خاصة ألفرد والاس الذي كان يعمل في جزيرة بورنيو بأرخبيل الملايو، جنوب شرق آسيا) كما كان داروين يتعرض لخطر ألا يحصل على الاعتراف بأنه صاحب السبق العلمي الأصلي.

وهكذا، نشر الكتاب - فما القضية في هذه القصة؟

القضية الأولى واضحة:

● لو أن داروين لم ينشر عمله، لما كنا علمنا شيئا عن النظريات التطورية ما لم يقيم شخص آخر بنفس الاكتشاف.

القضية الثانية أشد صعوبة:

● كتب داروين كتابه لتقرأه «الجهات العلمية» المسئولة آنذاك - أى مشاهير علماء ذلك العصر. فالكتاب لم يلق الترحيب من الجميع (خاصة العلماء ذوى الآراء المختلفة وذى الخبرة البحثية الضئيلة). كما أن الكتاب، وبسعره الأصلي الذى كان يساوى 15 شلنًا (أى: 0.75 يورو)، كان فوق قدرة معظم الناس على شرائه. وقد وردت تقارير عن أفراد من الطبقة العمالية جمعوا من بعضهم مالا ليشتروا نسخًا من الكتاب. وقد استاء داروين حينئذ من ارتفاع سعر الكتاب، ولكنه تمكن فى نهاية الأمر، من خفض سعر الطبعة السادسة الأكثر تنقيحًا إلى 7 شلنات و6 بنسات (أى: 0.38 يورو) مما جعله فى متناول أكثر السكان. ونتيجة لذلك، تم نشر هذه المعلومات على نطاق واسع، وبدأ الناس العاديون فى التعبير عن رأيهم والإعراب عن تقبلهم لهذه النظرية.

وهكذا يتبين أن القضية المحورية تنصب على اختيار «الجمهور». اختار داروين أن يجرى تعديلات كثيرة على الطبعة السادسة مما أدى إلى جعلها مفهومة بدرجة أكبر عند الناس. وبإضافة هذه الميزة إلى ميزة سعرها الرخيص، استطاع عدد أكبر من الأفراد أن يصبحوا على دراية وعلم بهذا العمل.

فكر فى هذا الموضوع . . .

التقرير الأسود

كان «التقرير الأسود» (تاونسند ودافيدسون ، 1982) قد صدر تكليف بإعداده من قبل حكومة حزب العمال فى سنة 1977 ، إلا أنه لم يعلن رسميا حتى شهر أبريل 1980 عندما كانت إحدى حكومات حزب المحافظين فى سدة الحكم . لم تلق النتائج التى انتهى إليها التقرير ترحيبا من أعضاء حزب المحافظين . كان هذا التقرير مشروعا بحثيا كبيرا يتعمق فى بحث مظاهر وآثار عدم المساواة فى مجال الصحة ، فقد كان من شأن نشر مثل هذا التقرير ، فى العادة ، أن يكتسب قدرا كبيرا من الشهرة والذويوع ، وأن يترتب عليه ظهور كتابات محررة لمشاعر الناس . وإزاء هذه الحالة لم يؤذن إلا بنشر 260 نسخة مصورة من الأصل المكتوب بالآلة الكاتبة ، وذلك فى ليلة عطلة البنوك فى شهر أغسطس ، وهو ما يحتمل أن يكون محاولة (من حكومة المحافظين) للتأكد من أن التقرير لن ينتشر إلا فى أضيق نطاق ممكن .

فى نهاية الأمر ، اتخذ المؤلفان الإجراءات لنشر التقرير فى سنة 1982 من قبل دار نشر بنجوين . لا يزال التقرير يبيع نسخا كثيرة سنويا لمدة 30 عاما تقريبا بعد صدوره ، كما أثر تأثيرا كبيرا على عملية إعادة تنظيم وزارة الصحة البريطانية .

1 - ما - فى رأيك - سبب اختيار حكومة المحافظين لمثل هذه الطريقة المتسمة بالتقيد الواضح فى نشر هذا التقرير المهم؟

2 - ما - فى رأيك - سبب اختيار المؤلفين لدار نشر متخصصة فى إصدار الكتب الشعبية ذات الطبعات الرخيصة؟

3 - كيف أثرت فكرة «الجمهور» على هذين القرارين؟

الجمهور والوضوح

لهذه الأسباب يكون من المهم جدا أن نقدم لجمهورنا شيئا يمكن أن يفهمه . وعلينا أن نتأكد إلى حد ما (وبدون أن نكون متفضلين بالإحسان على جمهورنا) من أننا كتبنا شيئا بلغة يفهمونها ، وله بنية واضحة وجلية (وهو الشيء الذى سنقوم ، فى العادة ، بشرحه فى مقدمتنا وبتزويده «بلافتات إرشادية» على امتداد النص من أوله لآخره حتى يعرف القارئ - أو المستمع - أين هو من الموضوع) وأن هذا العمل له معنى واضح .

إن فكرة «الوضوح» هذه فكرة مهمة كما أنها دليل جيد يوجه أسلوبنا. فلا بد للمعنى الذى يحمله عملنا أن يكون واضحاً لجمهورنا، وهذا يعنى أننا لا بد أن نقدر جمهورنا تقديراً سليماً فيما يتصل بما لهم من:

● مستوى قرائى: لذلك جعلنا اللغة الإنجليزية التى نكتب بها فى المستوى الذى يفهمونه - فقد سبق لمعظم القراء أن عانوا من ذلك الإحساس المزعج بالكتابة «البارعة» التى يتوجب فيها على القارئ أن يضع القاموس فى متناول يده فى أثناء محاولته لفهم الاستعمال المألوف أو البالغ التعقيد للكلمات.

● افتراض المعرفة السابقة لدى الجمهور: لذلك قمنا بشرح كل شىء يتعين علينا شرحه، إلا أننا سلمنا بتوفر مستوى أساسى للفهم لدى القارئ. وتتضمن هذه الفكرة المتعلقة بالمعرفة السابقة أيضاً مسألة: ما إذا كنا نضمن ما نكتبه صوراً وأشكالاً بيانية أو أعمدة لعرض البيانات الرقمية أم لا (ويتوقف هذا الأمر على مجال موضوع البحث أيضاً)، ومسألة: ما إذا كانت الصور - مثلاً - تحسّن مستوى النص الذى نقدمه أم لا.

إن الوضوح أمر مهم. فإن كان عملنا غير واضح، حينئذ سيصاب قارئنا بالضجر سريعاً. وهذا الوضع له نتيجتان هامتان، خاصة فيما يتصل بالعمل المكتوب، وهما:

1 - إن كان جمهورنا يقرؤون طلباً للمتعة أو يحاولون الحصول على معلومات، فسوف يتوقفون عن القراءة فى هذه الحالة.

2 - إن كان جمهورنا يقوم، فوق ذلك، بالحكم على عملنا (كما هو الحال غالباً فى مجال التعليم)، فمن المستبعد حينئذ أن يحصل العمل غير الواضح على درجات مرتفعة.

ولا شك أن هذا الوضوح يمكن أن ينسحب على ما هو أكثر من مجرد الكلمة المكتوبة والمنطوقة (فصل 3 باب 5). كما أن اختيارك لطرق عرض البيانات الأخرى ينبغى أيضاً، أن يكون قائماً على معرفتك بهذا الجمهور.

بحثك

الجمهور

قبل أن تبدأ كتابة تقرير بحثك، أو تحضير ملصق (عرض مختلف جوانب بحثك) أو كتابة رسالتك العلمية، اسأل نفسك بعض الأسئلة القليلة:

● ماذا أعرف عن جمهورى؟

- ماذا يعرفون هم عن موضوع بحثي؟
- هل لديهم الخبرة المباشرة بهذه القضايا؟
- ما تصوري لما قد تكون عليه استجاباتهم لنتائج بحثي/ أو لخاتمته؟
- هل أرى أنهم سيفهمون الكلمات / أو الرسوم البيانية المعقدة؟ (ربما يفضلون قراءة موجز للبيانات أكثر من قراءتهم لصفحات من الأرقام؟)
- أمن المحتمل أن يفضلوا الرسوم البيانية على الكلمات؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Crosswaite, C. and Curtice, L. (1994) *Disseminating Research Results: The Challenge of Bridging the Gap between Health Research and Health Action*, Oxford University Press.
- Marriott, S. and Palmer, C. (2000) Disseminating healthcare information: getting the message across, *Quality in Health Care*, 9: 58-62.
- Townsend, P. and Davidson, N. (1982) *Inequalities in Health: The Black Report*, Harmondsworth: Penguin.

الفصل الثانى

كتابة البحث:

التقارير والرسائل العلمية

محتويات الفصل

- لماذا نكتب؟
- ما الذى تفعله الكتابة؟
- عملية الكتابة.
- التخطيط والبنية.
- بعض «قواعد» الكتابة.
- حدود الكلمات.
- كتابة المسودة.
- عندما تكون الكتابة عسيرة.
- التقارير.
- الرسائل العلمية الجامعية.
- تحذير أخير: الانتحال.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يتناول هذا الفصل عملية كتابة البحث . وهو موجه لطلاب الدراسات العليا ، كما أن هدفه الرئيسى هو مناقشة كيف تختلف كتابة البحث عن غيرها من أنشطة الدارس وكيفية مباشرتها على أفضل وجه . ينبغي أن تقرأ هذا الفصل مع فصل (1) و (3) من هذا الباب ، وذلك لأن بعض قضاياها متشابهة .

إننا لا ننوى أن نقول لك هنا كيف نكتب «مقالات» ، رغم أنه توجد بعض المعلومات المفيدة التى يمكن أن تساعدك فى هذا الصدد ، وذلك لأن من شأن هذه المحاولة أن تستغرق كتابا بأكمله . ولهذا يقتصر هذا الفصل على الحديث حول قيامك بالكتابة النهائية لمشروعك البحثى فى صورة تقرير ، أو مقال مطول أو رسالة علمية جامعية . (توجد بعض الكتب المفيدة فى مجال الكتابة الأكاديمية «العامة» أدرجناها ضمن قائمة المراجع فى نهاية هذا الفصل) .

نرجو أن ينجح هذا الفصل فى توضيح حقيقة أنه يوجد اختلاف بين «التقرير» و«الرسالة الجامعية» . ويتعين عليك أن تتذكر أنهما ليسا شيئا واحدا ، حتى بالرغم من أنهما قد يبدو متشابهين .

إذا قرأت هذا الفصل كما لو كان فصلا فى رواية طويلة ، فستجد أنه يتسم بدرجة طفيفة من التكرار ، ونحن نرى أن أفضل طريقة لفهمه هى أن تقرأ الفقرة التى تتناول المهمة التى تقوم بأدائها وأن تتابع الروابط التى تصلك بأى شئ آخر تحتاج إليه .

لماذا نكتب؟

إننا نكتب لأسباب مختلفة . والهدف الأساسى للكتابة هو الاتصال ، كما أن الكتابة فى مجال التعليم العالى ، تتسم بشكل تخصصى من أشكال الاتصال يحقق بعض الأهداف التخصصية . وهذه هى أهم هذه الأهداف :

- اقتسام المعلومات وتبادلها: وهو الهدف الأساسى للاتصال .
- قياس التقدم : يستخدم معلومك المادة التى تكتبها فى الحكم على مدى التقدم الذى تحققه فى مجال محدد .
- تحسين مستوى فهمك وقدرتك على التعبير : الكتابة عملية تعلم تحتك على التعبير عن الأفكار والمفاهيم بكلماتك الشخصية .
- التقدير : يتم تقدير مقالاتك وتقدير ما سواها من عملك المكتوب من جانب أعضاء هيئة التدريس ، بهدف النظر فيما إذا كانت ترقى بك للنجاح فى مقرر دراسى معين .

ما الذى تفعله الكتابة؟

الكتابة شكل متخصص من أشكال الاتصال . والمقصود من هذا الشكل التأكد من أن شخصا آخر (يفهم «الكود» الأساسى الذى نستعمله - أى : لغتنا التى نكتب بها) يستطيع أن يفهم ما نريد أن نخبره به . للكتابة بعض السمات المهمة :

- فهي ثابتة : أى إنه بمجرد استكمال الكتابة وخروجها من يدى المؤلف ، يصبح من غير الممكن تغييرها .
- وهى باقية نسبيا : وهذا معناه أن القارئ يستطيع أن يراجع المحتوى فى أكثر من مناسبة .
- ومع ذلك ، فإنها بعيدة عن المؤلف : فلا يستطيع القارئ أن يطرح أسئلة إن صادفه شيء غير واضح .
- تتيح الكتابة للكاتب إدراج المعلومات التى لا يمكن إدراجها دائما بطرق عرض أخرى (مثال ذلك ، أنك تستطيع إدراج الجداول ، والأشكال البيانية ، والصور ، والمراجع) .
- من الممكن للعمل المكتوب أن يكون ذا طبيعة ثقافية خاصة : فحتى لو استطاع شخص ما أن يفهم لغتك ، فإن هذا لا يعنى أنه يتقبل رؤيتك وتصورك للطريقة التى يسير عليها العالم .

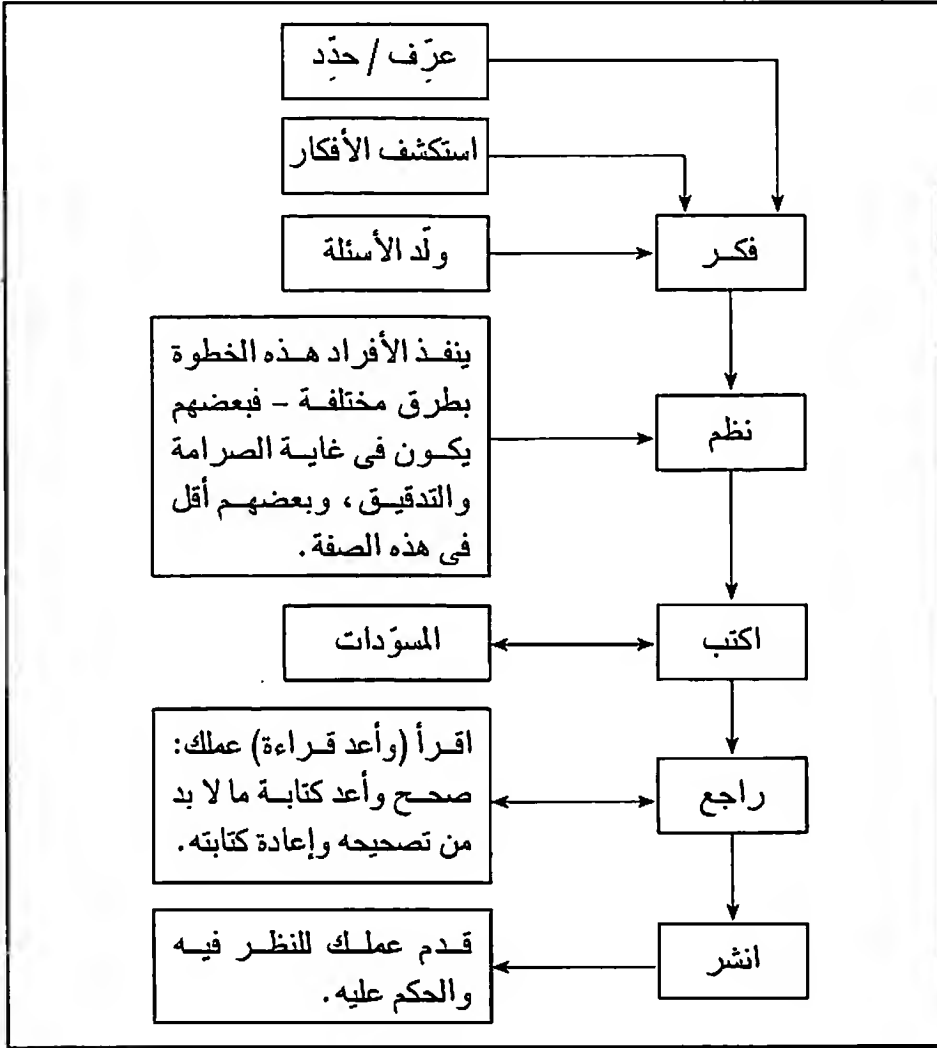
عملية الكتابة

عادة ما تكون الكتابة الأكاديمية عملية معقدة تضم عددا من الأبعاد المختلفة . فمن النادر أن تجلس إلى حاسبك وتكتب تقريرك أو تكتب وثيقة أخرى دفعة واحدة . ثمة أسباب كثيرة لهذا الوضع تتوقف على طبيعة مشروعك ، وقد حاولنا بسطها على نحو منظم فى موضع لاحق .

التخطيط والبنية

تبدأ الكتابة الأكاديمية كلها بنفس الشيء : التخطيط . ونحن لا نبالغ أبداً فى التأكيد على مدى أهمية التخطيط . فكل إنسان يعمل فى مجال التعليم ، ممن يضعون تقديرات لأعمال الطلبة ، سوف يعرف متعة قراءة وثيقة خطتها كاتبها ، وسوف يعرف الغم والكرب من قراءته لو وثيقة كتبت بدون تخطيط .

يؤدى التخطيط عددا من الوظائف المختلفة : مثال ذلك أنه يدلك على ما تعرفه عن الموضوع (ويدلك ضمنا على ما لا تعرفه) . وقد يبين لك مثلا ، مدى اكتمال مراجعتك للكتابات السابقة ، أو يبين لك ما إذا كان بحثك قد نجح فى توليد المعلومات التى تحتاج إليها لتصل إلى نتيجة معينة ، أم لا .



الشكل رقم (1-2) : عملية الكتابة

والمعتاد أن يخطط كل امرئ بطريقة مختلفة عن غيره؛ لذلك لم نحاول أن نحدد لك الطريقة التي ينبغي أن ينفذ بها التخطيط (فلا بد أن تقرر أنت الطريقة التي تحقق لك أفضل النتائج، بيد أننا حاولنا أن نقدم بعض الاقتراحات ونوضح الأمور التي تمثل عناصر أساسية لمعظم الخطط.

تقوم الخطة - فى جوهرها - على محاولة الكشف عن هدف التقرير وتقسيمه إلى مجالات مختلفة . وقد تبدأ خطتك بالتنويه إلى أن عمالك يشتمل على ثلاثة أقسام رئيسية: المقدمة، والمادة الأساسية للدراسة، والخاتمة . والحق أن هذا التقسيم يمثل تبسيطا مفرطا لمعظم الكتابات البحثية، كما أن من الأرجح والأنسب كثيرا أن تكون خطتك مفصلة تماما، كما ينبغي أن تتضمن قائمة برؤوس الموضوعات على النحو التالى:

- المقدمة .

- استعراض التراث العلمى المنشور عن الموضوع .

- منهج البحث .

- النتائج .

- المناقشة .

- الخاتمة .

- الملاحق .

- المراجع .

- الجدول الزمنى الشخصى (فى حالة احتياجك إليه ، وذلك حتى تستطيع أن تظل «ماضيا على الطريق السليم»).

بعد تفصيل عملية التخطيط لتقرير البحث أمرا شبيها جدا بالتخطيط لأى مقال علمى، بحيث إنه ينبغي عليك أن تستوثق من أن خطتك تمدك بتفاصيل كافية لكتابة العمل النهائى، وأنت لا تنسى الأمور الواضحة الأهمية، من قبيل العناصر التالية:

- هل فكرت فى جمهورك؟

- هل لبحثك مقدمة مناسبة وخاتمة مناسبة؟

- هل أوضحت بجلاء ما قمت بإنجازه من عمل؟

- هل عرفت المصطلحات الأساسية؟

- هل أدرجت لافتات (أو : علامات إرشادية) للإشارة إلى ما هو موجود فى الأقسام المختلفة؟

- هل جاء استعراضك للتراث العلمى شاملا بما فيه الكفاية وذا طابع نقدى (انظر فصل 2 باب 2)؟

- هل أرسيت خطأ فكريا محددا؟ وهل تتسم وجهة نظرك بأساس منطقى؟

- هل ضمنت تقريرك قدرا كافيا من المعلومات؟

بعض قواعد الكتابة

بالرغم من أن هذا الفصل ليس مقصورا على تقنية الكتابة فحسب، فإننا نرى أنه توجد بعض الأمور التي يتوجب التأكيد عليها لأنها مهمة من جوانب مختلفة. وهذه الأمور، إذا نفذت بصورة جيدة، تجعل قراءة تقرير البحث أو الرسالة العلمية شيئا ممتعاً، وإذا نفذت بصورة رديئة، فإنها تحط من شأن العمل وتجعل من العسير قراءته.

قواعد اللغة (النحو الصرف)

ينبغي أن نهدف للكتابة بشكل يتفق مع قواعد اللغة (انظر قائمة المصطلحات) وأن نستعمل أدوات الترقيم السليمة. لن تقدم لك هذه الفقرة درسا تعليميا عن استعمال علامات الترقيم(*) السليمة. ولن تقدم لك هذه الفقرة درسا تعليميا عن استعمال علامات الترقيم أو البناء السليم للجملة لأن هذه أمور تحتاج إلى كتب بأكملها. ويجد القارئ عددا من الكتب مذكورة في قائمة المراجع والقراءات الإضافية الموجودة في آخر الفصل، والتي تتناول هذه الأمور بشكل ممتاز، ومعظمها ليست مملة — وبعضها مما يسر المرء قراءتها فعلا! ومع ذلك، فإننا نحتاج — بالفعل — لأن نبين عددا قليلا من الأمور التي تعد مهمة في كتابة البحث. وقد أسمينا هذه الأمور «قواعد»، ولكننا لا نعني في الواقع أنها ليست مرنة وأنه لا بد من تطبيقها دائما بطريقة محددة؛ وربما كان الأفضل تسميتها «إرشادات» (انظر أدناه).

استعمال اللغة

اختيار الكلمات

يتوجب عليك أن تتخير الكلمات التي تستعملها بعناية. وبالتحديد، لا تستعمل كلمات طويلة لجرد أنها طويلة — فاستعمالك لها لا يجعلك تبدو بارعا ويمكن أن يفضى بك إلى معاناة المصاعب. فالأساس هنا الالتزام بنوع من أنواع رعاية التوازن اللفظي: إذ يتوجب عليك أن تستعمل مفردات اللغة الملائمة والمصطلحات الفنية الصحيحة التي تناسب موضوعك، إلا أنه لا بد من أن تناضل كي لا تشوش فكر قارئك (أو فكرك أنت) بلا ضرورة.

وبنفس الطريقة ينبغي عليك ألا تستعمل «الرطانة» Jargon، وهو المصطلح الذي يعرفه قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية بأسلوب رائع بأنه مصطلح:

«ينطبق، بشكل يشي بالازدراء، على أي نمط من أنماط الكلام التي تشيع فيها الألفاظ غير المألوفة، أو الألفاظ المقصورة على مجموعة معينة من الأشخاص، وذلك

(*) أى استعمال النقط والفواصل... إلخ لتوضيح المعنى. (المترجم)

كلغة العلماء أو الفلاسفة، أو هي المصطلحات الفنية لعلم ما أو لفن ما، أو هي اللفظة أو اللغة الخاصة لطبقة، أو طائفة، أو حرفة أو مهنة معينة». (قاموس أكسفورد للإنجليزية).

كما يحسن ألا تستخدم المصطلحات الفنية التي لن تكون مفهومة عند قرائك.

ينبغي عليك أيضا أن تتجنب، إلى حد ما، استخدام الاختصارات. والأسلوب الصحيح - من الناحية الفنية - أن تعرف هذه الاختصارات في المرة الأولى لاستعمالها في وثيقة ما، ثم استعمل الاختصارات بعد ذلك، فمثلا «وزارة الصحة» National Health Service تختصر إلى NHS، ولكن إن لم تكن حذرا فإن بالإمكان أن تكون النتيجة النهائية صفحة مليئة بالألغاز لدرجة تستعصى على الفهم. وبالمثل، فإنه ينبغي تفادي أن تكون الجمل والعبارات طويلة إلى حد الإملال، أو أن تكون ذات وقع طنان.

المفروض عادة ألا يمثل استعمال الرموز (والتي منها مثلا: £، €، %) أية مشكلة. فالقضية هنا، كما هو عليه الأمر في أغلب الأحيان، أن يكون هذا الاستعمال متسقا وثابتا، على مبدأ واحد من حيث دلالة كل رمز على معنى واحد على الدوام.

الأعداد

يمكن لاستعمال الأعداد في الكتابة الأكاديمية أن يسبب شيئا من الارتباك؛ إذ يحبذ بعض العلماء الثقة استعمال الأرقام (أى: 1، 2، 3، إلى آخره) لكل الأعداد ما لم يكن العدد هو الكلمة الأولى في الجملة. بينما ينصح آخرون باستعمال الكلمات(*) عندما يكون العدد أقل من 10 واستعمال الأرقام بعد ذلك؛ ومع هذا يفضل علماء آخرون استعمال الكلمات (أو الأرقام) في سائر الأوقات. ونحن نقترح أن:

1 - نتحقق من أنه لا توجد قواعد خاصة يتعين اتباعها في العمل الذي نقوم به - فإن كان له قواعده فالتزم بها.

2 - تختار نظاما ثابتا تميل أنت إليه، ثم تلتزم به التزاما تاما.

التهجى (الرسم الإملائي للكلمات)

في أيامنا هذه التي يتم فيها تزويد الحاسبات ببرامج لمراجعة تهجئة الكلمات، قد تتصور أن الأخطاء الإملائية أصبحت من الأمور التي عفا عليها الزمن. مما يؤسف له، أن ذلك ليس صحيحا. ومع ذلك، فإن هذا معناه بالفعل أن الأخطاء الإملائية التي تظهر في بحث مكتوب نفذ باستعمال برنامج لمعالجة الكلمات أصبحت أمرا غير مقبول تماما، لأن هذا يعنى (أو كما سيفترض ذلك كثير ممن سيقومون هذا البحث على الأقل) يعنى أنك ربما لم تكلف نفسك عناء الاهتمام بمراجعة عملك (انظر الفقرة الخاصة بكتابة المسودات أدناه).

(*) أى واحد، اثنان، ثلاثة... إلخ. (المترجم)

من الفخاخ الشائع الخفية التي يقع فيها الكاتب أن برامج المراجعة الإملائية لا يمكنها - بالطبع - أن تكتشف إذا كنت استعملت الكلمة الخطأ أم لا ، وذلك بشرط أن تكون تلك الكلمة(*) مكتوبة بصورة صحيحة إملائية . هذا الأمر يقودنا أيضا إلى إلقاء نظرة مختصرة على الكلمات التي تنطق بنفس الصوت ، إلا أنها تعني معنى مختلفا (وتسمى : المتجانسات homophones ، أى الكلمات ذات الصوت المتجانس) . لذلك عليك التزام الحرص وإلقاء نظرة على البرواز التالي «فكر في هذا الموضوع» .

فكر في هذا الموضوع . . .

بعض الكلمات التي لها نطق متماثل (المتجانسات homophones) وتسبب الخلط والتشويش بصورة شائعة

accept	exept	
affect	effect	
cite	sight	site
compere	compare	
draft	draught	
heat	here	
guest	guessed	
knot	not	
passed	past	
principal	principle	
pole	poll	
right	rite	write
their	there	they're
wales	wails	whales
where	wear	were
whether	weather	
who's	whose	
your	you're	

(*) الواقع أن إصدار سنة 2007 من العلامة التجارية المسجلة لبرنامج «مايكروسوفت ورد» تحاول أن تقوم بهذا العمل . فعندما تتم مراجعة الرسم الإملائي للكلمات وقواعد اللغة يقوم هذا البرنامج ، في غالب الأحيان ، بإعطاء إشارة عندما تستعمل كلمة ما استعمالا خاطئا (حتى وإن كانت تهجنتها صحيحة) .

وضوح الكتابة والعرض

نعود فنكرر القول: إنك قد تظن أن المشكلات المتعلقة بوضوح الكتابة قد انقضت بانقضاء عهد الأقلام والحبر. ليس الأمر كذلك، فبعض الآلات الطابعة - خاصة إذا لم تحسن صيانتها - قد تنتج صورة طباعية باهتة أو صفحات ملوثة. وبالمثل، فإن بعض أنواع الورق ليست صالحة للآلات الطابعة الملحقة بالحواسب.

ينبغي أن تكون فخورا بالطريقة التي بها يعرض عملك وأن ت بذل جهدا في إنجاز ذلك بصورة ممتازة. ويبدأ هذا الأمر بقراءة الشروط الخاصة بتقديمك للرسالة العلمية الجامعية (فبعض الجامعات تشترط، مثلا، أن تكون الرسالة العلمية مجلدة بغلاف مقوى، وهو أمر توفره لك إحدى الإدارات التابعة لهذه الجامعات والتي من المعتاد أن تدفع أنت ثمنها! وهناك جامعات أخرى لا تحدد الطريقة التي ينبغي تقديم العمل وفقا لها). وقد توجد قواعد لاستعمال أحجام الحروف الكبيرة (التي تظهر في العناوين مثلا) والحروف الصغيرة (التي تظهر في الحواشي والهوامش مثلا) أيضا. إن قدرا يسيرا من التفكير والجهد سيكون له ثمرته الطيبة في أغلب الأحيان. مثال ذلك:

- حدد أي أطقم الحروف الطباعية (الفونط) الذي يجعل عملك أوضح في كتابته وتمسك به (ونذكر أن بعض المؤسسات العلمية تشترط استعمال أطقم حروف طباعية خاصة).
- انظر إلى كل صفحة في «صورة إخراجها الطباعي» على شاشة حاسبك قبل أن تطبعها. هل تبدو مناسبة؟ هل الرسوم البيانية معروضة في أحجام صحيحة؟ هل توجد حول المادة المطبوعة مساحة بيضاء أكثر من اللازم أو أقل من اللازم؟ هل الأشياء موجودة في الأماكن التي تتوقع وجودها فيه؟ (فالجداول لها سمعة غير طيبة إذ تبدو أنها تتحول بمفردها). هل استقرت العناوين فوق الفقرات الخاصة بها؟
- إن كان عندك آلة طباعة بالألوان، فهل أحسنت الاستفادة من إمكانياتها؟ هل تبدو الصفحات وقورة وأكاديمية (إن كان هذا هو ما تهدف إليه) أم أنها تذكرك بكتب الرسوم الهزلية؟
- تأكد من أن الصفحات مرقمة وأن صفحات عملك متسلسلة في الترتيب الصحيح لها - قد تندش من كثرة المرات التي لا يحدث فيها هذا الأمر.
- تأكد من أنك التزمت بقواعد مؤسستك العلمية المتصلة بالإحالة إلى المراجع.

أزمة الفعل، وضمير المتكلم، وصيغة الفعل

حافظ على تلاؤم الأزمنة فلا تخطئ الزمن الماضي، والحاضر والمستقبل في نفس الجملة أو الفقرة. قد يكون ذلك شديد الصعوبة عند الكتابة عن البحث، لأن المشروع

يستغرق تنفيذه في العادة مدة طويلة فعلا من الزمن ، كما أن الأمور التي كتبناها في «زمن المستقبل» في مقترح مشروع البحث (فصل 6 باب 2) والتي كنا نخطط للقيام بها قد أنجزت كلها، وهي الآن في زمن «الماضي» فجأة .

ما ضمير الفاعل الذي سنستخدمه في الكتابة ؟ في الأوساط الجامعية ، نتفادى في العادة الكتابة باستخدام ضمير المتكلم (أنا ، ونحن) ، ونتجنب كذلك استخدام ضمير المخاطب (أنت ، أو أنتم) وبدلا من ذلك نستعمل كلمة «المرء» One . ومن الناحية الفنية ، يعتبر هذا هو «الشخص الثالث المفرد» (أى : ضمير الغائب) ، ولكن الواقع أنه يستخدم ليحل محل الشخص الأول (المتكلم) .

في بعض الحالات يكون من المفيد استخدام ضمير المتكلم ، مثال ذلك ، عندما تتأمل دورك كباحث ، إلا أنه من المحتمل أن تكون هذه الحالات قليلة ومتفرقة في ثنايا تقرير البحث . لذلك يتعين في مثل هذا الموقف أن تستمع إلى توجيهات المشرف عليك .

أخيرا ، لدينا اختيار لأن نكتب إما بصيغة الفعل المبني للمعلوم ، أو الفعل المبني للمجهول . مثال ذلك :

- كان من مصلحة الأفراد العاجزين بدنياً أن سُن هذا القانون (مبنى للمجهول) .
- استحدث البرلمان هذا القانون لمساعدة الأفراد العاجزين بدنياً . (مبنى للمعلوم) .

ويتوقف اختيارك لإحدى هاتين الصيغتين على عوامل متعددة : فقد يتوقع منك أهل التخصص الذي تنتمي إليه أن تكتب باستعمال صيغة المبني للمجهول ، أو قد ترغب لعمالك أن يبدو أكثر دينامية فتختار لهذا السبب صيغة المبني للمعلوم . لا توجد في هذا الخصوص قاعدة مؤكدة ، إلا أننا نريد منك أن تكون مدركا لوجود اختيار يتعين اتخاذه .

اللغة التي تستوعب التنوع

ينبغي لكاتبك أن تراعى التقسيمات الاجتماعية ، وذلك لكي لا تكون كتابة متعصبة لجنس معين أو ذات طابع كاره للبشر ، مثلا . يوجد عدد من الأدلة الإرشادية وضعتها جمعيات علمية راقية يمكنها مساعدتك . من ذلك : الدليل الإرشادي للغة المضادة للعنصرية الذي وضعته الجمعية البريطانية لعلم الاجتماع (1992) والذي سجدته مفيدا جدا .

إن الطريقة التي كان الكتاب في العلوم الاجتماعية يتبعونها في الإشارة إلى الأفراد قد تغيرت بمرور الزمن . يلاحظ كوبا وكوكينج (Cuba and Cocking 1997) ، ص 121) أن معظم الأعمال القديمة في العلم الاجتماعي تتسم بالاستعمال العام لكلمة

«الإنسان» man . ويتسبب ذلك في صعوبات عند القراء المعاصرين . فتأكد ، وأنت تكتب رسالتك العلمية ، من أنك لا تضع عبئا مشابها على قرائك . انظر «فكر في هذا الموضوع ...» في موضع لاحق من هذا الفصل .

فكر في هذا الموضوع ...

استيعاب التنوع في الكتابة

تحقق جميع الكلمات أو العبارات المذكورة أدناه في استيعاب التنوع والمساواة . حاول إعادة كتابتها حتى تكون أكثر دقة (وسوف تجد اقتراحاتنا بهذا الشأن مذكورة في آخر هذا الفصل) .

- | | |
|---------------------------|--------------------------|
| 1 - the man in the street | 1 - رجل الشارع |
| 2 - Masterful | 2 - المستبد / أو المسيطر |
| 3 - Policeman | 3 - رجل الشرطة |
| 4 - American | 4 - الأمريكي |
| 5 - Forefathers | 5 - الأسلاف |
| 6 - Indian | 6 - الهندي |
| 7 - Man-made | 7 - من صنع البشر / مصنوع |

حدود الكلمات

الكتابة الأكاديمية في كل مستوياتها محكومة - عادة - بحدود الكلمات . وهذا المعنى يصدق على كتابة المقالات للمجلات العلمية الدولية كما يصدق على كتابة المقالات الصغيرة الأولى لطالب الجامعة . سترتب على التقصير في رعاية حد الكلمة ، في أغلب الأحيان ، توقيع عقوبة ما على عملك ، وعادة ما تكون تخفيضاً في الدرجة النهائية . في هذه الأيام التي ينتشر فيها استخدام برامج معالجة الكلمات ، لم يعد من المقبول كسر المألوف أو «الابتداع» فيما يتعلق بحدود الكلمات أو استعمال التقدير «التقريبي» لمعاني الكلمات ، كما أصبحت الأمانة هي القاعدة . وهذا يعنى أن بعض الأمور التي قد تعد ذات صلة أو دلالة بالنسبة لما نكتبه قد يتعين حذفها ، وغالباً ما يعنى هذا أننا لا نستطيع أن نروى «القصة بأكملها» ، بل لابد من تنقيحها بطريقة ما . وهذا الأمر حافل

بالمشكلات المحتملة، إلا أنه يعنى، عادة أن علينا أن نسلم بأن القارئ لديه بعض المعرفة الأساسية عن موضوعنا. وبصفتك المؤلف، يتوجب عليك أن تتحمل مسؤولية ما تدرجه فى كتابتك وما تستبعده. كما أن هذا يعنى أنه ينبغى عليك تعلم الكتابة «بإيجاز».

كتابة المسودة

كتابة المسودة هى المرحلة التالية فى كتابة أطروحتك الجامعية أو تقريرك البحثى. ومن المحتمل أن تقوم بكتابة مجموعة من المسودات، لكن ينبغى عليك، فى الحد الأدنى، أن تحرص على عمل مسودة أولى ومسودة نهائية. ومن المهم أن تتذكر أن الوقت الذى تنفقه فى كتابة المسودة (والذى يشبه إلى حد ما الوقت الذى ينفق فى عملية التخطيط للبحث) لا يذهب سدى أبدا. لأن محصلة ذلك ستكون تقديم وثيقة أفضل ليس بها سوى عدد قليل من الأخطاء «السخيفة».

المسودة الأولى

المفروض أن ينظر إلى المسودة الأولى باعتبارها المخطط التمهيدى الفصل للتقدير الذى لا بد أن تقدمه. ينبغى على المسودة الأولى أن تشتمل على:

- مقدمة: ذلك أن هذه المقدمة فى هذه المرحلة قد تكون أساسية جدا، إذ إنه من حسن التصرف غالبا أن تكتب مقدمتك النهائية بعد أن تفرغ من كتابة التقرير برمته، حتى تستطيع وقتها أن تتأكد من أن عملك يقدم للقارئ ما وعد بتقديمه).
- وخاتمة: ذلك أن هذه الخاتمة - ونقول ذلك للمرة الثانية - قد تكون أساسية تماما.
- بنية التقرير: (بالنسبة للتقرير البحثى أو الرسالة الجامعية، تتمثل هذه البنية فى صورة قائمة بعناوين الفصول).
- وجميع القضايا التى يتعين أن تطرحها إن أمكن، فاطرحها بالترتيب الذى يتعين عليك أن تطرحها وفقا له.

ولكن ليس المقصود أن تكون المسودة الأولى هى الصياغة النهائية. فقد تكون لغتك غير مقننة فى تلك المرحلة، أو قد تكون كتابتك مقصورة على مجموعة من الملاحظات التى يتعين تنقيحها لتظهر فى صورة دعوى لها حجة وبرهان، ومناقشة، وفقرات.

بحثك

«قواعد» كتابة المسودات

افعل ما يلي:

- ابدأ كل قسم بجملته تقرر هدفه .
- عالج قضية أساسية واحدة في كل قسم .
- عالج القضايا الفرعية في فقرات مستقلة .
- وضح عملك باستعمال الأمثلة والمقتبسات والإحالة إلى المراجع بصورة ملائمة .
- احذر انتحال أفكار وأعمال الآخرين .
- كن متنبها لحدود الكلمات .

لا تفعل:

- لا تجعل أقسام التقرير بالغة التعقيد ، التزم في كل مرة بقضية واحدة .
- انتقل بسلسلة من فكرة لأخرى: مستعملا في ذلك الجمل والفقرات الرابطة .
- لا تصر على أفكار معينة بدون دليل .
- لا تدخل مادة جديدة للمرة الأولى في خاتمة البحث .

راجع المسودة

مع تقدم عملك وتطوره ، ستصبح المسودة الأولى أكثر تفصيلا وستصبح الفصول أو أقسام التقرير مستوفاة . لا تتردد في قراءة عملك عدة مرات (وإن استطعت ، فاقنع الآخرين بأن يقرؤوه أيضا) ولا تتردد في إعادة الكتابة عند الضرورة .

يعمل الأفراد المختلفون خلال هذه المرحلة بطرق متباينة ، كما أن بالإمكان ألا توجد قاعدة ثابتة بشأن الطريقة «المثلى» للقيام بهذا العمل: فحاول أن تطور لنفسك أسلوبا في العمل يعود بالفائدة عليك . بجانب ذلك ، إن حاولت أن تضع نصب عينيك أن هدفك هو الوصول لكتابة نص موجز (تذكر حدود الكلمات) يروى - مع إيجازه - أكبر قدر من القصة التي تريد روايتها ، فستكون حينئذ ماضيا على المسار الصحيح .

حاول دائما أن تتيح لنفسك قدرًا كبيرا من الوقت لهذه المرحلة الخاصة بإعادة كتابة المسودة . إنه ليس كثيرا أن تستهلك الكتابة نفسها وقتا طويلا ، بل الأحرى أنك تحتاج

لوقت تقضيه بعيدا عن نصك المكتوب لكى يبدو لك «جديدا» حين تنظر إليه مرة ثانية. وثمة مخاطرة هنا - والتي يبدو أنها أصبحت أخطر من ذي قبل مع استعمال الحواسيب - وهى أننا نرى أمامنا على شاشة الحاسب ما نتوقع أن نراه، وليس ما هو موجود فى الواقع. فاقض، إذن، بعض الوقت بعيدا عن عملك، وربما يكون لديك مهام أخرى يتعين عليك أدائها على أية حال. ثم عد وأنت منتعش وأعد تسويد التقرير مرة ثانية!

ينبغي أن تحاول التفكير فى أسلوب كتابتك طوال الوقت، وأن تقارنه بالأعمال الأخرى التى كتبتها والأعمال التى سبق لك قراءتها. هل يتسم أسلوب كتابتك بنفس الوضوح؟ وهل هو ذو طابع أكاديمي مثلها؟ وهل إخراجك للعمل تم فى أفضل صورة يمكن أن يكون عليها؟ إن هذه العملية الخاصة بمراجعة مسودتك تُقضى إلى المرحلة النهائية التى نسميها مرحلة «النشر». ولكن المرحلة النهائية، بالنسبة لمعظم الطلبة، هى فى الواقع تقديم العمل لأساتذتك لتقييمه والحكم عليه.

عندما تكون الكتابة عسيرة

أحيانا ما تكون الكتابة شاقة فعلا، كما قد ترى أحيانا أن إتمامها أمر عسير. وهو أمر يحدث للكتاب المحترفين الذين يسمونه «عثرة الكاتب»، لذلك ليس من العجيب جدا أن يكون هذا الأمر مشكلة واسعة الانتشار. ولكل امرئ طريقته الشخصية فى القيام بعمله، ولهذا السبب تجود الاستراتيجيات المختلفة للأفراد المختلفين. يمكن لبعض القضايا التى تظهر أن تعالج بطريقة سهلة تماما - فى حين يتعذر ذلك بالنسبة لقضايا أخرى.

الجدول رقم (2-1): عندما تكون الكتابة عسيرة - مشكلات وحلول مقترحة

عندما تكون الكتابة عسيرة		
المشكلة	السبب المحتمل	الحل
لا يوجد وقت كاف	الحياة الدراسية كثيرة المتطلبات، وتوجد أمور كثيرة يتعين القيام بها؛ تحقيق التوازن بين الجامعة/والمنزل/ ووقت الفراغ أمر عسير.	<ul style="list-style-type: none"> ● إدارة الوقت. ● استخدم بعض وقت فراغك فى الكتابة. ● اشرح للعائلة والأصدقاء أن هذا المشروع مهم بالنسبة لك، وعودهم أن يتفهموا الأمر على حقيقته وألا يطالبوك بأشياء عندما تكون غير قادر على تلبيتها.

وجود صعوبة في الأساليب المختلفة في الكتابة (وفى الكتابة الأكاديمية عادة)	أنت لاتألف إلا نوع الكتابة المستخدم فى المدرسة أو العمل.	● اقرأ كميات كثيرة من الأساليب المختلفة. ● فكر فى الأسلوب عندما تقرأ بحيث يمكنك أن تبدأ فى فهم كل من هذا الأسلوب والاصطلاحات المرتبطة به.
أنت غير معتاد على كتابة الأعمال الطويلة.	● قد تكون أكثر تعوداً على التواصل الفردى أو المباشر وجهاً لوجه. ● لم تتح لك فرص كثيرة لكى تكتب من أجل مناقشة رأى أو تبريره. ● عدم الألفة والاعتیاد على الكتابة بلغة فصیحة.	● اقرأ وتعلم. ● اكتب فقرات قصيرة وطور تقنيات لربطها معاً لتكون منها فقرات طويلة. ● قسم العمل إلى وحدات ذات أحجام تسمح لك بالتعامل مع بصورة أيسر.

إن كنت قد اتبعت «القواعد» التى بينها بعاليه، فستكون معظم مشكلاتك - حينئذ - قد تبددت. ستكون مهيباً للكتابة بشكل جيد، كما أنك ستكون قد وضعت خططكم بطريقة ملائمة. ومع ذلك، فإننا نرى أن أشد مصاعب الكتابة لم يظهر بعد. فعندما تواجه بشاشة حاسب فارغة (أو بقطعة ورق فارغة) فقد يبدو هذا الأمر مثبطاً للهمة تماماً.

ليس مهما الالتزام بترتيب معين فى كتابة الأجزاء المختلفة لعملك (مادام أن بإمكانك الربط بينها فى كيان كلى مترابط منطقياً فى النهاية) وبالتالى تكون إحدى الاستراتيجيات أن تكتفى باستخراج «عناوين» الأقسام المختلفة من خطتك (كالمقدمة، والخاتمة، وما إلى ذلك) وأن تكتبها أعلى مجموعة من الصفحات البيضاء. بعد هذا، لن يزيد الأمر عن «ملء الفراغات»، بأن تقوم بكتابة ملاحظاتك وأفكارك داخل هذه الفراغات ومع ذلك قد لا تكون هذه الاستراتيجية بالأمر اليسير فإنها تؤتى ثمرتها لكثير من الأفراد. فإن لم تنجح معك هذه الاستراتيجية، فلا بد إذا أن تعثر على الشئ الذى يعمل لصالحك. تحدث مع المشرف على بحثك ومع أقرانك ومع من تعرف عن ما هى استراتيجية الكتابة التى نجحت معهم، لعلك تستطيع تعديلها بحيث تصلح لاستخدامك أنت.

أياً ما كان العمل الذى تقوم به، فحاول التحكم فى وقتك. فإن لم تفعل فستظل تحاول دائماً الظفر بنتيجة ليست موفقة أو مثمرة.

التقارير

من المحتمل أنك ستكتب قدرًا كبيرًا من التقارير أثناء حياتك المهنية. وتدور كل التقارير، بشكل ما، حول البحث (أو، على الأقل، حول نتائج البحث).

ولعل أول شيء يتعين تحديده هو سبب إعداد أى تقرير. فالتقارير مختلفة قليلاً عن الأنواع الأخرى من الكتابة التى قد تقوم بها وأنت تدرس فى الجامعة أو الكلية. ورغم أن لها بناءً شديد الوضوح يعد، فى الظاهر على الأقل، شبيهاً للغاية ببناء المقالة، فإن هدفها ذو طابع تخصصى تماماً. ذلك أن أهم هدف للتقرير هو أنه من المفترض أن ينقل المعلومات إلى قارئك بأسرع ما يمكن بالشكل أو القالب الأكثر تناسبا.

ولماذا نعد التقرير؟

يمكن أن تتعدد الأسباب الدافعة إلى إعداد التقارير. فقد يراد بها، مثلاً:

• التزويد بالمعلومات.

• الإقناع.

• تقديم التوصيات.

• التحفيز.

• إحداث التأثير.

• إثارة النقاش (أو الإسهام فيه).

• التسجيل.

• التعليم والتوجيه.

وقد تحاول التقارير أيضاً القيام بأمور أشد تعقيداً من ذلك، كتغيير الاتجاهات مثلاً. هذه العوامل لا ينافى بعضها بعض، فقد يكون التقرير متعدد الوظائف).

ما أهم ما يراعى عند كتابة التقرير؟

إنه الجمهور دائماً. قد تبدو هذه الإجابة كما لو كان محتوى التقرير لا أهمية له، ولكنه بطبيعة الأمر، له أهميته. على أنه إن لم يدرك القارئ محتوى التقرير، أو إن لم تكن الرسالة موجهة توجيهها ملائماً، فسيكون الأمر مجرد مضيعة للوقت!

ما الذى يصنع تقريراً جيداً؟

ينبغى أن يكون التقرير:

- موجزًا: إن شيئاً يبدو من السهل قراءته سوف يلقي قبولاً حسناً . ولكن الإسهاب - إن حدث - فيجب أن يكون ملائماً . المهم أن تجعل تقريرك محكماً .
 - واضحاً: فلا بد أن يكون الجمهور قادراً على فهمه (ولا بد للتقرير أن يستعمل لغة ملائمة وأن تكون بنيته واضحة - أى يكون تقريراً لا يجعلك تشعر بالغباء).
 - دقيقاً: ينبغى للتقرير أن يقول ما لا بد من قوله - ولا مزيد عليه .
 - بسيطاً: ينبغى للتقرير أن يتجنب التعقيد الذى لا ضرورة له؟
 - ذا بنية جيدة: بحيث يتقدم بصورة منطقية خلال تتابع واضح ، وبأسلوب مقبول فى التعامل مع هذه الرسالة .
 - وصفيًا: إن كان من اللازم أن ترسم صورة (وكثير من التقارير يفعل ذلك)، فيجب أن يكون ذلك بأسلوب قادر على نقل هذه «الصور» إلى جمهورك .
 - مخططاً: (ومسوداً ، ومعاد تسويده).
- كل هذه العوامل تتضافر لتجعل التقرير أسهل فى قراءته - إن استطعت أن تثبت أنك بذلت وقتاً وجهداً فى جعل عمل القارئ أسهل ، فما أحسن ذلك .

بحثك

تخطيط تقريرك

- 1 - ضع قائمة بأسماء الأشخاص الذين يترجح أن يقرؤوا تقريرك .
- 2 - ضع قائمة بما يمكن أن يتوقعه كل واحد منهم من هذا التقرير .
- 3 - هل تستطيع أن تنجز هذه المهمة فى وثيقة واحدة؟

المنظور الفكرى للقراء

نحن لا نغالى فى التوكيد على أهمية مراعاة المنظور الفكرى للقراء . فهم الأفراد الذين سيحكمون على قيمة تقريرك (وربما يكونون أيضاً الأفراد الذين يتحكمون فى تمويل بحوثك أو فى مستقبلك!). حاول أن تكتشف كيف يفكرون ، وكيف يرون موضوع هذا التقرير ، وما هى خبرتهم بالقضايا ذات الصلة وكيف سيكون رد فعلهم

المحتمل . إن استطعت وقتها أن تراعى هذه الاعتبارات عند كتابة تقريرك فستفادى كتابة تقرير مثير للضجر ومكتوب بلغة طنانة ، لدينا جميعا فكرة كافية عنها .
إن تركيزك على احتياجاتك واتجاهات القراء لن يقتصر أثره على توضيح قضاياك للآخرين ، بل سيتمكنك أيضا من إحراز فهم أفضل لمادتك ؛ فلا توجد طريقة تفهم بها عمك الشخصى أفضل من جعله مفهوما للآخرين ؟

بحثك

أسئلة تتعلق بتقريرك

املا الفراغات التى فى هذا التمرين واستخدم المعلومات المذكورة فيه لمساعدتك على هيكلة بنية تقريرك .

1 - من أى نوع من الناس يتكون جمهورك؟ (مثال ذلك: هل هم ذكور/ أم أناث ، شباب/ أم مسنون ، مديرون أم أصحاب مهن - كالأطباء والمحامين آخره) .

2 - ما مدى جودة معرفتك بهم؟

3 - هل هم ممن يعملون بالعد والحساب بصفة خاصة (كالمحاسبين مثلا) أم أنهم يفضلون الكلمات والصور (فقد يكونون مدرسين)؟

4 - ما الذى يعرفونه عن القضية التى تقدم تقريرا عنها؟

5 - هل من المرجح أن يرحبوا بتقريرك؟

6 - هل لهم ارتباط شخصى بتقريرك (وهل من المحتمل أن يكون لديهم هدف شخصى حملهم على الاهتمام به)؟

7 - ما مدى أهمية هذا التقرير ؟

8 - هل من الراجح أن يتسبب تقريرك فى جعلهم يشرعون فى عمل أو يتخذون قرارات معينة؟

إن استطعت أن تقدم إجابات على تلك الأسئلة ، فأنت إذن تعرف الكثير عن أهم جزء فى بحثك - وهو جمهورك !

من هم جمهور تقريرك؟

نقدم فيما بعد تصورا لقائمة موجزة بأسئلة نوجهها إليك لتفكر فيها عند كتابة تقريرك :

1 - لن يوجه هذا التقرير (من هم جمهورك)؟ فى العادة ، تكون الإجابة عن هذا السؤال هى : «هم الأفراد الذين كلفوني (أو دفعوا لى أجرى) لأعد هذا التقرير» ، أو ، فى حالة تقديمه فى الجامعة فإن الجمهور هو «الفرد الذى أسند إلى هذا التكليف الدراسى ، وهو الذى سيتولى إعطاء الدرجة التى يستحقها عملى» . وأيا ما كان الأمر ، فإننا نأمل أن تبذل قدرًا من التفكير الدقيق فيما يتصل بالجمهور من قضايا ، قدمناها فى هذا الفصل وفى أماكن أخرى من هذا الكتاب .

2 - هل هذا الجمهور جماعة متجانسة أم أنه من الضروري أن تفى باحتياجات متعددة؟ نادرًا ما يتألف أى جمهور من جماعات من الأفراد الذين سيستجيبون بطريقة يتماثل فيها كل واحد مع الآخرين . فحاول أن تأخذ هذا الاعتبار فى حساباتك عند تحديد الطريقة التى سوف تتبعها فى تصميم تقريرك . من ذلك مثلا : هل سيستجيب جمهورك بصورة طيبة للأشكال والرسوم البيانية ، أم أنهم يفضلون جداول الأرقام؟ لعلك ستحتاج إلى الطريقتين معا .

3 - لماذا يحتاج هذا الجمهور إلى تقريرك؟ لو أنه طلب منك أن تقدم تقريرًا ، فمن الراجح جدا ، فى هذه الحالة ، أن من طلب منك تقديمه ، أيا من كان هو ، يحتاج إلى هذه المعلومات من أجل غرض محدد . حاول التأكد من أنك تدرك حقيقة تلك الحاجة ومن أنك تفهم تماما أى تعليمات أو أى توجيه أساسى مطلوب مراعاته .

4 - ما نوع الأمور التي يرغبون في سماعها؟ وما الذي سوف لن يرغبوا في سماعه؟ لا يحب أحد سماع الأخبار السيئة. ولكن للأسف الشديد، قد تكون هذه الأخبار هي ما يعرضه تقريرك. سيلزمك أن تفكر بحرص في معالجة عيوب تقريرك لكي يكون مقبولا (إذ يمكنك، مثلا، أن تعطى انطبعا بأن رئيس جامعتك سيلومك على النتائج السيئة إن كان من المستبعد أن تلقى قبولا حسنا، حتى لو كانت صحيحة!).

5 - ما مقدار التفصيل المطلوب؟ التقارير خلاصات أو مختصرات (رغم أنها تحتوي أحيانا على كل البيانات). يلزمك أن تقرر مدى التفصيل الذي سيكون مفيدا لجمهورك عندما يتخذون قرارهم بالنسبة للمستقبل أو أي شيء يرغبون في القيام به (انظر البند 3 أعلاه).

بنية التقرير

للتقرير، شأنه شأن كثير من موضوعات الكتابة، ثلاثة أقسام فقط:

1 - البداية

2 - الوسط

3 - النهاية

لا ريب أن هذا إفراط في تبسيط الأمور، ولكنه يمكن أن يكون دليلا للبنية الأساسية للتقرير.

المثال (1-2)

كيف تخطط بنية التقرير

البداية	أين نحن الآن.
الوسط	١ - الكتابات السابقة، طرق البحث، النتائج، إلخ.
	٢ - الاحتمالات المختلفة بالنسبة للمستقبل.
النهاية	الخاتمة / التوصيات.

الشكل رقم (2-2): بنية التقرير

تدور «البداية» حول تقديم وصف دقيق للخلفية / أو السياق الخاص بهذا التقرير. قد يلزمك أن تفسر سبب قيامك بإعداد هذا التقرير الآن، أو سبب كون هذه القضية مهمة بما يكفي لمناقشتها. من المؤكد أنه يتعين عليك أن تبين من هي الجهة أو الشخص الذي

أسند إليك إعداد هذا التقرير ولأى غرض . وأخيرا ، يتعين عليك أن تصف الوضع الحالي الذى تقدم تقريراً عنه .

ويعنى قسم «الوسط» بالحاضر وينبثق من الوضع الراهن . من ذلك مثلا أن تقريرك قد يقول : «إذا استمر هذا الوضع على ما هو عليه ، فإن الشركة ستفلس بحلول شهر ديسمبر وسنكون جميعا متعطلين» . من شأن «الوسط» ، بطبيعة الأمر ، أن يكون مبنيا على نوع ما من استعراض الوضع الراهن - فقد يكون مبنيا على كتابات سابقة أو بحوث عن الواقع الحالي . من شأن «الوسط» أن يتابع ليشرح كيف خططت لجمع المعلومات بباقي أجزاء التقرير .

كما يعنى «الوسط» بالمستقبل أيضا . فهو يقدم ما يترتب على بحثك وتحليلك من نتائج تؤثر على المستقبل ، كما أنه يصف ويناقش المسارات المحتملة للممارسات المتبعة (ويضع قائمة بما لهذه الممارسات من سمات جيدة أو سيئة) .

ينبغي أن تطرح «النهاية» الاختيار «الأمثل» المتاح وتقدم أسباب تفضيله . سيتعين على بعض التقارير أن تطرح عددا من الاختيارات أو سلسلة متتابعة من الاختيارات . ينبغي على قسم «النهاية» أيضا أن يعالج مسألة ما الذى يجب عمله ، ومن الذى يتعين عليه أن يضطلع بهذا العمل ، وما الذى سيتطلبه العمل فيما يتصل بالموارد (كالموارد المالية والبشرية مثلا) .

كما قلنا سابقا ، يعد التقرير - على نحو ما - ذا بنية تشبه بنية أى عمل آخر من أعمال الكتابة الرسمية . ومع ذلك ، يوجد نوعان من الاختلافات يستحقان تسليط الضوء عليهما .

المستخلص

تبدأ التقارير ، وبصفة تكاد تكون دائمة ، بمستخلص يمكن النظر إليه كمختصر موجز للتقرير بأكمله . فى بعض الأحيان ، خاصة فيما يتصل بالتقارير الحكومية ، يعرف هذا المستخلص بأنه «مختصر تنفيذى» . يقوم المستخلص باختصار التقرير فى حوالى 200 كلمة وينبغي أن يعطى القارئ ما يكفى من التفاصيل ليعرف ما الذى قام به التقرير من عمل وما الذى يوصى به .

الخاتمة

ستكون خاتمة التقرير ، وبصفة تكاد تكون دائمة ، أكبر حجما من المختصر الذى نجده عادة فى نهاية أى مقال . فالأرجح ، أنه سيوجد بالخاتمة توصية ما (قد تتعلق بالعمل المستقبلى ، أو التغييرات فى السياسة ، أو بتدبير زيادات فى الإنفاق ، إلى آخره) وبعض مبررات اختيار هذه التوصية . يمكن النظر إلى هذا الأمر على أن يودى ثلاث وظائف مستقلة:

- 1 - بلوغ الخاتمة وتقديمها و/أو التوصيات .
 - 2 - اختصار المحتوى (وليس تقديم مادة جديدة) .
 - 3 - الانتهاء بصورة إيجابية (إن استطعت ذلك) ، أو على الأقل الانتهاء المستند إلى حجة ، وليس مجرد الانسحاب بعيدا برفق .
- عند كتابتك لخاتمة تقريرك ، يوجد فخان قد تقع فيهما ، ومن الممكن تحاشيهما بسهولة:
- الانتهاء الخادع: عندما تقول «في النهاية» أو «في الختام» فلا بد أن تعنى فعلا ما تقول! فقلما توجد أشياء هي أكثر إحباطا للقارئ من التقارير التي لا تكون على بينة من هذا الأمر .
 - توسيع نطاق بنية التقرير: لا تتجاوز نطاق ما قلت في المقدمة أنه سوف يحدث - فسيكون هذا التجاوز في كثير من الأحيان تكرارا أو انحرافا عن الموضوع الرئيسي .

الملاحق

تحتوى معظم التقارير على ملاحق . والملاحق مستودعات للمعلومات التي تعد مهمة ، ولكنها ليست مهمة بما يكفى لأن تكون موجودة في صلب التقرير . مثال ذلك ، إذا كانت البيانات معروضة في صورة رسوم وأشكال بيانية ، فمن الملائم أن تدرج البيانات الرقمية الأصلية كملاحق . ستوجد في بعض الأحيان أشياء أخرى ، ربما تكون استبيانات أو وثائق تفسيرية . أيا ما كان الأمر ، فإن الملاحق ليست الأوعية التي تضع فيها كل المعلومات التي تحب إدراجها في تقريرك إن لم يكن يوجد قيد على عدد كلماته . ومع ذلك ، فإنه ينبغي أن يكون تقريرك مفهوما بدون هذه الملاحق .

إن كنت تستعمل الملاحق بالفعل ، فتأكد من أنه يوجد في نص التقرير إحالات مناسبة تشير إليها .

عرضك للتقرير

قد يتوجب عليك أن تقدم عرضا لتقريرك ، وأحيانا يكون ذلك في نفس الوقت الذي تسلمه فيه ، وأحيانا في وقت لاحق . إن قدر لتقريرك أن يحظى بالقبول (وهو أمر يمكن النظر إليه باعتباره فوزا بتقدير جيد) ، فإنه يلزمك أن تضع في ذهنك أمرين اثنين . عندما تقوم بقراءة تقريرك من أوله لآخره ، ولكن قبل أن ترسله لأي شخص سيقروه ، تأكد أولا من أنك:

- تقدم الدليل على ما تقول : اشرح كيف وصلت إلى نتائجك وكيف تبرر أى توصيات أو اقتراحات تقومك بطرحها . لن يكفى أن تبين أنك تعتقد أمرا ما أو تعطى ما يفيد ضمنا أن رأيك فيه الكفاية . لا تنس أنه ستوجد في أحيان كثيرة إحصائيات أو نتائج مستمدة من مصادر أخرى قد تعزز عملك .

• تتوقع الاعتراضات: لكثير من التقارير (وربما لمعظمها) نتائج سلبية بمثل ما لها من نتائج إيجابية، تأكد من أنك أوليت هذه النتائج كلها الاهتمام المناسب وأنت مستعد للإجابة على الأسئلة التي تطرح بشأنها عندما تظهر الحاجة لذلك. إن استعطت (وكان قالب تقريرك يسمح بذلك) فحاول إدراج الإجابات على هذه الأسئلة في التقرير الأصلي.

بحثك

كيف تبني تقريرك؟

- حاول التأكد من أن لتقريريك بناء منطقيًا. حاول أن تحافظ على بساطة تقريرك بقدر ما تستطيع (واضعا في اعتبارك تعقد الموضوع وطبيعة الجمهور). كن على بينة من هيكل هذا التقرير. واتبع في كتابته تسلسلا زمنيا إن كان ذلك مناسبًا.
- استخدم أسلوب تحديد معالم الطريق (أو: أسلوب خريطة الطريق): تأكد من أنك تعرف قراءك بمسار التقرير وهدفه (ولماذا).
- استخدم العناوين: يعد استخدام العناوين (والعناوين الفرعية) في التقارير أمرا لا غنى عنه. فهي تعرف القارئ بالموضع الذي هو فيه وتساعد على تقسيم التقرير إلى أقسام يسهل استيعابها، وهو الأمر الذي من شأنه أن يجعل التقرير أكثر وضوحا وأيسر فهما.
- استخدم اللغة الملائمة - وهذا أمر مهم في كل مراحل العمل.
- استخدم فنون العرض البصري (الجرافيكس): فاستخدام الصور/الجدول/الأشكال الإيضاحية/البراوايز (وكذلك استخدام أطقم الحروف المطبعية الغامقة اللون Bold، والكبيرة الحجم، ... إلخ) يرفع مستوى الوضوح، كما أنه يقسم نص التقرير إلى أجزاء صغيرة ويجعله أيسر فهما.

الرسائل العلمية الجامعية

ما الرسالة الجامعية؟

عندما نتكلم عن رسالة جامعية في هذا الكتاب، فإننا نعني بصفة محددة رسالة جامعية قائمة على أساس البحث. ونحن لم يسبق لنا أن تناولنا بالدراسة موضوع «المقالة الطويلة/أو المسهبة» بصورة مستقلة، وذلك لأن كلا من الرسالة الجامعية والمقالة الطويلة متشابهتان تشابها كبيرا.

أيا ما كان العمل الذى تقوم به (أو الذى يطلب منك القيام به) فتأكد أنك تعرف وتفهم القواعد التى تفرضها كليتك أو جامعتك قبل أن تبدأ العمل .

قد يكون من الأفضل أن تفكر فى الرسالة الجامعية كدراسة متعمقة لأى قضية أو موضوع من قضايا وموضوعات العلم الاجتماعى (لك كل الحرية فى إدخال تخصصك الشخصى هنا) . غير أن اختيار الطالب للقضية التى يدرسها يمكن أن يمثل مشكلة له . ولكنك - مع ذلك - لن تكون مستقلاً بعملك ، فسوف تقترح عليك كليتك أو جامعتك أو الأستاذ الذى سيتولى الإشراف عليك (سوف نتحدث عن ذلك لاحقاً) . ونحن نوصى - فعلاً - أن تختار قضية يكون لديك القدرة على دراستها ويكون من الراجح أن تستأثر باهتمامك بشكل مستمر على امتداد العام .

كيفية اختيار موضوع الرسالة الجامعية؟

ليس بإمكاننا وضع قائمة بكل الموضوعات التى يمكن لطلبة العلوم الاجتماعية أن يختاروا منها ما يدرسونه فى رسائلهم الجامعية . على أية حال ، فإن من شأن هذه القائمة أن تتغير من عام لآخر نظراً لأن ثمة قضايا مختلفة قد تفرض نفسها على الساحة . نريد أن نشير إلى أن الرسائل الجامعية تندرج فى عدد من التصنيفات المختلفة ، وذلك بصرف النظر عن «فرع التخصص العلمى» الذى تنتمى إليه (هل هو : علم الاجتماع ، أم العلم السياسى ، أم السياسة الاجتماعية ، إلى آخره) ، ومن أمثلة هذه التصنيفات :

● التصنيف التاريخى .

● التصنيف النظرى (المتعلق بالنظريات الفكرية) .

● التصنيف السياسى (بمعنى السياسة القومية / أو الدولية وليس بمعنى العلم السياسى الذى من شأنه أن يكون مجال التخصص العلمى) .

● التصنيف القومى .

● التصنيف الدولى / المقارن / العولمى .

● التصنيف تبعاً لقضايا الفكر المعاصر محل الاختلاف .

● التصنيف المحلى .

وواقع أن هذا التصنيف يعد مفرداً فى التبسيط قليلاً ، إذ إن بالإمكان أن تنتمى رسالة جامعية إلى أكثر من فئة من فئات هذا التصنيف : ونحن نرى أن هذا أمر مفيد ، رغم ذلك .

كما يمكن أن يكون الحديث مع الآخرين مفيداً فى هذه المرحلة . فبإمكانه أن يكون عملية مفيدة فى تعريف الآخرين بما يثير اهتمامك فى مشروعك - فإن أثار هذا الأمر اهتمامهم ، فلهذا سيكون اختياراً سليماً حينئذ! وعلى أية حال ، فإن قيامك بتوضيح

عملياتك الفكرية بطريقة يستطيع شخص آخر أن يفهمها يعد شيئاً مفيداً في كل الأحوال .

«تنفيذ» رسالتك الجامعية

من العسير دائماً أن تبدأ أى مشروع . المرحلة الأولى هى أن يكون لديك فكرة ، ولكن لا بد بعد ذلك أن تقرر أفضل طريقة للمضى قدماً فى العمل .

يبدأ معظم طلاب الدراسات العليا فى هذه المرحلة بالقراءة عن موضوعهم (فصل 2 باب 2) ، وهذه القراءة مفيدة فى كثير من الأحيان كذلك ، ولكنك فى الواقع لا بد أن تكون على وعى بتوجهك الأساسى . وإلا فإنك قد لا تنتفع بوقتك أفضل انتفاع .

ومن الطرق الأخرى للبدء فى العمل أن تشرع فى صياغة سؤال بحثك . فتوافر سؤال للبحث يعد أمراً حيوياً لا غنى عنه للرسالة الجامعية الناجحة . وبطبيعة الأمر ، قد يكون هذا السؤال - فى بداية العمل - ذا طابع عام إلى حد ما ، بل قد يكون غامضاً . فربما تريد أن تقدم بحثاً عن «نساء الطبقة العاملة فى مجال التعليم» . إنه موضوع لافت للنظر ، ولكنك لا بد أن تكون قادراً على أن تطرح سؤالاً أكثر تفصيلاً وصراحة عن هذا الموضوع (واضعاً فى اعتبارك أن الرسالة الجامعية التى يقدمها الطالب للحصول على الدرجة لا بد أن تكون ذات نطاق محدد ، وأن الوقت المتاح لك لإنجاز كل هذا العمل قصير نسبياً) وهكذا ، سيلزمك أن تبلور سؤال بحثك (فصل 4 باب 1) بحيث يكون :

1 - ذا صلة بما تريد أن تكتشفه .

2 - وأن يكون بالإمكان معالجته: أعنى بذلك أنك تستطيع الوصول إلى مجتمع بحثك ، وتتوافر لك كتابات سابقة يمكنك الوصول إليها ، ولا توجد مشكلات أخلاقية تستعصى على الحل ، كما أنك تكون على علم ومعرفة كافية بمناهج البحث المناسبة ، إلى آخره (الأبواب: الأول ، والثانى ، والثالث ، والرابع) .

3 - وألا يكون مفرطاً فى التحدى . إنك تكتب رسالة جامعية ، ولا تكتب رسالة دكتوراة فلسفة . ومهما بذلت من جهد شاق ، فلن تكون قادراً على رواية القصة كاملة (انظر فقرة «حدود الكلمات» أعلاه) لموضوع رسالتك (الواقع أن معظم رسائل دكتوراة الفلسفة لا تتمكن هى الأخرى من تحقيق ذلك الهدف) .

4 - وأن يكون بالإمكان الإجابة عليه (فى نطاق الوقت المتاح وباستعمال الموارد المتاحة) . فكن حذراً من أن تستخف بشأن الوقت الذى سيستغرقه منك أداء هذا العمل؛ ونفترض هنا أن تضع جدولاً زمنياً (يبدأ بتاريخ تقديم الرسالة ثم يعود راجعاً إلى يومك هذا) وابدأ أقصى جهدك فى الالتزام به . لا تنس أنه سيكون لديك عمل آخر يتعين عليك أدائه!

اختيار منهجية البحث / طرق البحث

لابد أن تسترشد عملية اختيار منهجية البحث وطرق جمع البيانات بطبيعة سؤال بحثك (فصل 4، باب 2).

الإشراف

تقوم معظم الجامعات والكليات بتحديد مشرفين على الرسائل الجامعية. ويكون هذا المشرف، في العادة، أحد أعضاء هيئة التدريس الأكاديمية وله اهتمام أو خبرة بمجال البحث الذي اخترته. ينبغي عليك أن تستفيد بمشرفك بأكبر قدر متاح لك، لأن المشرفين يمثلون مصدرا نافعا من مصادر الخبرة.

ويتلخص دور المشرفين في أن :

- ينصحوك فيما يتصل بجدوى مشروعك ويساعدوك في اختيار منهجية بحث مناسبة،
- يوجهوك نحو الدراسات السابقة المناسبة لموضوعك.
- ويبدلون لك النصيح فيما يتعلق بتصميم عملية جمع بيانات بحثك، وباستراتيجيات التحليل.
- ويناقشوا معك بنية الرسالة ونظام عرض المادة.
- ويعلقوا على مسودات فصولك وأنت تكتبها (الطريقة التي يتم بها ستعتمد على القواعد المتبعة في مؤسستك التعليمية، فبعض المشرفين لا يطلعون إلا على مسودة مستوفاة، وغيرهم لا يطلعون إلا على فصول مختارة، فراجع القواعد المتبعة في مؤسستك العلمية).

بنية الرسالة الجامعية

• إجراءات تمهيدية

• صفحة العنوان : والتي ينبغي أن تحتوى على :

• عنوان الرسالة.

• بيان عن شخصية الطالب (قد يكون رقمك الطلابي أو اسمك، راجع الضوابط الخاصة بالرسائل في كليتك).

• البرنامج الدراسي لدرجتك العلمية (إن كان لازما).

• قسمك العلمي/ مدرستك العالية/ الكلية التي تدرس فيها.

• السنة.

• المستخلص : والذي يكون في العادة في حدود 250 كلمة (ولكن راجع القواعد الخاصة بالرسائل في كليتك) وينبغي أن يشمل :

• معلومات عن الموضوع.

• معلومات عما قمت بعمله لبحث هذا الموضوع.

● النتائج الأساسية والخاتمة.

- الشكر والتقدير: (وهو إجراء اختياري عادة): فرصة لكتابة جمل شخصية، قد تشكر فيها من يساعدوك ووقفوا بجانبك، أو تقول فيها لماذا قررت الاضطلاع بهذا العمل.
- المحتويات: ينبغي أن تكون المحتويات في صورة قائمة تفصيلية بالمحتويات (أى: بالفصول والأبواب) تبين أمام كل منها أرقام الصفحات. من المعتاد أن يتضمن فهرس المحتويات صفحات مستقلة لبيان صفحات ورود الأشكال والجدول.
- المتن الرئيسي للرسالة: سوف تعتمد الطريقة التي يتم بها تنظيم هذا المتن - تحديدا - على نوع المشروع الذي قمت به، وتعتمد بصفة خاصة على أنواع الكتابات السابقة التي انتفعت بها والبيانات التي جمعتها وحللتها. وقد قدمنا أدناه قائمة «نمطية» بالعناوين الرئيسية للفصول.
- المقدمة: تحتوي هذه المقدمة على تفاصيل عن طبيعة رسالتك، والقضايا التي تقوم بمعالجتها وتحتوي على «إرشادات» تعرف القارئ بما هو موجود في كل فصل.
- استعراض التراث العلمي في الموضوع: (انظر فصل 2 باب 2).

بحثك

لا تنس سؤال (أو أسئلة) البحث

في مرحلة ما، يلزمك أن تورد أسئلة بحثك بوضوح. أما التحديد الدقيق للمكان الذي تذكر فيه هذه الأسئلة فليس واضحا على الدوام، كما يمكن أن يختلف باختلاف الرسائل. وأيا ما كان الأمر، فإننا نوصي بقوة أن ينفذ هذا الأمر قبل أن تجاوز هذه المرحلة.

- منهجية البحث وطرق جمع البيانات: نوع من مناقشة ووصف (وتبرير اختيار) منهجية البحث هذه وطرق جمع البيانات، وتفصيلات عن مجتمع بحثك وعينتك، ومناقشة لاستراتيجية التحليل التي ستستخدمها في معالجة بياناتك؛ ومناقشة للقضايا الأخلاقية.
- النتائج: هي أساسا ما قمت بإنجازه في البحث وما اكتشفته. يمكن أن تكون النتائج مجرد عرض للبيانات إلا أنها ينبغي أن تحتوي على قدر من المناقشة. ويمكن أن تحتوي على رسوم وصور بيانية، كما قد تحتوي على صور فوتوغرافية أو حتى ملفات سمعية ومقاطع فيديو.
- المناقشة: ما تعنيه نتائجك ودلالاتها.
- الخاتمة: هذه فرصة لك لتقديم الإجابة على سؤال (أو أسئلة) بحثك. ربما ينبغي عليك

أيضا ، على سبيل المثال ، أن تذكر كيف يمكن الاستفادة من هذه الإجابة في تقديم مقترحات لرسم سياسة جديدة أو ، ربما يستفاد من الإجابة في الحث على إحداث تغييرات في الممارسة أو في صياغة النظرية . أيا ما كان الأمر ، فسيعتمد كل هذا على طبيعة مشروعك .

● الملاحظ : مجموعة من المواد التي تعد ذات صلة بمشروعك ، ولكنها تكون في شكل غير ملائم لإدراجها في المتن الرئيسي للرسالة (وعادة ما يكون سبب ذلك أنها مفرطة في الطول أو مغرقة في التفاصيل) ليست الملاحق مكانا لوضع المادة التي لم يوجد لها مكان في المتن الرئيسي . والمفترض - نموذجيا - أن تكون الملاحق عبارة عن :

● عينة من الاستبيانات .

● هيئة من نماذج أو استمارات الموافقة على الاشتراك في البحث .

● جداول بيانات تفصيلية (خاصة إذا كنت قد عرضت مثل هذه البيانات في شكل رسوم بيانية في مكان آخر) .

● مقتطفات من الوثائق المتعلقة ببعض السياسات الاجتماعية .

● مثالا لبيانات تم جمعها (قد تكون صورة مدونة لإحدى المقابلات وما جرى فيها من حوار ، أو قد تكون استبيانا استوفى المستجيب ملء بياناته) .

● أى شيء آخر لا بد من إدراجها ولكن لم يكن مناسباً وضعه في المتن الرئيسي .

● المراجع : قائمة كاملة بكل مراجع المادة التي ذكرتها وكذلك مراجع المواد الأخرى التي استفدت بأفكارها ، وليس بشواهدا (أى : وليس بما أخذته منها من جمل أو فقرات على سبيل الاستشهاد بها) . سيوجد لدى مؤسستك العلمية قواعد تحدد أى الأنظمة المختلفة للإحالة إلى المراجع يجب استعمالها ، تأكد من أنك تفهم هذه القواعد على وجه صحيح . (تفرق بعض المؤسسات العلمية بين «المراجع» references و«البibliography» ، وبعضها لا يفعل ذلك . ومن الناحية الفنية تعد «المراجع» references هي الشواهد المقتبسة وغيرها من المادة التي ورد ذكرها فعلا في عملك . أما البibliography فيمكن النظر إليها على أنها كل الأعمال الأخرى التي أثرت تفكيرك ، ولكنك لم تذكرها بالاسم) .

ما الإحالة (إلى المراجع)؟

الإحالة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة:

- 1 - فهي تبين من أين حصلت على أفكارك وشواهدك المقتبسة، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت، أى إنك لم تنتحل عمل غيرك.
- 2 - وهى تتيح للقارئ أن يتابع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب فى ذلك) وأن يتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة.
- 3 - وهى تظهر أنك تعلمت كيف تنتفع بأعمال غيرك فى بلورة أفكارك وإجاباتك.

المثال (2-2)

الإحالة (إلى المراجع)

تقوم كل المراجع بأداء نفس العمل: فهي تقدم معلومات مفصلة عن مصدر المادة الأصلية: وتشتمل بيانات كل مرجع على: اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان العمل، ومكان النشر، وجهة النشر (أحياناً، وكما يحدث مثلاً عند الإحالة إلى المجالات العلمية، فإن أرقام الصفحات يتعين إدراجها).

يوجد عدد كبير من النظم المختلفة للإحالة للمراجع، ويتعين عليك استخدام النظام المعتمد من مؤسستك العلمية. ويلاحظ - على سبيل المثال - أن الإحالة إلى أحد المراجع فى النظام المعتمد فى جامعة هارفارد (وهو المفضل لدينا) ستبدو على النحو التالى:

ديكين. إن. فاينر. - جونز، سى. وماتيز، بى (2004) الرعاية الاجتماعية والدولة، مفاهيم نقدية فى علم السياسة، لندن، روتلج.

التقدير

لكل جامعة ولكل كلية طريقة مختلفة فى تقدير الرسائل الجامعية، إلا أن هذه المعلومات ينبغى أن تكون متاحة لك بسهولة. تأكد من أنك قرأت هذه المعلومات قبل أن تشرع فى الكتابة حتى لا تستبعد بسبب وجود متطلبات غير معتادة. إن قراءة الإرشادات الخاصة بتقدير الرسائل هى أيضاً طريقة جيدة لمعرفة ما هو متوقع منك.

تحذير أخير : الانتحال

الانتحال (انظر قائمة المصطلحات)، ببساطة ، هو استخدام عمل شخص آخر وتقديمه كما لو كان عملك أنت (أى بدون الإحالة إليه، أو ذكره صراحة) وهو، فى أقل تقدير، ترفضه بشدة كل المؤسسات الجامعية، كما أنه يجلب عليك فى أحيان كثيرة عقوبات جسيمة إن اكتشف أمرك. (إن الاستعمال المتزايد لبرامج الحاسب ذات المستوى الرفيع فى اكتشاف الانتحال يجعل اكتشافه وفضحه أكثر وأكثر رجحانا).

وأيا ما كان الأمر، فإن الانتحال لا يقتصر على استخدام عبارات شخص آخر بدون الاعتراف بالمصدر، ولكنه يشمل كذلك على الأمور الآتية (ما أوردناه مجرد نماذج، فهذه ليست قائمة كاملة):

- استخدام نص سبق نشره استخداما حرفيا (كلمة كلمة).
- الإعادة الدقيقة لصياغة كلمات أحد النصوص (وعادة ما يكون كتابا، أو مجلة علمية، أو ملاحظات على إحدى المحاضرات).
- قص ولصق النص من مواضع متفرقة مما ينشر على الإنترنت.
- نسخ عمل طالب آخر.
- استعمال أفكار قرأت عنها، ولكنك لا تورد ذكرها لمصدرها الأصلي.
- استخدام عبارة أو اقتباس جميل اكتشفته أو تعلمته فى مكان ما، ولكنك لا نقول أين اكتشفته أو علمت به.
- استخدام الصور الفوتوغرافية، والرسوم والأشكال البيانية، إلى آخره، التى وجدتها (أو: حملتها على حاسبك) بدون تصريح يسمح لك بذلك أو بدون الاعتراف بمصدر هذه المادة.

بحثك

نقاط أساسية للتقرير

- لكل تقرير جيد أهداف واضحة.
- المنظور الفكرى للقارئ أهم من المنظور الفكرى للكاتب.
- لابد من وجود بداية، ووسط، ونهاية.
- لابد من وجود بناء واضح ومنطقى للحجج المستخدمة أو المناقشات المعروضة.
- لابد أن يكون من السهل قراءته وفهمه.

- الاتصال أمر خطير بحكم طبيعته التي لا تتفك عنه ، لذلك عليك أن تفكر في تحقيق التواصل بوضوح .
- لن يحقق تقريرك غايته إلا إذا كنت أنت على بينة من هدفه .
- الجمهور هو أهم شيء!
- لا تكتب شيئاً مما لا ينتمى إلي نوعية التقارير العلمية .

فكر في هذا الموضوع

اللغة الموجزة

اكتب شيئاً معقداً ومُطنباً ثم أعد تحريره في صورة بسيطة ومختصرة تقول نفس الشيء .

المثال رقم (2-2)

هل الكتابة المعقدة هي الأفضل دائماً؟

[الترجمات إلى لغة سهلة بين الأقواس]

- 1 - إنني لأرغب في أن أهنئكم جميعاً على مهمة أنجزت بنجاح [أحسنتم صنعا] .
- 2 - إن تشغيل هذه المعدة يمكن إحداثه عن طريق الضغط الرقمي على زر الضغط المناسب [اضغط لبدء التشغيل] .
- 3 - أرجوكم أن تكون متنبهاً إلى أنه محفوف بالمخاطر أن تقترب من الحدود الخارجية للحفرة [خطر! ارجع!]

فكر في هذا الموضوع . . .

استيعاب التنوع في الكتابة (الإجابات المقترحة)

- 1 - الناس بصورة عامة .
- 2 - المسيطر .
- 3 - ضابط الشرطة .

4 - تذكر أنه توجد أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية.

5 - الأسلاف.

6 - يصلح لمخاطبة الأفراد القادمين من الهند : أما بالنسبة لأمريكا الشمالية ادخل في اعتبارك الأمريكيين الأصليين الموجودين قبل اكتشاف أمريكا (في الولايات المتحدة) والشعوب الأولى والأقدم (في كندا).

7 - المصنع ، والصناعي.

بحثك

اختبار جودة البحث : الكتابة الموجزة الموفقة

- هل عالجت القضايا بطريقة ملائمة (أو أجبت على السؤال)؟
- هل بنية تقريرك واضحة ومترابطة منطقياً؟
- هل استخدمت علامات إرشادية لإيضاح أجزاء التقرير؟
- هل كتابتك واضحة؟
- هل قواعد النحو والتهجئة عندك سليمة؟
- هل أسلوبك مناسب؟
- هل تذكرت جمهورك؟
- هل تفاديت الرطانة؟
- هل كنت موجزًا؟
- هل حررت تقريرك وراجعت كتابة مسودتك ؟
- هل اعتنيت بعرض تقريرك؟

المراجع وقراءات للاستزادة

- Bell, J. and Opie, C. (2002) *Learning from Research: Getting More from your Data – A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.
- Crème, P. and Lea, M.R. (2003) *Writing at University: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.
- Cuba, L. and Cocking, J. (1997) *How to Write about the Social Sciences*, Harlow: Longman.
- Cutts, M. (1995) *The Plain English Guide: How to Write Clearly and Communicate Better*, London: QPD.
- Doherty, P. (2006) Problems with apostrophes, available online at www.eng-lang.co.uk/apostrophes.htm (accessed on 21 August 2009)
- Fairburn, G.J. and Winch, C. (2000) *Reading, Writing and Reasoning: A Guide for Students*, 2nd edn, Buckingham: Open University Press.
- Forsyth, P. (1997) *How to Be Better at Writing Reports and Proposals*, London: The Industrial Society.
- Hartley, P. and Bruckman, C. G. (2002) *Business Communication*, London: Routledge.
- Joseph, A. (1998) *Put It In Writing: Learn How to Write Clearly, Quickly and Persuasively*, New York: McGraw-Hill.
- Lauchman, R. (1998) *Write for Results*, New York: Amacom New Media.
- Marsen, S. (2003) *Professional Writing: The Complete Guide for Business, Industry & IT*, Basingstoke: Palgrave.
- Murray, R. (2002) *How to Write a Thesis: A Guide for Students*, Buckingham: Open University Press.
- Peck, J. and Coyle, M. (2005) *Write It Right: A Handbook for Students*, Basingstoke: Palgrave.
- Shelton, J. H. (1994) *Handbook for Technical Writing*, Chicago: NTC Business Books.
- Truss, L. (2003) *Eats, Shoots & Leaves: The Zero Tolerance Approach to Punctuation*, London: Profile Books.
- Wade, S. (1996) *Studying for a Degree: How to Succeed as a Mature Student in Higher Education*, Plymouth: How To Books.

الفصل الثالث عرض البيانات

محتويات الفصل

- ما عرض البيانات؟
- لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟
- تجهيز البيانات للعرض .
- الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات .
- اعتبارات عامة .
- طرق أخرى للعرض .
- أشكال عرض الملصقات (أو البوسترات) .
- أشكال العرض الشفاهية .
- المراجع وقراءات للاستزادة .

عن السياق

تقنيات عرض البيانات أمر مهم . ففي الوقت الذي يكون فيه من المهم «إنجاز» بحثك ، يلزمك أن تفكر في الطريقة التي توصل بها نتائجك إلى بقية الناس .

يتناول الجزء الأول من هذا الفصل عرض البيانات باستعمال الرسوم والأشكال البيانية ، ولو أنك سوف تجد أمثلة أخرى على امتداد الكتاب (انظر فصل 3 و9 باب 4) ، كما أنه إن نظرت حولك ، فستجد أمثلة في كل مكان ابتداءً من الإعلانات وانتهاءً بالأفلام التسجيلية والوثائقية . ويناقد الجزء الثاني من هذا الفصل بعض الطرق «الأخرى» لعرض البيانات . وقد ركزنا في هذا الجزء على أشكال عرض الملصقات (البوسترات) وأشكال العرض الشفاهية ، وهما نوعا العرض اللذان يحظيان كلاهما بالشعبية المتزايدة داخل الأوساط الجامعية وخارجها معا .

ما عرض البيانات؟

قد يبدو هذا الأمر واضحاً، ولكن بعد أن نكون قد نفذنا البحث، فإنه يلزمنا أن نتأكد من أن تكون نتائج بحثنا متاحة لكافة الأطراف المعنية. (وقد يكون السؤال عمن يمثلون الأطراف المعنية سؤالاً مستقلاً يعتمد على عدد من القضايا التي عرضنا لها في موضع سابق - انظر فصل 1، من هذا الباب).

يمكن للبيانات أن تُعرض بكثير من الطرق المختلفة، والتي استعرضنا عدداً منها في هذا الفصل. ومع ذلك، وقبل المضي قدماً إلى الاعتبارات العملية، يوجد سؤال يتعين أن نجيب عليه.

لماذا تعرض البيانات بطرق مختلفة؟

طبيعي أننا حينما نقوم بإنجاز البحث، فإننا نفهم حقيقة ما توصلنا إليه من نتائج. فقد كنا منهمكين في العمل منذ البداية، كما أن ما نقوله في تقريرنا النهائي يكون - بالنسبة لنا - واضحاً وضوح الشمس! ولكن مما يؤسف له أن ذلك قد لا يكون حال الأفراد الذين يتوجب عليهم أن يقرأوا نتائج بحثنا والذين قد يطبقونها على الحياة الواقعية. ونحن نرى أن من واجب الباحث أن يتأكد من أن تكون نتائج بحثه واضحة لمن يحتاجون إليها، وهذا هو الأساس في مسألة عرض البيانات واختيار طريقة عرضها.

ونرى كذلك أن أهم أمر يجب التفكير فيه عند عرض بياناتك هو أن تحسب حساب «جمهورك». ونعني «بالجمهور» الأفراد الذين تحرص على أن يفهموا عملك: ربما لأنهم يقومون بتقدير بحثك وإعطاء درجات له، أو ربما لأنهم هم الذين كلّفوك بإنجازه. إذ توجد أسباب ممكنة كثيرة. يقول كومار (1996: Kumar: ص 226):

«الهدف الرئيسى من استخدام تقنيات عرض البيانات هو جعل النتائج واضحة ميسورة الفهم. توجد طرق كثيرة لعرض المعلومات. ينبغي أن يكون اختيارك لطريقة معينة خاضعاً أساساً لانتباعاتك/أو معرفتك بما لدى مجموع قرائك من دراية محتملة بالموضوع وبالبحث والإحصائيات. فإن كان من المحتمل أن قراءك على دراية «بفهم» البيانات، فإنك تستطيع أن تستخدم الطرق المعقدة في عرض البيانات، وإلا فإنه يكون من الحكمة أن تلتزم بالتقنيات البسيطة».

لذا، يلزمنا أن نفكر في الطريقة التي بها ستكون بياناتنا مفهومة بأسهل وأوضح ما يكون (انظر برواز «فكر في هذا الموضوع...» أدناه). من المحتمل أن كشوف الحسابات وجداول الأرقام ستكون أكثر من مقبولة من جانب الإحصائيين وعلماء الاقتصاد والحاسبين - فهي رصيدهم الذى يتاجرون به، فى آخر الأمر. إلا أن الأمر

الأقل احتمالاً أن تكون تلك الكشوف وجداول الأرقام مفهومة بسهولة من جانب مديري إدارات الخدمة الاجتماعية، وعلماء الاجتماع، وخبراء الدراسات الثقافية. والمعتاد أن الطريقة التي نختارها لعرض بياناتنا يتعين أن يكون لها هدف محدد: ومن أكثر الأهداف شيوعاً أن نتيج لنا هذه الطريقة مقارنة المجموعات السكانية ذات الأحجام المختلفة.

هنا ينبغي أن نحذر من أمر؛ فجانِب ما ذكرنا: لا تقع تحت إغراء التضحية بالدقة في مقابل أن يكون عرضك ملائماً لجمهورك أو في مقابل الإفراط في تبسيط البيانات. والمعتاد أن ما نقوم بعمله عند عرض البيانات هو التأكد من أن جمهورنا يفهم ما توصلنا إليه من نتائج. وستستفيد بعض الجماعات أعظم فائدة من نفس أشكال العرض البيانية (انظر المثال رقم «4-3»)، أما غيرها من الجماعات (وبطبيعة الأمر، قد تكون هي الأخرى من الجماعات التي تحب الصور) فسوف ترغب في رؤية البيانات الأصلية التي استمدت منها هذه الصورة. وكثيراً ما تكون أفضل طريقة لعمل ذلك هي أن تدرج البيانات العددية في صورة ملحق، ولكن لا بد من معالجة كل حالة بناء على خصائصها الموضوعية.

تجهيز البيانات للعرض

عادة ما تكون البيانات «الخام» التي نجمها في بحثنا غير مناسبة للعرض. لذلك فإن طريقة جمع البيانات وتسجيلها يجب أن تكون قد سبق تحديدها قبل ذلك في مرحلة تصميم البحث، كما أنه، وبالرغم من أننا ربما نكون قد بذلنا شيئاً من التفكير في الطريقة التي ستعرض بها البيانات في صورتها النهائية، فإن الأرجح ألا يكون قد سبق اتخاذ قرارات نهائية تحدد هذه الطريقة.

تبين هذه الفقرة بعض الطرق الأساسية في معالجة البيانات العددية لإعدادها للعرض. والأمثلة المستخدمة هنا في غاية البساطة، حيث إننا تناولنا تحليل البيانات الإحصائية في فصل 3 باب 4.

الجداول

استعمالك لجدول (أو مصفوفة، إذا أردت أن تبدو في مستوى راق) في عرض البيانات فكرة ممتازة في كثير من الأحيان. في حالة إنشاء الجدول بحرص وعناية، فإنه سيساعد جمهورك على فهم نتائجك، و(ربما) يساعدهم على مقارنة الأجزاء المختلفة من هذه النتائج.

وإليك بعض القواعد البسيطة للجداول:

- تحتاج الجداول على عنوان مناسب.
- ينبغي أن تكون العناوين واضحة.
- اختر تصميمات مناسبة لمشروعك.
- ينبغي في العادة أن يوجد تنويه بمصدر البيانات، خاصة إذا كنت قد أعدت معالجة نتائج بحث قام به شخص غيرك.

المثال رقم (3-1)

جدول لمقارنة النسب المئوية

جدول رقم (3-1): الجانحون من الذكور والإناث (النسب المئوية)

مكان الإقامة	الذكور %	الإناث %
برمنجهام	٧٣	٢٧
نوتنجهام	٨٩	١١
الإجمالي	١٠٠	١٠٠

المصدر: جداول تخيلية.

إلا أن بالإمكان استخدام الجداول لعرض البيانات غير العددية أيضا، كما يمكن أن تكون بسيطة أو معقدة، وذلك بناء على الغرض من تلك (الجدول) مثال ذلك، أن المثال رقم (3-2) يظهر طريقة لعرض البيانات المعقدة لتحليل الروايات الشفاهية بأسلوب يتيح للجمهور أن يقارن بعض محتويات القصص المختلفة.

المثال رقم (2-3)

ما في الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوي، ونبرة صوته، وبناء الرواية. جدول 2-3 ما في الروايات الشفاهية من ارتباطات بين طريقة تصرف الراوي، ونبرة صوته، وبناء الرواية.

[illegible]

المصدر : جداول تخيلية

المتوسطات

المتوسطات أداة مفيدة في تلخيص البيانات العددية ببساطة، وهناك عدة طرق مختلفة لحساب المتوسطات، ولكننا نقول من باب التبسيط إن المتوسط الذي نستعمله هنا هو الوسط الحسابي (انظر قائمة المصطلحات). وهذا الوسط الحسابي هو ما يشير إليه الأفراد عادة عندما يقولون كلمة «متوسط» (انظر فصل 3 باب 4 لمزيد من التفصيل).

الواقع أن المتوسطات مفيدة في عرض البيانات لأنها تتيح لنا مقارنة الجماعات (أو الأحداث، أو ما سوى ذلك) على أساس كمية سمة معينة منسوبة إلى حجم هذه الجماعات). يمكننا حساب الوسط الحسابي عن طريق جمع كل قيم «الملاحظات» (وهي الصفحات التي نختبرها) ثم قسمتها على «عدد» هذه الملاحظات.

المثال رقم (3-3)

حساب متوسط (الوسط الحسابي)

- 1 - خذ جماعة من خمسة أفراد أعمارهم هي : 21 ، 25 ، 19 ، 15 ، 22 سنة.
- 2 - اجمع هذه الأعمار (= 102 سنة).
- 3 - اقسّم الناتج الإجمالي (102) على عدد الأفراد (= 5 أفراد).
- 4 - المتوسط (أى: الوسط الحسابي) = 20.4 سنة.

تحذير!

من السهل تشويه الوسط الحسابي بسبب وجود «قيم متطرفة». أعنى بذلك، أن رقما كبيرا بشكل غير معتاد أو صغيرا بشكل غير معتاد سيكون له تأثير غير متناسب على النتيجة. فلو غيرنا مثالنا المذكور بعاليه إلى 21 ، 25 ، 19 ، 15 ، 69 سنة؛ فإن المتوسط، في هذه الحالة، سوف يرتفع بشكل حاد إلى 29.8 سنة. لا يجب أن يمثل هذا الوضع مشكلة، ولكنه يبين فعلا أنه توجد قضايا يجب إدخالها في الاعتبار عند معالجة أو تجهيز أبسط البيانات للعرض!

النسب والنسب المئوية

النسب هي الحالات أو الملاحظات أو الأمثلة مقسومة على العدد الإجمالي للأمثلة. مثال ذلك، إن كان أخصائي اجتماعي مسئولاً عن 70 شخصاً من الجانحين، منهم 55 من الذكور، فإن نسبة الجانحين الذكور تساوى:

$$0.785 = 70/55$$

النسب المئوية هي النسب مضروبة في 100. باستعمال المثال أعلاه:

$$78.5\% = 100 \times 0.785 = 70/55$$

وتعد النسب المئوية والنسب مفيدة بصفة خاصة لأنها تتيح مقارنة الجماعات المختلفة الأحجام.

الأشكال واللوحات البيانية

يمكن للأشكال واللوحات البيانية أن تكون طريقة ممتازة لعرض البيانات. ولكن

مما يؤسف له أن بعض قواعد الرياضيات و علم الإحصاء التى تعلمنا طريقة إعداد اللوحات والأشكال البيانية قد تكون معقدة تعقيدا شديدا (فصل 3 باب 4).

ولكن لأننا نعيش الآن فى القرن الواحد والعشرين ، فإن معظم الأشكال واللوحات البيانية التى ستستعملها فيما بعد (وجميع الأشكال واللوحات البيانية المستخدمة فى هذا الفصل) أصبح من الممكن إنتاجها بسهولة باستعمال حاسب شخصى . وقد تناولنا فى الفصل 9 باب 4 موضوع برامج الحاسب التى يمكن استخدامها لهذا الغرض . ومع ذلك ، فإن على معظم الطلبة أن يكونوا قادرين على الوصول إلى برنامج مايكروسوفت إكسل الذى يعد برنامجا ذا استعمالات متعددة جدا ، كما يمكن استخدامه لإنتاج معظم الإحصائيات واللوحات البيانية . وقد يلزمك ، تبعا لطبيعة دراساتك ، أن تستخدم حزمة برامج إحصائية متخصصة مثل حزمة إس . بى . إس . إس . SPSS .

عندما تستعمل اللوحات البيانية ، فإن مساحة سطح الأعمدة أو القطاعات (أو أى شكل من أشكال العرض البيانى قررت أن تستعمله) ينبغي أن تكون متناسبة تناسبا مباشرا مع قيمة البيانات الأصلية . عندما تنشئ لوحة بيانية ذات بعدين ، تكون قد أنجزت عملا ممتازا . لكن إن قررت أن تستعمل الإمكانات التى تتيح لك إنتاج الأشكال البيانية ثلاثية الأبعاد التى تزودنا بها بوفرة معظم برامج الحاسب ، فسوف يؤدي ذلك إلى تدمير العلاقة ، كما أن لوحتك البيانية ، من الناحية الفنية على أقل تقدير ، لن تعود معبرة عن الحقيقة . ورغم ذلك ، يمكن للوحات البيانية ثلاثية الأبعاد أن تكون ، أحيانا ، مذهلة الجمال حتى إنك قد تقرر استخدامها بأية حال - كن حذرا فحسب!

الأشكال البيانية (أو التوضيحية) الدائرية

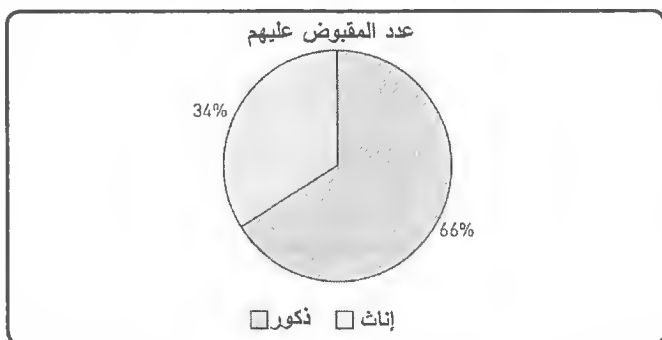
تعتبر الأشكال التوضيحية الدائرية طريقة رئيسية لعرض البيانات ، خاصة عند مقارنة المجموعات المختلفة من البيانات ، وتستخدم تحديدا لإيضاح النسب المئوية (تخيل «كيكة» مقسمة إلى شرائح) .

قد يكون من الأمثلة البسيطة للأشكال التوضيحية الدائرية أن تقارن عدد المقبوض عليهم من الرجال والنساء . فإن أدخل فى برنامج إكسل ، فسيبدو فى هذه الصورة:

ذكور	إناث	عدد المقبوض عليهم
٢٧	١٤	

هذا مثال بسيط ، لذلك يكون من السهولة البالغة أن يدرك معظم الأفراد أن عدد المقبوض عليهم من الذكور أكبر بكثير من عدد المقبوض عليهن من الإناث . ومع ذلك ، وبناء على

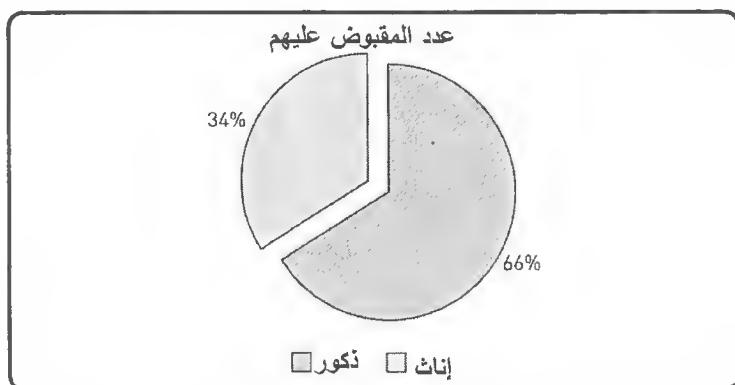
نوعية جمهورك ، قد يكون من الأفضل أن تعرض هذه البيانات في صورة شكل بياني .
في هذه الحالة ، إن أنشأنا شكلا بيانيا دائريا ، فإن البيانات ستبدو هكذا :



الشكل (3-1) : البيانات معروضة في صورة شكل بياني دائري

يمكننا حينئذ أن نتحكم في هذا الشكل البياني بعدد من الطرق ، مثال ذلك ، أن نغير لون «الشرائح» أو أوضاعها . ويمكن أيضا تغيير العنوان و«المفتاح» المستعمل في تفسير مصطلحات الشكل البياني .

من الأمور التي يمكن أن تكون مفيدة جداً «تفصيل» الشكل الدائري بفصل بعض أجزائه عن بعض بغرض التأكيد على أهمية مسألة معينة ، مثال ذلك :



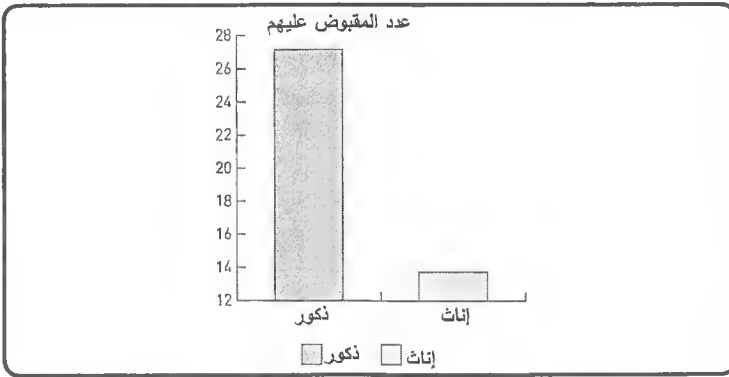
الشكل رقم (3-2): البيانات معروضة في شكل بياني دائري مفصص .

الأشكال البيانية باستعمال الأعمدة أو المستطيلات

هذان النوعان من الأشكال البيانية ينتميان إلى نفس النمط في الواقع ، إلا أن توجه كل منهما مختلف من الآخر . ومن الناحية الفنية تتألف الأشكال البيانية التي تستعمل

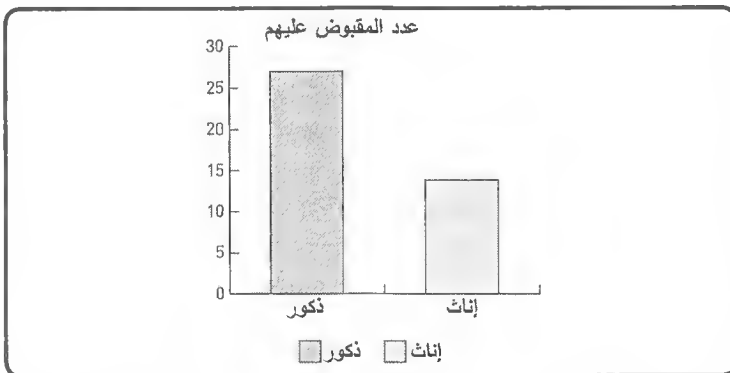
المستطيلات من مستطيلات أفقية، وتتألف الأشكال الأخرى التى تستعمل الأعمدة من أعمدة رأسية، وتمثل مساحة سطح المستطيلات ومساحة سطح الأعمدة البيانات الأصلية. وهذا التفريق غير مهم، وسوف يشار إليهما هنا باعتبارهما أشكالا بيانية تستعمل المستطيلات .

باستعمال نفس البيانات المأخوذة من جدول إكسل المذكور قبل ذلك، نستطيع أن ننتج — بسهولة — شكلا بيانيا بسيطا قائما على استعمال المستطيلات، وهو الأمر الذى سيتيح لنا مقارنة مجموعتي البيانات والحصول على انطباع بصرى واضح عن الفرق بينهما.



الشكل رقم (3-3): البيانات معروضة فى شكل بياني يستعمل المستطيلات

مما يستلفت النظر أننا نستطيع أيضا أن نعرض هذه البيانات بطريقة تجعلها تبدو مختلفة تماما، ولكنها مع ذلك تكون دقيقة.

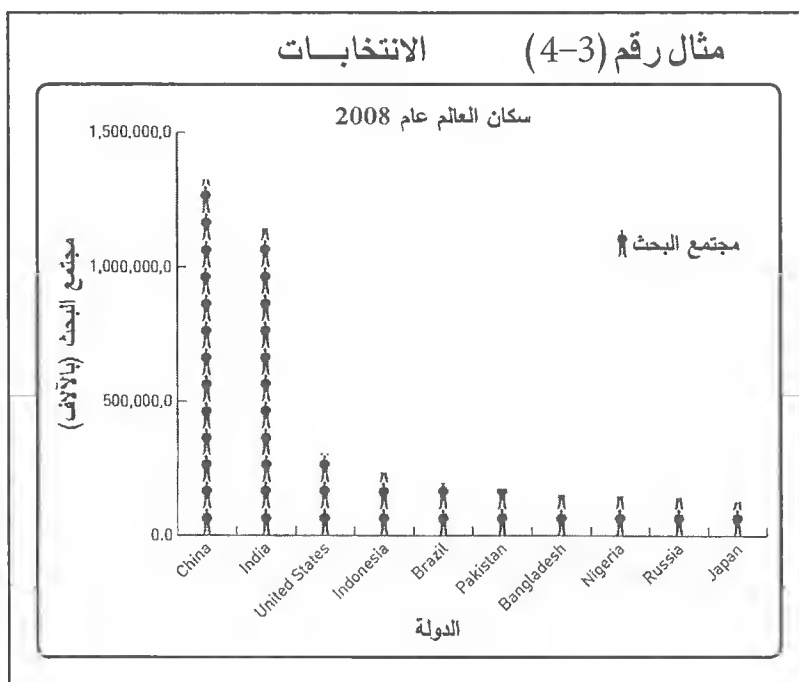


الشكل رقم (4-3): البيانات معروضة فى شكل بياني يستعمل المستطيلات ، مع استعمال مقياس رأسى معدل

هذا القالب (والذى هو فى الواقع نوع من الغش ، والذى تفضله جدًا صحف التابلويد ذات القطع المتوسط ، والمشهورة باهتمامها بالإثارة والفضائح)؛ هذا القالب يعطى الانطباع البصرى بأن الفارق بين مجموعتى البيانات هائل ، وذلك بالرغم من أن البيانات الأصلية متماثلة . وقد حققنا هذا بسهولة بالغة: كل ما فى الأمر أننا تلاعبنا فى المقياس الرأسى للشكل البيانية حتى لم يعد يبدأ عند القيمة صفر .

هذا النوع من التلاعب غير ممكن تنفيذه مع الأشكال البيانية الدائرية التى تبين دائماً المجموع الكلى للبيانات .

وليس من اللازم بالطبع أن تكون الأشكال البيانية التى تستعمل المستطيلات بنفس الصورة الشكلية المذكورة أعلاه . فقد ترغب - حسب هدف بحثك - فى عرض بياناتك على هيئة صور رمزية - انظر المثال رقم (3-4) .

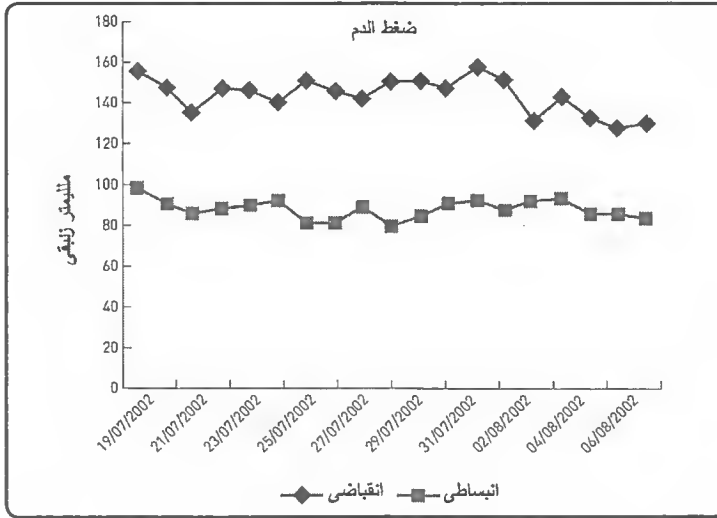


الشكل رقم (3-5): البيانات معروضة على هيئة صور رمزية

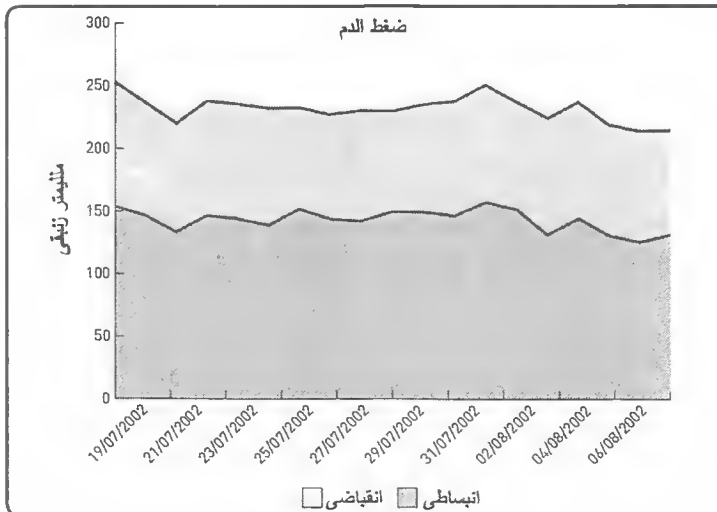
إن فرص التجريب لا حدود لها. الأمر المهم، بلا ريب ، أن نتذكر استعمال الصور الرمزية المناسبة .

أشكال بيانية أخرى

إن الشكلين البيانيين الأعظم فائدة للاستخدام العام هما: الخطوط البيانية البسيطة، واللوحات البيانية التي تستعمل المساحة (انظر الشكلين (3-6) و (3-7)).



الشكل رقم (3-6) البيانات معروضة في خطوط بيانية



الشكل رقم (3-7) : البيانات معروضة في لوحات بيانية تستعمل المساحة

اعتبارات عامة

يوجد عدد من الأمور التي ينبغي علينا إدخالها في الاعتبار حينما نقوم بعرض البيانات التي قد لا تكون واضحة عند التفكير فيها في أول مرة. كما قلنا قبل ذلك، فلعل أهم شيء يتعين التفكير فيه هو الرسالة التي تريد أن يخرج بها جمهورك. وهذا يعني أنه لا بد أن تقرر أي نوع من التأكيد تضيفه على نتائجك.

من طرق القيام بهذا الأمر استخدام أطقم حروف طباعية مختلفة، وألوان مختلفة، وخلفيات مختلفة بالصورة التي نبينها في الجداول التالية:

عدد المقبوض عليهم	بيض	سود	عدد المقبوض عليهم	بيض	سود
٠	٥	٨	٠	٥	٨
١	٦	١	١	٦	١
٢	١٦	٤	٢	١٦	٤
٣	٩	١	٣	٩	١
٤	٣	٤	٤	٣	٤
٥	١	٩	٥	١	٩
٦	٠	١	٦	٠	١
١٩	٠	١	١٩	٠	١
الإجمالي	٤٠	٢٩	الإجمالي	٤٠	٢٩

عدد المقبوض عليهم	بيض	سود	عدد المقبوض عليهم	بيض	سود
٠	٥	٨	٠	٥	٨
١	٦	١	١	٦	١
٢	١٦	٤	٢	١٦	٤
٣	٩	١	٣	٩	١
٤	٣	٤	٤	٣	٤
٥	١	٩	٥	١	٩
٦	٠	١	٦	٠	١
١٩	٠	١	١٩	٠	١
الإجمالي	٤٠	٢٩	الإجمالي	٤٠	٢٩

بحثك

أمر مهم!

لا تستخدم اللوحات البيانية ثلاثية الأبعاد كالأشكال الدائرية، ولوحات الأعمدة والمستطيلات، إلى آخره) إذا أردت أن يكون عرضك للبيانات دقيقاً من الناحية الإحصائية. فالصيغة ثلاثية الأبعاد للبيانات تدمر العلاقة الهامة التي بين البيانات الأصلية والمساحة المعروضة في اللوحة البيانية.

فكر فى هذا الموضوع . . .

هناك ثلاثة أنواع من الأكاذيب :

الأكاذيب ، والأكاذيب اللعينة ، والإحصائيات

(بنيامين دزرائلى ، كما تنسب أيضا لمارك توين)

إننا نفترض ، كباحثين أكاديميين ، أنك ترغب فى أن يتكون لدى جمهورك فهم تام لنتائج بحثك . ومع ذلك ، فليس الأمر هكذا ، كما أنه ليس مستحيلا أن تقدم بياناتك «بأمانة» فى نفس الوقت الذى تتمكن فيه من إعطاء انطباع زائف عن أهمية هذه البيانات . وقد سبق أن تناولنا هذه النقطة فى موضع سابق .

إننا لا ندافع عن هذا السلوك ، والذى يبدو أنه الطابع الغالب لصحف التابلويد ، ولكننا نرى أن من الأهمية أن تفهم كيف إن بالإمكان تقديم النتائج الدقيقة بأسلوب مضلل ! لذا ، فإن القاعدة الأساسية أن تتأكد من أن الرسوم واللوحات البيانية تبدأ من النقطة صفر (هذا ما لم تكن تحاول عامداً أن تؤكد أو تقلل من التأكيد على أهمية نتائجك) .

تذكر أن أهم ما تقوم به هو التأكد من أنك عرضت بياناتك بطريقة:

● ملائمة لجمهورك .

● ودقيقة .

● وواضحة .

طرق أخرى للعرض

يتعرض الباحثون ، بصورة متزايدة ، للمطالبة بتقديم أعمالهم بطرق مبتكرة . ويعكس هذا الوضع - فى جانب منه - طبيعة المجتمع فى القرن الواحد والعشرين ، حيث أصبح الورق «موضة قديمة» وأصبح لوسائل الاتصال الإلكترونية القدر الأعظم من الأهمية . فمعظم المؤتمرات تحت المشتركين على عرض نتائجهم وتقاريرهم بطرق بصرية ، وأشهر هذه الطرق العرض باستعمال الملصقات (البوسترات) . إن الكلمة المنطوقة لا تزال موجودة ، رغم كل شيء ، وربما يرجع ذلك إلى أنها ما زالت وسيلة اتصال مألوفة ومرنة ، كما أن العرض الشفاهى ما زال محتفظاً بأهميته . وتقدم هذه الفقرة بعض التوصيات الواضحة المتعلقة بهذه الأنواع من العروض .

أشكال عرض الملصقات (البوسترات) (*)

يمكن للملصقات أن تكون وسيلة رائعة لعرض نتائجك ، وذلك رغم أنها لا تخلو من المشكلات؛ إذ توجد على وجه التحديد ثلاث عناصر سلبية ينبغي إمعان النظر فيها عند إنتاج أحد الملصقات:

1 - فالملصقات ليست تفاعلية.

2 - لا تستطيع الملصقات إلا أن تعرض عملك في لحظة زمنية واحدة محددة.

3 - لا تستطيع الملصقات أن تنقل إلا مقداراً محدوداً من المعلومات.

وبإدخال هذه الاعتبارات في الحسبان ، نطرح فيما يلي بعض القضايا للتفكير عند تصميم وإنتاج الملصقات:

● لا بد أن تكون الملصقات مصممة على نحو يشد الانتباه ، لذا يتعين عليك أن تفكر في التوليفة التي يتكون منها جمهورك (انظر فصل 1 باب 5) وأن تعثر على طريقة ما تجعل ملصقك جذاباً في نظرهم.

● لا يمكن للملصقات أن تحتوى إلا على كمية محدودة من المعلومات . من الأخطاء الشائعة محاولة حشر معلومات أكثر مما يجب في الملصق ، مما يؤدي إلى صورة طباعية ذات حروف أصغر من أن تقرأ من مسافة بعيدة . فنادر ما تبدوا الملصقات المليئة بالنصوص المكتوبة مثيرة للاهتمام ، لذا فلتحرص قدر إمكانك على أن يكون عدد الكلمات في حده الأدنى .

● تأكد من أنك تستعمل أطقم حروف طباعية سهلة القراءة (تعتبر أطقم الحروف الطباعية القياسية ذات المقاس غير الصغير ، مثل حروف إيريال Arial وحروف فردانا Verdana ، اختياراً مناسباً) . فكر في مقدار المسافة التي سيقف عندها الأفراد (ليقرأوا ملصقك) وتأكد من أن حجم الحرف الطباعي كبير بما يكفي لقراءته من مسافة متر واحد على الأقل (ربما لا يكون أقل من «فونط» 18 «مقاس»).

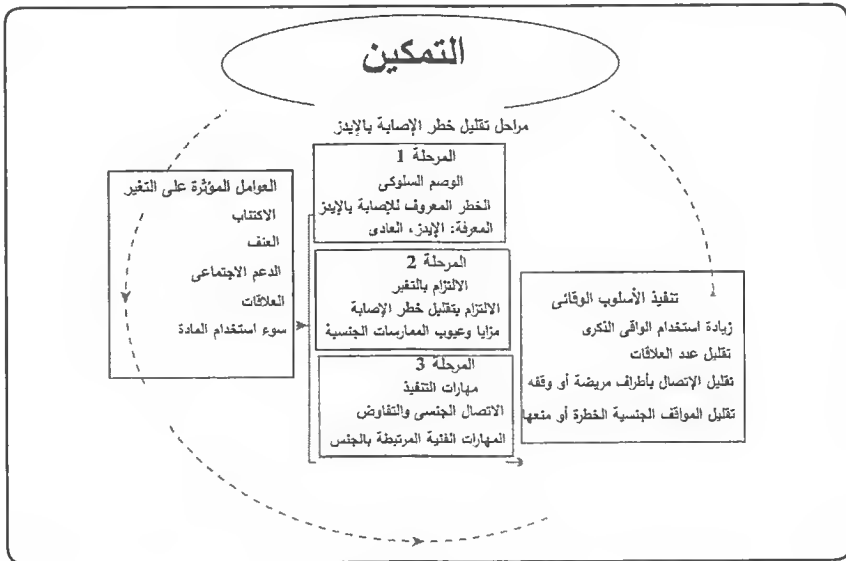
● فكر في الألوان . تخير بعناية لون الخلفية الذي ستكون عليه اللوحة التي سيثبت عليها

(*) تقوم المؤتمرات العلمية العالمية اليوم على نشاطين رئيسيين وعدة أنشطة ثانوية . النشاط الأول هو إلقاء البحوث والمحاضرات ، والثاني هو الملصقات (أو البوسترات) . والملصق لوحة من ورق (بأنواعه) أو قماش بلاستيك . . . إلخ . ويحتوى البوستر على عرض مختصر لموضوع البحث ، وأقسامه ، وأهم النتائج ، وصور توضيحية . . إلخ . وقد يشارك البعض بإلقاء بحث أو محاضرة ، أو تقديم ملصق (بوستر) ، أو كليهما . والعادة أن يخصص لشاهدة الملصقات ومناقشة أصحابها جلسة أو أكثر من جلسات المؤتمر . ولم تعرف مؤتمرات العلوم الإنسانية والاجتماعية في بلادنا تقليد الملصقات بعد ، ولكن المؤتمرات في ميدان العلوم الطبيعية والتطبيقية تعرفه جيداً . (المترجم)

ملصقك أو اللافتة التي سيوضع عليها ، وهو اللون الذي سيكون عنصرا أساسيا في ملصقك ، واستعمل الألوان الأخرى بحرص وحذر .

- إن كنت تعرض - في هذا الملصق - تقريراً عن البحث ، فمن الأفكار الجيدة ، عادة ، أن تستعمل نفس نوع البنية الذي يجب أن تستعمله في أى تقرير (أعنى بذلك عرض : المقدمة ، وطرق البحث ، والنتائج ، والخاتمة) . إن تأكدت أن ملصقك يروى قصة (لها بداية ، ووسط ، ونهاية) فمعنى ذلك - على الأرجح - أنك تسير على الطريق الصحيح .
 - فكر بعناية في الصور التي سوف تستخدمها ، وكن حريصا بصفة خاصة على التأكد من أنها ذات صلة وثيقة بعملك .
 - لا تنس الأمور الواضحة مثل ذكر اسمك (أو أسمائكم) وإعطاء التفاصيل الخاصة بالاتصال بك .
 - تأكد من أن العنوان ظاهر (كبير في حروفه وقاتم في لونه!) .
- ونقدم فيما يلي بعض أمثلة ملصقات عرض قدمت «فعلا» في مؤتمرات: أسأل نفسك عن مدى جودة أداء هذه الملصقات لمهمتها .

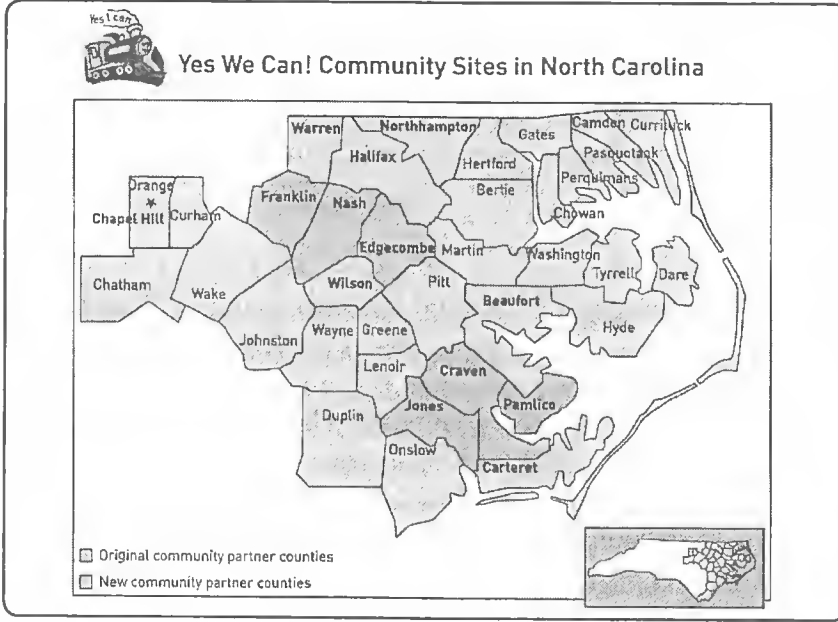
المثال رقم (3-5)



الشكل رقم (3-8): الملصق (أ) .

المصدر : المركز التعليمي للدعم التكنولوجي والتربوي [http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example_graphic.jpg] جامعة نورث كارولينا، تشابل هيل ، معهد التمرّض ، تم التصريح بالنشر .

المثال رقم (3-6)



الشكل رقم (3-9): الملصق (ب).

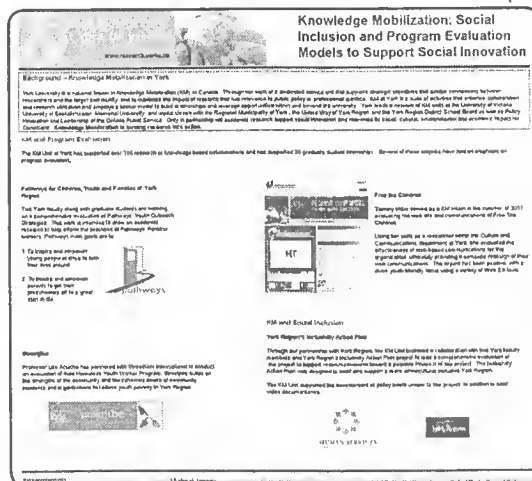
المصدر: المركز التعليمي للدعم التكنولوجي والتربوي [http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example__graphic.jpg] (http://nursing.unc.edu/cites/presentation/example__graphic.jpg) جامعة نورث كارولينا، تشابل هيل، معهد التمريض، تم التصريح بالنشر من الدكتور جين جوبنجر.

أشكال العرض الشفاهية

عندما يطالب الدارسون بتقديم عروض شفاهية، فإنهم يكونون في العادة قلقين. ورغم أن الأفراد يتباينون في قدراتهم وفي ثقهم بأنفسهم، فمن النادر أن يحب أي امرئ فكرة أن يكون معرضاً لجمهور يحتمل أن يكون ميالاً للانتقاد، كما أن الكثير منهم يكونون خجولين. وبطبيعة الأمر، تكون المرة الأولى هي الأسوأ، كما أن كثير من المتحدثين (والممثلين) يعتقدون أن درجة ما من درجات الشعور «برهبة المسرح» أمر جوهري لا بد منه للأداء الجيد.

يتمثل الاختلاف الأكبر بين العرض الشفاهي وغيره من أنواع العروض في كونه عملية دينامية. إذ توجد غالباً حاجة للتفاعل مع الجمهور - ويرى كثير من المتحدثين المتمرسين أن هذا التفاعل أمر جوهري - كما تتوافر لك دائماً الفرصة لتغيير ما تقوله.

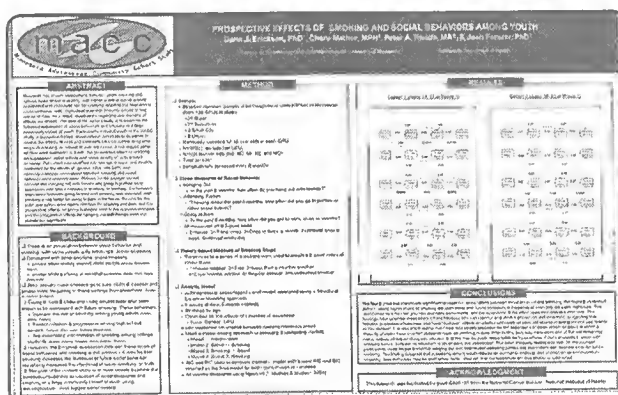
المثال رقم (7-3)



الشكل رقم (3-10) : الملصق (ج).

المصدر : موقع تأثير البحوث (<http://researchimpact.files.wordpress.com/2009-april-30-poster-v3mj.jpg>) تم التصريح بالنشر .

المثال رقم (3-8)



الشكل رقم (3-11) المصقق (د) .

المصدر: قسم الوبائيات والصحة العامة ، جامعة مينيسوتا (www.epi.umn.edu/research/macc/2008__macc__ppt/EricksenSPR08__Poster.jpg). حقوق النشر مسجلة 2009 لجامعة مينيسوتا. تم التصريح بالنشر.

الإعداد

من المحال أن نتجاوز عن تأكيد أهمية التحضير والإعداد الملئم للعروض الشفاهية ، إذ يلزمك أن تعرف موضوعك معرفة تامة وأن تكون على بصيرة بالترتيب الذى ستقدم أفكارك وفقا له . بجانب ذلك ، يتعين أيضا أن تدرك ما عليه حال المعدات المتوافرة لك ، وهذا يقتضى منك فى العادة القيام برحلة سريعة للقاعة التى سوف تعرض فيها ، وذلك للتأكد من الإمكانيات الموجودة . ونحن نوصيك بأن تكون حذرا فيما يتصل بالاعتماد على التكنولوجيا (خاصة الأشياء التى تشبه التوصيلات الخاصة بالإنترنت) لأنها لا تكون مما يعتمد عليه دائما .

هل تكتب نص الكلمة أم لا؟

يميل معظم الأفراد ، على الأقل فى أول مرة يعرضون فيها ، إلى أن يكتبوا نص الكلمة التى سيقونها . ومن الراجح أن يكون ذلك التصرف أمرا جيدا تقوم به حينما تشرع فى هذا العمل ، وذلك لأنه يوفر لك «شبكة أمان» فيما يتصل بما تريد أن تقوله . تتمثل الصعوبة الرئيسية فى استخدام النصوص المكتوبة فى أنها تميل إلى تقييد المتحدث بالكلمات المكتوبة على الورق مما يعنى أن يكون المتحدث غالبا أقل ديناميكية مما كان يمكن أن يكون عليه . ومع هذا فإنها طريقة حسنة للتحضير .

عندما تزداد خبرتك وثقتك بنفسك فسيكون من المحتمل أن تتخلى عن استعمال الكلمات المكتوبة وتتجه لاستخدام المذكرات المفصلة . وهذه طريقة حسنة أيضا .

بنية التحديث

لعل أهم أجزاء أى عرض هو بنيته . فلا بد من التأكد من أن له بداية ووسطا ونهاية . يقول بعض المتحدثين إنه توجد ثلاث قواعد لمحتوى العروض :

- 1 - عرف الجمهور بما سوف تخبرهم به (المقدمة) .
 - 2 - عرفهم (الوسط/ المتن الرئيسى) .
 - 3 - عرفهم بما قد أخبرتهم به (الخاتمة) .
- فإن اتبعت هذه «القواعد» على سبيل الاسترشاد ، فسيكون عرضك - على الأقل - ذا بنية واضحة .

التدريب المسبق (المران أو «البروفة»)

لا بد أن تتدرب على تقديم عرضك . فلن يقتصر أمر هذا التدريب على أنه يجعلك متأكدا من العلم والإحاطة بمحتوى العرض ، بل سيمكنك كذلك من الالتزام بحدود وقتك وعدم تجاوزها ، كما سيجعلك أكثر ثقة بنفسك . الواقع أنه لا بد من التدريب والمران .

العرض

الأمر كله تمثيل . . .

يتطلب الحديث الموجه للجمهور من أى متحدث أن يقدم نفسه بأسلوب معين يجعله جذابا فى نظر الجمهور . ونحن نرى أن هذا الأمر شبيه جدا ببراعة فن التمثيل (كما أشرنا من قبل إلى «رغبة المسرح») . يختار المتحدثون تبنى شخصية ما من شأنها أن تسهل عليهم أداء دورهم (مثال ذلك ، أنك قد تختار أن تقدم نفسك بوصفك مضيفا لجمهورك أو بصفتك خبيرا) . اختر الدور الذى ستؤديه بعناية ، وذلك بجانب إعطاء الاهتمام اللازم للمهمة التى لا بد أن تضطلع بها وللوسط الذى ستقدم فيه عرضك .

إمكانية السماع بوضوح

إن لم يستطع جمهورك أن يسمعوك ، فقد أخفقت إذن . فإن توافرت الأدوات المساعدة (كسماعات الإذاعة مثلا) ، فتأكد مسبقا من أنها تعمل ومن أنك على دراية وعلم باستخدامها . تحقق فى بداية عرضك من أن الأفراد الموجودين فى الصف الخلفى يستطيعون أن يسمعوك .

الوضوح

لا يكفى ، بطبيعة الأمر ، أن تكون جهير الصوت فحسب: إذ يلزمك أن تتأكد من أن حديثك مفهوم كذلك . والملاحظ أن أغلبنا ، عندما يشعرون بالقلق يميلون للحديث بسرعة بالغة - لذلك حاول أن تحدث توازنا فى هذا الشأن . ونكرر من جديد أنه لا بديل عن التدريب المسبق على أداء الدور .

الألفة والتجاوب مع جمهورك

يتوقع المستمعون إليك أن تكون مهتما بهم ، وهم يستحقون ذلك - فهم فى النهاية ، منصتون إليك . سيحتاج أفرادا هذا الجمهور إلى أن يتصوروا أنك مهتم بهم ، كما أنهم سيصدقون أن هذا هو الواقع إن نظرت إليهم والتقت عيناك بأعينهم .

تلاقى العيون وكيفية التظاهر به

يمكن أن يكون نظر المتحدث إلى أعين أفراد الجمهور بمثابة مشكلة له . إذ إنه مما يثبط الهمة أن ترى أحدهم يرسل رسائل على هاتفه المحمول أو يقرأ جريدة (رغم أن هذا يقع لجميع المتحدثين فى لحظة ما) . فإن كنت شخصية قوية بما فيه الكفاية ، فانظر إلى الأفراد فى أعينهم مهما كلف الأمر (ولكن احذر فقد بسبب نظرك هذا الارتباك لبعض الأفراد) . وفيما يتعلق بنا ، فإننا نقترح استراتيجيتين :

1 - استراتيجية الحواجب: لا تنظر إلى جمهورك في أعينهم مباشرة: بدلا من ذلك ، انظر إلى حواجبهم: فهذا التصرف له مفعوله؛ ولن يدرك جمهورك هذا الفارق .

2 - استراتيجية الثواني الثلاثة: تستطيع أن تحافظ على الاتصال «الفعلى» بالعيون ، ولكنك فى حالة استراتيجية الثواني الثلاثة تقتصر على النظر إلى أحد الأفراد فى عينيه لمدة ثلاث ثوان ، ثم تنتقل لتفعل نفس الشئ مع شخص آخر . فإن تدريب على هذه الاستراتيجية ، فستكون تقنية سهلة إلى درجة معقولة ليس فيها ما يشنت ذهنك كما يبدو عليها فى أول الأمر .

(من المستصوب ، بطبيعة الأمر ، أن تنظر إلى الجمهور كله من وقت لآخر).

الفكاهة والحيل الأخرى

لا نقترح عليك أن تروى الفكاهات لغرض الفكاهات (ولكن فى حالة وقوعك فى مأزق طارئ ، يمكنك أن تقول مثلا: «كم عدد مشجعى النادى الفلانى (واذكر هنا اسم أى فريق كرة قدم) اللازمين لتغيير مصباح كهربائى؟ كلاهما»^(*) . إلى جانب ذلك ، فإن الأفراد يتذكرون الأمور على وجه أفضل حين يكونون مشاركين فيها ، لذلك فإن إضحاكهم (أو إغضابهم ، كبديل لإضحاكهم) أرجح فى جعل عرضك أشد لفتا لانتباههم . إننا نود أن ننبهك إلى أن تتأكد من أنك لا تدخل فى الموضوعات الجادة شيئا لا لزوم له من الخفة والطيش .

إدماج الجمهور فى العرض

سلفت الإشارة إلى أن الأفراد الذين يكونون إيجابيين يزاد احتمال تذكرهم لمضمون عرضك ، لذا أدخلهم كشركاء فيه . اجعلهم يشاركون فى أحد أشكال التصويت أو اطرح الأسئلة عليهم . فالغالب الأعم أن أى نوع من أنواع المشاركة سيكون له تأثير إيجابى .

تكلم - لا تقرأ!

يؤول أمر المتحدثين الذين يقرؤون من مذكراتهم أو نصوصهم المكتوبة إلى أن يصيبوا جمهورهم بالملل كثيرا ، ويرجع سبب ذلك فى جانب منه إلى أنهم بهذا التصرف لا يظهرون أنهم مدركون لوجود جمهورهم (أو مستمعيهم) وعادة ما يقوم المتحدثون المحنكون بعملهم مستعملين عددا قليلا من المذكرات (أو بدون مذكرات مطلقا!) ، إلا أن اكتساب هذه الخبرة يحتاج لوقت طويل ، كما تحتاج إلى الثقة بالنفس التى تظهر كما ازدادت الخبرة . بالنسبة لنا ، لا خطأ فى استعمال المذكرات ، ولكن حاول ألا تقتصر على القراءة منها .

(*) تعتمد هذه الفكاهة على التلاعب بمعانى لفظ supporter لإحداث القفزة الفكاهية هنا . (المترجم)

كيف تتظاهر بالحديث وبأنك لا تقرأ

- توجد استراتيجيتان يمكنهما المساعدة في هذا الشأن (وإن كانت الممارسة هي الأفضل في العادة).
- إن كنت مضطرا إلى استعمال المذكرات التفصيلية أو استعمال نص مكتوب؛ فحاول إذن طباعتها باستعمال طاقم حروف طباعية كبيرة وتركها على المنضدة أمامك بحيث تستطيع قراءتها بدون الاضطرار إلى رفعها والإمساك بها أمامك وجهك.
- ضع في مذكراتك علامات تذكيرية في مواقع منتظمة تذكرك بالنظر إلى جمهور المستمعين.

المعينات البصرية

يمكن أن تكون الوسائل البصرية المساعدة مفيدة. وفي أيامنا هذه، يعتبر معظم الأفراد على دراية ومعرفة ببرامج الحاسب المرننة في العرض «باوربوينت» التي من إنتاج شركة مايكروسوفت، بجانب معرفتهم بالسبورات البيضاء والسبورات الورقية. وهذه الوسائل يمكن أن تكون مفيدة، لكن من اللازم استعمالها في نطاق ضيق، وذلك لكي لا تشتت انتباه المستمعين عن الجزء الشفاهي من العرض.

المظهر

نورد في النهاية ملحوظة سريعة عن «أصول ارتداء الملابس». مع أن من المستبعد أن تهتم كثيرا بالطريقة التي تقدم بها نفسك لأداء عرض لبحثك جامعي قبل التخرج، فإنه يجدر بك أن تفكر مليا في «الرسائل» التي تحملها ملابسك. يرى البعض أنه، في حالة عرض موضوع جاد، يكون من المفيد ارتداء الملابس الدالة على المحافظة والاعتدال. ليست مهمتنا أن نعطيك تعليمات في كيفية ارتدائك لأحسن الملابس. لكننا نرى فعلا أنه ينبغي عليك أن تدخل هذا الأمر في الحسبان وأنت تضع خطة حديثك أمام الجمهور.

فكر في هذا الموضوع ...

مبادئ: «إنجلبرج» السبعة (للحديث إلى الجمهور)

- الهدف: لماذا تتحدث؟ ما الذي تريد إطلاع أفراد الجمهور عليه، أو تريد أن يتصوروه، أو يؤمنوا به أو يعملوه كنتيجة لحديثك؟
- الأفراد: من هم جمهورك؟ كيف تؤثر السمات الشخصية، والمهارات، والآراء، والسلوكيات الخاصة بجمهورك على تحقيق هدفك؟

- المكان: لماذا نتحدث إلى هذه الجماعة في هذا الوقت وفي هذا المكان؟ إلى أى مدى يمكنك التخطيط والتكيف مع الاعتبارات اللوجيستية (الاعتبارات الخاصة بالنقل والإمداد) لهذا المكان؟ إلى أى مدى يمكنك استخدام المعينات البصرية في مساعدتك على تحقيق هدفك؟
 - الإعداد (أو التحضير): أين وكيف يمكنك العثور على الأفكار والمعلومات الجيدة المناسبة لحديثك؟ ما مقدار، وما أنواع المواد المساعدة التي تحتاج إليها؟
 - التخطيط: هل يوجد ترتيب طبيعي للأفكار والمعلومات ستأخذ به؟ ما أشد الطرق تأثيراً في تنظيم حديثك لكى تكيفه وفقاً للهدف، والأفراد، والمكان، إلى آخره؟
 - الشخصية: كيف تصبح مرتبطاً برسالتك بطريقة إيجابية؟ ما الذى يمكنك عمله لإظهار كفاءتك، وجاذبيتك وشخصيتك للجمهور؟
 - الأداء: ما شكل الإلقاء الذى يكون ملائماً بصورة أفضل لهدف عرضك؟ ما أساليب الإلقاء التى ستجعل عرضك أكثر تأثيراً؟ كيف ينبغي لك أن تتدرب على الإلقاء؟
- (دالى وإنجلبرج ، 1994).

المراجع وقراءات للاستزادة

- Daly, J. and Engleberg, I. (1994) *Presentations in Everyday Life: Strategies for Effective Speaking*, New York: Houghton Mifflin.
- Flinn, C. (1999) Developing a poster presentation, George Mason University Writing Center, available at www.gmu.edu/departments/writingcenter/ppt/
- Kumar, R. (1996) *Research Methodology*, London: Sage.
- Murray, R., Thow, M. and Strachan, R. (1998) Visual literacy: designing and presenting a poster, *Physiotherapy*, 84(7): 319-27.
- Tham, M. T. (1997) Poster presentation of research work, University of Newcastle upon Tyne, School of Chemical Engineering and Advanced Materials, available at <http://lorien.ncl.ac.uk/ming/Dept/Tips/present/posters.htm>

الفصل الرابع

النشر والبحوث المستقبلية

محتويات الفصل

- ما النشر؟
- لماذا ننشر؟
- القضايا الأخلاقية.
- اتخاذ القرار في عملية النشر.
- البحوث المستقبلية.
- المراجع وقراءات للاستزادة.

عن السياق

يناقش هذا الفصل الطرق التي بها يمكنك أن تعرف الناس بما أنجزه مشروعك . فهو يلقي نظرة فاحصة على موضوع النشر كجزء من تصميم البحث (انظر فصل 3 باب 2) وكقضية أخلاقية (انظر فصل 5 باب 1) . بالإضافة إلى ذلك ، فإن ما ورد هنا من الجوانب المتنوعة للكتابة قد تمت معالجته بمزيد من التفصيل في الفصول 1 ، 2 ، 3 من هذا الباب . ويلقي هذا الفصل نظرة فاحصة على طرق النشر ووسائله ، كما يناقش الحاجة الدائمة لإجراء المزيد من البحوث . ومع أن هذا الفصل موجه إلى الباحثين الذين أنهوا مرحلة البكالوريوس ، فإنه يقدم أيضا معلومات مفيدة لكل إنسان .

ما النشر؟

تقدم معظم البحوث إسهاما يضاف إلى جملة المعرفة المتوافرة ، كما أن من الأهمية ألا تضيع ما تكتشفه البحوث من حقائق وما تنتهي إليه من نتائج ، بل يجب أن تكون متاحة للغير . في بعض الحالات ، يكون على الباحثين واجب (ويكون في الغالب نوعا من الالتزام التعاقدى) بتقديم تقرير عن بحوثهم لأفراد أو جماعات معينة . وهذا هو الحال غالبا حينما يكون البحث ممولا من جانب منظمة خارجية . وفي بعض الحالات ، لا يسمح للباحث بنشر تقرير بحثه على نطاق أوسع ، وينسحب ذلك غالبا على البحث الذى يجرى لحساب الإدارات الحكومية أو على البحث الذى يكون حساسا من الناحية التجارية .

فالنشر (انظر قائمة المصطلحات) يذيع أخبار نتائج بحثك لتصل إلى جمهورك المختار (انظر فيما بعد) أو ربما لتصل إلى الجمهور عموماً.

لماذا ننشر؟

أكدنا من قبل أن النشر جزء لا يتجزأ من العملية البحثية ، وليس مجرد فكرة تخطر في البال متأخرة ، لهذا يمكن اعتباره المرحلة النهائية في مشروعنا .

ويستهدف النشر - ببساطة - التأكد من أن نتائج بحثنا متاحة لهؤلاء الأفراد الذين يحتاجون لمعرفة (أو من ترى أنهم ينبغي أن يعرفوها) . وهناك أيضاً أهداف أخرى للنشر ؛ فبالنسبة للطلبة ، عادة ما يتمثل النشر في عملية تقديم المشروع الكامل للأستاذ المشرف الذي يقولى تقييم العمل وإعطائه تقديراً . وبالنسبة للأساتذة الجامعيين ، عادة ما يتمثل هدف نشر البحث بينهم في طرح المعلومات داخل هذا المجال العام حتى يكون بالإمكان نقده وتقييمه من جانب الأقران والزملاء (كجزء من عملية النشر غالباً) .

وهكذا لا يخلو نشر البحث من المخاطر . فمن الممكن أن :

- لا يحصل عملك على الدرجة التي كنت ترجوها .
 - لا يكون بحثك بنفس درجة الجودة والأصالة التي كنت تأمل فيها .
 - لا يرى أقرانك أن نتائج بحثك صالحة للنشر .
- ولا ريب أن النتائج المعاكسة ممكنة أيضاً !

القضايا الأخلاقية

سبق أن تأملنا بعمق العلاقة العامة بين الأخلاقيات والبحث الاجتماعي في فصل 5 باب 1 . بجانب ذلك ، يتعين أن نتأمل بنفس العمق مفهوم النشر والأخلاقيات .

وجوهر الأمر أن هذا الوضع ينطوى على قضية خلافية محتملة: هل ينبغي على الباحث أن يكشف عما يعتقد أن من شأنه أن يؤثر على الجمهور العام؟ وما الخطوات التي ينبغي اتخاذها للتأكد من إذاعة هذه المعلومات ونشرها بصورة ناجحة؟ أحياناً ما تكون الإجابة سهلة وواضحة: إن كان عملك مقيداً بالالتزامات التعاقدية ، فليس أمامك حينئذ سوى الالتزام بها . وإن كان الأمر خلاف ذلك ، فإن الموقف سيصبح ساعتها أشد تعقيداً كما أنه سيتطلب المزيد من التفكير . ونحن لا نملك الأهلية لنصيحة الأفراد في هذا المقام حيث إن كل حالة سوف تختلف عن غيرها . بجانب ذلك ، فإننا نلح عليك في التأكد من أنك أدخلت في حساباتك هذه القضية (المحتملة) في مرحلة مبكرة من مراحل تصميم بحثك (فصل 3 باب 2) حتى لا تتحول إلى مفاجأة .

اتخاذ القرار فى عملية النشر

هناك - فى الحقيقة - مرحلتان رئيسيتان للنشر (مادام أنك لست ملزما باستخدام عمليات معينة تقضى بها التعليمات الخاصة بما عليك من تكليف دراسى، أو يقضى بها عقدك البحثى). وهاتان المرحلتان هما : مرحلة تقرير من هم جمهورك؟ ومرحلة تقرير كيف وأين تنشر؟

اتخاذ القرار بشأن تحديد الجمهور

تناولنا موضوع أهمية الجمهور فى فصل 1 باب 5. والقرار الأولى الذى يتعين اتخاذه هو الإجابة على هذين السؤالين : من الذى يحتاج للمعرفة؟ ومن هم الذين تعتبر نفسك ملتزما بإخبارهم؟ بالنسبة للطالب الذى يقدم العمل لتقييمه، يكون اتخاذ هذا القرار سهلا إذ سيكون لديك تعليمات تتلقاها من جامعتك أو كليتك تحدد لك الطريقة التى تقدم بها عملك.

الجدول رقم (4-1): وسائل النشر وطرقه

وسائل الاتصال	الطريقة
وسائل الاتصال الورقية	التكليف الدراسى الرسالة العلمية الجامعية تقرير البحث مقال فى مجلة علمية كتاب
وسائل الاتصال الإلكترونية	المجلة العلمية الإلكترونية المدونة موقع على الشبكة مقابلة إذاعية/ أو تليفزيونية
الكلمة المنطوقة	مؤتمر (وغالبا ما يكون مرتبطا بالورق) سمينار (أى حلقة دراسية)

وأيا ما كان الأمر، فإن كنت تخطط لتجعل نطاقا أوسع من الناس يتعرفون على بحثك، فإليك قائمة بالأفراد الذين قد ترغب فى (أو تحتاج إلى، أو تكون ملزما تجاههم) بأن تعرفهم ببحثك:

- راعى البحث / أو مموله.
- المدير / رئيس العمل.

- واضعو السياسات .
- صاحب العمل المتوقع .
- الأقران/ الزملاء .
- الجمهور .

هناك جماعة لم يرد لها ذكر من قبل في هذه الفقرة ، قد تكون ملزماً بأن تقدم لها تقريراً عن نتائج بحثك ، هذه الجماعة هي : شركاء بحثك (المبجوثين) . قد تكون اتفقت معهم على إطلاعهم على نتائج بحثك بطريقة ما ، أو قد تكون راغباً فحسب في إشراكهم في الاطلاع على هذه النتائج . فإن تكن هذه هي حالتك ، فتأكد من أنك قد أدخلت في حساباتك القضايا الأخلاقية التي أوجزنا القول فيها في فصل 5 باب 1 ، خاصة القضايا المتعلقة بالسرية/ أو مجهولية الاسم وبالحاجة لحماية شركائك من الضرر .

كيف وأين «تنشر»

إن كنت تخطط لتعريف الناس ببحثك ، فإليك بعض القرارات التي لا بد من اتخاذها . أول هذه القرارات يتعلق بنطاق النشر . فهل ستنتشر نتائجك على نطاق محلي ، أم قومي ، أم دولي (وربما - بالطبع - على نطاق يجمع بين توليفة من هذه النطاقات) ؟ إن كنت طالبا جامعيا ما زلت تدرس في مرحلة البكالوريوس ، فقد يكون احتمال صلاحية بحثك للنشر على نطاق دولي احتمالا ضعيفا (إلا أنه لا يمكنك أبدا أن تكون متأكدا من هذا الأمر : فخذ المشورة دائما من الأستاذ المشرف عليك) كما أن من المستحسن ألا تشغل هذه القضية بالكثير . فإن كنت مهتما بالأمر ، فإننا نوصيك حينئذ بأن تمنع التفكير في طرق ووسائل الاتصال المبينة في الجدول رى م (4 - 1) أعلاه .

البحوث المستقبلية

هناك دائما حاجة لإجراء المزيد من البحوث عن أى موضوع ما . فلا شيء في العلوم الاجتماعية ، حتى الآن ، تم وصفه أو تفسيره بصورة كاملة ، كما أن كل مشروع بحثي سيكون له بعض أوجه العجز أو القصور . لهذا السبب ، ينبغي أن يبين نشرك لبحثك أنه ، ورغم أنك قد استوفيت أداء ما سبق أن أعلنت أنك ستقوم به ، ما زال يوجد المزيد الذي ينبغي القيام به (بواسطتك أو بواسطة الآخرين) .

المراجع وقراءات للاستزادة

Nursing and Health Sciences، 8 (1) (March) ، 2006 .

Walker ، D. (2001) *Heroes of Dissemination* ، Swindon: ESRC .

ملحق الكتاب

قائمة المصطلحات والمفاهيم الأساسية الواردة في الكتاب مرتبة أبجدياً ومشروحة

الإبستمولوجيا Epistemology : الإبستمولوجيا نظرية للمعرفة، وهى تطرح رؤية ما وتبريرا لما يمكن اعتباره معرفة، أى ما الذى يمكن معرفته، وما المعايير التى لا بد لمثل هذه المعرفة أن تستوفيهما لكي تستحق أن تسمى معرفة وليست اعتقادات.

الاتجاه الاستقرائى Inductive Approach : اتجاه فى جمع البيانات وتحليلها يعالجها بالشكل الذى تم به ملاحظتها، وسماعها، وتسجيلها.

الاتجاه التأويلى Interpretivist Approach : يعنى الاتجاه التأويلى فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى: جمع البيانات الكيفية (أى الغزيرة فى التفاصيل وفى الوصف الدقيق)، كشف النقاب عن المعانى الذاتية، واستخدامها مادة البحث، تأويل المعنى فى إطار سياق محدد، الفهم المتعاطف، أى: «وضع الباحث نفسه فى موضع الشخص الآخر» (المبحوث). (انظر الفصل 3 من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع).

الاتجاه النقدى Critical Approach : هو طريقة حكمنا (من واقع معرفتنا وخبرتنا أو ملاحظتنا) على قيمة البيانات، والمعلومات، والمعرفة... إلخ مما يتضمنه العمل موضوع التقييم. وعندما نصف تقييماً بأنه «نقدي» فإننا لا نعنى أى معنى سلبي: وإنما نقصد «التقييم» وحسب. وطبيعى أن نتأمل أحد أشكال هذا التراث المنشور -الذى سبق أن عرضنا له - وعندها سنطرح بعض الأفكار عن الأشياء التى يتوجب عليك أن تفحصها وتتأملها.

الاتجاه الواقعى النقدى Critical Realist Approach : جرت العادة على تعريف الاتجاه الواقعى النقدى فى البحث الاجتماعى على أنه : الكشف عن الأبنية والأساليب الخفية، كشف النقاب عن علاقات القوة والإيديولوجيات المسيطرة، البحث الذى يؤدى إلى الفعل (أى التدخل)، جمع البيانات الكيفية و/ أو البيانات الكمية. (انظر الفصل 3 من الباب 1، والفصل 4 من الباب 2 للوقوف على مزيد من المعلومات عن هذا الموضوع).

الاتجاه الوضعي Positivist Approach : يعنى «الاتجاه الوضعي» فى البحث الاجتماعى عادة ما يلى : جمع البيانات الكمية ، قياس مختلف جوانب العالم الاجتماعى، أى الظواهر الاجتماعية، البحث عن العلاقات السببية القائمة بين الجوانب المختلفة للعالم الاجتماعى، غالبا ما تستخدم المجموعات الضخمة من البيانات ، كما تستخدم الإحصاءات. (انظر الفصل الأول من هذا الباب، والفصل 4 من الباب 2 للاطلاع على مزيد من المعلومات عن هذا الاتجاه).

الاتجاهات الاجتماعية Social Trends : يُنشر تقرير «الاتجاهات الاجتماعية» كل عام يقدم التقرير إحصائيات تتعلق بمجموعة من الموضوعات الاجتماعية، وهذه البيانات مأخوذة من مصادر حكومية وغير حكومية. وتقدم البيانات فى شكله من القوالب - كالجداول، والخرائط والرسوم البيانية - ويوفر موجز للنقاط الرئيسية ذات الأهمية فى هذه البيانات الأساس الذى تقوم عليه المناقشة. من خلال قراءتك لمثل تلك التقارير تستطيع اكتساب فهم للبيانات الإحصائية وللطريقة التى يمكن أن تعرض بها فى أفضل صورة.

الاتصال عبر الحاسب Computer-mediated Communication : أى استخدام الحواسيب والإنترنت فى الاتصال بين الأفراد.

الاتصال اللامزامن Asynchronous Communication : هو الاتصال بين الأفراد الذين لا يكونون بالضرورة على اتصال شخصى ببعضهم البعض فى نفس اللحظة.

الاتصال المتزامن Synchronous Communication : هو اتصال بين أفراد يشترك فيه جميع المتواصلين فى ذات الوقت، حيث يستطيعون الدردشة. ويعرف هذا الاتصال أيضا باسم : «الاتصال الآنئى أو الفورى».

الإثنوجرافيا Ethnography : يصف هذا المصطلح الاستراتيجية البحثية التى تقتضى من الباحث أن ينفق وقتا طويلا (قد يبلغ عددا من السنين أحيانا) منغمسا انغماسا تاما فى مجتمع بحثه، يرى البيانات ويسمعها من أصحابها مباشرة.

الإحالة (إلى المراجع) Referncing : الإحالة إلى المراجع لها أغراض رئيسية ثلاثة :
- 1 تبيين من أين حصلت على أفكارك وشواهدك المقبسة، ومن ثم فإنها تظهر أنك لم تحاول الإيهام بتقديم عمل شخص آخر على أنه عملك أنت، أى إنك لم تنتحل عمل غيرك.
- 2 وهى تتيح للقارئ أن يتابع أفكارك بمزيد من العمق (إن رغب فى ذلك) وأن يتأكد من أنك تستخدم المادة الملائمة.
- 3 وهى تظهر أنك تعلمت كيف تنتفع بأعمال غيرك فى بلورة أفكارك وإجاباتك.

الإحصائيات 1 - Statistics : هي «حقائق أو أحكام كمية» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية) وفي البحث الاجتماعي ينطبق مفهوم الإحصائيات على البيانات المقننة القابلة للعد والحساب أو المعبر عنها فعلا بعبارة عددية. وعادة ما تجمع هذه البيانات باستعمال استبيان أو استمارة، 2- «هي أى سمة من السمات العددية لعينة ما» (قاموس أوكسفورد للإنجليزية)، وقد تم تطوير واستخراج كثير من تقنيات التحليل الإحصائي من واقع استعمال العينات المختارة من مجتمع بحث ما بوصف هذه التقنيات الأساس الذي يقوم عليه جمع البيانات في كل من العلوم الطبيعية والاجتماعية. فالإحصائيات هي سمات العينة التي يمكن عدّها، مثال ذلك: عدد الرجال، عدد الأفراد التي يقرؤون جريدة الديلى ميل، وعدد الطلبة الحاصلين على ثلاثة تقديرات «ممتاز»، كلا التعريفين مفيد لنا ونحن نبدأ التفكير في إجراء تحليل إحصائي.

الاختبار الاستطلاعي Pilot Test: محاولة أو فرصة لتطبيق إحدى طرق جمع البيانات على عينة صغيرة من الحالات قبل القيام بالعملية الرئيسية لجمع بيانات البحث. ومن الممكن كذلك تجريب صياغة عبارات الأسئلة واختبار فهم المبحوثين وإجراءات جمع البيانات؛ من الممكن تجربة هذه الأمور كلها وتعديلها إن لزم الأمر قبل المرحلة الرئيسية للبحث.

اختبار كاي تربيع Chi-Squared Test : ويعنى الاختبار الذي يمكن استخدامه للحكم على ما إذا كان الفرق بين متوسطى عينتين دال إحصائيا (ويقصد بكلمة دال أنه يستحق الاعتبار والملاحظة). ويمكن استخدامه لمقارنة المتغيرات الاسمية أو متغيرات الرتب، كمستغير الذكر والأنثى مثلا.

الاختيار النظرى للعينة (أو المعاينة النظرية) Theoretical Sampling: إحدى طرق اختيار العينة التي يتم فيها انتقاء الحالات الأولية عادة على أساس غير مقنن نسبيا : فعندما تبدأ النظرية في الظهور من داخل البيانات الأولية، يتم اختيار حالات إضافية بغرض استكشاف واختبار تلك النظرية الآخذة في الظهور. ويستمر هذا العمل إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويتم الوصول إلى التشبع النظرى.

أخلاق البحث الاجتماعي Ethics : يمكن القول بأن الأخلاق عبارة عن مجموعة من القواعد التي بواسطتها يحافظ الأفراد وتحافظ المجتمعات على الالتزام بالمعايير الأخلاقية في حياتها. ويعرفها مأكولى على النحو التالي: تعنى أخلاقيات البحث الاجتماعي خلق علاقة احترام متبادل بين الباحث والمبحوثين، تعود على الطرفين بالفائدة، ويقبل فيها المبحوثون — بكل رضا — على الإجابة عن الأسئلة بصراحة، وتؤدي إلى نتائج صادقة، بحيث يعتبر المجتمع هذه النتائج مفيدة وبناءة. ويعرفها مجلس بحوث العلوم

الاقتصادية والاجتماعية (2009) على النحو التالي: يشير مصطلح «أخلاقيات البحث» إلى المبادئ والأسس الأخلاقية التي توجه البحث منذ بداياته الأولى وحتى اكتماله ونشر نتائجه، وحتى فيما بعد هذا كله.

أداة البحث Research Tool : هي الشيء الذي يستخدم لجمع البيانات، كالاستبيان، أو الباحث نفسه، أو دليل المقابلة.

الإدلاء بالبيانات Data Production : هو طريقة التعبير عن الخبرات الاجتماعية، والأفكار، والمشاعر، والسلوك وغير ذلك من الظواهر الاجتماعية، وذلك باستخدام الكلمات. وهكذا تصبح هذه الظواهر متاحة كبيانات اجتماعية. ويستطيع الأفراد والجماعات الإدلاء بالبيانات بواسطة الكلام، والكتابة، والتفكير - باستعمال اللغة. وبهذا يمكن اقتسام هذه البيانات مع الآخرين باستعمال لغة مشتركة.

الارتباط أو العلاقة الارتباطية Association or Associative Relationship : انظر: العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط.

الاستبيان Questionnaire : هو قائمة من الأسئلة يكون لكل سؤال منها مجموعة من الإجابات. أو هو استمارة تتيح جمع البيانات الموحدة قياسيا، والمقننة نسبيا، عن كل حالة من الحالات كبيرة العدد عادة.

الاستبيان الإلكتروني Electronic Questionnaire : استبيان يصممه الباحث، ويستوفيه المشاركون (المبحوث)، وذلك عبر الاتصال بالكمبيوتر.

أسلوب تاريخ الحياة Life History Approach : طريقة في جمع البيانات يطلب فيها من المبحوثين أن يحكوا قصة حياتهم، مع التركيز بشكل خاص على الأحداث المشتركة.

الأسئلة البحثية المساعدة Subsidiary Research Questions : هي أسئلة من شأنها أن تساعدك على تحديد مجالات بحثك - التي ستركز عليها عملك - بصورة أكثر دقة.

أسئلة التصفية Filter Questions : هي أسئلة تستخدم لمساعدة الأفراد على الإجابة عن أسئلة الاستبيان بمفردهم باضطراد، وتبعا لاختيار المبحوثين وفقا لما إذا كان أحد الأسئلة ذا صلة بهم، أم لا.

أسئلة تفتيح الموضوع (أو الأسئلة النابشة) Probes : هي أسئلة استكشاف عامة تعطى المبحوث الفرصة للإدلاء بالمزيد عن الأحداث والوقائع ذات الطبيعة الحساسة أو الشخصية دون اللجوء إلى طرح كثير من الأسئلة التفصيلية.

الأسئلة المحفزة Prompts : أسئلة تتعلق بأى حوار يجرى بين الباحث والمبحوث ولكنها ترتبط أساسا بنموذج المقابلة شبه المقننة. فهي أسئلة تستهدف حث المبحوث على تغطية كل الجوانب أو العناصر المتعلقة بموضوع الدراسة (أى موضوع المقابلة). والهدف من هذه النوعية من الأسئلة تذكير الباحث بأن يطرح أسئلة عن هذه الجوانب إن لم يتعرض الباحث فى إجابته لهذه المعلومات.

الأسئلة المفتوحة Open Questions : هى الأسئلة التى تتيح للمبحوث أن يجب على الأسئلة بطريقته الشخصية.

إطار المعاينة Sampling Frame : قائمة حصرية تضم كافة أفراد مجتمع البحث التى سوف تسحب منها العينة.

الإطار النظرى Theoretical Framework : هو الأفكار والاتجاهات المتعلقة بالنظرة إلى المعرفة، وجمعها، وهى التى توفر الطرق الأساسية لمعالجة موضوع بحث ما.

الاعتمادية Dependability : هى أحد مقاييس جودة البحث. وتعنى - مثلا - أن كل البيانات قد تم إدراجها، وأنه لم تُفقد أى بيانات بسبب عيب فى أجهزة التسجيل الصوتية أو بسبب قصور فى أجهزة النسخ.

إنتاج البيانات Data Production : انظر : الإدلاء بالبيانات.

الانتحال Plagiarism : هو تقديم عمل شخص آخر كما لو كان هو عملك أنت؛ أو نسخه؛ أو عدم الإحالة إلى العمل الأصلي، أو بيان فضل صاحب هذا العمل بطريقة أو بأخرى.

الانحراف المعيارى Standard Deviation : الانحراف المعيارى مقياس لثبنت الحالات حول المتوسط (الوسط الحسابى) حين تتوزع البيانات فى توزيع اعتدالى، حيث يقع ما يقرب من ثلثي قيم البيانات الموجودة داخل نطاق انحراف معيارى واحد موجود على كل جانب من جانبي المتوسط، ويقع 95% من القيم داخل انحرافين معياريين من المتوسط .

الأنطولوجيا Ontology : هى علم أو دراسة «الوجود». وتعنى الأنطولوجيا فى البحث الاجتماعى طريقة النظر إلى وجود العالم الاجتماعى، كما تعنى ما يمكن افتراضه بشأن طبيعة وحقيقة الظواهر الاجتماعية التى تشكل العالم الاجتماعى.

أيقونات التعبير عن الانفعالات Emoticons : وهى أشكال استحدثتها مستخدمو الشبكة للتعبير عن الانفعال أو الرأى أو الحالة المزاجية. وهى تختلف عن التعبيرات النصية المكتوبة. وهى توليفه من كلمتى emotion (عاطفة / انفعال) و icons (أيقونات).

البحث 1- Research: ... هو الاستقصاء المنظم، والمنضبط والإمبيرى، والنقدى للفروض التى توضع بشأن بعض العلاقات التى يفترض وجودها بين الظواهر، 2- «البحث» فى مفهوم اللانحة التى تنظم عملية «تقييم البحوث الجامعية فى المملكة المتحدة» هو: عملية استقصاء أصيل (مبتكر) يتم القيام به من أجل تحصيل المعرفة وبلوغ الفهم. ويغضى مثل هذا البحث أموراً تتصل مباشرة باحتياجات التجارة، والصناعة، وبأعمال كل من القطاع العام والقطاع التطوعى، وبقضايا الدرس العلمى، وباختراع وتوليد الأفكار، والصور الذهنية، وفنون الأداء، والأعمال الفنية التى تقوم على التصميم الفنى؛ وهى الأمور التى تؤدى للوصول إلى رؤى جديدة تتسم بالعمق والإتقان الفائق. كما يشمل هذا الاستقصاء الانتفاع بالمعرفة المتوفرة فعلاً فى عمليات التطوير التجريبى التى تستهدف إنتاج مواد علمية جديدة أو محسنة تحسيناً فائقاً وإنتاج معدات ومنتجات وعمليات جديدة، بما تنطوى عليه من تصميم وتنفيذ. ومن شأن هذا الاستقصاء أن يستبعد من نطاق اهتمامه مجال الاختبار الروتينى والتحليل الروتينى لأمثال تلك المواد والمكونات والعمليات الخاصة بالالتزام بالمعايير القومية (للجودة مثلاً)، وذلك باعتبار أن هذه المجالات مختلفة بشكل واضح عن مجال تطوير التقنيات التحليلية الجديدة. كما يستبعد هذا الاستقصاء من نطاق اهتمامه تطوير المواد التعليمية التى لا تنطوى على أى بحث مبتكر، 3- البحث عملية تدريجية تتضمن جمع المعلومات وفحصها ونحن نقوم بالبحث كى نحسن معرفتنا بالعالم الذى نعيش فيه وفهمنا له. ويتضمن البحث - فى الغالب - اكتشاف شىء جديد، 4- البحث هو تنقيب أو استقصاء موجه لاكتشاف حقيقة ما عن طريق التأمل الدقيق أو الدراسة الدقيقة لموضوع ما. فهو مسار للدرس النقدى أو العلمى. وهو يعنى التنقيب (أو التفتيش) عن مادة أو موضوع معين : أى استقصاءه أو دراسته على نحو دقيق.

البحث الاجتماعى الإلكتروني Online Social Research : هو جمع البيانات بواسطة الحاسب، كما يقوم - بالطبع - بتحديث الطرق التقليدية لجمع البيانات، والتى منها مثلاً: الاستبيانات، والمقابلات، وجماعات المناقشة ... إلخ، بحيث تكون صالحة للاستخدام فى بيئة افتراضية إلكترونية.

البحث الاستكشافى Exploratory Research : ويسمى كذلك البحث الاستطلاعى، ويقصد به البحث الذى يهدف إلى الكشف عما يعده المبحوثون مهماً فى موضوع البحث، وكذلك للتعرف على الطريقة التى يستخدم الأفراد بها اللغة فى الحديث عن موضوع البحث.

البحث التفسيري Explanatory : هو البحث الذى يهدف إلى تفسير سبب شعور الأفراد بظاهرة اجتماعية ما أو تصورهم لها بطريقة معينة.

البحث الشفاف Transparent Research : يعنى هذا الوصف - فى سياق البحث - أن العملية البحثية والقرارات التى اتخذها الباحث مسجلة ومتاحة للآخرين لتحصيلها والتدقيق فيها.

البحث المقارن Comparative Research : استراتيجية بحثية تتبع فى دراسة موضوعى بحث أو أكثر، غالبا ما تكون دولا أو ثقافات.

البيانات Data : هى مجموعة من الحقائق (أو المعلومات الأخرى، كالآراء والقيم مثلا) التى يمكن تحليلها، كما يمكن استخراج النتائج منها (مع أن كلمة data هى جمع كلمة datum فإن «قاموس أوكسفورد للغة الإنجليزية» يقر أن صيغة الجمع هذه - وهى كلمة data - تستعمل عادة بوصفها مفردا، كما هو الحال فى هذا الكتاب).

البيانات الأولية Primary Data : هى البيانات التى يجمعها الباحث خصيصا للبحث الذى يقوم بإجرائه.

البيانات التأملية (النقدية) Reflexive Data : هى البيانات التى يقدمها الأفراد بأنفسهم عندما يفكرون فيما يقومون به من أعمال، وفيما يعيشونه من خبرات ومشاعر، وعندما يحاولون فهم واقعهم الاجتماعى.

البيانات الثانوية Secondary Data : هى البيانات التى يستعملها الباحث ويكون قد سبق أن قدمها باحثون آخرون.

البيانات الخام Raw Data : هى البيانات التى لم يجرى تحليلها بأى طريقة من الطرق، وتقدم بنفس الصورة التى جمعت فيها.

البيانات الموحدة Harmonized Data : بيانات تم جمعها من عدد من المصادر المختلفة، ولكنها تأخذ فى الاعتبار اختلاف طرق جمع تلك البيانات، فهى بذلك تتيح للباحثين الحصول على بيانات مقارنة.

بيانات المؤسسات Organisational Data : هى البيانات التى توفرها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية : كالشركات الكبرى، والمعاهد التعليمية، والجمعيات الخيرية، والمنظمات الشبابية ... إلخ.

التحليل Analysis : عملية معالجة البيانات بهدف رسم صورة لها، ومناقشتها وتفسيرها وتقييمها وشرحها فى ضوء أسئلة البحث أو فرض المشروع البحثى.

تحليل الخطاب **Discourse Analysis** : إحدى طرق التحليل الكيفي التي تعتمد على اللغة أو علم الألسنية.

التحليل المتعدد المتغيرات **Multivariate Analysis** : هو تحليل ثلاثة متغيرات أو أكثر معا.

تحليل المتغيرين **Bivariate Analysis** : هو تحليل متغيرين معا فى عملية واحدة.

تحليل المضمون **Content Analysis** : أسلوب للكشف عن الفئات والمفاهيم التي تنطوى عليها البيانات وما يتكرر فيها من أفكار أو موضوعات رئيسية، وتركيزها بعد ذلك فى عدد أقل حتى يصبح من السهل فهمها.

تحليل الموضوعات **Thematic Analysis** : هو عملية معالجة البيانات الخام لتحديد وتفسير الأفكار أو الموضوعات الأساسية.

التحيز **Bias** : التحيز لصالح - أو ضد - جماعة، أو فرد، أو توجه نظرى معين ... إلخ.
التخطيط **Planning** : أى الترتيب مقدما (لفعل أو لعملية يراد تنفيذها)، وتخيّل المراحل، ووضع تصور أو صياغة محددة لمشروع أو أسلوب فى التنفيذ.

التدرج الطبقي **Stratification** : طريقة لتنظيم مجتمع البحث لتحسين درجة تمثيل العينة لهذا المجتمع.

تدوين الملاحظات السريعة النظرية **Theoretical Memoing** : «فى تحليل البيانات القائم على النظرية الموثقة، يكون تدوين الملاحظات السريعة النظرية: هى التدوين التنبؤى للأفكار المتعلقة بالأكواد الأساسية، وعلاقاتها المكونة تكويدًا نظريًا، وذلك عندما تظهر هذه الأكواد والعلاقات أثناء تكويد، وجمع وتحليل البيانات، وأثناء كتابة الملاحظات السريعة» (جلاس).

التراث العلمى **Literature** : التراث العلمى مصطلح مركب وشامل، ولذلك إذا حاولنا وضع قائمة حصرية لعناصره ومكوناته، فسوف يكون ذلك : (أ) وضع قائمة بالغة الطول، و(ب) سرعان ما ستصبح مثل هذه القائمة شينا باليا عفا عليه الزمن. ومع ذلك نورد فيما يلى قائمة بالمكونات الرئيسية للتراث: الكتب، المجلات العلمية المحكمة، المجلات العلمية غير المحكمة، الرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات، الصحف والمجلات، التلفزيون والراديو، تقارير المؤسسات والهيئات، الوثائق الرسمية، تقارير البحوث، شبكة الإنترنت.

الترميز (التكويد) **Coding** : عملية «وضع رموز» أو علامات مميزة على المادة للانتفاع بها لاحقاً عند التحليل.

التشبع بالبيانات **Data Saturation** : هي الفكرة القائلة بأن هناك سبيلاً يستطيع الباحث من خلالها أن يتأكد من أنه قد تم إنجاز «القدر الكافي» من البحث.

التصميم البحثي التجريبي **Experimental Research Design** : يفترض هذا النمط من أنماط البحوث أن المادة أو الحالات التي تجري دراستها يمكن للباحث أن يتحكم فيها على نحو ما، بحيث يمكنه في النهاية قياس ما طرأ من تغير أو اختلاف عن الوضع الذي كان قائماً قبل البحث.

التصميم البحثي شبه التجريبي **Quasi-experimental Research Design** : التصميم البحثي الذي يستخدم في الظروف التي يمكن فيها تحديد مجموعتين أو أكثر من المبحوثين أو البيانات التي تختلف «بشكل طبيعي»، حيث تستخدم إحداها كجماعة ضاغطة والآخرى كجماعة تجريبية.

التصميم البحثي المقارن (القطاعي) **Cross-Sectional Research Design** : هو التصميم البحثي الذي يشتمل على دراسة أكثر من حالة واحدة، ويتم فيه جمع البيانات في توقيت معين. كما يشمل مبحوثه مجموعات من الناس أو الحالات التي يمكن عقد مقارنات بينها.

تعدد أدوات البحث **Triangulation** : مقياس للوقوف على مدى جودة البحث يعني أنه إذا جمعت أنواع مختلفة من البيانات للإجابة على نفس السؤال البحثي، فإنه يمكن استخدام كل فئة من البيانات لاختبار نتائجها في ضوء نتائج فئات البيانات الأخرى.

التعدد المنهجي **Triangulation** : انظر: المادة السابقة.

التعريف التقريبي **Proxy Definition** : هو تعريف مستمد من التجارب والخبرات يستخدم كبديل للأسلوب المفصل والدقيق لتعريف شيء ما.

التعريفات الإجرائية **Operational Definitions** : تعريفات يمكن أن يعتمد عليها الباحث وأن يعدل منها لكي تساعد في التركيز على أسئلة البحث وعلى أن يحدد نوعية البيانات التي سيجمعها لكي يجيب عن تلك الأسئلة.

تقارير المؤسسات والهيئات **Grey Literature** : هي عبارة عن وثائق تعدها بعض المنظمات أو الشركات، أو يتم إعدادها لحسابها.

التقييم Evaluation : هو استراتيجية بحثية ترتبط عادة بنوع من التدخل أو التغيير الذى تم إحدائه، وبما إذا كان هذا التدخل قد حقق التغيير أو حقق النتائج المستهدفة أم لا.

التكرار Frequency : هو عدد مرات إعطاء كل إجابة على حدة ، أو قل: عدد مرات حدوث نتيجة معينة.

التكويد Coding : انظر الترميز.

التكويد الانتقالي Selective Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة، يكون التكويد الانتقالي هو المرحلة الثالثة والأخيرة فى تكويد البيانات، وهو عملية اختيار فئة مركزية أو أساسية، ثم ربط كل ما سواها من الأكواد، والموضوعات والفئات الأخرى بها.

التكويد المحورى Axial Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة يكون التكويد المحورى هو المرحلة الثانية من تكويد البيانات، كما أنه يتضمن ربط الأكواد بعضها ببعض.

التكويد المفتوح Open Coding : فى تحليل البيانات القائمة على النظرية الموثقة، يكون التكويد المفتوح هو المرحلة الأولى من تكويد البيانات، وتحديد ووصف ظواهر البحث، وإعطائها أسماء مناسبة.

التنميط Typology : هو النمط الشائع لارتباط بعض المتغيرات ببعضها.

التوزيع Distribution : هو نوع من ترتيب قيم أحد المتغيرات الذى يبين تكرار حدوثها الملحوظ.

التوزيع الاعتدالى Normal Distribution : يشير التوزيع الاعتدالى بالمعنى الإحصائى إلى البيانات التى يتم توزيعها بطريقة منتظمة حول نقطة المتوسط فى «شكل ناقوسى». (وقد نوقش موضوع التوزيع الاعتدالى فى فصل 5 باب 2، بمناسبة افتراض أن تكون فى خصائص العينات المسحوبة من مجتمع بحث ما موزعة حول الخصائص الفعلية لمجتمع البحث هذا). ويلاحظ فى البحث الاجتماعى الفعلى، أنه نادرا ما تتوزع البيانات بهذه الطريقة تماما، بالرغم من أن بعض أنماط البيانات يترجح أن تشبه هذا الشكل إلى حد بعيد.

التوزيع التكرارى المتجمع Cumulative Frequency : هو ترتيب البيانات التكرارية فى فئات يصل مجموعها الكلى إلى 100 %.

الثبات Reliability: معيار من معايير جودة البحث، يعنى أن بوسع الباحثين الآخرين أن يتوقعوا التوصل إلى نفس النتائج إذا نفذوا البحث بنفس الطريقة. أو يعنى المفهوم أن الباحث الأصلي سوف يحصل على نفس النتائج إذا كرر نفس البحث مرة أخرى.

الثقافة Culture : الثقافة هى مجمل الأفكار والسلوكيات الاجتماعية، والعادات، والمعايير التى تشكل مجتمعة أسلوب حياة الناس فى مجتمع معين.

جداول الأرقام العشوائية Random Number Tables : هى قوائم أرقام تم اختيارها عشوائيا بواسطة الحاسب الآلى.

الجدولة المزدوجة Cross Tabulation : عرض البيانات الخاصة بمتغيرين اثنين فى جدول واحد، بحيث يمكن للباحث أن يتعرف على أوجه الشبه وأوجه الاختلاف اللافتة داخل هذه البيانات.

الجماعة التجريبية Experimental Group: هى فى التصميم البحثى مجموعة الأفراد أو المواد التى يتم التدخل فيها أو تغييرها على نحو ما.

الجماعة الضابطة Control Group: هى فى التصميم البحثى مجموعة من الأفراد أو المواد تشبه المجموعة التجريبية من كل النواحي فيما عدا نقطة إحداث تدخل أو تغيير فيها.

جماعة المناقشة المركزة (البورية) Focus Group : هى طريقة لجمع البيانات تتسم عادة بأنها: تضم مجموعة من الأفراد عددهم بين 5 و 13 شخصا، ممن يشتركون فى أمر معين، يكون مرتبطا بموضوع البحث، وذلك للمشاركة فى نقاش حول هذا الموضوع يقوم الباحث بإدارته.

جودة البحث Research Quality : الثبات والصدق، ودرجة الثقة، والممارسة الأخلاقية للعمل البحثى.

الحالات السلبية Negative Cases: هى حالات تبدو متعارضة مع النظرية الآخذة فى الظهور أو تفندھا.

الحالة التتبعية Longitudinal Case : فى طريقة دراسة الحالة تتيح كثير من دراسات الحالة فرصة دراستها عند نقاط زمنية مختلفة، ولذلك تُختار دراسات الحالة التتبعية على أساس إمكانية إجراء دراسات متتابعة لها عبر فترة زمنية معينة.

الحالة الكاشفة Revelatory Case : فى طريقة دراسة الحالة تتوفر فى الحالة الكاشفة إمكانية إلقاء الضوء على موضوع البحث. فهذه الحالة تحقق للباحث منفذاً أو تفتح أمامه سبيلا لفهم موقف كان خافيا عليه.

الحالة المتطرفة أو الفريدة Extreme or Unique Case : فى طريقة دراسة الحالة تكون هى الحالة التى يتم فيها التركيز على موقف أو ظرف أو جماعة تعد مختلفة عن مثيلاتها، ولذلك يكون هذا التفرد هو موضوع الاهتمام. وقد تكون الحالة الوحيدة التى حدث فيها ارتباط خاص متميز بين الناس والأحداث.

الحالة الممثلة أو النمطية Representative or Typical Case : فى طريقة دراسة الحالة لا تكون هذه الحالة فى الحقيقة سوى عكس الحالة الفريدة تماما. فهذه الحالة تُختار لأنها تعد ممثلة لحالات مشابهة أخرى كثيرة، فهى بمعنى ما إحدى الحالات اليومية، أو المعتادة، التى تحمل أوجه شبه مع الحالات الأخرى، ويكون هذا هو مبرر اختيارها.

الحالة النقدية Critical Case : يقصد بها فى طريقة دراسة الحالة اختيار الحالة التى ستتيح للباحث اختبار نظرية معينة أو فرضا معيناً. فهذه الحالة تملك الإمكانات التى توضح صحة تلك النظرية أم لا. ويمكن أن تكون هذه حالة وقع لها حدث أو طرأ عليها تغير يتيح للباحث فرصة دراسة ما ترتب على هذا الحدث أو ذلك التغير من نتائج.

الخطاب Discourse : هو نص، سواء أكان منظوقاً أم مكتوباً، موجود فى أى وسيلة اتصال. **خطأ المعاينة Sampling Error :** التباين المحتمل ظهوره بين متوسطات العينة ومتوسطات مجتمع البحث (أى المتوسطات الإحصائية لمختلف السمات والعناصر).

الخُمس Quintile : هو جزء من خمسة أجزاء من عينة ما أو من مجموعات بيانات. **دراسات الأفواج/ دراسات الفوج Cohort Studies :** نوع من الدراسات التتبعية التى تتناول مجموعة من الأفراد من نفس السن، وتقوم بجمع معلومات عن كل منهم فى مواعيد محددة طوال حياتهم.

الدراسة الاستطلاعية Pilot Test : تجربة يتم تنفيذها أو فرصة يجرى الاستفادة منها لتجربة إحدى طرق جمع البيانات من عينة صغيرة تضم عدداً محدوداً من الحالات، وذلك قبل الشروع فى جمع بيانات البحث الرئيسى. وفى هذه الدراسة يتم تجربة صياغات الأسئلة وفهم المبحوثين لأسئلة البحث، وإجراءات جمع البيانات. كما يتم تعديل كل ذلك إذا استدعت الظروف، وذلك قبل البدء فى البحث الرئيسى.

الدراسة التتبعية (الطولية) Longitudinal Study : التصميم البحثى الذى يتيح للباحث الالتقاء بنفس الناس أو المواقف فى توقيتات حاسمة محددة، لكى يتبين - من واقع هذه المتابعة - كيف أثرت التغيرات عبر تلك الفترات على مختلف جماعات الناس.

الدراسة التتبعية **Prospective Longitudinal Study**: هي دراسات بحثية تصمم منذ البداية كي تكون دراسات تتبعية.

الدراسة التتبعية الاسترجاعية **Retrospective Longitudinal Study**: نوع الدراسة التتبعية التي تجمع فيها بيانات عن ماضى أفراد العينة، وذلك - مثلا - عندما يطلب من المبحوثين الإدلاء بمعلومات عن خبراتهم الماضية، أو جمعها من السجلات إن كانت متاحة.

دراسة الحالة **Case Study**: تشمل دراسة الحالة إما حالة واحدة أو عددا قليلا من الحالات، التي تدرس كل واحدة منها دراسة مفصلة ومتعمقة. ويتعين جمع عدة أنواع مختلفة من البيانات عن الحالة موضوع الدراسة، وقد تتم الاستعانة في دراسة الحالة بالبيانات المسحية والتتبعية. وقد تكون الحالة محل الدراسة شخصا، أو منظمة، أو موقفا معينا، أو دولة، ولكن الدراسة يجب أن تنصب على جانب معين من جوانب الحالة على نحو ما يشير سؤال البحث. والمعتاد أن تكون لكل حالة حدود معينة، يكون من الواضح معها ما ينتمى إلى الحالة وما لا ينتمى إليها. فدراسة الحالة - بهذا المعنى - تتبنى توجهها كليا، حيث يهتم الباحث بتأمل العلاقة بين مختلف الأجزاء المكونة للحالة من ناحية والحالة في مجملها، أي السياق الاجتماعي الذي توجد فيه من ناحية أخرى. على أن دراسة الحالة ليست مجرد دراسة متعمقة لمجتمع محلي، أو منظمة ما، أو جماعة معينة. ذلك أن الحالة ذاتها يجب أن تكون وثيقة الصلة بموضوع البحث. من هنا تكون عملية اختيار الحالة أمرا مهما، وذلك من ناحية قدرتها على توليد البيانات التي ستتمكنك من معالجة تساؤلك البحثي.

الدراسة المنضبطة عشوائيا **Random Controlled Study**: هي عبارة عن تصميم بحثي يقسم فيه المبحوثون إلى مجموعات رئيسية على أساس العمر، أو النوع، أو الانتماء الإثنى أو غيرها من الخصائص المرتبطة بموضوع البحث، وبعد ذلك يتم تقسيم المبحوثين عشوائيا إلى مجموعة ضابطة وأخرى تجريبية.

درجات الحرية **Degrees of Freedom**: مقياس إحصائي يستخدم مع اختبارات كاي تربيع لحساب الدلالة الإحصائية.

الدلالة الإحصائية (أو المعنوية الإحصائية) **Statistical Significance**: الدلالة الإحصائية أو المعنوية الإحصائية هي حكم يتعلق بمدى رجحان النتيجة الملحوظة، ليس إلا. وهي لا تضمن أن شيئا مهما أو حتى شيئا له معناه قد عثر عليه.

1 - ويتم تصميم اختبارات الدلالة الإحصائية لاستعمالها مع البيانات التي تجمع من عينة مأخوذة من مجتمع بحث ما. وعادة ما يتم اختيار هذه العينة لتمثل مجتمع بحث محدداً تمثيلاً إحصائياً. والهدف الرئيسي لاختبار الدلالة الإحصائية هو توفير مقياس يقيس مدى احتمال أن العلاقات الموجودة في البيانات المستمدة من هذه العينة سوف توجد أيضاً في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً. ومن شأن هذا الاختبار أيضاً أن يبين مدى الاحتمال الإحصائي لأن تكون العلاقات القائمة بين البيانات الموجودة في العينة غير موجودة في مجتمع البحث الأوسع نطاقاً.

ويجب على الباحث أن يحدد ما هو مستعد لقبوله من مستوى الخطر المائل في كون بيانات عينته مختلفة عما هو متوقع وجوده من وقائع في مجتمع البحث الكبير. إن مستوى الخطر الذي يشيع استعماله أكثر من غيره هو: احتمال $0.05 >$ ، أو 5 % احتمال أن العلاقات الموجودة في بيانات العينة لن توجد في مجتمع البحث الكبير. ولا ريب أننا لا نستطيع أن نكون واثقين من أن عينتنا تعتبر، أو لا تعتبر، من تلك العينات المذكورة ذات الاحتمال 5 %، إلا أننا نستطيع بواسطة إمعان النظر في مستوى الاختبار الإحصائي أن نتوصل إلى شيء من الثقة بأن نتائجنا تعكس تلك النتائج التي من شأنها أن توجد في مجتمع البحث الأكبر.

2 - تستعمل الدلالة الإحصائية كذلك لبيان احتمال أن تكون نتيجة معينة مثل كاي تربيع، قد حدثت مصادفة. ففي المثال الخاص بكاي تربيع، طرحنا فرضاً صفرياً بأنه لا توجد علاقة بين المتغيرين المذكورين. فلن وجدنا أن هذه النتائج ذات دلالة إحصائية أمكننا حينئذ أن نرفض هذا الفرض الصفرى. والمستوى المقبول للدلالة الإحصائية، والذي يستعمله معظم الباحثين الاجتماعيين هو ح (احتمال). $5.0 >$ أى: احتمال 5 % لعدم وجود علاقة بين المتغيرين.

دليل المقابلة Interview Guide : هو برنامج المقابلة، فضلاً عما يحتوى عليه من الملاحظات والفقرات الإضافية لمساعدة الباحث.

دليل الموضوع Topic Guide : مجموعة من الأسئلة العامة أو النقاط الرئيسية، أو الأسئلة المحفزة المقرر أن يغطيها الحوار داخل جماعة المناقشة، أو أثناء المقابلة. وأهم وظائفها: 1 - أنها تساعد المنسق (أو الباحث) على تذكر القضايا أو الأسئلة التي تطرح. 2 - يقترح طرق لمعالجة الموضوعات وصياغة الأسئلة. 3 - ويذكر المنسق بأن يطرح أسئلة تفتيح الموضوع ويتابع التعليقات. 4 - يشتمل على نوع من التقديم وعلى طريقة لإنهاء اللقاء. 5 - يكفل تغطية نفس الموضوعات في كل جماعة (في حالة ما إذا

كنت تعقد جلسات لأكثر من جماعة مناقشة واحدة أو إن كان يشترك في إدارة الحوار داخل تلك الجماعات اثنان أو أكثر من المنسقين).

الرُّبيع Quartile: جزء من أربعة أجزاء من مجموعة بيانات.

السرد Narrative : هو الوصف الذى يتناول تسلسلا لأحداث ماضية كما تبدو للراوى فى الوقت الحاضر ، وذلك بعد أن يكون الراوى قد عالج هذه الأحداث، وحللها، وصاغها فى صورة حكايات.

سؤال البحث Research Question: التساؤل المبدئى الذى انبثق منه مشروع البحث بأكمله.

السؤال متعدد الأكواد Multi-Coded Question : هو السؤال الذى يتطلب أكثر من إجابة واحدة، ولذلك يرتبط به أكثر من متغير.

شبه التجربة Quasi-experiment: تعنى حرفيا «التجربة التى تكاد تكون تجربة حقيقية»، ولكنها تفتقر إلى بعض الخصائص المميزة للتجربة.

شبه المقننة Semi-Structured : مصطلح يصف البيانات، أو إحدى طرق جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان)، التى قد تختلف فيها الأسئلة والإجابات سواء من حيث صياغتها أو من حيث تفصيلها، كما أن الإجابات التى يرد بها على الأسئلة تكون — غالبا — مصاغة بنفس الكلمات التى نطق بها المبحوث.

شفاف Transparent : انظر : البحث الشفاف.

الشكل البياني Diagram : هو عرض للبيانات أو للنتائج فى قالب من الجداول والرسوم البيانية.

الشكل البياني للتشتت Scattergram : هو رسم بياني يحدد موقع متغيرين ليبيين فى صورة واضحة ما إذا كان من الممكن أن يكون هذان المتغيران مرتبطين ببعضهما، ومدى ذلك الارتباط.

الصدق Validity : مقياس لجودة البحث، يعنى أن البيانات التى ننوى جمعها ومعالجتها لكى نجيب على الأسئلة المطروحة فى بحثنا هى تصوير دقيق وأمين لذلك الجانب من الواقع الاجتماعى الذى نقوم بدراسته.

صناديق الإجابة Check Boxes : توجد فى الاستبيان الإلكتروني، وهى صناديق (أو براويز) يمكن للمستجيبين أن يوقعوا فى داخلها علامات يجيبون بها على أحد الأسئلة.

صناديق الكتابة **Text Boxes** : توجد فى الاستبيان الإلكتروني، وهى صناديق (أو براويز) يمكن للمستجيبين أن يكتبوا فى داخلها إجاباتهم.

طرق البحث الظاهرة Overt Methods: هى طرق البحث الصريحة التى فيها يدرك المبحوثون أنهم جزء من البحث الذى تجربيه.

طرق البحث الكمية Quantitative Research Methods : تقوم طرق البحث الكمية أساسا على جمع البيانات المقننة ومعالجتها، وهى بيانات يمكن عرضها فى شكل رقمى. ويتم جمع البيانات الكمية عادة - على نحو ما عرضه الفصل 2 من باب 1 - فى الحالات التى يتبنى فيها الباحث اتجاها معرفيا (إيستمولوجيا) وضعيا، والبيانات المجموعة يمكن تحليلها إحصائيا.

طرق البحث الكيفية Qualitative Research Methods : أما طرق البحث الكيفى فتقوم أساسا على الاهتمام بالقصص والروايات التى يقدمها المبحوثون وتحتوى على مفاهيم، ومشاعر، وآراء، ومعتقدات ذاتية. ويتم جمع البيانات الكيفية عادة - على نحو ما أوضح الفصل 2 من باب 1 - فى الحالات التى يتبنى فيها الباحث اتجاها معرفيا تأويليا، وتكون البيانات المجموعة هى كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم.

طرق البحث المباشرة Face to Face Research Methods: هى طرق البحث التى تتطلب أن يلتقى الباحث بالمشاركين بأشخاصهم مباشرة.

طرق البحث المستترة Covert Methods : هى طرق البحث التى لا يدرك فيها المبحوثون أنهم جزء من مشروع البحث، أو التى يتم فيها ملاحظتهم بطريقة خفية غير ظاهرة.

الطرق المختلطة Mixed Methods : هى تلك الطرق التى تجمع بين الطرق الكيفية والكمية على نحو يكون هو الأنسب لمشروع بحثى معين.

طريقة العينة الحصية (بالحصصة) Quota Sampling : طريقة من طرق اختيار العينة تختار عددا معينا من الحالات - أو حصص (كوتا) - وفقا لتوفر عدد من المعايير فيها.

طريقة كرة الثلج Snowball Sampling : طريقة من طرق اختيار العينة يقوم فيها الباحث بسؤال أفراد العينة المبدئية أن يحددوا له، أو يعرفوه، على أشخاص آخرين يتسمون بنفس خصائصهم. وبعدها يشرع الباحث فى الاتصال بهؤلاء لإجراء بحثه.

الظاهرة الاجتماعية Social Phenomenon : هى أى شىء يؤثر فى البشر أو يتأثر بهم، فى ثنايا تفاعلهم مع بعضهم وتجاوبهم مع البعض.

العالم الاجتماعي Social World : هو الإطار أو الظروف الثقافية التي يتم إجراء البحث الاجتماعي في داخلها.

العبارات أو الأحكام التقييمية Value Statements : هي الجمل التي تصدر عادة من شخص ما، وتعتبر مؤشرات دالة على رأى كل شخص عندما يستعمل حكمه ومعايير الشخصية.

عدم الاستجابة Non-Response : تحدث عدم الاستجابة عندما يسحب أحد المبحوثين المختارين موافقته على الاشتراك في مشروع البحث. وقد يرجع ذلك إلى رفضهم لفكرة البحث، أو بسبب مرضهم، أو لأنهم لا يصلحون أصلاً لإجراء البحث عليهم.

العشوائى Random : يعنى أنه لا يمكن التنبؤ به، ولا يأخذ في الاعتبار سمات أو خصائص محددة. ففي حالة المعاينة الإحصائية - مثلاً - يتم اختيار العينة العشوائية من بين أفراد مجتمع البحث بحيث يتاح لكل حالة فرصة مساوية لإدراجها في العينة التي يجري اختيارها، ويعنى ذلك أنه لا يمكن التنبؤ بطبيعة تكوين العينة.

العشير Decile : جزء من عشرة أجزاء من عينة أو مجموعات بيانات.

العلاقة الارتباطية أو علاقة الارتباط Association or Associative Relationship : هي الاعتقاد بوجود علاقة إحصائية بين مفهومين أو ظاهرتين، دون أن تكون إحدهما بالضرورة سبباً للآخرى.

العلاقة السببية Causal Relationship : هي التأكيد على أن تغيراً في الظاهرة (أ) ينتج عنه تغيراً في الظاهرة (ب).

العلاقة العلية : انظر : المادة السابقة.

العلوم الطبيعية Natural Sciences : هي دراسة العالم المادى والظواهر المرتبطة به، وهي الدراسة التي تشمل - مثلاً - مبحث الكيمياء ومبحث الفيزياء... إلخ.

العملية Process : سلسلة متواصلة وغالباً ما تكون مستمرة من الأفعال، التي يقصد منها تحقيق نتيجة محددة. ويتطلب هذا الوضع - في أغلب الأحيان - من هذا الأمر من الباحث أن يتبع مجموعة معتمدة عادة من الإجراءات الروتينية.

العينة الاحتمالية Probability Sample : العينة التي يمكن القول بأنها ممثلة أشد التمثيل لمجتمع البحث كله - أو لكافة الحالات المحتمل دراستها - وذلك وفقاً للمعايير المرتبطة بالموضوع.

عينة الحالات الحرجة Critical Case Sampling : تختار حالات مثل هذه العينة على أساس تأثيرها «الحاسم أو الشديد» في مسار ظواهر اجتماعية معينة.

عينة الحالات المتطرفة Extreme Case Sampling : في هذه العينة تختار الحالات بسبب خصائصها المتطرفة أو المنحرفة عن المعيار، وبهذا تستطيع إلقاء الضوء على ظاهرة اجتماعية معينة من منظور مختلف عن النظرة المعتادة إليها.

عينة الحالات النموذجية (المعتادة) Typical Samling : هنا تختار الحالات التي تعد نموذجية أو «معتادة».

العينة الحصية (بالحصاة) Ouota Sampling : انظر: طريقة العينة الحصية.

العينة العشوائية Random Sample : هي العينة التي تُختار من مجتمع بحث يكون لكل حالة من أفرادها فرصة متكافئة للدخول في هذه العينة، ومن سماتها أنه لا يمكن التنبؤ سلفاً بطبيعة تكوين العينة.

العينة العمدية Puposive Sample : العينة المكونة من حالات مختارة، التي تتيح للباحث أفضل فرصة لدراسة أسئلة بحثه والإجابة عليها بشكل متعمق.

العينة العمدية الطبقيّة Stratified Purposive Sampling : لعل أشهر طرق اختيار العينة العمدية أن يتم اختيار أفرادها من بين مجموعات من الأفراد أو الحالات التي يوجد بها قدر من التباين بينها، وذلك لإتاحة إمكانية المقارنة بين تلك المجموعات. ويتم تحديد تلك المجموعات - التي ستختار منها العينة - من واقع بيانات متوفرة سلفاً من مسح أو بيانات إحصائية سكانية.

العينة العنقودية Cluster Sample : هي عينة تتكون من حالات وقع عليها الاختيار بسبب قربها من بعضها البعض.

عينة كرة الثلج Snowball Sampleg : انظر: طريقة كرة الثلج (في المعاينة).

العينة المتجانسة Homogeneous Sample : وفيها تنتمي كافة الحالات المختارة ضمن العينة لنفس الجماعة أو الفئة أو تتسم جميعها بنفس الخصائص. وتتيح لنا مثل هذه العينة أن ندرس بشكل تفصيلي متعمق ظاهرة اجتماعية معينة.

العينة المكثفة Intensity Sampling : هنا تختار الحالات لأنها «تمثل بقوة وبشكل مكثف الظواهر محل اهتمام البحث».

العينة الممثلة Representative Sample : هي العينة التي يتم اختيارها لكي تكون ممثلة لمجتمع بحث أكبر حجماً.

العينة النظرية Theoretical Sample : العينة المكونة من حالات مختارة، التي تمكن الباحث - على أفضل نحو - من بلورة بعض الأفكار النظرية والكشف عن أبعادها.

Heterogeneous or Maximum Variation العينة غير المتجانسة أو البالغة التباين **Sample :** فى هذه العينة يعنى التأكد من التباين الشديد بين الحالات إمكانية تحديد الموضوعات الأساسية المشتركة رغم هذا التباين .

Chat Rooms : غرف الدردشة هى منتديات نقاش إلكترونى يسمح بالاتصال المتزامن، وكذلك الاتصال اللامتزامن.

Unstructured : غير المقتن مصطلح لوصف البيانات، أو طريقة جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان)، حيث لا تنتظم الأسئلة والإجابات وفق دليل أو قالب محدد.

Athoretical : فاقدة للنظرية يعنى غياب النظرية الأساسية أو مجموعة الأفكار التى تفسر ما يجرى من أمور.

Hypothesis : الفرض هو اقتراح أو حكم يقصد به شرح الملاحظات أو الوقائع؛ ويمكن النظر إليه باعتباره «تخمينا قائما على المعلومات» يتعلق بالعالم الاجتماعى، والذى من شأنه - إن كان حقا - أن يفسر الظاهرة الجارى دراستها.

Understanding : الفهم أى فهم معانى ودلالات المعلومات.

Generalisability/ Transferability : القابلية للتعميم والقابلية للتحويل وهما مقياسان لقياس جودة البحث، بهما يتساءل الباحث: إلى أى مدى أستطيع أن أدعى أن النتائج المستمدة من بحثى تصدق على المجتمع الأوسع، أم أن دلالتها تتصل ببيئة مختلفة؟

Replicability : القابلية للتكرار أحد مقاييس جودة البحث، ويعنى أن لأى باحث آخر أن يتوقع الوصول إلى نفس النتائج إذا نفذ هذا البحث نفسه بذات الطريقة التى أجرى بها.

Grammar (النحو والصرف) : هى «القواعد» التى تحكم الطريقة التى تُصاغ بها اللغة، وتحدد - فى حالة الكتابة - استعمال الترقيم وبناء الجملة حتى يكون المعنى الذى يقصده الكاتب واضحا عند القارئ.

Drop-down Lists : قوائم الإجابات المحتملة توجد فى الاستبيان الإلكتروني، وهى مجموعة من الإجابات المحتملة تقدم فى صورة قائمة يختار منها المستجيبون إجابة واحدة أو أكثر من إجابة يرونها ملائمة.

القوائم المعلقة Drop-down Lists: مصطلح يتعلق بتصميم الجداول فى برامج «مايكروسوفت ورد» مثلا، يشير إلى القوائم والجداول ... إلخ المؤجل استيفاؤها لحين استكمال بياناتها.

كاي تربيع Chi-Squared Test : انظر : اختبار كاي تربيع.

الكلمة المفتاح (الكلمة المرشدة) Keyword: الكلمات المفتاحية هي المصطلحات التي توجه قواعد البيانات (مثل: قوائم المكتبات العامة، أو محرك بحث عن المراجع) إلى ما يراد منها أن تبحث عنه. ومن الواضح أنه لا بد أن يتم اختيار الكلمات المفتاحية بكل عناية، وأن تربط بين أكثر من كلمة لكى تضيق نطاق البحث. وتتيح لك قواعد البيانات المختلفة ومحركات البحث استخدام أدوات معينة (مثل: «&» أو «+» أو AND للربط بين أكثر من كلمة مفتاحية. كما تسمح لك باستخدام OR أو «/» للاختيار بين كلمتين مطلوبتين) ولذلك يجب أن تتأكد مقدما ما الأدوات (أو العلامات) التي تصلح للنظام الإلكتروني الذي تستخدمه؟

الكود أو الرمز Code : هي طريقة لتمييز جواب معين أو سمة معينة. وقد يكون الكود رقميا أو أبجديا.

المباشر (وجها لوجه) Face to Face : توصف بالمباشرة طرق البحث التي تعتمد على اللقاء الباحث والمبحوث وجها لوجه.

المتغير Variable: هو صفة أو خاصية للحالات المدروسة (والتي قد تكون مثلا: أفرادا، أو منظمات أو أشياء، أو مواقف) والتي يمكن أن تتباين (أو تتغير) فى حالة إلى حالة.

المتغير التابع Dependant Variable : المتغيرات التابعة يمكن أن تتباين من حيث ارتباطها بالمتغيرات - المستقلة - الأخرى، كما أن من الممكن وجود علاقة بين هذه المتغيرات، مثال ذلك، أن إحساس المستجيب بصحته الشخصية قد يكون مرتبطا بسنه.

المتغير المستقل Independant Variable : المتغيرات المستقلة هي متغيرات لا يمكن أن تقوم متغيرات أخرى بالتأثير فيها، مثال ذلك، أن سن المستجيب لا يمكن أن يتأثر بمدى شعوره بالصحة.

المتوسط (الوسط الحسابي) Mean : هو متوسط إحصائي يحسب عن طريق جمع إجمالى كل القيم ثم قسمته على عدد الحالات.

مجتمع البحث Population : يشير مجتمع البحث من الناحية الإحصائية إلى مجموع عدد الحالات التي يمكن اعتبارها مفردات لدراستها فى البحث. وهكذا يمكن أن يكون مجتمع

البحث مثلا: جميع الناس الذين يعيشون في دولة معينة، جميع الطلاب الذين يدرسون في جامعة معينة، جميع الطلاب المقيدين بقسم الاجتماع في إحدى جامعات المملكة المتحدة في وقت معين، جميع المقالات الصحفية التي نشرت في المملكة المتحدة التي تتناول موضوع تطوع الطلاب الجامعيين (لأداء خدمات عامة) خلال شهر معين.

مجتمع البحث الخفي أو غير المنظور Hidden or Invisible Population : هي جماعات يراد بحثها، ولكن يتعذر تحديد هويات أفرادها لأسباب شتى. ومن تلك الجماعات تجار المخدرات مثلا.

المجتمعات الافتراضية Virtual Communities : هي جماعات من الأفراد يتشاركون في خبرة ما، ولكنهم يتلاقون افتراضيا على الشبكة وليس لقاء مباشرا وجها لوجه.

المدرج التكرارى Histogram : المدرج التكرارى هو رسم بياني يظهر معدل تكرار متغير النسبة أو الفترة حيث تكون القيم متصلة. يتركز كل عمود في المدرج التكرارى حول النقطة الوسطى أو القيمة الوسطى للفئة التي يمثلها.

المذكرات الميدانية السريعة (الموجزة) Memos : هي مذكرات يدونها الباحث تتعلق بتسجيل، وتأمل، وتحليل البيانات التي يجرى جمعها. وهي كذلك طريقة لوضع علامات تشير إلى معلومة ما تمهيدا للفحص والاستقصاء بعد ذلك.

مراجعة الزملاء Peer Review : عملية معروفة في الدوائر الأكاديمية يتم بمقتضاها إحالة المقالات العملية إلى زملاء المؤلف في التخصص لمراجعتها وتقدير صلاحيتها للنشر.

المصداقية Credibility : يتم اختبار مصداقية (أو درجة الثقة في) تفسيرات الباحث للبيانات التي قام بجمعها عن طريق تحليلها وتفسيرها بأسلوب يتسم بالشفافية. ويتحقق ذلك - مثلا - باختبار تفسيرات البيانات بعرضها على المبحوثين، أو بالمقابلة بين تفسيراته وبين ما انتهت إليه النظريات القائمة.

معامل الارتباط Correlation Coefficient : قيمة إحصائية توفر لنا مقياسا لقوة واتجاه علاقة ما بين متغيرين نسبة.

المعاينة الإحصائية Statistical Sampling : هي عملية اختيار العينة الاحتمالية. انظر: العينة الاحتمالية.

المعاينة الحصية Quota Sampling : انظر: طريقة العينة الحصية.

المعاينة النظرية Theoretical Sampling : إحدى طرق المعاينة التي يتم فيها اختيار الحالات المبدئية - عادة - بطريقة غير مقننة نسبيا. وعندما تبدأ «النظرية» في البزوغ من واقع البيانات المبدئية، يتقرر اختيار مزيد من الحالات بهدف استكشاف واختبار تلك النظرية البازغة. كما يهتم الباحث بتحديد «الحالات السالبة»، وهي الحالات التي لا تتوافق والنظرية الآخذة في التكوين، لأنه يمكن الإفادة من مثل هذه الحالات في تعديل النظرية الجديدة وتطويرها. وتتواصل هذه العملية إلى أن يتوقف ظهور نظريات جديدة، ويصل الأمر إلى حالة من «التشبع» النظرى.

المعرفة 1: Knowledge - هي المعلومات المتعلقة بشيء ما، أو قضية ما، أو واقع معين، أو الوعي بذلك، 2 - هي فهم حقيقة، أو واقع معين، أو قضية معينة.

المعلومات Information : هي المعرفة التي يتم تحصيلها من خلال الدراسة، أو الخبرة، أو التعليم : أى ما يتم إحاطتنا به.

المفهوم Concept : المفهوم فكرة مجردة تشتمل على طريقة فى وصف ظاهرة اجتماعية ما، كظاهرة الأسرة ، أو ظاهرة الفقر ، أو القوة ، أو الصحة ، أو التفكير فيها أو التعبير عنها. (انظر الفصل الرابع من هذا الباب للوقوف على المزيد فيما يتصل باستخدام المفاهيم).

مقابلات الإخبارى Informant Interviews : نمط من المقابلات يكون المبحوث (أى الإخبارى) فيه متحكما فى المقابلة، ويكون قادرا على رواية قصته الشخصية بطريقة الخاصة (كما هو الحال فى البحث السردى مثلا).

مقابلات الباحث Researcher Interviews : نوع من المقابلات يكون الباحث فيه متحكما فى المقابلة، حيث يطرح مجموعة من الأسئلة لكى يجيب عليها المبحوث.

مقابلات المبحوث Participant Interviews : طريقة فى جمع البيانات يستطيع فيها الباحث/ الملاحظ أن يتوصل إلى معرفة حميمة بمجموعة البشر الذين يتناولهم البحث، وهم فى وسط البيئة الطبيعية التى يعيشون فيها.

المقابلات المشتركة Collaborative Interviews : هى نوع من المقابلة يشترك فيه الباحث مع الإخبارى (المبحوث) فى خلق البيانات. وهى بذلك مقابلة لم يسبق للباحث تقنيها، ولكنه يتدخل تدخلا إيجابيا فى خلق البيانات.

المقابلة Interview : هى طريقة من طرق جمع البيانات تقوم عادة على : تيسير الاتصال المباشر بين فردين ، إما وجها لوجه، وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت، وتمكين

القائم بالمقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والآراء من المبحوث باستعمال الأسئلة والحوار التفاعلى.

المقابلة السردية Narrative Interview : مسمى بديل لجلسة جمع البيانات السردية، ولكنها ليست تسمية دقيقة تماما.

المقارنة المستمرة Constant Comparison : هى مقارنة البيانات التى جمعت من مصادر مختلفة ، ومن أماكن وفى أوقات مختلفة لدعم عملية التحليل، وذلك فى نفس الوقت الذى يقتض فيه الباحث عن الحالات السلبية.

مقترح مشروع البحث Research Proposal : وثيقة تحدد الإطار العام لموضوع البحث، وكيف سيتم تنفيذه ، وما مبررات القيام به؟ ولماذا يجب تمويله؟

المقنن Structured : المقنن لفظ يصف البيانات، أو يصف طريقة جمع البيانات (كالمقابلة أو الاستبيان) التى تحوى أسئلة موحدة توجه هى نفسها لكل مشارك. كما أن من المعهود أن توجد مجموعة محددة من الإجابات لكل سؤال.

الملاحظة Observation : تعنى جمع البيانات بواسطة استخدام الحواس الإنسانية الخمس. وهى بمعنى محدد فعل مراقبة الظواهر الاجتماعية فى العالم الواقعى، وتسجيل الأحداث لحظة وقوعها وبالكيفية التى تحدث بها. والعادة أن يقسم مجال البحث الاجتماعى للملاحظة إلى : الملاحظة المشاركة والملاحظة البسيطة.

الملاحظة البسيطة Simple Observation : هى طريقة لجمع البيانات لا يكون فيها الباحث (القائم بالملاحظة) جزءاً من العملية التى يجرى بحثها، بل يكون شخصاً موضوعياً غريباً.

الملاحظة المشاركة Participant Observation : هى طريقة لجمع البيانات يكتسب فيها الباحث (القائم بالملاحظة) معرفة وثيقة وعميقة بجماعة الأفراد الذين يكونون المبحوثين الذين تتناولهم الدراسة، وذلك فى داخل المكان الطبيعى لهذه الجماعة.

المنوال Mode : متوسط إحصائى يحسب بملاحظة القيمة الأكثر شيوعاً فى هذا التوزيع. الموافقة عن علم Informed Consent : التأكد من أن الأشخاص الذين سيشاركون فى البحث يفهمون جيداً ما يوافقون عليه.

النزعة التأويلية Interpretivism : وجهة نظر معرفية تعطى الأولوية للتفسيرات الذاتية التى يقدمها الأفراد وللتصورات المتعلقة بالظواهر الاجتماعية التى خبروها، وما يقومون به من أعمال وتصرفات شخصية.

النزعة التصورية Constructivism : هي وجهة نظر أنطولوجية تؤكد أن الظواهر الاجتماعية التي تشكل عالمنا الاجتماعي لا تعد ظواهر حقيقية إلا بمعنى أنها أفكار متصورة، ويقوم الأفراد الذين يتبنونها بمراجعتها وإعادة تشكيلها باستمرار، وذلك من خلال التفاعل الاجتماعي والتأمل (النقد).

النزعة المركزية Central Tendency : هي مقياس إحصائي يلخص البيانات المتعلقة بمتغير واحد في قيمة واحدة كالمتوسطات (الوسيط الحسابي)، أو الوسيط، أو المنوال.

النزعة الموضوعية Objectivism : هو موقف فكري أنطولوجي يؤكد أن الظواهر الاجتماعية التي يتكون منها عالمنا الاجتماعي لها وجودها المستقل الخاص بها - بمعزل عن، وبالاستقلال عن - الفاعلين الاجتماعيين (أى البشر) المشاركين في هذه الظواهر.

النشر Dissemination : هو عملية نشر أخبار نتائج البحوث بحيث تكون معلومة لدى جمهور أوسع (من الجمهور الأكاديمي).

النظريات الصغرى (المايكرو) Micro Theories : هي النظريات ذات النطاق المحلي المحدود، والمرتبطة بمنطقة محددة، أو جماعة معينة من الناس، أو بجانب معين من جوانب العالم الاجتماعي.

النظريات الكبرى (الماكرو) Macro Theories : هي النظريات التي تحاول أن تستوعب كل جوانب العالم الاجتماعي وفق مصطلحات ومفاهيم عامة. (وتسمى عادة النظريات الواسعة النطاق) ..

النظريات الوسطى Meso Theories : هي النظريات ذات المستوى المتوسط والمتعلقة بالظواهر الاجتماعية المعتادة، كظاهرة: المنظمات، والمؤسسات، والمجتمع المحلي، والأسرة).

النظرية Theory : النظرية مجموعة أفكار أو مفاهيم مترابطة يمكن استخدامها لشرح وفهم حدث، أو موقف، أو لشرح وفهم الظواهر الاجتماعية.

النظرية الموثقة Grounded Theory : اتجاه منظم في إجراء البحث يقوم على تطوير - أو توليد - النظرية من البيانات التي يتم جمعها.

نقطة الالتقاء Node : يستخدم هذا المصطلح في برنامج «إن فيفو» NVivo للدلالة على الأكواد. انظر : الأكواد.

النماذج السالبة **Negative Cases** : هي الشواهد أو الحالات التى تتناقض مع النظرية البازغة (الجارى بلورتها) أو لا تؤيدها.

النموذج النظرى 1 : Paradigm - هو مجمل الاعتقادات، والقيم، والأساليب الفنية وما يتصل بها من الأمور التى يتوافق عليها أعضاء جماعة علمية معينة، 2 - هو مجموعة مترابطة من الاعتقادات والأحكام القاطعة التى يعتبرها العلماء المشتغلون بتخصص معين أو بفرع معين من فروع العلم مؤثرة على تحديد ما يتعين دراسته، وكيف ينبغي إجراء البحث؟ وكيف يجب تفسير النتائج؟ وما إلى ذلك.

الواقعية 1 : Realism - وجهة نظر أنطولوجية تؤكد أن للعالم الاجتماعى حقيقته المنفصلة عن الفاعلين الاجتماعيين المشاركين فيه، وأن بالإمكان معرفة ذلك من خلال الحواس وكذلك من خلال الأبنية الخفية والآليات الخفية. 2 - اتجاه معرفى يؤكد على أن معرفة ظاهرة اجتماعية ما تقوم على أساس كل ما يمكن ملاحظته وتسجيله من جهة، وعلى الأبنية والأساليب الخفية التى يمكن ملاحظة نتائجها من جهة أخرى.

الواقعية النقدية Critical Realism : الرأى الذى يعطى أولوية فى البحث للتعرف على البنى (جمع بنية أو بناء) والآليات التى تؤدى إلى مظاهر عدم المساواة، وبذلك تهيب الفرصة لإحداث التغير الاجتماعى عن طريق رفض الآليات البنائية التى تبين أنها السبب فى هذه اللامساواة.

الوثيقة Document : من العسير تعريف الوثائق، إلا أننا نعتقد أن أفضل ما وصفت به هو أنها سجلات مكتوبة عن أفراد وأمور تتولد من خلال الممارسات الحياتية. ووفقا لهذا التعريف تشمل الوثائق عدة أشياء مثل : الفيلم السينمائى، وشريط التسجيل الصوتى، وفيلم الفيديو ... إلخ. ولكن يستبعد من هذا التعريف أشياء أخرى كنصوص التاريخ الشفاهى.

وحدة الدراسة Unit : المبحوث الفرد أو الموضوع الذى يجمع الباحث بيانات عنه، كالدول، أو الجامعات، أو الأسر أو الأفراد على سبيل المثال.

الوسط الحسابى Mean: متوسط إحصائى يتم حسابه عن طريق تجميع إجمالى كل القيم ثم قسمة هذا الإجمالى على عدد الحالات.

الوسيط Median : هو متوسط إحصائى يحسب عن طريق ترتيب جميع القيم الموجودة فى عينة ما فى ترتيب رقمى ثم ملاحظة القيمة الوسطى لهذا التوزيع.

الوضعية Positivism: وجهة نظر إستمولوجية تؤكد على أن معرفة الظاهرة الاجتماعية تقوم على أساس ما يمكن ملاحظته وتسجيله، وليس على التصورات الذاتية.

المؤلفان في سطور:

1 - بوب ماتثيوز Bob Matthews

التحق بالسلك الجامعي في سن متأخرة. إذ كان قد ترك المدرسة بعد أن اجتاز عددا من مواد شهادة إتمام الدراسة الثانوية الإنجليزية (GCE) المستوى العادي، وعمل لمدة خمسة وعشرين عاما في صناعة مد شبكات الطاقة الكهربائية، في وظيفة مسح الأراضي. بعدها اكتشف أن هناك أشياء أكثر أهمية يجدر بالإنسان أن يسعى لتحقيقها. بعد أن اتخذ هذا القرار شرع في الالتحاق بالدراسات العليا عن طريق برنامج تمهيدى يؤهله لذلك (الأمر الذي حققه بمساعدة ودعم من زميله اليسون، الذي يدين له بالفضل إلى الأبد).

وفي العام 1994 بدأ يعد نفسه للحصول على مرتبة الشرف في تخصص السياسة الاجتماعية في جامعة برمنجهام (ولعله من الطريف أن نذكر أن زميلته في تأليف هذا الكتاب «ليز روس» هي التي أجرت له امتحان القبول وقررت قبوله للالتحاق بتلك الدراسة). ونجح في الحصول على الدرجة بامتياز في العام 1997. وبينما كان يعمل خلال تلك الفترة بدوام جزئي في مكتب المراقبة نال جائزتي الدراسات الاجتماعية وفرانس و لافيت. وقد دعمه مركز البحوث الاقتصادية والاجتماعية ESRC بمنحة دراسية، حصل من خلالها على درجة الدكتوراة في العام 2001. بعدها عمل محاضرا في معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية (الذي أصبح الآن جزءا من معهد السياسة الاجتماعية في كلية العلوم الاجتماعية) جامعة برمنجهام. وقد شغل في تلك الجامعة منصب مدير برامج السياسة الاجتماعية (على مستوى البكالوريوس) حتى عام 2008. وقد قادت أعباؤه الأكاديمية إلى بعض الأماكن المهمة، التي شملت إستونيا، وسبيرييا، وكوريا، والصين، حيث عمل أستاذا زائرا في جامعة نانكاى، تيانجين.

واليوم يقوم بالتدريس والبحث في ميادين: السياسة الاجتماعية المقارنة، والدمج الاجتماعي، وطرق البحث، والسياسة الصحية، ويعزف على الجيتار كلما سمح له الوقت.

2 - ليز روس Liz Ross

درست علم الاجتماع في جامعة لندن، ثم عملت فيما كان يعرف وقتها باسم «المسح الاجتماعي الحكومي» (الذي أصبح الآن «إدارة الإحصائيات القومية»). وفي تلك المؤسسة تعلمت أساسيات البحث الاجتماعي في الوقت الذي كان فيه الكمبيوتر في بدايات استخدامه

لمعالجة كميات ضخمة من البيانات المسحية. ثم تفرغت فترة لرعاية طفليها الصغيرين، اتجهت بعدها لتعلم الخدمة الاجتماعية، حيث عملت اختصاصية تنمية مجتمع محلي لمدة سنوات طويلة قبل أن تعود إلى البحث الاجتماعي. وقد حصلت على درجة الماجستير في البحث الاجتماعي والتربوي المتقدم من الجامعة البريطانية المفتوحة. ثم حصلت على منحة بحث قادتها إلى جامعة برمنجهام، حيث تابعت الاشتغال في البحث والتدريس في معهد الدراسات الاجتماعية التطبيقية.

وعملت لمدة عشرة أعوام مديرة لبرامج الدراسات العليا، وتابعت العمل في تنسيق وإدارة برنامج دراسات عليا بالتعاون بين الجامعة وحكومة كوريا (الجنوبية). وتعكس اهتماماتها في البحث والتدريس خبرتها بوصفها اختصاصية تنمية محلية، وعملها مع القطاع التطوعي، وعلاقاتها الواسعة مع كوريا الجنوبية.

وظلت لسنتين طويلة تدرس تخصص طرق البحث الاجتماعي على مستوى البكالوريوس وعلى مستوى الدراسات العليا، حيث دربت كثيرا من طلاب الماجستير والدكتوراه على طرق البحث الكيفي في العلوم الاجتماعية. كما استطاعت أن تدرب بعض موظفي الإدارات المحلية وبعض جمعيات المجتمع المحلي على استخدام أساليب البحث الاجتماعي في عملهم وفي المجتمعات التي يخدمونها وسيلة لدمج السكان المحليين في اتخاذ القرارات المتصلة بحياتهم وبأوضاع مجتمعاتهم، وفي إسماع أصواتهم للمسؤولين.

المترجم فى سطور:

محمد الجوهرى

- أستاذ علم الاجتماع فى جامعة القاهرة.
- عميد كلية الآداب، جامعة القاهرة ورئيس جامعة حلوان الأسبق.
- أشرف وشارك فى عدد كبير من البحوث والندوات العلمية والمؤتمرات الدولية والعربية فى ميادين: علم الاجتماع، دراسات التراث الشعبى، التنمية الاجتماعية، الدراسات الثقافية.
- مثل مصر، على امتداد أربعة عشر عاما، فى المؤتمر العام لليونسكو - باريس.
- حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية (1994).
- رأس «المجلس الدولى لدراسة التحولات الاجتماعية» التابع لليونسكو (1995-1997).
- ألف ونشر 121 بحثا ودراسة.
- ترجم وشارك فى ترجمة 38 عملا.
- أشرف على 55 رسالة دكتوراة، و52 رسالة ماجستير.
- حصل على جائزة النيل فى العلوم الاجتماعية (2012).

التصحيح اللغوي : عبير محمد

الإشراف الفني : حسن كامل